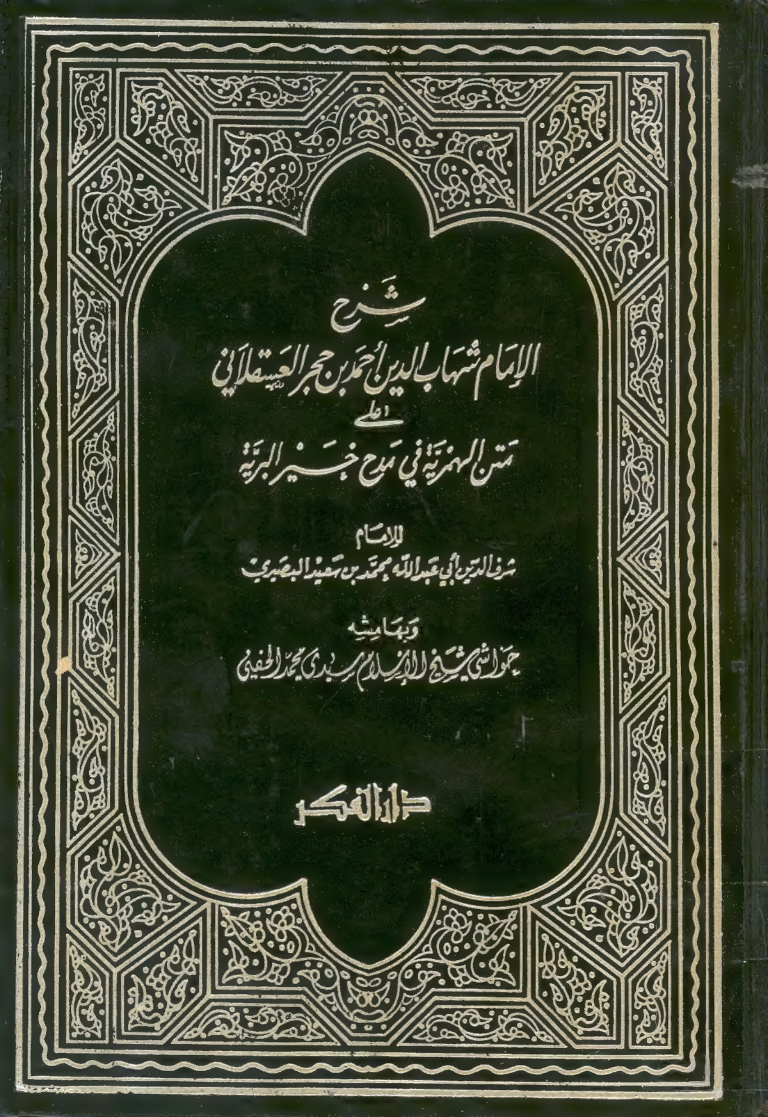

شرح
الإمام شهاب الدين أحمد بن حجر العسقلاني
على
متن الهمزية في مدح خير البرية
للإمام
شرف الدين أبي عبد الله محمد بن سعيد البصيري
وبهامشه
حواشي شيخ الإسلام سيدي محمد الحفني
دار الفكر

شرح

الإمام شهاب الدين أحمد بن حجر العسقلاني

على

متن الهمزية في مدح خير البرية

للإمام

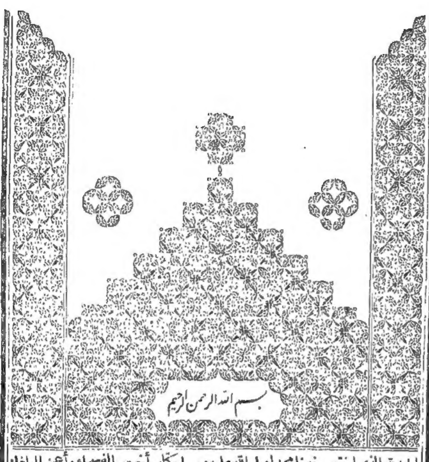
شرف الدين أبي عبد الله محمد بن سعيد البوصيري

وبهامشه

حواشي شيخ الإسلام سيدي محمد الحفني

تغمده الله برضوانه

دار الرشاد الحديثة



الحمد لله الذي اختص نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم بكتاب أخرس الفصحاء وأعجز البلغاء
عن التفوه بمثل اقصر سورة من سوره بل آية من آياته وبجوامع الكلم وبدائع الحكم
وعظيم الخلق في سائر اقواله وافعاله وحالاته وخرق له خوارق الوجود بمعجزات له بهرت
العقول وقصر عن احصائها استقصاء المادحين لسيره وآياته وبخصوصيات قطعت
الخلائق عن ان يساووا الشأو علاه وكمال شرفه وشرف كمالاته وباسمه سطع على ابدر
وجوده في أفق سعوده وفاض عليها فائض جوده في عالم شهوده فأنار من اخلاقها
وعقولها وكل من اقبالها وقبولها وزين من بديع فصاحتها وعجيب بلاغتها وراض
ما استصعب من ابائها واعاض ما اشرأب من نوائبها ما صارت به خير الامم والعدول
والشهود على من عليهم تقدم بنص القرآن وقطعي البرهان القاسم اظهور داماند
وترهاته واوجب على الكافة غاية تعظيمه ومنه ذكر مناقبه ومآثره وبيان أوصافه
السنية واحواله العلية وخصائصه ومعجزاته ولذلك ذهب الناس في هذه الفنون كل
مذهب واظهروا تعظيمه نظما ونثرا سرا وجهرا كما وجب فحباهم بلطفه واسعافه
وامداداته وأشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له شهادة انتظم بها في سلك أهل عناياته

بسم الله الرحمن الرحيم

قال قرة عيون اعيان العارفين
وغرة جباه وجوه وجود العارفين
ملاذ من الى جنابه التجا ومعاذ
كل ملهوف منقطع الرجا من
اهوارف المعارف حاوى الواصل
الكامل سيدى محمد الحفناوى
متع الله بوجوده الوجود واظلهم
في ظل امداده الممدود بسم الله
الرحمن الرحيم حمدا لمن جعل
احبابه ادلاء على سبيل الهداية
وامدهم بلوامع الانوار وسواطع
الاسرار في البداية والنهاية
وصلاة وسلاما على صاحب الرتب
العلية وعلى آله وأصحابه كنوز
المعارف الالهية (وبعد) فيقول
فقير المفتي عبد مولاه محمد الحفنى
هذه حواش تفوق نفائس الدرر
على شرح الهمزية للعلامة
الشهاب بن حجر جاد بها الكريم
الوهاب ايام قراءتي المتن ومطالعتي
عليه هذا الكتاب ضاعف الله لى
ولمؤلفيهما الاجور انه جواد كريم
غفور (قوله اختص) يستعمل
لازما ومتعديا يقال اختصه بكذا
فاختص والاختصاص كناية عن
التمييز أى ميز نبينا بكذا (قوله
بكتاب) الباء داخلة على المقصور
وهو فصيح ونقل عن السيد أن
دخولها على المقصور عليه هو
القياس الاكثر كاختص السواد بزيد وقد اطال الشهاب الخفاجي في شرح الشفاء عند الكلام على خطبته في هذا وأشهد
المقام فراجعه ان شئت (قوله ما اشرأب) قال في الصحاح اشرأب للشيء اشرئبابا مد عنقه لينظر (قوله وترهاته) الترهات الاباطيل
والطرق الصغار غير الجادة تتشعب عنها الواحدة ترهة وهو فارسي معرب استعير في الباطل (قوله وما آثره) جمع مأثرة

وأشهد ان سيدنا محمدا عبده ورسوله المبعوث منه بخوارق هباته والمفوض اليه لمداد الانبياء والمرسلين والملائكة المقربين بمعالى القرب وبيناته صلى الله عليه وسلم وعلى آله وأصحابه حماة الدين القويم من زيغ كل زائغ وتحريفاته وهداة الخلق الى الصراط المستقيم بايضاح كلياته وجزئياته صلاة وسلاما دائمين متلازمين بدوام نعم الله تعالى على خواصه وأهل طاعاته ﴿وبعد﴾ فما يتعين على كل مكلف ان يعتقد أن كمالات نبينا صلى الله عليه وسلم لا تحصى وان احواله وصفاته وشمائله لا تستقصى وان خصائصه ومعجزاته لم تجتمع قط فى مخلوق وان حقه على الكمل فضلا عن غيرهم اعظم الحقوق وانه لا يقوم ببعض ذلك الا من بذل وسعه فى اجلاله وتوقيره واعظامه واستجلاء مناقبه ومآثره وحكمه واحكامه وان المادحين لجنابه العلى والواصفين لكماله الجلى لم يصلوا الا الى قل من كل لاحد لنهايته وغيض من فيض لا وصول الى غايته ومن ثم كان ابلغ بيت هذا المطلع الآتى كما يعلم مما يأتى فيه وفى بردة المديح

فان فضل رسول الله ليس له * حد فيعرب عنه ناطق بفم

ثم يليه

دع ما ادعته النصارى فى نبيهم * واحكم بما شئت مدحا فيه واحتكم

ثم يليه

فمبلغ العلم فيه انه بشر * وانه خير خلق الله كلهم

فاق النبيين فى خلق وفى خلق * ولم يدانوه فى علم ولا كرم

فهم مقصرون عما هنالك قاصرون عن اداء كل ما يتعين من ذلك كيف وآى الكتاب مفصحة من علاء عما بهر العقول ومصرحة من كل صفاته بما لا يستطاع اليه الوصول وقد قيل

ماذا عسى الشعراء اليوم تمدحه * من بعد ما مدحته سورة تنزيل

فعلم من ذلك انه لو بالغ الاولون والآخرون فى احصاء مناقبه لعجزوا عن استقصاء ما حباه به مولاه الكريم من مواهبه ولكان المريسا حل بحرها مقصرا عن حصر بعض نحرها ولقد صح لمحبيه ان ينشدوا فيه

وعلى تفنن واصفيه بوصفه * يفنى الزمان وفيه ما لم يوصف

وانه لحقيق بقول القائل

فما بلغت كف امرئ متناولا * من المجد الا والذى نال أطول

ولا بلغ المهدون فى القول مدحة * ولو حذقوا الا الذى فيه أفضل

ولابن خطيب الاندلسى

مدحتك آيات الكتاب فما عسى * يثنى على علياك نظم مديحى

واذا كتاب الله اثنى مفصحا * كان القصور قصار كل فصيح

وقد رؤى العارف المحقق السراج بن الفارض السعدى رضى الله عنه فى النوم فقيل له لم لا مدحت النبى صلى الله عليه وسلم أى بالتصريح والا فنظمه فى الحقيقة انما فى الحضرة

= بفتح الثاء وضمها أى مكرمة لانه اثر أى تذكر (قوله وتحريفاته) أى تغييراته اذ التحريف التغيير (قوله وغيض من فيض) أى قليل من كثير قال فى المختار فى فصل الغين المعجمة غاض الماء قل ومنه قوله تعالى وما تغيض الارحام أى ما تنقص وقال فى فصل الفاء وفاض الماء أى كثر (قوله حذقوا) بابه ضرب حذقا وحذاقا بكسر اولهما وحذاقة وحذق بالكسر ايضا لغة فيه أى مهروا كذا فى المختار (قوله قصار) أى غاية (قوله أى بالتصريح الخ) هذا الايلائم جوابه بقوله ارى كل مدح الخ اذ المدح بالتلويح كالمدح بالتصريح مقصر فتأمل

الالهية أو فيه صلى الله عليه وسلم فقال رضى الله عنه

ارى كل مدح فى النبى مقصرا * وان بالغ المثنى عليه فا كثرا

اذا الله اثنى بالذى هو أهله * عليه فما مقدار ماتمدح الورى

وقال البدر الزركشى ولهذا لم يتعاط فحول الشعراء المتقدمين كابى تمام والبحترى وابن الرومى مدحه صلى الله عليه وسلم وكان مدحه عندهم من اصعب مايحاولونه فان المعانى وان جلت دون مرتبته والاوصاف وان كملت دون وصفه وكل غلو فى حقه تقصير فيضيق على البليغ النطاق فلا يبلغ الاقلامن كثر هذا وان من ابلغ مامدح به النبى صلى الله عليه وسلم من النظم الرائق البديع واحسن ما كشف عن كثير من شمائله من الوزن الفائق المنيع واجمع ماحوته قصيدة من مآثره وخصائصه ومعجزاته وأفصح ماأشارت اليه منظومة من بدائع كمالاته ماصاغه صوغ التبر الاحمر ونظمه نظم الدر والجوهر الشيخ الامام العارف العامل الهمام المتقن المحقق البليغ الاديب المدقق امام الشعراء واشعر العلماء وبليغ الفصحاء وأفصح البلغاء الحكماء الشيخ شرف الدين ابو عبد الله محمد بن سعيد بن حماد بن محسن بن عبد الله بن صنهاج بن هلال الصنهاجى كان أحد ابويه من بوصير الصعيد والآخر من دلاص بكسر الدال فركبت النسبة منهما فقيل الدلاصيرى ثم اشتهر بالبوصيرى قيل ولعلها بلد ابيه فغلبت عليه ولد سنة ثمان وستمائة وأخذ عنه الامام أبو حيان والامام اليعمرى أبو الفتح بن سيد الناس ومحقق عصره العز بن جماعة وغيرهم وتوفى سنة ست أو سبع وتسعين وستمائة على ماقاله المقريزى لكن صوب شيخ الاسلام العسقلانى انه توفى سنة أربع وتسعين وكان من عجائب الله تعالى فى النثر والنظم ولو لم يكن له الا قصيدته المشهورة بالبردة التى تسبب نظمها عن وقوع فالج به اعيا الاطباء فتفكر فى اعمال قصيدة يتشفع بها اليه صلى الله عليه وسلم ثم به الى ربه فانشأها فرآه ماسحا بيده الكريمة عليه فعوفى لوقته ثم لما خرج من بيته لقيه صالح فطلب منه سماعها فعجب اذ لم يخبر بها أحدا فقال سمعتها البارحة تنشد بين يديه صلى الله عليه وسلم وهو يتمايل كتمايل القضيب فاعطته اياها وقيل انه اشتد رمده بعد نظمها فرأى النبى صلى الله عليه وسلم فى النوم فقرأ عليه شيأ منها فتفل فى عينيه فبرئ لوقته لكفاه ذلك شرفا وتقدما كيف وقد ازدادت شهرتها الى أن صار الناس يتدارسونها فى البيوت والمساجد كالقرآن وكان يعانى صناعة الكتابة على الجامات

(قوله وكل غلو) أى مجاوزة حد (قوله النطاق) قال فى الصحاح النطاق شقة تلبسها المرأة وتشد وسطها ثم ترسل الاعلى على الاسفل الى الركبة والاسفل يجر على الارض وليس لها حجزة ولا نيفق ولا ساقان والجمع نطق (قوله الهمام) هو الذى اذا هم بالشئ أمضاه (قوله دلاص) بفتح الدال المهملة وآخره صاد مهملة أيضا كورة بصعيد مصر من الجانب الغربى وبوصير بضم الموحدة وسكون الواو وكسر الصاد المهملة وسكون التحتية وبالراء بلدة بصعيد مصر كذا قيدها فى اللباب كاصله والمراصد وقد اشتهر على ألسنة العامة أبوصير بلفظ الكنية اسم للبلد ويقولون الابوصيرى ولاوجه لذلك كذا نقل من خط العجمى (قوله اليعمرى) بفتح الياء مع فتح الميم وضمها نسبة الى يعمر بن شداخ بفتح المعجمة وتشديد المهملة وآخره معجمة من بنى ليث (قوله فاعطته اياها) الذى رأيته فى كلام غيره فانشدته اياها وهو المناسب لقوله فطلب منه سماعها وقد يقال طلب منه سماعها فاتفق انها كانت معه فاعطاها له (قوله اشتد رمده) الذى رأيته فى كلام غيره ان الذى اشتد رمده غير الناظم حيث نقل عن الناظم انه قال ثم بعد أن انشدتها الصالح ودعنى وانصرف ثم بعد أيام استدعانى الصاحب بهاء الدين وزير الملك الظاهر وقال انشدنى القصيدة التى مدحت بها النبى صلى الله عليه وسلم واقسم ان لا يسمعها الا قائما على قدميه مكشوف الرأس فانشدته اياها فسر بها وكتبتها له بيدى فلم تزل عنده معتبر كابها يقرؤها فى المهمات حتى مات فاستقرت عند ولده فخر الدين ثم حصل رمد لسعد الدين الفارقى تابع فخر الدين أشرف منه على العمى فرأى فى منامه من يقول له اما النبى أو غيره امض الى فخر الدين ابن الصاحب واطلب منه البردة وضعها على عينيك تبرأ فلما انتبه حضر بين يدى فخر الدين وأخبره فاخرج له القصيدة فوضعها على عينيه فعافاه الله ببركتها انتهى فالذى اصابه الرمد سعد الدين ويمكن تعدد الواقعة =

وباشر بلبيس الشرقية ثم ترك ذلك وصحب القطب أبا العباس المرسى رضى الله عنه وأرضاه وجعل جنات المعارف متقلبه ومثواه فعادت عليه بركته وساعده لحظه وهمته الى أن فاق أهل زمانه ورزقه الله من الشهرة والحظ مالم يصل اليه أحد من اقرانه فرحمه الله ورضى عنه من قصيدته الهمزية المشهورة المعذبة الالفاظ الجزلة المبانى العجيبة الاوضاع البديعة المعانى المدعة النظير البديعة التحرير اذلم ينسج احد على منوالها ولا وصل الى حسنها وكمالها حتى الامام البرهان القيراطى المولود سنة ست وعشرين وسبعمائة والمتوفى سنة احدى وثمانين وسبعمائة فانه مع جلالته وتضلعه من العلوم النقلية والعقلية وتقدمه على أهل عصره فى العلوم العربية والادبية لا سيما علم البلاغة ونقد الشعر واتقان صنعته وتمييز حلوه من مره ونهايته من بدايته أراد ان يحاكيها ففاته الشنب وانقطعت به الحيل عن ان يبلغ من معارضتها ادنى أرب وذلك لطلاوة نظمها وحلاوة رسمها وبلاغة نسجها وبراعة صنعها واستلذاذ الخافقين بانوار جمالها وادحاض دعاوى اهل الكمالات ببراهين جلالها فهى دون نظائرها الآخذة بازمة العقول والجامعة بين المعقول والمنقول والحاوية لاكثر المعجزات والحاكية للشمائل الكريمة على سنن تقطع اعناق افكار الشعراء عن ان تشرئب الى محاكاة تلك المحكيات والسالمة من عيوب الشعر من حيث فن العروض كادخال عروض على أخرى وضرب على آخر ومن حيث فن القوافى كالايطاء وهو تكرير لفظ القافية بمعناه قبل سبعة أبيات وقيل عشرة وكالاكفاء وهو اختلاف حرف الروى والاقواء وهو اختلاف حركته ولكنها وان شرحت وتعاورتها الافكار وخدمت تحتاج الى شرح جامع ودستور مانع يجلو عرائس ابكارها على منصات الالباب مع الاختصار ويظهر مخبآت اسرارها ظهور الشمس فى رابعة النهار ويفتح مقفلات معمياتها اعماقد يحجب القصور والعثار وينبه على نفائس فرائدها وينوه بجلالة عرائس فوائدها ويعرب عن غرائب تعقيدها ويفصح عن فنون بلاغتها وبدائع تأنيقها وتشييدها فاستخرت الله تعالى فى شرح كفلك وان كنت لست هنالك راجيا ان اندرج به فى سلك خدمة جنابه صلى الله عليه وسلم وان اطوق بسبيه سوابغ مدده ولحظه الاعظم ومستعينا بالله ومتوكلا عليه ومفوضا سائر امورى اليه وسائلا

= بان حصل وصلة لناظمها فشتى عما ذكره الشارح وحصل لسعد الدين فشتى بوضعها فلا منافاة ولا معارضة (قوله المرسى) نسبة لمرسية بضم الميم مدينة بالغرب واما مرسة بفتح الميم فقرية بقرب المدينة المنورة كما فى ع ش (قوله من قصيدته) بيان لما من قولهما صاغه صوغ التبر (قوله الجزلة) اللفظ الجزل خلاف الركيك كما فى الصحاح وقال السنوسى فى شرح كبراه الجزالة عبارة عن دلالة اللفظ على معناه بشرط قلة الحروف وتناسب مخارجها (قوله اذلم ٥ ينسج أحد الخ) بضم السين وكسرها مضارع نسج اذا ضم اللحمة الى السدى على وجه يستحكم به تداخلهما وتشبيه التصنيف بالثوب الرفيع فى بديع صنعته وتفرده بحسن اسلوبه استعارة بالكناية واثبات المنوال له استعارة تخييلية والنسج ترشيح ويحتمل أن يكون المعنى ولم يصنف مصنف على طريقته التى انشأ عليها فتكون استعارة فى هذه الاجزاء تحقيقية لكنها تبعية فى الاول والثانى اصلية فى الثالث قال فى الصحاح المنوال الخشب الذى يلف عليه الحائك الثوب وهو النول أيضا وجمعه انوال ويقال للقوم اذا استوت اخلاقهم هم على منوال واحد أى نسق واحد (قوله ففاته الشنب) فى المختار الشنب حدة فى الاسنان وقيل برد وعذوبة وامرأة شنباء بينة الشنب انتهى والمراد هنا فاته الامر المحبوب المستلذ المقبول التى تميل اليه نفوس البلغاء (قوله لطلاوة نظمها) الطلاوة مثلثة الحسن والبهجة والقبول قاموس (قوله ودستور) قال فى شرح المطالع الدستور بضم الدال فارسى معرب معناه فى الاصل الدفتر الذى جمع فيه قوانين الملك وضوابطه وفى مفتاح العلوم الدستور نسخة الجماعة المنقولة من السواد ثم سمى به الوزير الكبير الذى يرجع الى ما يرسمه فى احوال الناس لكونه صاحب هذا الدفتر ومتصرفا فيه انتهى (قوله تأنيقها) أى تحسينها قال فى المصباح أنق الشئ من باب تعب ثم قال وتأنق فى عمله احكمه وقال فى شيد الشيد بالكسر الجص وشدت البيت اشيده من باب باع بنيته بالشيد فهو مشيد وشيدته تشييدا طولته ورفعته انتهى ع ش

منه بدائع الطافه وتتابع اتحافه وتيسير هذا المطلب ونجاح هذا المأرب انه الجواد الكريم الرؤف الرحيم • (وسميته) • المنح المكية فى شرح الهمزية ثم بلغنى ان الناظم سماها أم القرى تشبيها لها بمكة بجامع انها احتوت بطريق التصريح والايماء على مافى أكثر المدائح النبوية وحينئذ سميته أفضل القرى لقراء أم القرى وقد بين شارحها الامام المحقق فى العلوم الآلية والشرعية الشمس الجوجرى شيخ مشايخ شارحه الله تعالى ولا أعلم شارحا لها غيره رحمه الله تعالى وشكر سعيه بحرها وعروضها وضربها وقافيتها ومايدخلها من العلل والزحاف بما أطال فيه لكنه ليس له كبير جدوى هنا لان من يعرف فن العروض وتوابعه لايحتاج اليه الا لمجرد التذكير ومن لايعرفه يستوى عنده ذكر ذلك وحذفه اليسير منه والكثير وخلاصة شئ منه انها من بحر الخفيف وهو مركب من ستة اجزاء سباعية الحروف فاعلاتن مستفع لن فاعلاتن مرتين وقد يدخله الخبن فى مستفع لن فيصير متفع لن فينقل الى مفاع لن لانه اخف بل وفى جميع اجزائه فيحذف ثانى كل وهو حسن والكف وهو حذف سابعه من البعض أو الكل غير السابع اذ لايوقف على متحرك وهو صالح وقد يجتمعان وهو قبيح ويدخله التشعيث بان تنقطع صورة الوتد فيصير مفعولن على صورة ثلاثة اسباب خفيفة ووقع فى كثير من ابيات هذه القصيدة وهو من جملة الزحاف وان أجرى مجرى العلل وقافيتها من المتواتر وهو مافصل بين ساكنيها حرف واحد متحرك اذ ليس ههنا بين الالف والواو الساكنين سوى الهمزة التى هى الروى والقافية قيل هى آخر كلمة من البيت والاصح انها من آخر حرف متحرك منه قبل ساكنين فقافية البيت الآتى على الاول لفظ سماء وعلى الاصح من الميم منه وسترى كثرة ماراعاه الناظم من أنواع البديع لاسيما الاقتباس القرآنى لكن فيه كلام منتشر للعلماء وخلاصة المحقق منه انه مجمع على جوازه كما قاله بعض المتأخرين المطلعين قال وقد استعمله العلماء قاطبة فى خطبهم وانشائهم واستنكره قوم جهلاء منهم بالمنصوص والمنقول فقد استعمله النبى صلى الله عليه وسلم فى غير ماحديث له والصحابة والتابعون والعلماء قديما وحديثا ونصوا فى كتب الفقه على جوازه وزعم بعض المالكية منعه يرده استعمال مالك رضى الله تعالى عنه له ونص على جوازه غير واحد منهم كابن عبد البر والقاضى عياض وقد نقل الشيخ داود الباخلى اتفاق المالكية والشافعية على جوازه وفى شرح مجمع البحرين لابن الساعاتى التصريح بجوازه ولافرق فيه بين ان يراد على لفظ القرآن أو ينقص منه أو يغير اعرابه وأن لا قال السكاكى اعلم ان شأن الاعجاز عجيب لايدرك ولايمكن وصفه كاستقامة الوزن وكالملاحة ولاطريق لتحصيله لغير ذوى الفطن السليمة الا بالتمرن فى علمى المعانى والبيان وقال غيره لاتدرك معرفة الفصيح والافصح

(قوله أفضل القرى) بكسر القاف قال فى المصباح قريت الضيف اقريه من باب رمى قرى بالكسر والقصر والاسم القراء بالفتح والمد (قوله لقراء) بكسر اللام وضم القاف وتشديد الراء جمع قارئ (قوله شارحها) قد شرحها شرحين صغيرا وكبيرا

(قوله ولا أعلم لها شارحا الخ) لعل هذا باعتبار حالة الشروع والا فقد نقل الشارح رحمه الله تعالى فى مواضع تتعلق بالنظم عن شارحها أحمد بن يوسف الشهير بابن قطيع المالكى بصيغة قال بعضهم وينقل كلامه بلفظه وقد شرحها أيضا شيخ الشارح الفاضل المتقن الشمس الدلجى شرحا لطيفا مشتملا على كثير من اسرار البلاغة ودقائق المعانى والبديع مع رقة المبانى وحسن الترصيع وشرحها أيضا الشيخ أبو الفضل المالكى وشرحها أيضا العلامة الشيخ أحمد بن عبد الحق السنباطى شرحا لطيفا لكن شرح السنباطى متأخر عن شرح حج (قوله لان من يعرف الخ) لايخفى مافى ذلك من المنع على ان الشارح معارض بما ذكره فى هذا الشرح من انواع العلوم التى لايوقف على بعضها الا المشايخ كانواع الاستعارة واسرار المعانى الدقيقة واما علما العروض والقافية فامرهما يسير على المحصل كما لايخفى انتهى طبلاوى (قوله غير السابع) صوابه غير السادس (قوله وهو من جملة الزحاف) صوابه من العلة الجارية مجرى الزحاف فى عدم اللزوم (قوله لاسيما الاقتباس القرآنى) لم يذكر الاقتباس الحديثى وان كان هو الغالب فيها للعلم بان مبناها على ذكر شمائله الفاخرة وصفاته الباهرة ومعجزاته المتظاهرة وأكثر ذلك بينته الاحاديث كما بين الكتاب أيضا بعضها

والرشيق

والرشيق والارشق الابالذوق ولايمكن اقامة الدليل عليه كما ان التى أدوت فى المحاسن قد
يكون أحلى منها فى العيون والقلوب ولايدرك سبب ذلك ولكنه يدرك بالذوق والمشاهدة
واهل الذوق ليسوا الا الذين اشتغلوا بعلم البيان وراضوا انفسهم بالرسائل وبالخطب
وبالكتابة والشعر وصارت لهم بذلك دربة وملكة تامة فاليه يرجع فى فضل بعض الكلام
على بعض ولكون علم المعانى والبيان والبديع بهذه المثابة كان يسمى قديما صنعة الشعر
ونقد الشعر ونقد الكلام وتسميته بالمعانى والبيان والبديع حادثة من المتأخرين كما
أشار الى ذلك الكمال ابن الانبارى والعسكرى وغيرهما وقد حصلت لى رواية هذه
القصيدة وغيرها من شعر الناظم من طرق متعددة متصلة ابل اعلاها الى أرويها عن شيخنا
شيخ الاسلام خاتمة المحققين المتأخرين أبى يحيى زكريا الانصارى الشافعى عن العز أبى محمد
ابن الفرات عن العز أبى عمر بن البدر بن جماعة عن ناظمها وعن حافظ العصر ابن حجر عن
الامام المجتهد السراج البلقينى والسراج بن الملقن والحافظ زين الدين العراقى عن
العز بن جماعة عن الناظم رحمهم الله وأرويها أيضا عن مشايخنا عن الحافظ السيوطى
عن جماعة منهم الشمنى بعضهم قراءة وبعضهم اجازة عن عبد الله بن على الحنبلى كذلك عن
العز بن جماعة عن الناظم وقد راعى الناظم رحمه الله أمرين مهمين أحدهما البداءة
بالبسملة لحديث الحسن والصحيح كل امر ذى بال أى حال يهتم به لا يبدأ فيه ببسم الله
الرحمن الرحيم فهو اجذم أى مقطوع البركة ولا تنافيه رواية الحمد لله لان القصد
البداءة بأى ذكر كان كما افادته رواية لا يبدأ فيه بذكر الله فذكر البسملة والحمدلة لبيان
افضل الذكر لا غير ومن ثم ابتدئ القرآن بهما ولم ينظر الناظم الى ما قيل ان الشعر لا يبدأ
فيه بالبسملة لان محله على ما فيه فيما ليس كهذه القصيدة لانها اشتملت على افضل العلوم
والمعلومات فهى احق بالبداءة بالبسملة من كثير من العلوم ثانيهما ما هو الاحق بالرعاية على
كل بليغ من براعة المطلع وهو سهولة اللفظ وصحة السبك ووضوح المعنى ورقة التشبيب
وتجنب الحشو وتناسب المعانى وعدم تعلق البيت بما بعده ويسمى أيضا حسن الابتداء
وقد انتزعوا من هذا براعة الاستهلال فى النظم والنثر بان يكون مبدأ الافتتاح دالا على
ما بنى ذلك النظم او النثر عليه من الغرض المسوق اليه كقول أبى تمام الطائى

السيف اصدق انباء من الكتب * فى حده الحد بين الجد واللعب

لما كان غرضه ذكر الفتح والتحريض على الحرب وما افتتح به الناظم هذه القصيدة تجمع

(قوله الا بالذوق) هو قوة وجدانية يدرك بها دقائق الكلام ووجوه محاسنه الخفية فان كان سليقيا فذاك والا احتيج فى تحصيله
الى خدمة هذين العلمين واذا تأيد السليقى بقواعدهما كتسابية فهو الغاية القصوى فى ادراك اعجاز القرآن (قوله ولا يمكن الخ)
وهو بمنزلة جاريتين احداهما بيضاء مشربة بحمرة رقيقة الشفتين ٧ نقية الثغر كحلاء العينين أسيلة الخد دقيقة الانف
معتدلة القامة والاخرى دونها
فى هذه الصفات والمحاسن لكنها
أحلى فى العيون والقلوب منها
ولا يدرى سبب ذلك ولكنه يعرف
بالذوق والمشاهدة ولا يمكن تعليله
وهكذا الكلام انتهى من
الاتقان (قوله البداءة) صريحه
ان الناظم اتى بالبسملة أول نظمه
والظاهر انه اثبتها خطا فكان
المناسب لهذا المحقق ان يكتبها
بالاحمر قبل قوله كيف ترقى فان
حمل كلام الشارح على البداءة
اللفظية دون الخطية بان ثبت
عنده التلفظ بها دون رقمها كان
عدم كتابتها بالاحمر كما صنع هو
المناسب انتهى (قوله فيما ليس
كهذه القصيدة) كالقصائد المشتملة
على هجو محرم أو تشبيب بمعين
من امرد او امرأة اجنبية (قوله
براعة المطلع) أى المطلع البارع
الفائق على غيره قال فى المختار برع
الرجل فاق على أصحابه فى العلم
وغيره فهو بارع وبابه خضع وظرف
انتهى (قوله ورقة التشبيب)
هو ذكر أيام الشباب واللهو
والغزل وذلك يكون فى ابتداء
قصائد الشعر فسمى ابتداء كل
أمر تشبيبا وان لم يكن فى ذكر الشباب انتهى مطول ونقل عن ع ش ان التشبيب التحسين قال فى المصباح شبب قصيدته حسنها
وزينها بذكر الشباب (قوله وقد انتزعوا الخ) يفيد ان براعة الاستهلال أخص من براعة المطلع حيث ذكر فى بيان حقيقتها زيادة
عن بيان حقيقة براعة المطلع كونه بدا الافتتاح دالا على ما بنى النظم والنثر عليه فتأمل (قوله كقول أبى تمام) يهنئ المعتصم
بالله الملقب بسيف الدولة فى فتح عمورية وكان اهل التنجيم قد زعموا انها لا تفتح فى ذلك الوقت انتهى مطول

فيه تلك الشروط وزيادة كما لا يخفى على متأمل لغرضه وهو ذكر أوصافه صلى الله عليه وسلم التي ارتقى فيها الى غاية لم يبلغها غيره ولذلك كان جميع ما بعده من المدح الى آخر القصيدة كالشرح والبيان لما تضمنه هذا المطلع فلله دره من مطلع جامع بديع لم يسبق ناظمه لمثله • (كيف) هي في الاصل اسم مبني لتضمنه معنى حرف الشرط او الاستفهام على الفتح لخفته وعلى حركة لالتقاء الساكنين وترد للشرط وخرج عليه نحو ينفق كيف يشاء وجوابه محذوف لدلالة ما قبله عليه والاستفهام وهو الغالب اما حقيقيا نحو كيف زيد او غيره كما هنا اذ هي للانكار المشوب بالتعجب المتضمن للنفي كما يعلم مما يأتي وكما في الآيتين الآتيتين وتقع خبرا قبل ما لا يستغني نحو كيف أنت وحالا قبل ما يستغني نحو كيف جاء زيد أي على اي حالة جاء ومنه ما هنا اي انظم اذ هي حال من ترقى أي على اي حالة ترقى رقيك الانبياء عليهم الصلاة والسلام اي لا يكون ذلك ولا كان وعن سيبويه انها ظرف في موضعها نصب دائما وتقديرها في اي او على أي حال وجوابها المطابق على خير ونحوه وانكر ذلك الاخفش والسيرافي في موضعها عند الاخفش والسيرافي رفع مع المبتدأ ونصب مع غيره وتقديرها في نحو كيف زيد أصحيح زيد ونحو وكيف جاء زيد أراكبا جاء زيد ونحوه وجوابها صحيح ونحوه وقال ابن مالك لم يقل احد ان كيف ظرف اذ ليست زمانا ولا مكانا ولكنها لما كانت تفسر بقولك على أي حال لكونها سؤالا عن الاحوال العامة سميت ظرفا لانها في تأويل الجار والمجرور واسم الظرف يطلق عليهما مجازا قال ابن هشام وهذا أحسن انتهى وعلم من قوله لكونها الخ انه يستفهم بها عن حال الشيء لا عن ذاته قال الراغب

(قوله فقدره) قال في المختار يقال من المدح قدره أي عظمه وقدره من رجل ويقال من الذم لا دره دره اي لا كثر خيره واستعمال الدر في الخير ونفيه في الشر مجاز والا فحقيقته الدر اللبن وانما استعمل ما ذكر في المدح تعظيما ومعنى فقدره ان اللبن الذي ثبت له بسببه وتربيته لا يثبت لغيره تعالى لخروج كمال الممدوح به عن العادة فلم يتصف لغيره سبحانه (قوله كيف ترقى رقيك الانبياء) اعلم ان هذا الشطر كقوله لم يساووك الخ انما يفيدان نفي المساواة والاولى تنفي شهادتهم عليه المصرح به في قوله يا سماء ما الخ واما نفي مقاربتهم له فلم يستفد من كلامه هنا وقد صرح به في قصيدته المسماة بالبردة حيث قال فاق النبيين في خلق وفي خلق • ولم يدانوه في علم ولا كرم لكنه قاصر على نفي المقاربة في صفتي العلم والكرم مع انهم صلوات الله وسلامه عليهم وان بلغوا في علو الشان ما بلغوا لا يقاربونه في جميع صفات الكمال (قوله في الاصل) الاولى حذفه لان الحكم المذكور ثابت لها في الاصل والحال وقد ٨ يجاب بان مراده ان الاسمية والبناء على الفتح اصليان لا طارئان فيها تأمل (قوله اسم) لدخول الجار عليها في قولهم على كيف تبيع الاحمرين أي اللحم والخمر فاذا قلت الاحامرة دخل فيه الخلوف وهو اللبن او الطعام المتغير طعمه كما في القاموس ولابدال الاسم الصريح منه نحو كيف زيد أصحيح أم سقيم (قوله وترد للشرط) قال في المغني فتقتضي فعلين متفق اللفظ والمعنى غير مجزومين نحو كيف تصنع اصنع ولا يجوز كيف تجلس اذهب باتفاق انتهى وبهذا تعلم رد قول الشارح وخرج الخ لعدم مماثلة جوابها لشرطها في اللفظ والمعنى ولعل هذا هو وجه عزوه لغيره بالبناء للمفعول كالتبري منه لكن اذا لم تكن شرطية جريا على كلام المغني فلذا تكون لانها لا تخرج عن الاستفهام والشرط وغيرشاف عدم صحة استفهاميتها ولعل الظاهر وانما ان كلام المغني يجري على الغالب في استعمالها فتكون ما في الآية من النادر فغير لكن يعكر عليه قوله باتفاق الا ان يقال اتفاق الاكثر (قوله من ترقى) أي من فاعل ترقى (قوله يستفهم بها الخ) ومن ثم قال شارحها الدلجي السؤال ليس للاستفهام عن حال الرقي بل لانكار ذاته بانكار حاله بطريق الكناية لان حال الشيء تابع لذاته ولازم لها فهو من حيث كونه تابعا لها بمنزلة الخاصة المساوية لها توجد بوجودها وتنتفي بانتفائها فيكون امتناع ثبوتها مستتبعا لامتناع ثبوته ضرورة انتفاء التابع والعارض بانتفاء متبوعه ومعروضه واذا كان امتناع ثبوته تابعا لامتناع ثبوتها كان انكاره انكارا لها بطريق الكناية من حيث التبعية فكما يكنى باثبات التابع عن اثبات متبوعه يكنى بانكاره عن انكاره أي لا ترقى رقيك الانبياء

(قوله عما يصح الخ) أي وذلك صفات غير الله وأما صفات الله فلا يقال فيها شبيه لان صفاته سبحانه كذاته وافعاله لا شبيه لها وحينئذ فلا يستفهم عنها بكيف تأمل ان كان هذا هو المراد فانظر ما المانع من ان يقال كيف صفات الله من جهة تعلقها وعدمه أي على أي حالة هي من هذه الجهة وجوابها حينئذ منها ما يتعلق ومنها ما لا يتعلق فحرر (قوله شبيه وغير شبيه) انظر المراد منه ثم رأيت عن مفردات الراغب بعد قوله شبيه وغير شبيه كالابيض والاسود والصحيح ٩ والسقيم (قوله كما في كيف تكفرون بالله) كيف في هذه الآية منصوبة على التشبيه بالظرف عند سيبويه أي في أي حال تكفرون وعلى الحال عند الاخفش أي على أي حال تكفرون والعامل فيها على القولين تكفرون وصاحب الحال الضمير في تكفرون وجاء تكفرون مضارعا لا ماضيا لان المنكر الدوام على الكفر والمضارع هو المشعر بذلك ولئلا يكون ذلك توبيخا لمن آمن بعد كفره انتهى من اعراب السمين (قوله وتوقيت) لم يظهر لي فأين التوقيت في المثال الذي ذكره (قوله بمكة) فيه ان الاسرا من مكة والرقي من المسجد الاقصى ففي العبارة تساهل (قوله صريف الاقلام) أي صوتها حال كتابتها (قوله من رقي بالفتح) كرعى يرعى وعكس ذلك علي وعلا فعلي بالكسر يعلى بالفتح في المكارم علاء بفتح العين والمد واما علا يعلو علوا ففي المحسوس كالجبل بمعنى صعد وعلا في الارض علوا تجبر وتكبر ولا يخفاك اختلافهما مضارعا ومصدرا بخلاف رقي ورقى فان مضارعهما ومصدرهما واحد ثم رأيت في المختارات علي يعلى في المعاني ماضيا ومضارعا لا مصدرا كما سيأتي في شرح قوله في علاك (قوله ٢ ٤ يا نبيء الله بالهمز) وفي المواهب والصغاني انما انكره لان الاعرابي اراد يا من خرج من مكة الى المدينة يقال نبأت من ارض الى ارض اذا خرجت منها الى اخرى (قوله ولم يؤمر) ليس شرطا في النبي فكان الظاهر ان يقول كغيره وان لم انتهى وقد يدفع باحتمال انه انما اراد تعريف النبي المنفرد عن الرسول ويرشحه قوله فان الخ تأمل لكن هذا لا يلائم الحكم بعموم النبي من جهة

وانما يسئل بها عما يصح ان يقال فيه شبيه وغير شبيه ولهذا لا يصح ان يقال في الله كيف قال وكل ما أخبر الله به بلفظ كيف عن نفسه فهو استخبار على طريق التنبيه للمخاطب أو التوبيخ والانكار كما في كيف تكفرون بالله كيف يهدي الله قوما كفروا وفرق الزمخشري بين كيف والهمزة بان كيف سؤال تفويض لاطلاقه فكان الله في الآية الاولى فوض الامر اليهم في ان يجيبوا باي شيء أجابوا ولا كذلك الهمزة فانه سؤال حصر وتوقيت فانك تقول أجدك را كبا أم ماشيا فتوقت وتحصر ومعنى الاطلاق ما قاله صاحب المفتاح كيف سؤال عن الحال وهو ينتظم فيه الاحوال كلها والكفار حين صدور الكفر منهم لابد أن يكونوا على احدى الحالتين اما عالمين بالله تعالى او جاهلين به فاذا قيل كيف تكفرون بالله افاد أفي حال العلم تكفرون بالله أم في حال الجهل هذا معنى التفويض في الآية (ترقى رقيك) الحسي فاضيه مكسور القاف من رقي السلم وهو رقيه صلى الله عليه وسلم ببدنه يقظة بمكة ليلة الاسرا قبل الهجرة الى السماء ثم الى سدرة المنتهى ثم الى المستوى الذي سمع فيه صريف الاقلام في تصاريف الاقدار ثم الى العرش والرفرف والرؤية وسماع الخطاب بالمكالمة والكشف الحقيقي وغير ذلك مما لم يصل اليه ملك مقرب ولا نبي مرسل والمعنوي من رقي بالفتح وهو التنقل من كل صفة كاملة وخلق عظيم الى صفة اخرى وخلق آخر اكمل واعظم وهكذا الى ما لا غاية له ففي كلامه استعمال المشترك في معنييه او الجمع بين الحقيقة والمجاز وهو الاصح عند نا في الاصول وعلى مقابله المنقول عن الاكثرين يكون هذا من عموم المجاز (الانبياء) جمع نبي فعيل بمعنى فاعل او مفعول من النبإ يهمز وقد لا يهمز تخفيفا وهو الخبر لانه مخبر او مخبر عن الله تعالى او من النبوة فلا يهمز لانه مرتفع أو مرفوع الرتبة على غيره من الخلق ونهيه صلى الله عليه وسلم عن المهموز بقوله لا تقولوا يا نبيء الله بالهمز بل قولوا يا نبي الله بلا همز لانه قد يرد بمعنى الطريد فخشي صلى الله عليه وسلم في الابتدا سبق هذا المعنى الى بعض الاذهان فنهاهم عنه فلما قوي الاسلام وتواترت به القراءة نسخ النهي عند زوال سببه وهو حر ذكر من بني آدم سالم من منفر كعمى وما وقع ليعقوب وشعيب صلى الله على نبينا وعليهما وسلم لم يكن عمى حقيقيا وكذا بلاء ايوب صلى الله عليه وسلم لم يستقر بل صار بدنه بعد الشفاء اجمل منه قبله أوحي اليه بشرع ولم يؤمر بتبليغه فان امر فرسول أيضا وان لم يكن له كتاب ولا نسخ لشرع من قبله على

الاشهر فالرسول اخص مطلقا من النبي ولا يطلق على غير الآدمي كالملك والجني الا مقيدا ومنه جاعل الملائكة رسلا الله يصطفي من الملائكة رسلا ومن الناس على ان معنى الارسال فيهما غيره في الاول اذ هو فيه ايحاء ما يتعبد به هو واممه وفيهما مجرد الارسال للغير على وصله اليه فان قلت نفي رق الانبياء رقيه لا يستلزم نفي رق الرسل رقيه لتصر مجموعهم بان الاعم لا دلالة له على الاخص والمراد انما هو نفي رق كل منهما رقيه ولم تف به عبارته قلت ممنوع بل هي وافية بل مصرحة به لان قوله ما طاول ليتها صريح في نفي رق الكل رقيه كما يعلم مما يأتي في شرحه لان النكرة في حيز النفي للعموم وفي انه اراد بالانبياء هنا ما يشمل الرسل وايضا فنفي الحقيقة مطلقة كالنبوة التي تضمنها لفظ الانبياء هنا يستلزم نفيها مع قيدها ولا عكس كما صرحوا به فتعين ما ذكره الناظم ولا يصح ذكر الرسل فتأمله على ان المحقق الكمال بن الهمام نقل في مسايرته ان المحققين على ترادف النبي والرسول فلعل الناظم ممن يرى ذلك وان كنت رددته في شرح المنهاج لمخالفته للاحاديث الصريحة الصحيحة في عدد الانبياء والرسل وسيأتي بعضها ٭(تنبيهات)٭ منها ما صرح به كلامه الامر فيه معنى كيف انها استفهام متضمن لنفي رقيهم كرقيه والتعجب عن يتشكك في ذلك وهو اولى ممن قال والتعجب من وقوعه لو وقع من اختصاص نبينا صلى الله عليه وسلم بنيل الرقي بمعنييه السابقين وانه المتفرد بغاية كمال الشرف والرفعة اجماع اما الاول فواضح واما الثاني فكذلك عند من تأمل آي القرآن وما اشتملت عليه اما تصريحا او تلويحا من الاشارة الى انافة قدره العلي عنده وانه لا احد يساوي مجده وقال المفسرون في قوله تعالى ورفع بعضهم درجات يعني محمدا صلى الله عليه وسلم قال الزمخشري في هذا الابهام من تفخيم فضله واعلاء قدره ما لا يخفى لما فيه من الشهادة على انه العلم الذي لا يشتبه والمتميز الذي لا يلتبس ومن تلك الدرجات ان آياته ومعجزاته اكثر وابهر اذ ما من معجزة لنبي قبله الا وله مثلها او ابهر منها كما بينه الائمة وسيأتي بعضه وزاد عليهم بمعجزات لم يقع نظيرها لاحد منهم وناهيك بكتابه القرآن فانه لا تتناهى معجزاته ولا تنقضي آياته وان امته ازكى واكثر واخير واطهر من بقية الامم بنص كنتم خير امة اخرجت للناس وخيرية الامة تستلزم خيرية نبيها وافضليته دينها اذ لا شك ان خيريتهم بحسب كمال دينهم المستلزم لكمال نبيهم وان صفاته اعلى واجل وذاته افضل واكمل كما يصرح به قوله تعالى فبهداهم اقتده لانه تعالى وصف الانبياء عليهم الصلاة والسلام بالاوصاف الحميدة ثم امره ان يقتدي بجميعهم وذلك يستلزم ان يأتي بجميع ما فيهم من الخصال الحميدة فاجتمع فيه ما تفرق فيهم وفي حديث الشفاعة العظمى وانتهائها اليه بعد تنصل كل منها واعترافه بانه ليس اهلا لها التصريح بذلك ايضا وكذلك الحديث الصحيح انا سيد ولد آدم وفي رواية انا اكرمهم على ربي وفي حديث الترمذي انا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر وبيدي لواء الحمد ولا فخر وما من نبي آدم

= التبليغ وعدمه وخصوص الرسول بالتقييد بالتبليغ فتدبر (قوله لم تف به عبارته) فيه ان العام يستغرق افراده من غير حصر والانبياء هنا كذلك وفي كلام الشارح اشارة لذلك (قوله صريح) انما هو صريح في عدم زيادة كل عليه لان ذلك معنى المطاولة وهذا لا يستلزم نفي المساواة فتدبر واما وفاء عبارته بنفي مساواة الرسل ايضا على كون المراد بالانبياء ما يشمل الرسل فظاهر (قوله اجماع) بالرفع في نسخة المصنف وهو خبر ما في قوله ما صرح والمعنى اختصاص نبينا صلى الله عليه وسلم بنيل الرقي والتفرد بغاية كمال الشرف والرفعة مجمع عليه (قوله تنصل) اي تبرأ كل يقال تنصل الشيء من موضعه من باب قتل خرج ٭ ومنه تنصل فلان من ذنبه والمراد بتنصلهم منها تباعدهم وعدم تعاطيهم لها

فن سواه الا تحت لوائى وهو صريح فى دخول آدم كحديث البخارى وغيره انا سيد الناس يوم القيامة وحديث انا سيد العالمين صححه الحاكم واعترض وبذلك تعلم أفضليته على الملائكة لان آدم أفضل منهم بنص الآية ويؤيده الحديث الآتى على الا ترى ليس أحد من الملائكة وحديث الترمذى الحسن كما بينه البلقينى فى فتاويه ردا على الترمذى وأنا أكرم الاولين والآخرين وهذا صريح فى شموله الانبياء والملائكة جميعهم وحديث قال آدم يا رب اسألك بحق محمد صلى الله عليه وسلم لما غفرت لى الحديث وفيه انه تعالى قال يا آدم كيف عرفته ولم اخلقه قال يا رب لما خلقتنى بيدك أى بقدرتك الباهرة ونفخت فى من روحك أى سرك العجيب الذى لا يعلم حقيقته احد غيرك رفعت رأسى فرأيت على قوائم العرش مكتوبا لا اله الا الله محمد رسول الله فعلمت انك لم تضف الى اسمك الا احب الخلق اليك قال الله تعالى صدقت يا آدم انه لاحب الخلق الى واذ سألتنى بحق محمد فقد غفرت لك ولولا محمد ما خلقتك صححه الحاكم واعترض لكن صح عن ابن عباس رضى الله عنهما وله حكم المرفوع ولولا محمد ما خلقت آدم ولولا محمد ما خلقت الجنة والنار ولقد خلقت العرش على الماء فاضطرب فكتبت عليه لا اله الا الله محمد رسول الله فسكن وفى روايات أخر لولاه ما خلقت السماء والارض ولا الطول ولا العرض ولا وضع ثواب ولا عقاب ولا خلقت جنة ولا نارا ولا شمسا ولا قمرا وصح انا أول من تنشق عنه الارض فألبس الحلة من حلل الجنة ثم أقوم عن يمين العرش ليس أحد من الملائكة يقوم ذلك المقام غيرى وفى رواية ذكرها السراج البلقينى فى فتاويه انه تعالى قال له قد منحت عليك بسبعة اشياء أولها انى لم اخلق فى السموات والارض اكرم على منك وفى اخرى ذكرها أيضا ان جبريل عليه السلام قال له ابشر فانك خير خلقه وصفوته من البشر حباك الله بما لم يحب به أحدا من خلقه لا ملكا مقربا ولا نبيا مرسلا الحديث وصح عن بحيرا الراهب وهو من علماء أهل الكتاب الذين لا يقولون شيأ الا عنه هذا سيد العالمين وصح عن عبد الله بن سلام الصحابى الجليل امام أهل الكتاب بشهادته صلى الله عليه وسلم انه ذكر بالمسجد يوم الجمعة أمورا منها وان أكرم خليقة الله على الله أبو القاسم صلى الله عليه وسلم فقيل له فاين الملائكة فضحك وقال للسائل يا ابن أخى هل تدرى ما الملائكة انما الملائكة خلق كخلق السموات والارض والرياح والسحاب والجبال وسائر الخلق التى لا تعصى الله شيأ وان اكرم الخلق على الله أبو القاسم صلى الله عليه وسلم وبين السراج البلقينى ان هذا له حكم المرفوع وهو كذلك فانه من اجل الصحابة فلا يقول الا عنه صلى الله عليه وسلم أو عما صح من التوراة قال واختيار الباقلانى والحليمى افضلية الملائكة يمكن حمله على غير نبينا صلى الله عليه وسلم أى وبهذا جزم بعض اجلاء تلامذته كالبدر الزركشى أو على تفضيل فى نوع خاص أى لانه قد يوجد فى المفضول مزية بل مزايا لا توجد فى الفاضل ثم قال ولا يظن باحد من ائمة

(قوله لوائى) قيل المراد باللواء علو شانه بحيث صارت الانبياء اتباعا له وظهر عليهم امره فى الآخرة ظهور اللواء الذى يرى فى الجيش لعامة الناس فيقتدون به وقيل غير ذلك اهـ ع ش على المواهب

(قوله لما غفرت لى) اى الا كما فى رواية

المسلمين انه يتوقف فى أفضلية نبينا على جميع الملائكة وكذلك سائر الانبياء وأطال فى الحط والرد على من توقف فى ذلك وزعم ان هذا ليس مما كلفنا بمعرفته ثم قال وهذا الزعم باطل فان هذا من مسائل اصول الدين الواجبة الاعتقاد على كل مكلف والبيان بسوق أدلتها وايضاحها على كل من تأهل لذلك وقد صح فى الحديث المشهور ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الايمان من كان الله ورسوله احب اليه مما سواهما وتأمل قوله مما سواهما تجده ظاهرا بل صريحا فى كل ما ذكرناه ٭ ومنها ما افاده كلامه من جواز التفضيل بين الانبياء عليهم الصلاة والسلام وهو ما عليه عامة العلماء لما مر من الادلة الصريحة فيه واما قوله تعالى لا نفرق بين احد منهم فهو باعتبار الايمان بهم وبما أنزل اليهم واما الاحاديث الصحيحة لا تفضلوا بين الانبياء لا تفضلونى على الانبياء لا تخيروا بين الانبياء فهى اما قبل علمه بالتفضيل وانه أفضلهم واما محمولة على التواضع منه صلى الله عليه وسلم لتصريحه بالتفضيل أو على تفضيل يؤدى الى تنقيص أو الى غض من مقام أحدهم وعليهما يدل سياق الحديث أو على التفضيل فى ذات النبوة أو الرسالة فانهم كلهم مشتركون فى ذلك لا يتفاوتون فيه وانما يتفاوتون فى زيادة الاحوال والمعارف والخصوصيات والكرامات وزعم حملها على التفضيل بآرائنا ليس فى محله لان تفضيل ذلك بالرأى المحض مجمع على منعه وبالدليل الدال عليه لا وجه لمنعه واما الحديثان الصحيحان ما ينبغى لاحد أن يقول انا خير من يونس بن متى من قال انا خير من يونس بن متى فقد كذب فحكمة التخصيص فيهما بيونس نفى توهم التفاوت بينهما فى القرب من الحق لاختلاف حاليهما الصورى برفع نبينا صلى الله عليه وسلم الى قاب قوسين ونزول يونس صلى الله عليه وسلم الى قعر البحر اى لا تتوهموا من هذا التفاوت الصورى تفاوتا فى القرب والبعد من الله تعالى بل نسبة كل اليه واحدة وان تفاوت مكانهما لتعاليه عن الجهة والمكان فهو نهى عن تفضيل مقيد بالمكان لا مطلقا ٭ ومنها ان قوله الانبياء يشمل من عرفناهم ومن لم يعرف قال تعالى منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك واختلفوا فى عدد من عرفناهم والمشهور فيه ما فى حديث أبى ذر عند ابن مردوية فى تفسيره قال قلت يا رسول الله كم الانبياء قال مائة الف وأربعة وعشرون الفا قلت يا رسول الله كم الرسل منهم قال ثلثمائة وثلاثة عشر جم غفير قلت يا رسول الله من كان أولهم قال آدم ثم قال يا أباذر اربعة سريانيون آدم وشيث ونوح وخنوخ وهو ادريس وهو اول من خط بالقلم واربعة من العرب هود وصالح وشعيب ونبيك يا اباذر واول نبى من بنى اسرائيل اى من بعد أولاد اسرائيل وهو يعقوب صلى الله على نبينا وعليه وسلم موسى وآخرهم عيسى وأول النبيين آدم وآخرهم نبيك وروى هذا الحديث بطوله الحافظ ابو حاتم بن حبان فى كتابه الانواع والتقاسيم وصححه لكن خالفه ابن الجوزى فذكره فى موضوعاته واتهم به ابراهيم بن هشام قال الحافظ ابن كثير ولا شك انه تكلم فيه غير واحد

(قوله مردوية) بضم الميم واسكان الراء المهملة وضم الدال واسكان الواو بعدها ياء مفتوحة

(قوله واول نبى) انظر هذا مع ان اولاد يعقوب الذين منهم يوسف ونبوته بالاتفاق هم قبل موسى وقد يقال اولهم ممن انزل عليه الكتاب انتهى وهذا الايراد الموج الجواب المذكور غير وارد مع قوله اى من بعد الخ

من

من ائمة الجرح والتعديل من اجل هذا الحديث فالله اعلم وينتف في شرح المنهاج في الخطبة ان حديث كون الانبياء مائة الف واربعة وعشرين الفا وحديث كون الرسل ثلثمائة وثلاثة عشر صحيحان فاعلمه وروى ابو يعلى كان فيمن خلا من اخوانى من الانبياء ثمانية آلاف نبى ثم كان عيسى بن مريم ثم كنت انا (يا) حرف نداء البعيد أو القريب المنزل منزلته وهو هنا اشارة الى بعد مرتبته صلى الله عليه وسلم عن ان تلحق أو تسامى (سماء) بالتنوين والنصب بناء على أنها نكرة موصوفة وهى من حيز الشبيه بالمضاف فينصب لاغير على الاصح وقال الكسائى يجوز فيها النصب والضم وفصل الفراء فاوجب النصب اذا كان العائد من الصفة اليها ضمير غيبة كيا هنا او كيا رجلا ضرب زيدا والرفع اذا كان ضمير خطاب كيا رجل ضربت زيدا ٭ (تنبيه) ٭ لاياتى هنا الخلاف فى النكرة غير المقصودة وهو قول الاصمعى لاتنادى مطلقا والمازنى لايتصور نداؤها لانه يقتضى الاقبال عليها وعدم قصدها يقتضى عدمه قال ولايتصوران يوجد فى النداء نكرة غير مقبل عليها الى ان قال ومايأتى منونا فمنا انتوينه ضرورة والكوفيون شرطوا صحة ندائها ان تكون صفة فى الاصل حذف موصوفها نحو يا ذاهبا والمنع ان لم تكن كذلك وذلك لان محال هذه الاقوال الاربعة حيث لم توصف النكرة بمفرد أو جملة او ظرف والا جاز نداؤها مطلقا اتفاقا ٭ فان قلت سماء هنا نكرة مقصودة قطعا كما يعلم مما يأتى وموصوفة بجملة ماطاولتها سماء كما تقرر وحكمهما متناف فان قصدها اوجب بناءها على الضم ووصفها يوجب نصبها على الاصح كما تقرر فما الغالب منهما حينئذ قلت لم ار للنحاة فى مثل هذه الصورة نصا وانما اطلقوا فى المقصودة البناء وفى الموصوفة النصب ومفهومهما متناف اذ اطلاق الموصوفة يقتضى انه لافرق بين المقصودة وغيرها واطلاق المقصودة يقتضى انه لافرق بين الموصوفة وغيرها لايقال الوصف يستلزم القصد ومع ذلك لم ينظروا القصد معه لانا نمنع استلزامه له اذ لابدع ان الاعمى يقول يارجلا صالحا خذ بيدى من غير ان يقصد أحدا بعينه ولكن لايبعد ان يدار الامر فى هذه الصورة على نظر الناظر فان اعتبر الوصف أجرى عليه حكمه السابق او القصد اجرى عليه حكمه المذكور له ٭ (فائدة) ٭ يجوز تنوين المنادى المبنى للضرورة اجماعا ثم اختلفوا هل الاولى بقاء الضم أو الاولى النصب فالخليل وسيبويه والمازنى على الاول علما كان أو نكرة مقصودة وعيسى بن عمر والجرمى والمبرد على الثانى ردا الى أصله كما رد غير المنصرف الى الكسر عند تنوينه فى الضرورة واختار ابن مالك فى شرح التسهيل ابقاء الضم فى العلم والنصب فى النكرة المعينة لان شبهها بالمضمر أضعف وبعض المتأخرين العكس وهو اختيار النصب فى العلم لعدم الالتباس فيه والضم فى النكرة المعينة لئلا تلتبس بالنكرة غير المقصودة اذ لافارق حينئذ الا الحركة لاستوائهما فى التنوين اذا تقرر ذلك وقلنا بأن النكرة المنونة هنا مبنية على الضم على أحد شقى كلام الكسائى أو على ماذكرته اما اذا

(قوله وفصل الفراء) وجه تفصيل الفراء انه اذا كان العائد ضمير خطاب كان التعريف حينئذ اتم فتعين البناء على الضم كزيد فى يا زيد (قوله والرفع) مراده به الضم (قوله الاربعة) فيه نظر فان الاقوال ثلاثة قول الاصمعى وقول المازنى وقول الكوفيين بالتفصيل المذكور (قوله قلت الخ) قال العلامة الدنوشرى ردا على الشارح النحاة مصرحون بان النكرة المقصودة اذا وصفت نصبت وهذا تقييد لقولهم ان النكرة المقصودة يجب بناؤها على الضم فهم المطلقون والمقيدون

(قوله وهو الذى اقوله الخ) فيه نظر فانا لا نسلم ان النصب هنا يوهم المحذور الذى ذكره الشارح لدفعه بالسوابق واللواحق فان قوله كيف ترقى الخ نص فى ان المراد سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وكذا قوله لم يساووك الخ ويلزم على ما ذكره الشارح تخطئة الناظم فانه اتى بالنكرة منصوبة لا مضمومة وقوله اذ هى اسم جنس مردود بأن النكرة المقصودة المراد بها معين وقوله يشمل سائر الاجرام رعاية فى ذلك وسيأتى فى كلام الشارح ان المراد بسماء الاولى نبينا صلى الله عليه وسلم حيث قال وفيه استعارة لفظ السماء الاولى لنبينا صلى الله عليه وسلم اه (قوله كالدليل الخ) لا يخفى ان المراد بنفى المطاولة نفى زيادتهم عليه وحينئذ لا يظهر كونه علة لانه يصير التقدير لا يرتقون مثل رقيك أى لا يساوونك لانهم لا يزيدون عليك فى الرقيين وفيه خفاء فتأمل فالظاهر انه تصريح بما علم بالطريق الاولى من نفى مساواتهم له فيما ذكر تأمل وأيضا قوله كالدليل زاد على هذا الشارح الحلبى قوله ويمكن رده الى صورة قياس استثنائى هكذا لو رقوا رقيك لطاولوك لكن اللازم منتف فكذا ملزومه وبما لو رد على صورة القياس الاقترانى قوله تعالى وهو الذى يبدأ الخلق ثم يعيده ١٤ وهو أهون عليه أى الاعادة أهون من البدء وكل ما هو اهون فهو أدخل فى الامكان فالاعادة ادخل فى الامكان وقوله فلما أفل قال لا احب الآفلين أى القمر آفل وربى ليس بآفل اه كلامه وتأمل فى صدقنا لقوله لا يخفى ان المراد الخ فيه ان المطاولة المغالبة فى الطول والارتفاع كما صرح به الشارح فيما يأتى ومثله فى القاموس لا الزيادة قال فى القاموس طاولنى فطلته كنت أطول منه فى الطول اه فلم تعلم الزيادة الا من قوله فطلته والا فالمطاولة المغالبة فى الطول أى الارتفاع اللهم الا ان يراد اصل الفعل بأن يراد بقوله ما طاولتها ما طالت أى ارتفعت عليها سماء وحينئذ يظهر ما ذكرناه اذا علمت ذلك فلا يظهر القياس الذى ذكره الحلبى اذ يصير نظمه لو رقوا مثل رقيك لزادوا الخ لفظا وغير خاف ان الزيادة لا تترتب على رقيهم مثل رقيه وقد اشار الشارح الى صحة كونه كالدليل لما قبله وعلة له بحمله النظم على عدم استطاعتهم رقيا مثل رقيه فكأن الناظم قال لا ترقى الانبياء مثل رقيك لان المسلم القدرة والاستطاعة ان يساووك وان يأخذوا فى اسباب ذلك فتدبر (قوله وفيه استعارة) أى تحقيقية وعبارة الحلبى والسماء اسم جنس يقع على واحد فأكثر والمراد بها هنا هذه الاجرام وقد استعار اسمها للانبياء بجامع العلو والرفعة وان اختلفا حسا ورتبة اذ هى اعلى ما يرى من الاجرام وهم اعلى ما يرى من البشر فى درجات الكمال بعضهم أفضل من بعض مشبها لهم بها على طريق الاستعارة التحقيقية وقرنها بما يلائم المستعار منه اعنى الارتقاء أو بما لزم بقرينة المقام من نفى المطاولة من الارتفاع ترشيحا للمجاز من رشحت الام ولدها باللبن قليلا قليلا الى أن يقوى على المص وفلان يرشح للوزارة اى يربى لها ويؤهل لها فكان المستعار لم يرشح ويؤهل بما تقرن به الاستعارة من صفة او تفريع كلام ملائم المستعار منه كان يكون من جنسه أو فردا من افراده مبالغة فى التشبيه بما يورث الكلام زيادة رونق وبهاء والمجاز كالعلو وسناء وا كثر ما يكون فى الاستعارة وقد يكون فى المجاز المرسل مثل وله اليد الطولى اى القدرة الكاملة

أريد بالنكرة الموصوفة مقصود بنيت على الضم فالاولى هنا على الاول والرابع الضم وعلى الثانى والثالث النصب والذى أقوله ان الضم متعين هنا على الكل لانه الظاهر خلافا لما يوهمه الرأى الرابع ان محل الخلاف حيث لا التباس يترتب عليه محذور وهنا النصب يترتب عليه محذور لايهامه ان السماء الاولى نكرة غير مقصودة وحينئذ يفسد المعنى لان النكرة غير المقصودة لا يصح نفى مطاولة نكرة غير مقصودة أيضا لها بخلاف ما اذا كانت الاولى نكرة مقصودة كما هو المراد هنا اذ هى اسم جنس يشمل سائر الاجرام العلوية فان عدد بهذا المعنى هى التى لا تطاولها سماء أى مرتفع غيرها لانه لم يوجد فى هذا الوجود أرفع منها فتأمل ذلك حق التأمل واحفظه فانه مما يتعين استفادته لاستجماع النظر لما قاله الشارح مما لم يعثر فيه على شئ مما ذكرته (ما) نافية (طاولتها) أى غالبتها فى الطول والارتفاع (سماء) وهذا الشطر الثانى كالدليل للشطر الاول اذ التقدير لم يرتق أحد منهم ارتقاءك لانه لم يستطع مطاولتك فى ارتقائك الحسى ولا المعنوى وان كانت درجاتهم كلها ومراتبهم وصفاتهم باسرها ارفع الدرجات واكمل المراتب واجل الصفات قال تعالى ولقد اخترناهم على علم على العالمين وهذه الآية مصرحة فى فضلهم على جميع الملائكة بل الخلق اذ العالم ما سوى الله تعالى وانما جمع جمع العقلاء تغليبا لهم وفيه استعارة

(قوله لفظ السماء الاول) فيجعله الشارح الحلبي جناسا تاما مماثلا وفيه نظر اذ المعنى لم يختلف وغايته انه استعار اللفظ الاول لنبينا والثانى لسائر الانبياء كما افاده الشارح وعبارة الحلبي وفيه الجناس التام بين سماء وسماء لاتفاقهما فى أنواع الحروف وأعدادها وهيآتها وترتيبها كما فى قوله ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة اه وقوله لم يختلف غير مسلم لظهور اختلاف المعنى (قوله ورشح) تقدم له ان الرق مستعمل فى الرقيين الحسى والمعنوى وحينئذ فلا يظهر كونه ترشيحا

لفظ السماء الاول لنبينا صلى الله عليه وسلم والثانى لبقية الانبياء عليهم الصلاة والسلام لان السماء أعلى ما يرى من الاجرام الحسية كما انهم اعلى الخلق و رشح ذلك بذكر الارتقاء الملائم للمستعار منه (لم يساووك) جملة مستأنفة على ما يأتى فيكون من اسلوب الحكيم أو حال من فاعل ترق (فى علاك) جمع عليا تأنيث الاعلى من علا بالفتح يعلو علوا فى المكان وعلى بالكسر يعلى وعلى بالفتح يعلى علاء فى الشرف قال الشارح ولما كان نفى المطاولة لا يلزم منه نفى المساواة و كان المعنى لا يتم الا بنفيها صرح بذلك وتبعه غيره فقال لما لم يلزم من نفى المطاولة نفى المساواة أشار الى نفيهما وان كان يؤخذ مما تقدم لكن لا بطريق التصريح اه وهو عجيب مع ما مر فى كيف انه أفاد بطريق التصريح نفى رقى كل أحد منهم رقيه وهذا مساو لقوله لم يساووك فالحق انه تأكيد والمناب فقط على انا ذكره فائدة أخرى هى البرهان عليه بطريق أخرى وحينئذ يكون ما سلكه من ذكر الجملة الاولى فى شطر البيت الاول والبرهان عليها بما فى الشطر الثانى ثم اعادتها بمعناها فى اول البيت الثانى والبرهان عليها بما فى بقيته من بديع تحقيقه وكمال بلاغته والله أعلم (وقد حال) أى حجز ومنع جملة مستأنفة أو حال من الفاعل أو المفعول وقد هنا واجبة الذكر أو التقدير عند البصريين قالوا لتقريب الماضى من الحال واعترضهم المحقق السيد الجرجانى وتبعه المحقق الكافيجى وغيره بأن هذا غلط منهم سببه اشتباه لفظ الحال عليهم فان الحال التى تقربه قد حال الزمان والحال المبين لهيئة حال الصفات ورد بانهما وان تغاير الكنهما متقاربان كما هو شأن الحال وعاملها وحينئذ لزم من تقريب الاولى تقريب الثانية المقارنة لها فى الزمن فتأمله فانه مهم اذ تغليط أولئك الائمة الذين لا يحصرون مع امكان تأويل كلامهم تساهل واقتصار الشارح على الاول بعيد كتخصيصه له بفاعل ترق البعيد دون فاعل يساووك القريب وان كان متحدا والاول أولى لما قدمته ان هذه الجملة كالبرهان والتعليل لما قبلها كذا قيل وفيه نظر لان الحالية تفيد ذلك هنا أيضا على أنها الظاهر المتبادر (سنا) بالقصر أى ضوء عظيم ظاهر (منك) خصك الله تعالى به وهو مجاز عن علوم القرآن المحيطة بعلوم الاولين والآخرين وغيرها التى اختصه الله بها وامره بأن يسأله ان يزيده منها

علاء المشبه الا ان أريد به الرقى الحسى فتدبر وفى البيت الترديد لتعليقه ترق أولا بالانبياء وثانيا به صلى الله عليه وسلم والتصريع وهو موافقة العروض لضربها فيما تنسب اليه القصيدة ثم قد يتعلق اول مصراعى البيت بثانيه فيسمى تصريعا وقد لا يتعلق به كما هنا ورد العجز على الصدر فى ترقى ورقيك اه حلبى (قوله جمع عليا) ويجوز ان يكون العلا بمعنى الشرف والرفعة كما يأتى وعلياهنا بضم العين ككبرى وكبر والمذكر أكبر فليس كاحمر وحمراء (قوله وعلى بالكسر) عبارة المختار وعلى فى الشرف بالكسر علاء بالفتح والمد وعلى يعلى لغة فيه (قوله وتبعه غيره) هو الشهاب العراسى المالكى الشهير بالاقيطع (قوله وهو عجيب) لا عجب اما أولا فلا نا نمنع مساواة كيف ترقى لهذا فى الدلالة على ما ذكروا اما ثانيا فلان الشارح الجوجرى رحمه الله تعالى قال قبل ذلك والشطر الثانى كالدليل للشطر الاول وكانه يقول لم يرتق أحد منهم ارتقاءك لانه لم يستطع مطاولتك أى مغالبتك فى الطول أو الطول (قوله أو المفعول) او منهما (قوله وقد هنا الخ) أى على جعل الجملة حالية (قوله تقربه) أى تقربه منه فهو من الحذف والايصال (قوله ورد الخ) يوضح ذلك ما ذكره الدماميني فى الجواب عن اشكال السيد ان الظاهر ان قد يشعر بالحضور وحال وقوع العامل لانها التقريب الى الحاضر فى الجملة فان الماضى لاستقلاله بالمضى لا يفيد المقارنة وان كان العامل أيضا ماضيا بل ربما يوهم انه ماض بالنسبة اليه اه فما ذكره الشارح الرد غير صالح له فهو ممنوع (قوله منك) قال الحلبى أتى بلفظ منك احترازا عما عسى يتوهم ان ما حال بينهم وبين مساواته ليس منه

وهو مقتبس من تسميته تعالى القرآن نورا فى آيات كثيرة من كتابه نحو واتبعوا النور الذى أنزل معه ومما اختصه الله تعالى به من جمال المنظر الظاهر بما آتاه من الحسن فى خلقه بما لم يلحقه فيه وصف فضلا عن غيره كما اخبر به صلى الله عليه وسلم وفى خلقه بما ابان الله تعالى رفعته فيه الى الغاية بقوله عز قائلا وانك لعلى خلق عظيم وهو مقتبس من تسميته تعالى لنبيه نورا فى نحو قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين وكان صلى الله عليه وسلم يكثر الدعاء بان الله يجعل كلا من حواسه واعضائه وبدنه نورا اظهارا لوقوع ذلك وتفضل الله تعالى عليه به ليزداد شكره وشكر امته على ذلك كما انا أمرنا بالدعاء الذى فى آخر البقرة مع وقوعه وتفضل الله تعالى به لذلك ومما يؤيد انه صلى الله عليه وسلم صار نورا انه كان اذا مشى فى الشمس او القمر لا يظهر له ظل لانه لا يظهر الا لكثيف وهو صلى الله عليه وسلم قد خلصه الله من سائر الكثائف الجسمانية وصيره نورا صرفا لا يظهر له ظل أصلا خرقا للعادة كما خرقت له فى شق صدره وقلبه مرارا ولم يتألم بذلك (دونهم وسناء) بالمد أى رفعة علية أو نيتها لرتبته مخلوق اليها اى تقتضى اسمائهم لمانع منعهم عن ألحوق به هو ما اختص به من ذلك النور وتلك الرفعة اللذين لم يصل أحد الى ادنى سناهما فضلا عن كلهما وفى جعله هذين مما جاز الاستعارة تجريدية كما ان فى جمعهما الجناس المذيل ويعبر عنه بالمطرف لان الزيادة وقعت ذيلا وطرفا وهو ان تماثل اللفظان و ينفرد احدهما بزيادة حرف آخر فى آخره كقولهم العار ذل العارف وهو احد اقسام الجناس الناقص ومنها نحو والساق المساق ويسمى بالمردوف لان حرف الزيادة مردوف بما وقع فيه التجانس فهو دا او دواء ويسمى بالمكتنف لان حرف الزيادة مكتنف أى متوسط بين ما اكتنفاه وقد يقع الاختلاف بما كثر من حرف نحو من آمن ويسمى متوجا ونحو جهد ويجاهد وجوا وجوائح وسماه فى التلخيص مذيلا واهل البديعيات على ان الزائد من آخر حرف أو اكثر يسمى مذيلا ومن اوله كذلك يسمى مطرفا ● (تنبيه) ● الجناس تشابه اللفظين من حيث اللفظ وفائدته الميل الى الاصغاء اليه فان مناسبة الالفاظ تحدث ميلا واصغاء اليها فلذا اكثر منه الناظم فى هذه القصيدة وربما تركت التنبيه على كثير منه فى محله استغناء بظهوره أو تقدم التنبيه على نظيره ومع كون الجناس يوجب الميل والاصغاء فمحل مراعاته مالم تعارضه قوة المعنى وتمكنه مع فقده والا لم يراع ومن ثم قال تعالى وما أنت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين ولم يقل بمصدق رعاية لجناس الاشتقاق لان معنى قولك فلان مصدق لى انه قال لى صدقت ومعنى مؤمن لى انه صدقنى وامننى والمقصود الثانى لا الاول فترك الجناس لذلك وترك أيضا فى اتدعون بعلا وتذرون أحسن الخالقين

(قوله لا يظهر له ظل) هذا ظاهر فى ذاته عليه افضل الصلاة والسلام ومعلوم انه كان عليه ملبوس وهو ليس نورا فله ظل وقد يقال انه ملبوسه وان كان بالنظر لنفسه كثيفا لكن ملابسته ذاته التى هى نور صار ذلك الملبوس بواسطة نورها نورا فلا يظهر له ظل أيضا (قوله دونهم) دون فى الاصل ظرف بمعنى ادنى مكان من الشئ ثم استعير للرتب المتفاوتة فيقال زيد دون عمرو أى ادنى منه شرفا ثم تجوز به واستعمل فى تجاوز حكم الى حكم نحو فعلت بزيد الاكرام دون الاهانة أو محكوم عليه الى آخر نحو اكرمت زيدا دون عمرو افاده القانى فى بعض حواشيه والظاهر انها فى المتن حال كتالى التجوزين الاخيرين فى عبارة القانى والمعنى وقد حال سنا وسناء منا نصل بحكونهما متجاوزين ما فيهم من السنا والسناء فيكون من تجوز استعمالها فى الرتب المتفاوتة فتدبر (قوله وفى جعل هذين الخ) الاستعارة انما هى فى السنا المقصور واما الممدود فباق على حقيقته وتصح المجاز العقلى فى اسناد حال الى السنا والسناء تأمل وكون الممدود باقيا على حقيقته غير ظاهر فى الرفعة المعنوية تأمل (قوله تجريدية) قال الخوشرى انظر ما مراده اه وقد قالوا فى نحو قولهم لقيني من زيد اسد ان فيه تجريدا أى لان المتكلم جرد من ذات زيد اسدا وحكم عليه باللقاء وجعل ذلك تجريدا ظاهر لكن لا استعارة الجمع بين الطرفين ولعله لما عبر بقوله سنا وجعل الشئ ظاهرا منه كانه جرد من ذاته وجعل مشبها أطلق على ذلك اما تجريدا فتأمل (قوله أتدعون بعلا) البعل صنم كانت تعبده بعل المسماة أيضا بعلبك بالشام أى اتعبدون هذا الصنم وتتركون احسن الخالقين

أما لان التجنيس تحسين وانما يستعمل في مقام الوعد والاحسان لا في مقام التهويل أو لان يدع اخص من يذر لانه ترك الشئ مع سبق الاعتناء به فلو قيل تدعون لتوهم انهم كانوا معتنين بالاله الحق ثم تركوه وليس كذلك بل كانوا تاركين له مطلقا فتعين تذرون مبالغة في التشنيع عليهم بانهم بلغوا الغاية في الاعراض عن ربهم وامتنع تدعون لايهامه وبهذا يظهر غباوة بعض الادباء في قوله لو قال وتدعون لراعى الجناس وبقيت اجوبة أخرى ليست بذاك فلذا تركتها . وفي قوله وقد الخ التذييل وهو ان يؤتى بعد تمام الكلام بجمل تشتمل على معنا متجرى مجرى المثل لتؤكد ما قبلها وتحققه كقوله تعالى وهل يجازي الا الكفور بعد قوله جزيناهم بما كفروا وقول النابغة أى الرجال المهذب بعد ولست بمستبق الخ *(تنبيه ثان)* سيمر بك استعارات بليغة يحتاج الى معرفتها في هذه القصيدة فلا بأس بالاشارة الى بعض شئ مما يتعلق بها فنقول انها مجاز بتضمن تشبيه ما عني به بما وضع له فهي مجاز لغوى لانها لفظ استعمل في غير ما وضع له لعلاقة المشابهة ومن ثم احتاجت لقرينة كرأيت اسدا يرمي ثم ما قصد اشتراك طرفيها المستعار له والمستعار منه فيه اما داخل فيهما كاستعارة الطيران للعدو بجامع ان في كل قطع المسافة أو لا كاستعارة الاسد للشجاع اذ الشجاعة عارضة للاسد وهي باعتبار طرفيها والجامع اقسام كثيرة باعتبارات كلا اما عقلي أو حسي ثم لفظ المستعار ان كان اسم جنس ولو تأويلا كعلم اشتهر بوصف بحيث اصلية أو فعلا أو مشتقا منه بان يقصد به المعنى القائم بالذات أو حرفا فتبعية لان الاستعارة تعتمد التشبيه المقتضي لكون المشبه موصوفا بوجه الشبه أو مشاركا للمشبه به فيه وانما يصلح للموصوفية الحقائق أى الامور الثابتة دون معاني الافعال ونحوها ومتى لم تقترن بما يلائم احد طرفيها سميت مطلقة أو بما يلائم المستعار له فمجردة أو بما يلائم المستعار منه فمرشحة وهي أبلغ لان مبنى الاستعارة على تناسي التشبيه وادعاء ان المستعار له نفس المستعار منه لا شئ يشبهه وما كان وجه الشبه فيه منتزعا من عدة أمور يسمى استعارة تمثيلية كما يقال للمتردد في أمر اني أراك تقدم رجلا وتؤخر أخرى * وبقي من اقسامها الاستعارة بالكناية والاستعارة التخييلية وهما عند صاحب التلخيص معنويتان غير داخلتين في تعريف المجاز فاذا اضمر التشبيه في النفس ولم يصرح بشئ من اركانه سوى المشبه ودل على ذلك التشبيه بذكر شئ من خواص ذلك المشبه به سمي ذلك التشبيه المضمر استعارة بالكناية واثبات تلك الخاصة استعارة تخييلية لانه تخيل ان المشبه من جنس المشبه به (انما) الحصر عند الجمهور قيل بالمنطوق وقيل بالمفهوم ويقال له الاختصاص والقصر خلافا لمن فرق وهو تخصيص أمر بآخر بطريق مخصوص ويعبر عنه أيضا بانه اثبات الحكم المذكور

(قوله لراعى الجناس) هذا كلام حق لا يدل على الغباوة نعم لو قال بعد ذلك وهو أحسن أو نحوه دل على مزيد الغباوة تأمل (قوله بمستبق) والبيت بتمامه ولست بمستبق أخا لا تلمه * على شعث أى الرجال المهذب أى لا تصبه على تفرق وذميم خصال فصدر البيت دل بمفهومه على نفي الكامل من الرجال وعجزه تأكيد لذلك وتقرير لان الاستفهام فيه للانكار أى لا مهذب في الرجال انتهى مطول (قوله عند الجمهور) ومقابله قوله الآتي وأنكر قوم افادة انما له (قوله قيل الخ) اعلم أن اثبات الالوهية لله في نحو انما الهكم الله منطوق اتفاقا واما نفي الالوهية الحقة عن غيره ففيه خلاف فقيل مفهوم وهو مذهب الجمهور وقيل منطوق أى بالاشارة وهو المنطوق غير الصريح أى لم يوضع له اللفظ بل هو لازم ما وضع له فقوله قيل بالمنطوق وقيل بالمفهوم خاص بالشق الثاني مما يستفاد من انما وهو نفي الحكم عن غير المذكور اذ هو محل الخلاف والا فاثبات الحكم المذكور منطوق به اتفاقا كما عرفت واما نحو ما قام الا زيد مما يشتمل على نفي واثبات فمنطوقه اتفاقا نفي القيام عن غير زيد واما اثبات القيام لزيد فقيل مفهوم وهو الراجح وقيل منطوق أى صراحة لسرعة تبادره الى الاذهان وعليه فلا مفهوم له بل المنطوقان صريحان كذا يؤخذ من المحلى الاصولي وحواشيه في مبحث المفاهيم ثم رأيت عن

التمهيد للاسنوى وعن الشيخ أبي علي في الشيرازيات توجيه القول بكون نفي الحكم عن غير
المذكور في انما قام زيد ونحوه منطوقا بان ما للنفي وان للاثبات فجمع بينهما على الوجه الممكن أى فيكون حكمهما كحكم =

وتقييـد عمـلـوامـو ينقسم الى قصر موصوف على الصفة وعكسـه وكل اما حقيقي واما مجازي فالحقيقي نحو ما زيد الا كاتب أي لاصفة له غير ذلك وهو كالمحال لتعذر ان يكون لذات صفة واحدة فقط ولم يقع منـه شئ في القرآن والمجازي نحو وما محمد الا رسول أي مقصور على الرسالة لا يتعداها الى التبري من الموت الذي استعظموه ذهولا عن كونه من شأن الآلهة وانكر قوم افادة انما الحصر ورد عليهم بآيات كثيرة نحو انما العلم عند الله انما يأتيكم به الله واعلم ان انما المحصور فيـه هو الاخير ومن ثم كان معنى انما قائم زيد اثبات القيام لزيد ونفيه عن غيره وانما زيد قائم اثباته له ونفي غيره عنه (مثلوا) أي صور الانبياء عليهم الصلاة والسلام أو الواصفون لشمائلك وهو الاقرب وان لم يجر له ذكر لانه معلوم على حـد حتى توارت بالحجاب (صفاتك) جمع صفة وهي ما دل على معنى زائد على الذات محسوس كالابيض أو معقول كالعالم (الناس) من الانس فيختص ببني آدم فاصلـه الاناس حذفت همزته تخفيفا لا تعويض أل عنها لجمع بينهما أو من نوس اذا تحرك فيعم الجن كذا قيل والذي في القاموس الناس يكون من الانس ومن الجن جمع انسي أصلـه اناس جمع عزيز ادخـل عليه أل ثم قال وناس الابل ساقها وأناسه حركه (لنا) نعت لمصدر محذوف مفعول مطلق لمثلوا أي تمثيلا مثل (ما) مصدرية (مثل النجوم الماء) اصله موه بالتحريك لتنهمزته مبدل من الهاء وهو جوهر قيل لا لون له وانما يتكيف بلون مقابله والحق خلافه فقيل أبيض وقيل اسود والمعنى على أن الضمير للانبياء عليهم الصلاة والسـلام أن ما شاركتهم فيـه من الصفات وان كملت لم يصلوا الا دناها لانها بلغت فيـه من الكمال ما لم يبلغه مخلوق فهي فيه حقيقة كالنجوم الحقيقية المرتبة من غـير حائل وفيهم كصور النجوم التي ترى في الماء دون حقيقتها وشتان ما بينهما واسناد ذلك التصوير اليهم على هذا مجاز عقلي كقول الموحد أنبت الربيع البقل ويحتمل انه لم يفتك الى ما علم من حال الانبياء عليهم الصلاة والسلام انهم نعتوا صفاته الكريمة لاممهم وصوروها لهم لكنهم مع ذلك لم يصلوا التصوير كما هو لعدم احاطتهم به وانما غاية ما وصلوا اليـه تصوير صورها الحاكية لمباديها كالماء لم يحك من النجوم الا مجرد صورها لا غـير وفي هـذا من الابلغية في المدح ما لا يخفى لان الانبياء عليهم الصلاة والسـلام مع كمالهم الا كبر اذا عجزوا عن ادراك حقائق صفاته العلية كان غيرهم اعجز لا يقال هذا يستغنى عنه بما يأتي في قوله الا بشرت قومها بك الانبياء لان ذاك في مطلق تبشيرهم بانه سيوجد وهذا في بيان صفات ذاك المبشر به وعلى انه للواصفين انهم وان اكثروا الاوصاف وتفننوا في ايرادها على ابلغ انواع البلاغة واكمل قوانين الفصاحة فغاية ما وصلوا اليه ان ادركوا لوائح منها وعجزوا عن ادراك شئ من حقائقها كما ان غاية من يرى النجوم في الماء انه يدرك مبادي أوصافها ويعجز عن ادراك حقائقها وقد شرح الناظم هذا بقوله في بردة المديح اعيا الورى فهم معناه البيتين وهـذا البيت من جهة التذييل أيضا بناء على المعنى

ما والى القول بانتفى الحكم في تركيبهما من غير المذكور منطوق ورد هذا التوجيه ظاهر اذ لا دلالة لـ انما على النفي بوجه فتأمل وحينئذ فالتوجيه الصحيح ان يقال انما كان مفهوم انما منطوقا لان قولك انما زيد قائم وانما القائم زيد معناه لا ما عدى الاول ولا عمرو في الثاني فمحل النطق في الاول زيد وفي الثاني [illegible] والنفي [illegible] احواله فيكون منطوقا لانه معنى دل عليه اللفظ في محل النطق لكنه لم يوضع له اللفظ بل هو لازم ما وضع له فيكون غير صريح وغير مقصود للمتكلم لا يتوقف عليه صدق ولا صحة فيكون اشارة (قوله ورد عليهم بآيات الخ) لكن التعريف الاول أولى لشموله نحو انما زيد قائم اذ لا يصح ان يقال فيـه ونفيه عما سواه وانما فيه اثبات الحكم المذكور ونفي غيره عنه كما سيأتي في الشرح فتأمل (قوله وهي ما دل) كان الظاهر وهي معنى زائد الخ ويمثل بدل الابيض والعالم بالبياض والعلم وكأن الشارح اشتبه عليـه اصطلاح النحاة بغيرهم تأمل (قوله أو من نوس) صرح بالواو ليفيد انه اصل الالف والا فكان يقول من ناس تأمل (قوله البيتين) وهما

اعيا الورى فهم معناه فليس يرى في القرب والبعد منه غير منفحم
كالشمس تظهر للعينين من بعد صغيرة وتكل الطرف من أمم

أي قريب (قوله وهذا البيت) مثال التذييل وفي المثل الاتساع وهو ان يؤتى ببيت يتسع فيه التأويل

الاول لانه برهان ظاهر على ما قدمه من نفي المساواة بل في الحقيقة القصيدة كلها برهان على مطلعها وشرح وبيان له كما مر ومع ذلك فلا تخلو قريبا من المزايا لا تدرك غايتها بل ولا حافاتها زاد ذلك تقريرا وتمكينا في النفوس فقال (انت) أيها العلم المفرد الذي لا يساوى بل ولا يدانى (مصباح) أي سراج فهو مقتبس من قوله تعالى وسراجا منيرا (كل) اسم موضوع لاستغراق افراد المنكر المضاف هو اليه كما هنا والمعرف المجموع نحو وكلهم آتيه يوم القيامة فردا وأجزاء المفرد المعرف نحو يطبع الله على كل قلب متكبر جبار باضافة قلب الى متكبر أي على كل اجزائه وقراءة التنوين لعموم افراد القلوب ثم ان لم تكن نعتا لنكرة ولا توكيدا لمعرفة بان تلاها العامل كما هنا جازت اضافتها كما هنا وقطعها نحو وكلا ضربنا له الامثال واعلم انها حيث اضيفت لنكر وجب في ضميرها مراعاة معناها نحو وكل شيء فعلوه في الزبر وعلى كل ضامر يأتين أو لمعرف جاز مراعاة لفظها في الافراد والتذكير ومراعاة معناها ولو كنا اذا قطعت نحو كل يعمل على شاكلته وكل أتوه داخرين وانما حيث وقعت في حيز نفي بان سبقتها أداته أو فعل منفي نحو ما جاء كل القوم وكل الدراهم لم آخذ لم يتوجه النفي الا لسلب شمولها فتفهم اثبات الفعل لبعض الافراد ما لم يدل الدليل على خلافه نحو والله لا يحب كل مختال فخور مفهومه اثبات المحبة لاحد الوصفين لكن لا نظر اليه للاجماع على تحريم الاختيال والفخر مطلقا وحيث وقع النفي في حيزها كقوله صلى الله عليه وسلم في خبر ذي اليدين كل ذلك لم يكن توجه الى كل فرد فرد كذا ذكره البيانيون واطلقت هنا جميعه هنا لانه لنفاسته وكثرة الاحتياج اليه مما ينبغي ان يستفاد ويحفظ (فضل) وكان ابرز الفضل في الوجود لانه الخليفة الاكبر المستقل كل موجود ويشاهده ما صح من خبر آدم فمن دونه تحت لوائي وخبر انما أنا قاسم والله يعطي وخبر لو كان موسى حيا ما وسعه الا اتباعي وخبر ان ابراهيم قال انما كنت خليلا من وراء وراء وآثر التشبيه بالسراج على القمرين لانه يقتبس منه الانوار بسهولة وتنطفئ فروعه فتبقى بعده ووجه الشبه ان نوره صلى الله عليه وسلم يظهر الاشياء المعنوية كنور البصائر ونور السراج يظهر

(قوله برهان على مطلعها) فيه انه جعل البيت تذييلا لنفي المساواة وليس ذلك من المطلع بل هو من البيت الذي يليه وقد يقال المراد بنفي المساواة أي المستفاد من قوله كيف ترقى الخ فتأمل (قوله المعرف) فيه نظر لانها في الآية مضافة الى منكر سواء اضيفت لفظ قلب أم لا فهي لاستغراق الاجزاء في اضافتها المنكر اذا لم ينون قلب ولاستغراق الافراد اذا نون وفي الشارح اشارة لذلك فافهم ومثال اضافتها المفرد المعرف فتكون لاستغراق اجزائه كل زيد حسن (قوله بان تلاها) سواء تلت العامل (قوله وعلى كل ضامر) اى وركبانا على كل بعير مهزول اتعبه بعد السفر فهو يأتين صفة لضامر محمولة على معناه أو استئناف فيكون الضمير للناس وقرئ يأتون صفة للرجال والركبان بيضاوي وفي المغني ليس الضامر مفردا في المعنى لانه قسيم الجمع وهو رجالا بل هو اسم جمع كالجامل والباقر أو صفة لجمع محذوف أي كل نوع ضامر ونظيره ولا تكونوا أول كافر به فان كافرا لفظه مفرد لفظا مجموع معنى أي أول فريق كافر به ولولا ذلك لم يقل كافر بالافراد (قوله وكل أتوه) أي كل من في السموات والارض أتوه في الموقف صاغرين وقرئ آتاه بالافراد مراعاة للفظ كل (قوله بان سبقتها أداته) أي ولو رتبة بدليل التمثيل بقوله كل الدراهم لم آخذ فان أداة النفي وان تأخرت لفظا سابقة رتبة (قوله مفهومه الخ) تأمل هذه العبارة فان الظاهر بدلها ان يقول مفهومه اثبات المحبة لبعض مختال فخور (قوله من وراء وراء) قال السيوطي في البدور السافرة ضبط بفتح الهمزة وضمها على حذف قبل ومن بعد واختاره أبو البقاء بلا تنوين فيهما بناء قال النووي وغيره الفتح أشهر ومعناه لم أكن في التقريب والادلال بمنزلة الحبيب وقال صاحب التحرير هذه كلمة تقال على وجه التواضع انتهى ما أفاده الجلال وقيل مراده ان الفضل الذي اعطيته كان بسفارة جبريل ولكن ائتوا موسى الذي كلمه الله بلا واسطة وكرر وراء اشارة الى نبينا صلى الله عليه وسلم لانه حصلت له الرؤية والسماع بلا واسطة فكانه قال انا من وراء موسى الذي هو من وراء محمد صلى الله عليه وسلم.

الصورية كنور البصر ولا ريب ان المحسوس أظهر من المعقول من حيث هو معقول
فلذا شبه نوره صلى الله عليه وسلم لكونه معقولا بنور السراج لكونه محسوسا فلا ينافى
ذلك ان السراج دونه صلى الله عليه وسلم بل لا نسبة ويمكن انه من التشبيه المقلوب كما
فى قوله تعالى أفمن يخلق كمن لا يخلق واذا تقرر ان كمالات غيره المشبهة بالاضواء مستمدة
من كماله الذى هو الضوء الاعلى (ف) بسبب ذلك (ما يصدر) أى يبرز فى الوجود ضوء ينشأ
عن ضوء أخذ مطلقا (الا) ضوءك فات الخصوص بالك الذى تبرز (عن ضوءك) الذى
اكرمك الله به (الاضواء) كلها من الآيات والمعجزات وسائر المزايا والكرامات وان
تأخر وجودك عن جميع الانبياء عليهم الصلاة والسلام لان نور نبوتك متقدم عليهم
بل وعلى جميع المخلوقات وشاهده حديث عبد الرزاق بسنده عن جابر رضى الله تعالى
عنه يا رسول الله اخبرنى عن أول شئ خلقه الله تعالى قبل الاشياء قال يا جابر ان الله تعالى
خلق قبل الاشياء نور نبيك من نوره فجعل ذلك النور يدور بالقدرة حيث شاء الله تعالى ولم
يكن فى ذلك الوقت لوح ولا قلم ولا جنة ولا نار ولا ملك ولا سماء ولا أرض ولا شمس ولا قمر
ولا جنى ولا انسى فلما أراد الله تعالى ان يخلق الخلق قسم ذلك النور أربعة اجزاء فخلق
من الجزء الاول القلم ومن الثانى اللوح ومن الثالث العرش ثم قسم الجزء الرابع أربعة
اجزاء فخلق من الاول السموات ومن الثانى الارضين ومن الثالث الجنة والنار ثم قسم
الرابع أربعة أجزاء فخلق من الاول نور أبصار المؤمنين ومن الثانى نور قلوبهم وهى
المعرفة بالله تعالى ومن الثالث نور انسهم وهو التوحيد لا اله الا الله محمد رسول الله
الحديث وصح حديث أول ما خلق الله القلم وبيانها بأسانيد متعددة أن الماء لم يخلق قبله شئ
ولا ينافيان ما فى الاول فى نور نبينا لان الاولية فى غيره نسبية وفيه حقيقية فلا تعارض
وفى حديث عند ابن القطان كنت نورا بين يدى ربى قبل خلق آدم بأربعة عشر ألف
عام وفى الخبر لما خلق الله آدم جعل ذلك النور فى ظهره فكان يلمع فى جبينه فيغلب
على سائر نوره الحديث وصح خبر متى كنت أو كتبت نبيا قال وآدم بين الروح والجسد

(قوله أفمن يخلق كمن لا يخلق) فان الظاهر العكس لان الخطاب لعبدة الاوثان الذين سموها آلهة تشبيها لها بالله سبحانه فجعلوا
غير الخالق كالخالق فخولف فى خطابهم لانهم بالغوا فى عبادتهم وغلوا حتى صارت عندهم أصلا فى العبادة فجاء الرد على وفق ذلك
اه من الاتقان للسيوطى (قوله واذا تقرر الخ) يقتضى ان ما ذكره من التشبيه قد مضى وليس كذلك بل سيأتى فيما بعده وكان حق
التعبير ان يقول واذا تقرر ان كمالاته المشبهة بالمصباح مستمدة منها كمالات غيره المعبر عنها بكل فضل الخ فتأمل (قوله الا ضوءك) بالجر
(قوله فجعل ذلك النور) ومن هنا قال العارف ٢٠ السراج بن الفارض على لسان حضرته صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم

وانى وان كنت ابن آدم صورة
فلى فيه معنى شاهد بأبوتى

(قوله العرش) وقد خلقه الله قبل
القلم كما فى المواهب أى خلق
العرش بعد النور المحمدى (قوله
فخلق من الاول السموات) فى
المواهب زيادة وهى فخلق من
الاول حملة العرش ومن الثانى
الكرسى ومن الثالث بقية
الملائكة ثم قسم الجزء الرابع أربعة
اجزاء فخلق من الاول السموات
الخ (قوله ومن الثالث نور انسهم
الخ) والباقى من نوره بقى حتى
أودع فى صلب آدم عليه الصلاة
والسلام أى بعد ان خلقت منه
أرواح الانبياء كما سيأتى التصريح
به عند قوله أنهم الخ فان أرواحهم
مخلوقة من نوره صلى الله عليه وسلم
وما بقى من النور جعل فى ظهر آدم
الخ فرد (قوله بأربعة عشر ألف
عام) عبارة عن طول الزمن أو من
متطاول قدرت بزمن بلغت ذلك فلا
يقال لا زمن ثم لان الزمن يتحدد
بحركة الفلك وهو لم يخلق (قوله ذلك
النور) أى بعضه كما عرفت (قوله وآدم بين الروح والجسد) فان أريد ان حقيقة آدم هذا الهيكل المخلوق من طين وليس
المنفوخ فيه الروح فمجموعهما هو آدم فما معنى البينية أجيب بأنه مجاز عما قبل تمام خلقه قريبا منه كما يقال فلان بين الصحة
والمرض أى فى حالة تقرب منهما وقال فى النسيم الظاهر انه ظرف زمان بمعنى ان نبوته محكوم بها ظاهرة بين خلق روح آدم وخلق
جسده حيث نبأه فى عالم الارواح واطلعها على ذلك وأمرها بمعرفة نبوته والاقرار بها وهذا المعنى يفيده قوله بين الماء والطين
أى بعدما خلق عناصر غير مركبة ولا منفوخ فيها الروح فهو بمعنى الحديث الذى بمعناه فيكون رواية بالمعنى اذ لم يوجد بهذا
اللفظ قال الشارح فى النعمة الكبرى بمولد سيد أهل الدنيا والاخرى ولفظ كنت نبيا وآدم بين الماء والطين لم يوجد مرويا انتهى

(قوله وليس المراد من ذلك التقدير) أى كما نقله فى المواهب عن الغزالى وقوله بل الاشارة الخ أى كما ذكره التقى السبكى متعقبا به
الغزالى كما قاله فى المواهب أيضا حيث قال فقد تكون الاشارة الى روحه الشريفة أو الى حقيقة من الحقائق والحقائق تقصر
عقولنا عن معرفتها وانما يعلمها خالقها ومن أمده بنور الهى ثم ان تلك الحقائق يؤتى الله كل حقيقة منها ما يشاء فى الوقت الذى
يشاء فحقيقة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قد تكون من قبل خلق آدم آتاها الله ذلك الوصف بان يكون خلقها متهيئة لذلك
وأفاضه عليها من ذلك الوقت فصار نبيا وكتب اسمه على العرش وأخبر عنه بالرسالة ليعلم ملائكته وغيرهم كرامته عنده فحقيقته
موجودة من ذلك الوقت وان تأخر جسده الشريف المتصف بها واتصاف حقيقته بالاوصاف الشريفة المفاضة عليها من
الحضرة الالهية وانما يتأخر البعث والتبليغ وكل ماله من جهة الله ومن جهة تأهل ذاته الشريفة وحقيقته معجل لا تأخر فيه
وكذلك استنباؤه وايتاؤه الكتاب والحكم والنبوة وانما المتأخر تكونه وتنقله الى ان ظهر صلى الله عليه وسلم وقد علم من هذا ان
من فسره بعلم الله تعالى بانه سيصير نبيا لم يصل لهذا المعنى لان علم الله محيط بجميع الاشياء ووصف النبى صلى الله عليه وسلم
بالنبوة فى ذلك الوقت ولو كان المراد بذلك مجرد العلم بما سيصير فى المستقبل لم يكن له خصوصية بانه نبى وآدم بين الروح والجسد لان
جميع الانبياء يعلم الله تعالى نبوتهم فى ذلك الوقت وقبله فلا بد من خصوصية ٢١ للنبى صلى الله عليه وسلم لاجلها

وليس المراد من ذلك التقدير لان غيره كذلك بل الاشارة الى كون روحه العلية ثبت لها
ذلك الوصف دون غيرها فى عالم الارواح اذ ورد ان الارواح خلقت قبل الاجساد بالفى
عام وفى حديث عبد الرزاق السابق تأييد لما قيل انه تعالى لما خلق نور نبيه محمد صلى الله
عليه وسلم أمره ان ينظر الى نور الانبياء عليهم الصلاة والسلام فغشيهم من نوره ما أنطقهم
الله به وقالوا يا ربنا من الذى غشينا نوره فقال هذا نور محمد بن عبد الله ان آمنتم به جعلتكم
انبياء قالوا آمنا به وبنبوته فقال الله تعالى اشهد عليكم قالوا نعم فذلك قوله تعالى واذ أخذ
الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة الى قوله من الشاهدين وفى هذه الآية
كما قاله التقى السبكى من التنويه بقدره العلى ما لا يخفى وفيها مع ذلك انه على تقدير مجيئه
يكون مرسلا اليهم والى اممهم فتكون رسالته عامة لجميع الخلق فهو نبى الانبياء عليهم
الصلاة والسلام ولذا يكونون كلهم يوم القيامة تحت لوائه صلى الله عليه وسلم
• واستعارة المصباح للفضل المبنى على تشبيه بمصباح يحتاج الناس الى دخوله

اخبر بهذا الخبر اعلاما لامته
ليعرفوا قدره عند الله تعالى (قوله
بل الاشارة الخ) ما المانع من
تحقق النبوة والرسالة لروحه
الشريفة حينئذ بان خلقت قبل
الارواح ثم أمرت بان تأمر
الارواح بامور شرعها الله لها
حينئذ أو بان تخبرها بما يتعلق بها
من الاحكام بعد خلق الاجساد
بشروطه وهذا بعث وارسال
فليتأمل ابن قاسم (قوله بالفى
عام) وروى باربعة آلاف اه ابن
قاسم (قوله لما خلق نور نبيه الخ) قضية هذا ان نور الانبياء مخلوق قبل نور نبينا صلى الله عليه وسلم المعلوم ومعلوم من ان تعلق الحكم
على الشئ يستدعى وجوده قبله ويمكن الجواب بان المراد لما كمل خلق نبينا بافاضة الكمالات والنبوة عليه أمره الخ وهو
يقتضى تأخر ذلك عن خلق انوار الانبياء وهو لا ينافى تقدم خلق نوره على سائر الموجودات كما مر أو ان المراد انه لما خلق نوره
اخرج منه أنوار بقية الانبياء ثم أمره بذلك ولو قيل افاضة النبوة على ذلك النور لكن الاول ارفق بقوله آمنا به وبنبوته اذ المتبادر
افاضة النبوة عليه بالفعل انتهى ع ش على المواهب (قوله أمره) أى النور اى بعد ان جعله صورة روحانية على صورته صلى الله
عليه وسلم وكذا يقال فى قوله الى نور الانبياء (قوله واذ أخذ الله الخ) سيأتى للشارح فى شرح قول الناظم ما مضت فترة البيت
ما ينبغى مراجعته لانه وضح ما هنا فراجعه ان شئت (قوله على تقدير مجيئه) أى فى زمنهم (قوله واستعارة المصباح) أى واثبات
المصباح الخ أى لان اثبات المصباح للفضل هو التخييلية وتشبيه الفضل بالبيت هو المكنية على أحد المذاهب تأمل (قوله
يحتاج الناس الى دخوله) عبارة البلى فشبه فضله صلى الله عليه وسلم على طريقة الاستعارة التصريحية بالضوء بجامع الانتفاع
اذ كل فضيلة كالعلم يهتدى بها ويستضاء فيوصل الى الحق ويفرق بينه وبين الباطل كما ان الضياء يدرك المطلوب ويفصل بين
الاشياء بعد تشبيهه صلى الله عليه وسلم لاستمداد كل فضل من افضاله بمصباح تستمد منه الاضواء على اسلوب جعل المشبه

على المشبه وهو كما في الكشاف عند محقق علماء البيان يسمى تشبيها بليغا فالمراد الظاهر جعل المشبه عين المشبه به كونا محمولا على وجه ينبئ عن التشبيه اما اذا ذكر محمولا بطريق لا ينبئ عنه فيكون استعارة لانها وان كانت مبنية على التشبيه مبنية ايضا على تناسيه سواء اذكر الطرفان او احدهما كما هو الغالب ومن ثم قال في المفتاح ان التمرين في قوله قد زرا زراره على القمر استعارة اي تحقيقية مجردة لاقترانها بما يلائم المشبه ومنه قوله صلى الله عليه وسلم السلطان تشبيها لدماوهو يسمى فحمهما اذ ناهم وهو محمول على من سواهم لو وردت على وجه لا ينبئ عن التشبيه لعدم حسن دخول اداة التشبيه على المشبه به اذ لا يحسن ان يقال هم كيد (قوله جعل الشمس ضياء) اي ذات ضياء او مضيئة او نفس الضياء مبالغة كما يقال في نور (قوله غالبا) فيه ان ذو لا تقطع عن الاضافة بما فكان الظاهر حذف قوله غالبا تامل (قوله فقالوا ذاتي) وصفات ذاتية (قوله وكما في قول خبيب) هو من الصحابة صلب على خشبة بمكة فانشد وهو مصلوب

ولست ابالي حين اقتل مسلما ● على اي جنب كان في الله مصرعي

وذلك في ذات الاله وان يشأ ● يبارك على اوصال شلو ممزع ٢٣

الشلو بكسر الشين وسكون اللام هو العضو والاوصال المفاصل (قوله في ذات الاله) اي في طاعة الله وسبيل الله انتهى كرماني (قوله العلوم) هي هنا المعلومات لانها التي على الله على الله عليه وسلم دون الادراك على ما يأتي واما العلم بمعنى الصفة المذكورة وبمعنى الادراك الجازم المذكور فلا يختص ذلك بالنبي صلى الله عليه وسلم فقول الشارح وهو هنا الخ فيه شيء فليتأمل (قوله لا يقال لله عارف) وفي شرح الورقات لابن امام الكاملية انه ورد اطلاق العارف على الله انتهى ولعله لم يصح لكون المشهور خلافه (قوله لانها تستدعي الخ) وخص بعضهم العلم بادراك المركبات والكليات والمعرفة بادراك البسائط والجزئيات وقيل المعرفة تقال للادراك المسبوق بالعدم او للاخير يشاهد من الادراكين المتعلقين بشيء بعد تخلل العدم بينهما بان وقع الادراك به ثم الذهول عنه ثم الادراك والعلم الادراك المجرد عن هذين الاعتبارين ولذا يقال في الله عالم ولا يقال عارف (قوله ان اليقين خاص) قال التفتازاني في حاشية المطول واليقين العلم بزوال الشك ولهذا لا يوصف به الباري (قوله حال كونها) اي العلوم (قوله في الروع) هو بضم الراء القلب ويسمى التلوف (قوله من عالم الغيب) قال بعضهم الذي هو فرد من مسمى العالم الذي هو كل جنس مما يعلم به الصانع ذو العلم ام لا كالملائكة والطبائع المختصة وطبيعته يقال عالم الانس وعالم الجن وعالم الملك وعالم الملكوت وعالم الافلاك وعالم النبات وعالم الشهادة وعالم الغيب انتهى وقوله في صدر الترجمة الذي هو الخ يفيد انه عالم بفتح اللام وفي الشرح ما يفيد انه بكسر ها حيث قال فيفيض من عالم والاول هو الرواية ويمكن في فتح اللام تقدير فيض يعني من عالم الغيب الفائض اي الكثير وفي قول الشارح خالكل من عالم الشهادة ما يؤيد الرواية فتأمل

وصرح فيه استعارة بالكناية يتبعها استعارة تخييلية والنور الذي هو اعلى من النور بدليل جعل الشمس ضياء والقمر نورا والصفات الكمال استعارة مصرحة بجامع ان كلا من النورين المعنوي والحسي يهدى الى المقصود وايضا الكمالات الدينية تنور الظاهر والباطن (ان) لاشتراك (ذات) اصلها مؤنث ذو والمقتضية لموصوف والملازمة للاضافة غالبا كرجل ذي مال ثم استعملوها استعمال الاسماء المستقلة فقالوا ذات قديمة ونسبوا اليها فقالوا ذاتي وقد تستعمل بمعنى نفس الشيء وحقيقته كما هنا وكما في قول خبيب رضي الله تعالى عنه وذلك في ذات الاله (العلوم) جمع علم وهو هنا صفة ينجلي بها المذكور لمن قامت به انجلاء تاما او الادراك الجازم الذي لا يحتمل النقيض وسيجيء حدود اخرى كلها مدخولة ايضا وترادفها المعرفة لكن لا يقال لله تعالى عارف لانها تستدعي سبق جهل بخلاف العلم واليقين لكن فرق بينهما بعض المحققين بان اليقين خاص بعلم من شأنه ان يتطرق اليه الشك فلا يقال تيقنت ان الواحد نصف الاثنين وقال الراغب اليقين من صفة العلم فوق المعرفة والدراية واخواتهما يقال علم اليقين ولا يقال معرفة اليقين وهو سكون النفس مع ثبات الحكم حال كونها واصلة اليك على لسان الملك او بالالقاء في الروع او بخلق العلم الضروري او بسماع الكلام النفسي (من) فيض (عالم الغيب) مصدر وصف به للمبالغة بمعنى اسم الفاعل اي الغائب وهو عالم

(قوله بمعنى المعلومات) ربما يشير بذلك الى ان فى كلام الشارح استخداما فان الضمير راجع الى العلوم بغير هذا المعنى كما أشار الى ذلك الشارح سابقا وقد علمت ما فيه (قوله بالسكون) أى الدال وبالفتح أى فتحها واما الهمزة فهى مضمومة فيهما (قوله وادبم الارض الخ) لانه خلق منه كما فى حديث فخرجت ذريته على ألوان الارض وطباعها فمنهم الابيض والاسود والاحمر والسهل بفتح فسكون أى الرفق واللين والحزن بفتح فسكون أى العنف والغلظة والطيب والخبيث فمن سهلها سهل الخلق ومن حزنها شقته ومن طيبها المؤمن الذى هو تقع كلامه ومن خبيثها الكافر الذى هو ضرر وقال وهب خلق الله رأس آدم من الارض الاولى وعنقه من الثانية وصدره من الثالثة ويديه من الرابعة وبطنه من الخامسة وعجزته ومذاكيره من السادسة وساقه وقدميه من السابعة وعن ابن عباس رضى الله عنهما ان طينة آدم من ست ارضين وأكثرها من السادسة وليس فيها من السابعة شئ لان فيها نار جهنم وروى عنه انه قال خلق من أقاليم الدنيا فرأسه من تربة الكعبة وصدره من الدهنا وظهره وبطنه من تربة الهند ويداه من تربة المشرق ورجلاه من تربة المغرب وكان طوله ستين ذراعا وعاش ألف سنة وذكر بعض الأئمة انه ورد ان الله لما أراد خلق آدم أمر جبريل ان يأتى بالقبضة البيضاء التى هى قلب الارض فهبط فلما أراد قبضها أقسمت عليه الارض فقالت بالذى أرسلك لاتقبض منى ما يخلق منه من يصيبه فوق ظهرى غير قبضها فارسل لها ميكائيل فحصل مثل ذلك فارسل لها اسرافيل فحصل مثل ذلك فارسل لها عزرائيل فلما أقسمت عليه قال لها اطاعة ربى خير من طاعتك ثم هز الارض فاختلط بعضها ببعض ثم قبض من ترابها الوانا مختلفة فقال له الله تعالى من قبض شيأ فعليه تسليمه فانت قابض الارواح ونازعها من الاشباح ثم أمر الله الملائكة بعجن التراب بماء الرحمة فلم يلتئم فقال صبوا عليه من ماء الحزن فصبوا عليه فانعجن فقال تعالى قد سبق فى علمى أنه وذريته يعيشون فى الدنيا فى حزن فمن صبر واطاعنى فله الجنة ومن لم يصبر على قضائى وعصانى انتقل من حزن الى حزن اكبر منه ثم خمرت اربعين سنة قبل أن يصور بشرا فتفصلت من الطين فصلصله صورها الله فخلقه ثم أوقع روحه بين يديه سبحانه وأمرها بالدخول من يافوخه فاستضيقته فقال لها ادخلى كرها واخرجى كرها فلما وصلت الى انفه عطس فلما وصلت الى فمه الهمه الله ان يقول الحمد لله رب العالمين فقال له الله يرحمك ربك يا آدم ولذلك حتى خلقتك ثم وصلت لسرته فنظر الى سرادق العرش فرأى مكتوبا بيد القدرة لا اله الا الله محمد رسول الله فقال ومن محمد يارب فقال تعالى خاتم الانبياء سيد أولادك لولاه ما خلقتك فقال آدم اشهدك انى أقول لا اله الا الله محمد رسول الله فلما وصلت الروح الى قدميه نهض ليقوم عريانا فمنع وألبس ثوبا ولباسا وتاجا وعمامة ولما نفخت فيه الروح كان نور النبى فى ظهره فصارت الملائكة خلفه صفوفا متعجبين من ذلك النور فسأل الله ان يجعله فى مقدمه لتستقبله الملائكة فجعله فى جبهته فسأل الله أن يجعله فى محل يراه فكان فى سبابته فسأل ربه هل بقى =

يشاهد لكن بالنسبة الينا واما بالنسبة اليه تعالى فالكل من عالم الشهادة لا المغمول اى المغيب خلافا لمن زعمه لان غاب لازم وخص بالذكر على حد قوله تعالى عالم الغيب فلا يظهر على غيبه احدا الآية لان العلم به اتم واظهر ولانا كثر علوم نبينا صلى الله عليه وسلم تتعلق بالمغيبات بدليل فعلمت علم الاولين والآخرين فى الحديث المشهور ولانه تعالى اختص به لكن من حيث الاحاطة والشمول العامة للكليات والجزئيات فلا ينافى ذلك اطلاع الله تعالى لبعض خواصه على كثير من المغيبات حتى من الخمس التى قال النبى صلى الله عليه وسلم فى خمس لا يعلمهن الا الله تعالى لانها جزئيات معدودة لا غير وانكار المعتزلة لذلك مكابرة فقد وقع للانبياء عليهم الصلاة والسلام والاولياء من ذلك ما لا يمكن عده لاسيما ما وقع لنبينا صلى الله عليه وسلم وسيأتى بسط جملة مما اخبر به صلى الله عليه وسلم من المغيبات فى شرح قوله وكم اخرج خبأة الغيوب خبأه وجملة مما يتعلق بانكار المعتزلة اواخر الكتاب (ومنها) اى العلوم بمعنى المعلومات وهو متعلق بالاسماء (لآدم) ابى البشر صلى الله عليه وسلم وأصله أأدم لكنهم لينوا الهمزة الثانية تخفيفا وجعلوها فى التصغير واوا فقالوا أويدم سمى به لخلقه من الادمة بالسكون أو الفتح أو من أديم الارض كما صح عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما وورد عن على وابن مسعود رضى الله عنهما وادبم الارض ظاهر وجهها والادمة السمرة وهو مراد من قال لون يقارب السواد ومن قال

يشبه التراب واستشكل بما ورد من براعة جماله وان يوسف صلى الله عليه وسلم كان على الثلث من جماله وقد يجاب بان الجمال لا ينافي السمرة لانها بين البياض والحمرة قيل اشتقاقه بما ذكر يؤيد القول بانه عربي وبه صرح الجواليقي وغيره ورد بان توافق اللغتين غير منكر وبانه لا دليل على ان الاشتقاق من خواص كلام العرب وأجيب بان الاصل عدم التوافق وبان الوجه ان الاشتقاق خاص بكلام العرب فقد اطبقوا على ان التفرقة بين اللفظ العربي والعجمي بصحة الاشتقاق وصح خبر ان آدم كان يتكلم بكل لسان ولكن الغالب انه كان يتكلم بالسرياني (الاسماء) مبتدأ مؤخر جمع اسم وهو هنا ما دل على معنى فيشمل الفعل والحرف أيضا واحتاج الناظم الى هذا التفصيل مع العلم به مما قبله لان آدم ميزه الله تعالى على الملائكة بالعلوم التي علمها له وكانت سببا لامرهم بالسجود والخضوع له بعد استعلائهم عليه بنفيه ومدحهم انفسهم بقولهم أتجعل فيها من يفسد الخ فربما يتوهم ان هذه المرتبة الباهرة لم تحصل لنبينا صلى الله عليه وسلم اذ قد يوجد في المفضول ما ليس في الفاضل فرد ذلك التوهم ببيان ان آدم عليه الصلاة والسلام لم يحصل له من العلوم الا مجرد العلم باسمائها وان الحاصل لنبينا صلى الله عليه وسلم هو العلم بحقائقها ومسمياتها ولا ريب ان العلم بهذا أعلى واجل من العلم بمجرد اسمائها لانها انما يؤتى بها لتبيين المسميات فهي المقصودة بالذات وتلك بالوسيلة وشتان ما بينهما وتقرير ذلك ان المقصود من خلق آدم صلى الله عليه وسلم انما هو خلق نبينا صلى الله عليه وسلم من صلبه فهو المقصود بطريق الذات وآدم بطريق الوسيلة ومن ثم قال بعض المحققين انما سجد الملائكة لاجل نور محمد صلى الله عليه وسلم الذي في جبينه ثم ما سلكه الناظم من ان آدم انما علم أي باحد الطرق السابقة آنفا الاسماء فقط أي الالفاظ الموضوعة بازاء الاعيان والمعاني هو الوارد عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما وعليه فقيل علم الاسماء الموضوعة بكل لغة وعلمها أولاده فلما افترقوا في البلاد وكثروا اقتصر كل قوم على لغة وهذا يقوي ما هو الاصح في الاصول ان اللغات كلها توقيفية وقيل انما علم لغة واحدة لان الحاجة لم تدع الا اليها واما بقية اللغات فبالوضع ويقابل ما سلكه الناظم قولان احدهما انه انما علم مدلولاتها لان المزية في العلم انما تحصل بمعرفة مقاصد المخلوقات ومنافعها لا بمعرفة ان اسماءها كذا وكذا قال بعض المحققين وهذا وان قرب من المعنى فهو بعيد من اللفظ أي لان قوله باسماء هؤلاء وما بعده ظاهر أو صريح في الاسماء فقط ومعنى ثم عرضهم أي الاعيان لانها التي تعرض دون الاسماء انها ابرزت اليهم ليخبروا باسمائها ولا تأييد فيه لكون العلم بالمسميات خلافا لمن زعمه ثانيهما وهو الذي سلكه صاحب الكشاف انه علم الامرين معا جامعا بين مقتضى اللفظ والمعنى • ولما ذكر شرف هذا النور قبل ظهوره صلى الله عليه وسلم بما يبهر العقول انتقل الى ذكر نسبه كذلك فقال مستأنفا (لم تزل) حال كونك (في ضمائر الكون) أي الوجود وضمائره

منقش في ظهري فقال ثم نور انضماء اصحابه فقال يا رب اجعله في بقية اصابعي فكان نور الاربعة في اصابعه الاربع (قوله انما سجد الملائكة الخ) قال عمر ابن عبد العزيز لما امرت الملائكة بالسجود لآدم كان اول من سجد منهم اسرافيل فجازاه ان كتب القرآن في جبهته انتهى من البداية لابن كثير (قوله فبالوضع) أي بمن الهمهم الله وضع تلك اللغات

مستودعاته انتقل من الاصلاب والارحام (تختار) أى تصطفى (لك الامهات) جمع أم وهى الوالدة وان علت واصلها امهة بجمعه على أمهات وقيل أمهات للآدميات وأمات لغيرهن (والآباء) جمع أب واصله ابو بالتحريك حذفت واوه تخفيفا أى كما طابت ذاتك بما اوتيته من الكمال الاعلى كذلك طاب نسبك فلم يكن فى امهاتك من لدن حواء الى امك آمنة ولا فى آبائك من لدن آدم الى ابيك عبد الله الامن هو مصطفى مختار وشاهد ذلك حديث البخارى بعثت من خير قرون بنى آدم قرنا فقرنا حتى كنت من القرن الذى كنت منه وحديث مسلم ان الله اصطفى كنانة من ولد اسمعيل واصطفى قريشا من كنانة واصطفى من قريش بنى هاشم واصطفانى من بنى هاشم وحديث الترمذى بسند حسن ان الله تعالى خلق الخلق فجعلنى فى خير فرقهم ثم تخير القبائل فجعلنى فى خير قبيلة ثم تخير البيوت فجعلنى من خير بيوتهم فانا خيرهم نفسا أى روحا وذاتا وخيرهم بيتا أى اصلا وحديث الطبرانى ان الله اختار الخلق فاختار منهم بنى آدم ثم اختار من بنى آدم فاختار منهم العرب ثم اختارنى من العرب فلم أزل خيارا من خيار ألا من احب العرب فبحبى أحبهم ومن ابغض العرب فببغضى ابغضهم * واعلم ان آدم عليه الصلاة والسلام ولد له من حواء أربعين ولدا فى عشرين بطنا الا شيثا وصيه فانه ولد منفردا كرامة لكون نبينا صلى الله عليه وسلم من نسله ثم لما توفى وصى بنيه بوصية أبيه أن لا يضع هذا النور الذى كان بجبهة آدم ثم انتقل الى شيث الا فى المطهرات من النساء ولم تزل هذه الوصية معمولا بها فى القرون الى أن وصل ذلك النور الى جبهة عبد المطلب ثم ولده عبد الله وطهر الله تعالى هذا النسب الشريف من سفاح الجاهلية كما ورد فى الاحاديث كحديث فى سنن البيهقى ما ولدنى من سفاح الجاهلية شئ ما ولدنى الا نكاح الاسلام وسفاحهم بكسر السين زناهم كانت المرأة منهم تسافح الرجل مدة ثم يتزوجها وروى ابن سعد وابن عساكر عن محمد بن السائب بن الكلبى عن أبيه قال كتبت للنبى صلى الله عليه وسلم مائة ام فما وجدت فيهن سفاحا ولا شيأ مما كان فى أمر الجاهلية * والطبرانى وابو نعيم وابن عساكر خرجت من نكاح ولم اخرج من سفاح من لدن آدم الى ان ولدنى ابى وأمى ولم يصبنى من سفاح الجاهلية شئ * وابو نعيم لم يلتق ابواى قط على سفاح ولم يزل الله تعالى ينقلنى من الاصلاب الطيبة الى الارحام الطاهرة مصفى مهذبا لا تتشعب شعبتان الا كنت فى خيرهما * وابن مردويه قرأ صلى الله عليه وسلم لقد جاءكم رسول من انفسكم أى بفتح الفاء وقال انا انفسكم نسبا وصهرا وحسبا ليس فى آبائى من لدن آدم سفاح كلنا نكاح * (تنبيه) * لك ان تأخذ من كلام الناظم الذى علمت ان الاحاديث مصرحة به لفظا فى اكثره ومعنى فى كله ان آباء النبى صلى الله عليه وسلم غير الانبياء وامهاته الى آدم وحواء ليس فيهم كافر لان الكافر لا يقال فى حقه انه مختار ولا كريم ولا طاهر بل نجس كما فى آية

(قوله من خير قرون) قال الهروى فى غريبه القرن كل طبقة مقترنين فى وقت ومنه قيل لاهل كل مدة بعث فيها نبى قلت السنون أو كثرت قرن ومنه الحديث خيركم قرنى يعنى اصحابى ثم الذين يلونهم يعنى التابعين باحسان واشتقاقه من الاقتران وقيل القرن ثمانون سنة وقيل أربعون وقيل القرن مائة سنة دل على ذلك ما روى فى الحديث انه مسح رأس غلام فقال عش قرنا فعاش مائة سنة (قوله أربعين ولدا) مقتضى قوله الا شيثا ان يقول تسعة وثلاثين ويزيد بعد قوله بطنا كل بطن اثنين الا الخ تأمل (قوله الا شيثا) قال النووى الفصيح صرفه ويجوز تركه وكذا كل اعجمى ثلاثى ساكن الوسط انتهى قال السيد النسابة فى شرح منظومة ابن العماد دفن شيث فى غار أبى قبيس مع ابيه آدم عليهما الصلاة والسلام (قوله وسفاحهم) قال ابن الاثير فى النهاية مأخوذ من سفحت الماء اذا صببته ودم مسفوح أى مراق (قوله مائة أم) كذا فى نسخة المؤلف وفى بعض النسخ خمسمائة قال العلامة الزرقانى فى شرح المواهب وقدمت الجواب عن استشكاله بان أمهاته لا تبلغ ذلك بان مراده الجدات وجدات الجدات من قبل الابوين انتهى وقال التلمسانى فى شرح الشفاء هذا العدد والله اعلم يرجع الى امه عليه الصلاة والسلام وام أبيه وأم كل اصل من الطرفين من جهة الآباء والامهات انتهى (قوله نسبا) قال العزيزى يعنى قرابة النسب وصهر النكاح انتهى تلمسانى على الشفاء

انما المشركون نجس وقد صرحت الاحاديث السابقة بانهم مختار ون وان الآباء كرام والامهات طاهرات وايضا فهم الى اسمعيل كانوا من اهل الفترة وهم فى حكم المسلمين بنص الآية الآتية وكذا من بين كل رسولين وايضا قال تعالى وتقلبك فى الساجدين على أحد التفاسير فيه ان المراد تنقل نوره من ساجد الى ساجد وحينئذ فهذا صريح فى ان ابوى النبى صلى الله عليه وسلم آمنة وعبد الله من اهل الجنة لانهما اقرب المختارين له صلى الله عليه وسلم وهذا هو الحق بل فى حديث صححه غير واحد من الحفاظ ولم يلتفتوا لمن طعن فيه أن الله تعالى احياهما له فآمنا به خصوصية لهما وكرامة له صلى الله عليه وسلم فقول ابن دحية يرده القرآن والاجماع ليس فى محله لان ذلك ممكن شرعا وعقلا على جهة الكرامة والخصوصية فلا يرده قرآن ولا اجماع وكون الايمان به لا ينفع بعد الموت محله فى غير الخصوصية والكرامة وقد صح انه صلى الله عليه وسلم ردت عليه الشمس بعد مغيبها فعاد الوقت حتى صلى على رضى الله تعالى عنه العصر اداء كرامة له صلى الله عليه وسلم فكذا هنا وطعن بعضهم فى صحة هذا مما لا يجدى أيضا وخبر انه تعالى لم يأذن لنبيه صلى الله عليه وسلم فى الاستغفار لامه اما كان قبل احيائها له وايمانها به أو ان المصلحة اقتضت تأخر الاستغفار لها عن ذلك الوقت فلم يؤذن له فيه حينئذ ❊ فان قلت اذا قررتم انهما من اهل الفترة وانهم لا يعذبون فما فائدة الاحياء قلت فائدته اتحافهما بكمال لم يحصل لاهل الفترة لان غاية أمرهم انهم الحقوا بالمسلمين فى مجرد السلامة من العقاب واما مراتب الثواب العلية فهم بمعزل عنها فاتحفا بمزية الايمان زيادة فى شرف كمالهما لحصول تلك المراتب لهما وفى هذا مزيد ذكرته فى الفتاوى ولا يرد على الناظم آزر فانه كافر مع ان الله تعالى ذكر فى كتابه العزيز انه ابو ابراهيم صلى الله عليه وسلم وذلك لان اهل الكتابين اجمعوا على انه لم يكن اباه حقيقة وانما كان عمه والعرب تسمى العم ابا بل فى القرآن ذلك قال تعالى واله آبائك ابراهيم واسمعيل مع انه عم يعقوب بل لو لم يجمعوا على ذلك وجب تاويله بهذا جمعا بين الاحاديث واما من اخذ بظاهره كالبيضاوى وغيره فقد تساهل واستروح وحديث مسلم قال رجل يارسول الله اين ابى قال فى النار فلما قفا دعاه قال ان ابى واباك فى النار يتعين تاويله واظهر تاويل له عندى انه اراد بابيه عمه ابا طالب لما تقرر ان العرب تسمى العم ابا وقرينة المجاز فيه الآية الشاهدة بخلافه على اصح محاملها عند اهل السنة وان عمه الذى كفله بعد جده عبد المطلب وامه انما قصد بذلك ان يطيب خاطر ذلك الرجل خشية ان يرتد لوقوع فى نفسه اولا أن اباه فى النار بدليل انه انما قاله له بعد ان ولى او كان ذلك قبل ان ينزل عليه وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا كما وقع له انه صلى الله عليه وسلم سئل عن اطفال المشركين فقال هم من آبائهم ثم سئل عنهم فذكر انهم فى الجنة واما قول النووى رحمه الله تعالى فى حديث مسلم ان من مات فى الفترة على ما كانت عليه العرب من عبادة الاوثان فهم فى النار وليس فى هذا

(قوله فى الاستغفار لامه) ما وجه المنع من الاستغفار قبل ذلك مع الحكم عليهم انهم فى حكم المسلمين وانهم غير معذبين انتهى طبلاوى ولعل وجه المنع انه لم ينزل عليه قوله تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا فكان قبل علمه بان اهل الفترة غير معذبين كما سيأتى الجواب بذلك فى الشارح عن نظير ذلك (قوله أو انه انما قصد الخ) ان كان مراده بهذا ان المراد ابو النبى حقيقة ففيه نظر ظاهر لان مجرد مراعاة تطييب خاطره خشية ما ذكر مع علمه بانه ناج من النار لا يجوز ذلك فكان الظاهر ان يجعل ذلك عذر الارتكاب ذلك المحذور من رسول الله وقصده بذلك الخ تأمل (قوله قبل ان ينزل الخ) أى و قبل احيائها والايمان به (قوله من آبائهم) فى حكمهم مع آبائهم

مؤاخذة قبل بلوغ الدعوة فان هؤلاء قد بلغتهم دعوة ابراهيم وغيره عليهم الصلاة والسلام انتهى فبعيد جدا للاتفاق على ان ابراهيم ومن بعده لم يرسلوا للعرب ورسالة اسمعيل اليهم انتهت بموته اذ لم يعلم لغير نبينا صلى الله عليه وسلم عموم بعثته بعد الموت وقد يؤول كلامه بحمله على عباد الاوثان الذين وردفيهم انهم فى النار وبهذا يرد كلام الفخر الرازى القريب من كلام النووى ثم رأيت الابى شارح مسلم بالغ فى الرد على النووى بان كلامه مستاف لحكمه عليهم بانهم اهل فترة وبأن الدعوة بلغتهم ومن بلغتهم الدعوة ليسوا اهل فترة لانهم الامم الكائنة بين ازمنة الرسل الذين لم يرسل اليهم الاول ولا ادركوا الثانى ثم قال ولما دلت القواطع على أن لا تعذيب حتى تقوم الحجة علمنا ان اهل الفترة غير معذبين انتهى وهو موافق لما ذكرته وما احسن قول بعض المتوقفين فى هذه المسئلة الحذر الحذر من ذكرهما بنقص فان ذلك قد يؤذيه صلى الله عليه وسلم لخبر الطبرانى لا تؤذوا الاحياء بسب الاموات انتهى واما الذين صح تعذيبهم مع كونهم من اهل الفترة فلا يردون نقضا على ما عليه الاشاعرة من اهل الكلام والاصول والشافعية من الفقهاء من ان اهل الفترة لا يعذبون وسبب ذلك انا عهدنا فى الغلام الذى قتله الخضر انه حكم بكفره مع صباه لامر يعلمه الله تعالى وحده فكذا هؤلاء يحكم بكفرهم بخصوصهم وان لم تبلغهم الدعوة لامر يعلمه الله تعالى ورسوله فلا يرد هؤلاء نقضا على ما استفيد من الآية ومشى عليه اولئك الائمة ان اهل الفترة لا يعذبون وهذا الذى ذكرته فى الجواب اولى من الجواب بان احاديثهم أخبار آحاد فلا تعارض القطع بان اهل الفترة لا يعذبون او بان التعذيب المذكور فى الاحاديث مقصور على من بدل او غير من اهل الفترة بما لا يعذر به كعبادة الاوثان وتغيير الشرائع وكأن قائل هذا ممن يرى وجوب الايمان بالعقل والذى عليه اكثر اهل السنة والجماعة انه لا يجب توحيد ولا غيره الا بعد ارسال الرسل اليهم ومن المقرر ان العرب لم يرسل اليهم رسول بعد اسمعيل صلى الله عليه وسلم وان اسمعيل انتهت رسالته بموته عليه الصلاة والسلام فلا فرق بين من غير و بدل وغيره ما عدا من صح تعذيبه فيقصر ذلك عليه لانه لا قياس فى ذلك وقول ابى حيان ان الرافضة هم القائلون ان اباء النبى صلى الله عليه وسلم مؤمنون مستدلين بقوله تعالى وتقلبك فى الساجدين فلك رده بان ابا حيان انما يرجع اليه فى علم النحو وما يتعلق به واما المسائل الاصولية فهو عنها بمعزل كيف والاشاعرة ومن ذكر معهم فيما مر آنفا على انهم مؤمنون فنسبة ذلك للرافضة وحدهم مع ان هؤلاء الذين هم ائمة اهل السنة قائلون به قصور واى قصور وتساهل واى تساهل (ما مضت فترة) وهى ما بين موت الرسول وبعثة الرسول الذى يليه كما بين عيسى ونبينا صلى الله عليه وسلم واختلفوا فى قدرها والمشهور انه ستمائة سنة اى زمن خال (من الرسل) جمع رسول ومر تعريفه اول الكتاب اى ما مضى زمن خال من الرسل نبى فيه ذكرك (الا) جددته و(بشرت) من البشارة وهى الخبر السار (قومها) ليس فيه اضمار قبل الذكر لان مرجع

بقوله فان هؤلاء كانت بلغتهم دعوة ابراهيم وغيره من الانبياء لا ينافى فرض الكلام فى الفترة فانه ليس المراد دعوة ابراهيم وغيره لهم بل لغيرهم فهم اهل فترة اذ لم يدعهم رسول فلا يؤاخذون على المعاصى لكنهم يعذبون على عبادة الاوثان لانهم بلغتهم دعوة ابراهيم وغيره بالمنع منها وان كانت الدعوة لغيرهم لان المنع منها لما اتفقت الانبياء عليه ثبت فى حق كل أحد وان لم يكن مدعوا منهم ومنشأ الوهم انه فهم ان المراد دعوة ابراهيم وغيره لهم وهو غلط كما تقرر انتهى سم (قوله وقول ابى حيان) أى فى البحر (قوله بان ابا حيان الخ) هذا لا يحوج الى الوقيعة فى أبى حيان فان نسبته ذلك للرافضة غير ضار وكأنه ترك النقل عن غيرهم عن ذكر لم يشتهر به لنص القرآن وكيف يقال مثل ذلك فى أبى حيان مع تفسيره القرآن التفاسير العديدة ومعلوم ان التفسير يحتاج لعلوم كثيرة من اصول وغيرها فكيف يكون عن الاصول بمعزل (قوله آنفا) بمد الهمزة والنصب على الظرفية أى اول وقت يقرب منى وهو الآن انتهى قسطلانى وقيل منصوب على الحال (قوله ما مضت فترة) لو قال ما مضى مرسل من الرسل لكان احسن ليشمل آدم صلى الله عليه وسلم فانه ليس قبله نبى انتهى دونيرى

الضمير الفاعل وهو متقدم الرتبة وان تأخر لفظه على انه يحتمل على بعد ان الضمير للفترة اى الابشرت الاقوام الكائنين فى تلك الفترة (بك) اى بقرب بعثتك وبأمر رسالتك وعظمتك (الانبياء) اى الرسل الذين اتوا بعد تلك الفترة وهذا الاستدلال واضح على كمال شرفه صلى الله عليه وسلم ورفعته على السنة الرسل وانه نبى الانبياء المقدم عليهم التابعون له هم واممهم وشاهد ذلك قول الله عن عيسى صلى الله عليه وسلم ومبشرا برسول يأتى من بعدى اسمه احمد ومن ثم قال صلى الله عليه وسلم انا دعوة ابى ابراهيم أى فى آية ربنا وابعث فيهم رسولا منهم وبشارة عيسى وقوله تعالى واذ اخذ الله ميثاق النبيين اى واممهم وحذف استغناء بذكر المتبوعين عن ذكر الاتباع للمفتوحة موطئة للقسم الذى تضمنه اخذ الميثاق ولتؤمنن به سد مسد جوابه وجواب ما الشرطية ومكسورة اى لاجل ما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم أى وهو محمد صلى الله عليه وسلم لتؤمنن به ولتنصرنه الآية ٭ وقد اختلف المفسرون فيها والذى قاله على وابن عباس رضى الله عنهم وتبعهم الحسن وطاوس وقتادة رحمهم الله انه تعالى اخذ على كل نبى بعثه من لدن آدم الى محمد صلى الله عليه وسلم ان من أدرك محمدا صلى الله عليه وسلم وهو حى ليؤمنن به ولينصرنه ويلزم من هذا ان الانبياء كانوا يأخذون الميثاق من اممهم بأنهم ان ادركوا محمدا صلى الله عليه وسلم آمنوا به ونصروه ودعوى أن هذا هو معنى الآية دون الاول مردود تولا ينافى الاول العلم بان الانبياء لا يدركون حياته صلى الله عليه وسلم ولا الحكم فى آخر الآية بالفسق على من تولى عن ذلك لان التعليق فى مثل ذلك لا يستلزم الوقوع الا ترى الى قوله تعالى لئن أشركت ليحبطن عملك ولو تقول علينا بعض الاقاويل لأخذنا منه باليمين والمقصود انه لو فرض انه بعث وهم أحياء لزمهم ذلك كان القصد من هاتين الآيتين الفرض والتقدير ايضا ومن ثم قال الامام التقى السبكى دلت الآية على انهم لو أدركوا زمنه صلى الله عليه وسلم كان مرسلا اليهم فتكون نبوته ورسالته عامة لجميع الخلق الانبياء واممهم من لدن آدم عليه السلام الى قيام الساعة وحينئذ يدخلون فى قوله وارسلناك للناس كافة وحكمة أخذ هذا الميثاق على الانبياء اعلامهم وأممهم بانه المتقدم عليهم وانه نبيهم ورسولهم وقد ظهر ذلك فى الدنيا بكونه أمهم ليلة الاسراء ويظهر فى الآخرة بانهم كلهم تحت لوائه وفى آخر الزمان بكون عيسى ينزل حاكما بشريعة محمد صلى الله عليه وسلم دون شريعة نفسه ٭ ثم بين الناظم بعض فوائد تلك البشارات فى تلك الفترات فقال (تتباهى) اى تتفاخر (بك) اى بوجودك (العصور) اى الازمنة الطويلة من لدن آدم الى يوم القيامة وما بعده فكل عصر يفتخر على العصر الذى قبله لوجودك فيه بكمال اعلى مما قبله ولو فى ضمن آبائك لكن اعظمها افتخارا عصر بروزك الى هذا العالم ثم عصر نشأتك ثم عصر رضاعك ثم شق بطنك فتعبدك بحراء وغيره ثم عصر نبوتك ثم عصر رسالتك ثم عصر دعائك الخلق الى دين الله تعالى ثم عصر اقبالهم عليك ثم عصر

(قوله بقرب بعثتك) لو حذف القريب كان احسن فلفظ القرب فيه بعد انتهى دنوشرى (قوله التابعون) نعت مقطوع عن التبعية والا لقال التابعين (قوله وجواب ما الشرطية) أى التى هى مفعول آتيتكم ومن كتاب تفسير لما وآتيتكم ماض أريد به المستقبل والآية مما اجتمع فيه القسم والشرط فالجواب السابق منهما وهو القسم وجواب الشرط محذوف لدلالة جواب القسم عليه فقول الشارح سد مسد جوابه هو جواب القسم فيه نظر ولعله أراد بيان المعنى لا بيان الاعراب والا فالشرط يقتضى جوابا يعمل فيه جزما والقسم ليس كذلك ومحال ان يكون لشئ واحد موضع من الاعراب ولا موضع له (قوله لاجل ما آتيتكم) أى الذى آتيتكموه فالعائد محذوف وكذا من قوله ثم جاءكم أى به أى بتطبيقه (قوله ان هذا) اى اخذ الميثاق على كل نبى دون الامم والاول اخذه على الانبياء والامم (قوله أى تتفاخر) بمعنى تمدح بذكر هذا الامر الجليل الذى لا يدانيه جليل

معارجك ثم عصر هجرتك ثم عصر جهادك ثم عصر مرابالك و بعوثك وفتوحاتك ثم عصر دخول الناس فى دين الله تعالى افواجا ثم عصر حجتك ثم عصر أتباعك على تفاوتهم الى يوم القيامة كما دل عليه الحديث المشهور لاتزال طائفة من امتى ظاهرين فكل عصر من أعصار حياته صلى الله عليه وسلم على ماقبله وبحسب ذلك يكون افتخار ذلك العصر على غيره وكذلك عصر أتباعه بتفاوت مزاياهم المستمدة من مزاياه فيفتخر كل عصر على غيره بحسب ذلك أيضا واعمالهم المتضاعفة له تضاعفا فوق الحصر لان كل عامل يتضاعف له صلى الله عليه وسلم بحسب عمله وكذلك كل واسطة بينه وبينه لانه الدال له كل ومن دل على خير فله مثل اجر فاعله بكل حال يتضاعف له بحسب تضاعف من بعده ويتضاعف النبى صلى الله عليه وسلم بحسب تضاعف الجميع وهذا شئ يقصر عن ادراك كثرته العقل ثم عصر مقامه المحمود وشفاعته العظمى فى فصل القضاء ثم عصر بقية شفاعاته ثم عصر حوضه ثم عصر وسيلته وفضيلته التى يعطاها فى الجنة مما لاتدرك غايته ولا تقتضى نهايته فكل هذه العصور تفتخر وتسمو به بحسب مايقع فيها من كماله لان الازمنة والامكنة تشرف بشرف من يكون فيها ومايكون فيها من المزايا والكمالات ولذا قال بعضهم ان ليلة مولده صلى الله عليه وسلم أفضل من ليلة القدر وهو صحيح لولا النص على خلافه على ان ليلة القدر من خصوصياته فتفضيلها اعلاء لاجله أيضا (وتسمو) اى تعلو وترتفع من سموت وسميت كعلوت وعليت (بك) أى بتلبسها بك مرتبة (علياء) تأنيث الاعلى (بعدها) فى الزمان والعلو مرتبة أخرى (علياء) اى أعلى منها أى إنك فى كل عصر من العصور المذكورة مرتبة أعلى مما قبلها وأعلى منها مابعدها وهكذا الى مالانهاية له ودليل تفاوت مراتبه كما ذكر قوله تعالى وقل رب زدنى علما ولاشك ان علومه ومعارفه متزايدة متفاوتة الى مالا نهاية له وقوله صلى الله عليه وسلم انه ليغان على قلبى فاستغفر الله قال العارف القطب أبو الحسن الشاذلى هذا غين أنوار لاغين أغيار أى لانه صلى الله عليه وسلم كان دائم الترقى فكان كلما توالت أنوار العلوم والمعارف على قلبه ارتقى الى مرتبة أعلى مما هو فيها ورأى ان ماقبلها دونها فيستغفر الله تواضعا طلبا للتزايد كماله وفى قول الناظم وتسمو الخ من المدح مالايخفى عظيم وقعه لانه جعل تلك المراتب هى التى تسمو وترتفع به ولم يجر على ماهو المتبادر أنه الذى يسمو ويرتفع بها لما هو الحق انه تعالى خلقه فى عالم الامر على أكمل كمال لم يمكن ان يوجد لمخلوق ثم ابرزه فى عالم الخلق متدرجا فى تلك المراتب لتتشرف به لا ليتشرف هو بها لما علمت انه كامل قبلها فتأمل ذلك فانه دقيق غفل عنه الشارح رحمه الله

(قوله ليغان) قال فى المختار غين على كذا غطى عليه ومنه الحديث انه ليغان على قلبى (قوله هذا غين انوار الخ) نقل الشيخ زروق فى بعض شروحه على الحكم العطائية ان ابا الحسن الشاذلى اجتمع بالنبى صلى الله عليه وسلم وقال انك قلت انه ليغان على قلبى قال نعم قال ماهذا الغين فقال له صلى الله عليه وسلم هو غين انوار لاغين اغيار يامبارك فسماه مباركا واجابه بهذا الجواب (قوله غفل عنه) ما وجه نسبة الشارح الغفلة مع ان كلا مستفيد له وقرر لما افاده المحشى ومنه قوله لكل عصر من العصور به افتخار لوجوده فيه ولو كان فى عالم الاصلاب والارحام واعظمها افتخار اعصر ميلاده الى قوله ولا ينبغى ان يفهم من هذا انقطاع تفاخر العصور بوفاته صلى الله عليه وسلم بل ذاك باق الى يوم القيامة نظرا الى ازمنة استقامة شريعته وحسن العمل على سنته فان ذلك باق الى يوم القيامة لقوله لاتزال طائفة من أمتى ظاهرين على الحق لايضرهم من خذلهم حتى يأتى أمر الله وايضا فان ثواب كل عامل على عمله من امته لاحق به صلى الله عليه وسلم اخذا من قوله من استن بسنة حسنة فله أجرها وأجر العامل بها الى يوم القيامة فهو فى كل عصر متزايد الكمال متميز الشرف والجلال وله كمال ليس فوقه كمال الاجلال الله جل جلاله ولا ينقطع أيضا بقيام الساعة بل يفتخر به ذلك اليوم ايضا لوجود علو مرتبته فيه من المقام المحمود والشفاعة العظمى ورجوع الناس كلهم الى شفاعته صلى الله عليه وسلم وفى الجنة لما يعطاه من الوسيلة والفضيلة وما لاعين رأت ولا اذن سمعت صلى الله عليه وسلم ولا منافاة فيه لما قرره الشارح بل هو موف بجميع ماقرره فى معنى البيت فتأمله بانصاف واما التصريح بقوله وفى قول الناظم الخ فهو مستغنى عنه لظهوره ملاحظا فى المقام وتقرير الكلام

(قوله منها مايكون الخ) قال البجلى ومنها مايكون بباء تجريدية ففى المنتزع منه كما فى لئن سألت فلانا لتسألن به البحر بالغ فى وصفه بالسماحة حتى انتزع منه بحرا فيها ومايكون بباء فى المنتزع كما فى قوله وشوهاء تعدو بى الى صارخ الوغا * بمستلئم أى تعدو بى ومعى من نفسى لابس لأمة اى درع لكمال استعدادى للحرب بالغ فى وصف نفسه باستعداده للحرب حتى انتزع منها مستعدا مثله لابس لأمة قال فى المختار وفرس شوهاء صفة محمودة فيها اقبل المراد بها سعة اشداقها وقوله صارخ الوغا أى المعلن بالصوت للاستغاثة فى الوغا اى الحرب وما يكون بفى فى المنتزع منه كما فى قوله تعالى لهم فيها أى فى جهنم دار الخلد بالغ لكمال شدتها فيها اتهويلا لامرها حتى انتزع منها دارا وجعلها فيها معدة للكفار ومايكون بلا حرف كما فى قوله

فلئن بقيت لارحلن بغزوة
تحوى الغنائم أو يموت كريم

أى الا ان يموت كريم بالغ فى وصف نفسه بالكرم حتى انتزع منها كريما (قوله من لدن آدم اليه صلى الله عليه وسلم) كان الظاهر ان يزيد ومن لدن حوا الى آمنة لان المراد بالآباء مايشمل الامهات كما صرح به على الاثر ثم يصير بفاء التفريع بدل الواو فى قوله وأراد (قوله حسب) قال فى المختار وحسبته صالحا الكسر احسبه بالفتح والكسر محسبة ومحسبة بفتح السين وكسرها وحسبانا بالكسر ظننته اه وقوله والكسر فيه ان فعل بكسر العين لا يأتى مضارعه على يفعل بكسرها قياسا فيكون كسرها فى المضارع شاذا والفتح هو القياس كما يؤخذ من شرح الاشمونى على الخلاصة فى باب ظن (قوله حسب العلا بحلاه الى آخر البيت) حاصله ان المراد بالحلى نفس الزينة القائمة بالاشخاص فكأنه اى قال حسب بسبب المحاسن القائمة بهم ان العلا قلدتها الخ والعلا هى المراتب الشريفة ويكون الشارح ناظر البيان الحلى فى الاصل لا للمراد بها هنا ويصح ان يراد بالحلى الصفات المحسوسة وبالعلا المراتب الناشئة عنها فيكون كلام الشارح ظاهرا وقوله قلدتها الخ فيه ثلاث استعارات كلها تصريحية الاولى فى النجوم حيث شبه افراد النسب من حيث ارتفاع كل واحد منها فى نفسه حتى صار كأنه النجم فى علو المرتبة والاضاءة والاهتداء به بنجوم الجوزاء واستعار لفظ النجوم لتلك الافراد الثابتة

تعالى (ويدا) اى ظهر (الوجود) اى لهذا العالم (منك كريم) اى سالم من كل صفة نقص جامع لكل صفة كمال وهذا احد انواع التجريد الذى هو من ادق انواع البديع وهو اعنى التجريد ان ينتزع من أمر ذى صفة أمر آخر مماثل لذلك الامر فى تلك الصفة مبالغة لكمالها فى ذلك الامر حتى كأنه بلغ من الاتصاف بتلك الصفة الى حيث يصح ان ينتزع منه موصوف آخر بتلك الصفة وهو انواع منها مايكون بمن التجريدية كما هنا نحو قولهم لى من فلان صديق حميم اى قريب يهتم لامرى اى بلغ فلان من الصداقة حدا يصح معه ان يستخلص منه فلان آخر مثله فى الصداقة فهو صلى الله عليه وسلم لكماله فى صفة الكرم صح ان ينتزع منه شخص كريم مبالغة فى صفة كرمه وكماله فيه ثم ذلك الكريم الذى ظهر وهو محمد صلى الله عليه وسلم وجد (من) اصل ابوام (كريم) أى سالم من نقص الجاهلية فالكريم هنا وفيما بعده غيره ثم كما علم مما مر ويأتى وهذا ظاهر فى اسلام ابويه صلى الله عليه وسلم ومر ما فى ذلك (آباؤه) اى جميعهم كما افادته الاضافة من لدن آدم اليه صلى الله عليه وسلم واراد بالآباء مايشمل الامهات لما قدمه ان النوعين مختاران والاختيار والكرم ما لهما واحد (كرماء) اى سالمون من سفاح الجاهلية ونقصهم * (تنبيه) * قال ابن دحية اجمع العلماء والاجماع حجة على انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان اذا انتسب لم يجاوز عدنان وفى مسند الفردوس عن ابن عباس رضى الله عنهما انه صلى الله عليه وسلم كان اذا انتسب لم يجاوز معد بن عدنان ثم يمسك ويقول كذب النسابون قال الله تعالى وقرونا بين ذلك كثيرا لكن قال البيهقى الاصح ان هذا من قول ابن مسعود وقال غيره كان ابن مسعود اذا قرأ والذين من بعدهم لا يعلمهم الا الله قال كذب النسابون اى لانهم يدعون علم الانساب وقد نفى الله علمها عن العباد وعن ابن عباس رضى الله عنهما بين اسمعيل وعدنان ثلاثون ابا لا يعرفون ومن ثم انكر مالك رضى الله تعالى عنه على من يرفع نسبه الى آدم وقال من اخبره بهذا اى ان ذلك من كلام المؤرخين التى لا دليل عليه ولا ثقة به مع ما فيه من الغلط والتغيير وقوله الفائقة هذا (نسب) عظيم بل لا اظهر ولا أجل منه فى الانساب وهو اسم لعمود القرابة التى يجمع متفرقها (حسب) ايها المخاطب

= في الجوزاء حيث شبه بمجموع تلك الافراد المسمى بالنسب فان النسب اسم لمجموع افراد الاصول بالجوزاء من حيث التناسب بين أفراد كل والشهرة الى آخر ما تقدم واستعار لفظ الجوزاء لهذا النسب الثالثة في قوله قلدتها حيث شبه اعطاء النسب افراده للمراتب العلية لتتزين تلك المراتب بالافراد على خلاف المتعارف بالباس القلائد لمن يتزين بها واستعار الباس القلادة لاعطاء الافراد واشتق منها قلدتها بمعنى أعطتها فتكون استعارة تصريحية تبعية والمعنى بحسب أيها المتأمل فيه بسبب الزينة القائمة به ان مراتبه العالية القائمة بأفراده قد تقلدت بتلك الافراد لتتزين بها فيكون في هذا البيت قد جرى على اسلوب ماسبق في قوله وتسمو بك علياء بعدها علياء حيث جعل هنالك ٣١ المرتبة العالية هي التي تعلو به على خلاف المتادمن

اى تعلن (العلا) جمع عليا تأنيث اعلى كأمر (بحلاه) بضم اوله وكسره وهو افصح جمع حلية بكسر اوله أى بسبب حلى ذلك النسب (قلدتها) أى العلا في محل مفعول بحسب الثاني والاول العلا (نجومها) اى بنجومها (الجوزاء) اسم لبرج في السماء كما في القاموس وعليه فنجومه هي الآتية وتطلق عرفا على النجوم المجتمعة المعروفة قيل وهي تشبه المرأة فلذا نسب التقليد اليها وحينئذ لابدع ان نسب الى الشيء من حيث هو مجموع انه قلد غيره كلا من تلك الافراد التي اشتمل عليها او يقال ان المراد بنجومها هنا ما حواليها من النجوم التي تسمى نطاق الجوزاء وقبة الجوزاء كما قال القائل

لولم تكن نية الجوزاء خدمته • لما رأيت عليها عقد منتطق

اى من كمال هذا النسب وشرفه ان من تأمل فيه حسب حسب ماتحلى به من الكمالات ان معاليه قلدتها الجوزاء بنجومها اى جعلت نجومها قلائدلها فعلم ان كلامه يفيدان كل واحد من اولئك الآباء الكرام قد ارتفع في زمانه حتى صار كأنه النجم في الشرف وعلو المرتبة والاضاءة والاهتداء به في ظلمات البر والبحر حتى يظن الظان انه نجم من نجوم الجوزاء وان ذلك النسب متناسب كتناسب العقد وكاستدارة نجوم الجوزاء وان مجموع هذا النسب كالعقد الثمين جدا الذى تقلده عنق تلك المراتب العلية فعلم من هذا مع ماقدمته في مبحث الاستعارة من انواعها ما في هذا البيت من المبالغة البالغة الغاية في البلاغة كاستعارة نجوم الجوزاء المتتابعة لتتابع ذلك النسب في الشرف وعلو المراتب العلية ولما قرر ان مجموع ذلك النسب كالعقد الثمين الذى تقلدته تلك المراتب العلية اخذ في مدح ذلك فقال (حبذا) اى كتم علا ومعنى مع زيادتها عليها باشعارها بأن الممدوح بها محبوب بالقلب واصله حبب بالضم اى صار حبيبا لاحبب بالفتح ثم ادغم فصار حب والاصح ان ذا فاعله ويلزم الافراد والتذكير وان كان المخصوص بخلاف ذلك لانه كالمثل والامثال لاتغير ولان فيه حذفا تقديره في نحو حبذا هند حبذا حسنها وحبذا زيد حبذا

ان الشخص يعلو ويرتقى بالرتب العالية فيكون قد جعل هنا مراتب النسب هي التي تتزين وتتقلد بالافراد فافراد النسب تكسب المراتب العالية الزينة والشرف فكأنه قال بحسب العلا تقلدت بأفراد النسب لكن على هذا في الكلام اظهار في مقام الاضمار حيث قال قلدتها نجومها الجوزاء فان الجوزاء المراد بها ههنا النسب وهو مذكور سابقا وارتكبه للتوصل الى تشبيه بالجوزاء وادعاء انه هى (قوله جمع عليا) بضم العين ككبرى وكبر وهى كل فعلة عالية توجب لصاحبها الشرف والرفعة اه (قوله نطاق) قال في القاموس المنطقة ككنسة ما ينتطق به وكتب وكتاب شقة تلبسها المرأة وتشد وسطها فترسل الاعلى على الاسفل الى الركبة والاسفل يجر على الارض ليس لها حجزة ولا نيفق ولا ساقان والجمع نطق وانتطقت لبستها والرجل شد وسطه بمنطقة كتنطق اه وقال في نفق نيفق السراويل بالفتح أى فتح النون الموضع المتسع منه فكسر النون من لحن العامة (قوله وان مجموع هذا النسب الخ) وفيا البلى شبه مجموع النسب لشرفه وسمو محله بمجموع نطاقها المشبه بالقلادة استعارة مكنية تخييل لها بقوله قلدتها فكان نسبه صلى الله عليه وسلم قلادة في عنق العلا المشبهة على طريقة الاستعارة المكنية بذوات قلائد مقلدة بها (قوله ولما قرر) أى بطريق الاشارة من قوله قلد اذ التقليد انما يكون للعقد وتقدم ان المراد بالنجوم نسبه الشريف واما بطريق التصريح فمما يقرر من قوله عقد (قوله أى صار حبيبا) اى محبوبا فهو كظرف وقوله لاحبب بالفتح أى لانه بمعنى صار محبا وليس بمراد هنا

امره وشأنه فالمقدر المشار اليه مفرد مذكر دائما لحذف واقيم المضاف اليه مقامه اولانه
على ارادة جنس شائع اقوال والاكثرون على الاول وقيل حبذا كله فعل وفاعله
المخصوص وقيل الكل اسم واحد واختاره ابن عصفور فهو مرفوع اتفاقا ثم هل هو
مبتدأ خبره المخصوص اوعكسه قولان وعلى ان ذا هو الفاعل والمخصوص مبتدأ الجملة
هي خبره والرابط ذا وقيل مبتدأ محذوف الخبر وقيل عكسه وكأنه قيل من المحبوب
فقيل زيد اى هو وقيل بدل من ذا وقيل عطف بيان له ولا يتقدم مخصوص حبذا عليها وان
جاز تقديمه بقلة على نعم لانها فرع عنها فلا تساويها في تصرفاتها ويحذف بقلة ويكون قبل
المخصوص أو بعده نكرة منصوب مطابقة نحو حبذا الصبر شيمة وحبذا رجلين الزيدان
ثم ان اشتق اعرب حالا والا فهو تمييز على خلاف ستشرفيه والناظم حذف هذا الدلالة
المقام عليه والتقدير حبذا كمالا وتدخل عليها الاقساوى بئس في العمل والمعنى مع زيادة
ما تقدم ضعف حبذا وهي غير متصرف فتقف لامصدر لها ومن ثم عملت فيما عداه كالظرف
والتمييز والحال وان توقف ابو حيان في الاخيرين وتجرد من ذا فيضم اولها ويجوز بقاء
فتحه وجر فاعلها بالباء كثيرا بها وانما أطلت في هذا لان كلام الشارح فيها غير واف بالمراد
مع انه لا يخلو كالناظم في حذف مامر من ايهام فتأمله (عقد) بكسر اوله وهو القلادة من
الجوهر (سودد) أي سيادة (وفخار) أي تمدح بالخصال الجليلة (انت فيه) أي ذلك العقد
وفي نسخ فيها نظرا الى المعنى لما تقرر ان العقد القلادة (اليتيمة) التي لا شبيه لها في حسنها
(العصماء) من العصمة أي الحفظ او المنع لان من شأن هذه الدرة ان يبالغ في حفظها ومنعها
عن ان تصل اليها يد الاغيار وجملة انت وما بعده صفة لعقد او حال منه لتخصيصه
بالاضافة وهذا في غاية المدح له صلى الله عليه وسلم ولنسبه أي حبذا نسبك الذي اذا
ذكر وعددت معه آباؤك كانوا قلادة منتظمة من جواهر ثمينة لها السيادة والفخار
على جميع الجواهر وكنت انت اعظمها وانفسها واغلاها بحيث تكون انت واسطتها
لعديمة النظير والخصوصة من الرعاية والحفظ والمنع بما لم يوجد لغيرها لتميزها بما لو غيرها من
صفات الجمال ونعوت الجلال ما يبهر العقول ويفوق الوصف وشاهد هذا مامر من
الاحاديث الصحيحة الصريحة في انه صلى الله عليه وسلم أفضل المخلوقين والخليفة الاكبر
عن رب العالمين ولما تم مدح كماله ونسبه أخذ في مدح ذاته فقال (و) حبذا أيضا (محيا)
أي وجه (كالشمس منك) حال من محيا (مضيء) مبتدأ خبره كالشمس والجملة صفة
لمحيا أو حال منه لتخصيصه بمنك وشاهد هذا حديث البخاري عن الربيع بنت معوذ
لو رأيته لقلت الشمس طالعة وحديث أحمد والترمذي والبيهقي وابن حبان عن ابي
هريرة رضي الله عنه ما رأيت شيأ أحسن من رسول الله صلى الله عليه وسلم كان الشمس

(قوله شائع) انظر ما فائدته (قوله عقد سودد وفخار) قال الحلبي وعقد سودد وفخار تشبيه بليغ لاضافته الى ما يليه فاخرجهما
من سلك الاستعارة ولولاه لانتظما فيه وقد أثبت فيه اليتيمة المهم الا أن يكون واردا على تناسي التشبيه مع ذكر طرفيه
فيكون استعارة وان كانت
مبنية على طي ذكر المشبه اذ قد
يتناسى مع ذكرهما كما في
قد زر أزراره على القمر
بادعاء ان المشبه نفس المشبه به
لا غيره فشبهه انتهى فقول الحلبي
تشبيه بليغ أي سودد وفخار
كالعقد والسودد بضم السين كما
في المختار وقوله تشبيه بليغ الخ
اضافته لما ذكر لا تعين ذلك فلا
يحتاج لما تكلفه في تقرير
الاستعارة بل هي جارية في العقد
وما بعده تجريد (قوله انت فيه) قد
يقال لا تظهر الظرفية لان النسب
المعبر عنه بالعقد اسم لاصوله
عليه الصلاة والسلام فهو ليس
منه فكيف يظرف الهم الا ان
يقال المراد كونه نورا في الاصلاب
والارحام وظرفيته بهذا المعنى
ظاهرة فان روعي جسمه احتيج
لتكلفه جعل في بمعنى من أي
انت اليتيمة العصماء حالة كونك
كائنا منه أي متصلا منه (قوله
التي لا شبيه لها) في القاموس
اليتيم الفرد وكل شيء يعز نظيره اه
ثم ان كان المراد بقوله الفرد أي
المنفرد عن النظير ساوى قول
الشارح لا شبيه لها وقوله فيما
يأتي العديمة النظير ويكون قوله
وكل شيء الخ مفيدا لمعنى آخر لليتيم
أي اثبات النظير لكنه عزيز تأمل (قوله ومحيا) معطوف على عقد فهو معرب باعراب فتى وكالشمس صفة أولى له
ومضيء صفة ثانية فما تكلفه الشارح من الاعراب التابع فيه البوجري لا داعي له

تجرى فى وجهه وحديث مسلم من حديث جابر بن سمرة وقال له قائل كان وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل السيف فقال لا بل مثل الشمس والقمر وكان مستديرا وبين بذلك الرد على من شبهه بالسيف فى الطول وانه جمع صفة الشمس من الاشراق والاضاءة وصفة القمر من الحسن والملاحة وفى حديث على عند الترمذى والبيهقى لم يكن بالمطهم أى كمثلم السمين الفاحش السمن ولا بالمكلثم أى المدور الوجه كان فى وجهه تدوير أى قليل مع سهولة خديه وهو أحلى ما يكون عند العرب وعلم مما تقرر أنهم لم يقصدوا بالتشبيه بالشمس والقمر الا مذكر لا مطلقا فاندفع ما توهم من عيب التشبيه بهما أخذا من قول أبى نواس

تشبه الشمس والقمر المنير * اذا قلنا كانهما الامير
لان الشمس تغرب حين تمسى * وان البدر ينقصه المسير

ثم قول ابن أبى هالة يتلألأ وجهه تلألؤ القمر ليلة البدر ربما يفوق التشبيه بالشمس من حيث ان القمر حينئذ يملأ نوره الارض أحوج ما كانت اليه ويؤنس كل من شاهده فهو يجمع النور من غير أذى وتمكن الناس من مشاهدته بخلاف الشمس فانها تعشى البصر وتمنع من تمكن الرؤية اليها ولك أن تقول لا نخرقه لما علم مما قدمته ان وجه الشبه مراعى فيه الاشراق والاضاءة وحينئذ فالتشبيه بالشمس مع رعاية وجه الشبه بها أبلغ منه بالقمر قال تعالى هو الذى جعل الشمس ضياء والقمر نورا وشتان ما بينهما (أسفرت) صفة أو حال أيضا أى انحسرت وانقشعت (عنه) أى عن ذلك المحيا او اضاءت متجاوزة عنه (ليلة) عظيمة (غراء) أى بيضاء بظهور نوره فيها وعمها وهذا أولى من جعل ذلك لظهور القمر فيها بناء على انها ليلة ثانى عشر او لكونها من الغرر بناء على انها ليلة ثانى الشهر وغرته ثلاث ليال لان كلا من هذين لا مدح فيه له صلى الله عليه وسلم بخلاف الاول من الغرة وهى بياض فى وجه الفرس فهو غرة فى وجه الدهر ثم أبدل منها قوله (ليلة المولد) بكسر اللام زمن الولادة وبفتحها مكانها وكلاهما هنا بعيد فالاحسن انه مصدر ميمى أى ليلة الولادة (الذى كان) أى دام واستمر على حد وكان الله غفورا رحيما (الدين) وهو لغة الجزاء واصطلاحا الشرع المبعوث به النبى الكريم وحد أيضا بانه وضع الهى سائق لذوى العقول باختيارهم المحمود (سرور) أى فرح عظيم (بيومه) واليوم فى عرف الفلكيين ونحوهم من طلوع الشمس وفى عرف الشرع من طلوع الفجر وأضاف ذلك ليوم المولد دون ذاته مبالغة فى زيادة عظمته لانه اذا وقع الظرف التابع له فكيف بذاته (وازدهاء) أى هذه الليلة الغراء هى ليلة ولادتك وأنت أشرف مولود

(قوله كان وجهه) أى أكان فهمزة الاستفهام مقدرة (قوله سهولة خديه) أى قلة لحمهما قال فى القاموس رجل سهل الوجه قليل لحمه ويقال اسيل الخدين ناعمهما مع طول قليل انتهى (قوله يملأ نوره الارض) قد يقال الشمس يملأ نورها الارض فلا فرق فيهم بانضمام المعطوف فبذلك يحصل الفرق تأمل (قوله تعشى البصر) أى تضعفه كما فى المختار (قوله غراء) أى بظهوره فيها ان قلنا ولد ليلا او عمها ان قلنا ولد نهارا وهو الاصح (قوله او لكونها من الغرر) أى التى هى جمع غرة بمعنى اول الشهر بقرينة ما بعده والا فالغرة بمعنى البياض الذى ذكره وجعله المراد هنا يجمعها غرر أيضا تأمل (قوله وبفتحها مكانها) اسم الزمان والمكان من الولادة كلاهما على وزن مفعل بكسر العين لا غير فانظر كلام الشارح انتهى دنوشرى قال أبو الفضل فى شرحه المولد بالكسر زمن الولادة ومكانها انتهى (قوله وازدهاء) قال الفاضل الدلجى وأصل ازدهاء ازتهاء من الزهو أعنى التكبر والفخر وقعت تاء الافتعال وهى من الحروف الرخوة بعد زاى شديدة فتنافرتا فابدلت دالا ثم أبقيت بلا ادغام ويجوز ادغامها بعد قلبها زايا أو الزاى دالا فى الاخرى وقد شبه الدين على طريقة الاستعارة المكنية بمن يتأتى له ان يسر ويفرح وخيل له بالسرور لوروده به صلى الله عليه وسلم

٥ ج

موارد الاظهار على الدين كله وانتطاقه الشرف ووضعه وشاح الاستقامة الى يوم القيامة بشهادة لا تزال طائفة من أمتى الحديث وفى البيت مراعاة النظير ويسمى توفيقا وائتلافا وتلفيقا وهو جمع أمر وما يناسبه لا بالتضاد امرين مثل الشمس والقمر بحسبان والسرور والازدهاء هنا أو ثلاثة كقول البحترى يصف ابلا

== كالقسي المعطفات بل الاسـهم مبرية بل الاوتار أو أربعة كقول المهلب أنشأ بها الوزير اسماعيل الوعد شعبي
التوفيق وسنى العفو محمد الخلق أو اكبر ٣٤ كقول ابن رشيق اصح واقوى ماسمعناه في الندى ❊ من الخبر المأثور منذ قديم

فلاجل ذلك سر الدين وأهل اليوم الذى برزت فيه الى هـذا الوجود على الوجه الا كمل واقتصرا به على سائر الاديان والايام ❊ (تنبيه) ❊ أضاف الناظم كلا من اليوم والليلة الى المولد فاحتمل ان يكون من القائلين بانه ولد ليلا واستدلوا بما رواه ابن السكن من حديث عثمان بن العاص عن أمه فاطمة بنت عبد الله الثقفية أنها شهدت ولادة رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلا قالت فما شئ انظر اليه من البيت الا نور وانى لانظر الى النجوم تدنو حتى انى لاقول ليقعن على ورواه البيهقى ولم يذكر فيه الا النور وتدلى النجوم وبتصريح عائشة رضى الله عنها ايضا بذلك كما رواه الحاكم وان يكون من القائلين بانه ولد نهارا وهو ما يصرح به قوله الآتى ❊ يوم نالت بوضعه ابنة وهب ❊ وهذا هو الاصح كما صرح به حديث مسلم وغيره لكن بعد الفجر كما فى حديث وان كان فيه ضعف لان الضعف فى الفضائل والمناقب حجة اتفاقا فمن أطلق انه ولد ليلا أراد بالليل ما قبل طلوع الشمس أو أراد مجاز المجاورة وليس فى رواية ان النجوم تدلت عند ولادته الآتية ما يدل على ان ذلك كان قبل الفجر لانها تكون بعد الفجر فيمكن تدليها حينئذ بل بعد طلوع الشمس خرقا للعادة للمبالغة فى اكرامه صلى الله عليه وسلم ❊ وعلى انه ولد ليلا قيل ليلة مولده أفضل من ليلة القدر واستدل قائله بوجوه كثيرة كلها مدخولة كما بينه الواقف عليها ان حقق ودقق وعلى انه ولد نهارا فهو يوم الاثنين اتفاقا وصح به خبر مسلم ثم قيل انه فى شهر غير معين والمشهور انه معين وهو صفر او ربيع الاول أو الآخر أو رجب أو رمضان أو يوم عاشوراء أقوال والاصح انه فى شهر ربيع الاول فقيل ان اليوم فيه غير معين والاصح انه معين فقيل لليلتين منه وقيل لثمان واختاره ما كثر أهل الحديث وغيرهم بل أجمع عليه أهل التاريخ وقيل لعشر وقيل لثنتى عشرة وهو المشهور وعليه العمل وقيل لسبع عشرة وقيل لثمان بقين منه وانما لم يكن فى يوم الجمعة ولا فى بعض الاشهر الحرم أو رمضان لئلا يتوهم انه صلى الله عليه وسلم تشرف بذلك الزمن الفاضل فجعل فى المفضول لتظهر مزيته به على الفاضل ونظير ذلك دفنه صلى الله عليه وسلم بالمدينة دون مكة لانه صلى الله عليه وسلم لو دفن فيها لكان يفضل بسببها فاقبره صلى الله عليه وسلم موضع مفضول عند أكثر العلماء ليتشرف به بل يفوق به الفاضل عند كثير منهم وليقصد قبره ومسجده بطريق الاستقلال لا التبعية اظهارا لمزيد كرامته على ربه واختلفوا فى عام ولادته صلى الله عليه وسلم فالاكثرون على انه عام الفيل بل حكى الاتفاق عليه والمشهور انه ولد بعده بخمسين يوما وورا الخلاف أقوال أخر خمسة وخمسون شهرا أربعون شهرا عشر سنين خمس عشرة سنة وأيد كونه بعد بانه ارهاص لنبوة هذا النبى وتبعيته ومقدمة لظهوره صلى الله عليه وسلم وفى مكانها والصواب انه ولد فى مكة قيل بالشعب وقيل بالردم والمشهور انه بالمسجد

أحاديث تروبها السيول عن الحيا من البحر عن كف الامير تميم فناسب بين الصحة والقوة والسماع والخبر والاحاديث والرواية وبين السيل والحيا وكف تميم مع ما فى الثانى من صحة الترتيب فى العنعنة حيث جعل الرواية لصاغر عن كابر كما يقع فى سند الاحاديث فان السيول أصلها المطر واصل المطر البحر على ما قيل واصل البحر كف تميم ادعاء من الشاعر انتهى (قوله فى الفضائل) قال الكمال بن ابى شريف فاذا ثبت لعمل فضل شرعا على الاطلاق كالصلاة والدعاء والذكر وورد حديث يتضمن فضل دعاء أو ذكر خاص أو صلاة خاصة وذلك الحديث ضعيفا استحب العمل بمقتضى ذلك الحديث لابمعنى اثبات الاستحباب الذى هو حكم شرعى بذلك الحديث بل لدخول ذلك فيما ثبت فضله مطلقا مع احتمال صحة ذلك الحديث الضعيف انتهى (قوله حجة) قيده الحافظ ابن حجر بأن لا يكون شديد الضعف وان يكون مندرجا تحت اصل عام وان لا يعتقد عند العمل به ثبوته فخرج بالاول من انفرد من الكذابين والمتهمين بالكذب ومن فحش غلطه وبالثانى ما يخترع بحيث لا يكون له أصل أصلا وقوله فى الثالث وان لا يعتقد عند العمل به ثبوته أى لئلا ينسب الى النبى صلى الله عليه وسلم ما لم يقله انتهى

الشهور

المشهور الآن بالمولد وزعم انه بعسفان شاذ لا يعول عليه فقد صرح بعض أئمتنا ان أول واجب على الاولياء ان يعلموا صبيانهم ان نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم ولد بمكة ودفن بالمدينة بل قيل ان انكار ذلك كفر لاستلزامه انكار وجود النبي صلى الله عليه وسلم الذي هو محمد (وتوالت) أي تتابعت (بشرى) أي بشارة (الهواتف) التاس جمع هاتف وهو ما يسمع هتفه أي صوته وقيل صوته الخفي ولا يرى شخصه والمراد هنا أعم من ذلك لان البشارة به جاءت في كتب الله تعالى وعلى السنة الاحبار والكهان والجان كما استوعبه أهل السير وجمع أكثره ابن ظفر في كتابه البشر بخير البشر (أن) أي بأن متعلق ببشرى (قد ولد المصطفى) أي المختار على الخلق كلهم (وحق) أي ثبت (الهناء) أي الفرح والسرور ولكل الخلائق به قال تعالى وما أرسلناك الا رحمة للعالمين • والبشارات به صلى الله عليه وسلم على الانواع المذكورة كثيرة لا يحتملها هذا المحل لكن منها ما جاء انه حين ولد هتف هاتف على الحجون وقال

فاقسم ما أنثى من الناس انجبت • ولا ولدت أنثى من الناس واحده

كما ولدت زهرية ذات مفخر • مجنبة لوم القبائل ماجده

وهتف آخر على جبل أبي قبيس بأربعة أبيات فيها معنى ذلك وزيادة • ومنها ان سواد بن قارب الدوسي لما قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأسلم وحسن اسلامه أخبره انه رئيه أنشده أبياتا ثلاث ليال متوالية وذكرها للنبي صلى الله عليه وسلم فيها حث سواد ابن قارب على المجيء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم والايمان به وعظيم مدحه • ومنها ما جاء بسند ضعيف ان راهبا كان بمر الظهران يقول يوشك أن يولد منكم يا أهل مكة مولود اسمه محمد تدين له العرب ويملك العجم هذا زمانه فكان لا يولد بمكة مولود الا سأل عنه فجاءه عبد المطلب صبيحة ولادته صلى الله عليه وسلم فلما رآه قال كن أباه فقد ولد ذلك المولود الذي كنت أحدثكم عنه وقد طلع نجمه البارحة فاحفظه قال محمدا و روى الحاكم عن عائشة رضي الله تعالى عنها انه كان بمكة يهودي فصاح ليلة ولادته يا أهل مكة هل ولد فيكم الليلة مولود قالوا لا نعلمه قال ولد هذه الليلة نبي الامة الاخيرة بين كتفيه علامة فيها شعرات متواترات كأنهن عرف الفرس فادخلوه على امه وأخرج له فكشف عن ظهره فرأى تلك الشامة فخر مغشيا عليه فلما أفاق قالوا مالك ويلك قال ذهبت والله النبوة من بني اسرائيل وذكر الحافظ أبو سعيد النيسابوري ان نور النبي صلى الله عليه وسلم لما صار الى عبد الله بن عبد المطلب وكان يضيء في غرته ويفوح من فيه رائحة المسك الاذفر وكانوا يتسقون به فيسقون نام في الحجر فانتبه مكحولا مدهونا قد كسي حلة البهاء والجمال فصير فيمن فعل به ذلك فانطلق به أبوه الى كهنة قريش فقالوا له ان اله السموات

(قوله بل قيل الخ) تقدم في ضعف هذا القيل لعدم تسليم دليله الذي ذكره اذ لا يلزم من عدم علم محل دفنه وولادته انكار وجوده عليه الصلاة والسلام كما لا يخفى (قوله بشارة) بضم الباء وكسرها (قوله والمراد هنا أعم) فيشمل ما يرى شخصه كالاحبار

(قوله في كتب الله) كان الظاهر أن يقول جاءت في ألسنة الخ بحذف الكتب لانه علق قوله ان قد ولد بقوله بشرى والبشارة بوقوع الولادة بالفعل لم تأت في كتب الله القديمة وانما أتت فيها البشارة به صلى الله عليه وسلم فتأمله (قوله الاحبار) جمع حبر أي عالم والرهبان جمع راهب أي متعبد اي علماء النصارى وعبادهم (قوله وحق) قال ابن السبكي حق يحق بالضم والكسر انتهى وحق بفتح الحاء وقوله أي ثبت قال الله تعالى ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين أي ثبتت وهو من أسمائه تعالى بهذا المعنى لانه الثابت أزلا وأبدا الذاته ويقال الحق لما يقابل الباطل لانه جدير بالثبوت كما ان الباطل جدير بالزهوق انتهى من شرح منهاج البيضاوي لابن السبكي (قوله الحجون) بفتح الحاء جبل باعلى مكة (قوله رئيه) أي جنيه قال في القاموس الرئي كغني ويكسر جني والحية العظيمة تشبيها لها بالجني انتهى (قوله وذكر الحافظ الخ) ما ذكره الشارح من هنا الى الخ غير مناسب للمقام لان الكلام في البشارة بولادته وليس فيما ذكره بشرى بامه ولو اتم لدليل على مناقب وكرامات لعبد الله والد رسول الله ببركة أحمد ابن الخلق (قوله الاذفر) الذفر بفتحتين كل ريح ذكية يقال مسك اذفر بين الذفر وبابه طرب انتهى من المختار

(قوله كما خرجت القرعة) اى على ابنه عبد الله (قوله تداعى) وهذا الشق باق الى الآن كما قاله ابن الجوزى (قوله ايوان) أصله اووان قلبت احدى واو يه ياء لكسر ما قبلها وقوله بكسر الهمزة أى بوزن الديوان وجمعه أواوين كدواوين وايوانات انتهى طبلاوى وقد بناه سابور ذو الاكتاف ولم يتمه فأتمه ابرويز بن هرمز الملقب بكسرى فى نيف وعشرين سنة وطوله مائة ذراع وسمكه أى ارتفاعه كذلك وعرضه خمسون ذراعا مبنى بالجص والآجر ولما ملك المسلمون المدائن أحرقوا هذا الايوان وأخرجوا منه الف الف دينار (قوله ككتاب) ويجمع على هذا اون كخوان وخون بوزن دون انتهى طبلاوى (قوله شرافات) جمع شرافة ويقال لغيرها شرفة وجمعها شرف كغرف وغرفة وطول كل شرفة خمسة عشر ذراعا (قوله كسرى) ذكر الدميرى ان كسرى هذا اول من اقتص من قاتله وذلك انه قال له منجموه انك تقتل فقال والله لاقتلن قاتلى فعمد الى سم ناقع فوضعه فى حق وكتب عليه دواء الباءة صحيح مجرب اذا استعمل منه وزن كذا وكذا انعظ وجامع كذا وكذا فلما قتله ابنه قباذ فتح خزائنه فوجد ذلك الحق مختوما فقرأ ما كتب عليه فقال بهذا كان كسرى يقوى على مجامعة النساء ففتحه واستعمل منه ما ذكر فمات وكان لكسرى ثلاثة آلاف امرأة انتهى وكان كسرى مجوسيا (قوله أنوشروان) معناه بالعربية مجدد الملك انتهى من نور النبراس (قوله معرب قسرى) فى الجوهرى وهو معرب خسرو والنسبة اليه كسروى وكسرى بكسرى وجمعه أكاسرة على غير قياس وقياسه كسرون كعيسون وموسون بفتح السين انتهى (قوله وتبع) كان رجلا صالحا مهى النبى صلى الله عليه وسلم عن سبه لانه آمن به قبل المبعث بسبعمائة سنة (قوله وفرعون) فقوله تعالى وقال موسى يا فرعون فيه محاورة من موسى لفرعون حيث خاطبه باحسن ما يدعى به واحبها اليه اذ كان من ملك مصر يقال له فرعون وفى تفسير القرطبى ان فرعون كان علجا من همذان قاله الحسن وعن مجاهد كان من اهل اصطخر وعن الحسن أيضا كان من أهل اصبهان طوله أربعة أشبار انتهى قال فى المختار العلج بوزن العجل الواحد من كفار العجم والجمع علوج واعلاج وعلجة بوزن عنبة وقوله من همذان بفتح الهاء والميم والذال المعجمة ومن خاصيتها ان لا يكون الانسان بها حزينا ولو كان ذا مصائب كذا فى عجائب البلدان للقزوينى

قد اذن لهذا الغلام أن يتزوج ونام مرة أخرى فى الحجر فرأى رؤيا وقصها على الكهان فقالوا ان صدقت رؤياك ليخرجن من ظهرك من يؤمن به أهل السموات والارض وليكونن فى الناس علما مبينا وذكر الحافظ ان زمزم كانت اندرست فرأى عبد المطلب ما دله عليها فحفرها فاذا آذاه سفهاء قريش ولم يكن له الا ولده الحرث فنذر ان رزق عشرة بنين لينحرن أحدهم لله تعالى فلما تموا عشرة بنين رأى من يأمره بوفاء نذره فانتبه وذبح كبشا فرأى انه لا يجزئه وهكذا حتى أمر ان يذبح أحد بنيه كما تقدم فاقرع بينهم فخرجت القرعة على عبد الله فقام به ليذبحه عند باب الكعبة فمنعه سادة قريش وأمروه بمشاورة كاهنة فاشارت ان يقرع بينه وبين عشر من الابل وانه كلما خرجت القرعة عليه زاد عشرة فلما بلغت مائة خرجت القرعة عليها فذبحها ولهذا قال صلى الله عليه وسلم انا ابن الذبيحين وصح انه صلى الله عليه وسلم الرحمن قال له ذلك والثانى اسمعيل وعلى انه اسحق وعليه الاكثرون فقد مر أن العرب تسمى العم أبا (و) من عجائب ليلة ولادته صلى الله عليه وسلم انه (تداعى) أى تهادم أى اشرف على الهدم لانه انشق شقا بينا آل به الى خرابه (ايوان) بكسر الهمزة ويقال فيه اوان ككتاب وفسره الجوهرى بانه الصفة العظيمة كالازج وغيره بانه بيت مؤزج أى مبنى طولا غير مسدود الوجه أى فهو صفة طويلة واسعة باولها عقد واسع بابه قال وهو فارسى وقيل هو البيت العالى وقيل بيت محكم مستطيل ذو شرافات وقيل بيت الملك المعد لجلوسه مع أرباب مملكته لتدبير ملكه والحاصل ان ذلك الايوان كان من أعاجيب الابنية وبناء واحكاما (كسرى) أنوشروان بفتح الكاف وكسرها معرب قسرى أى واسع الملك وهو لقب لكل من ملك الفرس كقيصر لملك الروم وتبع لملك اليمن والنعمان لملك العرب من قبل العجم والنجاشى لملك الحبشة وفرعون لملك القبط والعزيز لملك مصر وجالوت لملك البربر وخاقان لملك الترك (ولولا) حرف امتناع

لوجود

لوجود أى امتنع جوابها لوجود تاليها (آية) صادرة (منك) الى الوجود أى علامة عظيمة على نبوتك ورسالتك العامة وان كل من عاندك لا يرتفع له رأس وفيه التفات من الغيبة الى الحضور والاصل منه أى من المصطفى صلى الله عليه وسلم (ما عدا عن البناء) أى هذا المبنى المذكور مع ما هو عليه من العظم والاحكام الذى كان يظن به انه لا تهدمه الا فئة الصور فاذا هو قد تحرك وسقط منه أربع عشرة شرافة حينئذ فليس ذلك الا محض آية منه صلى الله عليه وسلم الموجود على نبوته صلى الله عليه وسلم وانه لا بد من زوال عز بنى لا جدمع ملكه وعزه وسر تلك الاربع عشرة شرافة الاشارة الى انه لم يبق من ملوكهم الا أربعة عشر فملك عشرة فى أربع سنين وأربعة الى زمن عثمان وقد فتح فى زمن عمر رضى الله تعالى عنه أكثر اقليم فارس وكسر كسرى واهانه غاية الهوان وتقهقر الى اقصى مملكته ثم قتل فى زمن عثمان رضى الله تعالى عنه وزال ملكه بالكلية وصح انه صلى الله عليه وسلم أخبر بانه اذا هلك كسرى فلا كسرى بعده وان أموالهم كنوزه تنفق فى سبيل الله تعالى فانقطع ملكهم وزال من جميع الارض وتمزق ملكه كل ممزق لانه صلى الله عليه وسلم دعا عليه بذلك لما بلغه كتابه مزقه وقد بشر صلى الله عليه وسلم أمته فى حفر الخندق بأخذ بلاده وقال لسراقة وكان من فقراء الصحابة كيف بك اذا لبست سوارى كسرى فلما أتى بهما عمر رضى الله عنه ألبسهما اياه أى اظهار المعجزة وذلك عذر صحيح وقال الحمد لله الذى سلبهما كسرى وألبسهما سراقة ولما رأى كسرى ما وقع بايوانه ورأى تلك الليلة الموبذان أعلم علماء مملكته ابلا صعابا تقود خيلا عرابا قد قطعت دجلة وانتشرت فى بلادها فأفزع كسرى ذلك فسأل الرائى فقال حدث يكون من ناحية العرب فكتب كسرى الى النعمان ابن المنذر ملك العرب ان يرسل اليه أعلم من فى أرضه من العرب فبعث اليه عبد المسيح بن عمرو الغسانى وكان معمرا فأخذ يسأله عن ذلك فقال علم ذلك عند خال لى فدلهم على خاله سطيح وهو بالشام فأمره كسرى بالذهاب اليه فجاءه فوجده مشفيا على الموت فأخبره سطيح

(قوله آية) نقل أبو الفضل فى شرحه عن سيبويه ان أصلها أيية قلبت الواو ألفا لتحركها وانفتاح ما قبلها (قوله ثم قتل فى زمن عثمان) بذلك تعلم زيد ماذكره بعض أهل السير من قتله فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم (قوله فلا كسرى) أى فلا كسرى مثله (قوله وقال لسراقة الخ) أى حين أراد الانصراف عن النبى صلى الله عليه وسلم فى طريق الهجرة وتخلص فرسه بعد ان خسف به الى الركبتين وطلب من رسول الله كتابة أمان فأمر عامر بن فهيرة فكتبه له فى ورقة أخرجها سراقة للنبى يوم حنين فأمنه وكل من بالوذ به فعلمت ان النبى لم يقل له ذلك فى حفر الخندق وان توهمه بعضهم فى عبارة الشارح لان سراقة لم يكن فى حفر الخندق لانه انما أسلم بالجعرانة بعد الانصراف من غزوة حنين وذلك بعد حفر الخندق وبعد فتح مكة كذا ذكر بعضهم ثم رأيت فى الاصابة نقلا عن رواية البخارى قصة سراقة انه أسلم يوم الفتح وقد أنشد بعد اسلامه رضى الله عنه مخاطبا لابى جهل

أبا حكم والله لو كنت شاهدا
لامر جوادى اذ تسيخ قوائمه
علمت ولم تشكك بان محمدا
رسول ببرهان فمن ذا يقاومه

(قوله الموبذان) بضم الميم ثم واو ساكنة ثم موحدة مكسورة ثم ذال معجمة وهو للمجوس كقاضى القضاة للمسلمين والجمع الموابذة (قوله عرابا) هى خلاف البراذين والفرس ان كان أبواه عربيين فهو عتيق وان كانا أعجميين فهو برذون وان كان الاب عربيا والام عجمية فهو هجين وان كان بالعكس فهو مقرف (قوله فدلهم الخ) أى لان كسرى قال هل عندك علم بما أريد ان اسألك عنه قبل ان أسألك فقال هذا يعلمه خال لى يسكن الشام يقال له سطيح فبعثه كسرى اليه فأتى اليه فأخبره سطيح بما ذكر من غير ان يذكر له شيئا منه (قوله سطيح) السطيح المستلقى على قفاه من الزمانة واسمه ربيع عاش سبعمائة سنة وأدرك الاسلام فلم يسلم وروى انه هلك عندما ولد صلى الله عليه وسلم وعن ابن عباس ان الله خلق سطيحا لحما على وضم وكان يحمل فيوقى به حيث شاء ولم يكن فيه عصب ولا عظم الا الجمجمة والعنق والكفين وكان يطوى من ترقوته كما يطوى الثوب ولم يكن فيه شئ يتحرك الا لسانه ولا يتكلم الا بالسجع والوضم كل شئ يوضع عليه اللحم من خشب أو نحوه يقيه من الارض والمراد هنا انه لحم خلقه الله من غير عظم يوضع على شئ يقيه من الارض (قوله مشفيا) وفى نسخة مشرفا

(قوله مشيح) بضم الميم وكسر الشين المعجمة ومثناة تحتية وحاء مهملة أى مسرع (قوله الضريح) أى القبر (قوله الهراوة) بكسر الهاء هى العصا الضخمة والجمع الهراوى بفتح الواو مثل المطايا (قوله بحيرة ساوة) ويقال لها عين ساو وهو بحيرة

بعامن جلته عبد المسيح على جمل مشيح الى سطيح وقد أوفى على الضريح بعثمك ساسان لارتجاس الايوان أى تحركه وخمود النيران ورؤيا الموبذان رأى ابلا صعابا تقود خيلا عرابا قد قطعت دجلة وانتشرت فى بلادها ياعبد المسيح اذا كثرت التلاوة وظهر صاحب الهراوة وفاض وادى السماوة أى قرية بين الكوفة والشام وايستمن العواصم وغاضت بحيرة ساوة وخمدت نار فارس فليس الشام لسطيح شاما ولا بابل الفرس مقاما يملك منهم ملوك وملكات على عدد الشرافات وكل ما هو آت آت ثم قضى سطيح مكانه ونعى صلى الله عليه وسلم صاحب الهراوة لانه كان يمسك فى يده القضيب كثيرا وكان يمشى بين يديه بالعصا ليصلى اليها قال القاضى وأراها العصا المذكورة فى حديث الحوض اذود الناس عنه بعصاى لاهل اليمن أى لاجلهم ليتقدموا ويسمى أيضا صاحب القضيب أى السيف كما فى الانجيل فهو صاحب العصا بحسب الاخبار والقضيب بحسب الاشراد (و) من العجائب التى ظهرت ليلة ولادته أيضا لينتبهوا ويسألوا عن سبب ذلك انه (غدا) أى صار فى تلك الليلة (كل بيت نار) أى كل واحد من بيوت نار الفرس التى كانوا يعبدونها ويشتغلون بخدمتها ليلا ونهارا ويتشبثون بها حتى ان لها ألف سنة لم تخمد ونار من ذوات الواو وانما جمعت على نيران لانكسار ما قبل الواو المستلزم لقلبها ياء (و) هى الحال وفيه موافقة لما ذهب اليه الجمهور وتبعهم ابن مالك ان المنصوب بعد غدا حال اذ لا يوجد الا نكرة وخالفهم الزمخشرى وأبو البقاء والجزولى وابن عصفور فجعلوه خبرا سواء كانت بمعنى صار أو بمعنى وقع فعله فى وقت الغدو والرواح وجعلوا من ذلك اغد عالما وحديث تغدوا خماصا وغدا زيد ضاحكا أى صار فى حال ضحك (فيه كرب) بضم أوله أى غم يأخذ الانفس وربما أهلكها (من) أجل (خمودها) أى سكون لهبها من غير ان يطفأ جمرها والا قيل همدت (وبلاء) عظيم صبه الله عليهم صبا بازالة ما يعتقدونه الههم ومتعبدهم لانهم مجوس فكان فى اقليم الفرس من بيوت النار الموقدة المئات من السنين ما تقبل العادة انطفاءه فى الزمن الكثير فاذا انطفأت تلك النيران كلها فى ساعة واحدة تلك الليلة علموا ان ذلك لامر عظيم حدث فى العالم وكان كذلك وسببا لازالة ملكهم وتمزيقهم كل ممزق كما سر (و) من تلك العجائب أيضا (عيون) فهو مبتدأ سوغه وصفه بقوله (للفرس) بالضم ويقال فارس ومنه حديث وخدمتهم فارس والروم وهم أمة عظيمة كان مسكنهم فى شمال العراق من الفراسة بالفتح أى الشجاعة وكسرى من أجل ملوكهم (غارت) فى الارض حتى لم يبق منها قطرة • ومنها بحيرة طبرية التى كان فيها من كثرة المياه ومعها ما تقبل العادة غيضها والا فقيل طولها ستة أميال وعرضها مثل ذلك وتسمى عين ساو وقيل بلد معروف بينه وبين الرى اثنان

طبرية وساوة بلد معروف وطول تلك العين ستة أميال وعرضها كذلك كانت تحيل العادة ان يغيض ماؤها الكثرته و بحيرة بصيغة التصغير وهو تصغير تعظيم لما علمت من عظم سعتها (قوله وخمدت) بفتح الميم من باب دخل (قوله قال القاضى الخ) قال النووى هذا ضعيف لان المراد بوصفه بالهراوة تعريفه بصفة يراها الناس معه يستدلون بها على صدقه وانه المبشر به فى الكتب السابقة ولا يصح تفسيره بعصا تكون فى الآخرة (قوله اذود) أى اطرد من لا يستحق الشرب (قوله ليتقدموا) أى أى مجازاة لحسن صنيعهم وتقدمهم فى الاسلام (قوله وفيه) أى فى أمله على حد قوله واسأل القرية (قوله فجعلوه خبرا) فيه ان الواو هنا مانعة من الخبرية لان الخبر لا يقترن بها فتأمل (قوله أو الرواح) يعنى اذا كان الفعل راح (قوله تغدوا الخ) فى التمثيل بذلك نظر لان الظاهر ان تغدو بمعنى تذهب وتروح بمعنى ترجع فليسا بمعنى صار وعليه فانتصاب ما بعدهما على الحال ليس الا (قوله خماصا) جمع خميص البطن وهو الضامر (قوله حدث) بابه دخل وكذلك حضر (قوله طولها ستة أميال) كانت تسير فيها السفن الى ما حولها من البلدان فاصبحت ليلة مولده يابسة كان لم يكن بها ماء ثم بنى محلها مدينة ساوة (قوله الرى) مدينة مشهورة قيل أول من بناها راز بن خراسان ولهذا كانت النسبة اليها رازى كذا فى عجائب البلدان للقزوينى وعشرون

وعشرون فرسخا وقيل موضع بالشام (فهل) استفهام للتعجب من حالهم أو للتوبيخهم وتقريعهم (كان لنيرانهم بها) أى بتلك المياه التى غارت (اطفاء) أى لا بل لم يطفئها الامر وجود نبينا صلى الله عليه وسلم وظهوره المضمحل به كل لهو وباطل واذا قال (مولد) عظيم بالجر بدل من المولد والرفع خبر مبتدا محذوف (كان) أى صار على الدوام (منه) أى من اجله ومن لابتداء الغاية (فى طالع الكفر) أى فى ضوء النوم أو الالهام الذى يطلع به على عواقب الكفر وغايات أهله المترتبة عليه كرؤيا الموبذان والهام سطيح السابقين آنفا ويصح ان يراد ان المولد نفسه اطلع كل ذى بصيرة على ان الفرس أو الكفار يحصل بهم (وبال) أى وخم عظيم (عليهم) أى على أهله الذين هم الفرس بدليل السياق أو اعم بدليل الواقع (ووباء) ويجوز قصره وهو المرض الشديد العام وهما فيهما الجناس اللاحق كاينان هما اعتراهم بوجوده من اشراف ملكهم على الزوال وما حل بهم من البوار والهوان والوبال والنكال (ثم) بسبب ما حصل بوجوده صلى الله عليه وسلم فى هذا الكون لهذه الامة من المزايا وفضل العطايا ولآبائه ولامها تهصلى الله عليه وسلم من الشرف الاكبر والتميز الاظهر حق ان يقال فى شأن أمه (هنيئا به للآمنة الفضل) اى ثبت لها الفضل أى الكمال والشرف والعلو حال كونه هنيئا أى لا آفة فيه ولا نكد فهو حال عند الاكثرين مؤكدة لعاملها الملتزم اضماره اذلم يسمع الا كذلك وقال المبرد انه مصدر كالعاقبة واصل ذلك انهم أنابوا عن المصدر صفات كعائذا بك وهنيئا لك قال بعض المغاربة وهى موقوفة على السماع وقال غيره انه مقيس عند سيبويه يقال لكل من لازم صفة وهنيئا اسم فاعل من هنئ أو هنؤ كشرف من شرف وهو ما أتاك بلا مشقة (الذى شرفت به حواء) فمن دونها من أمهاته الى آمنة فان الولادة منسوبة الى كل منهن لكنها الى من بواسطة ولآمنة بدونها فمن ثم خصها من بينهن بذلك وزاد فى مدحها بانها شرفت بما

(قوله من المولد) أى فى قوله ليلة المولد (قوله أى فى ضوء الخ) يحتمل ما ذكر تفسير لقوله فى طالع الكفر ولم يظهر ذلك والظاهر ان ذلك من اضافة الصفة للموصوف أى فى الكفر الطالع اه دنوشرى ثم رأيت فى ابن عبد الحق فى طالع أهل الكفر الذى يطلع به على ما يحل بهم من نجم أو رؤيا أو غيرهما وبال أى مكروه عظيم ثم رأيت بخط بعض الفضلاء ما هو أوضح من ذلك حيث قال الطالع فى الاصل اسم لنجم يستدل به الكهنة والمنجمون من الكفرة على أمور تحدث فى العالم فيقولون اذا طلع النجم الفلانى يحصل كذا وأضيف للكفر من حيث تعويلهم عليه واستعير هنا للامور التى دلت على وقوع الوبال والوباء بهم كرؤيا الموبذان واخبار سطيح ووجه الشبه المبنية عليه الاستعارة دلالة كل على أمر خفى وان كانت دلالة النجم بحسب زعمهم ودلالة الامور المذكورة على سبيل التحقق وعلى هذا فالظرفية من ظرفية المدلول فى الدال فان الوبال مدلول كما علمت والطالع باعتبار المراد منه دال وتنوين وبال ووباء للتعظيم لان سيهما أكبر الكبائر اذ هو الركن الاعظم فى حصولهما ومن ثم جعل طالعه ظرفا (قوله الجناس اللاحق) وهو اختلاف اللفظين فى حرفين متباعدى المخرج فمخرج اللام بعيد من مخرج الهمزة واما المضارع فبخلافه كقوله وهم ينهون عنه وينأون عنه فالهاء والهمزة متقاربان مخرجا وبسط ذلك فى فن البديع (قوله هنيئا) قال الاشمونى أى ثبت الخير هنيئا أو يهنؤك هنيئا انتهى وكتب من حشاه أى هى مؤسسة على الاول مؤكدة على الثانى (قوله مؤكدة لعاملها) فيه نظر فان المؤكدة هى ما يستفاد معناها بدون ذكرها نحو ولى مدبرا ولا تعثوا فى الارض مفسدين بل هى مؤسسة لعدم استفادة معناها من عاملها فتأمل أى لان حل الشارح يقتضى ان الحال من الفضل أو من ضميره فى الخبر وان العامل ثبت ويمكن تصحيحه بان الحال هو الجملة وان هنيئا حال من محذوف دل عليه السياق والعامل من مادته والمعنى هنئت بالفضل حالة كونه هنيئا وعلى جعل الجملة حالا التقدير ثبت الفضل حالة كون الفضل هنئت به هنيئا أى مهنئا لها فقول الشارح حالة كونه هنيئا أى مهنئا لكونه وصفا مأخوذا من الجملة المجعولة حالا ويرشح هذا التصحيح قوله مؤكدة لعاملها الملتزم اضماره فتدبر (قوله اسم فاعل) مراده به ما يشمل الصفة المشبهة (قوله من هنئ أو هنؤ) كفقه وفقه هنا فتأمله أى صار هنيئا لا آفة فيه

(قوله حملت) قال في القاموس حملت المرأة تحمل علقت ولا يقال حملت به اوقليل انتهى وقال أبو الفضل المالكي الحمل بفتح الحاء ما كان في بطن أو رأس شجرة والحمل

بكسر الحاء ما كان على رأس او ظهر (قوله بالتنوين للضرورة) هو سبق قلم

شرفت به أم البشر وزيادة عدم الواسطة فذكرها لهذا والجمع بين طرفي الولادة الاول والآخر ولينبه على ان حواء امتازت بابرازه الى وجود عالم الاصلاب وآمنة امتازت بابرازه الى وجود عالم الاستقلال مع عدم الواسطة ومن ثم قال مبينا تميزها على حواء بذلك (من) استفهام استبعادي بمعنى النفي (لحواء) أي من ذا الذي يفرح لها بأنها أو يشفع لها في (انها حملت أحمد) بالتنوين للضرورة أي حملت به وهو من غرر أسمائه صلى الله عليه وسلم وقد سماه الله به على لسان موسى عليه الصلاة والسلام كما في المدح يشوع عيسى صلى الله عليه وسلم كما في القرآن وهو منقول من الصفة التي معناها التفضيل فمعناه أحمد الحامدين لربه وكذلك هو في المعنى لانه يفتح عليه يوم القيامة عند سجوده تحت العرش ليسأل في الشفاعة العظمى وهو مقامه المحمود بمحامد لم يفتح على أحد قبله فيحمد به بها ولذلك يعقد له لواء الحمد ويكون تحته آدم فمن دونه (او أنها به نفساء) أي اصابها نفاس وهو الدم الخارج عقب الولادة سمي بذلك لانه اثر نفس اي وبأنها ولدته بلا واسطة اي لو قدر لها أن تحمله وتلده من غير واسطة لكان لها به غاية الشرف لكن لم يقدر ذلك لها بل لآمنة للسبق في علم الله تعالى انها الفائزة بشرف الانتهاء وهو أفضل مما فازت به حواء من شرف الابتداء ولهذا قال (يوم) بدل من مولد اسم زمان (نالت) أي اعطيت (بوضعه) ای بسببه آمنة (ابنة وهب) بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة فهي تلتقي مع النبي صلى الله عليه وسلم من جهة آبائه في كلاب وكان وهب سيد بني زهرة نسبا وشرفا وام آمنة برة ابنة عبد العزى بن قصي بن عبد الدار بن قصي بن كلاب (من) بيانية (فخار) وهو التمدح بالخصال العلية والشيم الطاهرة المرضية (مالم تنله النساء) حتى حواء كما مر وهذا لا يقتضي افضليتها على حواء مطلقا لانها انما فضلت من وجه واحد وهو ولادتها المصطفى صلى الله عليه وسلم بلا واسطة والتفضيل من حيثية مزية واحدة او مزايا لا يقتضي الافضلية على الاطلاق وانما ذكرت ذلك لان الاجماع قام في حق حواء على ايمانها الكامل وآمنة وقع الخلاف في ايمانها بل وفي نجاتها ونقل عن الاكثرين عدمهما ولكن الاصح بل الصواب خلافه كما مر ومما التمسنا أخرجه أبو نعيم والخرائطي وابن عساكر ان عبد المطلب لما خرج بعبد الله ليزوجه الرؤيا التي رآها وقد مر تر بامرأة كاهنة قرأت الكتب فرأت نور النبوة في وجهه ومن ثم كان أجمل رجل رئي في قريش فسألته ان يقع عليها وتعطيه ما تمن الابل فأبى وقال اما الحرام فالممات دونه حتى مر به أبوه حتى أتى به وهبا أبا آمنة فزوجه بها وهي يومئذ أفضل امرأة في قريش نسبا وموضعا فوقع عليها يوم الاثنين ايام منى عند الجمرة ثم خرج ومر على تلك المرأة فلم تكلمه فسألها لم لم تعرضي نفسك الآن

والصواب عدم التنوين لتظم فهو على اصله (قوله ابن زهرة) قال في الصحاح زهرة بضم الزاي وسكون الهاء حي من قريش وهو اسم امرأة كلاب بن مرة نسب ولده اليها وهم أخوال النبي صلى الله عليه وسلم وزهرة بفتح الهاء نجم (قوله بيانية) أي شاف قوله مالم بتقديم البيان على المبين (قوله مالم تنله النساء) احتراس ويسمى تكميلا وهو ان يؤتى في كلام موهم خلاف المقصود بما يدفعه اما في اثناء الكلام كما مر كثيرا وكما في قوله

فسقى ديارك غير مفسدها
صوب الربيع وديمة تهمي

لان نزول المطر قد يكون سببا لخراب الديار وفسادها فدفعه بتوسط غير مفسدها او في آخره كما في قوله اذلة على المؤمنين اعزة على الكافرين اذ لو اقتصر على وصفهم بالذل على المؤمنين لتوهم انه لضعفهم فأتى على سبيل التكميل بقوله اعزة على الكافرين دفعا للوهم واشعارا بأن ذلك تواضع منهم لهم ومن ثم عدى الذلة بعلى لتضمنه معنى العطف كأنه قيل عاطفين عليهم على وجه التذلل والتواضع وهنا دفع توهم ان

ما نالته آمنة من الفخار بوضعه صلى الله عليه وسلم قد [illegible] امهاته بقوله مالم تنله النساء انتهى (قوله مزية) على على فعيلة اي فضيلة ولا فعل لها يقال له عليه مزية في الاساس تمززت عليه اي فضلت (قوله ثم خرج ومر الخ) غير خاف ان عرضه عليها لم يكن لزنية بل لتسليم الامر التي اعطاها فيخل كثيرا من الابل فحصابيته على خلاف عادة الناس مع الرجال وبذلك =

على قالت فارقنى النور الذى سألتك لاجله وذكروا انه لما استقرت تلك النطفة الكريمة فيها أصبحت أصنام الدنيا منكوسة واخضرت الارض وحملت الاشجار وكانت قريش فى جدب شديد فسميت تلك السنة سنة الفتح ونودى فى الملكوت ان النور المكنون قد انتقل الى بطن آمنة ذات العقل الباهر والفضل الظاهر وقد خصها الله تعالى بهذا الحبيب لانها أفضل قومها حسبا وأزكاهم أصلا وفرعا وفى حديث ابن اسحق انها حدثت انها لما حملت به صلى الله عليه وسلم قيل لها انك حملت بسيد هذه الامة وقالت ماشعرت بحمله ولا وجدت له ثقلا ولا وحما أى فى الابتداء لرواية انها وجدته وحملت على غير الابتداء جمعا بين الاحاديث وأتانى آت وأنا بين النائمة واليقظانة فقال هل شعرت بأنك حملت بسيد الانام ثم أمهلنى حتى دنت ولادتى أتانى فقال لى قولى

أعيذه بالواحد • من شر كل حاسد

ثم سميه محمدا وبعد هذا البيت أبيات أخر مشهورة ولا أصل لها كما قاله الزين العراقى وأخرج أبو نعيم عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أنه قال كان فى دلالة حمل آمنة برسول الله صلى الله عليه وسلم ان كل دابة كانت لقريش نطقت تلك الليلة وقالت قد حمل برسول الله صلى الله عليه وسلم ورب الكعبة وهو امام الدنيا وسراج العلماء ولم يبق سرير ملك من ملوك الدنيا الا أصبح منكوسا ومرت وحوش المشرق الى وحوش المغرب بالبشارات وكذا أهل البحار بشرت بعضهم بعضا وله فى كل شهر من شهور حمله نداء فى الارض ونداء فى السماء ان ابشروا فقد آن أن يظهر أبو القاسم صلى الله عليه وسلم ميمونا مباركا وروى أبو نعيم ان آمنة أتاها آت بعد ستة أشهر من حملها وقال يا آمنة انك قد حملت بخير العالمين فاذا وضعتيه فسميه محمدا واكتمى شأنك ثم لما أخذها الطلق وكانت وحدها رأت كأن طائرا أبيض قد مسح فؤادها فذهب روعها ثم أوتيت بشربة بيضاء فتناولتها فاضاء لها نور عال ثم رأت نسوة كالنخل طولا فاحدقن بها فقالت من أين علمتن بى وفى رواية فقلن لها نحن آسية امرأة فرعون ومريم ابنة عمران وهؤلاء الحور العين ثم رأت ديباجا أبيض مد بين السماء والارض ورجالا بايديهم أباريق فضة وقطعة من الطير أقبلت حتى غطت حجرتها مناقيرها من الزمرد وأجنحتها من الياقوت ورأت مشارق الارض ومغاربها وثلاثة أعلام منصوبات علما بالمشرق وعلما بالمغرب وعلما على ظهر الكعبة فاخذها المخاض فوضعته صلى الله عليه وسلم فاذا هو ساجد قد رفع اصبعيه الى السماء كالمتضرع المبتهل ثم رأت سحابة بيضاء غشيته فغيبته عنها فسمعت مناديا يقول طوفوا به مشارق الارض ومغاربها وادخلوه البحار ليعرفوه باسمه ونعته وصورته ويعلموا انه سمى الماحى لانه لا يبقى شئ من الشرك الا محى فى زمنه صلى الله عليه وسلم ثم انجلت عنه فى أسرع وقت وروى الخطيب البغدادى بسنده انها لما وضعته رأت سحابة عظيمة لها نور عظيم يسمع فيها صهيل الخيل وخفقان الاجنحة وكلام الرجال حتى غشيته وغيب عنها فسمعت مناديا يقول

تعلم رد قول بعضهم كأنه تندم على امتناعه منها اولا فتعرض لها لتعاوده اذ ذلك لا يليق بهذا المطهر المختار ليكون أبا السيد الكائنات كما سبق (قوله ماشعرت) بفتح العين شعر ابكسر الشين علمت ومنه مشاعر الانسان حواسه وأصله العلم الدقيق المستنبط كذا قاله الكواشى فى تفسيره عند قوله تعالى وما يخدعون الا أنفسهم وما يشعرون قال البرماوى فى شرح ألفيته الشعور هو اول مراتب وصول العلم الى القوة العاقلة مأخوذ من الشعار وهو ما يلى الجسد ولهذا كان وصف الكفار بأنهم لا يشعرون أبلغ من نفى العلم ونحوه عنهم (قوله أبيات أخر) منها

وكل خلق رائد

أى ستة لم يكروه وأصل الرائد الذى يتقدم القوم يلتمس لهم الكلأ ومساقط الغيث كذا فى الغريبين للهروى (قوله فاحدقن) أى طفن بها وأحطن بها (قوله الزمرد) هو بالذال المعجمة آخره كما فى الصحاح

(قوله روحانى) قال الشارح فى النعمة الكبرى روحانى بضم الراء نسبة للروح بضمها واما بفتحها فنسبة للروح وهو نسيم الريح الطيب والالف والنون من زيادات النسب اه وفى الشافية وشرحها لشيخ الاسلام وروحانى بفتح الراء نسبة لروحاء بلد وهو المراد هنا أى فى عبارة الشافية وبضمها فى النسبة الى الملائكة والجن ويقال لهم الروح للطافتهم واستتارهم عن الناس وعليه فلا تظهر زيادة الشارح الانس والطيور والوحوش وان كان ذلك هو المراد هنا وزادوا الالف والنون للفرق بينه وبين المنسوب الى روح الانسان اه (قوله بيضاء) قال فى المواهب خضراء وقد يقال انه قبض عليهما فلا مخالفة (قوله بخ بخ) فيه لغتان اسكان الخاء وكسرها منونا وهى كلمة تطلق لتفخيم الامر وتعظيمه فى الخير اه شرح مسلم للنووى وقال فى الصحاح هى كلمة تقال عند المدح والرضا بالشئ وتكرر للمبالغة فيقال بخ بخ فان وصلت خفضت ونونت فقلت بخ بخ وربما شددت كالاسم اه وقال الهروى فى غريبه وسكنت الخاء كما سكنت فى هل وبل ويقال بخ بخ بالخفض منونا فمن فعل ذلك شبهها بالاصوات كصه وما أشبه ذلك وقال ابن السكيت بخ بخ وبه به بمعنى واحد اه (قوله فغسله) نسخة الشارح فقبله بدل فغسله (قوله اسم جنس) فى شرح الاشمونى على الخلاصة آخر باب جمع التكسير ذكر الفرق بين الجمع واسم الجمع واسم الجنس ومثل لاسم الجمع بقوم ورهط فقول الشارح اسم جنس غير مسلم (قوله على العاقل) الاولى العالم ليشمل قوله وما بناها الخ فانها واقعة على الله وانما يقال له عالم لا عاقل (قوله مطلقا) أى بقرينة وغيرها فالاطلاق فى مقابلة قيد لاحق (قوله بنت عمران) واسم أمها حنة بالمهملة وتشديد النون (قوله بنص القرآن) حيث قال وامه صديقة (قوله والخلاف) كان الظاهر أن يقول والخلاف بواو العطف على الجملة السابقة اذ مراده الاستدلال على فضلها على جميع النساء بدليلين فكأنه قال حينئذ فضلت على من ذكر للخبر الصحيح والخلاف الخ وبدون واو العطف لا يظهر ذلك المراد تأمل ثم ان هذا الدليل فيه نظر لان حواء وآسية اختلف فى نبوتهما فالدليل لا يثبت فضلها عليهما الذى اقتضاه قوله على جميع النساء نعم الحديث الصحيح الذى ذكره يثبت فضلها عليهما فقرر (قوله والعذرة البكارة) بضم العين وتطلق أيضا على معان منها الناصية وهى الخصلة من الشعر وقلفة الصبى والشعر على كاهل الفرس (قوله ومعجزة له صلى الله عليه وسلم) فيه ان تعريف المعجزة المشهور يقتضى عدم تسمية ذلك معجزة =

طوفوا به جميع الارض واعرضوه على كل روحانى من الجن والانس والملائكة والطيور والوحوش واغمسوه فى اخلاق النبيين ثم انجلت عنه وقد قبض على حريرة بيضاء مطوية طيا شديدا ينبع منها ماء واذا قائل يقول بخ بخ قبض محمد صلى الله عليه وسلم على الدنيا كلها حتى لم يبق أحد من أهلها الا دخل طائعا فى قبضته ثم رأت ثلاثة نفر بيد أحدهم ابريق فضة والثانى طشت من زبرجد أخضر والثالث حريرة بيضاء أخرج منها خاتما يحار الناظر دونه فغسله سبع مرات ثم ختم به بين كتفيه ثم احتمله فادخله بين أجنحته ساعة ثم رده الى أمه (و) يوم (أتت) آمنة (قومها) اسم جنس للذكور وقد يدخل فيه النساء تبعا كما هنا (ب) مولود (أفضل) بالاجماع (مما) أوقع ما على العاقل وهو عيسى صلى الله عليه وسلم وان كان نادر الوقوع فى القرآن نحو لما خلقت بيدى والسماء وما بناها الا آيات ولا أنتم عابدون ما أعبد وكلام العرب سمع من كلامهم سبحان ما سخركن لنا ولورود هذا وامثاله زعم قوم منهم ابن درستويه وأبو عبيدة ومكى وابن خروف وقوعها على آحاد من يعقل كثيرا مطلقا وقال السهيلى لا تقع على اولى العلم الا بقرينة وتقع على صفات من يعقل نحو فانكحوا ما طاب لكم من النساء اى الطيبة منهن وعليه فما هنا نظير الآية لان من صفات من يعقل الحمل المذكور فى قوله (حملت) ه (قبل) أى قبل آمنة وما بينهما نحو ستمائة سنة امه (مريم) بنت عمران الصديقة بنص القرآن قيل هى من ذرية سليمان صلى الله عليه وسلم بينها وبينه أربعة وعشرون ابا وفى الصحيح خير نسائها مريم واذا فضلت على جميع النساء الخلاف فى نبوتها وان كان شاذا ولما رفع عيسى الى السماء كان سنها ثلاثا وخمسين سنة وبقيت بعد ذلك خمس سنين (العذراء) أى البكر لانها لم تتزوج والعذرة البكارة وحملها بعيسى صلى الله عليه وسلم انما هو من نفخ جبريل عليه الصلاة والسلام فى جيب درعها فحملت به ووضعته من وقتها على الاشهر كرامة لها ومعجزة له صلى الله عليه وسلم

وخصه بهذا مع تصريحه قبل بانه أفضل الانبياء عليهم الصلاة والسلام لانه ينزل من السماء على منارة بجامع بنى أمية البيضاء شرقى دمشق كما رواه مسلم فى آخر هذه الامة ويقتل الدجال والخنزير ويبطل الجزية تقريرا لما يتوهم من ذلك مع باهر معجزاته عليه الصلاة والسلام وولادته من غير أب وان كان لنبينا عليه الصلاة والسلام ماهو مثلها أو أبهر منها كما يأتى انه الخاتم الافضل فنفى ذلك على الوجه الاكمل ونزوله عليه الصلاة والسلام انما هو بشريعة نبينا صلى الله عليه وسلم ومنها ان الجزية لاتقبل بعد نزوله لانتفاء مالهم من نوع شبهة تمسك بكتاب بتكذيبه لهم فيكون من اتباعه ولاجل ذلك يصلى وراء المهدى اولا ثم يتقدم بعد اعلاما بانه صلى الله عليه وسلم لم ينزل مستقلا بل تابعا مؤيدا حاكما بشريعة محمد صلى الله عليه وسلم وفى خبر البخارى انا اولى الناس بابن مريم فى الدنيا والآخرة وليس بينى وبينه نبى وبه يرد على من قال كان بينهما خالد بن سنان نبى أصحاب الرس وفى خبر الصحيحين من شهد أن لا اله الا الله وحده لاشريك له وأن محمدا عبده ورسوله وان عيسى عبد الله ورسوله وكلمته القاها الى مريم وروح منه وان الجنة حق وان النار حق أدخله الله الجنة على ما كان منه من عمل وفى خبر الصحيحين ان كل مولود ينخسه الشيطان فيصيح الا عيسى عليه الصلاة والسلام قال أبو هريرة اقرؤا ان شئتم وانى أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم ولا ينافى هذا أفضلية نبينا صلى الله عليه وسلم لان لنبينا من المزايا ما يغمر هذا فى جنب ادونها وقد تكون فى المفضول مزية أو مزايا ليست فى الفاضل لكن فيما يخالف ذلك ويفوقه (شمته) من التشميت وهو ان يقال للعاطس يرحمك الله بالمعجمة والمهملة أى دعاله بالسلامة من الشوامت أو بقاء سمته كما هو لان العطاس ربما كان سببا للتعويج نحو العنق (الاملاك) جمع ملك وهذا هو القياس فى جمعه كجمل وأجمال ولفظ الملك مشتق من الالوكة وهى الرسالة ويقال لها مألكة فالاصل فيه مألك ثم قلب فصار ملأك

= لانه غير مقرون بالتحدى وانما يسمون مثل ذلك ارهاصا من كل خارق للعادة متقدم على النبوة وسيأتى الجواب عن ذلك فى الشارح عند قوله ويدت فى رضاعه معجزات فراجعه (قوله بشريعة نبينا) فهو مستند فى حكمه الى كتاب أو سنة أو اجماع وقد يجتهد ولا يخرج فى اجتهاده عن مذهب امام من الائمة الاربعة وغيرهم وليس هناك وحى لانقطاعه بعد نبينا صلى الله عليه وسلم وعدم قبوله الجزية مع ان شريعتنا قبولها غير خارج عنها لان نبينا انما قبولها بنزوله فيكون عدم قبوله لها من شرعنا والسر فى ذلك ان المسلمين قبل نزوله محتاجون للمال فوسع لهم واما بعده فالمال كثير لا يلتفت اليه أحد وهذا أظهر من توجيه الشارح كغيره بقوله لانتفاء مالهم الخ لانه انما يظهر بالنسبة لقومه دون نحو اليهود وحكمة نزول عيسى دون غيره من الانبياء الرد على اليهود فى زعمهم انهم قتلوه فبين الله كذبهم وانه الذى يقتلهم وقيل حكمته دنو أجله ليدفن فى الارض اذ كل مخلوق من تراب لايموت فى غيره اه ملخصا من اقناع لابن قاسم (قوله ومنها) أى من شريعة نبينا لانه عليه الصلاة والسلام شرع قبولها بنزول عيسى فاندفع ما عساه يقال اعتراضا على قولهم بنزوله بشريعة نبينا ان قبول الجزية منها وهو لا يقبلها (قوله انا اولى الناس الخ) أى أخص به (قوله كان بينهما الخ) وقال بعض الناس ان الحواريين كانوا رسلا الى بعض الناس بعد عيسى وهذا قول أكثر النصارى لعنهم الله (قوله أصحاب الرس) قوم كانوا يعبدون الاصنام بعث الله اليهم شعيبا فكذبوه فبيناهم حول الرس وهى البئر غير المطوية فانهارت فخسف بهم وبديارهم وقيل غير ذلك كما فى تفسير البيضاوى فراجعه ان شئت وقوله غير المطوية أى غير المبنية بالحجارة والآجر وغيرهما (قوله الا عيسى) ظاهر الحديث اختصاص هذه الفضيلة بعيسى وامه وأشار القاضى الى ان جميع الانبياء يشاركونه فيها فقوله ولا ينافى الخ لاحاجة اليه على ما ذكره القاضى وهو الحق ان شاء الله (قوله من التشميت) فى القاموس التشميت التسميت كذا فى فصل الشين من باب التاء وذكر فى فصل السين منه ما نصه والتسميت ذكر الله والدعاء للعاطس (قوله من الشوامت) جمع شامت وهو الذى يفرح ببلية عدوه وقال فى القاموس شمت كفرح شماتا وشماتة فرح ببلية عدوه (قوله مشتق) أى مأخوذ فلا يرد ان ملكا ليس فعلا ولا وصفا فكيف يقال فيه مشتق (قوله مألكة ومألك) بضم اللام فيهما صحاح وقول الصحاح ومألك اى الذى هو بمعنى الرسالة واما مألك الذى هو أصل ملك فبفتح اللام كما يدل له قول الشارح ونقلت حركة اللام فقول =

على وزن مفعل ثم خفف بعد قلبه ونقلت حركة الهمزة الى اللام فصار ملكا على وزن فعل وحينئذ فقياس هذا جمعه على افعال كما جرى عليه الناظم رحمه الله تعالى وانما جمعوه على ملائكة لانهم راعوا ملأكا بعد القلب وقيل أن يخفف وقواهم من الالوكة مصرح بان ميمه زائدة وهو رأى الجمهور وذهبت طائفة الى انها أصلية ثم اختلفوا اهل هو من الملك بالفتح أى القوة لقوتهم أو بالكسر بمعنى مملوك قولان قيل وأحسن من الجميع قول النضر ابن شميل انه غير مأخوذ من شئ وهو التحقيق الذى دلت عليه الآثار وقوله تعالى الا ابليس كان من الجن وزعم ان نوعا من الملائكة يسمون بذلك ليس فى محله لتوقفه على صحة خبرية ان ابليس ابو الجن كما ان آدم أبو البشر وانه لم يكن من الملائكة طرفة عين وان المصحح للاستثناء فى الآية التغليب لكونه كان فيهم أو هو منقطع وفى خبر مسلم خلقت الملائكة من نور وخلق الجان من مارج من نار وخلق آدم مما وصف لكم وظاهره ان عنصرهما متمحض من النور والنار وقيل بل هما من العناصر الاربعة كالثالث وانما غلب عليهما ذلك وزعم تأويل الاولين بانه على التمثيل ليس فى محله لانه يلزم عليه ان الثالث كذلك ولان مدار المعتزلة على هذه الطريقة فانهم اولوا أحاديث السؤال فى القبر وعذابه والصراط والميزان والحوض والشفاعة ودابة الارض ونحوها ولم يبالوا بمنابذتهم للسنة الغراء قبحهم الله (اذ وضعته) أى فى وقت وضع امه له (وشفتنا) أى فرحتنا وسرتنا أومن الشفاء لانها ارقية والرقية كثيرا ما يحصل منها الشفاء لان قولها الآتى يشفى العليل و يبرد الغليل (بقولها الشفاء) بالفاء المشددة وهى ام عبد الرحمن بن عوف أحد العشرة رضى الله

الشارح والاصل فيه أى فى ملك ملأك أى بفتح اللام (قوله على وزن مفعل) الرسم يقتضى انه بتقديم الفاء وهو غير ظاهر لان الهمزة فاء الكلمة فى اصله فلا تتغير فى الفرع فالصواب على وزن معفل بتقديم العين على الفاء (قوله وزن فعل) كان الظاهر وزن معل لان الهمزة التى هى فاء الكلمة قد حذفت والميم زائدة بدليل قوله آنفا على وزن مفعل على ما فيه كما علمت آنفا وذلك هو مذهب الجمهور الآتى واما كون وزنه فعل فانما يلائم مذهب غير الجمهور الآتى أيضا فى قوله وذهبت طائفة الخ تأمل (قوله من مارج) المارج اللهب المختلط بسواد النار (قوله كالثالث) أى آدم (قوله تأويل الاولين) اى انهما ليسا من النور والنار حقيقة بل لشدة جلالة الملائكة واشراقهم جعلوا كأنهم من نور ولشدة قوة الجن وسرعة حركاتهم جعلوا كأنهم من نار (قوله الاولين) أى الملائكة والجن (قوله أى فرحتنا وسرتنا) لم يجد الشفاء بهذا المعنى فى اللغة وقد ذكر فى القاموس اطلاقه على الدواء ولاشك ان قولها الآتى دواء القلوب ٤٤ نافع فيلزمه الفرح والسرور فيكون فيه تجوز قال فى القاموس الشفاء هو الدواء والجمع اشفية وشفاه يشفيه برأ وطلب له الشفاء كاشفاه اه فقول الشارح يحصل بها الشفاء أى الدواء (قوله وسرتنا) عطف تفسير قال فى المختار فرح به فرحا أى سر به والفرح أيضا البطر ومنه قوله تعالى ان الله لا يحب الفرحين (قوله أومن الشفاء) فيه ان هذا التعبير يوهم انه على التفسير الاول ليس مأخوذا من ذلك مع انه ليس كذلك فكان الظاهر أن يقول من الشفاء بمعنى فرحتنا وسرتنا أو بمعنى الرقية لانها الخ وفى البيت جناس الاشتقاق بالجمع بين شفتنا والشفاء وحقيقته أن يجمع بين الفاظ مشتركة فى المادة واصل المعنى واما تجنيس المشابهة فالشرط فيه الاشتراك فى المادة لا فى أصل المعنى كما سيأتى عند قوله قصر وقيصر وقد يقال الشفاء على معناه غير مشارك لمعنى شفتنا فيكون من شبه الاشتقاق اللهم الا ان يقال هو ناظر للاصل قبل العلمية كما فى محمد وأحمد فى البيت الآتى ومثاله فى التنزيل قوله تعالى فاقم وجهك للدين القيم بناء على ان المراد بقوله أقم استقم لتبليغه والدعاء اليه لوجود اشتراك اللفظين فى أصل المعنى فلا ينافى عد المثال الحالى من شبه الاشتقاق لانه نظر الى ان المعنى أفرغ وسعك فى صرف جميع أزمنتك فى نشره والعمل به كما سيأتى ذلك فى الشرح عند قوله قصر وقيصر وقوله يمحق الله الربا ويربى الصدقات ومثاله من الشعر قول الزمخشرى فى بديعيته تجد أجدا شتقت محاسنه ⁕ من حمد اسمه المحمود فى القدم (قوله الغليل) فى الصحاح الغلة حرارة العطش وكذلك الغليل (قوله الشفاء) قيل هو اسمها وقيل لقب واسمها ليلى وقيل صفية كما ذكره الشيخ عبد السلام اللقانى فى مولده (قوله بالفاء المشددة) هذا الضبط متعين هنا لاستقامة الوزن وفيها ضبط آخر كسر الشين وتخفيف الفاء والوزن معه غير مستقيم

(قوله البتة) في نسخة البستة وهذه النسخة ظاهرة واما نسخة البتة بمعنى بقيته الغبار ضاحيه فغير ظاهرة لان مرضعاته كما سياتى أربع ولم تعد منهن الشفاء وهى أم عبد الرحمن بن عوف وفى الشفاء ام امنة وحليمة السعدية وثويبة وام ايمن (قوله عطس) بفتح الطاء وكسرها كما في كتب اللغة (قوله الذى لا يطلق الخ) قد سبق عن القاموس ان معناه ذكر الله والدعاء واما تخصيصه بالذى يقال عقب العطاس فهى شرعى وفى حين الولادة لم يكن تشريع وبذلك يندفع قول الشارح الآتى وعلى ما قاله الخ فتدبر (قوله يحتاج فيه لسند الخ) في شرح الحلبى فاستهل أى عطس بشهادة قولها فسمعت قائلا يقول رحمك الله ورحمك ربك اذ هو شرعا قول القائل للعاطس رحمك الله ولغة كل دعاء بخير اه وقصده ان استهل استعمل في عطس مجازا بقرينة رحمك الله واستعماله مع القرينة جائز ولا يخفى ان ما نقله من اللغة ربما يمنع هذه الشهادة لاسيما وما تقرر في الشرع متأخر عن ذلك ودعوى موافقة شرعه صلى الله عليه وسلم لما قبله وسبق استعماله يحتاج لدليل اذ الاصل مخالفة كل شرع لما قبله فتأمله وفى القاموس ان التشميت ذكر الله والدعاء للعاطس كما سبق وظاهره انه لا فرق بين ان يصدر اولا والتقييد بحمد العاطس أمر شرعى وقولنا وقصده الخ قد يرد بأن الاستهلال رفع الصوت وأخذ من قول الملك رحمك الله انه رفع الصوت بالعطاس فيكون استعمال استهل في عطس حقيقة وتعلم منه رد قول الشارح وحمل الخ اذ دليل الناظم قول الملك رحمك الخ الذى يدعى به للعاطس تامل الا أن يقال ان رحمك الخ لا يختص بالعاطس فمن أين يحمل استهل بمعنى عطس فما ذكره الشارح ظاهر ثم ظهر أن التشميت يطلق على ذكر الله والدعاء للعاطس لغة كما تقدم من القاموس فيحمل كلام الناظم على هذا المعنى ولا شك ان قول الملك رحمك الله الخ دعاء فيه ذكر الله تأمل (قوله قبضة) قال الشارح في النعمة الكبرى اى اشارة الى انه يملك الارض كلها وانه يثير التراب يوم بدر وغيره فى وجوه أعدائه فيكون سببا لهزيمتهم وهلاكهم (قوله الذى هو اول فعل) فيه ان اول فعل كما علم من الرواية السابقة آنفا وقوعه على الارض ثم اعتماده على يديه ثم قبضه التراب بيده ويجاب بان عطف الرفع فيها وقع بالواو فيحتمل أن يكون الرفع قبل الفعلين المذكورين

الله تعالى عنهم بنت عمرو بن عوف وقولها هو ما أخرجه أبو نعيم عن والدها عبد الرحمن عنها قالت لما ولدت آمنة محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقع على يدى فاستهل فسمعت قائلا يقول رحمك الله ورحمك ربك قالت الشفاء واضاء لى ما بين المشرق والمغرب حتى نظرت الى بعض قصور الروم قالت ثم ألبسته واضجعته فلم البث ان غشيتنى ظلمة ورعب وقشعريرة ثم غيب عنى فسمعت قائلا يقول أين ذهبت به قال الى المشرق قالت فلم يزل الحديث منى على بالى حتى بعثه الله تعالى فكنت فى أول الناس اسلاما وحمل الناظم قولها استهل على انه صلى الله عليه وسلم عطس حتى عبر بشمته الذى لا يطلق الا على ما يقال عند العطاس يحتاج فيه لسند اذ حقيقة الاستهلال رفع الصوت عند الولادة وهذا هو الغالب من أحوال المولودين بخلافه لا يصار اليه الا بتصريح ممن يعتمد عليه ولم أره وقولها فسمعت قائلا يقول حمله على الملك هو الظاهر وجمعه بالغفر اشارة الى ان عصمة الملائكة توجب ان الفعل المسند الى أحدهم كأنه مسند الى الجميع وعلى ما قاله الناظم مع ما استقر من شرعه صلى الله عليه وسلم ان التشميت انما يسن لمن حمد الله عقب عطاسه يحتمل انه صلى الله عليه وسلم حمد الله فشمت فيكون من جملة من تكلم فى مهده وان كان صلى الله عليه وسلم عدهم ولم يذكر نفسه منهم (رافعا) حال من مفعول وضعته (رأسه) الى السماء كما رواه ابن سعد من حديث جماعة منهم عطاء وابن عباس ان آمنة قالت لما فصل منى تعنى النبى صلى الله عليه وسلم خرج منى نور اضاء له ما بين المشرق والمغرب ثم وقع الى الارض معتمدا على يديه ثم أخذ قبضة من التراب فقبضها ورفع رأسه الى السماء (وفى ذلك الرفع) الذى هو اول فعل وقع منه بعد بروزه الى هذا العالم وهو خبر مقدم (الى كل سودد) أى رفعة وسيادة على الخلق وهو متعلق بالمبتدا الذى هو (ايماء) اى اشارة الى ان شأنه وقدره يرتفع ويعلو فى الدنيا والآخرة الى مراتب لا يصلها غيره من ملك ولا جن ولا انس (رامقا) حال ثانية من الاولى وتعدد الاحوال جائز كتعدد الاخبار أو من ضمير رافعا فهى من الاحوال المتداخلة

(طرفه) أى بصره (السماء) أى ناظرا الى جهتها نظرا خفيا كما علم من حديث عطاء وابن عباس المذكور وروى الطبرانى انه لما وقع على الارض وقع مقبوضة أصابع يديه مشيرا بالسبابة كالمسبح بها وسبقت رواية انها لما وضعته نظرت اليه فاذا هو ساجد قد رفع اصبعيه الى السماء كالمتضرع المبتهل (و) سر هذا الرمق الاشارة الى علو مرماه اذ (مرمى) وفى الاصل غرض الرامى الذى يصيبه سهمه وهنا ما انتهى اليه البصر (عين من) موصول (شانه) أى قصده (العلو) ارتفاع مكانه والجملة الصلة وخبر مرمى (العلاء) بالفتح والمد أى الرفعة والشرف ويجوز ضم عين مع القصر اى كان رفع رأسه ايماء الى ما مر فكذلك رمقه ببصره الى جهة العلو ايماء الى انه لا يقصد الا اعلى المراتب اذ من شانه العلو لا يقصد الا جهاتها وما وصل اليها دون غيرها مما لا يناسب قصده فعلم ان المترتب على الرفع والرمق متحد بالذات مختلف بالاعتبار اذ التوجه الى جهات العلو الذى هو مفادهما له اعتبارات مختلفة (و) يوم (تدلت) اى قربت ودنت فهو عطف على نالت (زهر النجوم) من اضافة الصفة الى الموصوف اى الكواكب المضيئة (اليه) صلى الله عليه وسلم كرامة له وتعظيما لم يقع نظيره لغيره كما رواه البيهقى وابن السكن عن عثمان بن ابى العاص عن امه فاطمة الثقفية رضى الله تعالى عنها انها قالت لما حضرت ولادة رسول الله صلى الله عليه وسلم رأيت البيت حين وقع قد امتلأ نورا ورأيت النجوم تدنو حتى ظننت انها تقع على (ف)سبب هذا التدلى (أضاءت بضوئها) اى تلك الكواكب المضيئة (الارجا) أى نواحى البيت او نواحى السماء او نواحى الوجود باسره (و) يوم (تراءت) من رأى بمعنى ابصر وليس المراد هنا حقيقة التفاعل بل أصل الفعل كيخادعون الله وعاقبت اللص اى رئيت (قصور قيصر) وهو اسم لقب لكل من ملك الروم (بالروم) اى فى بلاد الروم وهو ابن عيصو وبين قيصر وقصور التجنيس المطلق وسماه قوم كالسكاكى وغيره تجنيس المشابهة وهو تماثل الكلمتين بحيث يشبهان المشتقين الراجع معناهما الى اصل واحد كقوله تعالى أزفت الآزفة يا أسفا على يوسف اسلمت مع سليمان فأقم وجهك للدين القيم وزعم الحلى ان هذا ليس من اصناف التجنيس وان عده اكثر المؤلفين تجنيسا غلط وليس كما زعم لانهم لم يطلقوا كونه تجنيسا وانما قيدوه بتجنيس المشابهة تفنيدا انه أشبه التجنيس وليس فى الحقيقة تجنيسا وسيمر بك كثير منه مما اعتبره ناظم وفيه تجنيس شبه الاشتقاق وما ذكر

(قوله طرفه) مفرد لا جمع لو هو فاعل رامقا والسماء مفعول وفيه اشارة الى انه علوى ليس من جنس من فى الارض بل صفاته البشرية كلها ملكية منزهة عن الشهوات الدنيوية مطهرة عن الآفات البشرية (قوله خفيا) لان الرمق النظر الخفى لا مطلق النظر كما فى اللغة (قوله كما علم الخ) فيه ان الذى علم من روايتهما رفع رأسه الى السماء ولا يلزم منه الرمق بطرفه اليها فتدبر (قوله وسبقت رواية الخ) يجمع بين الروايات بان وقت انفصاله واتصاله بالارض وقع منه جميع ما ذكر فتارة قبض بيده التراب وتارة رفع اصبعيه السبابتين وتارة رفع احداهما وتارة وقع مقبوض الاصابع وتارة رؤى قابضا على حريرة بيضاء وقيل خضراء وتارة رؤى ساجدا وتارة رافعا رأسه لجهة السماء (قوله الرمق) بسكون الميم لانه مصدر رمق وبابه نصر كما فى المختار (قوله ما انتهى اليه البصر) شبهه بغرض الرامى على طريق الاستعارة التحقيقية بجامع قصد كل (قوله مع القصر) أى وفى غير النظم فان المد فيه متعين وسببه اذا ضمت العين الضرورة (قوله يخادعون) أى يخدعون وبابه قطع وفيه مضاف محذوف أى رسول الله والا فهو لا يقصد عاقل به الذات العلية اذ هو ايهام غيرك خلاف ما تخفيه لتنزل به ما يكرهه وتصرفه عما هو بصدده من قولهم ضب خادع اذا أوهم قاصده اقباله عليه ثم خرج من باب آخر وذلك المعنى مستحيل على الله تعالى (قوله وهو ابن عيصو) عبارة الجوهرى والروم هو من ولد الروم بن عيصو وعبارة المالكى والروم من ذرية عيصو بن يعقوب اهـ وهذا بحسب الاصل والا فقد صار اسما للقطر المعروف ف ولذا قال الشارح لقب لكل من ملك الروم (قوله يا أسفا على يوسف) قال بعضهم فى كون هذين اللفظين يرجع معناهما الى أصل واحد نظر وكذا أسلمت وسليمان اهـ وفيه نظر لان الرجوع لمعنى واحد انما هو فى المشتقين حقيقة والامثلة التى ذكرها الشارح للمشبهين بالمشتقين لا المشتقين كما فهم هذا البعض فتأمل

(قوله واصل ذلك الخ) الذي يناسب كونه أصلا لما هنا حديث الشفاء الآتي اذ هو المذكور فيه قصور الروم وما عداه مما ذكر من
الروايات انما فيها قصور الشام (قوله دعوة أبي ابراهيم) وذلك انه لما فرغ من بناء البيت ودعا بجعل ذلك البلد آمنا وان افئدة
من الناس تهوي اليهم قال ربنا وابعث فيهم رسولا منهم الآية فاستجاب الله له وجعل نبينا صلى الله عليه

في الاخير هو ما ذكره الحلبي ولا ينافيه عد غيره له من تجنيس الاشتقاق لانه نظر الى ان المراد
من أقم وجهك للدين افرغ وجهك في صرف جميع أزمنتك في نشره والعمل به وغيره
نظر الى ان المراد استقم لتبليغه والدعاية اليه حال كون تلك القصور (يراها) رؤية كاملة
(من) أي التي (دار به البطحاء) أي مكة والابطح والبطحاء المسيل الواسع الذي فيه
دقاق الحصباء وأصل ذلك الحديث الصحيح انه صلى الله عليه وسلم قال اني عبد الله خاتم
النبيين وان آدم لمنجدل في طينته وسأخبركم عن ذلك أنا دعوة أبي ابراهيم وبشارة عيسى
ورؤيا أمي التي رأت وكذلك امهات الانبياء يرين وان أم رسول الله صلى الله عليه وسلم
رأت حين وضعته نورا أضاءت له قصور الشام وفي رواية عنها قالت رأيت كأنه خرج من
فرجي شهاب اضاءت له الارض حتى رأيت قصور الشام وفي اخرى رأيت ليلة وضعه نورا
حتى أضاءت له قصور الشام حتى رأيتها وفي اخرى لما ولدته خرج من فرجي نور اضاءت له
قصور الشام فولدته نظيفا ما به قذر وفي اخرى لما فصل مني خرج معه نور اضاءت له ما بين
المشرق والمغرب وفي رواية الشفاء السابقة أضاء له ما بين المشرق والمغرب حتى نظرت
الى بعض قصور الروم ولا ينافي هذه الروايات رواية انها رأت مثل ذلك عند ابتداء حمله
لان تلك الاضاءة وقعت مرتين عند حمله وعند ولادته زيادة في البشارة بظهوره وظهور
دينه وخصت الشام بالذكر في اكثر الروايات لما اختصت به من سبق نور نبوته صلى الله
عليه وسلم اليها ومن ثم نقل كعب عن الكتب السابقة انها دار ملكه اي باعتبار سبقه
اليها قبل نظرائها ولذا اسري به صلى الله عليه وسلم الى بيت المقدس منها كما هاجر اليها
ابراهيم ولوط عليهما الصلاة والسلام وبها ينزل عيسى عليه السلام وهي أرض المحشر
والمنشر * (فائدة) * صح عند الضياء انه صلى الله عليه وسلم ولد مختونا مقطوع السرة
حتى لا يرى احد سوأته وزاد الحاكم ان ذلك تواترت به الاخبار واعترضوا التصحيح بانها
كلها ضعيفة والتواتر بانها اذا لم تصح كما تقرر فكيف تواترت قيل على ان كثيرا من الناس
ولد مختونا فلا خصوصية فيه بل قال ابن الكلبي ان آدم واثني عشر نبيا بعده ولدوا
مختونين وروى بعض الحفاظ بسنده الى ابن عساكر ان عبد المطلب ختنه يوم سابع ولادته
وجعل له مأدبة وسماه محمدا وفي طريق منكر انه ختن عند حليمة حين شق قلبه ولما تم
الكلام على عجائب ولادته صلى الله عليه وسلم ومعجزاتها شرع في ذكر عجائب الرضاع
ومعجزاته فقال مستأنفا أو عاطفا على الجمل (وبدت) أي ظهرت تلك في عصره صلى الله

وسلم من نسله وجوزي سيدنا ابراهيم صلى الله عليه وسلم على ذلك بما التنا عليه في صلوات امته وباسم محمد صلى الله عليه وسلم باسماعه (قوله الشام) قال ابن هشام في التيجان اسم أعجمي من لغة بني سام ومعناه بالعربية خير طيب (قوله عند ابتداء وضعه) أي حال كونه حملا (قوله لان تلك الخ) وفي تاريخ ابن كثير ان ما رآته حين الحمل كان مناما وما رآته حين الوضع كان عيانا (قوله فكيف تواترت) وقد اجيب بان المراد بتواترها اشتهارها وكثرتها في السير لا من طريق السند المصطلح عليه عند أئمة الحديث كما سيأتي عن القسطلاني نقلا عن امام السير (قوله ان آدم واثني عشر نبيا) نظمها بعضهم في قوله

تولد مختونا محمد آدم
وشيث شعيب نوح عيسى وحنظله
سليمان موسى هود لوط ويوسف
كذا زكريا وصالح فادع له

(قوله وسماه محمدا) وسبق ان امه أمرت بان تسميه محمدا ولا مانع انها سمته بذلك سرا وان جده سماه به جهرا كل ذلك ليطابق تسميته به قبل فقد صح ان آدم رأى اسم محمد صلى الله عليه وسلم مكتوبا على العرش وان الله تعالى قال لآدم لولا محمد ما خلقتك انتهى
كلام الشارح في النعمة الكبرى (قوله ختن عند حليمة) ختنه جبريل عليه الصلاة والسلام حين طهر قلبه فالحاصل ان هذه
الاقوال الثلاثة لم يثبت منها شيء من طريق الاسناد لكن أكثرها طرقا القول الاول وهو الذي جزم به امام السير محمد بن اسحق
ولم يذكر غيره انتهى من أمالي الحافظ القسطلاني

عليه وسلم بطريق العيان ولمن بعدهم بطريق البرهان (في) فعل وزمن (رضاعه) وهو امتصاص اللبن من الثدى (معجزات) تسميتها بذلك مجاز أو جرى على اصطلاح السلف كالامام أحمد فانهم يطلقون المعجز على كل خارق ليس بسحر وجدت فيه الشروط الآتية أم لا ولكن الاشهر الذى عليه أكثر علماء الكلام وغيرهم ان المعجزة لا تطلق حقيقة الا على الامر الخارق للعادة المقرون بالتحدى الدال على صدق الانبياء عليهم الصلاة والسلام فعلم ان لها شروطا أحدها خرقها للعادة فان تخيل وقوعها كانشقاق القمر ثانيها اقترانها بالتحدى وهو طلب المعارضة والمقابلة مع أمن معارضتها من تحديت فلانا نازعته لاغلبه وهو مجاز اذ أصله الحداء يتعارض فيه الحاديان فيتحدى كل الآخر أى يطلب حداءه فخرج الخارق من غير تحد وهو كرامة الولى والخارق المتقدم على التحدى كاظلال الغمام وشق الصدر الواقعين لنبينا صلى الله عليه وسلم قبل النبوة فهى كرامات لا معجزات وتسمى ارهاصا أى تأسيسا للنبوة لا يقال تخرج به أيضا الخارق المتأخر عند التحدى بما يخرجه عن المقارنة العرفية لانه يلزم عليه اخراج أكثر آياته صلى الله عليه وسلم كنطق الحصا والجذع والدواب ونبع الماء بل قيل لعله لم يتحد بغير القرآن وتمنى الموت وزعم أنه لا معجزة الا هذان أقرب الى الكفر منه الى البدعة فالحق أن المراد بالتحدى ليس معناه الاصلى بل المراد به دعوى الرسالة وكل معجزاته مقارنة لذلك والخارق الذى لا تؤمن معارضته كالسحر سواء أقلنا انه قلب الاعيان أو احالة الطبائع لانا وان جوزنا ذلك فقد جرت العادة الالهية بانه لا يقع من مدعى النبوة كذبا وانما يقع من مدعيها صدقا ما لم تقل بذلك وهو ظاهر ولا ينافى ذلك ما يظهر على يد الدجال من الخوارق العظيمة لانه ليس مدعيا النبوة بل الالوهية وقد دلت القواطع على كذبه وان برزت على يديه لمحض الفتنة لا غير ثالثها دلالتها على صدق المتحدى فخرج الخارق المكذب له كان قال آيتى نطق هذه الدابة فنطقت بكذبه كما وقع لمسيلمة الكذاب اللعين انه تفل فى بئر ليكثر ماؤها فغارت لا يقال كان ينبغى للناظم رحمه الله تعالى أن يقول آيات أو بينات أو برهان لان هذه هى الواردة فى القرآن والسنة دون لفظ المعجزة لانا نقول هى وان لم ترد لكن صارت فى اصطلاح المتأخرين أبين وأظهر فلذا خصت بالذكر (ليس فيها) متعلق بخفاء (على العيون خفاء) لوضوحها وهو اسم مصدر لاخفيته لانه الذى بمعنى كتمته لا مصدر خفيته لانه بمعنى اظهرته و بين بدت وخفاء الطباق (اذ) أى وقت أو لاجل انه (أبته ليتمه) أى لاجل موت أبيه وقد مضى له وهو حمل شهران وقيل سبعة أشهر وقيل مات وهو فى المهد وهذا قد ينافيه ما فى المتن الا أن يقال يحمل عليه انه مات عقب الوضع

(قوله بطريق العيان) أى لبعض أهل عصره (قوله فعل) انظر أى حاجة لتقديره مع أنه يصح الحل من فعل امتصاص اللبن وفيه تهافت (قوله الحداء) بضم الحاء والمد ويقال حدا حدوا كغدا غدوا كذا يؤخذ من المختار (قوله فالحق الخ) وقد يجاب ايضا بان المراد بقوله مقرون بالتحدى تصريحا أو بلسان الحال كما أشار اليه استاذنا البكرى فى شرحه نقلا عن شارح الهلائل (قوله الطباق) وهو الجمع بين متضادين فكان المتكلم يطابق الضد بالضد ومنه وانه هو أضحك وابكى وأنه هو امات وأحيى ومنه قول الصفى فى بديعيته

قد طال ليلى واجفانى به قصرت
عن الرقاد فلم أصبح ولم أنم

(قوله لا مصدر الخ) فى القاموس ما يقتضى ان خفيته بمعنى سترته وبمعنى أظهرته فيكون مما يستعمل فى المتنافيين وعبارته خفاه يخفيه أظهره كاخفاه وخفى كرضى خفاء فهو خاف وخفى لم يظهر وخفاه هو وأخفاه ستره وكتمه انتهى المراد منه فما اقتضاه ظاهر الشارح من أن خفاء لا يكون مصدر لخفيته بمعنى سترته غير مسلم تأمل (قوله قد ينافى ما فى المتن) ان كان مراده به قوله ليتمه لم يظهر لان وصف اليتم لا يتوقف على موت الاب قبل الوضع بل على موته قبل بلوغه وان كان مراده قوله أبته بقرينة قوله يحمل عليه انه مات عقب الخ المقتضى ان الاباء قبل ان يرضع من أحد حتى من أمه لم يظهر أيضا لانها من جملة مرضعاته الاربع ولم يروا انها أرضعته بعد أخذ حليمة فيكون ارضاعها قبل بعد وضعه قبل أخذها وذهابها به نعم سياتى ان اول لبن دخل جوفه لبن حليمة وهذا لا ينافى ارضاع امه له قبل ذهاب حليمة به والحاصل انه ان لم يثبت طلب المرضعات عقب الوضع فالمانع من أن يكون طلبهن بعد موت أبيه على القول بانه مات بطيبة

؎ او الابواء على القول به و وصفه باليتم صحيح حينئذ لانه صغير لا أب له وتكون امه اوغيرها من مرضعاته غير حليمة قد ارضعته هذه المدة قبل موته وطلب المرضعات الرضعاء لكن هذا قد ينافيه ان حليمة أول من أرضعته وقد يقال لا مانع من ارضاعها اياه ولا حين وضعه ثم أرضعه غيرها ثم وقع أخذها له وذهابها به الى قبيلتها هذا وقد علمت ان الراجح موته وهو حمل (قوله وقد تقرر) ان كان المراد من كلام غيره فمسلم والا فلا اى محل سبق فى كلام الناظم تقريره (قوله وانما يتم) قال فى القاموس اليتم بالضم الانفراد أو فقدان الاب ويحرك وفى البهائم فقدان الام واليتيم الفرد وكل شئ يعز نظيره وقد يتم كضرب وعلم يتما ويفتح وهو يتيم ويتمان ما لم يبلغ الحلم (قوله ثم لا يكون الخ) فيه نظر فانه ارتضع من حليمة وان كان له الفضل عليها فى ذلك ولو عاش أبوه وامه حتى كبر لكان فضله عليهما اهـ دنوشرى (قوله اما هذا اليتيم) ذكر بعضهم فى حكمة يتمه انه لا يجب عليه طاعة لغير الله وأن لا يكون عليه ولاية لغير الله اهـ وفيه ان الجد أب الاب ٤٩ كالاب تجب طاعته وله الولاية (قوله عنا غناء) راعى الناظم الجناس وترك جزالة المعنى ولو قال ما فى اليتيم هذا غناء لكان ظاهر المعنى وأشار الشارح الى تصحيح المعنى بقوله يغنى عنا شيأ وفيه تكلف فان جعلت عن بمعنى اللام ظهر المعنى وجزل من غير احتياج لذلك التقدير ولا تغيير عنا بهذا (قوله بفتح المعجمة) واما بكسرها والمد فالسماع و بكسرها والقصر فاليسار مقابل الفقر والعسر (قوله على خلاف فيه) يوهم أو يصرح بان بعضهم منع ذلك وفيه نظر والتصحيف راجع للنقط والتحريف باعتبار تشديد النون وعدم تشديدها والنقص باعتبار زيادة الهمزة والتحريف هو اختلاف

٧ ؎ هيئة الحروف بان يكون الحرف مشددا فى كلمة وغير مشدد فى أخرى ومفتوحا فى كلمة ومكسورا فى أخرى كغدا وغذاء فى البيت الآتى (قوله فقول الشارح) الذى رأيته فيه وفتاة فاعل ومن آل سعد متعلق بفأتته وليس فيه الكلام على خصوص معنى من (قوله بحصول غايات الخ) فيه ان الذى يؤخذ من لفظ حليمة دوام الحلم او كثرته ومن لفظ سعد وجود أصل السعد لكونه ليس صيغة مبالغة ولا صفة مشبهة فن اى وجه دلالتها على غايات ما ذكروا ما حصولها فالحق الواقع فيه عند كل مسلم (قوله يحب الفأل الحسن) وفى الاثر فى بئر الحديبية انهم نزحوها فقال عليه الصلاة والسلام من يمتح لنا الماء فقال رجل أنا قال ما اسمك قال مرة قال تأخر فقال آخر الى ان قال الله قال ما اسمك قال ناجية قال انزل واخرج الطبرانى فى معجمه أن النبى صلى الله عليه وسلم سمع رجلا يقول يا خضرا فقال لبيك أخذنا فألك من فيك والفأل بالهمز ضد الطيرة كأن يسمع مريض يا سالم او طالب ضالة يا واجد ويستعمل فى الخير والشر كذا فى القاموس فى المهموز وتخفيف الهمزة يجعلها الفاصحيح

قبل أن يرضع لكن يرده ان موته انما كان بطيبة المنورة وهو آت من تجارة الشام من عند اخوال أبيه عبد المطلب بنى النجار وقد تقرر ان المرضعات عقب وضعه على انه قيل انما سمى عبد المطلب لانه لما ولد بطيبة ذهب اليه عمه المطلب ليأتى به مكة فكان كل من يراه معه يتوهم انه عبده فيناديه بعبد المطلب ثم اشتهر به وقيل دفن بالابواء محل قريب من رابغ قال جعفر الصادق وانما يتم صلى الله عليه وسلم لئلا يكون لمخلوق فى عنقه حق (مرضعات) كن يأتين الى مكة يلتمسن الرضعاء لان ارضاع المرأة ولدها عار عندهم (قلن) اى تركناه لا نا انما نبغى الرضعاء رجاء المعروف من آبائهم واما الام والجد فعسى أن يصنعا و(ما فى) هذا (اليتيم) بينه وبين يتم جناس الاشتقاق (عنا) متعلق بقوله (غناء) بفتح الغين المعجمة أى ليس فيه ليتمه وفقره نفع يغنى عنا شيأ وبينهما الجناس المصحف المحرف الناقص على خلاف فيه منتشر (ف) بعد ان تركنه لذلك (اتته من آل سعد) بن بكر ونسبت اليه مع انه الجد التاسع لانه اشهر وبه عرفت القبيلة وزوجها منهم أيضا (فتاة) أى شابة كريمة كائنة من بعض هذه القبيلة فقول الشارح انه من يلية بعيد وفى كونها حليمة السعدية من الفأل الحسن والبشارة العظيمة بحصول غايات الحلم والسعد لهذا الرضيع ما لا يخفى عظيم وقعه وقد كان صلى الله عليه وسلم يحب الفأل الحسن (قد أبتها فقرها الرضعاء) جمع رضيع أى أهلهم لان الفقر يستلزم قلة الاكل المستلزمة عادة لقلة اللبن المضرة بالرضيع غالبا وما نه طامن جهل ربما تصرف فى حوائجها الخارجة فلا يقصدها فى دفع الجوع الذى هو المحذور وواصل ذلك ما رواه ابن اسحق واسحق بن

(قوله صبيها) واسمه ضمرة أخوه صلى الله عليه وسلم من الرضاعة (قوله ما ينبض) بالضاد المعجمة ما ترشح وروى بالصاد المهملة أى ما يبرق عليها أثر لبن من البصيص وهو البريق واللمعان وكل منهما من باب ضرب (قوله قلت لزوجي) فقال لها زوجها الا علمك أن تفعلي عسى الله ان يجعل لنا فيه بركة (قوله يغط) بكسر الغين من الغطيط وهو صوت النائم (قوله فأشفقت ان أوقظه) أى بدون تلطف بقرينة قولها رويدا والا فوضع يدها على صدره سبب ليقظته الا ان يقال هو وان كان سببا لها لكنها لم تقصد ايقاظه فلا ينافي قولها اشفقت ان اوقظه ولو بدون تكلف زيادة تلطف قال في القاموس شفق واشفق حاذرا ولا يقال الا أشفق اه وقال البيضاوى عند قوله تعالى أأشفقتم ان تقدموا بين يدى نجواكم صدقات أخفتم الفقر اه

راهويه وأبو يعلى والطبراني والبيهقي وأبو نعيم عن حليمة رضى الله تعالى عنها انها قدمت مكة في نسوة من قومها يلتمسن الرضعاء في سنة مجدبة ومعها صبيها وشاقها ما تبض بقطرة لبن ولا لبن بثديها فلا ينام صبيها من الجوع قالت وما علمت امرأة منا الا وقد عرض عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فتأباه اذا قيل يتيم فوالله ما بقى من صواحبي امرأة الا أخذت رضيعا غيرى فلما لم أجد غيره قلت لزوجي والله انى لاكره ان أرجع من بين صواحبي ليس معى رضيع لانطلقن الى ذلك اليتيم فلا تخذنه فذهبت فاذا به مدرج في ثوب من صوف أبيض من اللبن يفوح منه المسك وتحته برة خضراء راقدا على قفاه يغط فاشفقت ان اوقظه من نومه لحسنه وجماله فدنوت منه رويدا فوضعت يدى على صدره صلى الله عليه وسلم فتبسم ضاحكا وفتح عينيه ينظر الى فخرج من عينيه نور حتى دخل خلال السماء وانا انظر اليه فقبلته بين عينيه وأعطيته ثديي الايمن فأقبل عليه بما شاء من لبن فحولته الى الايسر فأبى وكانت تلك حاله صلى الله عليه وسلم بعد قال أهل العلم أعلمه الله ان له شريكا فألهمه العدل ثم أخذته فما هو الا ان جئت به رحلى فقام صاحبي تعنى زوجها الى شارفنا تلك فاذا بها حافل فحلب ما شرب وشربت حتى روينا وبتنا بخير ليلة من الخير والبركة حين أخذناه فلم يزل الله تعالى يزيد نا خيرا وفي رواية انها لما ودعت أمه وذهبت به على اتانها سجدت نحو الكعبة ثلاث سجدات ورفعت رأسها الى السماء ثم مشت فسبقت دواب نفر من بنى سعد فصرن يتعجبن ويقلن لها أهذه أتانك التى كانت ترفعك طورا وتخفضك أخرى فتقول نعم فيقلن لها ان لها لشأنا عظيما فسمعت الاتان تقول ان لى لشأنا عظيما بعثنى الله بعد موتى ويحكن هل تدرين من على ظهرى على ظهرى خير الاولين والآخرين وأبدل من أتته قوله (ارضعته لبانها) بكسر أوله مفعول به ويجوز على بعد كونه مفعولا مطلقا لان معنى لبانها ارضاعها اذ يقال هو أخوه بلبان أمه ولا يقال بلبنها فاللبان يختص بلبن الرضاع (فـ) بسبب هذا الارضاع لهذا المولود الافضل من سائر

المخلوقات

وهو بمعنى ما في القاموس (قوله وأعطيته ثديي) وأول لبن دخل جوفه قبل لبن حليمة كما ذكره في شرح تائية السبكى ومرضعاته صلى الله عليه وسلم أربع أمه وحليمة وثويبة مولاة أبي لهب وأم أيمن ولم ترضعه امرأة الا أسلمت كما قاله السيوطى في خصائصه الصغرى (قوله بما شاء من لبن) انظر معنى هذه العبارة ثم رأيت في شرح تائية السبكى أقبل عليه ثدياى والمعنى على ما ذكر الشارح ظاهر أيضا اى أقبل ثديي عليه بالذى شاءه النبى صلى الله عليه وسلم ومن لبن بيان لما (قوله الى شارفنا) قال في القاموس الشارف من النوق المسنة الهرمة كالشارفة اه فاستعماله في الشاة مجاز علاقته المشابهة كما سيأتى نظيره في الشارح فتأمل (قوله حافل) اى كثيرة اللبن والحفل كالتصرية وهو ان تترك الشاة اياما ليجتمع لبنها في الضرع للبيع (قوله روينا) بكسر الواو بوزن رضى (قوله ويحكن) قال في المختار ويح كلمة رحمة وويل كلمة عذاب وقيل هما بمعنى واحد وتقول ويح لزيد وويل له فترفعهما على الابتداء ولك ان تنصبهما باضمار فعل تقديره ألزمه الله ويحا وويلا ونحو ذلك وكذا ويحك وويلك وويح زيد وويل زيد منصوب بفعل مضمر (قوله لان معنى لبانها الخ) أحسن من هذا ما ذكروه في اقامة الاسم موضع المصدر من قولهم في ضربته سوطا ضرب سوط تأمل فيه (قوله يختص الخ) قد ينافيه قوله لان معنى لبانها ارضاعها اه دنوشرى وقد يقال لا منافاة لان الاول بيان لمعنى مجازى من اطلاق اسم المسبب على سببه والثانى بيان لمعناه الحقيقى

المخلوقات (سقتها) اى حليمة (وبنيها) وقد كانوا أشرفوا على الهلاك من الجوع لما مر ان أرضهم كانت فى غاية المحل والجدب (لبانهن) فيه استعمال اللبان فى غير لبن الرضاع وكان الحامل عليه مقابلته بلبانها السابق فيكون من باب المشاكلة فهو ومكروا ومكر الله وتعلم ما فى نفسى ولا أعلم ما فى نفسك (الشاء) جمع شاة كرامة لذلك المولود صلى الله عليه وسلم واغلقتم مع ذلك المحل لالبانها ببركته صلى الله عليه وسلم (أصبحت) فهو من أسلوب الحكيم ويجوز كونه حالا لتطرق الصورة تعريفه وصفة لتطرق الكون أل فيه جنسية نحو * ولقد أمر على اللئيم يسبنى * (شولا) بالتشديد جمع شائل وهى فى الاصل الناقة التى تشول بذنبها للقاح ولا لبن بها أصلا فاستعمالها فى الشاة مجاز علاقته المشابهة (عجافا) اى هزيلات (وأمست) لم يرد باصبح وامسى معناهما بل أنها كانت فى حال عجافا اعتراها نقيضه فى أقرب زمن واسرعه ففيهما الطباق وان لم يرد بهما موضوعهما (ما بها) اى فيها (شائل) مبتدأ أو فاعل الظرف (ولا عجفاء) اى هزيلة وبين اثبات الشول والعجاف ونفيهما طباق على حد قوله تعالى ولكن أكثر الناس لا يعلمون يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا ولك ان تقول ليس ما هنا على وزان الآية لان الذى فيها نفى العلم عنهم واثبات بعضه لهم لا بقيد زمن ولا غيره وما هنا فيه الاثبات فى زمن والنفى فى زمن آخر وهذا لا تضاد فيه حقيقة ولا ايهاما وشرط الطباق التضاد أو ايهامه ولو ببادئ الرأى كما هو معلوم من استقراء أمثلتهم وذكر الزمنين المختلفين يمنع من ذلك ولا ينافيه عدهم من الطباق قوله تعالى أو من كان ميتا فأحييناه اذ الفاء تأتى لغير التعقيب فالايهام موجود على انها معه قد لا تمنعه أيضا لان ضمير احييناه للميت فكأنه قال أحيينا الميت وهذا فيه اجتماع الحياة والموت فتأمله (الخصب) من الخصب بكسر أوله وهو ضد الجدب (العيش) اى كثر قوت الآدميين والدواب (عندها) اى حليمة أو الشاء وبرجحه منها الآتى (بعد محل) اى شدة جدب وهو انقطاع المطر ويبس الارض من الكلا والزرع (اذ) اى ذلك الاخصاب وقت أو لاجل أن (غدا) اى صار (النبى) الاعظم صلى الله عليه وسلم (منها) اى من الشاء (غذاء) بالمعجمة اى لبان يغذيه وبين غدا وغذاء الجناس السابق فى عنا وغناه

(قوله فيه استعمال الخ) مبنى على نسخته التى وقع فيها لفظ اللبان وفى عدة نسخ ألبانهن (قوله ومكروا) اى الذين أحس عيسى منهم الكفر من اليهود بأن وكلوا على عيسى من يقتله ومكر الله حين رفع عيسى وألقى شبهه على من قصد اغتياله حين قتل والمكر من حيث انه فى الاصل حيلة يجلب بها غيره الى مضرة لا يسند الى الله تعالى الا على سبيل المقابلة والازدواج وهو المشاكلة التى عبر بها الشارح وهى ذكر الشئ بلفظ غيره لوقوعه فى صحبته ومنها وجزاء سيئة سيئة مثلها فليس الجزاء عنها سيئة حقيقة بل لوقوعها فى صحبة لفظها أطلق عليها اسمها (قوله ويجوز كونه حالا) اى بتقدير قد (قوله تشول) اى بذيلها (قوله وهذا فيه اجتماع) فيه نظر ظاهر اذ كيف يأتى هذا الايهام مع الحكم بوقوع الموت فى الماضى الذى هو مدلول كان ثم خلافه الحياة اذ المعنى أو من كان ميتا بالكفر فأحييناه بالهدى فالزمان مختلف البتة والحق المنافاة وأنه مساو لما فى النظم كما لا يخفى على المنصف على أن الذى أفاده الفاضل الحلبى فى شرح هذا الكتاب أخذا من كلامهم ان المطابقة هى الجمع بين معنيين متضادين لا يعنى كونهما أمرين وجوديين يتعقبان على محل واحد بينهما غاية الخلاف كالسواد والبياض بل اعم منه بان يكون بينهما تناف وتقابل فى الجملة حقيقيا أو اعتباريا تقابل تضاد أو تناقض او ايجاب وسلبا أو ملكة وعدم ولا يخفى شموله لما فى النظم اهـ طبلاوى (قوله ويرجحه منها) قد يقال بل الاظهر كون حليمة مرجعا لان غذاءه صلى الله عليه وسلم منها بلا واسطة ومن الشاء بواسطتها (قوله الجناس السابق) تقدم انه المصحف المحرف الناقص والذى هنا المصحف الناقص فقط ثم راجعنا بعض شروح البديعيات فوجدنا المحرف ان تستوى الكلمتان فى الخط ويكون الشكل فارقا بينهما فيشمل اختلاف الشكل بالتشديد والتخفيف كما سبق واختلافه بالفتح والكسر كما هنا ومثلوا له بقول الحريرى

وقلت للائمى أقصر فانى * سأختار المقام على المقام اى مقام ابراهيم عليه الصلاة والسلام على المقام فى بلده فالاختلاف بين الكلمتين بفتح ميم الاولى وضم ميم الثانية فلذا كره الشارح من وجود الثلاثة هنا صحيح

(يالها) كلمة تعجب من هذه الفعلة الجليلة من حليمة وهي ارضاعها له صلى الله عليه وسلم من غير مقابل دنيوي ترجوه ونظير هذا التعجب قوله في البردة * ياطيب مبتدا منه ومختتم * فالنداء فيه للتعجب اذ لا ينادى الا العاقل أو المنزل منزلته والعرب اذا استعظمت شيأ نادته على سبيل التعجب وهذا فيه مجاز التشبيه لتشبيه ماتعجب منه لعظمته بمنادى يسمع ويعقل وزعم ان يا للتنبيه مردود بانهم لم يذكروا هذا من محالها قيل والتقدير يامتعجبا تأمل طيب مبتدئه وقيل ومختتمه ويامتعجبا تامل مااستقربها (منة) تميز اى نعمة منها عليه (لقد) اللام للقسم أو للتأكيد (ضوعف الاجر) اى كرر الثواب اذ تضعيف الشئ ان يزاد عليه مثله أو أكثر (عليها) اى توالى وتتابع حال كونه مستوليا على حليمة فعلى على بابها من الاستعلاء المجازى أو على تلك المنة اى لاجلها على حد قوله ولتكبروا الله على ماهداكم اى لاجل هدايته اياكم وحال كونه (من جنسها) كما علم من قوله فسقتها الخ (والجزاء) من عطف الرديف اذ هو الاجر وذلك لان الجزاء من جنس العمل فلما سقته صلى الله عليه وسلم لبنها سقتها وبنيها اشياعها مع انها كانت وقت أخذه صلى الله عليه وسلم من أمه على غاية من الهزال وعدم اللبن فلابد أن غذاءه كان من البانها أزال الله عنها المحل والجدب وابدلها منهما الخصب والخير الكثير جزاء وفاقا واعلم ان ماحصل لحليمة من هذه المزية الجليلة انما نشأ عن تسخير الله لها لهذا الفعل الجميل الصادر منها الناشئ عن سبق سعادتها (و) قد تقرر في المعقول والمنقول أنه (اذا سخر) اى ذلل ووفق (الاله أناسا) لفظ في الناس (لسعيد) اى لخدمته ومحبته والقيام بشأنه (فانهم) بسبب ذلك (سعداء) جمع سعيد لان بركة ذلك السعيد ويمنه وبره تتابع عليهم حتى يكونوا من سعداء الدنيا والآخرة ولان المرء مع من أحبه من الاكابر وان لم يعمل بعملهم كما صح الحديث به ولان الارواح كما في الحديث

(قوله مردود) ذكر صاحب المتن في قوله الا يا اصدقوا ان بعضهم حمله على حذف المنادى وبعضهم على التنبيه فهو من جملة محالها (قوله والتقدير الخ) يقتضى ان المنادى عاقل محذوف وذلك ينافي قوله آنفا فالنداء الخ وقوله فيه مجاز التشبيه الخ ويجاب بان مراده ان طلب الاقبال لا يكون حقيقة الا للعاقل فلا ينافي قوله والتقدير الخ وفيه نظر فحرر المقام والذي يظهر ان قوله وفيه مجاز التشبيه الخ ينافي قوله والتقدير الخ لان ماقرره في التجوز يقتضى ان النداء واقع على النعمة المشبهة ولا يظهر لذلك معنى في تركيب المتن وقوله والتقدير يقتضى ان المنادى محذوف عاقل والمعنى ظاهر عليه وقد علمت عدم منافاته لكون الكلمة للتعجب لانه بيان للمعنى لا للوجه الاعرابى فتأمل (قوله اى نعمة منها عليه) اى ظاهر الكونها سياق غذائه بلبنها وأما في نفس الامر فالمنة عليها بكون الله تعالى سخرها لها لترضعه اذ هو عليه الصلاة والسلام أصل وجود كل خير لكل مخلوق (قوله او للتأكيد) اى لمضمون الجملة التى بعدها ففي المغني ان اللام غير العاملة من أقسامها لام الابتداء وذكر من فوائدها توكيد مضمون الجملة وأنها تدخل باتفاق في موضعين الابتداء نحو لأنتم أشد رهبة وبعد ان وتدخل على ثلاثة باتفاق الاسم والمضارع والظرف نحو ان ربى لسميع الدعاء ان ربك ليحكم بينهم وانك لعلى خلق عظيم وعلى ثلاثة باختلاف الماضى الجامد والماضى المقرون بقد والماضى المتصرف المجرد من قد اجازه الكسائى على اضمار قد نحو ان زيدا لعسى أن يقوم او لنعم الرجل وان زيدا لقد قام ايضا وان زيدا لقام واختلف في دخولها في غير باب ان على شيئين الاول خبر المبتدا المقدم نحو لقائم زيد الثاني الفعل المضارع نحو ليقوم زيد وقال ابو حيان في ولقد علمتم هى لام الابتدا مفيدة لمعنى التأكيد ويجوز أن يكون قبلها قسم مقدر وأن لا يكون اه ماذكره في المغنى باختصار وايضاح وبه تعلم ان قول الناظم لقد ضوعف على حد ماذكره ابو حيان فتكون للتأكيد دون تقدير قسم او بتقديره فيصح اجتماعهما اى تقدير القسم والتأكيد خلافا لما اقتضاه ظاهر عبارة الشارح من التعبير باو (قوله ولان الارواح جنود مجندة) أخرجه البخارى ومسلم قال البيهقى سألت الحاكم اباعبد الله الحافظ عن معناه فقال المؤمن والكافر لا يسكن قلبه الا الى شكله اه

أيضا جنود مجندة فما تعارف منها فى عالم الارواح ائتلف فى عالم الاجساد ومن أعظم ابرها وسعادتها توفيقها للاسلام هى وزوجها وبنوها بل ورد صلى الله عليه وسلم سبى هوازن اليهم بواسطة كونهم قومها وكانت تقدم عليه صلى الله عليه وسلم فيكرم مثواها ولذلك زاد فى اكرام بنتها الشيماء لما اعتقها من جملة من أعتق من سبيهم كما يأتى وهذا من فن البديع المسمى بالكلام الجامع وهو ان يأتى الشاعر ببيت تكون جملته حكمة أو موعظة أو تنبيها أو نحو ذلك من الحقائق الجارية مجرى الامثال كقول أبى الطيب

واذا كانت النفوس كبارا * تعبت فى مرادها الاجسام

وهو كثير فى كلام الناظم وأصل ما ذكره بقوله أرضعته الى هنا ما رواه ابن اسحق وغيره من قولها بعد ما قدمنا عليها آنفا ثم قدمنا أرض بنى سعد ولا أعلم أرضا اجدب منها فكانت غنمى تروح على شباعا لبنا فنحلب ونشرب وما يحلب انسان غيرنا قطرة لبن ولا يجدها فى ضرع حتى تؤمر الرعيان ان تسرح غنمها حيث تسرح غنمى فتروح اغنامهم جياعا ما تبض بقطرة لبن وتروح اغنامى شباعا لبنا فلم نزل نتعرف من بركته صلى الله عليه وسلم الزيادة والبركة حتى مضت له سنتان وفطمته ولما قرر ما حصل لها من الخصب بعد الجدب ببركة ارضاعها له صلى الله عليه وسلم ومن الجزاء من جنس عملها بكثرة لبن شياهها عقبه بما يبين ان تلك المضاعفة فى قوله ضوعف بلغت مراتب كثيرة فقال (حبة) اى هذه الفعلة الصادرة من حليمة كما دل عليه السياق وبه يعلم ان هذا ليس من الاستعارة لان شرطها طى ذكر المستعار له لئلا يكون فى الكلام رمز اليه ولو تقديرا ومن ثم كان التحقيق فى صم بكم الآية انه من التشبيه البليغ لدلالة السياق على المشبه الذى هو صم وقول البهاء السبكى انه استعارة رأى مخالف للجمهور فلا يعول عليه نكتة وأشار الى وجه الشبه الذى هو تضاعف الجزاء ليبين أنه ليس من التشبيه البليغ لان شرطه أن لا يذكر وجه الشبه بقوله (انبتت سنابل) كثيرة جمع سنبلة وهى مجمع الحب فى كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء فيه اقتباس وحذف لفظ سبع ليبين أن العرب يذكرونها كالسبعين مريدين بها مطلق الكثرة لا خصوص العدد المعروف (والعصف)

(قوله جنود مجندة) قال النووى جموع مجتمعة وأنواع مختلفة وأما تعارفها فقيل انه موافقة صفاتها التى خلقها الله عليها وتناسبها فى اخلاقها وقيل انها خلقت مجتمعة ثم فرقت فى أجسادها فمن وافق بصفته ألفه ومن باعده نافره اه من بعض شروح البخارى ثم قال الخطابى فيه وجهان أحدهما ان يكون اشارة الى معنى التشاكل فى الخير والشر وان الخير من الناس يحن الى شكله والشرير يميل الى نظيره فالارواح انما تتعارف بضرائب طباعها التى جبلت عليها من الخير والشر فاذا اتفقت الاشكال تعارفت وتألفت واذا اختلفت تنافرت وتناكرت والآخر انه روى ان الله خلق الارواح قبل الاجساد وكانت تلتقى فلما التبست بالاجسام تعارفت بالذكر الاول فصار كل منها انما يعرف وينكر على من سبق له من العهد المتقدم (قوله توفيقها للاسلام) قال السيوطى فى الخصائص الصغرى قال بعضهم ولم ترضعه مرضعة الا أسلمت قال ومرضعاته أربع أمه وقد ورد احياؤها وايمانها فى حديث وحليمة السعدية وثويبة وأم ايمن وقد تقدم ذلك (قوله وهى مجتمع الحب) قال البيضاوى فى قوله تعالى مثل الذين ينفقون أموالهم الآية اى مثل نفقتهم كمثل حبة أو مثلهم كمثل باذر حبة على حذف مضاف أنبتت اسند الانبات الى الحبة لما كانت من الاسباب كما يسند الى الارض والماء والمنبت على الحقيقة هو الله تعالى والمعنى انه يخرج منها ساق يتشعب منه سبع شعب لكل منها سنبلة فيها مائة حبة وهو تمثيل لا يقتضى وقوعه وقد يكون فى الذرة والدخن والله يضاعف تلك المضاعفة لمن يشاء بفضله وعلى حسب المنفق اخلاصا وتعبا ومن أجل ذلك تفاوتت الاعمال فى مقادير الثواب اه (قوله والعصف) قال البيضاوى فى قوله والحب ذو العصف والريحان ذو العصف كالحنطة والشعير وسائر ما يتغذى به والعصف ورق النبات اليابس كالتبن والريحان يعنى المشموم وفى الخازن ان العصف ورق الزرع الاخضر اذا قطع رأسه ويبس

اى والحال ان ورق النبات اليابس كالتبن (لديه) اى عنده (يستشرف) اى يتطلع (الضعفاء) اى حصلت تلك المضاعفة الكثيرة فى تلك السنابل والحال ان الوقت وقت عدم النبات بالكلية بحيث ان الفقراء يتطلعون الى ورق النبات فضلا عن النبات فضلا عن الحب كما ان حليمة حصل لها تلك الخصب واللبن والحال ان قومها يتطلعون الى ورقة حبة أو قطرة لبن فلا يجدونها (و) بعد أن انتهى امد رضاعه ببلوغه سنتين (اتت) به (جده) عبد المطلب الذى فى الرواية الآتية امه فلعل الناظم ذكر جده لانه الاصل أو لان امه ما كانت تفعل شيأ الا بعد مشاورته ثم فى سيرة ابن هشام ان حليمة رضى الله عنها لما أتت به مكة اضلته فى الناس فأتت جده واخبرته بذلك فدعا الله حتى وجده (و) الحال انها (قد فصلته) اى فطمته (و) الحال انه قد لحق (بها من) أجل (فصاله) اى فطامه (البرحاء) اى التألم الكثير لما شاهدته من توالى الخيرات وتتابع البركات بسبب رضاعه واقامته عندها (اذ) اتت به وقت أو لاجل انه (أحاطت) أى احدقت (به ملائكة الله) لاجل شق قلبه الشريف الآتى وهذا ظاهر على الرواية الآتية انهم ثلاثة وكذا على رواية انهم اثنان لانهما أقل الجمع عند جماعة (فظنت) حليمة (بأنهم) اى الملائكة (قرناء) اى شياطين يريدون ايذاءه فخافت عليه واسرعت به الى جده لتسلم من تبعته (ورأى) جده (وجدها) اى شدة محبتها له صلى الله عليه وسلم وتعلقها (به) فرده معها الى ذلك ولتسلم من وباء مكة كما يأتى فى الرواية وهذا حذفه الناظم لكن سياقه يدل عليه (و) هى الحالة المبينة لعظمة ذلك الوجد الذى رآها (من) أجل (الوجد) الذى بها (لهيب) اى نار (تصلى) اى تحترق (به الاحشاء) جمع حشى وهو ما انضمت عليه الضلوع ويحتمل انها استئنافية لا ابتدائية وحينئذ فهذا من ارسال المثل أو هو حكمة مفيدة ان شأن الوجد انه ينشأ عنه ذلك اللهيب الذى يحرق الاحشاء وان وجدها من هذا القبيل فمن ثم رق لها واطفأ نار ذلك الوجد برده اليها (فارقته)

(قوله ببلوغه سنتين) فيه ان كلام الناظم انما هو فى اتيان ثان بعد بلوغه سنتين وشهرين أو ثلاثة بقرينة قوله اذا احاطت به الخ وأما المقيد بسنتين انما هو فى الاتيان الاول الذى رده صلى الله عليه وسلم فيه على حليمة لطلبها ذلك كما سيأتى بسطه فى قولنا وفى الشرح (قوله أضلته) اى اضاعته فلم تعرف موضعه (قوله وبها من فصاله الخ) لا يخفى ان مجرد فطامه لا يترتب عليه تألم وانما يترتب على بعده عنها ويجاب بان الفطام يلزمه البعد عنها لاخذ اهله فتألمها ناشئ عما تعلم من هذا اللازم (قوله فرده اليها الخ) غير ظاهر لان الرد انما كان فى الذهاب به لهما أولا عقب تمام السنتين وكلام الناظم انما هو فى ذهابها به بعد ان مكث عندها شهرين أو ثلاثة بعد رده لان احاطة ملائكة الله به انما هو فى هذه المرة الثانية ولم يرداه بل أخذاه ولذا قال فارقته وصرح بذلك الشارح نفسه فى شرح قوله ولا الافضاء فتأمل (قوله لكن سياقه يدل عليه) فيه ان ما دل عليه من السياق كقوله وقد فصلته غير صريح فى هذه الدلالة فيمكن ان يريد ومضى بعد فصاله شهران أو ثلاثة فلا يترك لاجله الصريح من سياقه فى عدم الرد كقوله اذ أحاطت الخ وما هو الى الصراحة فى ذلك أقوى كقوله فارقته كرها (قوله من ارسال المثل) وهو الاتيان فى بعض البيت بما يجرى مجرى المثل السائر من حكمة أو نعت أو نحوهما كقول أبى الطيب

لان حلمك حلم لا تكلفه
ليس التكحل فى العينين كالكحل

وكقول الصفى الحلى فى بديعيته

زجرتكم نصحا فى الشدائد لى
لضعف رشدى واستسمنت ذا ورم

فقول الشارح أو هو حكمة الخ من جملة ارسال المثل كما علمته من بيان حقيقته فكيف يعطف الحكمة المقتضى انها مغايرة بدل له (قوله فارقته) فيه انها لم تفارقه واعادته اليها كما علمت آنفا ويجاب بانها بعد رده عليها مكث عندها شهرين أو ثلاثة فخافت عليه وزوجها بسبب ما علما من شق صدره ولم يعلما انه أمر الهى وظنا أنه من الشيطان فرجعا به الى أمه وتركاه عندها كما سيأتى فى الشرح بابسط عبارة فيحمل ان الناظم أراد مفارقته فى هذه المرة الثانية وهذا الاحتمال ظاهر بقوله اذا احاطت ويحتمل ان ذلك فى المرة الاولى والمراد بمفارقته تلك المفارقة لكن ينافيه ما علمته من قوله اذ احاطت الخ لان المرة الاولى لم تحصل فيها هذه الاحاطة تأمل

(قوله كرها) الكره بالضم المشقة وبالفتح الاكراه يقال قام على كره اى على مشقة واقامه فلان على كره اى اكرهه على القيام وقال الكسائى هما لغتان بمعنى واحد مختار وفى القاموس الكره ويضم الاباء والمشقة أو بالضم ما اكرهت نفسك عليه وبالفتح ما اكرهك غيرك عليه كرهه كسمعه كرها ويضم وكراهة وكراهية بالتخفيف ومكرهة وتضم راؤه اهـ (قوله اى حال كونها ذات كراهية) فيه ان الكراهية لم يذكرها فى المختار ولا القاموس من معانى الكره ولعل الشارح ذكر لازم الكره بمعنى المشقة اذ يلزم شق المشقة الكراهية وعدم الرضا (قوله شق عن قلبه) اى شق بطنه عن قلبه فأخرج ثم شق (قوله فى زمن الرضاع) فيه انه لم يقع شق الا بعد الفطام بشهرين أو ثلاثة وقد يجاب بان المراد فى قرب زمن الرضاع وسيشير لذلك فى قوله عقب الرضاع فافهم وحاصل مرات الشق التى ثبتت أربع عقب رضاعه وبعد بلوغه نحو عشر سنين وعند مجئ جبريل له بالوحى بغار حراء وليلة الاسراء كما سيأتى ذلك فى الشرح (قوله ويؤيده الخ) قد تتبعت كلام الشارح فيما يأتى فلم أجده صرح بجبريل الا فى شق صدره عند مجيئه بالوحى وهو فى غار حراء ولم يذكر فى هذه المرة من مرات الشق الاربع ان جبريل ختم ولم يذكر الشارح الختم الا فى شق صدره بعد قطعه فان كان الخاتم من الملائكة الثلاثة جبريل رد كلامه هنا وان كان غيره فانظر فى اى مرة من مرات الشق الباقية ختم جبريل ليصح كلامه هنا فانا تأملنا كلام الناظم مع القصة الآتية فلم نرها ذكر الختم الا فى المرة الواقعة بعد فطمه والحق ان جبريل هو الخاتم فى مرة شق صدره عقب الرضاع كما صرح به الشارح نفسه عند قوله صان اسراره الختام حيث قال الواقع من جبريل فنذكره هنا مردود (قوله بالنياط) هو عرق علق به القلب يسمى بالوتين اذا قطع مات صاحبه (قوله والاحسن قول غيره الفؤاد غشاء القلب) الظاهر أن هذا غير قول الشارح قبله القلب مضغة فى الفؤاد بان يكون كل منهما داخل الغشاء والقلب جزء من داخل الفؤاد تأمل (قوله ألين قلوبا) الذى فى تفسير القرطبى عند قوله تعالى ورأيت الناس يدخلون فى دين الله أفواجا قال صلى الله عليه وسلم اتاكم أهل اليمن هم أضعف الناس قلوبا وارق أفئدة الفقه يمان والحكمة يمانية وروى انه صلى الله عليه وسلم قال انى لاجد نفس ربكم من قبل اليمن وفيه تأويلان أحدهما الفرج لتتابع اسلامهم أفواجا الثانى ان الله تعالى نفس الكرب بعن نبيه باهل اليمن وهم الانصار وقوله أضعف قلوبا اى اسرع فهما وانقيادا الا الخير وليراجع [2] قوله فرج ربكم هل هو بالجيم اى الذى أزال به الشدة بتتابع الاسلام أو بالحاء المهملة اى السرور الذى خلقه ربكم بكثرة المسلمين لاجل قمع الكافرين (قوله مشتق من التقلب) اى مأخوذ الا ان القلب ليس فعلا ولا وصفا وقد قرروا ان الاخذ أوسع دائرة من الاشتقاق

بدل من اتت (كرها) اى حال كونها ذات كراهية لفراقه لما شاهدت فى اقامته عندها من الخيرات الكثيرة عليها وعلى زوجها وبنيها وسائر متعلقاتها (و) الحال انه (كان لديها) اى عندها (ثاويا) اى مقيما (لايمل) بالبناء للمجهول (منه) متعلق بقوله (الثواء) وهو الاقامة فهو مع ثاويا من جناس الاشتقاق اى لا تمل اقامته بل تحب وترغب فيها لما يترتب عليها من الاحسان الواسع المجبولة على حبه النفوس ٭ ولما فرغ من قصة رضاعه صلى الله عليه وسلم ذكر قصة شق صدره لانه السبب فى احضار حليمة وامه المذكورة آنفا ولذلك ابدل من قوله احاطت قوله (شق عن قلبه) بالكيفية الآتية فى القصة ويحتمل ان قوله شق عن قلبه استئناف لبيان مطلق الشق الشامل للواقع فى زمن الرضاع وما بعده مما يأتى ويؤيده انه ذكر فى قصته اشياء ككون الخاتم جبريل لم ترد فى قصة شقه عقب الرضاع بل فى شقه الذى بعد ذلك كما يعلم بتأمل كلام الناظم مع القصة الآتى بسطها وهو أعنى القلب مضغة فى الفؤاد معلقة بالنياط فهو اخص من الفؤاد قاله الواحدى والذى فى الصحاح انهما مترادفان قال البدر الزركشى والاحسن قول غيره الفؤاد غشاء القلب والقلب حبته وسويداؤه ويؤيد الفرق قوله صلى الله عليه وسلم الين قلوبا وارق افئدة وفرق الزمخشرى بان الفؤاد وسط القلب سمى به لتفؤده اى توقده والقلب مشتق من التقلب الذى هو المصدر لفرط تقلبه

[2] (قول المحشى وليراجع قوله فرج ربكم لعل ذلك وقع فيه وايضا غير التى ذكرها المحشى)

كما فى الحديث ومثل هذا القلب كمثل ريشة ملقاة فى فلاة يقلبها الريح بطنا لظهر (واخرج منه) اى القلب (مضغة) اى قطعة لحم قدر ما يمضغ (عند غسله) ظرف لاخرج (سوداء) صفة لمضغة واعلم ان هذه المضغة فيه ثم اخرجت لانها من جملة الاجزاء الانسانية فعدمها نقص فى البدن وايضا فاخراجها بعد خلقها على هذه الصورة البديعة ادل على مزيد الرفعة وعظيم الاعتناء والرعاية من خلقه صلى الله عليه وسلم بدونها ويأتى فى رواية صحيحة انما اخرج منه علقتان سوداوان ولا ينافى ما ذكره الناظم انها واحدة لان المراد بها الجنس على ان الشق تكرر كما يأتى فلا بدع انه صلى الله عليه وسلم أخرج منه واحدة ثم ثنتان لان المراد المبالغة فى تطهيره صلى الله عليه وسلم وتكريره وذلك يستدعى استقصاء تنظيف جوفه صلى الله عليه وسلم (ختمته) اى ذلك الشق المفهوم من شق وهى استئنافية او معطوفة على شق بحذف حرف العطف اى ثم بعد شقه لامته واعادته الى ما كان عليه (يمنى) جبريل عليه الصلاة والسلام (الامين) على كتب الله ووحيه (و) الحال ان ذلك القلب الكريم (قد اودع) حالة الشق من الايمان والحكمة والعلوم والاسرار الالهية (ما) اى الذى او شيأ (لم تذع) بضم التاء وكسر الذال المعجمة اى تنشر (له) اللام زائدة اى ما لم تنشره وتحيط به (انباء) اى أخبار لانه لا يعلمه الا موليه والمتفضل به عليه قال العلماء رضى الله تعالى عنهم جعل الله القلب فى الانسان هو الذى يعقل عنه وهو أصل وجوده وبه صلاحه وفساده وهو محل اسراره التى يودعها القلب من يشاء فاول قلب أودعها قلب سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم لانه أول خلق وصورته آخر صور الانبياء عليهم الصلاة والسلام فهو صلى الله عليه وسلم أولهم وآخرهم فلذا حاز جميع كمالاتهم وزاد عليهم بما لا يعلمه الا الله تعالى (صان) اى حفظ (اسراره) التى أودعت فيه وهو مفعول مقدم لذلك (الختام) الواقع من جبريل عليه الصلاة والسلام وهو ما يختم به الكتاب ونحوه من طين أو شمع ونحوه وبينه وبين ختمته جناس الاشتقاق (ف) بسبب هذه الصيانة (لا الفض) اى الكسر بالتفرقة (ملم) اى واقع (به) اى بذلك الختم (ولا الافضاء) اى الاشاعة واقعة لتلك السر وبين الفض والافضاء التجنيس المطلق ومر فيه فى قيصر وقصور زيادة ويجرى ذلك فى قوله يمنى الامين * وأصل قوله واتت جده الخ قول حليمة رضى الله تعالى عنها بعدما اقدمته عنها كما فى السير انها لم نزل نعرف من الله الزيادة والخير حتى مضت سنتان وفصلته فكان يشب شبابا لا يشبه الغلمان فلم يبلغ سنتيه حتى كان غلاما جفرا فقدمنا به على أمه ونحن احرص شئ على مكثه عندنا لما نرى من بركته فكلمنا امه لو تركته عندنا حتى يغلظ فانا نخشى عليه وباء مكة ولم نزل بها حتى

(قوله كما فى الحديث) وهو قوله صلى الله عليه وسلم يا مقلب القلوب ثبت قلبى على طاعتك وكان اذا اشتد اليمين قال لا ومقلب القلوب اه دونشرى (قوله مضغة) ٥٦ هى المعبر عنها بالعلقة فى الحديث (قوله لامته الخ) ظاهره ان هذا معنى ختمته وانه لا آلة قد ختم بها وسيأتى انه ختم بها فالمراد لامته بعد ختمه بالآلة النورانية كما سيأتى لكن هذا الختم بالآلة المذكورة انما هو فى مرة الشق قرب زمن الرضاع وقد سبق للشارح ان جبريل لم يختم فيها وقد تقدم الكلام فى ذلك وقد يجاب بان التئامه واعادته من الملك الثالث والختم بالآلة من الثانى كما سيأتى فى رواية ابى يعلى فاذا كان الثالث هو جبريل وافق كلام الشارح هنا فيما سبق لكنه سيصرح فى شرح صان اسراره الختام ان الختم واقع من جبريل (قوله اى أخبار) قال الراغب النبأ الخبر ذو الفائدة الجليلة يحصل به علم أو ظن غالب وحق الخبر الذى يسمى نبأ أن يتعرى من الكذب (قوله صان اسراره الختام) قال الجوجرى وضمير اسراره يجوز ان يكون للنبى ويجوز ان يكون للقلب ويجوز ان يكون للامين وجملة فلا الفض ملم به مؤكدة لجملة صان اسراره الختام (قوله وهو ما يختم به الخ) بيان أصل معناه والمراد به هنا كما سيأتى فى الشارح آلة من نور يحار الناظر دونها (قوله لا الفض ملم به) راجع للختام وقوله ولا الافضاء راجع للاسرار المصونة بالختم ففيه لف ونشر غير مرتب كما أشار اليه الشارح والمراد بكون الافضاء غير حاصل لتلك الاسرار اى على سبيل الاحاطة والا فبعضها قد اشيع كما لا يخفى (قوله يشب) بكسر الشين فهو من باب ضرب (قوله جفرا) اى قويا على الاكل

ردته

ردته معنا فرجعنا به فوالله انه لبعد مقدمنا به بشهرين أو ثلاثة مع أخيه من الرضاعة لفى بهم لنا خلف بيوتنا اذ جاء أخوه يشتد فقال لى ذاك أخى القرشى قد جاءه رجلان عليهما ثياب بيض فأضجعاه وشقا بطنه فخرجت أنا وأبوه نشتد نحوه فنجده قائما منتقعا لونه فاعتنقه أبوه وقال أى بنى ما شأنك قال صلى الله عليه وسلم جاءنى رجلان عليهما ثياب بيض فأضجعانى فشقا بطنى ثم استخرجا منه شيئا فطرحاه ثم رداه كما كان فرجعنا به صلى الله عليه وسلم معنا فقال أبوه يا حليمة لقد خشيت أن يكون ابنى قد أصيب فانطلقى نرده الى أهله قبل ان يظهر به ما نتخوفه قالت فاحتملناه الى امه فقالت ما ردكما به فقد كنتما حريصين عليه قلنا نخشى الاتلاف والاحداث فقالت ما ذاك بكما فاصدقانى شأنكما فلم تدعنا حتى اخبرناها خبره فقالت أخشيتما عليه الشيطان لا والله ما للشيطان عليه سبيل وانه لكائن لابنى هذا شأن فدعاه عنكما وفى حديث عند ابى يعلى وابى نعيم وابن عساكر كنت مسترضعا فى بنى ليث بن بكر فبينا انا ذات يوم فى بطن واد مع أتراب لى من الصبيان فاذا انا برهط ثلاثة معهم طست من ذهب ملئ ثلجا فاخذونى من بين اصحابى وانطلق الصبيان هرابا مسرعين الى الحى فعمد احدهم فأضجعنى على الارض اضجاعا لطيفا ثم شق ما بين مفرق صدرى الى منتهى عانتى وانا انظر اليه ولم اجد لذلك مسا ثم أخرج أحشاء بطنى ثم غسلها بذلك الثلج فأنعم غسلها ثم أعادها مكانها ثم قام الثانى فقال لصاحبه تنح عنه ثم أدخل يده فى جوفى واخرج قلبى وانا انظر اليه فصدعه ثم اخرج منه مضغة سوداء فرمى بها ثم قال اى اشار بيده يمنة ويسرة كأنه يتناول شيئا فاذا بخاتم من نور يحار الناظر دونه فختم به على قلبى فامتلأ نورا وذلك نور النبوة والحكمة ثم اعاده مكانه فوجدت برد ذلك الخاتم فى قلبى دهرا ثم قال الثالث لصاحبه تنح فأمر يده بين مفرق صدرى الى منتهى عانتى فالتأم ذلك الشق باذن الله تعالى ثم اخذ بيدى فانهضنى من مكانى انهاضا لطيفا الحديث وفى رواية عند البيهقى ان احد الثلاثة فى يده ابريق من فضة وبيد الثانى طست من زمردة خضراء وورد فى خبر التابوت المذكور فى الآية أنه كان فيه الطست التى غسلت فيه قلوب الانبياء عليهم الصلاة والسلام وحكمة ختم قلبه المقدس الاشارة الى ختم الرسالة به صلى الله عليه وسلم قيل وانما يعلم هذا ان اختص الختم به اما اذا لم يختص به

(قوله مع أخيه) اى واتربه من الصبيان بقرينة الرواية الآتية والاتراب جمع ترب وهو المساوى فى السن (قوله فى بهم) البهم جمع بهمة وهى أولاد الضأن اسم للمذكر والمؤنث والسخال أولاد المعز اه صحاح والبهام جمع بهم (قوله يشتد) اى يعدو (قوله رجلان) لا ينافى الرواية الآتية انهم رهط ثلاثة لانه نظر الى من باشر الاضجاع والشق والغسل والختم واخراج العلقة السوداء ومن وقع منه ذلك اثنان من الثلاثة ولم ينظر للثالث الذى ٥٧ وقع منه امرار اليد على الشق للالتئام واما الرواية الآتية فنظر فيها اليه فتأمل (قوله كنت مسترضعا الخ) وقد سبق أن الشق انما وقع بعد فطامه بشهرين أو ثلاثة ولم يثبت وقوع شق زمن الرضاع (قوله طست) باهمال السين واعجامها والجمع طساس وطسوس وطسات قال السيوطى فى المزهر وطست جمعه طساس بالسين لانها الاصل وأبدلت فى المفرد تاء لاجتماع سينين فى آخر الكلمة فكره للاستثقال فاذا جمع ردت لفرق الالف اى أو الواو بينهما اه (قوله فعمد) من باب ضرب بمعنى قصد اى عمدنى قال فى المختار وعمد الشئ قصده اى تعمد وهو ضد الخطأ (قوله مفرق) بفتح الراء وكسرها اى اعلى صدره (قوله فختم به على قلبى) وهذا غير خاتم النبوة الذى على أعلى كتفه الايسر فلا يعارض ماذكره هنا ما سيأتى فى التنبيه الثانى (قوله فامتلأ الخ) ظاهره ان الامتلاء عقب الختم والروايات ناطقة بان الامتلاء قبل الختم (قوله فأمر يده الخ) ظاهره عدم اخاطة الشق لكن ما سيأتى فى التنبيه الثانى عن أنس كنت أرى أثر المخيط فى صدره فيحمل ما هنا جمعا بين الروايتين على ان الامرار بعد الخياطة لزيادة الالتئام والبرء كامس اليد او ان فى بعض مرات الشق لم يكن خياطة وحصل الالتئام بمرار اليد على الشق وفى بعضها خياطة وجاء فى رواية انه ذر على الشق ذرورا فلعله فى بعض مراته أيضا تأمل (قوله من زمردة) لينظر التوفيق بين هذه الرواية ورواية من ذهب فان ثبت ان الثالث كان بيده طست من ذهب انتفى التعارض

٨ ج

كما مر فالحكمة انه من جملة علامات النبوة ولذا اشار كغيره على أن هذه الكيفية المذكورة فى شق قلبه صلى الله عليه وسلم الظاهر انها من خواصه سيما مع تكرار الشق لان الوارد فيهم عليهم الصلاة والسلام مجرد غسل قلوبهم وهذا لا يستلزم هذه الكيفية البديعة البالغة من خرق العادة والتعظيم مبلغا لا يدركه العقل وروى الشق ايضا وهو ابن عشر سنين او نحوها مع قصة امع عبد المطلب ابو نعيم فى الدلائل وروا عبد الله بن الامام احمد فى زوائد مسند ابيه بلفظ قال ابو هريرة يا رسول الله ما اول ما ابتدئت به من امر النبوة قال انى لفى صحراء واسعة امشى ابن عشر حجج اذا انا برجلين فوق راسى يقول احدهما لصاحبه اهو هو قال نعم فاخذانى فاضجعانى لحلاوة القفا ثم شقا بطنى وكان أحدهما يختلف بالماء فى طست من ذهب والآخر يغسل جوفى فقال أحدهما لصاحبه افلق صدره فاذا صدرى فيما أرى مفلوقا لا أجد له وجعا ثم قال اشقق قلبه فشق قلبى فقال اخرج الغل والحسد منه فاخرج شبه العلقة فنبذبه ثم قال أدخل الرحمة والرأفة قلبه فادخل شيأ كهيئة الفضة ثم أخرج ذرورا كان معه فذره عليه ثم نقر ابهامى ثم قال اغد فرجعت بما لم أغد به من رحمتى للصغير ورأفتى للكبير وروى خامسة ولا تثبت وحكمة شق صدره الشريف فى حال صباه واستخراج ما مر منه تطهيره عن نقائص الصبا ليكون حينئذ على أكمل صفات الرجولية ولذا نشأ صلى الله عليه وسلم على أكمل الاحوال قال بعض الائمة ولعل هذا الشق كان سبب الاسلام قرينه المروى عند البزار واشارة الى حظ الشيطان المباين له كالعفريت الذى أراد أن يقطع عليه صلاته وأمكنه الله منه واما قول الرازى وقوعه فى حالة الطفولية مشكل لانه معجزة وهى لا يجوز تقدمها على النبوة لان الذى عليه أكثر أهل الاصول اشتراط اقتران المعجزة بالتحدى فمردود بان هذا من باب الارهاص لا المعجزة وقد تواتر ذلك كثيرا قبل وهذا الشق هو المراد بقوله تعالى ألم نشرح لك صدرك (تنبيه اول) وثبت شق صدره الشريف مرة أخرى عند مجيء جبريل عليه الصلاة والسلام له بالوحى وهو صلى الله عليه وسلم بغار حرا كما يأتى وممن رواها الطيالسى والحرث فى مسنديهما وكذا أبو نعيم ولفظه ان جبريل وميكائيل شقا صدره صلى الله عليه وسلم وغسلاه ثم قالا له اقرأ باسم ربك الآيات والحكمة فيه كمال التهيؤ والتقوى على ما يلقى اليه من القول الثقيل بقلب قوى فى أكمل احوال التطهير وثبت مرة اخرى تواترت بها الروايات خلافا لمن أنكرها ليلة الاسراء ففى البخارى وغيره انه صلى الله عليه وسلم شق قلبه فيها وهو بالمسجد قبل أن يخرج به الى ركوبه البراق فشق من ثغرة نحره الى عانته فاستخرج قلبه فغسل فى طست من ذهب أى لان تحريم الذهب انما كان بعد على أن الغالب فى أحوال تلك الليلة انها من أحوال الغيب فيلحق باحكام الآخرة مملوءة حكمة وايمانا ثم حشى وتجسم المعانى جائز ومنه الرواية الصحيحة بذبح الموت ثم

لان الختم على قلبه نخرز (قوله حلاوة القفا) قال فى الصحاح ووقع فلان على حلاوة القفا بالضم اى على وسط القفا وكذلك على حلاوى القفا وحلاواه اذا فتحت مددت واذا ضممت قصرت (قوله من القول الثقيل) أى القرآن فانه لما فيه من التكاليف الشاقة ثقيل على المكلفين سيما على الرسول صلى الله عليه وسلم اذ كان عليه ان يتحملها ويحملها امته انتهى بيضاوى (قوله ثغرة) بضم المثلثة وسكون الغين المعجمة وهى الموضع المنخفض الذى بين الترقوتين (قوله بذبح الموت) هذا مبنى على ان الموت عرض لا جسم وقد وردت آثار تصرح بانه جسم لا عرض أخرج ابن أبي حاتم عن قتادة فى قوله تعالى الذى خلق الموت والحياة قال الحياة فرس جبريل والموت كبش أملح وقال مقاتل والكلبى خلق الموت فى صورة كبش لا يمر على أحد الا مات وخلق الحياة فى صورة فرس لا يمر على أحد الا حيى وأخرج أبو الشيخ فى كتاب العظمة عن وهب بن منبه قال خلق الله الموت كبشا أملح مستترا بسواد وبياض له اجنحة أربعة جناح تحت العرش وجناح فى الثرى وجناح فى المشرق وجناح فى المغرب قال له كن فكان ثم قال له ابرز فبرز الموت لعزرائيل وبهذه الآثار علم ان الموت جسم خلق فى صورة كبش لا عرض واتضح ما ورد فى حديث الصحيحين يجاء بالموت يوم القيامة فى صورة كبش أملح فيوقف بين الجنة والنار =

أعيد

= ثم يقال هل تعرفون هذا فيقولون نعم وكل قد رآه هذا الموت فيذبح زاد أبو يعلى في روايته عن أنس كما تذبح الشاة

أعبد وحكمة هذا الشق التهيؤ للرقي الى الملا الاعلى والتقوى على استجلاء ما شاهده تلك الليلة ولما لم يتقوه هذا موسى صلى الله عليه وسلم لم يطق الرؤية وجميع ما ورد من الشق واخراج القلب وغيرهما يجب الايمان به وان كان خارقا للعادة ولا يجوز لنا تأويله لصلاحية القدرة له ومن زعم ذلك وقع في هوة المعتزلة المكفرين عند أكثر العلماء في تأويلهم نصوص سؤال الملائكة وعذاب القبر ووزن الاعمال والحوض وغير ذلك بالتشهي فقبح الله هؤلاء ومن تبعهم وقد رمى ابراهيم صلى الله عليه وسلم في النار فكانت عليه بردا وسلاما وهذا الشق أبلغ في الصبر والكرامة مما وقع لاسمعيل عليه الصلاة والسلام فانه من مقدمات ذبح لا حقيقته كما هو رأى أهل السنة وبتقديره الذي ذهب اليه المعتزلة انه اضجعه وأمر السكين على حلقه فلم تقطع شيأ وبتقديره فذلك مقتل واحد وهذه مقاتل عديدة شق الصدر ثم اخراج القلب ثم شقه ووقع له صلى الله عليه وسلم من ذلك الشق الاول نوع مشقة لرواية فأقبل وهو منتقع اللون اى صار كلون النقع اى الغبار وهو شبيه بألوان الموتى ومعنى قول ابن الجوزي فشقه وما شق عليه انه صبر صبر من لم يشق قلبه ومما يدل على المشقة انه بعد ما فطم مع انفراده عن امه وبعده من أبيه واختطافه من بين الاطفال ليكون ذلك تسهيلا لما يلقاه في المآل ومن ثم لما شج وجرح وكسرت رباعيته يوم أحد قال اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون وفي رواية انه غسل ليلة الاسراء بماء زمزم أى لانه يقوى القلب ويسكن الروع وأخذ البلقيني من ايثار الملك له على ماء الكوثر انه افضل منه وهو ظاهر خلافا لمن نازع فيه بما لا يجدي كما بينته في شرح العباب وفي وضع الايمان والحكمة بالقلب دليل لما عليه أكثر أهل السنة ان العقل في القلب كما دلت عليه الآيات لا في الدماغ ● (تنبيه ثان) ● قال القاضي عياض رحمه الله تعالى خاتم النبوة أثر شق الملكين بين كتفيه وابطله النووي رحمه الله تعالى بان شقهما كان في بطنه وصدره أى كما في الروايات ومن ثم صح عن أنس رضي الله تعالى عنه كنت أرى أثر المخيط في صدره صلى الله عليه وسلم فالصحيح أو الصواب انه كان عند نغض كتفه الايسر وهو بنون مضمومة وقد تفتح فمعجمتين أعلاه ورواية الايمن ضعيف قيل ولد به صلى الله عليه وسلم وروى ابو نعيم انه جعل عقب ولادته صلى الله عليه وسلم والذي في حديث البزار وغيره عن أبي ذر يا رسول الله متى علمت انك نبي وبما علمت حتى استيقنت قال أتاني اثنان وفي رواية ملكان وأنا ببطحاء مكة الحديث وفيه قال أحدهما لصاحبه شق بطنه فشق بطني فأخرج قلبي فأخرج منه مغمز الشيطان وعلق الدم فطرحهما فقال أحدهما لصاحبه اغسل بطنه غسل الاناء واغسل قلبه غسل الملاء أى الثوب الذي يتغطى به ثم قال أحدهما لصاحبه خط بطنه فخاط بطني وجعل الخاتم بين كتفي كما هو الآن وولياعني فكأني أرى الامر معاينة وعند الامام أحمد وصححه الحاكم استخرجا قلبي فشقاه فأخرجا منه علقتين

والاملح المختلط بياضه بسواد كما سبق عن وهب (قوله في هوة) الهوة بالضم الوهدة العميقة (قوله مقدمات ذبح) وهي انقياده وانقياد أبيه لفعله وتله أى اضجاعه على جنبه ووضع جبينه بالارض كما ذكره الله في كتابه العزيز بقوله فلما أسلما وتله للجبين وما زاد على ذلك ليس مذهب أهل السنة ولم يثبت وان أكثر منه كثير من المفسرين كالخازن (قوله وبتقديره) أى الذبح ما ذكره عن المعتزلة ليس على تقدير الذبح وانما فيه مجرد الاضجاع وامرار السكين على حلقه ولم تقطع والذبح الذي هو قطع الحلقوم لم يقولوا به وقوله ثانيا وبتقديره أى القطع فذلك الخ (قوله انه صبر الخ) أو معناه ما شق عليه مشقة عظيمة ويدل لقول الشارح قريبا نوع مشقة (قوله كان عند نغض كتفه الايسر) وقد ورد انه رفع عند موته (قوله الملاء) الملاءة بالضم ممدود الريطة اذا كانت قطعة واحدة ولم تكن لفقتين والجمع ريط ورياط وجمع ملاءة ملاء من غير هاء فقول الشارح أى الثوب حقه الثياب (قوله وجعل الخاتم بين كتفي) هذا يرد القول بأنه ولد بالخاتم وفي الدلائل لابي نعيم انه صلى الله عليه وسلم لما ولد ذكرت أمه ان الملك غمسه في الماء ادى انبعه ثلاث غمسات ثم أخرج صرة من حرير أبيض فاذا فيها خاتم فضرب به على كتفه كالبيضة المكنونة تضيء كالزهر شرح البخاري القسطلاني

سوداوين فقال أحدهما لصاحبه ائتني بماء وثلج فغسلا به جوفي ثم قال ائتني بالسكينة فذراها في قلبي ثم قال أحدهما لصاحبه خطه فخاطه وختم عليه بخاتم النبوة * (تنبيه ثالث) * اختلفت الروايات في كيفية تشبيه ذلك الخاتم على أنواع كثيرة بيضة الحمام شعر مجتمع بضعة ناشزة بندقة سلعة تور يختم به تفاحة شامة خضراء محتفرة في اللحم شامة سوداء تضرب إلى الصفرة حولها شعرات زر الحجلة أي البشخانة وزعم أنها هنا هي الطائر المعروف وزرها بيضها مردود قال المحققون ولا اختلاف في الحقيقة بل كل شبه بما سنح له وكلها ألفاظ مرادها واحد وهي قطعة لحم بارزة عليها شعرات إذا قلل قيل كبيضة الحمام وإذا كثر قيل كجمع الكف أي على هيئته لكن أصغر منه ويشكل عليه رواية محتفرة في اللحم ويجاب بأنه يحتمل أن ما حواليه احتفر ليزداد ظهورها وتميزها عن الجلد وفي المستدرك عن وهب أن شامات الأنبياء في أيمانهم فعليه وضعه عند الكتف الأيسر من خصوصيات نبينا صلى الله عليه وسلم * (فائدة) * أخرج البيهقي والخطيب وابن عساكر وغيرهم عن العباس رضي الله تعالى عنه قلت يا رسول الله دعاني إلى الدخول في دينك أمارة لنبوتك رأيتك في المهد تناغي القمر وتشير إليه بإصبعك فحيث أشرت إليه مال قال إني كنت أحدثه ويحدثني ويلهيني عن البكاء وأسمع وجبته أي سقطته حين يسجد تحت العرش قال البيهقي تفرد به مجهول وقال الصابوني هذا حديث غريب الإسناد والمتن في المعجزات حسن وبفرض صحة الأول هو من حيز الضعيف وهو يعمل به في المناقب قال بعض حفاظ المتأخرين اتفاقا كالفضائل انتهى وقس على ذلك كل حديث ورد في المناقب ولم يعارضه غيره مما هو مقدم عليه فاستحضر ذلك عند رؤيتك لكل حديث ضعيف وجدته في المناقب فإن هذه القاعدة مما يعظم نفعها جدا ويجهلها أكثر المصلين ولما فرغ من ذكر رضاعه وما وقع عقبه من شق صدره صلى الله عليه وسلم ذكر حكم نشأته صلى الله عليه وسلم في حال طفوليته وما بعدها مبينا أن الله ألقى في نتيجة ما أودعه الله في قلبه بعد شقه من الأسرار والكمالات فقال (ألف التنسك والعبادة) عطف تفسير أي اعتادهما واستمر عليهما (والخلوة) عن الناس في حال كونه (طفلا) فما بعده كأنهما الأولى واختلفوا هل كان يتعبد بشرع من قبله والجمهور لا وإلا لنقل وعليه قيل كان يتعبد إلهاما من الله تعالى ولأنه لو تعبد بشرع أحد لظن أنه من أتباعه ولاحتج أهله به عليه ولم يوجد وعلى الأول فقيل بشرع لم يعرف وقيل بشرع نوح وقيل إبراهيم وقيل موسى وقيل عيسى ومعنى أن اتبع ملة إبراهيم أي في التوحيد وخص لأنه الأب الأقرب المبشر به الداعي ببعثته مع مدحه له بأنه صاحب الكتاب والحكمة البالغين من كمال التزكية ما لم يبلغه كتاب غيره على أن المراد في كيفية الدعوة من الرفق والحلم الذي لم

(قوله وختم عليه بخاتم النبوة) ظاهره على القلب فتنافي هذه الرواية رواية البخاري فإن عاد الضمير للنبي وإن كان بعيدا انتفى التنافي يعني وختم على كتف النبي (قوله مردود) أي لأن الزر لم يأت بمعنى البيض وحمله على الاستعارة تشبيها لبيضها بأزرار الحجال أبعد إيسار البيان وربما يصرف اللفظ عن ظاهره وأما إذا لم يرد فلا ينبغي صرفه عن ظاهره المتبادر إلى هذا الخفاء البعيد ورواية كبيضة الحمام لا تؤيد ذلك الصرف خلافا لمن زعمه انتهى من شرح الشمائل للشارح (قوله إذا قلل قيل كبيضة الحمام) فيه أن البندقة التي قيل بها أقل فكان الظاهر أن يقول إذا قلل قيل كالبندقة (قوله كجمع) بضم الجيم وإسكان الميم وحكي كسر الجيم والمراد صورته بعد أن تجمع الأصابع وتضم (قوله مبينا الخ) أي بقوله وإذا حلت الهداية الخ لأن المراد بها الوصول المترتب على إلقاء الحكمة والعلم والسكينة فيه بعد شقه (قوله واختلفوا هل كان يتعبد بشرع من قبله) قال شيخ الإسلام في حاشية شرح جمع الجوامع لعل محل اختلافهم في فروع اختلفت فيها الشرائع أما الأصول التي اتفقت عليها الشرائع كالتوحيد ومعرفة الله تعالى وصفاته فلا خلاف في التعبد بها لجميع الأنبياء لأن دينهم واحد انتهى (قوله ومعنى أن اتبع الخ) أي على القول بتعبده بشرع غير إبراهيم بناء على هذا القول الضعيف (قوله وخص الخ) جواب عما يقال إن غير إبراهيم مثله في ذلك فما وجه تخصيصه بالأمر بالاتباع (قوله الداعي الخ) أي بقوله كما حكاه الله عنه في كتابه العزيز ربنا وابعث فيهم رسولا منهم الآية (قوله على أن المراد) =

= أى ويجرى فى الجواب بزيادة ثم لما سبق على ان الخ ولو قال أو فى كيفية الخ عطفا على فى التوحيد لكان أوضح (قوله والتى فى الآية بعدها) اى ومعلوم ان الشرع ما انزل عليه مأمور ان باتباعه فلا يتوهم انه من أتباع سيدنا ابراهيم ولا يحتج أهل شرعه بما سبق (قوله الى حراء) بكسر الحاء والمد وحكى الاصيلى فتحها والقصر وعزاها فى القاموس للقاضى عياض ويمنع من الصرف ان أريد البقعة ويصرف ان أريد المكان وقباء كذلك أى فيهما ماذكر ٦١ فى حراء (قوله والظاهر الخ) أى ليس تعبده قاصرا

بوجه كما لا لابراهيم صلى الله عليه وسلم وعلى سائر الانبياء والمرسلين وغايته الا انبيناصلى الله عليه وسلم وقد أمر باتباع الكل فى نهيه اهم اقتد مع اختلاف شرائعهم ومع ان فيهم من ليس برسول كيوسف على قول فتعين ان المراد أصول التوحيد والاخلاق فان قلت لا يحتاج للجواب عن ذلك لان الكلام فيما قبل النبوة والتى فى الآية بعدها قلت بل يحتاج اليه كما صنعوه لان القائلين بانه كان متعبدا بشرع غيره يستدلون به ناظرين الى انه أمر باتباعه فيما لم ينزل عليه فيه شئ فامره بذلك بعد النبوة يدل على انه كان بالله ويعمل به قبلها والا فكيف يؤمر باتباع مالم يعرفه قال السراج البلقينى ولم يجئ فى الاحاديث التى وقفنا عليها كيفية تعبده عليه الصلاة والسلام لكن روى ابن اسحق وغيره انه كان يخرج الى حراء شهرا فى كل عام من السنة يتنسك فيه وكان من تنسك قريش فى الجاهلية أن يطعم الرجل من جاءه من المساكين حتى اذا انصرف من مجاورته لم يدخل بيته حتى يطوف بالكعبة انتهى والظاهر كما قاله غير واحد ان عبادته صلى الله عليه وسلم كانت الذكر والفكر مع اكثاره الخلوة والانفراد عن الناس بحراء وغيره (وهكذا النجباء) أى ومثل هذا الشأن العلى شأن الكرام الكمل فيا لك بأ كلهم وسيدهم على الاطلاق ويليه فى ذلك ابوه ابراهيم عليه الصلاة والسلام فانه اعتزل قومه وانقطع الى الله تعالى منتظرا لفرج مولاه فان انتظاره عبادة كما فى الحديث وفى البيت من انواع البديع ثانى اقسام التناسب وهو تشابه الاطراف بأن تتناسب معانيها اذ الصابة آخره يناسبها القصاد كرلانها السبب فى ذلك وثالث اقسامه أيضا وهو مناسبة اللفظ المعنى فى الرقة والسهولة او الشدة والصعوبة ومنه حديث الا أخبركم باهل الجنة كل ضعيف متضعف اغبر ذى طمرين لو أقسم على الله لابره الا أخبركم باهل النار كل جعظرى جواظ مستكبر فاتى من اوصاف أهل الجنة بما يناسب حالهم فى الرقة والانكسار ومن أوصاف أهل النار بما يناسب حالهم فى الشدة والغلظة والاباء والترفع عن قبول الحق والفاظ البيت تناسب معناه فى السهولة وحسن السبك والانقطاع عن النظير وقوله وهكذا النجباء تذييل وهو تعقيب الجملة بأخرى تشتمل عليها للتأكيد وهو ضربان أحدهما وهو ما هنا ما خرج مخرج المثل نحو وهل يجازى الا الكفور وكما مر (و) انما كان

على تنسك الجاهلية بل كان تزيد عليهم بالذكر والتفكر وان أوهم كلام الشارح اقتصاره عليهما فانه عليه الصلاة والسلام أكرم الخلق فيكون اطعامه لمن جاءه ممن ذكر أبلغ من اكرام غيره (قوله النجباء) جمع نجيب وهو الكريم المصطفى ونجب كظرف وانتجبه اختاره واصطفاه (قوله كل ضعيف) برفع كل لا غير أى هم كل ضعيف عن أذى الناس أو عن المعاصى ملتزم الخشوع والخضوع وقوله متضعف قال النووى فى شارح مسلم بفتح العين وكسرها والمشهور الفتح ولم يذكر الاكثرون غيره ومعناه يستضعفه الناس ويحتقرونه ويتجبرون عليه لضعف حاله فى الدنيا وقال واما رواية الكسر فمعناها متواضع متذلل خامل (قوله ذى طمرين) تثنية طمر وهو الثوب الخلق والجمع أطمار (قوله الا أخبركم باهل النار الخ) وفى الحديث ان رجلا قال يارسول الله من أهل النار قال كل شديد قعبرى قيل يارسول الله وما القعبرى قال الشديد على الاهل الشديد على العشيرة الشديد على الصاحب انتهى هروى فى غريبه ومنه أيضا فى الحديث أهل النار كل جظ قيل يارسول الله وما الجظ قال الضخم (قوله كل جعظرى) قال الهروى فى الغريبين الجعظرى الفظ الغليظ وفى رواية أخرى هم الذين لا تصدع رؤسهم ويقال رجل جعظرى وجعظار وجعظارة وهو الذى يتنفج بما ليس عنده وفيه قصر والجواظ الذى يجمع ويمنع (قوله أحدهما الخ) والثانى تعقيب الجملة بأخرى بحققها ولا تزيد على المعنى الاول وانما هى لمجرد التأكيد ولم تجر مجرى المثل كقول بعض العرب ودعوا نزال فكنت أول نازل وعلام اركبه اذا لم انزل =

هذا شأن الصبا من الانبياء عليهم الصلاة والسلام ثم صار الى امهم لما هو المستقر المعلوم
انه (اذا حلت الهداية) وهي هنا بمعنى الوصول الى الحق لا الدلالة فقط ومن الاول انك
لا تهدى من احببت أى لا توصله ومن الثانى واما ثمود فهديناهم اى دللناهم ولم نوصلهم
بدليل فاستحبوا العمى على الهدى اذ لو وصلوا لم يستحبوا ذلك (قلبا نشطت فى العبادة
الاعضاء) لان القلب هو رئيس البدن المعول عليه فى صلاحه وفساده ومن ثم صح عنه
صلى الله عليه وسلم انه قال ان فى الجسد مضغة اذا صلحت صلح الجسد كله واذا فسدت
فسد الجسد كله ألا وهى القلب وهذا من الكلام الجامع الذى مرت نظائره واعلم ان بين
انتهاء رضاعه صلى الله عليه وسلم وما وقع بعده وبين مبعثه صلى الله عليه وسلم وقائع
وقصصه لا بأس بالاشارة اليها باختصار وذلك ان حليمة رضى الله تعالى عنها لما ردته الى
امه وجده كان فى كلاءة الله وحفظه ينبته الله نباتا حسنا ويوفقه لافضل الاعمال
والاحوال كما أشار الى ذلك الناظم بقوله ألف النسك الخ ولما بلغ رسول الله صلى الله عليه
وسلم أربع سنين وقيل اثنتى عشرة وشيأ وبين ذلك أقوال أخر ماتت امه وكانت قد قدمت
به طيبة تزور اخواله أبيه فاقامت به عندهم شهرا ومعها حاضنته ام أيمن وأخرج ابن
سعد انه صلى الله عليه وسلم لما رأى دار النابغة قال ههنا نزلت بى أمى واحسنت العوم
فى بئر بنى النجار وكان قوم من اليهود يختلفون ينظرون الى قالت ام ايمن فسمعت احدهم
يقول هو نبى هذه الامة وهذه دار هجرته فوعيت ذلك كله من كلامهم ولما رجعت
به امه ماتت بالابواء وفى رواية انها دفنت بالحجون وفى أخرى فى بعض دور مكة كما فى
القاموس وحضنته بعدها امته ام ايمن بركة ثم ماتت جده كافله وله ثمان سنين وقيل أكثر
وقيل أقل فقيل ست وقيل ثلاث فكفله عمه أبو طالب شقيق والده وأخرج ابن عساكر
عن عرفطة قال قدمت مكة وهم فى سنة قحط فقالت قريش يا أبا طالب اقحط الوادى
وأجدب العيال فهلم فاستسق فخرج أبو طالب ومعه غلام كأنه شمس دجن انجلت عنه
سحابة قتماء وحوله أغيلمة فأخذ أبو طالب الغلام والصق ظهره بالكعبة ولاذ الغلام
باصبعه وما فى السماء قزعة فاقبل السحاب من ههنا وههنا وأغدق واغدودق وانفجر له
الوادى واخصب النادى والبادى وفى ذلك يقول أبو طالب

وابيض يستسقى الغمام بوجهه ❊ ثمال اليتامى عصمة للارامل

وهذا البيت من جملة قصيدة فيها مدح عجيب له صلى الله عليه وسلم حتى أخذ الشيعة منها
القول باسلامه ويوافقه رواية ضعيفة عن العباس انه أسر اليه الاسلام عند موته ويوافق
ذلك أيضا ما فى رواية البيهقى الآتية فقد رأى بى طالب الخ لكن صرائح الاحاديث المتفق

كذا فى بعض شرح البديعيات (قوله فاخرج مخرج المثل) أى ليتحقق به ما قبله لما يتضمن من زيادة المعنى (قوله نشطت) نشط
كسمع (قوله كلاءة الله) كلأه الله يكلؤه مثل ٦٢ قطع يقطع كلاءة بالكسر والاسم حفظه انتهى مختار (قوله النابغة) قال الشامى
فى سيرته بالتاء المثناة والباء
الموحدة والعين المهملة (قوله
بالابواء) تقدم فى الشرح انه محل
قريب من رابغ انتهى (قوله
بالحجون) جبل بمكة (قوله عرفطة)
بضم العين واسكان الراء وفاء
مضمومة وطاء مهملة مفتوحة
ثم تاء التأنيث وهى فى الاصل
شجر من العضاه الواحدة عرفطة
سمى بها عرفطة بن الحباب
الصحابى قاموس (قوله كأنه
شمس دجن) الدجن الباس الغيم
السماء (قوله أغيلمة) اعلم ان المفرد
غلام وهو الطار الشارب والكهل
ضد او من حين ولد الى أن يشب
والجمع أغلمة وغلمة وغلمان وهى
غلامة انتهى من القاموس
فقياس التصغير غليمة تصغير غلمة
بكسر الغين وسكون اللام جمع
غلام فقول الشارح فى تصغيره
اغيلمة شاذ كما صرح به الاشمونى
فى شرح قول الخلاصة وحائد
عن القياس كل ما خالف الخ (قوله
وما فى السماء قزعة) قال فى
المصباح القزع قطع من السحاب
رقيقة الواحد قزعة (قوله
واغدق) اى كثر قال فى
القاموس واغدق المطر واغدودق
كثر قطره (قوله ويوافقه الخ) قال
القرطبى فى المفهم وكان أبو طالب يعرف صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم فى كل ما يقوله ويقول لقريش تعلموا والله على
ان محمدا لم يكذب قط ويقول لابنه على اتبعه فانه على الحق غير انه لم يدخل فى الاسلام ولم يزل على ذلك حتى حضرته الوفاة فدخل
عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم طالبا منه الاسلام وحريصا عليه اذ لا فى ذلك نتيجة مستفرغا ما عنده ولكن طاقت عن

ذلك عوائق الاقدار التي لا يتقع معها حرص ولا اعتذار فقال يا عم قل لا اله الا الله كلمة أشهد لك بها عند الله انتهى

على صحتها تردد ذلك وهي أكثر من ثمانين بيتا استوفاها ابن اسحق لكنه ذكر ان انشاءه لها كان بعد المبعث وقد يجمع بأنه ذكر هذا البيت اثر هذه الواقعة ثم كملها بعد المبعث ثم رأيت في شرح المنهاج للدميري في باب الاستسقاء عن الطبراني وابن سعد ان عبد المطلب استسقى بالنبي صلى الله عليه وسلم فسقوا ولذلك يقول فيه عبد المطلب يمدحه صلى الله عليه وسلم وأبيض يستسقى الغمام بوجهه البيت وفيه مخالفة لما مر ان المستسقى به أبو طالب وانه القائل للبيت فاما الاول فيمكن الجمع بين الروايات المتخالفة فيه بتكرر الواقعة اذ واقعة أبي طالب كان الاستسقاء به فيها عند الكعبة وواقعة عبد المطلب كان أولها انهم أمروا باستلام الركن ثم برقي أبي قبيس ليدعو عبد المطلب ومعه النبي صلى الله عليه وسلم ويؤمن القوم عليه ففعل فسقوا لكن قال الحافظ نور الدين الهيثمي شيخ الحافظ ابن حجر وتلميذ الزين العراقي عن رواية الطبراني في سندها رجال لا أعرفهم أي لكن لا يؤثر ذلك فيها لان الحديث الضعيف يعمل به في الفضائل اتفاقا قال بعض الحفاظ وكذا المناقب كما مر آنفا على ان صاحب الروض ذكر روايتين عن ابن الاعرابي وغيره وافقتانها وحينئذ تعين الجمع بما ذكرته وأما الثاني فكون أبي طالب هو الذي انشأ ذلك البيت هو ما درج عليه أئمة السير وغيرهم ومن ثم جعله السهيلي فيه وضعا أمرا مقررا ثم بنى عليه اشكالا وجوابه الآتي فيردهما واما قول الدميري انه من انشاء عبد المطلب فهو وهم منه وسبب الوهم انه في آخر قصة عبد المطلب ان رقيقة بنت أبي صيفي بن هاشم وهي التي سمعت الهاتف في النوم أو اليقظة لما تتابعت على قريش سنون أهلكتهم يصرخ يا معشر قريش ان هذا النبي المبعوث قد أظلتكم ايامه وهذا ابان نجومه فحيهلا بالحيا والخصب ثم أمرهم أن يستسقوا به وذكر قصة يطول شرحها وحاصلها ما مر فلما قصت الرؤية وهي الرائية المذكورة في القصة انشأت تمدح النبي صلى الله عليه وسلم بأبيات آخرها

مبارك الوجه يستسقى الغمام به • ما في الانام له عدل ولا خطر

فكان الدميري لما رأى هذا البيت في رواية قصة عبد المطلب التي رواها الطبراني وهو يشبه بيت أبي طالب اذ في كل استسقاء الغمام به وهو المقصود توهم ان بيت أبي طالب لعبد المطلب فوهم من وجهين أحدهما نسبته هذا البيت لعبد المطلب وانما هو لرقيقة والحكم عليه بانه عين البيت المنسوب لابي طالب وليس كذلك بل شتان ما بينهما فتأمل هذا المحل فانه مهم وقد اغتر بكلام الدميري هذا من لا خبرة له بالسير المأخوذة من الكتب المعتمدة ثم رأيت ما يقطع بغلط الدميري وهو ان النبي صلى الله عليه وسلم نسب وأبيض يستسقى الغمام البيت لابي طالب كما أخرجه البيهقي عن أنس رضي الله عنه لما جاء اعرابي الى النبي صلى الله عليه وسلم يجير ربا منه فقال يا رسول الله أتيناك وما لنا صبي يغط ولا بعير يئط أي ما لنا بعير أصلا لانه اذا وجد لا بد ان يئط وانشد ابياتا فقام النبي صلى الله

(قوله وهي أكثر من ثمانين بيتا) قال العيني في شرح البخاري وهي مائة بيت وعشرة أبيات (قوله رقيقة) بالقاف بلفظه مصغرا والذي في الاصابة انه بقافين مصغرا انتهى (قوله ابان) بالكسر والتشديد اى وقتها (قوله بالحيا) بالقصر ويمد أي المطر واما بالمد فهو التوبة والحشمة والفرج من ذوات الخف والظلف وقد يقصر انتهى من القاموس ورأيت في كلام بعض العلماء ان الحياء انقباض النفس عن شئ وتركه حذرا من اللوم فيه وهو الجبلة التي خلقها الله في النفوس كلها كالحياء من كشف العورة وايمانى وهو ما يمنع المؤمن من فعل المعاصي خوفا من الله وهذا القسم مما يكتسبه المؤمن ويتخلق به وسيأتي في الشرح عند قوله وراثه شيخه البيت. ما فيه نوع مخالفة لذلك مع بيان ان الملكات تزيد فانظره (قوله عدل) بالكسر المثل وبالفتح أصله مصدر عدلت هذا عدلا انتهى (قوله ولا خطر) قال الجوهري وخطر الرجل قدره ومنزلته انتهى (قوله يغط) الغطيط الصوت الذي يخرج مع نفس النائم وهو ترديده حيث لا يجد مساغا (قوله يئط) الاطيط صوت الرجل والابل من ثقل أحمالها وكذلك صوت الجوف من الخوى وحنين الجذع

عليه وسلم بجر رداءه حتى صعد المنبر فرفع يديه الى السماء ودعا فاردبدء الى نحره حتى انبعثت السماء بابراقها وعادوا يضجون فضحك صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه ثم قال لله در أبي طالب لو كان حيا لقرت عيناه من ينشدنا قوله فقال علي رضي الله عنه يا رسول الله كأنك تريد قوله

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه • ثمال اليتامى عصمة للارامل

مع ابيات أخر فقال النبي صلى الله عليه وسلم أجل فهذا نص صريح من الصادق بان منشئ البيت أبو طالب فنسبته لعبد المطلب غلط صريح • (تنبيه) ● تصريحي برواية ابن عساكر هذه يسقط قول السهيلي فيد وضه فان قيل كيف قال ابو طالب وأبيض البيت ولم يره قط استسقى انما كان استسقاؤه صلى الله عليه وسلم بالمدينة في سفر وحضر وفيها شوهد ما كان من سرعة اجابة الله تعالى له فالجواب ان أبا طالب قد شاهد من ذلك أيضا في حياة عبد المطلب ما دله على ما قاله انتهى ووجه سقوطه ما تقرر ان ابا طالب استسقى به صلى الله عليه وسلم فسقى فانشد ذلك البيت والعجب من شيخ الاسلام ابن حجر انه نقل أيضا عن رواية ابن عساكر هذه فاجاب عن استشكال السهيلي بقوله ويحتمل أن يكون ابو طالب مدحه بذلك لما رأى من مخايله وان لم يشاهد ذلك اذ لو استحضر رواية ابن عساكر هذه لم يبد هذا الاحتمال والثمال بكسر المثلثة الملجأ والعصمة المفتاح من الضياع والارامل المساكين رجال ونساء لكنه في النساء أكثر استعمالا ولما بلغ صلى الله عليه وسلم ثنتي عشرة سنة خرج به أبو طالب الى الشام حتى بلغ بصرى فرآه بحيرا الراهب فعرفه بصفته فقال هذا سيد العالمين انكم حين أشرفتم به من العقبة لم يبق حجر ولا شجر الا خر ساجدا له ولا تسجد الا لنبي واني أعرفه بخاتم النبوة عند غضروف كتفه كالتفاحة فسأل عمه أن يرده خوفا عليه من اليهود رواه ابن ابي شيبة وفيه انه صلى الله عليه وسلم أقبل وعليه غمامة تظله وبحيرا بفتح فكسر مقصور وذكره جمع في الصحابة بناء على ان الشرط رؤيته والايمان به ولو قبل البعث وصح ان سبعة من الروم أقبلوا يريدون قتله صلى الله عليه وسلم فتلقاهم بحيرا ورد أبا طالب وبعث معه أبو بكر بلالا وقوله وبعث معه الخ وهم من أحد رواته لان أبا بكر اذ ذاك لم يكن متأهلا لذلك ولا اشترى بلالا وفي حديث عند البيهقي وابي نعيم انهما أقبلوا رأى بحيرا غمامة بيضاء تظله من بينهم ثم نزل تحت شجرة فاغصنت عليه أغصانها حتى أظلته وروى أبو نعيم وابن عساكر ان اخته الشيماء بنت حليمة رأته في الظهيرة وغمامة تظله اذا وقف وقفت واذا سار سارت ولما بلغ ثمان عشرة سنة سافر الى الشام مرة أخرى لتجارة على ما ورد لكن بسند ضعيف وفيه ان أبا بكر كان معه وان بحيرا قال هذا والله نبي وان ذلك سبب ايمان أبي بكر به لما بعث قبل غيره ثم خرج وله خمس وعشرون سنة مرة ثالثة في تجارة لخديجة ومعه غلامها ميسرة فرأى في الهاجرة ملكين يظلانه من الشمس وكذا رأت خديجة ذلك لما أقبلوا وهي في علية لها

(قوله للأرامل) مفرده أرمل وامرأة أرملة محتاجة مسكينة والجمع أرامل وارملة والارمل العزب وهي بهاء ولا يقال للعزبة الموسرة أرملة انتهى وعبارة المختار والارمل الرجل الذي لا امرأة له والارملة المرأة التي لا زوج لها وقد ارملت المرأة مات عنها زوجها انتهى (قوله عند غضروف كتفه) الغضروف هو النغض المتقدم معناه اى أعلى الكتف وتقدم انه الايسر (قوله غمامة) أى سحابة قال السيد النسابة في شرح منظومة ابن العماد يقال ان طول الغمامة عشرة اذرع وعرضها كذلك وكان علوها على راسه كذلك (قوله ذكره جمع في الصحابة الخ) قال ابن عبد الحق في شرح بسملة شيخ الاسلام وقد تردد الحافظ ابن حجر في الاصابة في ثبوت الصحبة لورقة بن نوفل لكن المفهوم من كلامه في شرح النخبة ثبوتها له وانه يفرق بينه وبين بحيرا بان ورقة ادرك البعثة وان لم يدرك الدعوة بخلاف بحيرا انتهى وقد صرح الحلبي في حاشيته على المنهج ان المجتمع بنبينا لا يسمى صحابيا الا اذا اجتمع به بعد رسالته (قوله في علية) العلية الغرفة والجمع العلالي قال بعضهم هي العلية بالكسر انتهى مختار

(قوله كمسترق السمع) يقال استرق السمع اذا سمع مستخفيا (قوله عند مبعثه) قال فى القاموس وعند مثلثة الاول ظرف فى المكان والزمان انتهى والمراد هنا الزمان و بالمبعث الحدث أى البعث كما ذكره بقوله أى ارساله أى زمن بعثه على تقدير مضاف أى قرب زمن الخ كما اشار اليه الشارح تأمل (قوله اوتخبله) قال فى المواهب ثم يصير بعد ذلك أى بعد خبله غولا فى البرارى يضل الناس وسيأتى فى الشرح يقال خبله وخبله واختبله اذا أفسد عقله أو عضوه

وفى هذه السنة تزوجها وكانت تسمى بالطاهرة وكان سنها أربعين سنة ولما بلغ خمسا وثلاثين سنة خافت قريش ان تهدم السيول الكعبة لتشعثها فأمروا باقوم النجار القبطى مولى أحدهم ان يبنيها وحضر رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان ينقل معهم الحجارة ثم لما تقارب مبعثه صلى الله عليه وسلم تحدث بذلك احبار اليهود ورهبان النصارى لما فى كتبهم من صفته وصفة زمانه وكهان العرب لان شياطين الجن كانت لا تحجب عن خبر السماء فتسترق السمع وتخبر الكهنة به فيعلمون بعض خبر السماء لكن كانت العرب لا تلتفت لذلك بالاقبال ولما دنى مبعثه صلى الله عليه وسلم حجبت الشياطين عن السمع كما قال (بعث) اى أرسل (الله) علم على الذات الواجب الوجود المستحق لجميع المحامد من الخلق لذاته (عند) بتثليث العين اى قرب (مبعثه) اى زمن بعثه صلى الله عليه وسلم أى ارساله الى الخلق كلهم كما قال فى خبر مسلم وأرسلت الى الخلق كافة وبين بعث ومبعث جناس الاشتقاق (الشهب) على الشياطين الذين يسترقون السمع فيخطف احدهم الكلمة ثم يضم اليها مائة كذبة كما فى الحديث ثم يلقيها الكاهن وهو جمع شهاب وهى شعلة نار تحرق الشيطان المسترق السمع أو تخبله (حراسا) جمع حارس على غير قياس كقائم وقيام فهو حال أو مصدر اى لاجل الحراسة لشريعته صلى الله عليه وسلم التى سيأتى بها من الشياطين ان يخلطوا بها ما ليس منها وهو للمبالغة والتأكيد لانه معلوم من قوله تطرد الخ فتميم التتميم كما فى حبه فى ويطعمون الطعام على حبه (و) لكثرة تلك الشهب وعمومها المسترقين فى نواحى السماء (ضاق عنها الفضاء) اى المفازات الواسعة فلم يبق محل يقعدونه حتى يسترقوا السمع منه وبين ضاق والفضاء الطباق (تطرد) حال من الشهب اومنه كما فى قوله

• ولقد أمر على اللئيم يسبنى • لكن ظاهر المقام يرجح الحالية اذ رعاية التنكير هنا بعيدة (الجن) وهم أنهم اجسام نارية تقدر على التشكل فى الصور المختلفة (عن مقاعد) اى امكنة قريبة من السماء يقعدون فيها (السمع) أى ليسمعوا شيأ من الملائكة المتكلمين بما سيقع فى الارض من الاقضية والمغيبات امالكونه نقيصهم يلقيه عليهم ليكتبوه فيتلقونه منه او ان بعضهم يخبر من كتب البعض الآخر زيادة فى الاعتناء والظهور للملائكة وأصل هذا قوله تعالى قل اوحى الى انه استمع نفر من الجن الى قوله فمن يستمع

(قوله فتميم التتميم) هو عبارة عن الاتيان فى النظم او النثر بكلمة او جملة اذا زيدت فى الكلام التام افادته حسنا بحيث ما حسنه وهو قسمان متمم المعنى ومتمم الوزن فمثال الاول ما ذكره الشارح من الآية وقوله تعالى ومن يعمل من الصالحات من ذكر او انثى وهو مؤمن فقوله وهو مؤمن بذكرها تم معنى الكلام ومثال الثانى ما فى المتن وقول المتنبى

وخفوق قلب لو رايت لهيبه
يا جنتى لرايت فيه جهنما

فاتى بقوله يا جنتى لاقامة الوزن مع افادة معنى من انواع البديع وهى المطابقة بينها وبين قوله جهنما (قوله على التشكل الخ) اى بأن يعلمهم الله تعالى قولا او فعلا اذا اتى به تنقل من صورة الى اخرى لان تصويره لنفسه محال وكذا يقال فى الملائكة ثم رأيت لبعض الفضلاء توجيه التشكل والتطور بأنه من باب تعدد الصور او انه من طى المسافة وانزواء الارض من غير تعدد فيراه الرائيان فأكثر لكن الله تعالى

٩ = طوى الارض ورفع الحجب المانعة من الاشراف فظن انه فى مكانين او اكثر وانما هو فى مكان واحد وهذا اجود ما حمل عليه حديث رفع بيت المقدس حتى رآه النبى صلى الله عليه وسلم او انه من باب عظم الجثة حتى ملأ الكون فشوهد فى كل مكان انتهى قال الشارح فى شرحه على المنهاج ونوزع فى قدرتهم على التشكل باستلزام رفع الثقة بشئ فان من رأى ولو ولده يحتمل انه جنى تشكل به ويرد بان الله تعالى تكفل لهذه الامة بعصمتها عن ان يقع فيها ما يؤدى لمثل ذلك المترتب عليه الريبة فى الدين ورفع الثقة بعالم وغيره فاستحال شرعا الاستلزام المذكور (قوله اى امكنة قريبة الخ) اى بعداد منها وامن دخول السماء كما سبق فى الشرح

الآن يجد له شهابا رصدا فلما سمع الجن ذلك عرفوا الحق فآمنوا ثم ولوا الى قومهم منذرين قائلين ما حكاه الله تعالى عنهم أو آخر سورة الاحقاف ويوافق هذا ما رواه أهل السير انه لما حيل بينهم وبين خبر أهل السماء قالوا ان ذلك لامر حدث فاضربوا مشارق الارض ومغاربها وانظروا ما حال بينكم وبين خبر السماء فخرجت طائفة منهم من جن نصيبين باليمن قبل تهامة فوجدوا النبي صلى الله عليه وسلم بنخلة قريبة على ليلة من مكة مع اصحابه يصلي الصبح وهو يقرأ فاستمعوا له ثم قالوا هذا هو الذي حال بينكم وبين خبر السماء فأسلموا وولوا الى قومهم منذرين وفي ذلك نزل قل أوحي الى الآيات وانصرفنا اليك نفرا من الجن الآية قال الحافظ ابن كثير ذكر ابن اسحق انه صلى الله عليه وسلم خرج الى أهل الطائف يدعوهم الى الاسلام وانه انصرف عنهم فبات بنخلة يقرأ تلك الليلة فاستمع جن نصيبين أي مدينة بالشام انتهى وما ذكره صحيح الا قوله ان استماع الجن كان تلك الليلة ففيه نظر فان استماعهم انما كان في ابتداء الوحي كما يدل له حديث ابن عباس عند احمد كان الجن يستمعون الوحي فيسمعون الكلمة فيزيدون فيها عشرا فيكون ما يسمعونه حقا وما زادوه باطلا وكانت النجوم لا يرمى بها قبل ذلك فلما بعث صلى الله عليه وسلم كان أحدهم لا يأتي مقعده الا رمي بشهاب يحرق ما اصاب منه فشكوا ذلك الى ابليس فقال ما هذا الا لأمر امر أي عظيم قد حدث فبعث جنوده فاذا بالنبي صلى الله عليه وسلم يصلي بين جبلي نخلة فأخبروه فقال هذا الحدث الذي حدث في الارض ورواه النسائي وصححه الترمذي قال اعني ابن كثير واما خروجه صلى الله عليه وسلم الى الطائف فانما كان بعد موت عمه أبي طالب وروى ابن أبي شيبة عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه انهم هبطوا عليه صلى الله عليه وسلم وهو ببطن نخلة يقرأ القرآن فلما سمعوه قالوا أنصتوا فأنزل الله عز وجل واذ صرفنا اليك نفرا من الجن الآية فهذا مع رواية ابن عباس يقتضي انه صلى الله عليه وسلم لم يشعر بحضورهم في هذه المرة وانما استمعوا قراءته صلى الله عليه وسلم ثم رجعوا الى قومهم منذرين ثم بعد ذلك وفدوا اليه أرسالا قوما بعد قوم انتهى وصح ان الذي آذنه صلى الله عليه وسلم بهم لما وفدوا اليه شجرة وانهم سألوه الزاد فقال لهم كل عظم ذكر اسم الله عليه يقع في يد احدكم أوفر ما يكون لحما وكل بعر علف لدوابكم وفيه رد على من زعم ان الجن لا تأكل ولا تشرب والحاصل ان ذهابه صلى الله عليه وسلم الى الطائف انما كان بعد موت عمه ابي طالب سنة عشر من البعثة ثم موت خديجة بعده بثلاثة أيام أو خمسة ثم تزوجه بسودة بعد أيام وكان خروجه الى الطائف بعد موت خديجة بثلاثة اشهر في شوال لما ناله من قريش وكان معه مولاه زيد بن حارثة فأقام به شهرا يدعو اشراف ثقيف فلم يجيبوه وأغروا به سفهاءهم وعبيدهم يسبونه قال موسى بن عقبة ورجموا عقبيه بالحجارة حتى اختضبت نعلاه بالدم زاد غيره وكان اذا أذلقته الحجارة أي بالمعجمة ثم القاف اضعفته قعد الى الارض فيأخذون

(قوله او آخر سورة الاحقاف) من قوله تعالى وانصرفنا اليك نفرا من الجن (قوله أي مدينة بالشام) تقدم انها باليمن وهو الصواب (قوله الوحي) تقدم انهم منعوا عن استماع خبر السماء قبل البعث فانظر قوله يستمعون الوحي (قوله فيزيدون فيها عشرا) تقدم انهم يزيدون مائة ولعل بعضهم يزيد مائة وبعضهم يزيد عشرا (قوله وكانت النجوم الخ) هذا يقتضي ان النجوم نفسها يرمى بها وتقدم ان المرمي به الشهب التي هي الشعل المنفصلة من النجوم وسياق ذلك أيضا وحكاية قول بقيل انها نفسها تنقض ثم ترجع الى محلها فما هنا على هذا القيل ان ابقي على ظاهره فان أريد ترجيحه للاول فقدر مضاف أي يرمى بشهبها (قوله فلما بعث صلى الله عليه وسلم) ظاهره يوافق حديث ابن عباس ويخالف ما سبق له عند قول الناظم بعث الله وقد يدفع التخالف كما أشار اليه الشارح فيما يأتي وصرح به في تفسير الخازن بأن الرمي بالشهب كان موجودا قبل المبعث لكنه اشتد بعده (قوله ما هذا الا لأمر امر) قال في المختار الامر كالاصر الشديد وقيل العجب ومنه قوله تعالى لقد جئت شيئا امرا وقال البيضاوي أي أتيت أمرا عظيما من أمر الامر اذا عظم (قوله أرسالا) قال في القاموس الرسل محركة القطيع من كل شيء والجمع ارسال انتهى فقول الشارح قوما بعد قوم تفسير مراد لقوله ارسالا (قوله وكل بعر علف لدوابكم) أي بسبب عوده لما كان عليه من تبن وحب

بعضديه

بعضد يه فيقيمونه فاذا مشى رجموه وهم يضحكون وزيد بن حارثة يقيه بنفسه حتى لقد شج في رأسه شجاجا ✽ وفي الصحيحين انه صلى الله عليه وسلم لقي منهم أشد مما لقيه يوم احد وان جبريل عليه الصلاة والسلام نزل عليه حينئذ ومعه ملك الجبال ليأمره في قومه بما شاء فقال صلى الله عليه وسلم بل ارجو أن يخرج الله من اصلابهم من يعبد الله تعالى وحده ولا يشرك به شيأ وجاء عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ان الشياطين كانوا لا يحجبون عن السموات وكانوا يدخلونها ويأتون بأخبارها فيلقون على الكهنة فلما ولد عيسى عليه الصلاة والسلام منعوا من ثلاث سموات فلما ولد محمد صلى الله عليه وسلم منعوا من السموات كلها فما منهم من أحد يريد استراق السمع الا رمي بشهاب وهو الشعلة من النار فلا يخطئ أبدا فمنهم من يقتله ومنهم من يحرق وجهه ومنهم من يخبله فيصير غولا يضل الناس في البراري قال الائمة وهذا لم يكن ظاهرا قبل مبعثه صلى الله عليه وسلم ولم يذكره أحد قبل زمانه وانما ظهر في بدء أمره صلى الله عليه وسلم تأسيسا للنبوته صلى الله عليه وسلم ثم جاء عن معمر انه قال للزهري أكان يرمى بالنجوم في الجاهلية قال نعم قال أفرأيت قوله تعالى وانا كنا نقعد منها مقاعد للسمع الآية قال غلظت وشدد أمرها حين بعث صلى الله عليه وسلم وجرى على هذا ابن قتيبة فقال كان الرجم قبل مبعثه صلى الله عليه وسلم ولكن لم يكن في شدة الحراسة مثله بعد مبعثه صلى الله عليه وسلم ويؤيده رواية ابن عباس الاخيرة ان صحت وعلم من قول ابن عباس شعلة نار ان الكوكب لا ينفصل عن محله وانما الذي ينفصل عنه تلك وقيل ينقض ثم يرجع الى مكانه وطرد تلك الشهب لاولئك الشياطين طردا بالغا جدا (كما) موصولة أو مصدرية (تطرد الذئاب) جمع ذئب بالهمز وقد يخفف وتشبيه شياطين الجن بالذئاب صرح به الحديث الصحيح (الرعاء) بضم أوله وكسره للغنم اذا أرادت العدو عليها (فـ)بسبب ذلك الطرد البالغ للجن عن خبر السماء (محت آية الكهانة) مفعول مقدم وهي بالفتح مصدر كهن بضم الهاء اذا صار كاهنا أي مخبرا بالامور الخفية والمغيبات البعيدة أي علامتها وهي ما كانت تأتي به الكهان وتذكره من المغيبات التي تلقيها اليهم الشياطين بواسطة استراقهم لبعض كلام الملائكة ثم القائه اليهم مع ما يضمونه اليه من الكذب كما مر (آيات من) جملة (الوحي) وهو الكتابة والاشارة والرسالة والالهام والكلام الخفي ولذلك كان الوحي الآتي اليه صلى الله عليه وسلم على اقسام ✽ الرؤيا الصادقة فكان صلى الله عليه وسلم لا يرى رؤيا الا جاءت مثل فلق الصبح ✽ وما يلقيه الملك في روعه وقلبه من غير ان يراه كالحديث الصحيح ان روح القدس نفث في روعي لن تموت نفس حتى تستكمل

(قوله لم يكن ظاهرا الخ) أي بشدة بغير شهابا في (قوله ثم الخ) ظاهره استدراك على قوله وانما ظهر الخ لافادة انه رمي بها قبل زمانه صلى الله عليه وسلم وسوابق الكلام ولواحقه تفيد انه انما وجد بعد وجود النبي قريب مبعثه لكن لا بشدة ثم وجد بشدة بعده فيحمل قوله في الجاهلية على ما قبل بعثه وبعد وجوده صلى الله عليه وسلم يدليل قوله وشدد امرها الخ لتتلاءم اطراف الكلام فتأمل (قوله موصولة) واقعة على الذئاب ويكون قوله الذئاب من وضع الظاهر موضع الضمير وهو كاف في الربط كقوله ✽ وأنت التي في رحمة الله اطمع ✽ (قوله صرح به الحديث) كقوله ان الشيطان ذئب الانسان كذئب الغنم يأخذ الشاة القاصية والناحية فاياكم والشعاب وعليكم بالجماعة والعامة والمسجد وحديث فعليكم بالجماعة فانما يأكل الذئب من الغنم القاصية (قوله الرعاء) جمع راع كجائع وجياع ويجمع على رعاة كقاض وقضاة ورعيان كشاب وشبان ويطلق على راعي الغنم وغيره والمراد هنا راعي الغنم لذكره الذئاب وهي لا تتعرض غالبا الا للغنم وهذا يقتضي انه اذا ضمت الراء ختم بالهاء واذا كسرت ختم بالهمزة وعبارة الشارح تقتضي الختم بالهمزة مطلقا ويرادعليه الختم بالهاء مع ضم أوله فحرر (قوله من الوحي) هو هنا ما نزل به جبريل قاله البرلسي المالكي في شرحه لكن التقسيم الآتي له ليس بهذا المعنى كما لا يخفى بل بمعنى ما القي الى الرسل والاذن أقسامه كلام الله بالواسطة ولا يشمل ما ذكره البرلسي (قوله وهو الكتابة) أي لغة (قوله والكلام الخفي) قال البرلسي كالوسوسة (قوله في النوم ٢) ذكر بعد الرؤيا المخصوصة بالنوم لزيادة الايضاح أو لدفع توهم ان الرؤيا تطلق على ادراك العين وكانت مدة الرؤيا ستة أشهر (قوله مثل فلق الصبح) أي ضيائه وسنده فرق (قوله وقلبه) عطف تفسير لان الروع بضم الراء القلب واما بالفتح فهو الفزع

٢ قول المحشي قوله في النوم ليس في نسخ الشارح التي بايدينا

(قوله واجملوا في الطلب) قال ابن عطاء الله الاجمال في الطلب يحتمل وجوها كثيرة فمنها ان لا يطلبه أي الرزق مكا عليه مشتغلا عن الله به ومنها ان يطلبه من الله ولا يعين قدرا ولا وقتا الا من طلب وعين قدرا أو وقتا فقد تحكم على ربه واحاطت الغفلة بقلبه ومنها ان يطلب وهو شاكر لله ان اعطى شاهد حسن اختياره ان منع ومنها ان يطلب من الله ما فيه رضاه لا ما فيه حظوظ دنياه ومنها ان يطلب ولا يستعجل الاجابة وفي حديث ضعيف اطلبوا الحوائج بعزة الانفس فان الامور تجري بالمقادير انتهى وقيل الاجمال طلب الرزق من وجه حل بعزة نفس (قوله في صورة دحية) أي بعد اسلامه رضي الله عنه (قوله تزوجت الظعن) جمع ظعينة وهي المرأة مادامت في الهودج فاذا لم تكن فيه فليست بظعينة (قوله كما في الابدال) قال عليه الصلاة والسلام الابدال في هذه الامة ثلاثون رجلا قلوبهم على قلب ابراهيم خليل الرحمن كلما مات رجل ابدل الله مكانه رجلا انتهى وورد انهم بالشام وورد انهم أربعون رجلا واربعون امرأة وجمع بان الحديث الذي فيه انهم ثلاثون أي من كانت قلوبهم على قلب ابراهيم الخليل كما ذكر فيه فالعشرة الزائدة مع الاربعين امرأة قلوبهم على قلب غيره من الانبياء ومعنى كونهم على قلب ابراهيم انهم يتقلبون في المعارف الالهية التي يقلبه اذ الواردات العلوم الالهية انما ترد على القلوب فكل علم يرد على قلب كبير من ملك أو رسول يرد على هذه القلوب التي هي على قلبه وربما يقولون فلان على قدم فلان ومعناه ما ذكر وانما سموا ابدالا لان ٦٨ كل من مات منهم أبدل الله مكانه غيره روى الحكيم الترمذي ان الارض شكت الى ربها انقطاع النبوة فقال تعالى سوف اجعل على ظهرك اربعين صديقا كلما مات منهم رجل ابدل مكانه رجلا وقيل انما سموا ابدالا لتبدل سيئاتهم حسنات وهذا المعنى يشمل غير الابدال بالمعنى الخاص المقتضي حصرهم في العدد السابق ولذا قال العارف المرسي كنت بالسا بين يدي استاذي الشاذلي فدخل جماعة فقال هؤلاء الابدال فنظرت ببصري فلم أرهم ابدالا فبصرت فقال الشيخ من بدلت سيئاته حسنات فذلك فهو بدل فعلمت انه أول مراتب البدلية ومن علامة البدل انه لا يولد له واذا رحل البدل عن موضعه جعل موضعه حقيقة روحانية فاذا جاء موضعه أحد يجتمع به تلك الحقيقة الروحانية التي تركها بدله تكلمه ويكلمها وهو غائب عنهم (قوله مناط بأي صورة أرادها) وحينئذ يتطرق النكاح ونحوه للزوجة والامتحال هو خاص بالصورة الاصلية أو بما ارتحل اليه الصورة عند ارادة النفس لها فليحرر بالنقل الصحيح وقد يقال النكاح من جملة التكاليف التي صرح الشارح بانه متعلق بالصورة التي يريدها سواء كانت الاصلية أو غيرها (قوله مثل صلصلة الجرس) أي اتيانا مثل أو حالة كونه مشابها صوته صلصلة الجرس قيل هي صوت الملك بالوحي وقيل صوت خفيف احضبته والحكمة في تقدمه ان يقرع سمعه للوحي فلا يبقى فيه متسع لغيره والجرس الجلجل يعلق في رؤس الدواب (قوله تبرك به) بضم الراء لانه من باب دخل (قوله واختص بالكليم) قال في المواهب اللدنية فان قلت اذا ثبت انه صلى الله عليه وسلم كلمه ربه بلا واسطة وقام به هذا الوصف فلم لم يشتق له من الكلام اسم الكليم كما اشتق منه لموسى أجيب بان اعتبار المعنى قد يكون لتصحيح الاشتقاق كاسم الفاعل فيطرد بمعنى ان كل من قام به ذلك الوصف اشتق له اسم منه وجوبا وقد يكون للترجيح فقط كالكليم والقارورة فلا يطرد وحينئذ فلا يلزم في كل من قام به ذلك الوصف ان يشتق له =

رزقها فاتقوا الله وأجملوا في الطلب ويتمثل الملك له رجلا يخاطبه وصح انه كان يأتيه في صورة دحية أي لانه كان جميلا جدا اذا قدم لتجارة تزوجت الظعن لتراه وتشكل جبريل عليه الصلاة والسلام مع عظم صورته وأن له ستمائة جناح كل جناح منها يسد الافق في صورة رجل غير بعيد لان الاجسام النورانية تقبل الانضمام حتى تصغر الصورة جدا كما ان القطن يقبل الانكباس فتصير الصورة الكبيرة منه صغيرة وهذا أولى من قول بعضهم ان صورته الاصلية باقية على حالها وصورة الرجل صورة أخرى له وروحه متعلقة بهما أي كما في الابدال الذين تتعدد صورهم في الوجود وروحهم واحدة والتكليف حينئذ مناط بأي صورة أرادها الانسان ويأتيه مثل صلصلة الجرس وهو اشده عليه ولذا كانت ناقته صلى الله عليه وسلم تبرك به وكانت رأسه على فخذ زيد بن ثابت فكادت ترتض من شدة الثقل حتى انه يقول لا امشي بعد اليوم على رجلي أبدا ويأتيه على صورته الاصلية ووقع له ذلك مرتين كما في سورة النجم وكلام الله بلا واسطة كموسى واختص بالكليم لان

= منه اسم كما حققه القاضي سعد الدين وهذا تلخيصه وتحريره كما قاله سعد الدين التفتازاني انتهى (قوله يتراءى)

ذلك وقع له وهو بالارض ونبينا صلى الله عليه وسلم انما وقع له ذلك وهو كقاب قوسين او أدنى وصح عن الشعبي انه صلى الله عليه وسلم وكل به اسرافيل فكان يتراءى له ثلاث سنين ويأتيه بالكلمة من الوحي والشيء ثم وكل به جبريل فجاءه بالقرآن * ثم وصف آيات الوحي بأنهن (ما لهن انمحاء) من محا يمحو ويمحى ويمحا كذا ذكره بعضهم وعبارة القاموس محاه يمحوه ويمحاه أذهب اثره وامحى كادّعى وامحو السواد في القمر انتهت ملخصة والمعنى ههنا ما لهن ذهاب ولا تغير كيف وقد تكفل الله تعالى لهذه الشريعة الغراء بأنها باقية على ممر الدهور الى ان ينزل عيسى صلى الله عليه وسلم فيحكم بها ثم تضمحل عند قيام الساعة بموت الطائفة الذين اخبر الصادق المصدوق عنهم صلى الله عليه وسلم بأنهم لا يزالون قائمين بالحق لا يضرهم من خالفهم حتى يأتيهم أمر الله أي ريح لينة تقبض ارواحهم فحينئذ لا يبقى على وجه الارض من يقول الله الله فتقوم الساعة وبين محت وانمحاء جناس الاشتقاق * ثم ذكر قصة زواجه صلى الله عليه وسلم بخديجة رضي الله تعالى عنها ولو قدمها كما فعلت ليوافق الواقع لانها قبل قوله بعث اقاح لكان أولى فقال (ورأته) أي علمته وابصرته لما سبق لها من الفضل الذي فاقت به سائر أمهات المؤمنين رضي الله تعالى عنهن (خديجة) بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب وكانت ذات شرف ظاهر ومال وافر وحسب فاخر (و) هي الحال (التقى) هو التبرء من كل شيء سوى الله تعالى وهذا غايته ومبدؤه اتقاء الشرك واوسطه اتقاء المحارم وكذا يقال في التقوى وصح خبر ان اتقاكم واعلمكم بالله انا وخبر اني لأعلمكم بالله واشدكم له خشية (والزهد) هو أخذ أقل الكفاية مما يتيقن حله وترك الزائد على ذلك وقد صح خبر ما شبع آل محمد من طعام ثلاثة أيام تباعا حتى قبض وخبر كان صلى الله عليه وسلم يبيت الليالي المتتابعة واهله طاويا لا يجدون عشاء وانما كان خبزهم الشعير وخبر النعمان بن بشير رضي الله تعالى عنه لقد رأيت نبيكم صلى الله عليه وسلم يظل اليوم يلتوي ما يجد من الدقل ما يملأ بطنه وخبر انه كان يمضي الشهران ولا يوقد صلى الله عليه وسلم في ابياته نار وانما طعامهم التمر والماء وخبر انه صلى الله عليه وسلم مات ودرعه مرهونة عند يهودي على ثلاثين صاعا من شعير أخذها صلى الله عليه وسلم قوتا لاهله (فيه) كل منهما (سجية) بالسين المهملة أي خلق غريزي طبيعي والاختلاف في كون حسن الخلق غريزة او مكتسبا يتعين ان يكون محله في غيره صلى الله عليه وسلم وتمسك من قال بانه غريزة بالحديث الصحيح ان الله قسم بينكم اخلاقكم كما قسم ارزاقكم والتحقيق ان اصول الاخلاق غرائز وملكات في نوع الانسان وانما التفاوت في غراتها وهذا هو الذي به التكليف لان الغريزي لا تكليف به لانه ليس في الطاقة نعم من فيه غريزة منه اعانته على المكتسب حتى يكاد يكون غريزيا فيؤمر بالمجاهدة في الضعيف حتى يقوى وفي غير المحمود

أي يظهر (قوله محا يمحو) والمصدر المحو والمحي (قوله ورأته) أي ابصرته او علمته يعني عرفته كما بينه الشارح لعدم وجود مفعول ثان (قوله خديجة) قال العلامة ابن عبد الحق في شرحه بالتنوين للضرورة انتهى ولا داعي لهذا التنوين لان مستفعلن في بحر البسيط مفروق الوتد فآخره سبب خفيف فيدخله الكف وغايته ان اجتماعه مع الخبن المسمى أي اجتماعهما بالشكل مكروه قبيح مع جوازه كما هو مصرح به في فن العروض فراجع كلام الشارح الآتي عند قوله فاستبان خديجة وانظر ما كتبناه عليه يظهر لك المقام (قوله ابن قصي) هو ثالث جد لها رابع جد لرسول الله لانه محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي (قوله تباعا) أي ولاء (قوله في أبياته) جمع بيت ويجمع ايضا على بيوت وابابيت عن سيبويه مثل أقوال وأقاويل وتصغيره بييت بضم أوله وكسره والعامة تقول بويت والبيت أيضا عيال الرجل وقول الشاعر

وبيت على ظهر المطي بنيته
باسمر مشقوق الخياشيم يرعف

يعني بيت شعر كتبه بالقلم انتهى مختار وقوله يرعف ما شبه من باب نصر وقطع وكونه من باب ظرف لغة قليلة وهو في الاصل الدم يخرج من الانف والمراد به هنا المداد النازل من القلم (قوله وانما التفاوت في غراتها) أي وفي كيفياتها كما يفيده قوله فيؤمر بالمجاهدة

حتى يصير محمودا وقد صح أنه صلى الله عليه وسلم قال للأشج ان فيك لخصلتين يحبهما الله
تعالى الحلم والاناة قال يا رسول الله قديما كانا فيّ أو حديثا قال قديما قال الحمد لله الذى
جبلنى على خصلتين يحبهما الله فترديد السؤال وتقريره عليه يشعران بان فى الخلق الجبلى
والمكتسب وصح انه صلى الله عليه وسلم كان يقول اللهم كما حسنت خلقى فحسن
خلقى وكان يقول فى دعاء الافتتاح واهدنى لاحسن الاخلاق لا يهدى لاحسنها الا انت
ولما اجتمع فى نبينا صلى الله عليه وسلم من صفات الكمال وخصال الجلال والجمال ما لا يحيط
به أحد اثنى الله تعالى عليه فى كتابه العزيز فقال مؤكدا ذلك بذكر على الاستعلائية وانك
لعلى خلق عظيم والخلق ملكة نفسانية تحمل صاحبها على كل جميل ووصفه بالعظيم مع ان
الغالب وصفه بالكريم لان خلقه صلى الله عليه وسلم لم يقتصر على الكرم المقتضى
للسماحة والدماثة بل يعم صفتى الانعام والانتقام اذ كان رحيما بالمؤمنين شديدا غليظا على
غيرهم (والحياء) فيه حجية أيضا على اكمل غاياته ففى البخارى من حديث أبى سعيد كان
صلى الله عليه وسلم أشد حياء من العذراء أى البكر فى خدرها وقيده لان حياءها فيه
أشد لانه مظنة ان يتطلع منها طامع يدخل عليها فيه بشئ بخلافها بحضرة الناس والحياء
بالمد لغة تغير وانكسار يعترى الانسان من خوف ما يعاب به من الحياء وانك بمعنى المطر
حيا لكنه مقصور وشرعا خلق يبعث على اجتناب القبيح ومنعه التقصير فى حق من له
حق ومن ثم صح انه لا يأتى الا بخير وانه من الايمان وجعل منه وان كان غريزة لان
استعماله على قانون الشرع يحتاج الى قصد واكتساب وعلم (واتاها) الخبر بكرامتين
عظيمتين وقعتا له صلى الله عليه وسلم قبل النبوة توهما (ان الغمامة) وهى السحابة
(والسرح) وهو كما فى القاموس شجر عظام او كل شجر لا شوك فيه أو كل شجر طال انتهى
وقضية سياق القصة الآتية ان المراد هنا الاول أو الثالث واما الثانى فلم أر ما يدل عليه
(اظلته منهما) حال من قوله (افياء) جمع فئ وهو ما بعد الزوال من الظل من فاء رجع
لرجوعه من جانب الى جانب وفرق بعضهم بين الظل والفئ بأن الظل ما نسخته الشمس
والفئ ما نسخها ومر ذكرهاتين الآيتين قبيل قوله بعث الله عند مبعثه الشهب
وحاصلهما مع بعض زيادة انها ارسلته فى تجارة لها ومعه عبدها ميسرة الى بصرى فنزل
تحت شجرة فاظلته فقال الراهب ثم ما نزل تحتها الا نبى وسأل ميسرة أفى عينيه حمرة قال نعم
لا تفارقه فقال له الراهب هو آخر الانبياء ليتنى ادركه اذ يؤمر بالخروج وقال له من خالفه
فى بيع وهو بسوق بصرى احلف باللات والعزى فقال ما حلفت بهما قط فقال خصمه
لميسرة هذا نبى والذى نفسى بيده انه هو الذى تجده احبارنا منعوتا عندهم فى كتبهم فوعى
ذلك ميسرة وكان ميسرة يرى ملكين يظلانه فى الهاجرة ورأت خديجة ذلك لما اقبل صلى
الله عليه وسلم وهى فى علية لها فأرته نساء عندها فعجبن من ذلك فلما جاءه ميسرة اخبرته بما
رأت فأخبرها بجميع ما رآه منه وبقول الراهب السابق وبقوله ما حلفت بهما قط

(قوله والسماحة) أى سهولة الخلق
(قوله والحياء بالمد) وقد يقصر
(قوله لكنه مقصور) وقد يمد
(قوله وأتاها الخبر الخ) يقتضى انها
لم تبصر الظلال وانما أخبرها
بها ميسرة عبدها أو غيره والذى
رأته الظلال الملكية (قوله
والسرح) قال الشباطى جمع
سرحة (قوله انها ارسلته) هذا
الذى ذكره الى التنبيه له الملم
بتظليل السرح المعبر عنها بالشجرة
حيث قال ونزل تحت شجرة الخ
وليس له الملم بتظليل الغمام
فيكون قوله وحاصلهما الخ بالنسبة
الى الاول دون الثانى الا ان يريد
بحاصلهما ما ذكره الى قول الناظم
واحاديث ان وعد رسول الله
البيت وحينئذ فلا اشكال فى ضمير
التثنية فى قوله وحاصلهما (قوله
الى بصرى) بضم أوله والقصر
مدينة بين المدينة ودمشق (قوله
فقال الراهب) وهو نسطورا كما فى
شرح البرلسى (قوله ما حلفت بهما
قط) فقال له القول قولك كذا
هذه الزيادة فى شرح البرلسى

(تنبيه)

•(تنبيه)• وردفى تظليل الغمام له صلى الله عليه وسلم احاديث اصحها مارواه جماعة وهو على شرط الصحيح الا ان فيه ارسالا وغرابة ان أبا طالب خرج به الى الشام فى اشياخ من قريش فمروا ببحيرا فخرج اليهم على خلاف عادته فجعل يتخللهم حتى أخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هذا سيد العالمين زاد البيهقى ورسول رب العالمين هذا يبعثه الله رحمة للعالمين فقالوا له ومن اعلمك بذلك قال انكم حين اشرفتم من الثنية لم يبق شجر ولا حجر الا خر ساجدا اذ لا يسجدون الا لنبى وانى اعرفه بخاتم النبوة اسفل من غضروف كتفه ثم رجع فصنع لهم طعاما فلما أتاهم به كان صلى الله عليه وسلم فى رعية الابل فقال لهم ارسلوا اليه فاقبل صلى الله عليه وسلم وغمامة تظله فلما دنا الى القوم وجدهم قد سبقوه الى ظل الشجرة فلما جلس صلى الله عليه وسلم مال فىء الشجرة عليه فقال انظروا الى فىء الشجرة مال اليه الحديث رواه أبو موسى الاشعرى وهو اما ان يكون تلقاه عنه صلى الله عليه وسلم فيكون ابلغ عنه صلى الله عليه وسلم أو من بعض كبار الصحابة أو كان مشهورا أخذه بطريق الاستفاضة وروى ابن اسحق معضلا والبيهقى فى الدلائل موصولا انهم لما نزلوا قريبا من صومعة بحيرا صنع لهم طعاما كثيرا لانه رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين اقبلوا وغمامة تظله من بين القوم ثم اقبلوا فنزلوا فى ظل شجر قريبا منه فنظر الى الغمامة حين اظلت الشجرة وتهصرت اغصانها أى مالت وانعطفت على رسول الله صلى الله عليه وسلم حين استظل تحتها القصة وورد ان حليمة رأت غمامة تظله وهو عندها وورد ذلك عن أخته من الرضاعة وأشار غير واحد الى ان تظليل الغمام له صلى الله عليه وسلم انما كان قبل النبوة ارهاصا وتأسيسا للنبوة صلى الله عليه وسلم كما يأتى ومما يدل على انقطاع ذلك ان الصديق رضى الله تعالى عنه أظله صلى الله عليه وسلم حين قدما المدينة فى الهجرة لما اصابته الشمس فظلل عليه بردائه وصح انه صلى الله عليه وسلم ظلل عليه بثوب وهو يرمى جمرة العقبة وظلل عليه مرة أخرى وهو بالجعرانة وانهم كانوا فى اسفارهم اذا أتوا على شجرة ظليلة تركوها له صلى الله عليه وسلم وسيأتى فى شرح قوله واذا ما مشى يحاوره الظل الخ ماله تعلق بذلك (و) أتاها أيضا (الحديث) الاحبار والرهبان والكهان (ان) أى بان (وعد رسول الله) مصدر مضاف للمفعول أى وعد الله له صلى الله عليه وسلم وهو عند الاطلاق لا يستعمل الا فى الخير (بالبعث) أى الارسال الى الخلق كافة (حان) أى قرب (منه) أى من رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو متعلق بقوله (الوفاء) أى قرب وفاء الله سبحانه وتعالى بذلك الوعد من رسول الله صلى الله عليه وسلم (ف) بسبب ما رأته منه وما بلغها عنه مما يحصل من الخير ممن عقل على ان يغسل قدميه ويشرب ماء غسلهما (دعته) أى خطبته (الى الزواج) أى الى ان يتزوج بها وعرضت نفسها عليه فقالت يا ابن عمى انى قد رغبت فى نكاحك لما أيته وعرفته منك ومر ان سنها حينئذ كان أربعين سنة وسنه صلى الله عليه وسلم كان خمسا وعشرين على الاشهر فيهما وكانت تزوجت قبله

(قوله ابتعثه الله) أى يبعثه والا فالكلام فى الخوارق قبل البعثة فعبر بالماضى اشارة لتحقق ذلك (قوله من الثنية) هى طريق العقبة كما فى المختار (قوله اذ لا يسجدون) كان الظاهر اذ لا تسجد وقد يقال نزلهما منزلة العاقل لوجود السجود منهما فجمعهما جمعه (قوله فى رعية) بكسر الراء الهيئة (قوله واذا ما مشى) الذى سيأتى فى النظم واذا ما ضحا الخ (قوله الاحبار) علماء اليهود والرهبان عباد النصارى والكهان المخبرون عن المغيبات الملقاة اليهم من الجن حين استراقهم السمع كما سبق (قوله وهو متعلق بقوله الوفاء) لو جعله متعلقا بحان والمتعلق بالوفاء محذوفا أى به أى قرب من رسول الله الوفاء بوعد الله له لكان أوضح تأمل

(قوله منصوب المحل) فيه ان ذلك المصدر منصوب لفظا عند النطق به بدلا عن اول به (قوله جمع أمنية) قال في المختار والمنية واحدة الاماني انتهى فقول الشارح جمع أمنية راجع للاماني لا للمنى وانما فسر المنى بالاماني مع اتحاد معناهما دفعا لتوهم ان المنى مفرد (قوله وتفرسها) التفرس استحضار العلم بالفراسة وهي كما في الصحاح بالكسر الاسم من قولك تفرست فيه خيرا وهو يتفرس أي يتثبت وينظر تقول منه رجل فارس النظر وفي الحديث اتقوا فراسة المؤمن والفراسة بالفتح مصدر قولك رجل فارس على الخيل بين الفراسة والفروسة والفروسية انتهى (قوله فانها ادركت بقوتها ذكائها وتفرسها الخ) قد تقدم ان ما رأته سبب حامل لمن له ذوق عقل ان يفسل قدميه بل ان يستشفي بفضلاته كبوله ودمه أي فلا تحتاج لقوتها ذكائها وتفرس لما تفرس من الآيات البينات وقضيته ما ذكره هنا انه حصل بقوة الذكاء الخ وشبه تنافي الا ان يقال كلامه اولا هو بالنسبة لما لاحظته منه من السعادة الفاخرة في الدنيا والآخرة ٧٢ أو انه بالنسبة لمبادئها الذاتية وعبارة الجوهري دعته الى ان يتزوج بها ليحصل لها الشرف التام والفضل العظيم على نساء عصرها فكان هو المطلوب لفرط جلاله والمرغوب فيه لكثرة افضاله فتعرفت بزواجه اياها حتى كانت من افضل أمهات المؤمنين او افضلهن ثم تعجب من قوتها كلها وفرط عرفانها حيث بادرت الى هذا الامر العظيم والفضل الجسيم ولم تمش على عادة النساء في انتظار ان تكون مسؤلة غير سائلة لما سبق لها من السعادة وكتب لها من الفضل والسيادة وقد يدفع أيضا ما ذكر من التنافي بان التفرس كما علمت استحضار العلم بالفراسة وهي الاستدلال بالظواهر على البواطن ولا شك انها قد استدلت بما رأته وعرفته من الآيات على ما خصه صلى الله عليه وسلم في باطن الامر من الكمالات (قوله كقول أبي الطيب) ويجمد مثال لضرب الحكمة من نعت أو مثل فان ما ذكر مثل يضرب لكل من تكلف شيئا وليس خلقيا فيه فتقول لمن تكلف الكرم وليس خلقيا فيه ليس التكحل الخ ومثال الحكمة قول الناظم ولذي اللب الخ (قوله عشر بن بكرة) البكر الفتي من الابل والانثى بكرة وبكرة البئر ما يستقي عليها والجمع بكر وهو من شواذ الجمع لان فعلة لا يجمع على فعل الا شذوذا (قوله وضئضئ) مضاف لمعدو بينهما معترض بين المتضايفين لضبط وبيان المعنى وهو بكسر الضادين وبهمزتين (قوله وعنصر) أي اصل فهو بمعنى ضئضئ (قوله الحكام على الناس) أي اشراف الناس في الجاهلية وهم العرب وعدهم في القاموس نحو خمسة عشر حاكما وانما قدر ذلك لانهم لم يكونوا حكاما جميع الناس كما لا يخفى (قوله فان كان في المال قل) القل والكثر بضم أولهما وكسره قال في الصحاح القل القلة مثل الذل والذلة انتهى (قوله حائل) أي متحول أو منقلب من يد الى يد فقد ذكر في اللغة ان حال يأتي بمعنى انقلب وبمعنى تحول وهو المراد هنا

برجلين (وما احسن) هذه احدى صيغتي التعجب (ما) مصدرية فتؤول مع (بلوغ) بمصدر منصوب المحل على التعجب (المنى) أي الاماني جمع امنية وهي ما يتمناها الانسان (الاذكاء) جمع ذكي كغني واغنياء والذكاء بالمد حدة القلب وحزيد فطنته أي شيء عظيم حسن بلوغ الاذكياء كل ما يتمنونه ومنهم بل من أكملهم خديجة رضي الله تعالى عنها فانها ادركت بقوتها ذكائها وتفرسها فيه صلى الله عليه وسلم منذ رأته كل ما تمنته والنبه عام تبلغه امرأة من هذه الامة اذ هي على الاصح أفضل أمهات المؤمنين رضي الله عنهن وهذا من أنواع البديع المسمى بارسال المثل السائر وهو ان يذكر الشاعر في بعض بيت ما يجري مجرى المثل السائر من حكمة أو نحوها كقول أبي الطيب

لان حلك حلم لا تكلفه • ليس التكحل في العينين كالكحل

وهو كثير في كلام الناظم ولما عرضت نفسها عليه صلى الله عليه وسلم ذكر ذلك لاعمامه فخرج معه منهم حمزة حتى دخل على ابيها خويلد فخطبها منه اليه فاجاب فتزوجها صلى الله عليه وسلم واصدقها عشرين بكرة وحضر أبو بكر ورؤساء مضر فخطب أبو طالب فقال الحمد لله الذي جعلنا من ذرية ابراهيم وزرع اسمعيل وضئضئ معد وعنصر مضر وجعلنا حضنة بيته أي الكافلين له وسواس حرمه أي المتولين لامره وجعل لنا بيتا محجوبا وحرما آمنا وجعلنا الحكام على الناس ثم ان ابن أخي هذا محمد بن عبد الله لا يوزن برجل الا رجح به وان كان في المال قل فان المال ظل زائل وأمر حائل

ومحمد من قد عرفتم قرابته وقد خطب خديجة بنت خويلد وبذل لها من الصداق ما آجله وعاجله من مالى كذا وهو والله بعد هذا له نبأ عظيم وخطر جليل فزوجها أبوها منه وذكر الدولابى وغيره انه صلى الله عليه وسلم اصدقها اثنتى عشرة اوقية ذهبا ونصف اوقية قالوا وكانت كل اوقية اذ ذاك أربعين درهما (و) مما يدل على عظيم ذكائها وفرط معرفتها انه (أتاه) بعد النبوة والرسالة (فى بيتها جبرئيل) كعندليب لغة فى جبريل ليلقى اليه ما أمر به من الوحى وكان عندها من الايمان به علم اليقين فاحبت ان تنتقل عنه الى عين اليقين كما وقع لابراهيم صلى الله على نبينا وعليه وعلى سائر الانبياء والمرسلين وسلم فى قوله بلى ولكن ليطمئن قلبى وكيف لا تريد هذه الرتبة العلية (ولذى) أى لصاحب (اللب) أى العقل الكامل وخديجة رضى الله تعالى عنها من اكمل أولى الالباب واذكاهم (فى الامور) أى الاحوال التى قد تشتبه (انتباء) أى استبصار من ارتأيته أى نظرته بالعين أو القلب كما فى القاموس وفراسة خديجة تقضى لها على تلك الامور بتمييز حسنها من قبيحها ويعلم ان هذه الجملة اعتراضية وان فيها غاية المناسبة لما قبلها ومابعدها اذ الاعتراضية لابد لها من نكتة فهى هنا الاشارة الى كمال عقلها واستبصارها مع افادة ان هذا أمر كلى جار مجرى المثل أو الحكمة فهو من ارسال المثل (ف) بسبب تلك الحيثية مع ما عندها من كمال العقل (اماطت) أى ازالت (عنها) أى عن رأسها (الخمار) وهو ما يخمر أى يغطى به الرأس (لتدرى) أى لكى تعلم علم اليقين (أهو) أى هذا الذى عرض له صلى الله عليه وسلم حتى أخرجه عن حالته المألوفة منه (الوحى) أى حامله وامينه الذى كان يأتى به الانبياء قبله وهو من اقسامه (ام) هى معادلة الهمزة المطلوب بها وبأم التعيين ولها قسم ثان وهو ان تقع بعد همزة التسوية وسميت فيهما معادلة لمعادلتها الهمزة فى افادتها الاستفهام فى الاول والتسوية فى الثانى وتسمى فيهما متصلة لان ما قبلها وما بعدها لا يستغنى باحدهما عن الآخر ومقابلها المنقطعة وهى ثلاثة أقسام مبسوطة فى محلها (هو الاغماء) الذى هو من بعض الامراض العادية ومن ثم جاز على الانبياء دون الجنون (ف) بسبب ازالتها الخمار عن رأسها (اختفى عند كشفها الرأس) مفعول كشف المضاف لفاعله (جبريل فما عاد أو اعيد الغطاء) يعنى الى ان اعادت غطاء رأسها فاعيد ماض مبنى للمفعول والغطاء نائب الفاعل ووقع للشارح هنا انه قال واعيد منصوب بان مضمرة بعد أو التى يصلح موضعها حتى والغطاء فاعل اعيد انتهى وهو سهو عجيب لما تقرر ان اعيد ماض الخ وكان هذا الوهم سرى اليه مما صرح به كلام الشعراء انا وغير العاطفة التى بمعنى الى ان لا تدخل الا

(قوله اثنتى عشرة أوقية) تقدم قريبا انه اصدقها عشرين بكرة فاقتضى التوفيق بين الكلامين فان كانت الاواقى المذكورة قيمة العشرين بكرة بان كانت من جياد الابل حصل التوفيق بجعل المذكور اولا هو الصداق حقيقة والمذكور ثانيا قيمته (قوله ومما يدل الخ) الدليل على ذلك اماطتها الخمار لتدرى انه الوحى واما اتيان جبريل فى بيتها فلا دخل له فى الدلالة على ما ذكر (قوله علم اليقين) قال الشيخ قاسم فى كتابه السير والسلوك علم اليقين هو العلم الحاصل من الدليل العقلى وعين اليقين هو العلم الحاصل بالمشاهدة وحق اليقين هو فناء صفات العبد فى صفات الحق وبقاؤه به علما وشهودا وحالا لا علما فقط فالذى يفنى على التحقيق صفاته لا ذاته فحينئذ لابد من بقاء عين العبد الفانى فلا تفنى ذاته فى ذات الحق كما يفهمه الجاهلون الذين كذبوا على الله بل ان العبد كلما تقرب الى الله بالعبودية واظهار العجز والفناء عن جميع الصفات الناقصة للعبودية وهبه الله تعالى فضلا منه صفات حميدة حقيقية عوضا عما فنى منه من الصفات الذميمة الخلقية والله تعالى هو القادر على كل شىء والعبد هو العاجز عن كل شىء فحتى شاء اذهب عن العبد ما فيه من الخبائث وامده بما يعجز عنه كل ما سوى الله تعالى فلا مانع لما اعطى ولا معطى لما منع ولا راد لما قضى ولا مبدل لما حكم فاذا وهب عبده العاجز ما وهبه تصرف فى الاكوان بارادته بعد انتهى (قوله تلك الحيثية) أى محبة انتقالها من علم اليقين الى عين اليقين (قوله الذى كان الخ) فالمراد بالوحى ما نزل به جبريل وقوله وهو من اقسامه أى لا بهذا المعنى بل بمعنى ما يلقيه عن الله والا فبعض اقسامه لم ينزل به جبريل ككلام الله من غير واسطة (قوله غير العاطفة) مردود وحاشا النحاة من دعوى انها غير عاطفة فكلامهم مصرح بانها عاطفة

على مضارع كما في حتى الغائية المرادفة لالا والمذكورة كما صرحوا به وحينئذ فاضطر مذلك
الى ماذكره غفلة عن ان اعبد ماض لكن كان عليه ان يقول وقول الناظم اعبد صوابه
يعبد ويذكر ما اشرت اليه واما كونه يبقى أعبد على حاله ويجعله منصوبا وفهو جلي
الفساد لا يقال هو ماض لفظا مستقبل معنى فليجر دخول أو الناصبة عليه المصرح بوابه
في حتى المرادفة لها ان شرط النصب بعدها ان يكون الفعل مستقبلا أو ماضيا في حكم
المستقبل نحو سرت حتى ادخل المدينة فهذا يؤول بالمستقبل نظرا الى انه غاية لما قبل
حتى فهو مستقبل بالاضافة اليه لانا نقول معنى قولهم أو ماضيا في حكم المستقبل ان
لفظه لفظ المضارع ومعناه ماض فكان قضية القياس ان لا تدخل عليه حتى الغائية
فاجابوا بان ما فيه من المضي يؤول بالاستقبال نظرا الى انه غاية كما تقرر واما ما لفظه ماض
فلا تدخل عليه حتى الغائية أصلا (فان قلت) كيف هذا مع قوله تعالى حتى أتاهم نصرنا
حتى عفوا حتى جاءهم العلم وفي البخاري حتى جاءه الحق وهو في غار حراء (قلت) حتى هنا
ابتدائية لا غائية وأو الناصبة انما تكون بمعنى حتى الغائية لا غير وقد صرح بذلك الائمة
وتلخيصه الجلال السيوطي في شرح جمع الجوامع له حيث قال ما ملخصه ان حتى الابتدائية
تليها الجملتان الاسمية والمضارعية والماضوية والمصدرة بشرط واما زعم ابن مالك أنها
جارة غائية تقبل الفعل الماضي باضمار ان بعدها على تأويل المصدر فغلطه أبو حيان فيه
وتبعه ابن هشام فقال لا اعرف له في ذلك سلفا وفيه تكلف اضمار من غير ضرورة وقد وردوا
زعمه هو والاخفش انها جارة تقبل اذا وان اذا في موضع جر بها بانه خلاف ما عليه
الجمهور انها ابتدائية فاذا في موضع نصب بشرطها أو جوابها ثم قال الجلال قال بعض
شيوخنا ضابط حتى انها اذا وقع بعدها اسم مفرد مجرور او مضارع منصوب فحرف جر
او اسم مرفوع او منصوب فحرف عطف أو جملة أي ماضوية فحرف ابتداء ولا محل لهذه
الجملة انتهى وهذا كله صريح كما ترى في ان كل جملة ماضوية دخلت عليها حتى في القرآن
وغيره تكون حتى حينئذ ابتدائية ولا تكون جارة بمعنى الى ان وان صح المعنى لما مران
ذلك يحتاج لتقدير ما لا حاجة اليه واذا تقرر ان حتى الغائية لا تدخل على الماضي فأو التي
بمعناها أولى (فان قلت) لم قست أو على حتى الغائية في منع دخولها على الماضي ولم تقسها
على الى ان أو الا ان اللذين بمعناها (قلت) اما كونها بمعنى الا ان فهو ماذكره ابن مالك
وقد ردوا عليه حتى ولده ومن ثم قال أبو حيان قد أغنانا ولده عن الرد عليه وعلى التنزل
فالا ان لا تدخل على الماضي الا عند قوم بشرط ان يتقدمه فعل أو قد كما هو مقرر في محله
وأما كونها بمعنى الى ان فوجهه ان حتى انما امتنع دخولها على الماضي لكونها
غائية كما مر مبسوطا وهذا المعنى موجود في الى ان بطريق الاصالة فليمتنع دخولها على
الماضي بنص كلامهم لا بطريق القياس فان قلت تقرر ان أو بمعنى الى ان وهذه تدخل
على الماضي كما في الحديث قام الى ان تورمت قدماه فلتكن أو كذلك قلت هذا اشتباه لان

(قوله كما في حتى الغائية الخ) مردود بانها في قوله تعالى حتى عفوا بمعنى الى ان وهي داخلة على الماضي فلتكن أو بمعنى الى ان كذلك فليحرر انتهى دنوشري أي فجعل الشارح حتى في المثال ونحوه ابتدائية غير مسلم عند العلامة الدنوشري (قوله ماضوية) اي مثلا والا فالمضارعية والاسمية كذلك

ان المتضمنة فى أو هى الناصبة وهى خاصة بالمضارع فلم يتصور دخول أو المتضمنة لها على الماضى واما أن الملفوظ بها بعدا لى فهى التى لا يتصور لها عمل وهى تدخل على الماضى فلا جامع بين هذه وتلك فان قلت بعضهم يقدرها بالى ان وبعضهم يقدرها بالى فقط وهذا يدل على ان أن لا نظر اليها قلت لا يدل ذلك بوجه واعلم سبب ذلك أنهم اختلفوا فى ناصب المضارع الداخل عليه أو فالاصح أن أن مقدرة بعدها وقال قوم هى الناصبة نفسها فعلى الاول تقدر بالى ان وعلى الثانى بالى فقط فان قلت قد ادخل الناظم أو على الماضى فى موضع من البردة وسكت عليه شراحها قلت الاعتراض عليه فى ذلك أيضا وأما الشراح فيحتمل انهم انما سكتوا على ذلك نظرا للمعنى أو انهم غفلوا عما ذكرته من صريح كلامهم الدال على ان او الغائية لا تدخل على الماضى ثم رايت شارحها العلامة ابن مرزوق تنبه لما ذكرته فقال فى او ونحك البطاح بها ان او هنا عاطفة ثم جعلها بمعنى الواو او بل او انها على حالها للشك او التخيير وتكلف بيان ذلك ولم يصرح على انها او الغائية بوجه وليس سر ذلك الا امتناع دخولها على الماضى والا كان معنى الغاية فى البيت أقرب مما تكلفه ولا يتأتى نظير ما تكلفه هنا بوجه والا لبادرت اليه ومما يصرح بذلك ايضا ان النحاة لم يذكروا الا قسمين عاطفة وناصبة وهى الغائية فالعاطفة امرها واضح ولا كلام فيها والناصبة تختص بالمضارع فمن اثبت لها قسما ثالثا وهو دخولها على الماضى ولا يكون للعطف فعليه البيان ولا يجد ذلك كما دل عليه كثرة البحث والتتبع فتأمل ذلك كله فهو نفيس مهم غفل عنه الناظم وغيره (فاستبانت خديجة) قيل صرفها للضرورة ويرد بانه انما صرفه وان كان الوزن صحيحا مع عدم الصرف ليسلم من قبح زحاف الشكل وهو اجتماع الكف والخبن لان مس تفع لن يحذف سينه فيسمى خبنا كما مر وهو على انفراده غير قبيح ويدخل مع ذلك الكف وهو حذف نونه السابع وهو النون ليصير متفعل وهذا هو الشكل القبيح الذى هو اجتماع هذين وان كان الاول وحده حسنا والثانى وحده صالحا وهو من العجائب اذا اجتماع الحسن والصالح يصير قبيحا عندهم اى ظهر لها أتم ظهور لانها علمت من ابن عمها ورقة بن نوفل الآتى أو من غيره ان

(قوله فاستبانت) اى فبسبب ما ترتب على اختبارها بانه ان كان الملك لم يكشف عند كشف رأسها والا كشف ان وظهر لها بعدم مكثه عند الكشف ظهور وعين اليقين انه الملك الخ (قوله يرد الخ) فيه نظر ظاهر لان قولهم ليسلم الخ هو عين قول الجوهرى وغيره للضرورة لانها ان فسرت بما ليس للشاعر عنه مندوحة فمعناه انه لاغنى له عنه فى كون الكلام على الميزان المرضى المقبول بالطبع حتى انه لو ارتكبه لم يقبله الذوق السليم والطبع المستقيم وان لم يخرج عن ذلك البحر بالكلية وان فسرت بما وقع فى الشعر وهو المختار فالامر ظاهر وليس مراد الائمة بالضرورة على التفسير الاول انه لو ارتكبه خرج عن الوزن الشعرى بالكلية والا لزم عليه ابطال حكمهم فى جميع أمثال هذا أو غالبها بالضرورة كما يعلم باستقراء كلامهم ثم رأيت بعض محقق شراح الكافية أشار الى ما ذكرته فقال الضرورة اى لامر ضرورى فى الشعر بمعنى انه لولم يأخذ التنوين لزم الخلل فى الشعر سواء خرج عن الوزن أم لا قال وأقول تحقيق المقام ان الضرورة الشعرية لا تقتضى الوجوب بحسب النحو بل اذا قرئ الشعر بحيث يظهر الخلل ولم ينون للافساد فى التركيب من جهة النحو لكن يجوز بحسب قواعد النحو فعل العرب ان يراعى جانب الشعر وينون فالتركيب حينئذ أيضا صحيح الاعراب كما هو مقتضى كلام محقق النحويين فالضرورة الشعرية لا تنافى الجواز ولا تقتضى الوجوب النحوى كما توهمه جماعة المتأخرين فلذا قال ويجوز الصرف قال ولصرف الضرورة أمثلة مشهورة لم تحتج للبيان فنحو أعد ذكر نعمان لنا ان ذكره • هو المسك ما كررته يتضوع فانه لولم ينون نعمان لظهر الزحاف المخل وان صح الوزن فنون وكسر بتبعيته اه وقوله بتبعيته اى تبعية الكسر للتنوين والزحاف المذكور هو الكف وهو فى مفاعيلن حذف السابع الساكن فاستفده (قوله وهو من العجائب) مراده اظهار نكتة ذوقية وهى التعجب من حسن وصالح وكل حسن وحده فعند اجتماعهما يصير شكلا قبيحا وكان القياس زيادة الجمال واما صناعة فلا عجب كما هو ظاهر

(قوله مايعرض) ان كان المراد به جبريل كما هو الظاهر مما سبق فى قوله أو هو الوحى اى حامله ومن قوله فاخنق الخ كان المراد بقوله حيازته علمه علم اليقين كما علمت وان كان المراد به ما نزل به عليه فكذلك وظاهر ابن عبد الحق ان الضمير للنبى حيث قال انه صلى الله عليه وسلم وانما قلنا ظاهر لاحتمال ارادته جبريل لانه كالنبى فى طلب الصلاة عليه وعليه يظهر قوله ارادت حيازته الخ من غير تكلف واما على كون الضمير مجرورا فالمراد حيازة علمه علم عين اليقين أو ملابسه به فالمراد حيازة علم حامله كذلك (قوله ساولته) قال فى القاموس ساوره سورا وسوارا وثب عليه ومساورة رامه اه فقول الشارح اى ارادت تفسير لرامه الذى هو معنى ساول فى اللغة (قوله اى العلم الخ) لكن قال فى القاموس الكيمياء بكسر الكاف الاكسير اه وعليه فاطلاقه على

جبريل عليه الصلاة والسلام لا يأتى علاقيه امرأة مكشوفة الرأس (انه) اى ما يعرض النبى صلى الله عليه وسلم الذى طلبت الوقوف على عين اليقين فيه (الكنز) اى الشئ النفيس بل الذى لا انفس منه (الذى ساولته) اى ارادت حيازته والظفر به (و) انه (الكيمياء) اى العلم البديع الذى يقلب الاعيان الرديئة الى الاعيان النفيسة فاستعار الكنز وهو المال المدفون والكيمياء وهو العلم المعروف للوحى لانه بهما تحصل الثمار النفيسة المنتفع بها حالا ومآلا كما ان الوحى كذلك وأيضا هما لا يظفر بهما الا الفذ النادر كما ان الوحى لا يظفر به الا اكمل البشر وهو فى غاية الندرة والقلة بالنسبة لبقية الناس وأشار بذكر ما وقع لخديجة الى سبب ذلك وهو قصة ابتداء بعثه صلى الله عليه وسلم وحاصلها انه صلى الله عليه وسلم لما بلغ أربعين سنة فقيل وكسر ابعثه الله تعالى يوم الاثنين كما فى خبر مسلم لسبع عشرة من رمضان وقيل من ثمان من ربيع الاول وقيل كان فى رجب رحمة للعالمين ورسولا الى كافة الخلق اجمعين كما قال صلى الله عليه وسلم وأرسلت الى الخلق كافة روى البخارى وغيره أول ما بدئ به صلى الله عليه وسلم من الوحى الرؤيا الصادقة فكان لا يرى رؤيا الا جاءت مثل فلق الصبح وابتدئ بها الا ان الملك لو جاءه بغتة لم تحتمله قواه البشرية وكان يأتى حراء فيتعبد فيه الليالى الكثيرة ثم يرجع الى خديجة فيتزود لمثلها حتى فجأه الحق اى جاءه جبريل وهو بغار حراء فقال له اقرأ قال ما أنا بقارئ اى لست بقارئ قاله امتناعا لانه صلى الله عليه وسلم كان اميا لا يقرأ ولا يكتب فغطه حتى بلغ منه الجهد ثم ارسله وقال له اقرأ قال ما أنا بقارئ قاله اخبارا بالواقع فغطه ثم أرسله كذلك وقال له اقرأ قال ما أنا بقارئ اى ما الذى اقرؤه فغطه وأرسله كذلك وحكمة الغط ثم تكريره مزيد التأهل الى لقاء الملك لما بين البشرية والملكية من التباين ثم الى التلقى منه ثم قال له اقرأ باسم ربك الذى خلق حتى بلغ ما لم يعلم فرجع بها يرجف فؤاده حتى دخل على خديجة فقال زملونى زملونى فزملوه صلى الله عليه وسلم

العلم مجاز لانه سبب فى حصول الاكسير (قوله فاستعار الخ) الذى يظهر انه تشبيه بحذف الاداة لوجود الجمع بين طرفى التشبيه اذ مرجع الضمير هو المشبه (قوله بذكر ما وقع الخ) اى بقوله فاماطت الخ (قوله الصادقة) وفى رواية الصالحة (قوله فلق الصبح) اى ضياءه وشهرته وفرقه بالراء بدل اللام وقد تقدم التشبيه على ذلك (قوله الليالى الكثيرة) فى البخارى الليالى ذوات العدد قال شارحه القسطلانى مع ايامهن واقتصر عليهن للتغليب لانهن أنسب للخلوة ووصف الليالى بذوات العدد لارادة التقليل كما فى قوله تعالى دراهم معدودة أو الكثرة لاحتياجها الى العدد وهو المناسب للمقام وكانت تلك الليالى شهرا ففى رواية البخارى ومسلم جاورت بحراء شهرا وعند ابن اسحق هو شهر رمضان (قوله لمثلها) اى الليالى (قوله فجأه) بفتح الجيم وكسرها اى جاءه بغتة (قوله بغار) الغار والمغارة الكهف فى الجبل (قوله فغطه) اى ضمه وعصره ويقال غته وضغطه وعصره وخنقه وغمره كلها بمعنى اه عراقى (قوله الجهد) بفتح الجيم والدال اى بلغ الغط منى غاية وسعى أو حتى بلغ جبريل فى الجهد غايته ويروى الجهد بالضم والرفع اى بلغ منى الجهد مبلغه وهذا الغط من خصوصيته عليه الصلاة والسلام فلم يقع لغيره من الانبياء (قوله فرجع بها) اى بالآيات المذكورة من قوله اقرأ الى قوله ما لم يعلم (قوله يرجف) بضم الجيم اى يضطرب (قوله زملونى) زملونى من التزميل وهو التلفيف قال ذلك لشدة ما لحقه من هول الامر والعادة جارية بسكون الرعدة بالتلفيف

حتى

(قوله خشيت على) في نسخة الشارح خشيت على نفسي (قوله الضروري) اى خلق الله فيه ضروريا علما ضروريا علم ان الجائي جبريل وانه ملك من عند الله لا جني كما ان الله تعالى خلق في جبريل علما ضروريا بان المتكلم معه هو الله تعالى وان المرسل له هو به لا غيره اه من المواهب (قوله فقالت له كلا) كلمة نفي وابعاد اه (قوله لا يخزيك الله) بضم الياء المثناة من تحت واسكان الخاء المعجمة وبعد الزاي مثناة من تحت ايضا من الخزي وهو الفضيحة والهوان وفي رواية لا يحزنك بالحاء المهملة والنون ويجوز فيه فتح أوله وضم ثالثه وضم أوله وكسر ثالثه فانه يقال حزنه واحزنه اه عراقي (قوله وتحمل الكل) اى الشيء الذي يحصل منه التعب والاعياء لغيرك (قوله وتكسب المعدوم) اى تكسب غيرك المال المعدوم اى تعطيه له تبرعا منك أو تعطي غيرك ما لا يجده من النفائس الا عندك فاحد مفعولي تكسب محذوف ٧٧ (قوله وتقري الضيف) بفتح أوله

حتى ذهب عنه الروع فقال يا خديجة ما لي وأخبرها الخبر ثم قال لقد خشيت على نفسي اى قبل ان يحصل له العلم الضروري بان الجائي جبريل عليه الصلاة والسلام أو خشيت أن لا أقدر على حمل اعباء الرسالة أو ان يقتلني قومي ولا بدع فانه صلى الله عليه وسلم بشر فقالت له كلا أبشر فوالله لا يخزيك الله أبدا انك لتصل الرحم وتصدق الحديث وتحمل الكل وتكسب المعدوم وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق ثم انطلقت به الى ابن عمها ورقة وكان شيخا كبيرا قد عمي وهو ممن تنصر من العرب وعرف الانجيل فقالت له اسمع من ابن أخيك فأخبره صلى الله عليه وسلم ما رأى فقال هذا الناموس الذي انزل على موسى يا ليتني فيها اى في مدتك جذعا اى شابا بالغا في نصرتك اذ يخرجك قومك قال أو مخرجي هم قال نعم لم يأت رجل قط بما جئت به الا عودي وان يدركني يومك انصرك نصرا مؤزرا ثم لم ينشب ورقة ان توفي وفتر الوحي فترة حتى حزن صلى الله عليه وسلم وتكرر ذهابه صلى الله عليه وسلم الى رؤس شواهق الجبال ليرمي نفسه فيبرز له جبريل و يقول يا محمد انك رسول الله حقا فيسكن لذلك جأشه وأخرج الشيخان وغيرهما انه صلى الله عليه وسلم قال جاورت بحراء شهرا اى لا لطلب النبوة فانها موهبة لا تنال بكسب الله أعلم حيث يجعل رسالته فلما قضيت جواري هبطت فنوديت فنظرت فلم أر شيئا فرفعت رأسي فرأيت شيئا لم أتبينه فأتيت خديجة فقلت دثروني دثروني فدثروني وصبوا علي ماء باردا فنزلت يا أيها المدثر الآية وهذا بعد نزول اقرأ باسم ربك وبعد فترة الوحي اذ أول ما نزل اقرأ على الاصح بل الصواب وصح عن الشعبي انه قال انزلت عليه النبوة وهو ابن أربعين سنة فقرن بنبوته اسرافيل ثلاث سنين فكان يعلمه الكلمة والشيء ولم ينزل عليه القرآن على لسانه فلما مضت ثلاث سنين قرن بنبوته جبريل فنزل عليه

(قوله نوائب الحق) اى حوادثه (قوله تنصر) اى صار نصرانيا وترك عبادة الاوثان (قوله من ابن أخيك) تعني النبي صلى الله عليه وسلم لان الاب الثالث لورقة هو الاخ للاب الرابع لرسول الله صلى الله عليه وسلم أو قالته على سبيل الاحترام (قوله هذا الناموس) هو صاحب سر الخير والجاسوس هو صاحب سر الشر ولم يقل الناموس الذي أنزل على عيسى مع قربه وحكمه بشريعته بعد نزوله لان ورقة كان نصرانيا والنصارى لا يقولون في عيسى انه نبي يأتيه الوحي وانما يقولون ان اقنوما من الاقانيم الثلاثة حل في ناسوت المسيح وهو اقنوم الكلمة والكلمة عندهم عبارة عن العلم فلذلك كان المسيح عندهم يعلم الغيب فلذا عدل الى ذكر موسى لاعتقاده ان جبريل كان ينزل عليه وأيضا موسى متفق على نبوته عند أهل الكتابين واما عيسى فكثير من اليهود ينكرون نبوته وفي رواية الزبير بن بكار بلفظ عيسى (قوله مؤزرا) اى قويا بليغا (قوله ينشب) بفتح الشين والمعجمة اى لم يلبث وقوله أن توفي بدل اشتمال من ورقة اى لم تلبث ولم تتأخر وفاته عن هذه القصة (قوله لا لطلب النبوة) انما يناسب ذكر هذا التعبد بغار حراء قبل نبوته اذ هو وقت توهم طلب النبوة فيتعرض لنفيه واما تعبده فيه في هذه الرواية فكان بعد النبوة والرسالة كما سياق الشارح قريبا فكيف يتوهم طلبه لما ذكر فكان الصواب أن يذكر الشارح ذلك عند قوله و كان يأتي حراء فيتعبد الخ (قوله لا تنال بكسب) قال الشارح في شرح الاربعين يكفر من قال ان النبوة مكتسبة (قوله فقرن بنبوته اسرافيل) وقرنه كان في مدة فترة الوحي ليؤنسه ويقويه على تحمل اعباء ما سينزل عليه وان كان ظاهر كلامه ان قرنه =

بالقرآن على لسانه عشرين سنة وحكمة الفترة ذهاب الروع الذي وجده صلى الله عليه وسلم وحصول تشوقه الى الاشتياق للعود وروى أصحاب السير انه صلى الله عليه وسلم لما أخبر خديجة رضي الله تعالى عنها الخبر قالت له صلى الله عليه وسلم ألا تستطيع ان تخبرني بهذا الذي يأتيك اذا جاءك قال نعم فلما جاءه جبريل أخبرها به فقالت له اجلس على فخذي الايسر فجلس فقالت أتراه قال نعم قالت فتحول على الايمن فتحول فقالت أتراه قال نعم قالت فاجلس في حجري فجلس فقالت اتراه قال نعم فالقت خمارها ثم قالت أتراه قال لا قالت اثبت وأبشر فو الله انه لملك ما هذا شيطان (ثم) بعد تلك الفترة ونزول قوله تعالى يا أيها المدثر قم فأنذر بادر صلى الله عليه وسلم الى امتثال ذلك فحينئذ (قام النبي) اى جد واجتهد في حال كونه (يدعو الى) عبادة (الله) والايمان به وبرسوله صلى الله عليه وسلم وترك ما هم عليه من عبادة الاصنام والاوثان وذلك لان أول ما وجب عليه صلى الله عليه وسلم الانذار والدعاء الى التوحيد ثم فرض الله عليه من قيام الليل ما ذكره في أول سورة المزمل ثم نسخه بما في آخرها ثم نسخه بايجاب الصلوات الخمس ليلة الاسراء بمكة قاله النووي رحمه الله تعالى وقال في فتح الباري كان صلى الله عليه وسلم قبل الاسراء يصلي قطعا وكذلك اصحابه لكن اختلف هل افترض قبل الخمس صلاة ام لا فقيل ان الفرض صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها لقوله تعالى وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها وروى ان جبريل عليه السلام بدأه صلى الله عليه وسلم في احسن صورة واطيب رائحة فقال يا محمد ان الله يقرئك السلام ويقول لك أنت رسولي الى الجن والانس فادعهم الى قول لا اله الا الله ثم ضرب برجله الى الارض فنبعت عين ماء فتوضأ منها جبريل ثم امره ان يتوضأ وقام جبريل يصلي وامره ان يصلي معه فعلمه الوضوء والصلاة ثم عرج الى السماء ورجع رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يمر بحجر ولا مدر ولا شجر الا وهو يقول السلام عليك يا رسول الله حتى اتى خديجة فأخبرها فغشي عليها

عقبه عقب نبوته قبل فترة الوحي وكانت نبوته متقدمة على رسالته كذا قيل قال الشارح في شرح الشمائل قال ابن علان في شرح الخصائص الصغرى من خصائصه صلى الله عليه وسلم ان اسرافيل هبط عليه ولم يهبط على أحد من الانبياء والرسل وقال صلى الله عليه وسلم رأيت بين عيني اسرافيل كل شيء أنزل علي قبل نزوله وفي شرحه لها أيضا ان النبوة والرسالة مقترنان (قوله من قيام الليل) قال السيوطي في الاتقان لا خلاف ان فرض الصلاة كان بمكة ولم يحفظ انه كان في الاسلام صلاة بغير الفاتحة ذكره ابن عطية وغيره اه (قوله لكن اختلف الخ) هذا الذي نقله عن فتح الباري ينافي ما نقله قبل عن النووي لاقتضاء ذلك انه أول ما وجب قبل الخمس ما فرض عليه في سورة المزمل واقتضاء هذا ان أول ما وجب قبلها صلاة قبل طلوع الشمس وصلاة قبل غروبها (قوله يقرئك) قال في المختار فلان قرأ عليك السلام وأقرأك السلام بمعنى اه لكن قرأ يتعدى بعلى واقرأ يتعدى بنفسه كما أشار اليه صاحب المختار سئل العلامة الشيخ أحمد العجمي عن قول جبريل للنبي صلى الله عليه وسلم الله يقرئك السلام ما صورة جوابه له فأجاب بان العلامة السيد السمهودي قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نودي بعد مجاوزة الحجب ليلة الاسراء سلم على ربك فقال التحيات المباركات الصلوات الطيبات لله فأجابه مولاه بقوله السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته وجاء في بعض طرق حديث الاسراء انه قال في جوابه حين قيل له حي ربك سبحانك لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك فيحتمل انه أتى بهذا بعد فراغه من تحياته فقد حصل ما ذكروا من السلام الله عليه اذ لا يجاب سلام الله الا بالثناء عليه كما صنعت ام المؤمنين خديجة حين ابتدئت بالسلام من الله على لسان جبريل فبلغه النبي صلى الله عليه وسلم والنبي بلغه لها فأجابت بقولها ان الله هو السلام ورحمة الله وبركاته فعرفت خديجة ان الله لا يرد عليه السلام كما يرد على المخلوقين لان السلام من أسمائه تعالى وهو أيضا دعاء بالسلامة وكلاهما لا يصلح ان يرد عليه لعدم مناسبته في مقابلة سلامه وانما يناسب الثناء وبالجملة لم يثبت تعيين صيغة ثناء في كل سلام من الله وانما الثابت ذلك في ليلة الاسراء وفي قصة خديجة كما علمت وقد علمنا حكم الرد لسلام العباد وأما سلام الله عليهم فانظر ما حكمه هل هو الوجوب أو غيره

من الفرح ثم امرها صلى الله عليه وسلم فتوضأت وصلى بها كما صلى به جبريل فكان ذلك اول فرضها ركعتين الحديث (و) هي الحال (في) اهل (الكفر نجدة) اي قوة تامة وتحزب عليه (واباء) اي امتناع عن اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم والايمان به (اما) مفعول ليدعو اي جماعات هم امة الدعوة (اشربت) بالبناء للمفعول (قلوبهم الكفر) اي اختلطت به بتقدير تجسمه وتمكن فيها حبه حتى صارت لا تقبل على غيره ولا تلتفت اليه لاختلاطها به امتزاج المشروب بها فاستعار لفظ الشرب للمخالطة وشدة الممازجة وحينئذ (فداء الضلال) الذي استقر (فيهم) اي مرضهم والاضافة بيانية اي فالداء الذي استقر فيهم وهو الكفر داء لا يرجى برؤه (عياء) بمهملة مفتوحة فتحتية اي داء عضال اعيا الاطباء مداواته وحصول شفائه ولما قام صلى الله عليه وسلم يدعو الى الله تعالى دخل في الاسلام رجال ونساء حتى كمل السابقون الاولون واولهم على الاطلاق خديجة ثم من الرجال ابو بكر ومن الصبيان علي وصح اسلامه مع صباه لان الاحكام اذ ذاك كانت منوطة بالتمييز ومن الموالي زيد ومن الارقاء بلال وورقة اسلم فان صح كان اول من اسلم من الرجال وبهذا تجتمع الاقوال المتباينة في اول من اسلم ثم دخل الناس في الاسلام ارسالا وكان صلى الله عليه وسلم مختفيا امره الى ان امره الله تعالى باظهار امره بقوله تعالى فاصدع بما تؤمر قالوا وكان ذلك بعد النبوة بثلاث سنين ولم يبعد منه قومه ولا ردوا عليه حتى عاب آلهتهم سنة اربع من النبوة فاجمعوا على عداوته الا من عصمه الله تعالى بالاسلام او صدق المحبة كابي طالب فانه حدب عليه ومنعه وقام دونه فاشتد الامر وتضارب القوم وتوامرت قريش على من اسلم منهم يعذبونهم ومنع الله رسوله صلى الله عليه وسلم منهم بعمه ابي طالب وبني هاشم غير ابي لهب فان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يطوف على الناس في منازلهم يقول اعبدوا الله ولا تشركوا به شيأ وابو لهب وراءه يكذبونه ويرمونه بالسحر والشعر والكهانة والجنون وكان بعضهم يحثو بالتراب ويجعل الدم على بابه ووطئ عقبة بن ابي معيط على عنقه وهو ساجد عند باب الكعبة حتى كادت عيناه تبرزان وخنقوه خنقا شديدا وجذبوا راسه ولحيته حتى سقط اكثر شعره فقام ابو بكر ومنعه منهم ثم اسلم حمزة رضي الله تعالى عنه سنة ست من النبوة فعز به فكفت عنه قريش قليلا وسألوه ان يكف عليهم ويبذلوا له من الاموال ما شاء ويترك ما هو فيه فأبى وقال اصبر لامر الله حتى يحكم الله بيني وبينكم • وفي سنة خمس اذن الله لاصحابه في الهجرة الى الحبشة فكان اولهم عثمان مع زوجته رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم واسلم عمر بعد حمزة رضي الله تعالى عنهما بثلاثة ايام فعز صلى الله عليه وسلم كثيرا فاجتمعت قريش على قتله صلى الله

(قوله ثم امرها الخ) يقتضي ان ذلك بعد الرجوع من العروج وفيه نظر لان اول صلاة صلاها جبريل بالنبي صلى الله عليه وسلم بعد الرجوع صلاة الظهر ولم يعلم انه صلى بهم ركعتين قبلها فلو قدم ذلك على قوله ثم عرج الى السماء لزال النظر فان ثبت ان جبريل صلى ركعتين به بعد رجوعه من غير الخمس فلا ينافي كون اول صلاة صلاها به الظهر لان المراد من الخمس صح ما ذكره (قوله وتحزب عليه) اي تجمع اي اجتمعوا على مخالفته صلى الله عليه وسلم (قوله فاستعار لفظ الشرب الخ) او شبه الكفر بالماء بجامع السريان والهيئة على طريق الاستعارة بالكناية واشربت تخييل (قوله الشرب) كان الظاهر في التعبير الاشراب لانه المناسب للفظ المتن (قوله بيانية) او من اضافة المشبه به للمشبه (قوله عياء) قال في المختار وداء عياء اي صعب لا دواء له اعيا الاطباء فقول الشارح عضال اي شديد صعب تفسير لعياء (قوله السابقون الاولون) قيل هم الذين صلوا الى القبلتين وقيل هم جميع الصحابة لحصول السبق لهم بصحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم (قوله ومن الموالي زيد) اي ابن حارثة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم (قوله ارسالا) بفتح الهمزة جمع رسل بفتح الراء والسين اي افواجا وفرقا اهـ من نور النبراس (قوله حدب) بفتح الحاء وكسر الدال المهملتين والباء الموحدة قال في الصحاح يقال حدب عليه وتحدب عليه اي تعطف عليه (قوله وتوامرت) اي تشاورت وتوافقت (قوله يحثو) قال في المختار حثا في وجهه التراب من باب عدا ورمى فكما يقال يحثوه يقال يحثيه

عليه وسلم فبلغ ذلك اباطالب فجمع بنى هاشم وبنى المطلب فادخلوه صلى الله عليه وسلم شعبهم ومنعوه (ورأينا) معشر امة الاجابة اى ابصر الصحابة رضى الله تعالى عنهم وعلم من بعدهم بطريق التواتر او الشهرة ويصح انها بمعنى علم فى الكل وهو واضح وابصر فى الكل وهو فى من بعد الصحابة بالنسبة لمشاهدة حروف القرآن الدالة على آيات لاتحصى (آياته) اى معجزاته وخلقه وخلقه من بديع صفاته (فاهتدينا) اى وصلنا الى المطلوب بما من كمال الايمان والاتباع (و) انما بادرنا الى ذلك لانا اصحاب عقول كاملة وقد رأينا الحق عيانا لامرية فيه ولاشبهة فعلنا انه (اذا الحق جاء) زهق الباطل ويبعد ان الحق فاعل لفعل محذوف لان اذا لاتدخل الا على الجمل الفعلية على الراجح (زال المراء) اى الضلال والجدال فيه وفى هذا أبلغ التعريض لكفار قريش حيث لم يؤمنوا به صلى الله عليه وسلم مع ماشاهدوه من كماله الاعظم خلقا وخلقا وعلما وسيرة ومن معجزاته الدالة على صدقه يا (رب ان الهدى) اى اتباع الحق ليس الا (هداك) اى ليس الا بتوفيقك وهدايتك كما قلت فى كتابك العزيز فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام ومن يرد ان يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كانما يصعد فى السماء من يهدى الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادى له (و) ان (آياتك) التى اقيمت دلت على صدق انبيائك ويصح رفعه فعلى الاول كل من الجملتين مؤكدة لما قبلهما وعلى الثانى هى مؤكدة ايضا لكن فيها شبه اعتراض بها بناء على جواز وقوعه بعد تمام الكلام (نور) كما قلت قد جاءكم من الله نور (تهدى بها من تشاء) هدايته وتضل عنها من تشاء غوايته ففى كلامه اقتباس من الآيتين المذكورتين كما اشرت اليه واوما به الى ان الآيات لاتنفع مع سبق الشقاوة ولما قرر ان الهدى هدى الله وانه يهدى من يشاء ويضل من يشاء وان الآيات وحدها لاتجدى شيأ ذكر مايستغرب من ذلك ويقربه وهو ان غير العاقل قد يلهم كثيرا مايحرمه العاقل فقال (كم) مرة اى مرار كثيرة فهى خبرية ويجوز حذف مميزها كما فعله الناظم فان ذكر جر باضافتها اليه عند البصريين وجوز بنو تميم نصبه وافراده اكثر وافصح من جمعه فان فصل نصب حملا على كم الاستفهامية (رأينا) اى علمنا وابصرنا فتعليم ماموا واستعمال المشترك فى معنييه واللفظ فى حقيقته ومجازه جائز وعلى منعه الذى ذهب اليه الاكثرون هو من عموم المجاز (ما) اى شخصا (ليس يعقل) اصلا كالحيوان والجمادات (قد الهم) من المصالح وهذه الجملة فى موضع ثانى مفعولى رأى (ما) اى كثيرا (ليس يلهم) ه (العقلاء اذ) ظرف او علة لرأى (ابى) اى امتنع (الفيل) المذكور فى الآية من ان يفعل (ما اتى) الامر اى عزم عليه (صاحب الفيل) وهو أبرهة ملك صنعاء وهو دخوله الحرم لهدم

الكعبة

(قوله اى ابصر الصحابة) وعلم من بعدهم اما من الجمع بين الحقيقة والمجاز ان كان حقيقة فى أحدهما مجازا فى الآخر واما من استعمال المشترك فى معنييه ان كان موضوعا لهما ومن منع ذلك ذهب الى ان مثل ذلك من عموم المجاز بان يراد به معنى عام يشمل المعنيين كالادراك فتامل (قوله وعلم من بعدهم) اى عرف فليست قلبية لعدم وجود مفعول ثان وكذا يقال فى قوله بمعنى علم فى الكل اى الصحابة ومن بعدهم (قوله وهو فى من بعد الصحابة الخ) وعليه فالمعنى أبصرنا معجزاته اى دالها اذ النقوش ليست معجزة بل دال المعجزة وقد أشار لذلك بقوله الدالة الخ (قوله يجعل صدره) اى يصيره لان الانسان يخلق أولا على الفطرة وهى كونه مهيأ لما يلقى اليه ولما يجعل فيه فاذا أراد الله اضلاله أضله وجعله لايقبل الايمان وقوله ضيقا اى ينبو عن قبول الحق فلا يدخله الايمان وقوله حرجا اى شديد الضيق وذلك على قراءة كسر الراء ظاهر واما على قراءة فتحها فمن الوصف بالمصدر على حد مررت برجل عدل والقراءتان سبعيتان وقوله كانما يصعد فى السماء شبهه مبالغة فى ضيق صدره بمن يزاول مالايقدر عليه فان صعود السماء مثل فيما يبعد عن الاستطاعة نبه به على ان الايمان يمتنع منه كما يمتنع عليه الصعود وقيل معناه كانما يتصاعد الى السماء نبوا عن الحق وتباعدا فى الهرب منه (قوله اذ ظرف أو علة لرأى) ان كانت علمية فان كانت بصرية أو عرفانية فهى حال (قوله ابرهة) هو بلسان الحبشة الابيض الوجه قال الواقدى ابرهة جد النجاشى الذى كان فى زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم اه من تفسير القرطبى وعبارة البيضاوى ان ابرهة بن الصباح الاشرم قال فى القاموس هو صاحب الفيل مى.

الكعبة وبين ابى واتى بالجناس المحرف ومنه قوله تعالى وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا (ولم يقعه) به (ابطا) اى العقل الوافر (والذكاء) الذان اتصف بهما فلم يوفق لما وفق له الفيل مع وضوح فرقان ما بينهما فى الذكاء والعقل فعلم ان الهداية والضلال ليسا الا بتوفيق الله تعالى وهدايته او خذلانه وعدم رعايته وبسط هذه القصة ان ابرهة ملك اليمن من قبل اصحمة النجاشى بنى كنيسة بصنعاء وكتب الى النجاشى قد بنيت لك كنيسة واريد ان اصرف حج العرب اليها فجاء رجل من بنى كنانة فاحدث فيها فسمع بذلك ابرهة فغضب وحلف ليسيرن الى كعبة العرب ويهدمها فامر الحبشة فتهيأت ثم سار وخرج معه بالفيل قيل واحد يسمى محمودا وقيل اكثر فخرج عليه ملوك فهزمهم واسرهم الى ان قرب من المغمس من عرفة فبلغ ذلك عبد المطلب فقال يا معشر قريش لا يصل لهدم البيت ان له ربا يحميه ثم أرسل ابرهة خيلا فاستاقت ابل قريش وغيرهم ولعبد المطلب فيها أربعمائة ناقة فركب فى قريش حتى بلغ جبل ثبير فاستدارت دائرة غرة رسول الله صلى الله عليه وسلم على جبينه كالهلال واشتد شعاعها على الكعبة مثل السراج فقال ارجعوا فقد كفيتم فوالله ما استدار هذا النور منى الا ان يكون الظفر لنا فرجعوا ثم أرسل ابرهة رجلا لسيدهم وهو عبد المطلب ليخبره انه لا حاجة له بقتالهم وانما غرضه تخريب الكعبة فان مكنتمونى فحسن فقال له عبد المطلب لا طاقة لنا بحربه والبيت بيت الله تعالى فان منعه فهو بيته ثم جاء اليه فاكرمه واجله ونزل عن سريره واجلسه معه على بساطه ثم قال له ما حاجتك قال ان ترد على ابلى فقال له كنت اعجبتنى ثم زهدت فيك تكلمنى فى ابلك دون بيت هو دينك ودين آبائك فقال اما الابل فانا ربها واما البيت فله رب يحميه فرد عليه ابله فرجع فأخبرهم فتحرزوا فى شعف الجبال والشعاب ثم اخذ عبد المطلب ومعه نفر من قريش بحلقة باب الكعبة ودعوا واستنصروا وفى رواية ان رسول ابرهة لما دخل مكة ورأى وجه عبد المطلب خضع وتلجلج لسانه وخر مغشيا عليه وخار كما يخور الثور عند ذبحه فلما افاق خر ساجدا لعبد المطلب وقال اشهد انك سيد قريش حقا وروى ان عبد المطلب لما ذهب لابرهة احضر فيله الابيض العظيم فلما رأى عبد المطلب

ـه بالاثرم لان ابا المضرب به حجر يشرم أنفه وجبينه وقيل غير ذلك اهـ (قوله من قبل) اى جهة فكان عاملا لاصحمة (قوله اصحمة) بمهملات بوزن أربعة وقيل بمعجمة بفتح الصاد واسكان الحاء ومعناه بالعربية عطية ذكره ابن قتيبة (قوله بنى كنيسة) ذكر السهيلى ان ابرهة استذل أهل اليمن فى بناء هذه الكنيسة الخسيسة وكان من تاخر عن العمل حتى تطلع الشمس يقطع يده لا محالة وجعل ينقل اليها من قصر بلقيس رخاما واحجارا وأمتعة عظيمة وركب فيها صلبانا من ذهب وفضة وجعل فيها منابر من عاج وآبنوس وجعل ارتفاعها عظيما جدا واتساعها باهرا فلما هلك ابرهة ٨١ وتمزقت الحبشة كان من تعرض لاخذ شىء من بنائها وامتعتها اصابته الجن بسوء لانه كان بناها على اسم صنمين وهما كعيب وامرأته وكانا من خشب طول كل منهما ستون ذراعا نحو السماء وكانا مصحوبين من الجان فلم تزل كذلك الى زمن السفاح أول خلفاء بنى العباس فبعث اليها جماعة من أهل الحزم والعزم والعلم فنقضوها حجرا حجرا واندرست كذا فى البداية لابن الاثير (قوله النجاشى) بفتح النون والجيم وبالشين المعجمة وتشديد الياء كذا فى تحرير النووى قال ابن الملقن النجاشى تابعى لانه آمن ورأى الصحابة ولم ير النبى صلى الله عليه وسلم ومن مسائل المعمى صحابى طويل الصحبة كثير الرواية أسلم على يد تابعى وهو عمرو ابن العاص فانه أسلم على يد النجاشى اهـ من ازهار العروس للسيوطى (قوله فاحدث فيها) اى ولطخ قبلتها بالعذرة (قوله المغمس من عرفة) قال فى القاموس المغمس كمعظم ومحدث قال الشامى فى سيرته موضع فى طرف الحرم (قوله ونزل عن سريره) اى لانه كره ان يجلسه على السرير وخاف ان تنكر الحبشة عليه اجلاسه معه على سرير الملك (قوله يحميه) فقال له ابرهة لم يكن ليمتنع منى مع كثرة جيوشى فقال له عبد المطلب أنت وذاك فرد اليه الابل (قوله فى شعف الجبال) بشين معجمة فعين مهملة مفتوحة رؤسها الواحد شعفة والشعاب جمع شعب بالكسر الطريق من الجبل (قوله وخار) قال فى القاموس الخوار بالضم صوت البقر والغنم والظباء والسهام وفى المختار خار الثور يخور خوارا صاح ومنه قوله تعالى فأخرج لهم عجلا جسدا له خوار.

خرساجدا وقال السلام على النور الذى فى ظهرك يا عبد المطلب ＊(تنبيه)＊ مر آنفا
امران لا يخلوان عن اشكال وهما النور الذى فى جبهة عبد المطلب والذى فى صلبه وان
ذلك نور محمد صلى الله عليه وسلم مع ان الاشهر ان ولادته صلى الله عليه وسلم كانت
قبل الفيل قبل بخمسين يوما فكل ذلك جرى وهو صلى الله عليه وسلم حمل قريب وضعه
وسبب اشكال هذين ما علم مما مر ان نوره صلى الله عليه وسلم كان ينتقل فى اصلاب
الآباء وارحام الامهات بحسب ترتيبهم فى الوجود فاذا وجد واحد انتقل اليه ما كان فى
الذى قبله وهكذا وقضية هذا المعلوم المستقر ان النور كما انتقل الى آمنة ولم يبق منه شئ
فى عبد الله فضلا عن عبد المطلب ويؤيد هذا ما مر فى الكاهنة التى شاهدت ذلك النور
فى عبد الله فبذلت له مالا عظيما ليتزوجها فينتقل النور اليها فتراخى فى اجابتها ثم ذهب
فواقع آمنة فحملت فانتقل النور اليها ثم جاء لتلك الكاهنة فأبت فقال لها لمه فقالت لان
النور الذى كنت أشاهده فيك قد انتقل لغيرك فعلم انتقاله لآمنة وقد يجاب عن ذلك بان
النور وان انتقل كما ذكر لكن الله سبحانه اكرم عبد المطلب فأحدث فيه كما يدل عليه
سياق القصة حتى احتاج الى كرامة عظيمة تخلصه وماله من ذلك الملك وجنده الذين طغوا
فى العتو والجراءة على الله تعالى وعلى بيته الذى أجمع الامم من لدن ابراهيم على صيانته
وتعظيمه وانه لا يهتك ولا يغالب نورا يحكى ذلك النور الذى استقر فى آمنة بل مع زيادة
حتى صار فى جبهته كالشمس ثم اكرمه ثانيا بنورا آخر اوجده فى صلبه وأطلع الفيل عليه
فسجد ليعلم الخلق بهاتين الكرامتين ان جميع ما وقع فى قصة الفيل انما هو من كمالات
الارهاص لتحقيق نبوة نبينا سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم قبل وجوده مع الاشارة الى انه
سيظهر دينه على الاديان كلها وانه لا يناويه أحد الا أهلكه الله واستأصل اتباعه
حتى لا يبقى منهم أحد الا الشاذ ليخبر الناس عن الكيفية التى أخذهم الله بها والى ان
ربه سبحانه وتعالى سيعطيه من خوارق المعجزات وباهر الآيات ما لم يعطه لنبى مرسل
ولا ملك مقرب لان هذا الامر الباهر اذا وقع لاجله وهو حمل لم يبرز فى الوجود فما بالك بما
سيقع له بعد وجوده ثم فى تنويع كرامة عبد المطلب لكونه أحد ذينك الباهرين ظهر
للناس وشاهدوه والثانى بطن فيه ولم يطلع عليه الا الفيل فسجد له الاشارة الباهرة أيضا
الى ان الله سبحانه وتعالى سيظهر آيات ذلك الحمل وكراماته الى حد لا يمكن أحدا أن يخفى
علمه من ذلك شئ والى انه سيطلعه على حقائق علومه الباطنة ما انبأ عنه صلى الله عليه وسلم
بعد فى قوله فى الحديث المشهور فعلمت علم الاولين والآخرين والى ان تلك العلوم الباطنة
يطلع الله على بعضها خلفاءه وورثته ليتم لهم حقائق الخلافة وغاية الوراثة والحاصل انه
صلى الله عليه وسلم كان له مقامان باهران ظاهر فى العالم كالشمس وباطن يوجب خضوع
سائر الارواح الكاملة من البشر وغيرهم بين يديه وان استمدادهم منه وانه الممد لسائر
الكمل من لدن وجودهم الى ما لا غاية له ولا انقضاء ولما أصبح ابرهة بالمغمس وهيأ فيله

(قوله خرساجدا) اى وكان لا يسجد للملك ابرهة كما تسجد سائر الفيلة (قوله فأحدث) اى الله سبحانه وتعالى فيه اى فى عبد المطلب وقوله نورا الآتى مفعول أحدث

وجنوده لدخول مكة برك الفيل في محله بناء على الاصح انهم لم يدخلوا الحرم وقيل دخلوا
وانما برك لما وصلوا الى وادى محسر وانما سمى بذلك لان فيلهم حسر اى اعيا فيه فضربوه
في رأسه وبمراق بدنه حتى مزقوه بالحديد فأبى فوجهوه نحو اليمن فقام ثم نحو الشام
فمشى ثم نحو المشرق فمشى ثم نحو الكعبة فأبى ثم أرسل الله عليهم طيرا أبابيل كامثال
الخطاطيف من البحر مع كل طائر منها ثلاثة أحجار حجر في منقاره وحجران في رجليه
كامثال العدس لا تصيب احدا منهم الا قتلته فخرجوا هاربين يتساقطون بكل طريق
وأصيب ابرهة في جسده بداء فتساقطت أنامله أنملة أنملة حتى وصل صنعاء وهو مثل فرخ
الطائر وسال منه الصديد والقيح والدم وما مات حتى تصدع قلبه وقد ذكر الله هذه القصة
في سورة الفيل وافتتحها بألم تر كيف مع انها قبل مبعثه بل قبل ولادته اشارة الى ان المراد
من الرؤية العلم والتذكر وان الخبر متواتر فكان العلم بذلك ضروريا مساويا للعلم الحاصل
بالرؤية البصرية وقد دلت هذه القصة على غاية شرف نبينا وانها كانت ارهاصا وتأسيسا
لنبوته ويجوز تقديم المعجزة على زمن النبوة تأسيسا كما مر في تظليل الغمام والشجر
والملكين بل جاء ان الشجر والحجارة قرب مبعثه صلى الله عليه وسلم كان لا يمر منها بشئ
الا سلم عليه سلاما يسمعه باذنيه وعلى شرف قومه وحماية الله لهم ولذا دانت العرب
لشرفهم لعلمهم بان ابرهة لا قدرة للعرب باسرهم على قتاله فاذا تولى الله نصرتهم عليه دل
ذلك على عظم اعتناء الله بهم ولقصة معنى الارهاص بعد مجئ النبوة وثبوتها بالدلائل
القطعية أملى للحجاج فحبسه الله حتى خرب الكعبة ولم يعاقبه بشئ * ولما ذكر ما يتعلق
بالهام الحيوان بذكر قصة الفيل ذكر ما يتعلق بالهام الجمادات فقال (والجمادات) وهي
ما لا روح فيه (أفصحت) اى اظهرت ونطقت بكلام بين فصيح لا تلعثم فيه قيل يخلق الله
تعالى فيها حينئذ من غير حياة وان من شئ الا يسبح بحمده وقيل بل يخلق الله فيها حياة
ولسانا وادراكا فتنطق مختارة عارفة بما تنطق به ويدل لهذا ما يأتى في حنين الجذع
وأنينه فان ذلك يدل على ان الله تعالى خلق فيه الحياة والعقل والشوق حتى حن وأن وأ
يعارضه ان مذهب الاشعرى ان خلق الصوت في محل لا يستلزم خلق الحياة والعقل فيه
ذاتا فأخذ الحياة من تصويته بل من اطلاق الصحابة عليه انه حن وأن ومذهب الاشعرى
ان الذكر المعنوى والكلام النفسى يستلزمان الحياة استلزام العلم لها ولذا عاملها صلى
الله عليه وسلم معاملة الحى بالتزامه كما يلتزم الغائب أهله بالشهادة (له) الانباء والارسال

(قوله وجنوده) وكانوا نحو ستين الفا لم يرجع منهم الا ملكهم وشرذمة قليلة (قوله برك) من باب دخل اى سقط الى الارض
وليس من شأن الفيلة ان تبرك وقيل ان فيلا منها برك كالبعير اى يجعل البرك وهو الصدر بالارض (قوله محسر) كمحدث وهو واد
بين المزدلفة ومنى (قوله ومراق بطنه) اى مارق من أسفل البطن ولان ولا واحد له من لفظه كذا في الصحاح والمصباح (قوله
أبابيل) اى جماعات ولم تتكلم العرب له بواحد (قوله كامثال الخطاطيف) قال العوفى سألت أبا سعيد الخدرى
فقال حمام مكة منها اهـ من
تفسير القرطبى فليتأمل فيه مع
ما سيأتى في قصة الغار من ان حمام
مكة من نسل الحمامتين اللتين
عششتا في الغار وهما حمامتان
وحشيتان (قوله ثلاثة أحجار)
قال ابن عباس كان الحجر اذا وقع
على أحدهم نفط جلده فكان
ذلك أول الجدرى (قوله أملى
للحجاج) قال في المصباح وأملى
الله له اى امهله (قوله لا تلعثم
فيه) يقال تلعثم الرجل في الامر
اذا تمكث فيه وتأنى اهـ مصباح
(قوله في حنين الجذع وأنينه)
قال في القاموس الحنين الشوق
وشدة البكاء والطرب والانين
التأوه (قوله بالشهادة) اذا تأملت
ما سيأتى لم تجد التصريح
بالشهادة بالارسال الا في حديث
الشجرة وحديث على الذى فيه
لما استقبلنا شجر ولا حجر الخ
وحديث البزار وأبى نعيم اذ
ليس المراد بالشهادة بالارسال
خصوص لفظها حتى يختص
بحديث الشجرة بل الاقرار
بالرسالة ولو بغير لفظ الشهادة
وفي حديث العذق على أحد
التقريرين الآتيين فيه واما في غير ذلك فانما فيه خوارق العادات تدل على رسالته كتسبيح الحصى والطعام تأمل (قوله
بالانباء) قد تتبعت كلام الشارح فلم أجد ذكر الشهادة بالانباء من جملة من الجمادات وانما جميع ما ذكره قاصر على الاخبار
بالارسال اللازم له الانباء فكان الظاهر حذف الانباء الا ان يراد انه ذكر ما يفيد الشهادة به مجردا عن الارسال

(الذى أخرس عنه لاجد) متعلق بأفصحت (الفصحاء) نائب فاعل أخرس وفيه الطباق اى ان العرب قريشا وغيرهم مع كونهم أرباب الفصاحة وفرسان البلاغة امتنعت ألسنتهم من النطق له صلى الله عليه وسلم بالايمان به والشهادة له بالرسالة اليهم وشهدت له بذلك الجمادات الصم بأفصح لسان وأبلغ بيان فمن ذلك تسبيح الحصى فى يديه ثم فى يد أبى بكر ثم فى يد عمر رضى الله عنهما بسمع تسبيحهن من فى الحلقة رواه جماعة وهو مشهور ولكن فى سنده ضعف وصح عن ابن مسعود كنا نأكل مع النبى صلى الله عليه وسلم الطعام ونحن نسمع تسبيح الطعام وفى سماعهم لذلك غاية الكرامة لهم وصح أيضا انى لاعرف حجرا بمكة كان يسلم على قبل أن أبعث انى لاعرفه الآن قيل هو الحجر الاسود وقيل البارز بزقاق المرفق لانه كان بممره صلى الله عليه وسلم من دار خديجة الى المسجد وعليه أهل مكة سلفا وخلفا وصح عن على كرم الله وجهه كنت أمشى مع النبى صلى الله عليه وسلم بمكة فخرجنا فى بعض نواحيها فما استقبله شجر ولا حجر الا قال السلام عليك يا رسول الله وروى البزار وأبو نعيم لما استقبلنى جبريل بالرسالة جعلت لا أمر بحجر ولا شجر الا قال السلام عليك يا رسول الله والبيهقى وابن ماجه انه صلى الله عليه وسلم غطى العباس و بنيه بملاءة فقال يا رب هذا عمى وصنو أبى وهؤلاء أهل بيتى فاسترهم من النار كسترى اياهم بملاءتى هذه فقالت اسكفة الباب وحيطان البيت آمين آمين وصح انه صلى الله عليه وسلم كان هو وأبو بكر وعمر وعثمان على أحد فتحرك وصح أيضا على حراء فتحرك فقال اثبت وضربه برجله فما عليك الا نبى أو صديق أو شهيد وصح انه صلى الله عليه وسلم طلب من رجل الايمان فقال له هل من شاهد قال هذه الشجرة فدعاها صلى الله عليه وسلم وهى على شاطئ الوادى فأقبلت تخد الارض خدا اى تشقها شقا فقامت بين يديه صلى الله عليه وسلم فاستشهدها ثلاثا فشهدت ثم رجعت الى منبتها وفى رواية قل لتلك الشجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعوك فمالت عن يمينها وشمالها ومن بين يديها ومن خلفها فتقطعت عروقها ثم جاءت تخد الارض تجر عروقها مغبرة حتى وقفت بين يديه فقالت السلام عليك يا رسول الله فقال الاعرابى مرها فلترجع الى منبتها فرجعت فدلت عروقها فى ذلك الموضع فاستقرت فقال الاعرابى ائذن لى ان اسجد لك فقال لو كنت آمر احدا ان يسجد لاحد لامرت المرأة ان تسجد لزوجها وصح ان اعرابيا قال له بم أعرف انك رسول الله قال ان ادعو هذا العذق من هذه النخلة يشهد انى رسول الله فدعاه فسقط اليه ثم قال له ارجع فعاد فأسلم الاعرابى ☆ (تنبيه) علم من كلام الناظم على مولده صلى الله عليه وسلم وما بعده ان من دلائل نبوته ما وجد فى كتب الله تعالى من نعته وخروجه بأرض العرب

(قوله من فى الحلقة) قال فى المختار الحلقة بالسكون الدروع وحلقة الباب وحلقة القوم والجمع الحلق بفتحتين على غير قياس وقال الاصمعى الجمع حلق كبدر وبدر وقصعة وقصع وحكى يونس عن ابى عمرو بن العلاء حلقة فى الواحد بفتحتين والجمع حلق وحلقات قال ثعلب كلهم يجيزه على ضعفه قال ابو عمرو الشيبانى ليس فى الكلام حلقة بالتحريك الا فى قولهم هؤلاء قوم حلقة الذين يحلقون الشعر جمع حالق اه وقوله بفتحتين على غير قياس اى والقياس الحلاق والحلق كقصاع وقصع فى جمع قصعة (قوله و بنيه) اى العباس رضى الله عنه وسيأتى فى شرح قوله ومن حوته العباء التصريح بهذه الرواية ويذكر روايات فيمن حوتهم العباء فراجعه (قوله اسكفة الباب) بضم الهمزة والكاف وتشديد الفاء وهى عتبة الباب السفلى (قوله أو صديق الخ) أو فى الموضعين بمعنى الواو (قوله العذق) قال فى المصباح العذق بالفتح النخلة بحملها ومنه قول الحباب بن المنذر انا عذيقها المرجب وبعضهم ضبطه بالكسر ثم رأيت فى المختار العذق بالفتح النخلة بحملها والعذق بالكسر الكباسة ولعل المراد بالعذق هنا بعضه كحملها أو شئ منه لقوله من هذه النخلة وقوله فسقطت ثم رأيت فى القاموس ما لا يحوج لتكلف حيث قال العذق النخلة بحملها الجمع اعذق وعذاق وبالكسر القنو منها والعنقود من العنب او اذا اكل ما عليه والجمع اعذاق وعذوق اه فالظاهر انه هنا بالكسر القنو فيلائم قول الشارح من هذه النخلة وقوله فسقطت (قوله فدعاها الخ) ليس فيه شهادتها بالرسالة فلعل الاعرابى اكتفى بسقوطه وعوده أو هناك حذف اى فشهد انه رسول الله ثم قال الخ

وماظهر بين يدى مولده ومبعثه من العجائب المبطلة لسلطان الكفر والمنوهة بشرف العرب كقصة الفيل وما حل بأصحابه وخمود نار فارس وماذكر معها وماسمع من الهواتف الصارخة بأوصافه صلى الله عليه وسلم وانتكاس الاصنام المعبودة على وجوهها من محالها فيه من غير فعل فاعل مع شدة ثباتها واحكامها وماسبق بعضه من العجائب التى ظهرت ايام رضاعه وبعده الى مبعثه صلى الله عليه وسلم واتباع الخلق له مع انه لم يكن له مال يطمع فيه ولاقوة يقهر بها الرجال مع ما كانوا عليه من محبة الاصنام والمبالغة فى الحمية لها بالمقاتلة وشن الغارات لاتجمعهم الفة دين ولايمنعهم عن سوء نعالهم النظر فى عاقبة ولاخوف لائمة فالف صلى الله عليه وسلم بين قلوبهم وجمع كلمتهم حتى اتفقت الآراء واجتمعت القلوب فصاروا يدا واحدة على من عاداهم وهجروا أوطانهم وأهاليهم فى محبته صلى الله عليه وسلم وبذلوا مهجهم لنصرته ونصبوا وجوههم لوقع السيوف فى اعزاز كلمته بلادنيا افاضها عليهم فى العاجل ولا وعدهم فى الآجل بما أطمعهم فى نيله بحروبه بل كان من شأنه صلى الله عليه وسلم ان يجعل الغنى فقيرا والشريف اسوة الوضيع فهل يلتئم مثل هذه الامور من قبل اختيار عقلى أو تدبير فكرى لا والذى بعثه بالحق نبيا انما ذلك أمر الهى وتأييد سماوى تعجز عن بلوغه قوى البشر ولايقدر عليه الامن له الخلق والامر تبارك الله رب العالمين وبهذا الذى ذكرته يتضح تعقيب الناظم لما مر بقوله (ويح) منصوب بفعل محذوف أو بحرف النداء اى ياويح على حد ياحسرة على العباد اى احضرى هذا وقتك كذا قيل والذى صرح به الائمة انه حيث كان المصدر بدلا من اللفظ بفعله وجب نصبه وحذف عامله ثم بعض تلك المصادر يجوز رفعه كويح فقد قالوا ويح مما استعمل مفردا أو مضافا قولهم ويح فلان وويح عاله قال ابن طاهر متى اضفت ويح وجب النصب وامتنع الرفع لانه مبتدأ لاخبر له ومتى افردته جاز كل منهما وكذا ويل والنصب فيه غير قوى لانه مصدر لافعل له بخلاف نحو حمدا وشكرا ومن ثم غلب على ويح الرفع بل قال ابن أبى الربيع يجب رفعه دون ويل ثم ان عطف ويح على تب تعين نصبه ومنع المازنى عطف ويح على تب وعكسه لتناقض معناهما وردبان ويح اخرج مخرج الدعاء وليس معناه الدعاء وتبا يستعمل كقاتله الله ما اشعره فعلم ان ويح وويل ونحوهما متى نصب فانما هو بعامله المحذوف وجوبا وانه لادخل للنداء هنا واعلم انهم اتفقوا على ان ويح كلمة ترحم فتقال لمن وقع فى مهلكة لايستحقها وويل كلمة عذاب وقيل هما بمعنى واحد وعلى الاول فقد يستشكل اتيان الناظم بها فى هذا المحل لان المخالفين له صلى الله عليه وسلم يستحقون الهلاك الدائم وقد يجاب بان كثيرا منهم أسلم بعد ذلك فالترحم لهم باعتبار ما آل اليه حالهم ويرد بانهم بهذا الاعتبار لايقال فيهم ويح لانهم لم يقعوا فى هلاك أصلا فالاحسن الجواب بان الترحم من حيث النظر الى القرابة التى بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم وانهم من

(قوله وشن الغارات) قال فى الصحاح شن الماء على الشراب فرقه عليه ومنه قيل شن عليهم الغارة وأشن اذا فرقها من كل وجه (قوله بفعل محذوف) فيكون مفعولا مطلقا والفعل المقدر هو اهلكهم الله ونحوه وقوله أو بحرف النداء فيكون مفعولا به ونصبه بعامل مقدر لابحرف النداء تأمل دنوشرى (قوله لاخبر له) قد يقال ان الخبر محذوف تقديره ويح زيد حاصل فامتناع الرفع لاجل ذلك ممنوع وهو القول الاول (قوله والنصب فيه) اى ويح وينبغى ان يكون مثله ويل (قوله ومن ثم غلب الخ) ينظر الفرق بينهما على كلام ابن أبى الربيع (قوله على تب) التباب خسران يؤدى الى الهلاك (قوله اتفقوا) اى اتفق غالبهم ليصح قوله وقيل هما بمعنى (قوله فالاحسن الجواب الخ) يقتضى ان الجواب الاول حسن وان احتاج لمعونة بان يقال هم فى حال كفرهم واقعون فى مهلكة بحسب ظاهر حالهم فالترحم باعتبار الباطن ومايؤل اليه الحال من اسلامهم على ان الجواب الذى جعله أحسن فيه نظر لان أطلق ان أراد بهم من أسلم توجه عليه رده الذى رد به الجواب الاول وان أراد بهم من لم يسلم فهم فى مهلكة يستحقونها وقد شرط فى استعمال ويح عدم استحقاقها فتدبر

عمود نسبه وجلدته والترحم لهم من هذه الحيثية لا محذور فيه (قوم جفوا نبيا) بلغ من مراتب الجلال والتعظيم ما لم يبلغه نبي اى ابغضوه وآذوه الايذاء البالغ لقصد واقتله كما مر آنفا مبسوطا (بارض الفته ضبابها) جمع ضب وحديثه مشهور على الالسنة ورواه البيهقي في أحاديث كثيرة لكنه حديث غريب ضعيف قال المزني لا يصح اسنادا ولا متنا وهو ان اعرابيا اصطاد ضبا فلما رأى النبي صلى الله عليه وسلم طرحه بين يديه وقال لا او من بك حتى يؤمن بك هذا فقال له ياضب قال لبيك وسعديك قال من تعبد قال الذى في السماء عرشه وكلمات أخر قال من أنا قال رسول رب العالمين فأسلم الاعرابى الحديث بطوله فقيل وهو موضوع ورد بان نهايته الضعف لا الوضع وفى معجزاته صلى الله عليه وسلم ماهو أبلغ من هذا (والظباء) جمع ظبي روى حديثه من طرق كثيرة أبو نعيم والطبراني وساق الحافظ المنذرى حديثه في الترغيب والترهيب لكن ضعفه الائمة بل قال الحافظ ابن كثير لا أصل له ومن نسبه الى النبي صلى الله عليه وسلم فقد كذب ورد بانه ورد في الجملة في عدة أحاديث يتقوى بعضها ببعض بل بالغ بعض المحققين فزعم انه حديث صحيح قال التاج السبكي وهو وان لم يتواتر اليوم فلعله استغنى عنه بغيره أوله تواتر اذ ذاك وهو بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم في صحراء اذ هاتف يهتف يارسول الله ثلاث مرات فالتفت فاذا ظبية مشدودة في وثاق واعرابي نائم عندها فقال ما حاجتك قالت صادني هذا الاعرابى ولى خشفان في ذلك الجبل فاطلقني حتى اذهب فأرضعهما وارجع قال صلى الله عليه وسلم وتفعلين قالت عذبنى الله عذاب العشار اى المكاس ان لم اعد فاطلقها فذهبت ورجعت فأوثقها صلى الله عليه وسلم فانتبه الاعرابى فقال يارسول الله ألك حاجة فقال تطلق هذه الظبية فأطلقها فخرجت تعدو في الصحراء فرحا وهى تضرب برجليها الارض وتقول أشهد أن لا اله الا الله وأنك رسول الله ولم يرد الناظم المصرف هذين فقد صح ان الذئب ألهم واخبر بنبوته صلى الله عليه وسلم أيضا كما جاء من طرق منها طريقان صحيحان حاصلهما انه أخذ شاة فانتزعها الراعى منه فقال ألا تتقي الله تنزع منى رزقا ساقه الله الى فتعجب الراعى من كلامه له فقال الا أخبرك باعجب من ذلك محمد

(قوله ان اعرابيا) نسبة لاعراب اسم جمع لعرب لا جمع له لان الاعراب سكان البوادى من العرب والعرب خلاف العجم وان لم يسكنوها فلو كان جمعا للكان المفرد اعم من الجمع وهو ممتنع (قوله وكلمات اخر) هي وفى الارض سلطانه وفى البحر سبيله وفى الجنة رحمته وفى النار عذابه (قوله رسول رب العالمين) تتمته وخاتم النبيين وقد افلح من صدقك وخاب من كذبك (قوله الحديث) وتمامه كما في شرح تائية السبكى لا اثر بعد عين ولقد جئتك وما على وجه الارض ابغض الى منك وانك اليوم احب الى من نفسى وولدى ووالدى وانى لاحبك بداخلى ٨٦ وخارجى وسرى وعلانيتى اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله فقال صلى الله عليه وسلم الحمد لله الذى هداك للاسلام وهداك الى هذا الدين فرجع الاعرابى الى قومه فاخبرهم بالقصة وكان من بنى سليم قال الماوردى فاتى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم الف انسان منهم فامرهم ان يكونوا تحت راية خالد بن الوليد قال الماوردى ولم يؤمن من العرب ألف في وقت واحد غيرهم اه (قوله خشفان) الخشف مثلث الخاء ولد الظبى أول مشيه أو أول مشيه اه قاموس (قوله فذهبت) فى الحديث فقال لها أولادها وقد احتفت منهم ثلاثة ما غيبتك فذكرت لهم القصة والضمانة فقالوا جعلت رسول الله صلى الله عليه وسلم ضامنا فو الله لا نرضع منك قطرة حتى توفى ضمانته فرجعت (قوله فاطلقها) لا يقال اطلاق الغزالة يشبه سوائب الجاهلية فلا يجوز لانا نقول ان فيه معجزة له صلى الله عليه وسلم فجاز او ان ذلك كان لغرض سقى أولادها أو ان ذلك خصوصية اه دونشرى (قوله فتعجب) حيث قال العجب من ذئب يتكلم بكلام الانس صلى فقال الذئب أنت أعجب وقفت على غنمك وتركت نبيا لم يبعث الله نبيا قط أعظم منه عنده قدرا قد فتحت أبواب الجنة وأشرف أهلها على أصحابه ينظرون الى قتالهم وما بينك وبينه الا هذا الشعب فتصير من جنود الله قال الراعى فمن لى بغنمى فقال أنا ارعاها حتى ترجع فأسلم الراعى اليه غنمه ومضى فوجد النبي يقاتل وأسلم فقال له النبي عد الى غنمك تجدها بوفرها فوجدها كذلك وذبح الذئب منها واحدة وقوله وأشرف أهلها الخ لعل المراد بأهلها الحور والولدان والا فذوات الانس ونحوهم لا تدخلها الا يوم القيامة

صلى الله عليه وسلم بيثرب بخبر الناس بأنباء ما قد سبق زفى رواية صحيحة بما مضى وما هو كائن فأتى الراعى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره فأخبره فنادى صلى الله عليه وسلم أن ينادي الصلاة جامعة ثم أمر الراعى فأخبرهم وفى رواية عن سعيد بن منصور فى سننه ان الذئب جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال هذا وافد الذئاب جاء يسئلكم ان تجعلوا له شيأ من أموالكم قالوا والله لا نفعل وأخذ رجل من القوم حجرا ورماه به فادبر الذئب وله عواء فقال صلى الله عليه وسلم الذئب وما الذئب * وكلمه صلى الله عليه وسلم الحمار أيضا على ما روى فى حديث طويل لكن قال ابن الجوزى انه موضوع وكلمه أيضا الجمل كما جاء فى عدة طرق بعضها سنده جيد وبعضها سنده صحيح وحاصلها ان جماعة من الانصار شكوا اليه صلى الله عليه وسلم جملهم وانه امتنع من العمل حتى عطش النخل والزرع فقال صلى الله عليه وسلم لاصحابه قوموا فقاموا ودخل الحائط فمشى اليه فقالوا يا رسول الله انه صار كالكلب الكلب اى عضوضا فقال ليس على منه بأس فلما نظر الجمل اليه أقبل نحوه حتى خر ساجدا بين يديه فأخذ بناصيته اذل ما كان قط حتى أدخله فى العمل الحديث وفى رواية صحيحة انه صلى الله عليه وسلم دخل حائطا فرآه جمل فحن اليه وذرفت عيناه فمسح قريب رأسه من قفاه ثم قال لربه الا تتقى الله فى هذه البهيمة التى ملكك الله اياها فانه شكا الى أنك تجيعه وتدئبه اى تتعبه وجاء بسند صحيح ان غنما سجدت له صلى الله عليه وسلم (وسلوه) اى نفرت قلوبهم عنه حتى هجر ومع نشأته فيهم وعلمهم بغاية نزاهته ونهاية كماله (و) الحال انه قد (حن جذع اليه) كما جاء من طرق صحيحة وغيرها يفيد مجموعها التواتر المعنوى الموجب لتيقن وقوع ذلك والقطع به وعلى التواتر المعنوى يحمل قول التاج السبكى والصحيح عندى ان حنينه متواتر وسبقه لذلك عياض وحاصلها انه صلى الله عليه وسلم قبل ان يعمل له المنبر كان يخطب مستندا الى جذع نخل من الجذوع المسقوف عليها المسجد فلما صنع له المنبر ثلاث درجات وضعه موضعه الآن بمسجده ثم تخطى الجذع يوم جمعة ليخطب على المنبر فصاح الجذع حتى سمعه جميع من فى المسجد وفى رواية انه خار كخوار الثور حتى ارتج المسجد لخواره وفى رواية أخرى حتى تصدع وانشق وفى أخرى فجعل يئن أنين الصبى وفى اخرى حن حنين الناقة التى انتزع ولدها فنزل اليه صلى الله

(قوله وله عواء) يقال عوى الكلب والذئب وابن آوى يعوى بالكسر عواء بالضم والمد اى صاح اه مختار (قوله عطش) ضد روى وبابه طرب اه مختار (قوله ودخل الحائط) اى البستان سمى بذلك لانه حائط لا سقف له (قوله كالكلب الكلب) قال فى الصحاح الكلب شبيه بالجنون والكلب الكلب الذى يكلب بلحوم الناس يأخذه شبه جنون فاذا عقر انسانا كلب (قوله فحن اليه) الحنين الشوق وتوقان النفس كما فى المختار ويطلق على البكاء الشديد وهذا هو المناسب هنا اى اشتد بكاء هذا البعير على رسول الله صلى الله عليه وسلم (وذرفت عيناه) قال فى المختار ذرف الدمع سال وبابه طرب وذرفانا أيضا بفتح الراء وذرفت عينه اى سال دمعها (قوله التواتر) وهو خبر جمع يمتنع تواطؤهم على الكذب عن محسوس لا عن معقول لجواز الغلط فيه كخبر الفلاسفة بقدم العالم فان اتفق الجمع المذكور فى اللفظ والمعنى فهو اللفظى وان اختلفوا فيهما مع وجود معنى كلى فهو المعنوى كما اذا أخبر واحد عن حاتم انه أعطى دينارا وآخر انه أعطى فرسا وآخر أنه أعطى بعيرا وهكذا فقد اتفقوا على معنى كلى وهو الاعطاء اه محلى على جمع الجوامع ولا شك ان ما هنا كهذا المثال فقد روى صاح وروى خار وروى يئن انين الصبى وروى حن حنين الناقة التى انتزع ولدها وفى رواية بكى وهذا ظاهر ان أريد باختلاف المعنى ما يشمل كونه متقاربا فان خار الذى هو بمعنى صاح ويئن وحن وبكى متقاربة المعانى والمعنى الكلى المتفق عليه صوت تصوت صادرا عن قلق وشوق (قوله المسقوف الخ) لعل المراد قبل زمن فراقه بقرينة قوله الآتى وأمر به فدفن ولو كان السقف باقيا عليه لم يظهر الامر بدفنه الآن يقال أمر بدفنه بعد انفصاله عن السقف ولا يخفى ان المراد بكونه مسقوفا عليه ان وضعه كان كالعمود طرفه الاعلى عليه السقف والاسفل بالارض نخرر (قوله خار كخوار الثور) قال فى المختار خار الثور يخور خوارا صاح ومنه قوله تعالى فأخرج لهم عجلا جسدا له خوار وقد سبق ذلك مع زيادة فى قصة الفيل

عليه وسلم وضمه اليه رحمة له حتى سكن وفى رواية فمسحه بيده وله له فعل به الامرين وفى
أخرى ان هذا بكى لما فقدمن الذكر عنده وفى أخرى والذى نفسى بيده لولم ألتزمه لم يزل
يصوت هكذا الى يوم القيامة تحزنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا من أكبر
معجزاته صلى الله عليه وسلم بل أشار الشافعى رضى الله عنه الى انه أبدع من احياء عيسى
عليه الصلاة والسلام الموتى لانهم عهدت لهم حياة رجعت اليهم بخلاف هذا وفى رواية
عند الدارمى انه صلى الله عليه وسلم خيره بين ان يعيده الى مغرسه فيثمر كما كان وان يغرسه
فى الجنة يأكل أولياء الله من ثمره ثم أصغى اليه فقال اختار دار البقاء على دار الفناء و س
به فدفن ومر فى شرح قوله والجمادات أفصحت الى آخر ماله تعلق بذلك (وقلوه) اى
أبغضوه (و) الحال انه قد (وده) اى احبه وبين السلو والحنو والقلا والود الطباق كما هو
بين الاخراج والايواء الآتيين وكان المرادف الاولين ان السلو يدل على سبق المحبة
والالفة والحنو يدل على البغضاء والايذاء كما مر (الغرباء) الذين هم ليسوا من عشيرته ولا
من قومه ولا عرفوا ما عرفته قريش من كماله الاعظم كالانصار الاوس والخزرج وذلك انه
صلى الله عليه وسلم خرج فى الموسم الذى لقيهم فيه يعرض نفسه على قبائل العرب كما كان
يصنع فى كل موسم فلقى بعض الخزرج عند العقبة فقال من أنتم قالوا من الخزرج فقال
الا تجلسون أكلمكم فجلسوا فدعاهم الى الاسلام وتلا عليهم القرآن وكان عندهم علم منه
فعرفوا نعته لان يهود المدينة كانوا يقولون لهم ان نبيا يبعث الآن نتبعه ونقتلكم معه
فاجابوه لئلا تسبقهم اليهود اليه واسلم منهم ستة نفر فقال لهم تمنعون ظهرى حتى أبلغ
رسالة ربى فقالوا ندعو قومنا الى ما دعوتنا اليه فان اجابوك فلا أحد أعز منك وموعدك
الموسم العام القابل فلما وصلوا المدينة لم يبق دار الا وفيها ذكر رسول الله صلى الله عليه
وسلم فلقيه فى العام القابل اثنا عشر خمسة من الستة والبقية من الخزرج أيضا
الا رجلين فمن الاوس وهذه هى العقبة الثانية فاسلموا وقبلوا ما اشترطه عليهم ثم رجعوا
فاظهر الله الاسلام فيهم فكان أسعد بن زرارة يجمع بالمدينة بمن أسلم ثم ارسلوا يطلبون من
يعلمهم القرآن فارسل اليهم مصعب بن عمير فاسلم على يديه خلق كثير منهم سيد الاوس سعد بن
معاذ وأسيد بن حضير واسلم باسلامهم جميع بنى عبد الاشهل فى يوم واحد رجالهم
ونساؤهم الا واحدا فيوم احد ولم يكن فيهم اعنى بنى عبد الاشهل منافق ولا منافقة ثم
قدم فى العام القابل فى الموسم نحو سبعين رجلا وهى العقبة الثالثة فبايعهم على انهم
يمنعونه مما يمنعون منه نساءهم وأبناءهم وعلى حرب الاحمر والاسود وصح عن جابر مكث
صلى الله عليه وسلم عشر سنين يتبع الناس فى منازلهم فى المواسم بمنى وغيرها يقول من
ينصرنى حتى أبلغ رسالة ربى وله الجنة حتى بعث الله له من يثرب وذكر الحديث وفيه وعلى
ان تنصرونى اذا قدمت عليكم يثرب فتمنعونى مما تمنعون منه أنفسكم وأزواجكم
وأبناءكم ولكم الجنة وحضر العباس رضى الله عنه هذه المبايعة فاكد عليهم لرسول الله

(قوله ثم أصغى اليه) أى ليسمع ما يقول فقال بل تغرسنى فى الجنة فيأكل أولياء الله منى وأكون فى مكان لا أبلى فيه فسمعه من يليه فقال صلى الله عليه وسلم اختار الخ وكان الحسن اذا حدث بهذا الحديث بكى وقال يا عباد الله الخشبة تحن الى رسول الله صلى الله عليه وسلم شوقا اليه فانتم أحق ان تشتاقوا الى لقائه (قوله أبغضوه) فى القاموس [٢] ان أبغض لغة رديئة والفصيحة بغض ككرم ونصر وفرح فكان الاولى ان يقول بغضوه من باب نصر وباب كرم لازم (قوله والحنو) كان الظاهر والحنين لان الحنو مصدر حنا عليه اى عطف من باب غدا وما نحن فيه من حن يحن من باب ضرب وان تقاربا فى المعنى (قوله وكان المراد الخ) اى داع لهذا فقد تقدم ان السلو النفرة وفى المختار ان الحنين الشوق وتوقان النفس اللازم له الالفة وبين النفرة وما ذكره التنافى (قوله الموسم) وموسم الحاج مجمعهم (قوله عند العقبة) وهذه العقبة الاولى وستأتى الثانية والثالثة (قوله أسيد بن حضير) بضم الهمزة والحاء المهملة وفتح السين والضاد المعجمة .

[٢] قول المحشى فى القاموس ان أبغض الخ الذى فى القاموس وأبغضه وبغضه بالضم لغة رديئة اهـ فقوله بالضم اى بالغين المعجمة فما فى المحشى الى آخر القولة سهو فتامل

صلى

صلى الله عليه وسلم ذلك ثم أمر صلى الله عليه وسلم من بقى معه بالهجرة الى المدينة فخرجوا
أرسالا وأقام ينتظر الاذن له فى الهجرة فاستأذنه أبو بكر فقال لا تعجل لعل الله ان يجعل
لك صاحبا فطمع أبو بكر فى ان يهاجر معه صلى الله عليه وسلم ولما بلغهم انه بويع وأمر
من معه ان يلحق بالمدينة وانه ظهر أمرهم بها اشتوروا بدار الندوة ثم اجمعوا ان يحبسوه
او يقتلوه أو يخرجوه فاعترضهم ابليس لعنه الله فى صورة رجل جليل واظهر لهم انه يريد
نصحهم وأمرهم ان يعرضوا عليه آراءهم ليختار اتمها لهم فقيل نحبسه فقال قد ينتزع
منكم فقيل نخرجه فقال يأتيكم بما لا طاقة لكم به فقال أبو جهل لعنه الله ارى ان
تأخذوا من كل قبيلة غلاما قويا ثم تعطوهم شفارا فيضربه كل ضربة فيتفرق دمه فى
القبائل فلم يقدر أهله على حرب قومهم فيأخذوا ديته فقال ابليس قه دره هذا هو الرأى
فأجمعوا عليه فأتاه جبريل عليه السلام فقال لا تبت الليلة على فراشك فاجتمعوا فى الليل
ببابه يرصدونه لينام فيثبوا عليه وثبة واحدة فأمر صلى الله عليه وسلم عليا رضى الله عنه
بأن ينام مكانه ثم خرج عليهم فلم يبق منهم أحد الا أخذ الله على بصره فلم يره ونثر على رأس
كل منهم ترابا كان فى يده وهو يتلو يس الى لا يبصرون وصح انه ما أصاب احدا منهم تراب
الا قتل كافرا ثم اعلوا بخيبتهم فوضع كل يده على رأسه فوجد التراب وفى هذا نزل قوله
تعالى واذ يمكر بك الذين كفروا الآية • ثم اذن الله تعالى لنبيه فى الهجرة كما قال
(اخرجوه) بدل من جعلوه (منها) اى كانوا السبب فى خروجه من تلك الارض التى هى
مولده ومرباه ووطنه ووطن آبائه وأحب أرض الله الى الله والى رسوله كما صح عنه
صلى الله عليه وسلم انه قال ولولا انى أخرجت منك كرها ما خرجت وبقولى كانوا السبب
الخ اندفع ما يقال هو لم يخرج منها الا باذن فهو السبب فقط ووجه اندفاعه ان تسببهم
فى خروجه بمبالغتهم فى ايذائه وايذاء أصحابه لاسيما ضعفاؤهم هو الحامل على انتظاره
الاذن له فى الخروج مدة حتى وجد فتسببهم سبب الاستئذان ووقوع الاذن فاسناد
الاخراج اليهم لذلك أظهر منه للاذن تعويلا على اسبق السببين مع كون الاول سببا
للثانى أيضا كما تقرر وكان ذلك بعد العقبة الثالثة بنحو ثلاثة أشهر يوم الاثنين هلال
ربيع الاول أو الخميس الذى يليه ووصل المدينة يوم الاثنين ثانى عشر الشهر وجمع بان
خروجه من مكة يوم الخميس ومن الغار ليلة الاثنين وخلف عليا رضى الله عنه ليؤدى
ما عنده من الودائع وكان مجيئه بيت ابى بكر وقت الظهيرة فقال انه قد أذن لى فى
الخروج قال الصحبة يا رسول الله قال نعم قال فخذ احدى راحلتى قال بالثمن اى لتحصل
هجرته لله ولا يكون لاحد فيها منة فخرجا ليلا الى غار جبل ثور فاستخفيا فيه كما قال
(وآواه غار) ولما فقدته قريش طلبوه بمكة اعلاها واسفلها وبعثوا القافة أثره فى كل
وجه فوجد الذى ذهب قبل ثور أثره هناك فلم يزل يتبعه حتى انقطع لما انتهى الى ثور وشق
عليهم خروجه وجزعوا منه وجعلوا لمن رده مائة ناقة ولما دخل الغار قيل انبت الله على

(قوله أرسالا) بفتح الهمزة جمع رسل بفتح الراء والسين أى أفواجا كما سبق (قوله الصحبة) أى أسألك الصحبة (قوله احدى راحلتى) وهى القصوى وكان الثمن منها أربعمائة درهم وقد بقيت بعده وماتت فى خلافة أبى بكر رضى الله عنه وقد ورد انه ابرأه من ذلك الثمن (قوله ولا يكون لاحد فيها منة) لعل المراد بحسب الظاهر والعرف والا فالمنة لرسول الله صلى الله عليه وسلم على الصديق وعلى غيره ثابتة ولو بذل له ما بذل فخرجا ليلا وكان مال أبى بكر حين أسلم أربعين ألف درهم فخرج الى المدينة للهجرة وليس له الا خمسة أو أربعة آلاف درهم فبعث ابنه عبد الله فحملها الى الغار اه ع ش (قوله وآواه غار) وهو ثقب فى الجبل وهذا الغار يمين مكة فى مسافة ساعة كذا فى شرح استاذنا قدس الله سره العزيز (قوله وبعثوا القافة أثره) قال فى المختار وخرج فى اثره بكسر الهمزة اى فى أثره والاثر بفتحتين وقال فى القاموس وخرج فى إثره وأثره بعده اه

بابه شجرة أم غيلان فحجبت عن الغار أعين الناس وأرسل الله حمامتين وحشيتين فوقفتا على فم الغار كما قال (وحته) منهم (حمامة) فيه جناس سبق نظيره (ورقاء) وهي ما في لونها بياض يخالطه سواد قيل وحمام الحرم من نسلها ومعنى حمايتها انه ان فتيان قريش من كل بطن لما اقبلوا بسلاحهم جعل بعضهم ينظر في الغار فلم ير الا حمامتين وحشيتين بفم الغار فرجع الى اصحابه فقالوا له مالك قال رأيت حمامتين وحشيتين فعرفت انه ليس فيه احد وقال آخر ادخلوا الغار فقال اللعين امية بن خلف وما اربكم في الغار ان فيه لعنكبوتا اقدم من ميلاد محمد وفي مسند البزار ان الله عز وجل امر العنكبوت فنسجت على وجه الغار ولذا قال الناظم (وكفته بنسجها عنكبوت) يقع على الواحد والجمع والمذكر والانثى (ما) أي الاعداء الذين (كفته) اياهم (الحمامة الحصداء) أخذ من قولهم شجرة حصداء أي كثيرة الورق فاستعار للحمامة الكثير ريشها ووصف الحمامة بورقاء وحصداء لاجتماعهما فيها والممتنع اجتماعه الوصف بمتضادين أو متماثلين وروى أن الحمامتين باضتا في أسفل النقب ونسج العنكبوت على أعلاه فقالوا لو دخل لانكسر البيض وتفسخ نسج العنكبوت قال الائمة وهذا أبلغ في الاعجاز من مقاومة القوم بالجنود وروى انه صلى الله عليه وسلم قال اللهم اعم أبصارهم فعميت عن دخوله وجعلوا يضربون يمينا وشمالا حول الغار لظنهم ان الحمام لا يحوم حوله وان العنكبوت لا تنسج عليه وفيه أحد لما جرت به العادة انهما متوحشتان فهما احسا بالانسان فرا منه وما علموا ان الله يسخر ما شاء من خلقه لمن شاء من عباده وان وقاية الله عبده بما أراده تغنيه عن التحصن بالامكنة والاسلحة وصح ان أبا بكر قال يا رسول الله لو ان أحدهم نظر الى قدميه لرآنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ظنك باثنين الله ثالثهما ولذا قال الناظم (واختفى) صلى الله عليه وسلم أي استتر والاحسن عطفه على وآواه غار (منهم على) أي مع (قرب مرآه) أي محل رؤيته وقد ذكر الناظم لهذا تعجيبا للسامع وبيانا لهذه المعجزة العظيمة (و) حكمة استتاره منهم مع ظهوره لهم لو نظر أحدهم الى ما تحت قدميه لرآه كما تقرر ان (من) جملة (شدة الظهور) عليهم بالغلبة والمعونة الالهية له (الخفاء) عنهم الذي حصل له خرقا للعادة فظفرا عليهم وخيبة لهم واستعماله الظهور فيما ذكر مع أن مقابلته بالخفاء يوهم انه أراد به ضده من الفن المسمى بالتورية والايهام وهو أن يذكر لفظ له معنيان بالاشتراك أو التواطؤ أو الحقيقة أو المجاز أحدهما بعيد فيقصده ويورى عنه بالقريب ليتوهمه السامع من أول وهلة وهو هنا ضد الخفاء الموهم له قوله واختفى قال الزمخشري لا ترى بابا ادق ولا ألطف من التورية ولا أنفع ولا أعون على تعاطي تأويل المتشابهات في كلام الله

(قوله حمامة) المراد الجنس لان ما كان بفم الغار حمامتان كما ذكر (قوله عنكبوت) قال في حياة الحيوان ما ينسجه العنكبوت يخرج من خارج جلدها الامن جوفها وعن علي كرم الله وجهه طهروا بيوتكم من نسج العنكبوت فان تركه في البيوت يورث الفقر (قوله أي الاعداء الذين الخ) عبر عنهم بما التي أصلها لغير العاقل تنزيلا لهم منزلته (قوله فاستعاره الخ) غير ظاهر فكان حق التعبير ان يجعل المقام من باب التشبيه المحذوف اداته أي الحمامة التي هي كالحصداء أي كالشجرة الحصداء بجامع كثرة ما على كل من الريش في الاولى والورق في الثانية أو من باب الاستعارة بالكناية بتشبيهها بالشجرة تشبيها مضمرا في النفس واثبات لازم المشبه به وهو الحصداء فتأمل (قوله الخفاء) مصدر خفي كرضي خفاء فهو خاف وخفي لم يظهر وخفاه هو واخفاه أظهره واستخرجه كاختفاه انتهى من القاموس ببعض تصرف (قوله من الفن) كان الظاهر من النوع لان التورية نوع من أنواع فن البديع (قوله والايهام) بالمثناة من تحت وعطفه على التورية من عطف أحد المترادفين على الآخر وتسمى توجيها وتخييلا قال العمادي وأولى الاسماء التورية لقربها من مطابقة المسمى لانها مصدر وريت الخبر تورية اذا سترته وأظهرت غيره كان المتكلم يجعله وراءه بحيث لا يظهر وتسميتها بالايهام لان المتكلم يوهم السامع أول وهلة انه أراد المعنى القريب وليس كذلك (قوله التواطؤ) المتواطئ هو المتساوي الافراد ذهنية كانت أو خارجية في حصوله وصدقه عليها كالانسان والشمس وسمي متواطئا لتوافق الافراد في معناه من التواطؤ وهو التوافق

الله ورسوله نحو الرحمن على العرش استوى أريد من الاستواء معناه البعيد الذى هو
الاستيلاء دون القريب الذى هو استقرار فى المكان لاستحالته على الله تعالى انتهى
ملخصا وهذه تسمى مجردة لانه لم يذكر فيها شئ من لوازم المورى به ولا المورى عنه واما التى بها
ما ذكر فيه لازم كل منهما الا انهما تكافآ حينئذ ومنه ما فى البيت فانه ذكر فيه لازم كل
منهما بذكر اختنق وبالخفاء اذ المتبادر منه انه ليس المراد بالظهور ضد الخفاء فان ذكر
لازم أحدهما سميت مرشحة نحو والسماء بنيناها بأيد فانه يحتمل الجارحة وهو المورى به
وقد ذكر البناء ويحتمل القوة والقدرة وهو البعيد المقصود وزاد بعضهم فى حد
التورية مع صحة كل من المعنيين ولا معنى لهذه الزيادة كما علم مما تقرر فى آية الاستواء
والبناء ولعله أراد فى الجملة لا بالنظر لما الكلام فيه وعليه فوجه صحة الظهور الذى هو ضد
الخفاء هنا ان من المعلوم ان شدة قرب المرئى من العين توجب عدم ادراكها المتكدر الذهن
لما اشتد قربهم منه لم يدركوه ولا يمنع منه ان الاول عادى والثانى خارق للعادة وكالتورية
فى كونه أشرف أنواع البديع الاستخدام بل فضله بعضهم عليها ولهم فى حده عبارتان
أشهرهما أن يؤتى بلفظ له معنيان فاكثر يراد به أحد معانيه ثم يؤتى بضميره ويراد به
المعنى الآخر وروى ان أبا بكر رضى الله عنه نظر الى قدميه صلى الله عليه وسلم فى الغار
يقطران دما لانه لم يعتد الحفاء فبكى وانه دخل قبله ليقيه بنفسه وانه رأى بجحر فيه حيات
فالقمه عقبه فجعلت الحيات والافاعى تضربه وتلسعه فجعلت دموعه تنحدر وفى رواية عند
رزين فدخل صلى الله عليه وسلم وجعل رأسه فى حجره ونام فلدغ أبو بكر فى رجله فلم يتحرك
فسقطت دموعه على وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال مالك قال لدغت فتفل عليه

(قوله نحو الرحمن الخ) ومنه قوله صلى الله عليه وسلم حين سئل فى مجيئه الى بدر فقيل له ممن أنتم فلم يرد ان يعلم السائل فقال من ماء
أراد أنا مخلوقون من ماء فورى عنه بقبيلة يقال لها ماء ومنه قول أبى العلاء المعرى
وحرف كنون تحت راء ولم يكن * بدال يؤم الرسم غيره النقط   فان هذا البيت يوهم انه اراد بدال وراء مرفى الهجاء لانه
صدر بيته بذكر الحرف واتبع ذلك بالرسم والنقط وهذا هو المعنى القريب والمراد بالحرف الناقة وبحرف النون تشبيهها به فى
تقويسها وضمورها وبراء اسم الفاعل من رأى اذا ضرب الرئة وبدال اسم الفاعل من دلى اذا رفق فى السير وبالرسم أثر الدار
وبالنقط المطر (قوله المتبادر منه) أى الخفاء انه ليس المراد الخ اذ لو كان المراد ضد الخفاء لزم اجتماع الضدين تأمل (قوله لازم
أحدهما) الذى ذكره شراح بديعية ابن حجة كشرح العمادى الدمشقى ان المرشحة ما ذكر فيه لازم المورى به كما قال الشارح وهو
يقتضى ان ذكر لازم المورى عنه لا تكون التورية به مرشحة وظاهر كلام 91 الشارح حيث عبر باحدهما الصادق بكل منهما
انها تسمى مرشحة وليس كذلك
فكان عليه أن يقول فان ذكر
لازم المورى به الخ ويدل لذلك
تقريره تأمل (قوله أن يؤتى الخ)
كقوله تعالى لا تقربوا الصلاة
وأنتم سكارى حتى تعلموا الخ
فالاستخدام فى لفظ الصلاة فاحد
المعنيين الاقوال والافعال
والآخر موضع الصلاة ويدل
للاول حتى تعلموا ما تقولون وللثانى
ولا جنبا الا عابرى سبيل وكقول
بعض البلغاء فى تكلمه على صلاة
الجمعة ويصلى الجمعة بها وبالمنافقين
فاستخدم بها تين اللفظتين
الضميرتين مفهومى الجمعة وسورة
الجمعة ولا يخفاك ان المثال الاول
لا يلائم أشهر العبارتين الذى
ذكره الشارح لعدم ضمير عائد على
لفظ الصلاة بالمعنى الآخر الذى هو المكان وقد يقال الضمير محذوف من جملة المقدر اذ التقدير ولا تقربوها جنبا الخ تأمل (قوله
انه دخل الخ) فسد بثوبه ما فيه من جحر وبقى جحر فالقمه عقبه فلما أصبح قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أين ثوبك يا أبا بكر
فاخبره بالذى صنع فرفع النبى صلى الله عليه وسلم يديه فقال اللهم اجعل أبا بكر معى فى درجتى يوم القيامة فاوحى الله اليه قد
استجاب لك (قوله فلدغ) اللدغ بالدال المهملة والغين المعجمة وعكسه للنار وأما اهمالهما واعجامهما فمن المهمل الذى لا معنى له
(قوله فتفل الخ) قال بعضهم وقاه بعقبه فبورك فى عقبه ولما تفل فى عقبه سرت فى العقب بركته سراية الحياة فى الجسد ويقال
انه دعا فقال بارك الله فى عقبك الى يوم القيامة وفى الحديث ما اعطيت فضيلة الا وقد اعطيت شطرا منها حتى الشهادة فانى
أعطاها باسم أكلة خيبر ونؤتاها باسم افعى ليلة الغار وفى الحديث ما طيب ما لتمنيه بلال مؤذنى وناقتى التى هاجرت عليها
بذوجتنى ابنتك وواسيتنى بمالك كانى انظر اليك على باب الجنة تشفع لامتى وفى حديث رحم الله أبا بكر زوجنى ابنته

فذهب ما يجده وروى ان أبا بكر لما رأى القافة اشتد حزنه وقال ان قتلت فانما أنا رجل واحد وان قتلت أنت هلكت الامة فقال صلى الله عليه وسلم لا تحزن ان الله معنا أى بالمعونة والنصر فأنزل الله سكينته عليه أى أبى بكر لانه الذى انزعج وهى امنة تسكن عندها القلوب وأيده أى رسوله صلى الله عليه وسلم بجنود لم تروها أى ملائكة يصرفون أبصار الكفار عنه وبين قول نبينا ان الله معنا وقول موسى صلى الله عليه وسلم كلا ان معى ربى سيهدين ما بين مقاميهما اذ كمال الاعداد للاتباع ليس الا لنبينا كما مد الله أبا بكر بشهود المعية أيضا وقصرها موسى على نفسه وأيضا فشتان بين معية الالوهية ومعية الربوبية والمشهور انه صلى الله عليه وسلم مكث فى الغار ثلاث ليال وكان عبد الله بن أبى بكر مع صغر سنه يأتيهما ليلا بخبر قريش ثم يدلج من عندهما بسحر فيصبح كأنه بات بمكة وكان عامر بن فهيرة مولى أبى بكر يأتيهما كل ليلة بما يغذيهما من لبن واستأجرا عبد الله بن اريقط ليدلهما على الطريق ولم يعرف له اسلام فدفعا اليه راحلتيهما وواعداه غار ثور بعد ثلاث ليال فأتاهما وسار معهما عامر بن فهيرة فأخذ بهما طريق البحر (ومضى) أى قصد (المصطفى) على الخلق كلهم محمد صلى الله عليه وسلم (المدينة) المسماة بطيبة لان الله طيبها بهجرته اليها ووقعت فى طريق الهجرة غرائب منها انهم مروا بقديد على أم معبد الخزاعية وكانت تسقى وتطعم من مر بها وكانت فى سنة جدباء فطلبوا منها لبنا ولحما يشترونه فلم يجدوه فنظر الى شاة خلفها الجهد عن الغنم فسألها هل بها من لبن فقالت هى أجهد من ذلك فقال أتأذنين لى ان أحلبها قالت نعم فدعا بها فاعتقلها ومسح ضرعها وسمى الله فدرت وسقى القوم حتى رووا ثم شرب آخرهم ثم حلب فيه مرة أخرى علا بعد نهل وتركوه وذهبوا فأتى زوجها فتعجب منها فذكرت له القصة وأوصافه صلى الله عليه وسلم فقال هذا والله صاحب قريش ولو رأيته لاتبعته وأخرج ابن سعد وأبو نعيم ان تلك الشاة بقيت عندهم يحلبونها الى زمن عمر رضى الله عنه ثم تعرض لهما بقديد سراقة كما يأتى وروى البيهقى انهما اجتازا بعبد يرعى غنما فاستسقياه لبنا فأتاهما بشاة لا لبن فيها فحلبها صلى الله عليه وسلم بعد ان دعا وسقى أبا بكر ثم الراعى ثم شرب وهذا محمول على علمه بسماح المبدع على رضاه أو الجواب بان هذا مال حربى غير صحيح لان هذا قبل مشروعية الجهاد ومع عدم مشروعيته لا يحل مال أهل الحرب كما لا يحل قتالهم لان الواجب حينئذ مسالمتهم ولا تتم الا بترك التعرض لاموالهم كنفوسهم ولما سمع المسلمون

...وخلق الى دار الهجرة وصحبه فى الغار وأعتق بلالا من ماله وما انفق مال فى الاسلام ما انفق مال أبى بكر (قوله وهى أمنة) يقال أمن من باب فهم وسلم أمانا وأمنة بفتحتين من الامن ضد الخوف فهما بمعنى انتهى من المختار (قوله ثم يدلج) بتشديد الدال وهو السير آخر الليل وأما دلج بسكونها من أدلج فهو السير أول الليل قال فى المختار ادلج سار من أول الليل والاسم الدلج بفتحتين والدلجة والدلجة بوزن الجرعة والضربة وادلج بتشديد الدال سار من آخره والاسم أيضا الدلجة والدلجة انتهى (قوله راحلتيهما) اضافهما اليهما لركوبهما اياهما أو باعتبار المآل ان أريد اضافة الملكية بالنسبة لناقة رسول الله والا فهما وقت دفعهما الابن الاريقط كانتا ملوكتين للصديق ثم اشترى منه رسول الله احداهما كما سبق (قوله أم معبد) قال شيخنا الحلبى وفى كلام ابن الجوزى ان ام معبد هاجرت واسلمت وكذا زوجها هاجر وأسلم (أقول) فى شرح السنة للبغوى وهاجرت هى وزوجها وأسلم أخوها خنيس بن الاصفر واستشهد يوم الفتح وكان اهلها يؤرخون بيوم نزول الرجل المبارك انتهى ع ش وام معبد اسمها عاتكة (قوله ان احلبها) بضم اللام (قوله حلب فيه) الضمير للاناء المعلوم من المقام وفى بعض الشروح ذكر الاناء بعد قوله فدعا بها وقبل قوله فاعتقلها حيث قال فدعا بها وباناء فاعتقلها الخ (قوله علا) العلل الشرب الثانى والنهل الشرب الاول يعنى ليشربوه منه ثانيا بعد الشرب منه أولا والا فظاهر عبارة الشارح انه لم يقع شرب ثانيا بالفعل بالمدينة حيث قال وتركاه الخ (قوله فأتى زوجها) قيل لا يعرف اسمه وقيل اسمه أكثم بن أبى الجون ويقال ابن الجون انتهى من المواهب (قوله وهذا محمول الخ) ذكر ابن العربى ان أقوى الاجوبة انه صلى الله عليه وسلم أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأموالهم انتهى تأمل فيه فان دليله خاص بالمؤمنين فلا يطابق المدعى ان كان سيد العبد كافرا كما هو مقتضى الجواب الذى نقله الشارح

بالمدينة بمقدمه صلى الله عليه وسلم صاروا يخرجون كل يوم الى الحرة ينتظرونه الى قرب الظهر فانتظروه يوما وعادوا الى بيوتهم واذا بيهودى علا على موضع عال فرآه فصاح هذا جدكم أى حظكم يا بنى قيلة أى الاوس والخزرج فخرجوا اليه سراعا بسلاحهم فنزل بقباء فقام أبو بكر للناس وجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم ساكتا فكانوا يحسبون ان أبا بكر رسول الله صلى الله عليه وسلم لانه أسرع اليه الشيب مع انه أصغر سنا منه صلى الله عليه وسلم حتى اذا أصابته الشمس ظلل عليه فعرفوه وكان ذلك يوم الاثنين قبل أول ربيع وقيل ثانى عشره وقيل غير ذلك فادركه على كرم الله وجهه بقباء ولم يقم بعده بمكة الا ثلاثة أيام ثم أمر صلى الله عليه وسلم بالتاريخ فكتب من حين الهجرة وأقام بقباء أربع عشرة ليلة كما فى مسلم واسس مسجدها وهو أول مسجد بنى فى الاسلام واذا كان الاصح انه الذى أسس على التقوى من أول يوم ثم ركب من قباء يوم الجمعة وصلاها بمسجد الجمعة المشهور ثم ركب فكان كلما مر بدار من دور الانصار سألوه النزول عندهم فيقول خلوا سبيلها أى ناقته فانها مأمورة وأرخى زمامها فاستمرت الى ان بركت بموضع باب المسجد ثم سارت وهو صلى الله عليه وسلم عليها حتى بركت بباب أبى أيوب رئيس بنى النجار أخوال عبد المطلب ثم سارت منه وبركت فى مبركها الاول ثم صوتت فنزل صلى الله عليه وسلم عنها وقال هذا المنزل ان شاء الله تعالى (واشتاقت) من الشوق وهو تحرك النفس وهو هنا مجاز نحو واسأل القرية بل حقيقة اذ لا بدع فى جعل الجمادات له صلى الله عليه وسلم حقيقة بان يخلق الله فيها ادراكا حقيقيا ومنه وان من شئ الا يسبح بحمده لو أنزلنا هذا القرآن على جبل الآية وتسبيح الحصا وتأمين أسكفة الباب وحنين الجذع ونحو ذلك مما مر اذ الاصح فى مثل ذلك مالا يحيله العقل ولا الشرع حمله على حقيقته كما فى حديث ما بين منبرى وقبرى روضة من رياض الجنة ومنبرى على حوضى واذا قال جماعة واختاره بعض المحققين انه صلى الله عليه وسلم أرسل حتى الى الجمادات لتصريح خبر مسلم بذلك فى قوله صلى الله عليه وسلم وارسلت الى الخلق كافة (اليمن مكة) التى هى مولده وأم القرى وأفضلهن عند أكثر العلماء (الانحاء) اى الجهات والنواحى لانها كانت معمورة باقامته صلى الله عليه وسلم فاستوحشت لفقده وبينها والانحاء جناس الاشتقاق ان قلنا ان الانحاء جمع ناحية بمعنى منحوة اى مقصودة ورد العجز على الصدر وكذا بين تغنت والغناء ونادى والنداء الآتيان (وتغنت بمدحه) اى اظهرت اوصافه الجميلة

(قوله الى الحرة) هى أرض ذات حجارة سود (قوله جدكم) بفتح الجيم (قوله بقباء) ممدود موضع بالحجاز يذكر ويؤنث انتهى مختار (قوله واذا كان الاصح الخ) ومقابله ما قيل انه مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم (قوله من أول يوم) أى من أيام وجوده (قوله يوم الجمعة) هذا يشكل على ما تقدم انه نزل يوم الاثنين وأقام أربع عشرة ليلة اذ مقتضاه ان يكون ركوبه يوم الاثنين والا فيوم الجمعة ثانى عشر يوم نزوله فلا يلائم مسألة اقامته التى ذكرها والاشكال ظاهر على ما ذكر من اقامته بقباء أربع عشرة ليلة وهو قول ذكره الشمس القسطلى أيضا فى مولده ثم ذكر قولا آخر لا اشكال معه حيث قال والمشهور عند أصحاب المغازى ما ذكره ابن اسحق انه أقام بها الاثنين والثلاثاء والاربعاء والخميس ثم خرج منها ضحى يوم الجمعة فادركته صلاتها فى الطريق فصلاها فى بنى سالم بن عوف فى المسجد الذى فى بطن الوادى بمن كان معه من المسلمين وهم مائة فكانت أول جمعة صلاها بالمدينة انتهى بحروفه ثم ان كان بطن الوادى الذى صلى بها داخل المدينة كما هو ظاهر قوله فكانت أول جمعة فلا اشكال على مذهبنا وان كان خارجها ولم يكن فى ابنية بها أربعون مقيمون اشكل عليه (قوله ان قلنا ان الانحاء الخ) انظر القول المقابل له ما هو (قوله ورد العجز على الصدر) ويسمى التصدير بان يأتى الشاعر بكلمة فى صدر بيته ثم يعيدها فى آخره بلفظها ومعناها أو بلفظها دون معناها أو بمعناها أو بما وافقها فى المادة وان اختلف صورة ومنه قول الشاعر

يسار من سجيتها المنايا • ويمنى من عطيتها اليسار ومنه قول الصفى الحلى فى بديعيته • فرحت عن سرى فاظهرت سر أثر القلب الامن حديث كى

ويقولى تبعا لبعض أهل البديع أو بعيد ما انه يدخل بيت الناظم ومنه قول ضرائب ابدعتها فى السماح • فلسنا نرى لك فيها ضريبا والضرائب جمع ضريبة أى طبيعة والضريب المثيل والضرب المثل

(قوله فى صورة الغناء) فى القاموس ان الغناء الصوت المطرب (قوله ذلك الغناء) بكسر الغين والمد وامابفتحها والمد فمعناه النفع وبكسرها والقصر فمعناه اليسار مقابل الفقر (قوله فيا لقصى) أى ادعوكم لاتعجب منكم فيما اغفلتم من حظكم واضعتم من عزكم بعصيانكم رسول الله والجائكم اياه الى الخروج من بين اظهركم ويلى هذا البيت بيت وجدته فى شرح تائية السبكى وهو قوله فما حملت من ناقة فوق ظهرها • ابر واوفى ذمة من محمد (قوله مازوى) بفتح الزاى والواو أى جمع وقبض (قوله به) أى بخروجه من بين اظهركم فحذف المضاف للعلم به (قوله من فعال) وفى نسخة من فعال بفتح الفاء وتخفيف العين وهو الكرم وبكسر الفاء جميعا انتهى

(قوله لايجارى) ضبط بالراء والزاى (قوله وسودد)

فى صورة الغناء التى تتولع به النفس ولايصير فيها مقنع لغيره (الجن) المؤمنون ومرت قصة ايمانهم وارساله صلى الله عليه وسلم الى جميع الجن أمر معلوم من الدين بالضرورة فيكفر منكره كما اجمع عليه الامة (حتى اطرب الانس) المؤمنين بل وغيرهم (منه) اى الغناء (ذلك الغناء) الذى سمعوه والطرب خفة تعترى الانسان عند شدة حزن أو سرور ذكر أهل السير عن أسماء بنت أبى بكر رضى الله عنهما انها قالت لما خفى علينا أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أتانا نفر من قريش فيهم أبوجهل فقال أين أبوك قلت والله لاأدرى فلطم خدى لطمة خرج منها قرطى والم ندر أين توجه رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى رجل من الجن يسمعون صوته ولايرونه وأنشد هذه الابيات

جزى الله ربُّ الناس خير جزائه • رفيقين حلا خيمتى ام معبد

هما نزلا بالبر ثم ترحلا • فافلح من أمسى رفيق محمد

فيالقصى مازوى الله عنكم • به من فعال لايجارى وسودد

ليَهْنِ بنى كعب مكانُ فتاتهم • ومقعدها للمؤمنين بمَرْصَد

سلوا اختكم عن شاتها واناتها • فانكم ان تسألوا الشاة تشهد

دعاها بشاة حائل فتحلبت • له بصريح ضَرَّةُ الشاةِ مُزْبِدِ

الضرة لحمة الضرع والصريح بمهملتين أوله وآخره الخالص أى بلبن خالص مزبد نازل من ضرة الشاة

فغادرها رهنا لديها لحالب • يرددها فى مصدر ثم مورد

أى خلف الشاة عندها مرتهنة بان تدر قالت أسماء فلما سمعنا قول الجن علمنا أين توجه النبى صلى الله عليه وسلم (و) لما وصل صلى الله عليه وسلم فى سفر هجرته الى قديد محل قريب من رابغ (اقتفى) أى تبع (أثره سراقة) بن مالك بن جعشم المدلجى قال جاءنا رسل كفار قريش يجعلون فيهما ان قتلا أو أسرا ديتين فركبت مستخفيا فلما دنوت منهما

بضم السين واسكان الواو مصدر يقال ساد سيادة وسوددا (قوله ليهن بنى كعب) أى الذى أم معبد منهم لانها كعبية خزاعية (قوله بمرصد) المرصد بوزن مذهب موضع الرصد يقال رصد الشئ أى رقبه اذا الراصد الراقب للشئ وبابه نصر فالمصدر رصد بسكون الصاد ورصد أيضا بفتحتين كما فى المختار (قوله فغادرها) أى تركها (قوله رهنا) أى ثابتة تقول رهنت الشئ عنده أى اثبته وبابه قطع (قوله فى مصدر) أى فى مكان رجوعها يقال صدر عن الماء وعن البلاد أى رجع وبابه نصر ودخل وقوله مورد من الورود ضد الصدر أى مكان ورود الماء (قوله ولما وصل الخ) فيه ان اقتفاء أثره كان قبل وصوله من حين جاءه رسل قريش (قوله سراقة) هو الذى ألبسه عمر رضى الله عنه سوارى كسرى وقال الحمد لله الذى سلبهما كسرى وألبسهما سراقة وهو صحابى اسلم عند رسول الله صلى الله عليه وسلم حين انصرف من الطائف وكان شاعرا مجيدا توفى رضى الله عنه فى أول خلافة عثمان سنة أربع وعشرين وقيل بعد عثمان اه شرح الشفاء قال فى نور النبراس والصحيح الاول وقد تقدم فى الكتابة على شرح قول الناظم وتداعى ايوان كسرى ماقيسه زيادة على ذلك فيما يتعلق بسراقة رضى الله عنه فراجعه ان شئت (قوله ابن جعشم) بفتح الجيم والشين كجعفر الوسط وكقنفذ وجندب القصير الغليظ الشديد والطويل الجسيم ضد اه قاموس

عفرت

عثرت بي فرسي فخررت ثم قمت وركبته حتى اذا سمعت قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهو لا يلتفت وأبو بكر يلتفت فبكى أبو بكر وقال يا رسول الله اتينا قال كلا ودعا رسول
الله صلى الله عليه وسلم بدعوات (فاستهوته فى الارض صافن) أى طلبت أن تهوى به فيها
هذا مقتضى الصيغة وليس مرادا بل السين لمجرد التأكيد لان الذى فى القصة انه صلى
الله عليه وسلم لما دعا بتلك الدعوات غاصت قوائم فرسه فى الارض حتى بلغت الركبتين
فخر عنها ثم زجرها فنهضت ولم تكد تخرج يديها فلما استوت قائمة كان لاثر يديها غبار
ساطع فى السماء كالدخان والصافن من الخيل الذى يقوم على ثلاثة قوائم ويقيم الرابعة
على طرف الحافر (بردائه) أى بحقيقة الشعر قصيرة وهى ممتدح فى الخيل وأصله
الشجرة التى قلم ورقها فاستعير للفرس (ثم ناداه) أى سراقة النبى صلى الله عليه وسلم بعد
ما وصل اليه وقال الامان يا محمد (بعدما) مصدرية (ساخت) القرس (الخسف) بفتح أوله
وضمه قال الشارح فى موضع أى أولته ذلا وقال فى آخر أى بعد اصابة الخسف الفرس
أى بعد حصول الذل للفرس المذكورة وكأن الحامل له على هذا ان ظاهر النظم انه
لم يخسف بالفرس حقيقة وليس كذلك لما علمت ان قوائمها غاصت فى الارض فحصل لها
الخسف الحقيقى لكن لبعضها فعبر الناظم بسيخ الخسف بالنظر الى كلها أى سيخ أن
يخسف بها كلها وحينئذ لا يحتاج الى ما قاله الشارح فتأمله ثم رأيت بعضهم صرح بنحو
ما ذكرته فقال يقال سامه خسفا أولته ذلا أو كلفته مشقة ويحتمل أن يراد بعدما قاربت
أن يخسف بها (و) من الحكم المناسبة هنا لانها كالسبب لما قبلها فهو تذييل انه (قد
ينجد الغريق النداء) أى الدعاء معها بانكسار وتذلل كما وقع ليونس صلى الله عليه وسلم قال
تعالى وذا النون اذ ذهب مغاضبا فظن أن لن نقدر عليه أى نضيق عليه بسبب مغاضبته
وفراقه لقومه لا بانهم عليه فنادى فى الظلمات الآية والنداء رفع الصوت لطلب
تخليصه لانه قد لا يعلم تخليصه او لا يعبأ به احد فاذا رفع صوته ونادى وصاح تنبه الناس له
وانقذوه ولما طلب الامان قال اعلم انكما قد دعوتما على فادعوا الى ولكما على ان أرد الناس
عنكما ولا اضركما قال فوقف فركبت فرسى حتى جئتهما قال ووقع فى نفسى حين لقيت
ما لقيت ان سيظهر امر رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبرتهما اخبار ما يريد بهما الناس
وعرضت عليهما الزاد والمتاع فلم يرزآنى اى لم يأخذا منى شيأ وقالا اخف عنا فسألته كتابا
آمن به فامر عامر بن فهيرة فكتب لى فى ورق وقيل فى عظم وقيل فى رق والرق على قول من
قال من أدم اخرجها له يوم حنين فنفذها وأمنه ومن يلوذ به ٭(تنبيه)٭ ذكر الناظم
الهجرة وبعض ما وقع فيها من المعجزات مع انه سيذكر وقائع وقعت له قبل الهجرة
كالاسراء وكان مقتضى الواقع ان يذكر هذه كلها قبل ذكر الهجرة ليوافق الترتيب فى
الذكر الترتيب فى الواقع ولعله اهتم بشأن الهجرة فقدمها لتنبيه النفس الى حكمة ذلك

(قوله عثرت) قال فى المختار وقد عثر فى ثوبه يعثر بالضم عثارا بالكسر ويقال عثر به فرسه فسقط وعثر عليه اطلع وبابه نصر ودخل انتهى وفى القاموس عثر كضرب ونصر وعلم وكرم عثرا وعثارا وتعثر كبا ثم قال والعثور الاطلاع كالعثر واعثره اطلعه وعثر كنب انتهى (قوله ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بدعوات) وهى اللهم اكفنا أمر سراقة بما شئت وكيف شئت وانى شئت (قوله أى طلبت الخ) سيأتى تذكيرها فى قوله الذى يقوم الخ فيفيد انها تذكر وتؤنث قال فى القاموس والفرس المذكر والانثى (قوله فاستعير للفرس) كان الاولى شبه به الفرس لوجود الطرفين وقد يقال مراده أطلق عليها لا الاستعارة الاصطلاحية (قوله ثم رأيت بعضهم) هو شارحها أحمد بن الاقطع المالكى أى بنحوه ويحتمل أن يريد الخ والا فيصير عبارته كعبارة الشارح التى نقلها عن الشارح فتأمل (قوله أى نضيق عليه) والافلن نقدر عليه لا يتوهمه مؤمن فضلا عن هذا الرسول صلى الله عليه وسلم ومغاضبا من بناء المغالبة للمبالغة أو لانه أغضب قومه بالمهاجرة لخوفهم لحوق العذاب عندها وقرئ مغضبا انتهى من البيضاوى وقال على قوله أن لن نقدر عليه لن نضيق عليه أو لن نقضى عليه بالعقوبة من القدر ويعضده انه قرئ مثقلا أو لن نعمل فيه قدرتنا انتهى (قوله فلم يرزآنى) بتقديم الراء المهملة على الزاى المعجمة بعدها همزة فالف لينة هى ضمير التثنية

وهى انه انقطع بها عنه صلى الله عليه وسلم كل أيذاء كان يصل اليه من قريش وترتب عليها الظفر بهم حتى استأصل شأفتهم اى بقيتهم وقطع بادرتهم (فطوى الارض) فى حال كونه (سائرا) عليها (و) هذا كما طويت له قبل ذلك (السموات العلى) لما كان (فوقها له اسراء) ليلة الاسراء الى ان جاوزها جميعا فى اسرع وقت فقطع مسيرة ثمانية آلاف سنة فى اسرع وقت اذ بين السماء والارض خمسمائة سنة وكذا سمك كل سماء وما بين كل سماءين هذا بالنسبة الى السماء السابعة واما ما بينها وبين ما وصل اليه مما كان فيه قاب قوسين او ادنى فلا يعلمه الا الله تعالى فبالهما من مسيرين مسير فى الارض ومسير فى السماء اظهر الله عليه فيهما اعظم قدره فى سيره واسرائه وافضلية تقدمه على جميع خلقه فى ارضه وسمائه قال بعض الائمة والمعاريج ليلة الاسراء عشرة سبعة فى السموات والثامن الى سدرة المنتهى والتاسع الى المستوى الذى سمع فيه صريف الاقلام فى تصاريف الاقدار والعاشر الى العرش والرفرف والرؤية وسماع الخطاب بالمكافحة والكشف الحقيق وقد وقع له صلى الله عليه وسلم فى سنى الهجرة العشر مما كان منها مناسبات لطيفة لهذه المعاريج العشر ولهذا ختمت بوفاته التى فيها اللقاء ربه والعروج بروحه الكريمة الى الوسيلة وهى المنزلة التى لا ارفع منها كما ختمت معاريج الاسراء باللقاء والحضور بحضرة القدس (فصف) أيها الناظر فى شمائله صلى الله عليه وسلم وخصوصا عموما أكرمه الله به تلك (الليلة) وهى ليلة الاثنين أو الجمعة أو السبت من رمضان أو شوال أو رجب وبه جزم النووى فى الروضة أو الحجة أو ثالث عشر ربيع الآخر وجرى عليه النووى فى فتاويه أو من ربيع الاول وجرى عليه فى شرح مسلم بعد المبعث بخمس سنين ورجحه النووى أو بعشر أو باحدى عشرة أو ثنتى عشرة أقوال ارجح كما قوم (التى) وقع ذلك الاسراء فيها من مكة الى بيت المقدس

(قوله استأصل شأفتهم) الشأفة قرحة تخرج فى أسفل القدم فتكوى فتذهب يقال فى المثل استأصل الله شأفته أى أذهبه كما أذهب الله تلك القرحة بالكى انتهى مختار وهى بشين معجمة وهمزة ساكنة وفاء مخففة وتاء فوقية (قوله كما طويت الخ) هذا يقتضى ان وصوله الى المدينة على خلاف العادة كوصوله لمكان سمع فيه الخطاب من غير واسطة ورأى فيه ربه بعين بصره ليلة الاسراء وفى مولد النجم الغيطى ما يقتضى خلافه وان سيره فى الهجرة الى المدينة على العادة حيث ذكر انه خرج من مكة يوم الخميس هلال ربيع الاول ودخل قباء يوم الاثنين ثانى عشره فتكون مدة سيره عشرة ايام كاملة وبعض يوم دخوله ويمكن ان يجاب بان الطى لا يلزم ان يكون سيرا على خلاف العادة قال فى القاموس طوى البلاد قطعها وطوى الله البعد لنا قربه انتهى وما هنا من الاول بخلاف طى السموات المشبه به فانه من الثانى فتأمل ثم ان قوله كما طويت قد تغير به اعراب المتن فكان الاولى ان يقول كما طوى مع ما علمت فيه اول القولة من عدم ظهور التشبيه (قوله مسيرة) مصدر ميمى بمعنى السير كالمعيشة بمعنى العيش فليست التاء للوحدة (قوله ثمانية آلاف) فيه ان سمك السموات السبع وما بينها وما بين الارض والسماء الاولى سبعة آلاف فقط وسيأتى فى الشرح فى رواية لم تثبت كسائر روايات الحجب انه زج به فى النور فخرق سبعين الف حجاب كل حجاب مسيرة خمسمائة حجاب (قوله والمعاريج ليلة الاسراء عشرة) فى معراج الشهاب القليوبى التصريح بنصب جبريل المعراج من الارض الى فوق سدرة المنتهى وفيه ايضا ان درجاته ثمان الاولى صعد عليها رسول الله ومعه جبريل فارتفعت بهما الى السماء الاولى وهكذا الى الثامنة ثم قال فيها صعدت بهما الى الكرسى ثم الى فوق سدرة المنتهى قيل بدرجة تاسعة وقيل بلا درجة وهو اقرب لانها داخل الكرسى ثم زج به اى دفعه جبريل فى النور فخرق الله له سبعين الف حجاب الى آخر ما ذكره وظاهر كلامه انه ليس هناك ما يعرج عليه بعد سدرة المنتهى وكلام الشارح يقتضى وجود ذلك فحرر والمعراج من جنة الفردوس منضد باللؤلؤ (قوله الى المستوى) بفتح الواو اى المصعد اى المكان العالى كما فى نور النبراس (قوله صريف الاقلام) اى صوتها (قوله والرفرف) قال فى القاموس الرفرف شئ يشبه الطاق (قوله بالمكافحة) اى المباشرة من غير واسطة (قوله الى بيت المقدس) بفتح الميم واسكان القاف وكسر الدال ويقال البيت المقدس بضم الميم وفتح القاف والدال المشددة اى المطهر وعلى اللغة الاولى يحتمل ان يكون مصدرا وان يكون اسم مكان والمعنى على الاول بيت الطهارة وعلى الثانى بيت مكان الطهارة وتطهيره ==

ثم منه الى السماء ثم الى حيث شاء الله وما رأى من آيات ربه الكبرى أى اذكر صفاتها
الجليلة بما عكنك والاجمال أن تستوعبها او ان تأتى بتفصيل ما يحيط بها كيف وقصة
الاسراء والمعراج من اشهر المعجزات واظهر البراهين والبينات واقوى الحجج واصدق
الانباء واعظم الآيات ومن ثم قال بعض المفسرين انها افضل من ليلة القدر لكن بالنسبة
له صلى الله عليه وسلم لانه اوتى فيها ما لا يحيط به الحد ولما كان الاسراء بالجسم فى اليقظة
من خصائص نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وخالف فى كونه بالجسم وكونه فى اليقظة من
لا يعتد بخلافه وزعم تعدد الاسراء لتباين الروايات فيه تباينا متعسرا ولا يمكن الجمع بينها
الا بدعوى التعدد بالجسم تارة والروح اخرى مردود والاصح انه اسراء واحد بالجسم
والروح فى اليقظة وان ما خالف الجادة من الروايات ان امكن تأويله تعين والا حكم عليه
بانه وهم كرواية ان الاسراء كان قبل البعثة فان الاجماع على انه بعدها على انه أول
و (كان المختار) صلى الله عليه وسلم (فيها) عجائب منها انه جاءه جبريل وفى رواية وميكائيل
وفى اخرى ذكر ثالث ولا مانع ان جبريل نزل اولا ثم ميكائيل ثم الثالث بالحطيم او شعب ابى
طالب أو بيته او بيت ام هانئ بعد ان انفرج سقفه وروايات جمع بينها بانه بات فى بيت ام
هانئ وبيتها عند شعب ابى طالب واضيف اليه لانه كان يسكنه فاخرجه الملك منه الى
المسجد فاضطجع لاثر نعاس كان به ثم اخذه فاخرجه من المسجد فاركبه البراق فاستمرت
يقظته ورواية انه كان بين النائم واليقظان محمولة على ابتداء الامر ورواية فلما استيقظت
اى من شغل البال بمشاهدة الملكوت وحكمة كونه لم يأت من باب البيت انه انصب من
السماء انصبابة واحدة بازاء محله الذى هو فيه فلم يعرج على غيره مبالغة فى المناجاة وتنبيها
على ان الطلب وقع على غير ميعاد ولاظهار انه مراد ووقع فى موسى بميعاد تنبيها على انه
مريد وشتان ما بينهما وايضا فى فرج سقف البيت والتئامه عقبه تنبيه على شق صدره
الشريف تلك الليلة وانه لا بأس عليه فيه ومرت قصة شقه هناك عند ذكر الناظم لشقه
عقب رضاعه عند حليمة ومنها ان الملك لما اخرجه من المسجد اركبه (على البراق) فكان
له عليه (استواء) اى استقرار وتمكن مع انه لم يركبه قبل ذلك ولا هو من جنس ما يركبه
الآدميون وهو كما صح به الخبر دابة اى يشبهها اذ هو ليس بذكر ولا انثى دون البغل وفوق
الحمار ابيض يضع خطوه عند أقصى طرفه وذكر باعتبار كونه مركوبا وسمى بذلك من
البرق لسرعة سيره او من البريق او من قولهم شاة برقاء اذا كان فى خلال بياضها سواد
وقوله يضع خطوه الخ معناه أنه يضع رجله عند منتهى ما يرى بصره وقال ابن المنير أى
يقطع ما انتهى اليه بصره فى خطوة واحدة قال فعلى هذا يكون قطع من الارض الى السماء
فى خطوة واحدة لان بصره الذى فى الارض يقع على السماء فبلغ أعلى السموات فى سبع
خطوات انتهى وهذا انما يأتى على رواية فحملت عليه أى البراق حتى انطلق بى جبريل
الى السماء الدنيا اذ ظاهرها انه استمر عليه حتى وصل الى السماء والمشهور انه استمر عليه

= اخلاؤه من الاصنام او المراد
الطهارة من الذنوب (قوله على انها
اولت) ومما اولت به ان المراد
بالبعثة قبل ان يوحى اليه فى شأن
الاسراء والمعراج اى وقع ذلك
بغتة قبل ان ينذر به انتهى قسطلى
فى معراجه (قوله جمع بينها الخ)
الجمع ظاهر بالنسبة لغير القول
بالمجىء والنزول بالحطيم اذ لم يكن
نزوله ومجيئه له به بل قبله فتدبر
(قوله الى المسجد) اى الى الحطيم
منه ليتم الجمع (قوله اى تشبهها اذ
هو الخ) فيه انه لا يحتاج لذلك
الا ان كانت التاء للتأنيث وليس
كذلك بل هى للوحدة (قوله يضع
خطوته) وفى نسخة حافره وهى
واضحة لان الخطوة بالفتح هى
نقل القدم وبالضم ما بين القدمين
وذلك المعنى غير ظاهر هنا ولذلك
احتاج الشارح الى حمل اللفظ
على غير ظاهره بقوله معناه انه
يضع الخ

الى بيت المقدس ثم نصب له المعراج كما يأتى وفى رواية لابى يعلى والبزار اذا أتى على جبل ارتفعت رجلاه واذا هبط ارتفعت يداه وفى رواية شاذة له جناحان واخرى ضعيفة له خد كخد الانسان وعرف كعرف الفرس وقوائم كقوائم الابل واظلاف وذنب كالبقر وكان صدره من ياقوتة حمراء وفى رواية صحيحة اتى به مسرجا ملجما فاستصعب عليه فقال له جبريل ما حملك على هذا ما ركبك قط أكرم على الله منه فارفض عرقا وظاهرها كصريح رواية النسائى وابن مردويه وكانت تسخر للانبياء قبله ان الانبياء كانوا يركبونها ولم يطلع عليها بعضهم فنفى ركوب غيره صلى الله عليه وسلم لها فاستصعابه ليس لعدم الفة الركوب بل لبعد عهدها به اوليظهر جبريل له من تبه صلى الله عليه وسلم وانها علت على سائر المراتب وانما لم يكن البراق على شكل الفرس اشارة الى ان ركوبه فى سلم وأمن لا حرب ولا خوف والى ظهور المعجزة بوقوع هذا الاسراع الباهر من دابة على هذا الشكل وصح ان جبريل حمله على البراق رديفاه ورواه احمد بلفظ على ظهره هو وجبريل حتى انتهيا الى بيت المقدس واول بعضهم ذلك بالاحاجة اليه اذ ركوب جبريل معه لا ينافى كونه فى خدمته وصح انهما مرا بيثرب فامره أن ينزل ويصلى وبمدين فامره بذلك وبيت لحم الذى ولد فيه عيسى عليه الصلاة والسلام فامره بذلك واراه عجائب اخرى الى ان وصل الى بيت المقدس فنزلا وربطه اى جبريل كما مر فى رواية لكن فى اخرى النبى صلى الله عليه وسلم ويجمع باحتمال انهما ربطاه معا بالحلقة التى كانت الانبياء تربطه بها ثم دخل وبعث له جماعة من الانبياء فصلى بهم وصح فى رواية أتى بارواح الانبياء أى مع اجسادهم لرواية ثم دخلت المسجد فعرفت النبيين ما بين قائم وراكع وساجد ثم أذن مؤذن فاقيمت الصلاة فقمنا صفوفا ننتظر من يؤمنا فاخذ بيدى جبريل فقدمنى فصليت بهم وفى رواية لاحمد فاذا النبيون اجمعون يصلون معه وفيها زيادة على رواية جماعة فيؤخذ بتلك الزيادة وفى حديث ما يدل على انه صلى صلى الله عليه وسلم بهم فى بيت المقدس بعد العروج أيضا وتلك الصلاة قبل الصبح أى بناء على انه صلى فيه بعد العروج وقبل العشاء أى بناء على انه صلى فيه قبله ولما فرغ من امامتهم نصب له المعراج كما فى رواية ابن هشام والبيهقى وغيرهما ووضعت له مرقاة من فضة ومرقاة من ذهب وعن يمينه ملائكة وعن يساره ملائكة ثم صعد فيه هو وجبريل حتى انتهيا الى باب سماء الدنيا فاستفتحاه ففتح لهما وهكذا الى السماء السابعة ورأى فى السماء الاولى آدم وعن يمينه أرواح المؤمنين فاذا نظر اليهم ضحك وعن يساره أرواح بنيه الكفار فاذا نظر اليهم بكى أى انه يكشف له عنهم وهم فى النار التى هى مستقر أرواحهم والنيل والفرات أى انتهاؤهما

(قوله فارفض) اى سال وجرى والمعنى فتبرأ من الاستصعاب وعرق من خجل العتاب (قوله وكانت تسخر للانبياء) ثم كونه مسرجا ملجما لم يرد لغيره من الانبياء عليهم الصلاة والسلام انتهى من معراج الغيطى (قوله وبمدين) بفتح الميم وسكون الدال المهملة وفتح المثناة التحتية بلد بالشام تلقاء غزة سميت باسم مدين بن ابراهيم عليه الصلاة والسلام (قوله بالحلقة) بسكون اللام على اللغة الفصحى وحكى فتحها وجمعها على الفتح حلق وحلقات وعلى السكون حلق بفتح الحاء وكسرها (قوله أى مع أجسادهم) سيأتى له قريبا أقوال ثلاثة ولعله اقتصر على هذا القول هنا لرجحانه عنده (قوله ثم أذن الخ) ان كان المراد بالأذان والاقامة المعروفين ففيه انهما لم يشرعا الا بعد فرض الصلاة (قوله فقدمنى فصليت بهم) تقدم للشارح فى شرح قول الناظم ثم قام النبى يدعو الى الله نقلا عن فتح البارى انه افترض قبل الاسراء صلاة قبل طلوع الشمس وصلاة قبل غروبها فراجع ما هنالك وما كتبناه ثم (قوله قبل الصبح بناء الخ) فيه ان أول صلاة صلاها بعد العروج الظهر وقوله وقبل العشاء بناء الخ فيه ان الصلاة لم تكن فرضت حينئذ والتأويل ممكن (قوله مرقاة) بالكسر والفتح أى درجة فمن كسر شبهها بالآلة التى يعمل بها ومن فتح جعلها موضع الفعل (قوله وهم فى النار) كان الظاهر ان يقول وهم فى الجنة والنار ليشمل أرواح المؤمنين (قوله أى انتهاؤهما) أى انتهاء اضافيا والا فانتهاؤهما الحقيقى فى الارض

والا فابتداؤهما من سدرة المنتهى وفى الثانية يحيى وعيسى وفى الثالثة يوسف وفى حديث البيهقى وغيره فاذا أنا برجل أى يوسف أحسن ما خلق الله وقد فضل الناس بالحسن كالقمر ليلة البدر على سائر الكواكب والمراد غير نبينا محمد صلى الله عليه وسلم لخبر الترمذى ما بعث الله نبيا الا حسن الوجه حسن الصوت وكان نبيكم احسنهم وجها واحسنهم صوتا على ان للاصوليين قولا مشهورا اعتمده النووى فى موضع واعتمده آخرون أيضا ان المتكلم لا يدخل فى عموم كلامه ومن ثم قال بعض المحققين المراد اعطى شطر الحسن الذى اوتيه نبينا صلى الله عليه وسلم وفى الرابعة ادريس وفى الخامسة هرون وفى السادسة موسى وفى السابعة ابراهيم وهذه مقدمة على رواية لم تضبط بمنازلهم وعلى رواية ادريس فى الثانية وهرون فى الرابعة وابراهيم فى السادسة وموسى فى السابعة لان سياقها يدل على انه لم يضبط منازلهم كما صرح به الزهرى فالاولى التى فيها انه ضبطها على انه يجمع بين الروايات المختلفة فى ذلك بانه رآهم فى الصعود على كيفيات وفى الهبوط على كيفيات أخر فلما جاوز موسى بكى فقيل ما يبكيك قال رب هذا غلام بعثته بعدى يدخل من أمته الجنة أكثر مما يدخل من أمتى وبكاؤه ليس حسدا حاشاه الله من ذلك بل غبطة وحزنا على ما فاته من مضاعفة أجوره ونبينا صلى الله عليه وسلم بكثرة اتباعه وصالحيهم الى ما لا نهاية لها او رحمة لامته لما وقع منهم بعده مما لم يقع نظيره لهذه الامة وذكره بغلام لانه اصغر منه سنا أولان قوة الشباب معه الى سن الشيخوخة وحكمة تخصيص هؤلاء بالقاء الاشارة بكل الى ما سيقع له كالاخراج من الجنة ثم العود اليها والهجرة من مكة ثم العود اليها وكمعاداة اليهود له أوائل الهجرة كما عادوا عيسى وأرادوا قتله ويحيى وقتلوه وكرجوع قومه الى محبته كما رجع قوم هرون الى محبته وكما لقيه لقومه كما عالج موسى قومه وكتمكنه من مكة والكعبة وتعظيمها كما وقع لابراهيم ومن ثم رآه مسندا ظهره الى البيت المعمور الذى بحيال الكعبة ويدخله من يوم خلق الله الخلق الى يوم الابد كل يوم سبعون ألف ملك فلا يعودون اليه وأخذ منه ان الملائكة اكثر المخلوقات واختلفوا فى رؤيته لهؤلاء الانبياء عليهم الصلاة والسلام فقيل لارواحهم الا عيسى فانه رفع بجسده وكذا ادريس على قول واختلف قائلو هذا فى الذين صلوا معه فى بيت المقدس فقيل الارواح أيضا وقيل بل الاجساد وقيل خرق الله لهم الحجب حتى رأى كلا فى قبره من المحل الذى اخبر به وقيل رفعوا من قبورهم تلك الليلة لتلك المواضع اكراما له صلى الله عليه وسلم وبعد ان جاوز السماء السابعة رفعت له سدرة المنتهى فرآها وقد غشيها من أمر الله ما غشى حتى تغيرت فما أحد من خلق الله يستطيع ان ينعتها من حسنها ورأى النيل والفرات وسيحان وجيحان تخرج من أصلها ورواية انها من الجنة

(قوله وفى الثانية يحيى وعيسى) وحكمة قرن عيسى بيحيى مع ان فى كل سماء نبيا واحدا ان السيد عيسى ينزل فى آخر الزمان فيبقى يحيى فلا تخلو سماء من نبى انتهى (قوله وحكمة تخصيص الخ) لم يذكر حكمة لقاء ادريس (قوله البيت المعمور) ويسمى الضراح بالضاد المعجمة واهمال الها غلط وآخره حاء مهملة أى البعيد سمى بذلك لبعده عن الارض وسمى بالمعمور لكثرة عماريه بدخول الملائكة فيه وتعبدهم عنده كذا فى المفهم القرطبى (قوله ويدخله الخ) وفى تفسير الكواشى يدخله كل يوم سبعون ألف دحية مع كل دحية سبعون ألف ملك انتهى والدحية بالكسر رئيس الجند وابن خليفة الكلبى ويفتح كذا فى القاموس (قوله سدرة المنتهى) ومغرسها يحتمل انه فى الهواء وانه فى الجنة (قوله والفرات) بالتاء الممدودة فى الخط وفى النطق وصلا ووقفا خطأ بالهاء خطأ ومعناه الماء العذب جدا وهو نهر بالكوفة (قوله وسيحان) وعبارة الوافى بالوفيات ما نصه سيحون بفتح السين المهملة وسكون الياء المثناة تحت وضم الحاء وسكون الواو وبعدها نون وهو وراء سيحون مما يلى بلاد الترك وجيحون بفتح الجيم وسكون الياء المثناة تحت وضم الحاء المهملة وسكون الواو وبعدها نون نهر عظيم فاصل بين خوارزم وبلاد خراسان وبين بخارى وسمرقند وما داناها فكل من كان من تلك النواحى فهو ممن وراء النهر اذ النهر فى كلامهم هو جيحون وهذان النهران مع عظمهما يجمدان فى زمن الشتاء وتمر القوافل عليهما وتجمدان على ذلك بمقدار ثلاثة أشهر

(قوله الى مستوى) هو بفتح الواو كذا قيده النووى وهو بأصل تعلمنا البخارى ومسلم منون وهو المصدر وهو المكان العالى انتهى من نور النبراس (قوله صريف الاقلام) أى تصويتها حالة الكتابة والمراد بالكتبة الملائكة يكتبون اقضية الله والقدر المكتوب قديم والكتابة حادثة وظاهر الاخبار ان اللوح المحفوظ فرغ من كتابته وجف القلم بما فيه قبل السموات والارض وانما فيه الكتابة فى صحف الملائكة كالفروع المتنسخة من الاصل وفيها الاثبات والمحو على ما ذكر فى الاثر انتهى من المواهب (قوله ما بين مقبضه) بكسر الباء كمجلس كما فى المختار (قوله فى الآية مقلب) ليس المراد بالقلب التقديم والتأخير بل المراد تبديل المفرد بالمثنى والمثنى بالمفرد كما أشار اليه بالتفسير (قوله بأنه لايتعين ذلك) أى التقرير المؤدى الى دعوى القلب (قوله بل المراد) أى فى الآية كما هو ظاهر عبارته وهذا مناف لما سيأتى فى قوله واعلم ان التدلى الخ حيث جزم بان الدنو والتدلى فيها فى حق جبريل وسيأتى ذكر خلاف الائمة فى ذلك باختصار فلو جرى على ما سيأتى لقال بل المراد تشبيه قرب جبريل من النبى بقرب الخ فتدبر ما سيأتى يظهر لك المقام ثم ان أصل هذا التشبيه ان الحليفين من العرب كانا اذا أرادا عقد الصفاء والعهد خرجا بقوسيهما فألصقا بينهما يريدان بذلك انهما متظاهران يحامى كل منهما عن صاحبه (قوله بقرب قاب القوس) أى فيكون قاب مفردا مضافا للمثنى القابين أى قابى قوسين فغايرة هذا المراد لما قبله فى الشارح واضحة (قوله أى مقدار قوسين) وقال عبد الله بن مسعود قاب قوسين قدر ذراعين والقوس الذراع التى يقاس بها من قاس يقيس انتهى من تفسير الخازن (قوله وقاب القوس الخ) هذا من جملة قول ثم بعضهم مشيرا به الى تقدير مضاف وهو طول فعلى هذا القول القاب بمعنى المقدار وفى الكلام مضاف محذوف (قوله وقيل قدر الوتر منها) هذا كقول بعضهم المذكور واغا لنا لفه فى بيان المضاف فقى ذاك لفظ طول وفى هذا لفظ وتر فتلخص من كلام الشارح تقرير رابع لقوله قاب قوسين (قوله لكن صحت الاحاديث الخ) هذا هو المشهور المعتمد فتحمل رواية البخارى على ان راويها اسقط منها ما وافق بها رواية غيره ويمكن على بعد ان يجعل ضميره به فى كلام الناظم راجعا للاسراء وضمير ترقى للنبى صلى الله عليه وسلم أى ترقى المختار بسبب الاسراء ووجه بعد تباعد الراجعين للضميرين

لا تعارض فى ذلك لان ذلك ينبع منه تلك الانهار فى الجنة فلا ينافى ما قيل اصلها فى السماء السادسة وعليه تحمل رواية انه رآها فيها واعلاها فى السابعة وعليه يحمل ما مر انها فيها ومصت بنقل لانه بعمرى اليها علم الخلائق ولم يتجاوزها أحد الا نبينا محمد صلى الله عليه وسلم قاله النووى ويتعين حمله على انه لا يتجاوزها من الملائكة الذين ينزلون الى الارض ويصعدون بالاعمال لما يأتى من انه صلى الله عليه وسلم جاوزها الى مستوى يسمع فيه صريف أقلام الملائكة ثم ادخل الجنة واحاط بها ثم عرج به صلى الله عليه وسلم كما فى رواية البخارى حتى ظهر بمستوى أى محل عال يسمع فيه صريف الاقلام أى تصويت أقلام الملائكة بما يكتبونه من اقضية الله تعالى وفى رواية لم تثبت كسائر روايات الحجب نهزج لى بقف النور زج بالغرق فى سبعين ألف حجاب كل حجاب مسيرة خمسمائة عام ثم دلى لى رفرف أخضر ثم احتملنى حتى وصلت الى العرش وهذه الحجب بفرض صحتها انما هى بالنسبة الى المخلوقين واما هو تعالى فلا يحجبه شئ وصح عن أنس عنه صلى الله عليه وسلم قال عرج بى جبريل الى سدرة المنتهى ودنا الجبار أى بقربه المعنوى كما أرشد اليه قول رب العزة جل جلاله فتدلى فكان قاب قوسين أو ادنى كما قال الناظم (وترقى) أى صعد البراق (به الى قاب قوسين) وقاب القوس ما بين مقبضه وآخره ولكل قوس قابان ومن ثم قيل فى الآية مقلب أى قابى قوس ورد بانه لا يتعين ذلك بل المراد تشبيه قربه صلى الله عليه وسلم المعنوى من ربه بقرب قاب القوس اذا ألصق بقاب قوس آخر ثم رأيت بعضهم قال قاب قوسين أى مقدار قوسين وقاب القوس مقدار طولها وقيل قدر الوتر منها قال الجوهرى تقول بينهما قاب قوس أى قدر قوس * (تنبيه) * ما افهمه كلام الناظم ان البراق ترقى به صلى الله عليه وسلم الى قاب قوسين هو ما دلت عليه رواية البخارى وانطها فحملت عليه فانطلق بى جبريل حتى أتى السماء الدنيا فاستفتح قال ثم صعد بى حتى أتى السماء الثانية وهكذا لكن صحت الاحاديث بانه استمر على البراق الى بيت المقدس

ثم نصب له المعراج فارتقى فيه كما مر وظاهرها انه لم يركب البراق الا من مكة الى بيت المقدس لا غير ولهذا التنافي ذهب بعضهم الى ان الاسراء على البراق وقع مرتين مرة الى بيت المقدس ومرة من مكة الى السماء لكن ردهذا بان الاصح انه لم يتعدد وانه لا تنافي وانما الذي ذكر ذهابه عليه من مكة الى السماء اختصر ذكر بيت المقدس وفيه نظر لان رواية البخاري السابقة صريحة في انه لا معراج وانه استقررا كبا البراق الى السماء الدنيا ثم التي بعدها وهكذا وجرى عليها الناظم كما علمت فالاولى الجواب بجمع بين الروايتين بان من ذكر بيت المقدس والمعراج معه زيادة علم فقدم وعليه فيكون لما وصل في المعراج الى السماء الدنيا ركب البراق واخترق به السموات وما فوقها وبهذا اعني رواية البخاري الظاهرة فيما في النظم والجمع بينها وبين الرواية الاخرى المشهورة التي عليها العمل يظهر عذر الناظم في ذكره انه ركبه الى منتهى وصوله لكن في جزمه به نظر ظاهر والحاصل انه بعد وصوله الى السماء الدنيا يحتمل انه استمر راكبا على البراق على ظاهر الرواية الاولى وانه جيء به ثانيا على الرواية الثانية ويحتمل انه ذهب من غير ركوب شيء تعظيما للسموات ومن فيهن اذهن افضل من الارضين عند الاكثرين وعلى مقابله المصور لان الانبياء عليهم الصلاة والسلام خلقوا من الارض وهي مدفنهم ومستقرهم وهم افضل من الملائكة فتعظيما لمن فيهن ممن اجتمع به من الانبياء والملائكة لا يقال السماء لم يعص الله فيها احد بخلاف الارض لانا نقول لهذه مزية وقد يكون في المفضول مزايا على ان ذلك منتقض بما وقع لآدم وحواء وابليس وادعاء انهم لم يكونوا في السماء يحتاج لدليل وعلى التنزل فكون المعصية تقع في محل دون محل يقتضي افضلية الثاني انما هو غير مسلم فعلى مدعيه اثباته بدليل يدل له وانما قلنا فالاولى الجواب الخ ولم نقل بالتعدد لان مجرد اختلاف الروايات في هذا الامر الجزئي لا يقتضيه على انه لو وقع تلك المرة من فرض الصلوات وغيره ذكر في كل من رواية الى السماء ورواية الى بيت المقدس وهذا صريح في اتحاد الاسراء وعدم تعدده فتأمل ذلك كله فانه مهم واعلم ان هذا التدلي والدنو المذكورين في حديث انس وغيره من احاديث المعراج غير الدنو والتدلي في اول سورة النجم فان هذا في حق جبريل كما صح عنه صلى الله عليه وسلم وصح ايضا انه لم يره في صورته التي خلق عليها الا

(قوله وعلى مقابله المصور) أي عندهم الاقل فصرح الشربيني في شرحه على أبي شجاع بان الاصح تفضيل السماء وعبارته وبدأ المصنف بالسماء لشرفها على الارض كما هو الاصح انتهى وكتب عليه محشيه الاجهوري ما نصه قوله كما هو الاصح اعتمد هذا الشهاب الرملي في حواشي الروض والخلاف في غير البقعة التي ضمت اعضاءه صلى الله عليه وسلم فانها افضل حتى من العرش والكرسي انتهى بحروفه وعبارة النووي في التحرير نصها وجمع السموات لشرفها وهذا ايد المذهب الصحيح المختار الذي عليه الجمهور ان السموات أفضل من الارضين وقيل الارض أفضل لانها مستقر الانبياء ومدفنهم وهو ضعيف انتهى (قوله فتعظيما) أي فذهب من غير ركوب تعظيما الخ (قوله بما وقع لآدم) أي صورة اذ الواقع له صورة معصية لان الانبياء جميعا معصومون من ارتكاب الذنوب صغيرها وكبيرها (قوله فان هذا في حق جبريل) وهو الذي صدر به البيضاوي ثم قال وقيل الضمائر كلها لله تعالى وهو المعني بشديد القوى كما في قوله تعالى هو الرزاق ذو القوة المتين ودنوه منه برفع مكانته وتدليه جذبه بشراشره الى جناب القدس انتهى قال في القاموس الشراشر النفس والاثقال والمحبة وجميع الجسد انتهى أي جذبه بجميع جسده أو بسبب محبته الى آخر ما ذكر قال في الخازن وكونه أي جبريل شديد القوى انه اقتلع قرى قوم لوط وحملها على جناحه حتى بلغ بها السماء ثم قلبها وصاح صيحة بثمود فاصبحوا جاثمين وكان هبوطه بالوحي على الانبياء اسرع من رجعة الطرف (قوله وصح أيضا الخ) عبارة البيضاوي قيل ما رآه أحد من الانبياء في صورته غير محمد صلى الله عليه وسلم مرتين مرة في السماء ومرة في الارض انتهى وجزم في الخازن بعدم رؤية أحد من الانبياء غير نبينا له على صورته الاصلية وذكر قيل ان المرة التي في السماء عند سدرة المنتهى والتي في الارض بالافق الاعلى والمراد بالافق الاعلى جانب المشرق فسد الافق وتقدم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان بحراء فطلع له جبريل عليه السلام من ناحية المشرق فسد الافق الى المغرب فخر رسول الله صلى الله عليه وسلم مغشيا عليه فنزل جبريل

فى هذه المرة المذكورة فى الآية ومرة أخرى عند أوائل البعثة كما مر (وتلك) المرتبة التى وصل اليها صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج هى (السيادة العصماء) اى الثابتة الدائمة التى لا يطرقها نقص ولا تغير ولا زوال ولما وصل صلى الله عليه وسلم الى ذلك القرب الذى لم يصل اليه مخلوق فرض الله عليه وعلى أمته فى كل يوم وليلة خمسين صلاة فرجع فمر على موسى فسأله عما فرض الله تعالى عليه وعلى امته فاخبره فامره ان يرجع الى ربه ويسأله التخفيف لامته فانهم لا يطيقون ذلك فرجع وسأل فحط عنه خمسا ثم رجع فامره بالرجوع ايضا فرجع فحط عنه خمسا وهكذا الى ان بقيت خمسا فامره بالرجوع وقال له ان بنى اسرائيل فرض عليهم صلاتان فما قاموا بهما فقال استحييت من ربى وفى رواية علمت انها عزمة من ربى فلا اراجعه فقال تعالى هن خمس اى فى الفريضة وهن خمسون اى فى الثواب لا يبدل القول لدى وحكمة فرضها فى هذه الليلة انه صلى الله عليه وسلم لما شاهد تعبد الملائكة فيها وان منهم مديم القيام ومديم الركوع ومديم السجود أعطاه الله ذلك كله لامته فى ركعة يصليها الواحد منهم بشروطها وآدابها واختص موسى صلى الله عليه وسلم بامره بتلك المراجعة لانه اطلع من صفات هذه الامة على ما حمله على قوله اللهم اجعلنى من أمتى فقال له الله تعالى تلك أمة محمد فقال اللهم اجعلنى منهم وهو حديث مشهور فكان اعتناؤه بهم كما يعتنى بالقوم من هو منهم ومن ثم قال صلى الله عليه وسلم فمررت بموسى ونعم الصاحب كان لكم وفى رواية كان أشدهم على حين مررت به وخيرهم لى حين رجعت *(فائدة)* اختلف العلماء قديما وحديثا فى ان نبينا صلى الله عليه وسلم رأى ربه فى هذا المقام الذى وصل اليه دون غيره من الخلق بعينى رأسه أو بعين قلبه فقط والذى صح عن ابن عباس فى رواية انه رآه بعين بصره وفى أخرى انه رآه بعين قلبه ولا تخالف لانه صح عنه كما رواه الطبرانى باسناد رجاله رجال الصحيح الا واحدا فوثقه ابن حبان انه رآه مرتين واحدة بالعين وواحدة بالقلب بمعنى انه تعالى خلق فيه ادراكا كادراك البصر وليس المراد مجرد العلم لانه حاصل له بل ولغيره فلا خصوصية ورواية ابن مردويه عنه لم يره بعينه لم تصح وبتسليمها فالاثبات مقدم على النفى وجاء عن أنس باسناد قوى رأى محمد ربه واطلاق الرؤية انما ينصرف لرؤية العين وكان الحسن البصرى يحلف انه رأى ربه وبذلك قال عروة وسائر أصحاب ابن عباس وجزم به كعب الاحبار والزهرى ومعمر وآخرون وهو قول الاشعرى وغالب اتباعه وانكرت عائشة وابن مسعود الرؤية قال النووى لكن عائشة لم تنفها بحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والصحابى اذا خولف لا يكون قوله حجة اتفاقا ولا حجة لها فيما فى مسلم عنها ان مسروقا قال لها لم أنكرت الرؤية ألم يقل الله تعالى ولقد رآه نزلة أخرى فقالت أنا أول هذه الامة سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذا فقلت

= فى صورة الآدميين ضمه الى نفسه وجعل يمسح الغبار عن وجهه وهو قوله ثم دنا فتدلى أى دنا جبريل بعد استوائه فى الافق الاعلى من الارض فتدلى الى محمد صلى الله عليه وسلم فكان منه قاب قوسين أو أدنى أى بل أدنى وهو أحد معنيين فى الآية ذهب اليه ابن عباس والحسن وقتادة والمعنى الثانى وهو ما ذهب اليه الضحاك ثم دنا محمد من ربه فتدلى أى هوى للسجود فكان منه قاب الخ (قوله الى ربه) أى الى مكان حدده ان ينتهى اليه فكان ذلك التردد بين ذلك المكان وبين موسى (قوله لامته) فالعجز مقصور على الامة لا يتعداهم الى النبى لانه عليه الصلاة والسلام يطيق اكثر من ذلك فقوله فحط عنه أى عن أمته ولذلك قيل ان الخمسين لم تنسخ فى حقه قال ع ش على م ر المعتمد ان الخمسين صلاة نسخت فى حقنا وفى حقه صلى الله عليه وسلم ولكن كان يفعلها على وجه النفلية انتهى المراد منه واعتمد الحلبى فى حاشيته على المنهج والبرماوى فى حاشيته عليه انها نسخت فى حقنا لا فى حقه وارتضاه شيخنا الشهاب التلمسى لان أصحاب القولين متفقون على فعله صلى الله عليه وسلم الخمسين غير ان القائلين بالنسخ فى حقه يقولون ان فعلها على وجه النفلية وهذا يحتاج لدليل اذ الاصل بقاء الفرضية حتى يثبت خلافها وقد علمت ان سؤال التخفيف عن الامة يؤيد ذلك أيضا تأمل (قوله فحط عنه) أى عن أمته وكذا فيما بعده بقرينة قوله ويسأله التخفيف لامته (قوله لانه اطلع) قال بعضهم أى ولانه كليم فنصبه الكلام والمراجعة بخلاف ابراهيم فانه خليل فمقامه التسليم وان كان افضل واقرب انه فى السماء السابعة يا رسول

يارسول الله هل رأيت ربك قال لا انما رأيت جبريل وذلك لانها انما سألت عما فى الآية فاجابها بانه لم يره أى فى قصة الآية وقدمر انها غير قصة المعراج وان التدلى والدنو اللذى فى قصة المعراج غيرهما فى الآية ولا حجة لها فى لا تدركه الابصار لان المراد لا تحيط بحقيقة ذاته العين بدليل الحديث لا نفى الرؤية وذا ذلك لسائر ذلك لا يجوز على نبى ان يسأل محالا وانكار المعتزلة فجبهم الله لها حتى فى الآخرة من بدعهم التى خالفوا فيها الكتاب والسنة وعلى جوازها فى الدنيا لم تقع الا لنبينا صلى الله عليه وسلم وصح فى مسلم واعلموا انكم لن تروا ربكم حتى تموتوا ومعنى خبر مسلم عن ابى ذر انه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال نور انى أراه ان النور حال بينه وبين رؤيته ببصره فكيف براه مع ذلك وقدمر انه مر فرآه ببصره ومرة بقلبه فسبب هذه حصول ذلك النور فلا ينافى وقوع الاولى وسئل احمد رضى الله عنه عن قول عائشة من زعم ان محمدا رأى ربه فقد أعظم على الله الفرية بم يدفع قولها قال بقول النبى صلى الله عليه وسلم رأيت ربى وقول النبى صلى الله عليه وسلم أكبر واذا تأملت ما وقع له صلى الله عليه وسلم ليلة الاسراء من الكرامات التى تميز بها على سائر الخلق علمت انها (رتب) جليلة (تسقط الامانى) جمع امنية (حسرى) جمع حسير من حسر اعيا (دونها) ظرف لتسقط أى بجلالة هذه الرتب ومزيتها على الخلق سقطت امنياتهم وتخلفت طلباتهم وآمالهم عن نيل هذه الرتب فلم يستطيعوا التوجه اليها حال كونها عاجزة عن التأمل لها ولم لا وهى (ما وراءهن وراء) أى ما قدامهن قدام بمعنى انه ليس بعدهن مرتبة ينالها مخلوق غيره صلى الله عليه وسلم ثم لما رجع صلى الله عليه وسلم من سفر الاسراء مر على عير لقريش تحمل طعاما فيها جمل عليه غرارتان سوداء وبيضاء فلما حاذى العير نفرت منه واستدارت وتصرع ذلك البعير فسلم عليهم فقال بعضهم هذا صوت محمد ورأى بعيرا ضل وجمعوا احلتهم (ثم وافى) مكة قبل الصبح فاصبح (يحدث الناس) بما رأى من تلك العجائب والكرامات امتثالا لقوله تعالى واما بنعمة ربك فحدث (شكرا) أى من جهة الشكر او لاجل قيامه بشكر ربه أو حال كونه شاكرا لانعمه (اذ) أى لاجل أو وقت (أتته من ربه النعماء) أى فى تلك الليلة وحينئذ ارتد ناس كانوا اسلموا فذهب المشركون لابى بكر رضى الله عنه وذكروا له انه يخبر انه ذهب الى بيت المقدس وجاء فى ليلة فقال صدق فانكروا عليه فقال انى لاصدقه فيما هو أبعد من ذلك فى خبر السماء فى غدوة وروحة فلذا سمى الصديق رضى الله تعالى عنه وكرم وجهه رواه الحاكم فى مستدركه وابن اسحق وزاد

(قوله فقال نور انى أراه) بتنوين نور وفتح الهمزة فى انى وتشديد النون المفتوحة وأراه بفتح الهمزة كذا فى شرح مسلم للنووى استفهام على جهة الاستبعاد قال النووى فى شرح مسلم معناه حجابه نور فكيف أراه ثم قال قال المازرى الضمير فى أراه عائد على الله تعالى ومعناه ان النور منعنى الرؤية كما جرت العادة باغشاء النور الابصار ومنعها من ادراك ما حالت بين الرائى وغيره قال وروى نورانى أراه بفتح الراء وكسر النون وتشديد الياء أى خالق النور المانع من رؤيته فيكون راجعا لما سبق قال القاضى عياض وهذه الرواية لم تقع لنا ولا رأيتها فى شئ من الاصول انتهى وقال القرطبى ليست هذه الرواية بصحيحة النقل ولعلها تصحيف (قوله فقد أعظم على الله الفرية) أى الافتراء وهى اختلاق الكذب وما يقبح التحدث به (قوله من حسر) يقال حسر البصر أعيا وحسر بصره كل وانقطع وبابه جلس كما فى المختار (قوله سقطت امنياتهم) أشار الى جمع آخر لامنية (قوله وتخلفت طلباتهم) جمع طلبة بكسر اللام الشئ المطلوب ككلمة وكلمات (قوله وتصرع) كان الظاهر وصرع أى طرح أى على الارض قال فى القاموس الصرع ويكسر الطرح على الارض (قوله فسلم عليهم) ان كان فيهم مسلم وقصد السلام عليه فظاهر والا فالسلام غير مشروع على الكفار أو ذلك قبل النهى عنه عليهم (قوله النعماء) بالفتح ممدودا بالجمع أنعم وأنعم جمع نعمة وتجمع أيضا على نعم كذا فى القاموس وفى شرح ابن عبد الحق على بسملة شيخ الاسلام انه جمع نعمة بمعنى منعم به وفى شرح الشنوانى عليها ويصح كونه اسم جمع النعمة أو الانعام

(قوله ورفعه) مبتدا وقوله رواه البخاري خبره (قوله فكرب) كربه الامر شق عليه حتى ملأ صدره غيظا وبابه قتل انتهى مصباح
(قوله في مكان كذا) أي بادبار وحا على نحو اربعين ميلا بالمدينة (قوله يقدمهم) بضم الدال وبابضيه بفتحها (قوله آدم) أي
اسمر والادمة السمرة (قوله مسح) بكسر الميم ١٠٤ بوزن علم وهو البلاس انتهى من المختار وفي القاموس البلاس كسحاب
المسح (قوله فارتاب كل مريب)
قال البرلسي المالكي في شرحه أي
حصلت له الريبة في دينه والشك
في كفره ومنه يؤخذ جواب
عما عساه يقال ان المتن يحصل الى
حصلت الريبة لكل ذي ريبة
وفيه تهافت وحاصل الجواب ان
الريبة المفهومة من مريب
متعلقة بنبوة النبي ورسالته والريبة
المفهومة من ارتاب متعلقة
بدينهم وكفرهم اى حصل لهم شك
في كفرهم ودينهم بعد ان كانوا
في شك في نبوة النبي ورسالته
فتأمل (قوله مريب) اى ذى
ريبة قال في المختار واراب الرجل
صار ذا ريبة فهو مريب انتهى
فهو من اراب اللازم كقيم من
اقام الرجل في مجلس كذا فليس
اسم فاعل فعل متعد كاكرم والا
لصار المعنى موقعا غيره في ريبة
وهو غير مراد هنا فتأمل (قوله
وجحدوا بها) اى بالآيات واستيقنتها
اى وقد استيقنتها الان الواو للحال
انفسهم ظلما وعلوا ترفعا عن
الايمان وانتصابهما على العلة من
جحدوا انتهى بيضاوي ومعلوم ان
هذه الآيات في حق قوم موسى
عليه الصلاة والسلام ولما كان
قوم نبينا من الكفرة حصل منهم مثل ما حصل من قوم موسى مع مشاهدتهم آياته ومعجزاته صلى الله عليه وسلم ذكر هذه كل
الآية إشبيهم بقوم موسى فيما ذكر فتأمل (قوله وجعلنا من الماء كل شيء حي) اى وخلقنا من الماء كل حيوان كقوله والله خلق كل
دابة من ماء وذلك لانه من اعظم مواده في التركيب او لفرط احتياجه اليه وانتفاعه به بعينه او صيرنا كل شيء حي بسبب الماء لا يحيا =

ان أبا بكر جاءه فقال يقولون انك الليلة آتيت بيت المقدس قال نعم قال صفه لي فاني جئته
فوصفه له كما هو لانه رفع اليه فجعل ينظر اليه ويصفه وأبو بكر يصدقه وقوله صفه اي انما هو
ليرد به على من تشكك في ذلك ورفعه له حتى ينظر مر رواه البخاري وكذا مسلم وزاد انه
سألوه عن اشياء فيه لم يثبتها فكرب كربا ما كرب مثله قط ورفعه له اما بحمل مثاله ووضعه له
قريبا منه وعليه فتحمل رواية فجيء بالمسجد أي بمثاله واما بحمل المسجد نفسه اليه وهذا
اظهر لما مر في واشاقت اليمن مكة الاخفاء ونظيره مجيء عرش بلقيس الى سليمان صلى
الله عليه وسلم في طرفة عين واما بازالة الحجب بينه وبينه وبهذا ظهرت الحكمة في الاسراء
الى بيت المقدس ثم العروج منه الى السماء لما تقرر ان فيهم من رأى بيت المقدس فوصفه
لهم كما هو مع علمهم بانه لم يذهب اليه قط أوضح آية على صدقه صلى الله عليه وسلم في جميع
ما اخبر به من أمر السماء ومما اخبرهم به انه قال لهم ان من آية ما اقول لكم اني مررت
بعير لكم في مكان كذا وقد اضلوا بعيرا لهم فجمعه فلان وان مسيرهم ينزلون بمكان كذا
ويأتونكم يوم كذا يقدمهم جمل آدم عليه مسح اسود وغرارتان فلما كان ذلك اليوم اشرف
الناس ينظرون حتى اذا كان قريب من نصف النهار اقبلت العير كما وصف وفي رواية
اخبرهم بقدوم العير يوم الاربعاء ففي يومه كادت الشمس ان تغرب ولم يقدموا فدعا الله
تعالى فحبس الشمس حتى قدموا كما وصف وعطف على وافى قوله (وتحدى) صلى الله عليه
وسلم كفار مكة وغيرهم بما وقع له ليلة الاسراء وما تقدم من المعجزات كانشقاق القمر اى
طلب منهم ان يعارضوا ما جاء به شاهدا على نبوته بابداء نظيره والا كانوا كاذبين
مدحوضين (فارتاب) أي شك وخرس (كل مريب) فانقطع عن المعارضة ولم يسعه
الا التسليم فمنهم من اسلم ومنهم من مات كافرا او جحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا
و يلزم من انقطاعهم عن معارضته ايضاح أمره صلى الله عليه وسلم وانه لم يبق فيه شك
ولا ريب ومن ثم قال منكرا على من بقي عنده من ذلك شك (أ) يتضح ذلك الامر
(ويبقى) معه ريب لا بل اتضح وما بقي معه شك أصلا وكيف يبقى (مع السيول) حال من
قوله (الغثاء) وهو بضم المعجمة والمثلثة ما يحمله السيل مما يبس من النبات فكما ان هذا
الغثاء لا يبقى مع السيل بل يذهب به ويهلكه في اسرع وقت فكذلك ما جاء به صلى الله
عليه وسلم من الآيات البينات والبراهين الواضحات لا يبقى معه لولا الخذلان الالهي
شك بل يذهب ويضمحل في اسرع وقت فعلم انه استعار السيول لما أتى به صلى الله عليه
وسلم من الآيات البينات والبراهين الواضحات لان بها الحياة الحسية وجعلنا من الماء

كل شئ حى كان ما جاء به الحياة المعنوية والقناء بما تحيا به ولانه أمر حقير لا بقاء له كما ان الغثاء كذلك وفى ارتاب ومريب جناس الاشتقاق وفى انطم بالجملة الاستفهامية التذييل نحو وهل نجازى الا الكفور * (تنبيه) * ما قدرته بعد همزة الاستفهام هو رأى الزمخشرى ومن تبعه وهو التحقيق وان كان خلاف ما عليه سيبويه والجمهور فيقدر فى نحو أولم يسيروا فى الارض أمكثوا ولم يسيروا وفى أفلا تعقلون أتجهلون فلا تعقلون وفى أثم اذا ما وقع آمنتم أتكفرون ثم اذا ما وقع آمنتم به فالهمزة فى الكل فى محلها الاصلى والعطف على جملة مقدرة بينها وبين العاطف محافظة على اقرار حرف العطف على حاله من غير تقديم ولا تأخير وردّ أبو حيان ذلك بانه تقدير ما لا دليل عليه وابن هشام بان فيه تكلفا وانه غير مطرد فيه تطويل بلا حاجة وهى ان المعنى معه أقوم واوضح مع رعاية قاعدة الهمزة وحرف العطف ودعوى عدم اطراده ممنوعة لان السياق حيث وجد فيه ذلك يكون قاضيا بذلك المحذوف واعلم ان الهمزة أصل ادوات الاستفهام ومن ثم اختصت بجواز حذفها نحو وهذا ربى فى المواضع الثلاثة أى أهذا ربى وفى وتلك نعمة تمنها على أى أو تلك نعمة تمنها على وبانها ترد لطلب التصور تارة والتصديق أخرى وهل تختص بالثانى والبقية بالاول وبانها تتقدم على العاطف كما هنا تنبيها على اصالتها والبقية تتأخر عنه وبانها تدخل على الشرط نحو أفان مات أو قتل وعلى الاثبات والنفى (وهو يدعو) حال من فاعل تحدى أى تحدى الناس والحال انه صلى الله عليه وسلم مع انكارهم وارتيابهم لا يفتر عما أمر به من التبليغ والدعاء (الى الاله) أى المعبود بالحق الذى لا يعبد غيره وهو الله تعالى وفى الى والاله الجناس الناقص ولم ينظر الناظم الى كون الاله اسم جنس فى الأصل لكل معبود لان الائمة أعرضوا عن هذا الاصل واستعملوه فى المعبود بحق فقط فصار علما بالغلبة ولم يزل صلى الله عليه وسلم يجدد دعاءه الى الله تعالى (وان شق عليه كفر به) اى الاله او النبى (وازدراء) اى احتقار وانتقاص له فهو مديم لذلك الدعاء متحمل لمشقة انكارهم وقبيح كفرهم وازدرائهم لما جاء به * اخرج اهل السير انه صلى الله عليه وسلم كان يطوف على الناس فى منازلهم يقول يا أيها الناس ان الله يأمركم ان تعبدوه ولا تشركوا به شيأ وابو لهب وراءه يقول يا أيها الناس ان هذا يأمركم ان تتركوا دين آبائكم ورماه الوليد بن المغيرة لعنه الله بالسحر وتبعه قومه على ذلك وآذته قريش ورموه بالشعر والكهانة والجنون ومنهم من كان يحثو التراب على رأسه ويجعل الدم على بابه ووطئ عقبة بن ابى معيط على رقبته الشريفة وهو ساجد عند الكعبة حتى كادت عيناه تبرزان وخنقوه خنقا شديدا وجذبوا رأسه ولحيته حتى سقط اكثر شعره فقام ابو بكر دونه قائلا اتقتلون رجلا أن يقول ربى الله وصح ان عقبة بن ابى معيط اخذ بمخنق رسول الله صلى الله عليه وسلم ثوبا وهو بفناء الكعبة فخنقه خنقا شديدا فقام ابو بكر ودفعه عنه وروى احمد فى مسنده أول من أظهر

دونه انتهى بيضاوى ثم قال والشئ مخصوص بالحيوان وفى تفسير الخازن ان الماء فسر بالنطفة واستشكل بان بعض ماهو حى مخلوق من غير النطفة كآدم وعيسى والملائكة والجان واجاب بان المراد الغالب اى وجعلنا من النطفة غالبا كل شئ حى (قوله وفى الى والاله الجناس الناقص) ويسمى المذيل ايضا بان تنقص احدى الكلمتين حرفا من آخرها عن الاخرى بخلاف المطرف فهو ما نقص احد ركنيه عن الآخر حرفا فى طرفه الاول نحو التفت الساق بالساق الى ربك يومئذ المساق (قوله واستعملوه الخ) اى فهو علم على الذات (قوله بالغلبة) اى التحقيقية بخلاف لفظ الجلالة فانه علم عليها بالغلبة التقديرية واما المجرد من الالف واللام فهو اسم جنس لكل معبود بحق أو باطل كما صرح بذلك ابن عبد الحق فى شرحه على بسملة شيخ الاسلام نقلا عن السعد وغيره اهـ والفرق بين الغلبتين أن الاولى بالنظر الى الاستعمال بأن استعمل اللفظ فى غير ما غلب عليه أولا ثم ترك ذلك الاستعمال وصار لا يستعمل الا فيما غلب عليه والثانية بالنظر الى القياس بأن يقتضى القياس استعماله فى غير ما غلب عليه لكنه لم يستعمل فيه وانما استعمل من اول الامر فيما غلب عليه تأمل (قوله الوليد) هو والد خالد رضى الله تعالى عنه (قوله وصح ان عقبة الخ) مكرر مع قوله وخنقوه خنقا شديدا وسهل ذلك زيادة بيان كيفية الخنق ودفع أبى بكر عنه

(قوله وعمار) ولم يشهد أشخص ابن مؤمنين غير عمار بن ياسر ١٠٩ (قوله وأمه سمية) بضم السين المهملة كذا في

الاسلام سبعة رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر وعمار وامه سمية وصهيب وبلال والمقداد فاما رسول الله صلى الله عليه وسلم فنعه الله تعالى اى من القتل بعمه ابى طالب واما ابو بكر فنعه الله تعالى بقومه واما سائرهم فاخذهم المشركون فالبسوهم ادراع الحديد وصهروهم فى الشمس وان بلالا هانت عليه نفسه فى الله عز وجل وهان على قومه فاخذوه واعطوه الولدان فجعلوا يطوفون به فى شعاب مكة وهو يقول أحد احد أى ليمزج مرارة العذاب بحلاوة الايمان ومر اللعين أبو جهل بسمية أم عمار بن ياسر وهى تعذب فطعنها بحربة فى فرجها فقتلها وأخرج البيهقى عن عروة ان أبا بكر رضى الله تعالى عنه أعتق ممن كان يعذب فى الله سبعة منهم الزنيرة بكسر الزاى وتشديد النون المكسورة فعميت فقالوا ما اعماها الا اللات والعزى فقالت كلا والله ما هو كذلك فرد الله عليها بصرها (و) هو مع ذلك أيضا (بدل الورى) اى الخلق وكأن الناظم أخذ هذا من الحديث الصحيح وأرسلت الى الخلق كافة فاما الانس والجن فبالاجماع المعلوم من الدين بالضرورة فيكفر منكره كما مر وأما الملائكة فعلى الاصح عند جمع محققين كما يصرح به هذا الحديث وقوله تعالى ليكون للعالمين نذيرا ايستشهد لذلك اذ العالم ما سوى الله واستعمال هذا فى العقلاء انما هو لتغليبهم لفضلهم وقول الرازى أجمعنا على ان المراد الانس والجن مؤول بل مردود وأما بعثه للجمادات فعلى ما ذهب اليه بعض محقق المتأخرين ومعنى ارساله الى الملائكة وهم معصومون انهم كلفوا بتعظيمه والايمان به واشاد تذكره والجمادات ان ركب فيها ادراكات لتؤمن به وتخضع له وان من شئ الا يسبح بحمده اى حقيقة لا بلسان الحال فقط خلافا لمن زعمه (على الله) اى على العلم بذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله وبما يجب له من اثبات كل صفة كمال وسلب كل صفة نقص بل وكل ما لم يصل الى اعلى غايات الكمال وبما يجوز له من ايجاد الخلق واعدامهم وبما يمتنع عليه من المحالات التى لا تتعلق بها القدرة كما هو مقرر فى محله (بالتوحيد) اى بطلبه منهم توحيده تعالى بأن يقروا بأنه تعالى واحد فى ذاته فلا تعدد له بوجه وصفاته فلا نظير له بوجه وافعاله فلا معين ولا شريك له فيها بوجه وظاهر المتن ان الباء فى بالتوحيد باء الآلة الاستعانة نحو كتبت بالقلم ويوجه بأن العلم بالتوحيد كما ذكر نشأ عنه العلم بما يليق بذات الله تعالى وأسمائه وصفاته وأفعاله كما تقرر (وهو) اى العلم بكل ذلك والدلالة عليه (المحجة) اى الطريقة الى رضا الله تعالى التى أمر بها وحث عليها (البيضاء) اى النيرة المضيئة الواضحة التى لا يضل سالكها ولا ينقطع ولا يخشى فيها من آفة وهذا مقتبس من قوله صلى الله عليه وسلم تركتكم على الواضحة البيضاء ليلها كنهارها ونهارها كليلها لا يزيغ عنها الا هالك ولما صبر صلى الله عليه وسلم على تبليغهم مع ما حصل له منهم مما أشار اليه الناظم بقوله وان شق عليه الخ أطاع الله له أكثرهم حتى صاروا من أكابر اتباعه كما قال (فما) الباء زائدة (رحمة) واصلة اليه (من الله) اى وهى فى الاصل ميل وعطف نفسانى غايته التفضل والاحسان والانعام او ارادتهما

المجموع النووى ثم قال وعمار وأبو ياسر وأمه سمية صحابيون رضى الله عنهم وكانوا ممن تقدم اسلامهم فى أول الامر وكانوا يعذبهم الكفار على الاسلام فيمر بهم النبى صلى الله عليه وسلم فيقول صبرا صبرا آل ياسر فموعدكم الجنة وسمية أول شهيد فى الاسلام (قوله وصهروهم) اى اذابوهم منها يقال صهره وأصهره ومنه المصاهرة فى النكاح وهى المقاربة اه هروى والمراد هنا ادخلوهم فى الشمس فتأمل ثم رأيت فى القاموس ما يوافق المراد هنا حيث قال وصهرته الشمس كمنع صهرته وقال فى الصاد مع الحاء صحرته الشمس آلمت رأسه (قوله وهو يقول أحد احد) اى أنت أحد أنت أحد ويجوز ضمه من غير تنوين اى يا أحد يا أحد (قوله وأما بعثه للجمادات) كان الاولى ان يقول واما الجمادات لانه لم يذكر قبل بعض الجمادات ليظهر اتيانه بلفظ بعثه وقد يجاب بأن الاضافة بيانية (قوله واشاد تذكره) اى برفعة قدره (قوله وهو المحجة البيضاء) اى كالمحجة البيضاء ففيه تشبيه العلم المذكور بالطريق النيرة بجامع الوصول الى المقصود من غير ضرر (قوله واصلة اليه) مقتضى ما يأتى فى قوله فبسبب رحمة الله لهم وفى قوله انما هو بواسطة الخ ان يقول هنا اليهم وان كان ما ذكر صحيحا ايضا صلى الله عليه وسلم تأمل

اراد تم سما والمراد هنا هذه الغاية لاستحالة العطف والميل على الله تعالى وكذا كل صفة وردت فى القرآن او السنة لله تعالى واستحال عليه معناها يراد بها غايتها اى فبسبب رحمة من الله لهم وعطفه عليهم لين رسوله وصبره عليهم كما يشير الى ذلك قوله تعالى فبما رحمة من الله لنت لهم الذى اقتبس الناظم منه هذا أيقظ قلوبهم وازال ما فيها من كبر وعمى فحينئذ (لانت صخرة) هى الحجر العظيم (من) بيانية وجعل الشارح ذلك صفة لصخرة مع كونه من بيانية بعيد (اباتهم) اى امتناعهم (صماء) اى صلبة لا يؤثر فيها معول على خلاف العادة وبه يظهر حسن التقابل بين لانت وصماء وهو من الطباق ويسمى المطابقة والتضاد أيضا وهو ان يجمع بين معنيين متقابلين فى الجملة بتضاد أو نفى واثبات أو عدم وملكة أو نحو ذلك اى زال امتناعهم عن طاعته فيما يأمرهم به فأطاعوه واتبعوه فعلم انه استعار الصخرة التى فى غاية الصلابة لابائهم عنه أولا اذ كانوا على غاية النفرة عنه والبغض والايذاء له صلى الله عليه وسلم وليونتها وزوال صلابتها لاتباعهم له صلى الله عليه وسلم وانقيادهم لجميع أوامره ونواهيه آخرا وبين ان ذلك كله انما هو بواسطة رحمة الله وهدايته لهم لا بجهده صلى الله عليه وسلم ولا بقوته انك لا تهدى من أحببت ولكن الله يهدى من يشاء (و) بعد أن لانوا له صلى الله عليه وسلم ببركة لينه لهم لم يزل لينهم يتزايد حتى (استجابت له) اى أجابت دعوته وامتثلت اشارته (بنصر وفتح) اى مع أو بسبب ما أعطاه الله من النصر على الاعداء بكثرة الاتباع والقاء الرعب فى القلوب والفتح لبلادهم بانخفاض شوكتهم واستئصال شأنهم (بعد ذلك) اى الضعف الذى كان به صلى الله عليه وسلم وباتباعه لقلتهم وتحريم قتال الاعداء وتصميمهم على مناواته ومعاداته لقوة شوكتهم وكثرة عددهم وعددهم (الخضراء) اى السماء سميت بذلك لانها ترى كذلك فقد قال القاسم بن أبى بزة ليست السماء مربعة لكنها مقبوة يراها الناس خضراء وبين الثورى سبب ذلك فقال بلغنا ان صخرة تحت الارض خضراء كما فى حديث البزار وغيره منها خضرة السماء وليست فى الحقيقة كذلك الحديث انهم قالوا يا رسول الله ما هذه السماء قال هذا موج مكفوف عنكم ومن ثم سئل ابن عباس رضى الله عنهما السماء من اى شئ فقال انها من موج مكفوف ويوافقه قول على رضى الله عنه وكرم وجهه فى حقه والذى خلق السماء من ماء ودخان وقال كعب السماء أشد بياضا من اللبن وقال الربيع بن أنس السماء الدنيا موج مكفوف والثانية مرمرة بيضاء والثالثة حديد والرابعة نحاس والخامسة فضة والسادسة ذهب والسابعة ياقوتة حمراء وجاء عن سلمان الفارسى رحمه الله تعالى لكن بسند واه السماء الدنيا من زمردة خضراء والثانية من فضة والثالثة من ياقوتة حمراء والرابعة من درة بيضاء والخامسة من ذهبة حمراء والسادسة من ياقوتة خضراء والسابعة من نور (والغبراء) اى الارض سميت بذلك لان جميع طباقها من طين كما جاء عن ابن عمر رضى الله عنهما قال لما أراد الله ان يخلق الاشياء اذ كان عرشه على الماء واذ لا أرض ولا سماء خلق الله الريح فسلطها على

(قوله فعلم انه استعار) ليس المراد الاستعارة الاصطلاحية الجمع بين الطرفين بل مراده اطلاقها عليه على خلاف الاصل تأمل (قوله ومعاداته) عطف تفسير (قوله لكنها مقبوة) قال الهروى فى غريبه والسماء مقبوة اى مضمومة ولا تقل مقبورة ولكن مقببة اهـ ولعل المراد هنا مقوسة قال فى القاموس القبا تقويس الشئ ويكون المراد بتقويسها كونها كرية كما هو مذهب اهل الفلك تأمل (قوله منها خضرة السماء) فيه أن جرم الارض يمنع ظهور الخضرة فى السماء سواء قلنا السماء كرية أم لا (قوله اى وليست فى الحقيقة الخ) اى على غير رواية سلمان الفارسى الواهية الآتية اذ عليها هى خضراء حقيقة (قوله قال هذا موج) قال فى القاموس الموج اضطراب امواج البحر اهـ ولعل المراد هنا دخان ناشئ عن اضطراب ماء كما يدل عليه خبر ابن عمر الآتى قريبا اى دخان مشوب بماء ليوافق قول الامام على رضى الله تعالى عنه (قوله مكفوف) اى ممنوع من السيلان بقدرة الله عز وجل (قوله مرمرة بيضاء) قال الجوهرى المرمر الرخام (قوله من ذهبة) هى القطعة من الذهب كما فى الجوهرى (قوله على الماء) ليس المراد بالماء هنا البحر بل هو ماء تحت العرش ويحتمل ان يكون على البحر بمعنى انه اريد حمله على البحر كما ورد فى الآثر اهـ من بعض شروح البخارى

(قوله وأثار ركامه) الركام الرمل المتراكم اى المجتمع ويطلق على السحاب (قوله زبدا) قال البيضاوى فى تفسير

الماء حتى اضطربت أمواجه وأثار ركامه فانتزج من الماء دخانا وطينا وزبدا فأمر الدخان فعلا وسما لتخلق منه السموات وخلق من الطين الارضين وخلق من الزبد الجبال وبين الخضراء والغبراء ما مر فى لا انتوصاه لكن هذا يسمى التدبيج لذكر الالوان فيه ومعنى استجابة السماء والارض له صلى الله عليه وسلم استجابة أهلهما ويحتمل انه استعار السماء للرفيع من الناس والارض للوضيع اى أجابه الرفيع والوضيع حتى لم يتخلف من أهل مكة وغيرهم احد عنه اذلم يبق الا مسلم أومسالم وعلى الاول فتقييد الناظم استجابة أهل الارض بالنصر والفتح بتلك البعدية ظاهر واما تقييد استجابة أهل السماء به فهو بمعنى انهم لم تنزل الملائكة لنصرته الا يوم بدر ومابعدها وذلك انما هو بعد قوته والقاء رعبه صلى الله عليه وسلم فى القلوب والاذن له فى الجهاد والفتح عليه (و) من جملة استجابة أهل الارض له بعد ذلك انه (أطاعت لامره) وهو القول الدال على الطلب بلفظ افعل ونحوه ونهيه وحذفه لفهمه مما ذكر (العرب) بضم فسكون أو بفتحتين كما هنا وهم ولد اسمعيل صلى الله عليه وسلم (العرباء) ويقال العاربة وهم الخلص من العرب ويقال لغير الخلص العرب المستعربة وفى القاموس والعرب بالضم والتحريك خلاف العجم اى بالضم والتحريك أيضا كما ذكر فى مادته وهم سكان الامصار أوعام والاعراب منهم سكان البادية لاواحد له ويجمع على أعاريب وعرب عاربة وعرباء وعرباء متصرحاء اى خلص ومتعربة ومستعربة دخلاء وقال ويعرب بن قحطان ابو اليمن قيل أول من تكلم بالعربية وفى النهاية الاعراب من العرب ما كنوا البادية الذين لا يقيمون فى الامصار ولا يدخلونها الا لحاجة والعرب اسم لهذا الجيل من الناس أقاموا بالبادية او المدن وفى الصحاح ليس الاعراب جمع عرب اى لان الجمع لا يكون أخص من واحده وانما العرب اسم جنس وذكر ابن قتيبة ان الاعرابى هو البدوى والعربى هو المنسوب الى العرب وان لم يكن بدويا والاعجمى الذى لا يفصح وان كان بدويا والعجمى المنسوب للعجم اه وبين المبرد فى كتاب نسب عدنان وقحطان ان جميع العرب ترجع اليهما وعدنان هو الجد الاعلى للنبى صلى الله عليه وسلم وسائر العرب العرباء بينه وبين اسمعيل ثمانية آباء وقحطان قال الكلبى هو الهميسع ابن نبت ابن اسمعيل عليه السلام (والجاهلية الجهلاء) هو كالعرباء فيه تجنيس الاشتقاق وشبه التأكيد اللفظى كليل أليل وخص هذين لان تصميمهما على الكفر بلغ من القوة والشدة ما لم يبلغه تصميم غيرهما (وتوالت) اى تتابعت (للمصطفى) صلى الله عليه وسلم متعلق بقوله (الآية) مفرد محلى بال فيكون فى معنى الآيات وأيضا فالتوالى انما يكون فى متعدد اى العلامات الدالة على نبوته والملحمة له تتولوه وافتروا عليه وعلقه الشارح بتوالت وهو وان كان هو الظاهر صناعة الا ان الثانى فيه افادة ان ما توالى له انما هو آياته الخاصة به لا آية من تقدمه (الكبرى عليهم) كالقرآن وانشقاق القمر (و) توالت عليهم أيضا (الغارة)

قوله تعالى زبدا رابيا اى عاليا والزبد وضر الغليان قال فى القاموس الوضر محركة وسخ الدسم واللبن وغسالة السقاء اه المراد منه والمراد هنا وسخ الماء الذى يعلو الماء عند اضطرابه (قوله والفتح عليه) فيه ان غزوة بدر كانت قبل الفتح وعليه فالبعدية بالنظر للمجموع اى النصر واما على تفسير السماء بالرفيع والارض بالوضيع فتقييد النصر والفتح بالبعدية واضح تحرر (قوله أطاعت) ضمن اطاع معنى انقاد فعدا باللام (قوله وحذفه لفهمه مما ذكره) على حد سرابيل تقيكم الحر أو بيرد الامر عن بعض معناه وهو قوله بلفظ افعل فيكون المراد به القول الدال على الطلب وذلك يشمل طلب الفعل وطلب الترك فيكون شاملا للنهى تأمل (قوله العرب المستعربة) ضبطها السيوطى بكسر الراء (قوله كليل أليل) اى شديد الظلمة ومثله ليلة ليلاء وليل لائل مثل شعر شاعر (قوله متعلق) اى مرتبط به ارتباط الحال بصاحبها لا التعلق الاصطلاحى لجمود الآية تدبر (قوله الا ان الثانى) فيه انه اول تأمل (قوله لا آية من تقدمه) اى الذى يوهمه تعلقه بتوالت وان كان ايهاما بعيدا لان الظاهر وتوالت له آياتهم قوله الغارة فيها ما سبق فى الآية

على بلادهم وأموالهم ونفوسهم وذراريهم وهى اسم مصدر لأغار (الشعواء) بالعين المهملة اى الفاشية المستفرقة المحيطة بهم من سائر الجوانب التى لم تظفر لهم بنفس ولا مال الا أهلكته (و) بعد ان استجابت له أهل السماء والارض ودخل الناس فى دين الله أفواجا وكثرت اتباعه جدا حتى صار (اذا ما) زائدة (تلا) اى قرأ (كتابا) أنزل عليه (من الله) وهو القرآن (تلته) اى تبعته لاجل القراءة معه أو استماع قراءته الكتائب مزدحمين عليه صلى الله عليه وسلم لاسيما (كتيبة) بالفوقية اى جيش (خضراء) اى يعلوها سواد السلاح والحديد ومن عكسه سواد العراق لانه لكثرة شجره من بعيد يرى اسود وهى كتيبة رسول الله صلى الله عليه وسلم التى دخل صلى الله عليه وسلم مكة وهو فيها على ناقته القصوى بين أبى بكر وأسيد بن حضير ولما رآها أبو سفيان ورأى ما لا قبل له به فقال للعباس لقد أصبح ملك ابن أخيك ملكا عظيما فقال له العباس ويحك انه ليس بملك ولكنها النبوة وروى البخارى عن عبد الله بن مغفل سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة على ناقته وهو يقرأ سورة الفتح ويرجع وقال لولا أخشى ان تجتمع الناس حولى لرجعت كما رجع صلى الله عليه وسلم وبين تلا وتلته وكتابا وكتيبة تجنيس الاشتقاق او شبهه (وكفاه) صلى الله عليه وسلم ربه فضلا منه وكرما النفر الاشقياء الذين زادوا فى ايذائه والعتو عليه (المستهزئين) به كما قال تعالى انا كفيناك المستهزئين وهم جماعة من قومه كانوا يسخرون منه ويبالغون فى ايذائه والسخرية به اى تولى اهلا كهم من كفيت فلانا المؤنة اذا توليتها له فلم تحوجه اليها ومع توليه تعالى لهلاك المستهزئين به سلاه فأعلمه بأن هذا ليس خاصا به بل الانبياء قبله كانوا كذلك بقوله عز من قائل فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل ومن ثم اقتبس المصنف من هذا كقوله تعالى ولقد استهزئ برسل من قبلك الآية قوله (وكم) مرات كثيرة (ساء) اى أحزن (نبيا) بينهما الجناس المصحف كقوله تعالى استهزئ برسل من قبلك الآية (من قومه) متعلق بقوله (استهزاء) اى سخرية وايذاء ففيه اقتباس وتلميح وهو الاشارة الى قصة أو شعر أو مثل سائر وذكرنا التلميح هنا مع كثرته فى كلامه لانه هنا اظهر باعتبار ظهور قصة المستهزئين وشدة الاعتناء بها وفيه أيضا

(قوله وهى اسم مصدر لاغار) قال فى القاموس أغار على القوم غارة واغارة دفع عليهم الخيل (قوله حتى صار) لعل الظاهر حذف حتى ليستقيم المعنى بتعلق بعد بصار (قوله ولما رآها أبو سفيان) اى ابن حرب اسلم وحسن اسلامه وأصيبت عينه يوم الطائف فأتى النبى صلى الله عليه وسلم وعينه فى يده فقال له ايما أحب اليك عين فى الجنة او ادعو الله ان يردها عليك فقال بل عين فى الجنة (قوله ويرجع) ترجيع الصوت ترديده فى الحلق كقراءة أصحاب الالحان اه مختار (قوله المستهزئين) قال الحافظ ابن حجر فيما تلخص من السيرة المستهزئون به صلى الله عليه وسلم لم يسلم منهم سوى الحكم بن العاص وكان اسلامه مع ذلك مدخولا وهو من غير الخمسة التى فى النظم قال البرلسى والمستهزئ هو الذى يبنى الاساءة على نوع من الهزل (قوله اقتبس المصنف من هذا الخ) الاقتباس من قوله ولقد استهزئ الخ ظاهر واما من قوله فاصبر الخ ففيه نظر (قوله وهو الاشارة الى قصة) كما هنا وكما فى قوله

فوالله ما ادرى أأحلام نائم ... ألمت بنا أم كان فى الركب يوشع

وصف لحوقه بالاحبة المرتحلين وطلوع شمس وجه الحبيب من جانب الخدر فى ظلمة الليل ثم استعظم ذلك حتى كأنه لا يمكن عادة كرد الشمس واستغرب وتجاهل وقال اهو حلم أراه فى النوم أم كان فى الركب يوشع عليه الصلاة والسلام واستوقف الشمس على ما روى انه قاتل الجبابرة يوم الجمعة فلما أدبرت الشمس خاف ان تغيب قبل ان يفرغ من قتالهم فيدخل السبت فلا يحل قتالهم فيه فدعا الله فى استيقاف الشمس فوقفت حتى فرغ من قتالهم ومثال الاشارة الى شعر وقصة أيضا قول الحريرى فى المقامة السابعة والعشرين مصحبا فبت بليلة نابغية واحزان يعقوبية أشار الى قول النابغة

فبت كأنى ساورتنى ضئيلة ... من الرقش فى انيابها السم ناقع

قوله ساورتنى أخذت برأسى ضئيلة اى حية دقيقة من الرقش اى فيها نقط سود وبيض ناقع بالغ ثابت والى قصة يعقوب ومثال الاشارة الى مثل قوله فى المقامة الثالثة والاربعين فكنت كمن ضيع فى الصيف أشار بذلك الى المثل المشهور وهو الصيف ضيعت اللبن

التذييل والمثل السائر في الجملة الاستفهامية (ورماهم) اى أصابهم (بدعوة) منه عليهم وصلت اليهم فأهلكتهم كما يصل السهم القاتل الى من رمى به فيهلكه (من) اى بدعوة كائنة في (فناء البيت) اى حوالى الكعبة وقيل انه شكاهم لجبريل فقال أمرت ان أكفيكهم ثم أشار الى كل بما أصابه وذلك لا ينافى دعاءه عليهم لان دعاءه كان سببا لاشارة جبريل عليه السلام اليهم بالهلاك وتجوز تعلق من برمى وانها لابتداء الغاية بعيد لكن فيه دقة تشبيه وبلاغة ولعل الناظم قصد ذلك لاستقامة الوزن مع كل فاتيانه بها مع كونها خلاف المتبادر انما هو عن قصد ثم وصف الدعوة أيضا بقوله (فيها) اى تلك الدعوة (للظالمين) متعلق بما بعده والاصل لهم وعدل عنه ليبين ان سبب هلاكهم ظلمهم وبغيهم عليه صلى الله عليه وسلم والظلم وضع الشئ في غير محله (فناء) اى استئصال لهم حتى لم يبق منهم أحد وبين فناء وفناء جناس محرف لاختلاف حركة الفاء (خمسة) بدل من المستهزئين أو الظالمين ويصح رفعه اى هم وخصه مع ان من المستهزئين أبا لهب وزوجته وعقبة بن أبى معيط والحكم بن العاص لانهم أشدهم وانما عجلت عقوبتهم (كلهم أصيبوا بداء) عظيم (والردى) اى الهلاك (من) جملة (جنوده) المسلطة عليه (الادواء) جمع داء وهو المرض وهذا ساقه مساق الحكم لمناسبته لما قبله فانه كالتعليل له اى انما أصيبوا بذلك الداء لانهم سعوا في تحصيل أسباب الردى لهم حتى وقعوا فيه ولم يجدوا منه مخلصا وبين داء وادواء جناس ناقص كما مر ثم فصل ذلك الداء الذى أهلكهم الله به فقال (فدهى) من الداهية وهى الامر العظيم المهلك (الاسود بن مطلب) بن أسد بن عبد العزى فهو أسدى (اى عمى) اى عمى عظيم لانه كما طمس بصره طمس بصيرته حتى لم يبق له تمييز بين الحسن والقبيح وليس العمى الا عمى البصيرة (ميت به) اى بسبب ذلك العمى (الاحياء) اى هم في حكم الاموات الذين لا ينظر اليهم ولا يعول عليهم ويحتمل ان المراد ان عماه كان سببا لموته على خلاف العادة مبالغة في هلاك ذلك اللعين فانه قتل بما لا يقتل عادة لانه حقت عليه الكلمة فمات فورا من غير سبب ظاهر لذلك وعلى هذا التقرير وعلى ان ميت مبتدا وما بعده مسد الخبر اى انه من شأن هذا العمى انه لو وقع للاحياء صاروا به في حكم الموتى لا بصر لهم ولا بصيرة فالجملة نعت كاشفة لما أفاده تنوين عمى اى انه عمى بصر وبصيرة ولم ينظر الناظم الى عدم اعتماد هذا المبتدا جريا على مذهب الكوفيين فانه قوى ومن ثم تبعهم الاخفش مع تقدمه وتحققه وقال ابن مالك الاعتماد حسن لا واجب وكأنه يريد ان يجمع بين رأى البصريين والكوفيين لكنه خلاف ما صرحوا به فيكون رأيا ثالثا والاحتمال ميت خبر مقدم لانا نقول لو كان خبرا لقال ميتون لوجوب المطابقة ولا حجة في قوله خبير بنو لهب ان خبير خبر مقدم لان فعيلا لا تلزم فيه المطابقة وبين ميت والاحياء الطباق (ودهى) أيضا (الاسود بن عبد يغوث) بن وهب بن عبد مناف بن زهرة فهو زهرى ويغوث في

(قوله في الجملة الاستفهامية) فيه ان الجملة خبرية لانه فسر كم بمرات كثيرة وهو يقتضى ان كم خبرية لا استفهامية تأمل (قوله لكن فيه دقة الخ) انظر وجهه (قوله مع كل) اى من فرعون (قوله ثم فصل ذلك الداء الذى أهلكهم) اى معينا الخمسة المستهزئين الظالمين بأسمائهم (قوله لانه حقت عليه الكلمة) يحتمل كلمة العذاب المذكورة فى الآية ويحتمل ان المراد بها دعوة النبي صلى الله عليه وسلم بفناء البيت (قوله وعلى هذا التقرير) انظر التقرير الذى علم منه هذا الاعراب فانه لم يظهر لى (قوله ولم ينظر الناظم الى عدم اعتماد الخ) انظر ما المانع من جعله نعتا سببيا لعمى على حد قوله وعزة ممطول معنى غريمها (قوله فيكون رأيا ثالثا) انما يظهر ذلك اذا قال الكوفيون بعدم استحسان الاعتماد في تجويزهم عدمه والا فالاستحسان متفق عليه فليس هناك مذهب ثالث ثم رأيت من المغنى انهم يقولون باستحسان الاعتماد وحينئذ فما ذكره الشارح غير ظاهر (قوله ولا حجة لهم) اى القائلين بخبرية ميت على تقدير وجود قائلين بذلك وانما قلنا على تقدير الخ لعدم وجود قائل بالفعل فتدبر (قوله خبير بنو لهب) تمامه

فلا تك ملغيا
مقالة لهبى اذا الطير مرت

اى ان بنى لهب عالمون بالزجر والعيافة فلا تلغ كلام لهبى اذا زجر وعاف حتى يمر عليه الطير والزجر والعيافة ضرب من التكهن كذا فى المختار وقال فى القاموس وزجر الطائر تفاءل به وتطير فنهره ثم قال والزجر العيافة والتكهن الاصل

الاصل اسم صنم (ان سقاه كأس الردى) اى الموت (استسقاء) حصل له فى جوفه واستمر به حتى أهلكه وهو داء خبيث على أنواع المراد منها هنا الزق وهو امتلاء الامعاء بالماء الفاسد المبطل للحرارة الغريزية المفضى الى الهلاك عن قرب وبين سقاه واستسقاء جناس الاشتقاق وتشبيه الردى بالمشروب حتى اثبت له ما هو من لوازم المشبه به من الكاس والسقى استعارة بالكناية تتبعها الاستعارة التخييلية (وأصاب الوليد) بن المغيرة ابن عبد الله بن عمرو بن مخزوم فهو مخزومى (خدشة سهم) اى أثر جرحة بأسفل رجله من شخص فى يده نبل وقيل أصابت ذيله شوكة فمنعه الكبر من ان يهوى لقلعها فضربها بالسوط فأصاب رجله قتاً كات ومات منها قبل وقعة بدر فكان سم ذلك الجرح أسرع الى هلاكه وأشنع من سم الافاعى فلذلك قال (قصرت عنها) اى عن تلك الخدشة (الحية الرقطاء) اى التى يخالط سوادها نقط بيض وهى أعظم الحيات اذى ووجه قصورها عنها فى الافضاء الى القتل ان الحية قد يقع البرء من لسعتها بخلاف تلك الخدشة فانها كانت قاتلة له حقا لانها أثر تلك الدعوة عليه المقبولة ثم رأيت بان بعضهم قال وانما كان الذى أصاب الوليد أعظم لان الحية انما تميت بواسطة السم وهذا بلا واسطة اه وما ذكرته أوضح وأحسن كما لا يخفى (وقضت شوكة) دخلت فى أخمص رجل العاص (على مهجة العاصى) بن وائل بن هشام بن سعد بن سهم فهو سهمى اى قتلته قتلا عجيبا ومن ثم عقبه بما يفيد التعجب فقال (فلله) هذه (النقعة) من قولهم الناس تقائع الموت اى انه يجزرهم كما يجزر الجزار النقيعة (الشوكاء) من قولهم برد شوكاء اى خشنة الملمس اى ما أعجب هذه القتلة الشديدة التى حصلت له من تلك الشوكة القليلة التأثير عادة فقد دخلت من شوكة خرقته فى أسرع وقت (و) قضت (على مهجة الحرث) اى مولى الطلاطلة بالموت الفظيع (القيوح) جمع قيح وهى المدة البيضاء التى لا يخالطها دم (و) الحال انه (قد سال بها رأسه وساء) اى قبح ذلك الرأس الذى هو (الوعاء) لتلك القيوح القاتلة لصاحبها وبين سال وساء الجناس الناقص وفى الختم بساء الوعاء التذييل وهؤلاء الملاعين (خمسة طهرت بقطعهم) اى هلاكهم (الارض) اى مكة ونواحيها او مطلقا لان ضررهم يسرى الى جميع البلاد (فكف الاذى) الذى كان يصل للناس لا سيما النبى صلى الله عليه وسلم منهم (بهم) اى بسبب فقدهم او مع فقدهم (شلاء) اى فاقدة الحركة فعلم انه شبه الاذى بالانسان من باب تشبيه المعقول بالمحسوس لافادة ان الاذى لو تجسم لكان انسانا يقدر على ايصال ما يريده بأى وجه كان ثم اثبت له ما هو من لوازم المشبه به وهو الكف التى يتناول بها سائر المضار التى يريدها ووصفها بالشلل لبيان ان الاذى لفقدهم صار معطلا لا حركة فيه ولا تأثير فتشبيهه استعارة مكنية تتبعها استعارة تخييلية وذكر الشلل الملائم للمشبه به ترشيح (فديت) بالبناء للمفعول يقال فداك بفتح أوله فيقصر وبكسره فيقصر ويمد وهو دعاء متضمن للتعظيم فهو من حيز الانشاء اى لو أمكن ان أحدا يكون فداء أحد من

(قوله وقيل أصابت الخ) والملائم للمتن ما أسلفه لان السوط ليست بسهم (قوله دخلت فى أخمص) الاخمص بفتح الميم ما لم يمس الارض من باطن القدم والمرأة خمصانة فوزنته بالتاء (قوله الجناس الناقص) فيه نظر اذ هذا من الجناس اللاحق لاختلاف الكلمتين بحرفين متباعدى المخرج فان كانا متقاربين فالجناس المضارع ومنه قوله تعالى وهم ينهون عنه وينأون عنه فالهاء والهمزة متقاربا المخرج فتأمل

الموت لسألت ان يكون هؤلاء فداءهم أو المراد اللهم اجعلهم فداءهم من المؤذيات وقوله ان كان الكرام فداء يدل على المعنى الاول (خمسة الصحيفة) الآتي بيانهم (بالخمسة) اللاعين المذكورهم اى جعلت هؤلاء بجمعهم فداء لكل واحد من أولئك من كل مكروه فالمقابلة هنا ليست من باب ركب القوم دوابهم (ان) جزاؤها محذوف لدلالة ما قبله عليه (كان الكرام فداء) وأولئك الخمسة الذين سعوا في نقض الصحيفة من جملة الكرام الذين يتعين فداؤهم عند الحاجات والشدائد ان ضم الفداء لانهم بذلوا نفوسهم في أمر عظيم جدا كما يعلم من ذكر قصتها وهي ان قريشا لما رأت عزة النبي صلى الله عليه وسلم بأمره في سنة خمس من النبوة بنحو بضعة عشر من أصحابه صلى الله عليه وسلم منهم عثمان وزوجته رقية بنت النبي صلى الله عليه وسلم بالهجرة الى الحبشة واستقرارهم فيها وباسلام حمزة ثم عمر بعده بثلاثة أيام وبفشو الاسلام في القبائل أجمعوا على ان يقتلوا النبي صلى الله عليه وسلم فبلغ ذلك أبا طالب فأتوا اليه بعمارة بن الوليد اعز فتى فيهم ليأخذه بدل ابن أخيه فأبى وجمع بني هاشم وبني المطلب فادخلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم شعبهم ومنعوه ممن اراد قتله واجابوه لذلك حتى كفارهم حمية على عادة الجاهلية فلما رأت قريش ذلك أجمعوا وائتمروا ان يكتبوا كتابا يتعاقدون فيه على بني هاشم وبني المطلب ان لا ينكحوا اليهم ولا ينكحوهم ولا يبيعوا منهم شيأ ولا يبتاعوا منهم ولا يقبلوا منهم صلحا ابدا حتى يسلموا اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم للقتل وكتبوا ذلك في صحيفة بخط بعضهم فشلت يده وعلقوا الصحيفة في جوف الكعبة تأكيدا في سنتها وبتاتها وكان ذلك هلال المحرم سنة سبع من النبوة فانحاز بنو هاشم وبنو المطلب الى أبي طالب فدخلوا معه في شعبه الا أبا لهب فكان مع قريش لعنه الله وأقاموا على ذلك سنتين او ثلاثا حتى جهدوا وكان لا يصل اليهم شيء الا سرا حتى ان حكيم بن حزام حمل غلاما معه برا يريد عمته خديجة رضي الله عنها فلقيه أبو جهل اللعين فتعلق به وأراد ان يفضحه فانتصر له أبو البختري بن هشام بن الحرث بن أسد وقال خل سبيله فأبى فأخذه لحى جمل فضربه به فشجه ووطئه وطأ شديدا فلما مضت تلك المدة قام أولئك الخمسة في نقض تلك الصحيفة وكان رأسهم هشام بن الحرث لقربه بعمه الذي هو أخو عبد المطلب ومن ثم كان واصلا لبني هاشم فكان يأتيهم ليلا بالبعير وعليه الطعام الى فم الشعب

(قوله سألت ان يكون الخ) غير ظاهر لسبق موت الجميع قبل تكلم الناظم بذلك فلا يتأتى فداؤهم من الموت وان كان الكرام فداء حتى يسأله تأمل (قوله يدل على المعنى الاول) غير ظاهر لما علمت بل الظاهر الثاني ويكون المراد فداءهم من المؤذيات المذاية فلا يسأل لهم ذلك فتدبر وسيأتي ان ثلاثة من الخمسة الساعين في نقض الصحيفة كانوا كفارا وأما الاثنان الباقيان وهما هشام وزهير فقد ماتا مسلمين فلا مانع من سؤال فداء الكفار لهما من العذاب (قوله بعمارة) بضم العين (قوله وادخلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم) أي خرجوا به جميعا من مكة وسكنوا به في شعبهم وهو الطريق بين الجبلين (قوله وائتمروا) اى تشاوروا (قوله ان لا ينكحوا اليهم) أى منهم (قوله ولا يبيعوا منهم) أى لهم (قوله حتى جهدوا) قال في المختار وجهد الرجل على ما لم يسم فاعله فهو مجهود من المشقة (قوله حتى ان حكيم بن حزام) اسلم بعد بدر وعاش ستين سنة في الجاهلية وستين في الاسلام قيل هو ايضا ممن سعى في نقض الصحيفة (قوله فأخذه) اى ابو البختري لحى بعير وهو العظم الذي تنبت عليه الاسنان فضربه اى ضرب ابا جهل اللعين (قوله ووطئه وطأ شديدا) اى داسه دوسا شديدا قال في القاموس وطئه داسه (قوله وكان رأسهم هشام الخ) أول من مشى في نقضه وكان كاتب الصحيفة وقد اسلم هشام المذكور يوم الفتح واعطاه النبي صلى الله عليه وسلم يوم حنين خمسين من الابل وقيل كاتب الصحيفة بغيض بن عامر بن هشام بن عبد مناف مات كافرا وقيل الكاتب النضر بن الحرث فدعا عليه النبي صلى الله عليه وسلم فشلت بعض أصابعه وقتل النضر كافرا قال ابن كثير والمشهور ان كاتبها منصور بن عكرمة وانه شلت يده وقيل كتب منها نسخ والذي كتب المعلقة في الكعبة هو الذي شلت يده وهي التي أكلتها الارضة كذا في السيرة الحلبية (قوله ابن الحرث) نسبة لجده اذ هو ابن عمرو بن الحرث

فيضلع

فيخلع خطامه ويضربه حتى يدخل ولعزته هشام بغمه هذا مشى الى زهير بن عاتكة بنت عبد المطلب فقال أرضيت ان تأكل الطعام وتلبس الثياب وتنكح النساء واخوالك حيث علمت وشدد عليه حتى قال لو وجدت رجلا معى لنقضتها فقال أنا معك فقال ابغنا ثالثا فذهب الى المطعم واستخفاه حتى قال لو وجدت رجلا قال انا قال ابغنا ثالثا قال قد وجدت زهير بن أبي امية قال ابغنا رابعا فذهب الى ابي البخترى واستخفاه ايضا فقال وهل من معين فذكره اولئك قال ابغنا خامسا فذهب الى زمعة واستخفاه فقال هل من احد فذكره القوم فاجتمعوا بالحجون واجمعوا على نقضها فقال لهم زهير وانا اول من يتكلم فلما اصبحوا اغدوا الى انديتهم وغدا زهير بحلة فطاف بالبيت سبعا ثم أقبل على الناس فقال يا اهل مكة انأكل الطعام ونلبس الثياب وبنو هاشم هلكى لا يباع ولا يبتاع منهم فيموتون والله لا اقعد حتى تشق هذه الصحيفة الظالمة القاطعة فقال له ابو جهل لعنه الله كذبت والله لا تشق فقال له زمعة انت والله اكذب ما رضينا كتابتها حين كتبت وقال ابو البخترى صدق زمعة ما نرضى ما كتب فيها ولا نقربه وقال المطعم بن عدى صدقتما وكذب من قال غير ذلك نبرأ الى الله منها ومما كتب فيها فقال ابو جهل هذا امر قضى بليل اشتور فيه بغير هذا المكان وابو طالب جالس فقام المطعم الى الصحيفة ليشقها فوجد الارضة قد اكلتها الا باسمك اللهم ولا يعارض ذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ذلك قال لابي طالب يا عم ان الله سلط الارضة على صحيفة قريش فلم تدع فيها اسما هو لله الا اثبتته ومحت منها الظلم والقطيعة والبهتان فقال أربك أخبرك بهذا قال نعم فأخبرهم أبو طالب بذلك وقال أنزلوها فان صدق فانتهوا عن قطيعتنا والا دفعته اليكم فنظروا فاذا هي كما قال صلى الله عليه وسلم فازدادوا شرا وذلك انه لا مانع انهم لما رأوا ذلك وازدادوا شرا قام أولئك الخمسة في اذهابها من أصلها فسعوا في نقضها وبذلوا جهدهم فيه قال الشارح ويحتمل ان أبا طالب انما أخبر بعضهم في نقضها وبعدها ان الاخبار بذلك حينئذ ليس له كبير جدوى فالاولى بل المتعين ما قدمته اذا تقرر ذلك علم انهم (فتية) اى كرام جمع فتى وهو السخى الكريم وفيه تصريح بما أومأ اليه من وصفهم بمكارم الاخلاق (بيتوا) اى دبروا واشتوروا بالحجون ليلا (على فعل خير) وهو نقضها او الخاطر تدونه بالنفوس لشدة قريش في ابقائها مع كثرتهم وعتوهم (حمد الصبح) اى الفجر او الصباح وهو من الفجر الى الزوال ويدل على هذا مقابلته بالمساء الذى هو من الزوال الى الغروب (أمره) اى شأنه وغايته (والمساء) واسناد الحمد لهذين الزمانين مجاز دل على شدة المبالغة في وقوع الحمد وطلبه على فعل ذلك الخير لان الزمان اذا حمد على ذلك فسائر العقلاء أولى واحق بذلك وبين الصبح والمساء الطباق كالشدة والرخاء والنقض والابرام فيما يأتي وجعل الشارح غير الاخيرين من المقابلة وهما من الطباق لا يتأتى على تفسيرهم الطباق بانه الجمع بين معنيين متقابلين في الجملة كما مر مبسوطا (بالامر) بفتح اللام هو نقضها ونادا على

(قوله فيخلع خطامه) بكسر الخاء حبل يقاد به البعير (قوله بنت عبد المطلب) فهى عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم (قوله ابغنا ثالثا) اى اطلب قال الكواشى في تفسيره يقال ابغنى بكسر الهمزة اى اطلب لى وبفتحها أعنى على طلبه (قوله واستخفاه) اى اقتضاه اى مدحه كما في القاموس (قوله فذهب الى ابي البخترى) بضم الباء والتاء بينهما خاء مهملة ساكنة كذا في شرح ابن عبد الحق وسيرة الحلبى وبعضهم قال بالخاء المعجمة وبعضهم قال بفتح الباء والتاء وبينهما خاء معجمة والراء مكسورة (قوله بحلة) اى متجملا بلبس حلة (قوله فقال أبو جهل الخ) ذكر في السيرة قبله ما نصه وقال هشام بن عمرو نحوا من ذلك اه وهشام بن عمرو هو هشام بن الحرث أحد الخمسة فالشارح نسبه لجده وصاحب السيرة نسبه لابيه كما سبق (قوله فقام المطعم الى الصحيفة ليشقها الخ) في السيرة الى الصحيفة فشقها وقام هؤلاء الخمسة ومعهم جماعة فلبسوا السلاح ثم خرجوا الى بنى هاشم وبنى المطلب فامروهم بالخروج الى مساكنهم ففعلوا (قوله فازدادوا شرا) اى غالبهم والا فبعضهم ندم وقال بغينا على اخواننا وظلمناهم (قوله أوما) بالهمز ولا يقال اوميت بالياء كما في المختار

طريق الاستغاثة تنزيلا لمنزلة العاقل مبالغة في تعظيمه ولذا كان ذلك مقصد التعجب من وقوعه كقولهم يا للدواهي اذا تعجبوا من كثرتها (أتاه بعد هشام) بن الحرث بن حبيب بن خزيمة بن مالك بن جسل بن عامر بن لؤى فهو عامري وقدمه لما مر انه أول الخمسة والسبب في اجتماعهم (زمعة) بن الاسود بن المطلب بن أسد (انه) بالكسر استئناف فيه معنى التعليل لكونه أول من كذب أبا جهل اللعين ورد عن هشام كامر (الفتى) اى الكريم في قومه (الاتاء) صيغة مبالغة من أتى فيه مع تاه جناس الاشتقاق كما في فديت وفداء (وزهير) بن ابي أمية بن المغيرة وأمه عاتكة بنت عبد المطلب عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم (والمطعم بن عدى وأبو البخترى) وأتى هؤلاء الخمسة النقض لا عن غير اتفاق ومواطأة بل انما أتوه اتيانا كائنا (من حيث) ظرف مكان حقيقة او مجازا وجوز الاخفش كونها ظرف زمان وبنيت لقصدها في حيث وحوث وحاث واعرابها لغة قليلة وتلزم الاضافة لجملة وندرت لمفرد خلافا للكسائي وعدم اضافتها بالكلية اندر وقيل ماد وتصرفها نادر بل أنكره أبو حيان والغالب كونها في محل نصب على الظرفية أو خفض بمن ولا تقع اسم ان ولا مفعولا به على خلاف فيهما وزعم الفارسي رحمه الله تعالى انها في قوله الله أعلم حيث يجعل رسالاته مفعول به اذ المعنى انه سبحانه يعلم نفس المكان المستحق لوضع الرسالة فيه لا شيأ في المكان وناصبها يعلم المدلول عليه باعلم لا هو لان أفعل التفضيل لا ينصب المفعول به الا ان اول بعالم (شاؤا) اى من المكان الذى قصدوه لتدبير أمرهم وتشاورهم عليه فلذلك وقع فعلهم الموقع الذى قصدوه ونتج الانتاج الذى دبروه (نقضوا) بدل من فعل خبر من نقض العهد أبطله (مبرم) اى محكم وأصله كالبرم الحبل الذى يجمع من مفتولين فتلا اى حبلا واحدا (الصحيفة) التي توافقت قريش على ابقائها على الدوام الا أن يسلم بنو هاشم والمطلب رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهم (اذ) اى وقت اولاجل ان (شدت) اى صممت (عليه) اى على ذلك الامر المبرم وهو عدم نقض تلك الصحيفة (من العدا) بيان لقوله (الاندا) جمع ناد وهو العشيرة ومنه فليدع ناديه واصله المكان الذى يجلس فيه للتحدث والسمر سمى من فيه باسمه اى نقضوا هذا الامر المبرم الذى قرأه عشائرهم وصمموا عليه (اذ كرتنا) بعد نسيانها جملة استئنافية لبيان الاكل الارضة الصحيفة تنظيرا وهو اكلها العصا سليمان عليه الصلاة والسلام (باكلها) لتلك الصحيفة والضمير للارضة الاتية التي هي الفاعل فهو عائد على متقدم رتبة وهو سائغ (اكل) مفعول أذكر الثاني (منساة) اى عصا (سليمان) بن داود صلى الله عليهما وسلم للملمات وهو متكئ عليها فصار كذلك سنة والجن يعتقدون حياته فيدأبون فيما سخرهم فيه من الاعمال الشاقة وما علموا موته الا باكل الارضة لمنساته فخر ساقطا وعلموا حينئذ ان لهم سنة مسخرين في العمل وانهم كانوا كاذبين في ادعائهم علم الغيب ولذا قال تعالى عز قائلا فلما قضينا عليه الموت ما دلهم على موته الا دابة الارض تأكل منسأته فلما خر تبينت الجن

(قوله لكونه أول من كذب أبا جهل) تعليل لمحذوف اى وثق به لكونه (قوله كامر) الذى مر انه ورد عن زهير لا عن هشام ولم يتقدم في الشرح لهشام كلام حين اجتماعهم مع ابي جهل وقومه (قوله أكل منساة) والحكمة في الاكلين سواء منساة سليمان ليعجز الجن عن علم الغيب اى عن ادعائه والصحيفة لاذهاب ما فيها من القطيعة والبين ليظهر عجزهم عن بقاء مرادهم من دوامها وعن نفاذ ما فيها (قوله من الاعمال الشاقة) اى بناء بيت المقدس لان داود عليه السلام اسس بيت المقدس في موضع فسطاط اى خيمة موسى عليهما الصلاة والسلام فمات قبل تمامه فوصى به الى سليمان فاستعمل الجن فيه فلم يتم بعد اذ دنا أجله وأعلم به فاراد ان يعمى عليهم موته ليتموه فدعاهم فبنوا عليه صرحا اى قصرا من قوارير اى زجاج ليس له باب فقام يصلى متكئا على عصاه فقبض روحه وهو متكئ عليها فبقى كذلك حتى أكلتها الارضة فخر ثم فتحوا عنه وارادوا ان يعرفوا وقت موته فوضعوا الخ (قوله ان لهم سنة مسخرين) وسبب معرفتهم ان المدة سنة انهم وضعوا الارضة على العصى فأكلت يوما وليلة مقدارا فحسبوا على ذلك فوجدوه تمام سنة كما في تفسير البيضاوى

ان لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين (الارضة) بفتح الراء وقد تسكن كما هنا وهى دويبة تأكل الخشب كالاذريعا (الخرساء) فيه تجنيس من شأنها اذ ليس من شأن الاخرس التذكير واثبات الخرس لها مجاز اذ الخرس حقيقة فقد النطق عمن من شأنه النطق (وبها) أى وبآكلها الصحيفة (اخبر النبى) صلى الله عليه وسلم عمه أبا طالب وهو أخبر قريشا كما مر مبسوطا (وكم) مرات كثيرة (اخرج) صلى الله عليه وسلم اى اظهر (خبا) اى شيأ مخبأ (له الغيوب خباء) اى ساترة وبين خبا وخباء الجناس المحرف وفى كم الخ التذييل * (تنبيهان) * أحدهما يجب على كل مكلف أن يعتقد ان الله تعالى هو المختص بعلم الغيب وان ما حصل لرسله وأوليائه منه فهو اما بوحى من الله او الهام والاستثناء فى قوله تعالى فلا يظهر على غيبه احدا الا من ارتضى الخ متصل كما هو الاصل وذكر الرسول لا للاختصاص به بل لان كرامة أولياء اتباعه من جملة كراماته ومعجزاته وفى الحديث انى لا اعلم الا ما علمنى ربى * (ثانيهما) * فى بيان ما أشار اليه الناظم من كثرة ما اخبر به صلى الله عليه وسلم من المغيبات * وحاصل شئ من ذلك عما يدلك على كثرة ما أخبر به صلى الله عليه وسلم من الغيوب ما فى القرآن منها ما لا يحيط به حد وخبر الطبرانى ان الله قد رفع لى الدنيا فانا أنظر اليها والى ما هو كائن فيها الى يوم القيامة كما انظر الى كفى هذه وخبر أبى داود قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم مقاما فما ترك شيأ الى قيام الساعة الا حدثنا به وفى الحديث الصحيح فعلمت علم الاولين والآخرين وصح انه صلى الله عليه وسلم اخبر بموت النجاشى يوم موته بالحبشة وصلى عليه باصحابه وانه وأبا بكر وعمر وعثمان صعدوا احدا فتحرك فضربه برجله وقال له اثبت فانما عليك نبى وصديق وشهيدان فاستشهدا وان ملك كسرى وقيصر ينقطع بعده من العراق والشام فكان كذلك فى زمن عمر وانه قال لسراقة كيف بك اذا لبست سوارى كسرى فألبسهما عمر له لما ازال ملك كسرى فى زمنه تحقيقا لذلك واخبر عمه العباس ببدر بما ترك بمكة من المال عند زوجته ولم يطلع عليه أحد غيرهما وأخبر بكتاب حاطب الى اهل مكة وبموضع ناقته حين ضلت وتعلقت بخطامها فى الشجرة وبان قريشا بعد الاحزاب لا يغزونه وباستشهاد أمراء الجيش الذى أرسله لموتة بلد بارض الشام يوم قتلهم زيد بن حارثة فجعفر بن أبى طالب فعبد الله بن رواحة رضى الله عنهم وبان بنته فاطمة رضى الله تعالى عنها أول أهله لحوقا به فماتت بعده بثمانية أشهر أو ستة وبان اشقى الاولين والآخرين قاتل على كرم الله وجهه بضربه فى يافوخه فيبتل من دمها لحيته فضربه الشقى ابن ملجم ضربة كذلك فمات منها وبان معاوية رضى الله عنه يلى أمر أمته وبانه لم يغلب رواهما ابن عساكر ومن ثم قال

(قوله وهى دويبة الخ) واذا مضى عليها سنة نبت لها جناحان تطير بهما وهى التى دلت الجن على موت سليمان على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام (قوله ذريعا) اى سريعا (قوله الغيوب) جمع غيب ١١٥ وهو ما غاب عن العيون (قوله اما بوحى الخ) فمن حصل له ذلك فى جزئية او جزئيات لا يقال فيه انه يعلم الغيب وقد يحصل لغير الاولياء معرفة ذكورة الحمل وانوثته بطول التجارب وقد يخطئ الظن وتنخرم العادة والعلم الحقيق عند الله سبحانه وتعالى وظاهر آية ان الله عنده علم الساعة الى آخرها ان الغيب الذى لا يعلمه الا الله مكان الوفاة لا وقتها ويوافق ذلك ما روى ان يهوديا كان يحسب حساب النجوم فقال لابن عباس ان شئت انبأتك عن نجم ابنك وانه يموت بعد عشرة أيام وانك لا تموت حتى تعمى وأنا لا يحول على الحول حتى أموت قال أين موتك يا يهودى قال لا أدرى قال ابن عباس صدق الله جل جلاله وما تدرى نفس بأى أرض تموت فرجع ابن عباس رضى الله تعالى عنهما فوجد ابنه محموما ومات بعد عشرة أيام ومات اليهودى قبل الحول ومات ابن عباس أعمى اه من شرح الترتيب للعراقى (قوله متصل) سبق له فى مبحث الولاية آخر الكتاب ان الاستثناء منقطع فراجعه (قوله بكتاب حاطب) قال فى المواهب ولفظ الكتاب الذى كتبه حاطب اما بعد يا معشر قريش فان رسول الله جاءكم بجيش يسير كالسيل فوالله لو جاءكم وحده لنصره الله وأنجز له فانظروا لانفسكم والسلام (قوله لموتة) بضم الميم ثم همزة ساكنة ويجوز ترك الهمز كما فى نظائره (قوله وبان اشقى الاولين) اى من العصاة المسلمين والا فابو جهل وأبو لهب واضرابهما اشقى منه أفاده الدنوشرى

علي كرم الله وجهه يوم صفين لو ذكرت هذا الحديث ما قاتلته وبان عثمان يقتل مظلوما
وروايته تقتل وأنت تقرأ البقرة فتقع قطرة من دمك على فسيكفيكهم الله موضوعة
وبوقعة الحرة من عسكر يزيد عليه ما عليه بعده بالمدينة فاستبيحت نفوس أهلها وابضاعهم
وأموالهم وقتل سبعمائة يحفظون القرآن منهم ثلثمائة صحابي وافتض منهم ألف عذراء
وبوقعة الجمل وصفين وقتال عائشة والزبير لعلي رضي الله تعالى عنهم ولذلك قال على
الزبير لما برز له يومئذ أنشدك الله هل سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول تقاتله
وأنت له ظالم فانصرف الزبير وقال بلى ولكن نسيت وقد يستشكل الوصف بالظلم مع ان
الزبير مجتهد فغاية ما فيه انه مخطئ وهو له أجر بنص الحديث الصحيح ويجاب بان أصل الظلم
وضع الشيء في غير محله وان لم يكن فيه اثم فالمراد وأنت قد وضعت القتال في غير محله خطأ
منك لا تعمدا أو فأنت ظالم حقيقة لو نظرت في الدليل حق النظر بقرينة ما تقرر ان
المجتهد المخطئ له أجر وبقوله في الحسن بن علي كرم الله وجهه ان ابني هذا سيد وسيصلح
الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين فكان كذلك فانه بويع بعد أبيه فمكث خليفة
ستة أشهر ثم سار لمعاوية بأربعين ألفا فلما تراءى الجمعان علم كثرة الفريقين وانه لا يغلب
أحدهما حتى يقتل الفريق الآخر فرق على المسلمين ورحمهم ورفض الملك في جنب ذلك
ابتغاء وجه الله كأبيه رضي الله عنهما ثم أرسل لمعاوية يشترط عليه شروطا وينزل له
عن الخلافة فأرسل اليه معرطا أبيض وقال اشترط ما شئت فاشترط ونزل له عن الملك فصار
معاوية من يومئذ خليفة حقيقة وبقتل الحسين بن علي كرم الله وجهه بالطف وأخرج
بيده تربة وقال فيها مضجعه وصح خبر استأذن ملك القطر ربه ان يزور النبي صلى الله عليه
وسلم فأذن له وكان في يوم ام سلمة فأمرها صلى الله عليه وسلم ان تحفظ الباب فجاء الحسين
فاقتحمه فقبله صلى الله عليه وسلم فقال له الملك أتحبه قال نعم قال ان امتك ستقتله وان
شئت اريتك المكان الذي يقتل فيه فأراه فجاء بسهلة بالكسر رمل خشن أو تراب أحمر
فأخذته أم سلمة فجعلته في ثوبها قال الراوي كنا نقول انها كربلاء وفي رواية انه قال لها اذا
صار دما فاعلمي انه قد قتل وأخبر ابن عمر انه سيعمى لما رأى جبريل معه في صورة رجل
وأخبر أم عبد الله بن عباس رضي الله عنهما انها ستلد من بأنه أبو الخلفاء وبان منهم السفاح
والمهدي واخبر بان الترك ستغلب على العرب حتى تلحقها منابت الشيح والقيصوم
وبقوله يوشك الناس ان يضربوا أكباد الابل فلا يجدون عالما اعلم من عالم المدينة قال
ابن عيينة وغيره هو مالك بن انس ومن ثم كان الناس يزدحمون على بابه لاخذ العلم حتى
يقتتلوا وممن روى عنه من الاكابر الزهري والسفيانان والشافعي والاوزاعي امام
أهل الشام والليث امام اهل مصر وأبو حنيفة وصاحباه أبو يوسف ومحمد وذو النون

(قوله القيصوم) بالقاف والصاد المهملة اسم نبت الناقع منه اطرافه وزهره مر جدا دخانه يطرد الهوام شرب سحيقه نافع
لعسر النفس والبول ويقتل الدواب اهـ ١١٦ من القاموس (قوله عالم المدينة) الاضافة على معنى في (قوله هو مالك بن أنس)
لا يقال علماء المدينة كثير منهم الفقهاء السبعة وغيرهم من مشايخ مالك لان مذاهبهم لم تنتشر في الاقطار كانتشار مذهبه وكذا يقال في عالم قريش (قوله وأبو حنيفة) قال اشهب بن عبد العزيز رأيت ابا حنيفة بين يدي مالك كالصبي بين يدي امه قال الذهبي وهذا يدل على حسن ادب ابي حنيفة مع كونه أسن من مالك بثلاث عشرة سنة اهـ من طبقات المناوي قال الملا علي قاري في شرح عين العلم الذي هو مختصر الاحياء ما نصه وقد أورد بعضهم حديثا في مدح أبي حنيفة وهو أبو حنيفة سراج أمتي وهو حديث موضوع كما قاله الصاغاني وغيره بل قال السيوطي وما ورد في ذكر أبي حنيفة من الاحاديث باطل لا اصل له ثم أخرج الشيخان عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لو كان العلم عند الثريا لتناوله رجال من أبناء فارس قال السيوطي هذا أصل صحيح يعتمد عليه في البشارة بأبي حنيفة وفي الفضيلة التامة قلت مع كونه من التابعين اتفاقا على اختلاف في انه هل روى عن الصحابة أم لا ومما يصلح الاستدلال
على عظم شأن أبي حنيفة ما روي عنه صلى الله عليه وسلم انه قال ترفع زينة الدنيا سنة خمسين ومائة ومن ثمة قال المصري
شمس الائمة الكردري هذا الحديث محمول على أبي حنيفة لانه مات تلك السنة كذا ذكره ابن حجر المكي في الخيرات الحسان =

المصري والفضيل وابن المبارك وابن أدهم رحمهم الله وبعالم قريش وانه يملأ طباق
الارض علما قال أحمد وغيره نراه الشافعي لانه لم ينتشر في طباق الارض لقرشي صحابي
او غيره ما انتشر للشافعي اي والذي انتشر لعلي وابن عباس ونحوهما مسائل قليلة جدا
كما يعلم ذلك من سبر كلامهم واطلع عليه وزعم الصغاني ان الحديث موضوع مردود فيه
وانما فيه نوع ضعف ذكره والمشهور انه صحيح وقد جمع الحافظ العسقلاني طرقه في كتاب
مستقل واخبر بالخوارج الذين خرجوا على علي كرم الله وجهه وان فيهم رجلا اسود
احدى عضديه مثل ثدي المرأة فقاتلهم علي واخرج ذلك الرجل حتى رآه الناس بالوصف
الذي وصفه به صلى الله عليه وسلم واخبر بالرافضة وانهم يرفضون الاسلام وبالقدرية
والمرجئة وبان امته ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة وبانها تكون كلها في النار الا
الفرقة التي تكون على ما كان عليه هو واصحابه وهم الطائفة الذين اخبر عنهم بانهم
لا يزالون على الحق لا يضرهم من خالفهم الحديث والساعة اي قربه بتفصيل وبامارات
الساعة الكثيرة جدا فوقع كثير منها وينتظر وقوع الباقي ومما وقع منها النار التي قال
عنها صلى الله عليه وسلم كما رواه الشيخان لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من ارض الحجاز
تضيء لها اعناق الابل ببصرى فخرجت نار عظيمة على نحو مرحلة من المدينة المشرفة
وتقدمها زلزلة عظيمة بعد عشاء الاربعاء ثالث جمادى الآخرة سنة اربع وخمسين
وستمائة ولم تزل تشتد وتغلي كغليان البحر الى ان ارتجت منها الارض ومن عليها حتى ايقن
اهل المدينة بالهلاك وكثرت الزلازل حتى وقع منها في يوم واحد نحو ثمان عشرة زلزلة لكن
ببركته صلى الله عليه وسلم كان يغشى المدينة نسيم بارد وريئت من مكة وجبال بصرى
وانطفأت ليلة الاسراء سابع عشري رجب وقد اودع المؤرخون في اخبارها ما يطول
استقصاؤه واذا تأملت ما اطلعه الله تعالى عليه من الغيوب لا سيما ما يتعلق بأمر الصحفة
علمت ان ذلك من تمام عنايته به تعالى به وانه لا يشبه أحد قط ومن ثم عقب الناظم ذلك
بقوله (لا تحل) بفتح التاء الفوقية والمهملة من حلت الشيء حلا ومحلة تكلفته (جانب) هو
في الاصل شق الانسان وأريد به هنا كله تعبيرا بالبعض عن الكل فالاضافة بيانية (النبي
مضاما) اي مضيما (حين) وفي نسخة حيث والاول اظهر اذ هو ظرف لمضاما (مسته) صلى
الله عليه وسلم (منهم) متعلق بقوله (الاسواء) اي الايذاآت الكثيرة حال كونها صادرة
منهم كضربه وخنقه واغراء سفهائهم به فرموه حتى سال الدم على قدميه وكشج وجهه
وكسر رباعيته وغير ذلك مما الوجه جميل لم يتحمله بل جانبه مع ذلك لم يزل يترقى في مراتب
النصر والفتح الى ان بلغ غاية العز والجلالة وجانبهم لم يزل يتقهقر ويضمحل حتى وصل الى
حضيض الذل والهوان قال الله تعالى اذا جاء نصر الله والفتح الآيات ليظهره على الدين
كله والله يعصمك من الناس ثم ما اصابه صلى الله عليه وسلم من ايذا آتهم فيه اسوة
بالانبياء قبله اذ اصابهم من ايذا آت أممهم مثل ذلك او اكثر منه لكن (كل أمر) من

(قوله في مناقب أبي حنيفة النعمان وقد ثبت ان أباه ثابتا ذهب به الى علي بن أبي طالب كرم الله وجهه وهو صغير فدعا له بالبركة فيه وفي ذريته اهـ وقوله وقد ثبت الخ غير صحيح لان الامام عليا مات قبل تمام سنة اربعين من الهجرة والامام أبو حنيفة انما ولد سنة ثمانين منها فقد مات الامام علي قبل ولادة أبي حنيفة بأربعين سنة الأشهر اوقد ذكر الشعراني في طبقاته انه لم يكن في زمن أبي حنيفة من الصحابة الا أربعة انس بن مالك وعبد الله ابن ابي أوفى وسهل بن سعد وابو الطفيل وهو آخرهم موتا ولم يأخذ عن احد منهم اهـ كلام الشعراني فعنده انه لم يأخذ عن الصحابة ولم يعلم من اجتمع به من هؤلاء الاربعة (قوله المشهور منه) الظهور والوقوع فالشيء بجملة مبالاة اهـ مختار (قوله اي مضيما) اي لا انتصار بعده (قوله الاسواء) جمع سوء وسواء اي فعل به ما يكرهه

الامور العظيمة (تأب) اى اصاب (النبيين فالشدة فيه) التى تحصل لهم منه (محمودة) لانها ارفع درجاتهم العلية (والرخاء) اى السعة فيه محمودة ايضا الا انه لتكثر اتباعهم وتفنى اعداؤهم ومما بين التذلتو وضحا من المقررفى المعقول انه (لو يمس النضار) اى الذهب (هون) بالضم اى هوان (من) ادخاله الى (النار) لاختبار خلوصه من الغش والنقص (لما اختير النضار الصلاء) اى العرض على النار لعزته على النفوس وشبهاته من ادنى نقص يصيبه فالانبياء كالذهب والشدائد التى تنوبهم كاصابة النار الذهب فكما أن النار لا تزيد الذهب الاحسنا فكذلك الشدائد لا تزيد الانبياء الارفعة وفى لا تغفل الى هنا الكلام الجامع البالغ من الحكم والبلاغة ما لا يخفى عظيم وقعه • ولما ذكر ما يناسب قوله لا تغفل جانب النبى مضا ما برهن عليه بقوله (كم يد) اى جارحة (عن نيه كفها الله) اى منعها وخذلها فلم تصل اليه بسوء قصدته صلى الله عليه وسلم (و) الحال انه قد وجد (فى الخلق) اى المخلوقين الذين هم أعداؤه المريدين لاهلا كه (كثرة واجتراء) اى شجاعة وتهور واقدام على فعل ما خطر فى النفس من غير نظر فى عاقبته (اذ) ظرف لكف اى وقت ان (دعا) اى طلب حال كونه (وحده العباد) كلهم الى عبادة الله وترك ما هم عليه من الجهالات والاباطيل والضلالات (و) ان (امست) اى حصلت اذ أمسى يستعمل كثيرا فى ذلك (منه) فى كل الانفسة (فى كل مقلة) منهم وهى شحمة العين التى تجمع البياض والسواد (اقذاء) جمع قذى وهى ما يسقط فى العين مما يؤلمها ويكدرها وذلك لانه صلى الله عليه وسلم فى ابتداء أمره مع وحدته وقلة عضده وناصره كان يدعوهم الى الايمان بالله وحده وينادى عليهم فى انديتهم بتسفيه احلامهم وسب آلهتهم ورميها بكل عيب وسوء فيبالغون حتى اقرب أقاربه كعمه ابى لهب فى ايذائه والتجرى عليه لكثرتهم ووحدته وهو مع ذلك محروس بحراسة الله مكلوء بكلاءته محفوظ بحفظه مقادعلى ما هو فيه غير ملتفت لايذائهم بل صابر عليه الصبر الجميل وأمره لا يزداد الا ظهورا وعلوا وأصحابه واعوانه يكثرون ويتقوون على أعدائهم شيأ فشيأ الى ان مكنه الله تعالى من نواصى أعدائه فاذاق من بقى منهم على كفره الهوان وأحل من خضع منهم لعزته مأمن البقاء والامان ومما يشبك بعظيم ايذائهم له وتصبره عليهم ما ذكره أهل السير ان عمرو بن العاص قال لابن الزبير ما اكثر ما رأيت قريشا أصابوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر له ان اشرافهم اجتمعوا فى الحجر فذكروا ما يخطيهم من سبهم وسب آلهتهم فطلع عليهم صلى الله عليه وسلم فاستلم الركن وطاف فلما مر بهم انتقصوه فسمع ذلك ثم مر بهم فاساؤه ثم مر بهم فاساؤه فوقف فقال اتسمعون يا معشر قريش اما والذى نفسى بيده لقد جئتكم بالذبح فاخذتهم كلمته وارتعدت منها فرائصهم فالانوا له القول وقالوا انصرف يا ابا القاسم فوالله ما كنت جهولا فلما اجتمعوا من الغد فى الحجر وفعلوا معه مثل ما ذكر ثم وثبوا اليه وثبة رجل واحد يؤنبونه بسب آلهتهم فاخذ بعضهم بمجمع ردائه فقام اليه أبو بكر وحال بينهم

(قوله فالشدة فيه محمودة) اى لانهم أجل من يتحلى بمقام الرضا وشهود الشدة منه سبحانه والتلذذ بتلك الشهود (قوله لرفع درجاتهم) قال القاضى عياض وليعلم انهم من البشر يصيبهم محن الدنيا وما يطرأ على أجسام البشر فيتيقن انهم مخلوقون ولا يفتتن بما ظهر على أيديهم من المعجزات اه (قوله الصلاء) بكسر الصاد اه ابن عبد الحق (قوله مكلوء) اى محفوظ بكلاءته بالكسر والمد اى حفظه (قوله وارتعدت منها فرائصهم) جمع فريصة وهى اللحمة بين الجنب والكتف اى التى لا تزال ترعد من الدابة (قوله يؤنبونه) قال فى الصحاح أنبه تأنيبا عنفه ولامه

ويثنه كامى * (تنبيه) * قرينة سياق النظم مصرحة بان القذى فى العين مستعار لما
حصل لهم فى عيونهم بما يرونه من اذلاله صلى الله عليه وسلم لهم كما مر آنفا وأما قول بعضهم
يحتمل ان يريد بالقذى ما على أعينهم من الغشاوة المانعة من النظر فى أمره الحاجبة لهم
عن اتباعه أو يريد ما على قلوبهم من الران والصدا الحاجب عن الايمان فيكون عبر
بالمقلة عن عين البصيرة مجازا لعلوها من الران والصدا اه فهو غفلة عن سياق المتن وعدم
تأمل له بالكلية لانه انما حكم بانه صلى الله عليه وسلم اسكن القذى بكل مقلة منهم وحينئذ
فلا يصح تفسير القذى بشئ مما ذكره وانما يصح تفسيره بما ذكرته فتأمله والدليل على تلك
الحراسة الباهرة انه (هم قوم) يدخل فيهم النساء تبعا (بقتله) بالسيف (فأبى السيف) اى
امتنع من الوصول اليه والتأثير فيه (وفاء) اى لاجل وفائه بما أخذ عليه كبقية الخلق
من الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم واجلاله وتوقيره وتعظيمه وذلك الامتناع وقع غير
مامرة فقد جاء انه صلى الله عليه وسلم كان اذا نزل منزلا اختار له أصحابه شجرة يقيل فيها
فوقعتها اذ جاء اعرابى فاخترط سيفه ثم قال له من يمنعك منى قال الله عز وجل فرعدت يده
وسقط السيف وضرب برأسه الشجرة حتى سال دماغه كما روى وصح ان غورث بن الحرث
اخترط سيفه صلى الله عليه وسلم وهو نائم فاستيقظ فوجده فى يده صلتا فقال من يمنعك
منى قال الله عز وجل فسقط من يده فأخذه صلى الله عليه وسلم وقال من يمنعك منى قال كن
خير آخذ فعفا عنه فرجع الى قومه وقال جئتكم من عند خير الناس وروى انه صلى الله
عليه وسلم وقع له نظير ذلك فى غزوة بدر مع منافق تبعه لما خرج لقضاء حاجته ووقع نظير
ذلك مع رجل سيد لقومه شجاعة وغيرها اغروه على قتله فجاءه ثم رجع اليهم مسلما
فانكروا عليه فقال نظرت الى رجل أبيض طويل دفع صدرى فوقعت لظهرى وسقط
السيف من يدى فعلمت انه ملك واسلمت (وفاءت) اى رجعت على راميها وبين وفاء و
الجناس اللاحق (الصفواء) اى رجعت الحجارة عن اصابته بل جعلت فى يد راميها الذى
هم بقتله أيضا (و) هم (أبو جهل) بن هشام بن المغيرة المخزومى وكان من أشد الاعداء على
رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك انه اجتمع هو وقريش يوما فجاءهم صلى الله عليه وسلم وبالغ
فى انذارهم وتسفيه احلامهم وسب آلهتهم فاظهروا له شدة الاباء والتعنت فانصرف
عنهم حزينا عليهم فقال لهم ابو جهل اللعين يا معشر قريش ان محمدا قد ابى الا ما ترون وانى
اعاهد الله تعالى انى لاجلس له غدا بحجر لا يطيق حمله فاذا سجد فى صلاته رضخت به رأسه
فاسلمونى عند ذلك او امنعونى فليصنع بى بنو عبد مناف ما بدا لهم فقالوا والله لا نسلمك لشئ
ابدا فلما اصبح اخذ حجرا كما وصف فلما سجد صلى الله عليه وسلم كعادته وقريش ينظرون

(قوله واما قول بعضهم) وهو شارحها المالكى الشهاب بن الاقيطع البرلسى (قوله فأبى السيف) فى نسبة الاباء اليه تجوز (قوله وصح ان غورث) بضم الغين المعجمة وفتحها أسلم وصحب النبى صلى الله عليه وسلم ومات بعد ذلك (قوله اخترط سيفه) اى سله (قوله صلتا) بفتح الصاد وضمها اى مسلولا اه شرح مسلم للنووى (قوله مع رجل) هو غورث بن الحرث كذا فى شرح الشهاب البرلسى (قوله الجناس اللاحق) فيه ان الجناس بين قوله وفاء وقوله وفاءت وحينئذ فهو جناس ناقص ويسمى مطرفا حيث وجد النقص فى الطرف كما هنا فلها اسمان اذ الواو والعطف وتاء التأنيث حرفان مستقلان (قوله اى رجعت على راميها) فيه انها لم ترجع عليه وانما جعلت فى يده فالظاهر ما ذكره بعد من رجوعها عن الاصابة تأمل (قوله الصفواء) قال فى القاموس والصفاة الحجر الصلد الضخم لا ينبت الجمع صفوات وصفا جمع الجمع اصفاء وصفى وصفى كالصفواء والصفوانة جمعها صفوان ويحرك اه (قوله بل جعلت) من باب دخل ونصر (قوله وهو ابو جهل) هذا التقدير لا يناسبه واحد من الاعرابين الآتيين وكأنه لمجرد بيان المعنى فقط اه طبلاوى والضمير راجع للرامى فى قوله جعلت فى يد راميها ولعل هو محرف عن هم فيكون قد قدر ما وافق الاعراب الاول من الاعرابين الآتيين فحرر وقد وجدت فى نسخ ذلك ويعين ذلك قوله بعد ظرف لهم الخ وقد يقال بعدم تعيين ما يأتى بعد ذلك لاحتمال أن يراد بقوله ظرف لهم المقدر على احد الاعرابين الآتيين له لا على ما قدره قبل ويكون ما يأتى له محل اعراب وما ذكره هنا حل معنى كما علمت من المنقول عن الطبلاوى تأمل

(قوله وضمها) والضم هنا متعين للنظم (قوله او الطائر العظيم المعروف) قال استاذنا فى شرحه نقلا عن الجامع الكبير عازيا اى الجامع للسبط المسعودى فى مروج الذهب عن ابن عباس مرفوعا ان الله تعالى خلق طائرا فى الزمن الاول يقال له العنقاء فكثر نسله فى بلاد الحجاز فكانت تخطف الصبيان فشكوا ذلك لخالد بن سنان وهو نبى ظهر بعد عيسى اى على قول تقدم رده فدعا عليها ان يقطع نسلها فبقيت صورتها وفى المثل طارت به العنقاء وفى المختار العنقاء الداهية وأصل العنقاء طائر عظيم معروف الاسم مجهول الجسم (قوله جناس الاشتقاق اوشبهه) ان كان المراد بالاشتقاق الاشتقاق الصوى وبشبهه مجرد المشاركة فى المادة فهذا من شبهه وان كان المراد بالاشتقاق المشاركة فى المادة أعم من الموافقة فى المعنى فهذا منه لكن رأيت فى كثير من شروح البديعيات ان الاشتقاق ان يشتق من الاسم العلم معنى لمدح أو هجاء كقول ابن دريد فى مقصورته الصوى

لو أوحى النحو الى نفطويه
ما كان هذا النحو يعزى اليه
أحرقه الله بنصف اسمه
وصير الباقى صراخا عليه

اه وعليه فعنق وعنقاء ليس من هذا القبيل وانظر المراد بشبه الاشتقاق على هذا المعنى حتى يكون هذا منه وفى مواضع من الشرح سابقا ولاحقا مايدل على ان المراد بالاشتقاق الاتفاق فى المادة مع المشاركة فى أصل المعنى وبشبهه مجرد المشاركة فى المادة من غير مشاركة فى أصل المعنى كما فى بديعية الزفتاوى وسيأتى فى شرح وكم سام الشفوة الاشقياء وفى الكتابة عليه ما يصرح بأن المراد هذا وتقدم أيضا مايؤيده عند قوله شفتنا بقولها الشفاء وقوله قصو وقيصر ولعل الاشتقاق عند أهل البديع قسمان القسم الاول مانقلناه عن كثير من شراح البديعيات والقسم الثانى ماذكرناه عن الزفتاوى فتدبر وحرر (قوله وظاهر قول القاموس) لم يقل وعين لاحتمال ان تقاضاه فى القاموس المراد به تقاضى منه فيكون على نزع الخافض (قوله مع هذا الرجل وغيره) يشير بذلك الى ان الناظم أراد ذم بيعه وشرائه من حيث هو لا بخصوص الواقعة لكونه أبلغ فى الذم ومن ثم حسنت مراعاة النظير

احتمل العين الجر ثم اقبل نحوه حتى اذا دنا منه رجع منهزما منتقعا لونه قد يبست يداه على الحجر حتى قذفه فقاموا اليه وقالوا مالك يا ابا الحكم قال قمت اليه لافعل ماقلت لكم البارحة فلما دنوت منه عرض لى دونه فحل من الابل لا والله مارأيت مثل هامته ولا مثل صورته وانيابه لفحل قط فهم بى ان يأكلنى وذكر انه صلى الله عليه وسلم قال ذاك جبريل لو دنا منى لاخذه (اذ) ظرف لهم المقدر قبل ابو جهل لانه معطوف على هم قوم بقتله بالحجر اى وهم ايضا ابو جهل بقتله بالحجر الذى حمله وقت ان (رأى عنق) بسكون النون وضمها (الفحل) وقد برز اليه (كأنه العنقاء) اى الداهية العظيمة او الطائر العظيم المعروف و بين عنق وعنقاء جناس الاشتقاق اوشبهه وماذكر من ان ابو جهل معطوف على قوم وان اذ ظرف لهم هو ما جزم به الشارح وهو بعيد لانه يلزم عليه انه وقت رؤية الفحل هم بقتله وذلك غير واقع بل حصل له حينئذ من الهيبة والخوف والذلة ما اذهله والحق انه معطوف على السفواء اى وبعث السفواء عن الوصول اليه صلى الله عليه وسلم ورجع ابو جهل عن الرمى بها وقت رؤية الفحل فاذ حينئذ ظرف لقات مع فاعلها او ما عطف عليه (واقتضاه) معطوف على هم قال الشارح وكأنه على نزع الخافض اى اقتضى منه وظاهر قول القاموس واستقضى فلان طلب اليه ان يقضيه وتقاضاه الدين قبضه انه متعد بنفسه اى طلب (النبى) صلى الله عليه وسلم من ابى جهل اللعين ان يؤدى (دين) كهلة بن عصام بن كهلة بن اراش بن الغوث بن عمرو بن الغوث (الاراشى) بكسر الهمزة لكونه لما قدم مكة بابل له ليبيعها اشتراها منه ابو جهل ثم مطله باثمانها فوقف الاراشى على نادمن قريش فقال هل من رجل يخلصنى من ابى الحكم فانى غريب وابن سبيل وقد غلبنى على حقى فقالوا لا يخلصك منه الا ذلك الرجل اى محمد صلى الله عليه وسلم قالوا له ذلك استهزاء به فجاء اليه صلى الله عليه وسلم فقال له يا عبد الله ان ابا الحكم قد غلبنى على حقى وقد سألت أولئك القوم فأشاروا اليك تخلصنى منه يرحمك الله فقام معه ليخلصه منه كيف (وقد ساءه) ذكر مع ان الكلام ليس الا فى الشراء لانه تقديره فهو من مراعاة النظير (والشراء) اى وشراؤه مع هذا الرجل وغيره ولما ذهب اليه أمروا واحدا منهم ان

يتبعه لينظر ماذا يصنع فضرب صلى الله عليه وسلم بابه عليه فقال من ذا قال محمد فاخرج
الى فخرج اليه وقد انتقع لونه فقال أعط هذا الرجل حقه قال نعم لا تبرح حتى يأخذه
فدخل فأخرجه اليه فجاء الى أولئك وأخبرهم بما وقع فجاء أبو جهل فقالوا له ويلك والله
ما رأينا مثل هذا الذى صنعت قط قال ويحكم والله ما هو الا انه ضرب على بابى فسمعت
صوته فملئت رعبا ثم خرجت اليه وان فوق رأسه لفحلا من الابل ما رأيت مثل هامته ولا
صورته ولا أنيابه لفحل قط والله لو أبيت لأكلنى (و) من ثم (راى) ابو جهل العير محمدا
(المصطفى) صلى الله عليه وسلم وقد (اتاه بما) اى بجمل ابل (لم ينج) بفتح ثم ضم وبضم ثم
كسر مع تخفيف الجيم ولا يجوز كما هنا الا بحل الوزن تشديدها من نجا ينجو وانجى ينجى
فهو ناج ومنج (منه دون الوفاء) اى ذلك الدين الذى لا راشى (النجاء) بوزن الضراب مبالغة
فى ناج فالوفاء مقصور ويجوز بتخفيف الجيم مصدرا فالوفاء ممدود وفى القاموس نجا نجوا
ونجاء ونجاة ونجايه تخلص كنجى واستنجى وأنجاه الله ونجاه وعلى هذا الوفاء مقصور وعلى
كل هو فاعل ينج ونظيره فى المصدر قول الحلبى ملأ الوحشة فؤادى وبرح التبريح
أى ذلك الفحل لا ينجى أو لا ينجو منه النجاء بالمبالغة اى من تكررت نجاته من الامور
الصعبة الا ان وفى ذلك الدين أو لا ينجو منه النجاء بالتخفيف الا بعد ذلك الوفاء (هو) اى
الفحل المرئى فى هذه الواقعة (ما) أى الفحل الذى (قد رآه من قبل) أى فى الواقعة السابقة
فى قوله وقاحت الصفو الخ (لكن) لا استغراب فى ذلك لان هذا اللعين (ما على مثله) فى
العتو والتهور السالبين لادراكه الموجبين لاهلاكه وهو أبلغ من عليه لانه ناص اثبات
الحكم عليه بينة على حد مثلك لا يبخل (يعد الخطاء) لان خطأه لا ينحصر فلا يعد وعد
الخطاء لغة شهيرة * (تنبيه) * قد يسئل عن الحكمة فى كون أبى جهل منع فى هاتين
الواقعتين من أن ينال من رسول الله صلى الله عليه وسلم شيأ مطلقا أشد المنع ولم يمنع من
القاء سلى الجزور على ظهره صلى الله عليه وسلم وهو يصلى قلت كان السر فى ذلك امهاله
حتى تنفذ دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه وفى أمثاله ممن كانوا أشد الناس عليه
صلى الله عليه وسلم فيظهر عزه صلى الله عليه وسلم ونصره عليهم الناس باهلاكهم وبعوثه
والقائهم فى القليب على أخس حالة وأقبحها ولو منع اللعين من ذلك لم تحصل هذه
الكرامات فكان تمكينه من ذلك الفعل هو عين اهلاكه واهلاك نظرائه ومختصر تلك
القصة أنه صلى الله عليه وسلم كما فى البخارى كان يصلى عند الكعبة وجمع من قريش فى
مجالسهم اذ قال قائل منهم الا تنظرون الى هذا المرائى أيكم يقوم الى جزور آل فلان
فيعمد الى فرثها ودمها وسلاها فيجىء به ثم يمهله حتى اذا سجد وضعه بين كتفيه فانبعث
أشقاهم وهو عقبة بن أبى معيط فلما سجد وضعه بين كتفيه وثبت صلى الله عليه وسلم
ساجدا اى لانه لم يعلم بخصوص ما وضع له وانما لم ينقل انه أعاد لاحتمال انه كان فى نافلة
بل هو الواقع لان هذه الواقعة قبل فرض الخمس ولم يكن فرض من الصلاة يومئذ الا ما فى

(قوله وقد انتقع لونه) ويقال امتقع بالميم اى تغير من حزن أو فزع
(قوله مثل هامته) اى رأسه ولا صورته وفى نسخة قصرته قال فى الصحاح القصرة بالتحريك أصل العنق (قوله وبرح التبريح) قال فى المختار تقول برح به الامر تبريحا اى جهده ثم قال وتباريح الشوق توهجه (قوله ما قد رآه) انما عبر بما التى وضعها لغير العاقل مع ان الفحل جبريل عليه الصلاة والسلام وهو من ذوى العلم فالمناسب التعبير بمن نظرا لصورته التى انتقل اليها بالتطور وهى من غير ذوى العلم (قوله من القاء سلى الجزور) اى من التسبب فى القائه والا فالمباشر للالقاء عقبة بن ابى معيط (قوله فى القليب) هو البئر قبل ان يطوى اى قبل ان يبنى بالحجارة اه من المختار (قوله اذ قال قائل منهم) هو ابو جهل (قوله وسلاها) السلى بفتح السين المهملة وتخفيف اللام مقصور وهو اللفافة التى يكون فيها الولد فى سائر الحيوان وهى من الآدمى المشيمة اه شرح مسلم للنووى (قوله فانبعث أشقاهم) هو عقبة ابن ابى معيط اى بعثته نفسه الخبيثة من دونهم فأسرع السير وانما كان أشقاهم مع ان فيهم أبا جهل وهو أشد كفرا منه وايذاء لرسول الله صلى الله عليه وسلم لانهم اشتركوا فى الكفر والرضا بالفعل وانفرد عقبة بالمباشر فكان أشقاهم ولذا قتلوا فى الحرب وقتل هو صبرا وفيه ان عمارة لم يقتل فى الحرب كما سياتى

سورة المزمل وهو صلاة الليل فلما رأوا ذلك ضحكوا حتى مال بعضهم على بعض فانطلق منطلق الى فاطمة رضى الله تعالى عنها وهى جويرية فاقبلت تسعى وثبت النبى صلى الله عليه وسلم ساجدا حتى ألقته عنه وأقبلت عليهم تسبهم فلما قضى صلى الله عليه وسلم الصلاة قال اللهم عليك بقريش ثم سمى اللهم عليك بعمرو بن هشام وهو أبو جهل وقدمه لانه أشقاهم وأشدهم اذية له صلى الله عليه وسلم وعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة والوليد بن عقبة وأمية بن خلف وعقبة بن ابى معيط وعمارة بن الوليد قال عبد الله بن مسعود فوالله لقد رأيتهم صرعى يوم بدر ثم سحبوا الى القليب قليب بدر ثم قال صلى الله عليه وسلم وأتبع اصحاب القليب لعنة وظاهر السياق انه صلى الله عليه وسلم قال ذلك عقب هذا الدعاء فيكون من علمه وفيه علم من اعلام نبوته ويحتمل على بعد انما قال ذلك عند القائم فى القليب وقول عبد الله بن مسعود رأيتهم صرعى فى القليب مراده أكثرهم فان عمارة انما مات بأرض الحبشة لكن على أشر قتلة فانه تعرض لزوجة النجاشى فأمر ساحرا فنفخ فى احليله من سحر معقور به له فتوحش وصار مع البهائم الى ان مات فى خلافة عمر وأيضا عقبة بن ابى معيط انما قتل صبرا بالصفراء بعد بدر وأتى ثم وامية بن خلف وان قتل ببدر لم يطرح فى القليب (وأعدت) عطف على هم اى هيأت ام جميل بنت حرب بن أمية (حمالة الحطب) لقبت به لانها كانت تحمل الشوك وتطرحه فى طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم ارضاء لزوجها لعنهما الله (الفهر) اى الحجر الذى يملأ الكف لما أنزل الله فيها وفى زوجها تبت يدا أبى لهب السورة (و) الحال انها قد (جاءت) اليه وهو فى المسجد وأبو بكر عنده بذلك الحجر لترميه به وهى فى غاية الاسراع والعجلة (كأنها) الحمامة (الورقاء) اى الشديدة الاسراع اى حال كونها شبيهة بها فى ذلك فهى حال متداخلة (يوم) ظرف لأعدت (جاءت) فى حال كونها (غضبى) من شدة ما سمعت من ذمها فى تلك السورة وفى نسخة غيظا فهو تمييز والغضب نار كامنة فى طى الفؤاد يؤججها طروّ السبب المحرك لها فان لم يقدر على انفاذ شئ فى الغضوب عليه سمى غيظا كذا قيل وفى القاموس الغيظ الغضب أو اشده أو سورته أو أوله وحال كونها (تقول أنى مثلى) وأنا بنت سيد بنى مخزوم متعلق بقال (من أحمد) حال من الهجاء (يقال الهجاء) اى السب والذم ونسبة القول اليه اما حقيقة وهو الظاهر لانهم لا يعتقدون الها غير آلهتهم فمن ابتدائية ثم فيهم فرقة يعتقدون الاله وان اصنامهم تقربهم اليه فان كانت من هؤلاء فمن تعليلية اى بقول الهه ذلك لاجله (وولت) عطف على أعدت (و) الحال انها (ما رآته) اى وكيف تراه

(قوله عليك بقريش) اى باهلاك كفارهم أو من سمى منهم فهو عام أريد به خاص ثم سمى اى عين وفصل ما أجمل قبل (قوله وقدمه لانه اشقاهم) اى اشق من دعا عليهم لشدة تعنته فى كفره وشدة أذيته لرسول الله صلى الله عليه وسلم فلا ينافى ما ذكره سابقا من ان عقبة بن ابى معيط اشقاهم اى الجمع من كفار قريش ومنهم أبو جهل لان ذلك من جهة مباشرته لرمى القذر على رسول الله صلى الله عليه وسلم فكل اشق من جهة (قوله والوليد بن عقبة) كذا بالقاف فى صحيح مسلم أيضا واتفق العلماء على انه غلط وان الصواب عتبة بالتاء كما ذكره مسلم فى رواية أبى بكر بن أبى شيبة وقد ذكره البخارى فى صحيحه على الصواب والذى بالقاف هو الوليد بن عقبة بن أبى معيط ولم يكن فى ذلك الوقت موجودا أو كان طفلا صغيرا جدا فقد أتى به النبى صلى الله عليه وسلم يوم الفتح وقد ناهز الحلم ليمسح على رأسه اه من شرح مسلم للنووى (قوله ثم سحبوا الى القليب) اى لتحقير الشأنهم ولئلا يتأذى الناس برائحتهم والا فالحربى لا يجب دفنه (قوله الورقاء) اى التى فى لونها بياض الى سواد كما فى المختار ولا يخفى ان ذلك معناها بحسب الاصل والمراد هنا تشبيهها بها فى الاسراع كما ذكره الشارح (قوله أو سورته) قال فى المختار سورة الغضب وثوبه وسورة الشراب وثوبه فى الرأس وسورة الحمى وثوبها وسورة السلطان سطوته واعتداؤه (قوله من احد) بالتنوين للضرورة (قوله اما حقيقة) وهو كذا بخط المؤلف رحمه الله تعالى وكأنه حذف المقابل اكتفاء بقوله ثم فيهم الخ

وهو فى ظهوره للقلوب السليمة والعقول المستقيمة كالشمس وهى أعنى تلك المرأة
فى غاية من عمى البصيرة وفساد السريرة (ومن أين ترى الشمس مقلة) اى عين (عمياء) ولما
رآها أبو بكر رضى الله عنه قال يارسول الله انها امرأة بذية فلوقمت قال انها لن ترانى
فجاءت فلم تره فقالت يا أبا بكر أين صاحبك كيف يهجونى فوالله لو وجدته لضربت بهذا
الفهر فاه وانى لشاعرة وذكرت هجوا قبيحا فقلت لا وهو لا يقول الشعر فقالت أنت
عندى تصدق وانصرفت فقلت يارسول الله لم ترك فقال لم يزل ملك يسترنى منها بجناحه
وفى رواية لقد أخذ الله ببصرها عنى فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اما تعجبون
لما يصرف الله عنى من أذى قريش يسبون ويهجون مذمما وانا محمد صلى الله عليه وسلم
● (تتمة) ● قرأ صلى الله عليه وسلم سورة والنجم حتى بلغ أفرأيتم اللات والعزى ومناة
الثالثة الاخرى فحينئذ ألقى الشيطان فى امنيته اى فى تلاوته تلك الغرانيق العلى وان
شفاعتهن لترتجى وفى رواية ألقى الشيطان على لسانه تلك الغرانيق الخ فعند سجوده آخر
السورة سجد المسلمون وسجد المشركون معهم لتوهمهم انه مدح آلهتهم وفى رواية
ماذكر آلهتنا بخير قبل اليوم فسجد وسجدوا فنزلت هذه الآية وما أرسلنا من قبلك
من رسول ولا نبى الا اذا تمنى ألقى الشيطان فى أمنيته الآية ففشا ذلك فى الناس واظهره
الشيطان حتى بلغ المسلمين فى الحبشة فاقبلوا سراعا لما تبين للمشركين ضلال ذلك
رجعوا الى أشد ما كانوا عليه والغرانيق جمع غرنوق أو غرنيق وهو طير الماء شبهت بها
الاصنام لاعتقادهم انها تقربهم الى الله تعالى بطيور الماء لكونها تعلو فى السماء وترتفع
● (تنبيه) ● كثر كلام العلماء رحمهم الله تعالى فى هذه القصة فمن منكر لوقوعها ومبالغ
فى انكارها وبطلانها وانه لا يجوز لاحد القول بها كعياض والفخر الرازى وسبقهما
لنحو ذلك البيهقى وأيدوا بان البخارى وغيره رووا انه صلى الله عليه وسلم قرأ سورة والنجم
وسجد معه المسلمون والمشركون والانس والجن ولم يذكروا فيها قصة الغرانيق وبان من
جوز على نبى تعظيم وثن فقد كفر وبأنها من وضع الزنادقة والحق خلاف ذلك كما بل لها
اصل اصيل فقد خرجها من طرق كثيرة جدا ابن ابى حاتم والطبرانى وابن المنذر وابن
مردويه والبزار وابن اسحق فى السيرة وموسى بن عقبة فى المغازى وابو معشر كما به على
ذلك الحافظ ابن كثير وغيره لكن قال ان طرقها كلها مرسلة لانه لم يرها مسندة من
وجه صحيح اهـ ورد عليه وعلى عياض وغيرهما الحافظ شيخ الاسلام ابن حجر بان طرقها
كثيرة جدا ثلاثة منها رجالها رجال الصحيح وباقيها اما ضعيف واما منقطع وبعضها تفرد
بوصله امية بن خالد وهو ثقة مشهور وزعم ابن العربى وعياض ان رواياتها كلها
لا اصل لها ليس فى محله اذ لا تمشى على القواعد فان الطرق اذا كثرت وتباينت مخارجها
دل ذلك على ان لها اصلا قال وقد ذكرنا ان ثلاثة اسانيد منها على شرط الصحيح وهى
مراسيل يحتج بمثلها من يحتج بالمرسل وكذا من لا يحتج به لاعتضاد بعضها ببعض وحينئذ

(قوله من عمى البصيرة) فيه ان
المقام لعمى البصر ولذا قال
الناظم مقلة عمياء وقال فى الرواية
الآتية لم يزل ملك الى آخرها
وفى الرواية الثانية قد أخذ الله
ببصرها عنى (قوله اذ كرت هجوا
الخ) فى نسخة وذكرت بتاء
التأنيث هجوا قبيحا قال الشهاب
العرلسى المالكى وهو قولها
مذمما عصينا ● وأمره أبينا
● ودينه قلينا ● اهـ لكن قوله
فقلت لا يؤيد نسخة أذكرت
بهمزة الاستفهام وضمير المتكلم
وقوله يسبون ويهجون مذمما
ربما يؤيد النسخة الاخيرة فذكرها
مذمما هو ما نقل عنها العرلسى
اللهم الا ان ثبت ان مذمما وقع
فى كلام غيرها من الكفار

يتعين تأويل ماوقع فيها مما يستنكر كقوله القى الشيطان على لسانه تلك الغرانيق الخ فلا
يجوز حمله على ظاهره لانه صلى الله عليه وسلم يستحيل عليه ان يزيد فى القرآن عمدا او سهوا
واختلفوا فى تأويله فأخرج الطبرى عن قتادة انه اصابته سنة تجرى على لسانه ولم يشعر
به فلما علم اظهر بطلانه واحكم ربه آياته واعترض بأنه لا ولاية للشيطان عليه فى النوم
ويجاب بأن هذا لا يثبت للشيطان ولاية عليه وانما غاية الامر ان الشيطان لما رآه
اصابته تلك السنة حاكى قراءته بصوت يشبه صوته ثم بين الله للناس على لسان رسوله صلى
الله عليه وسلم بطلان ماوقع من الشيطان حتى لا يغتر به احد ثم رأيت من اجاب بما يؤيد
ما ذكرته وهو انه صلى الله عليه وسلم كان يرتل قراءته فارتصد الشيطان سكتة ونطق بتلك
الكلمات محاكيا نغمة النبى صلى الله عليه وسلم بحيث يسمعه من دنا اليه منهم فظنها من
قوله واشاعها واستحسن هذا الجواب غير واحد من المحققين كعياض وابن العربى
وايدوه بما عن ابن عباس فى تفسير تمنى بتلا وفى امنيته اى فى تلاوته وفى ذلك
اخبار منه تعالى بأن رسله اذا قالوا قولا زاد الشيطان فيه من قبل نفسه مما يحاكيه ثم بين
الله تعالى بطلانه فعلم ان هذا نص فى ان الشيطان زاد فى قول نبينا صلى الله عليه وسلم ما قاله
لا ان نبينا قاله وقد سبق الى هذا المعنى الامام المجتهد ابن جرير الطبرى مع جلالة قدره
وسعة علمه وشدة ساعده فى العلوم فصوبه وارتضاه واما الجواب بأن الشيطان الجأه الى
التلفظ بذلك من غير اختياره فمردود بأن الشيطان لو قدر على ذلك لم يمكن احدا من طاعة
او بأنه علق بحفظه ما كان يسمعه منهم من مدح آلهتهم فجرى على لسانه سهوا فهذا
افسد مما قبله او بأنه قاله توبيخا للكفار فهو بعيد وان ارتضاه عياض كالباقلانى فقال
هذا جائز مع قرينة تدل على المراد لاسيما والكلام فى الصلاة اذ ذاك كان جائزا او بأنه
لما وصل الى قوله الثالثة الاخرى خشوا ان يأتى بذم آلهتهم فبادروا بذلك الكلام
وخلطوه بتلاوته صلى الله عليه وسلم على عادتهم فى قولهم لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا
فيه ونسب للشيطان لانه الحامل لهم عليه وفيه نوع بعد او بأن المراد بالغرانيق الملائكة
وكان منهم من يعبدهم زاعمين انهم بنات الله تعالى فنسق ذكر الكل ليرد عليهم بقوله ألكم
الذكر وله الانثى فلما سمعوه حملوه على الجميع وقالوا قد عظم آلهتنا فنسخ الله تلك الكلمة
واحكم آياته فهو ابعد مما قبله (ثم) بعدما وقع له صلى الله عليه وسلم من هذه الكرامات وقع
له كرامة اخرى فى غزوة خيبر سنة سبع من الهجرة وهى انه (سمته) زينب بنت الحرث
امرأة سلام بن مشكم (اليهودية الشاة) اى جعلت له فيها سما قاتلا لوقته لانها شاورت
يهودا فى سموم فاجتمعوا لها على هذا السم بعينه فسمت به الشاة جميعها لكنها اكثرت
منه فى الذراع والكتف لما قيل لها انه صلى الله عليه وسلم يحب الذراع (وكم) مرات كثيرة
(سام) من السوم الذى هو مقدمة الشراء او الذى هو الرعى ربين سام وسمت تجنيس شبه
الاشتقاق (الشقوة) اى تأثر عليها وتحلى بها (الاشقياء) الذين صاروا كالانعام بل

(قوله تجرى على لسانه) كان
الظاهر ان يقول فألقاه الشيطان
بصوت كصوته ليلائم الجواب
تأمل (قوله سنة سبع) صوابه
سنة ثمان لان غزوة حنين عقب
فتح مكة والفتح كان سنة ثمان
وسياق التصريح بذلك فى كلام
الشارح عند قوله من نضلاء على
هوازن (قوله لما قيل لها الخ)
انما يقتضى اكثارها السم فى
الذراع مع ان المدعى انها اكثرته
فيها وفى الكتف ولعل اكثارها
فيه ملاحظتها احتمال فراغ
أكله الذراع فيأكل منه اقربه
منها فيزيد تأثير السم (قوله يحب
الذراع) اى لنضجها وسرعة
استمرائها مع لذتها وحلاوة
مذاقها (قوله الشقوة) بالكسر
وفتحه لغة اهـ صحاح وقال فى
القاموس هى الشقاوة والعسر
وفى المختار انها خلاف السعادة
(قوله اى تأثر عليها) الثابت على
الامور المواظبة عليها اهـ مختار

هم اضل سبيلا ومنهم قلت المرأة وبينهما تجنيس الاشتقاق وقول الشارح ان سام وسمت
من هذا تساهل وفي البخارى انه صلى الله عليه وسلم لما فتح خيبر اهديت له شاة فيها سم فقال اجمعوا الى من
هنا من اليهود فجمعوا له صلى الله عليه وسلم فسألهم عن اشياء منها من ابوكم قالوا فلان قال
كذبتم ابو كم فلان قالوا صدقت وبررت ثم سألهم من اهل النار قالوا نكون فيها يسيرا
ثم تخلفونا فيها فقال صلى الله عليه وسلم اخسؤا فيها والله لا نخلفكم ابدا ثم قال لهم هل
جعلتم فى هذه الشاة سما قالوا نعم قال صلى الله عليه وسلم ما حملكم على ذلك قالوا ان كنت
كذابا استرحنا منك او نبيا لم يضرك وروى ابو داود انها سمت شاة مصلية ثم اهدتها الى
النبى صلى الله عليه وسلم فأكل منها واكل رهط من اصحابه فقال صلى الله عليه وسلم ارفعوا
ايديكم فارسل الى اليهودية فقال صلى الله عليه وسلم سممت هذه الشاة فقالت من اخبرك
قال اخبرتنى هذه الذراع ومن ثم قال (فاذاع) اى اظهر له صلى الله عليه وسلم (الذراع
ما فيه من سر) اى سم (بنطق) معجزة له صلى الله عليه وسلم كما يصرح به قلت اعنى انها اخبرت
بالنطق قوله صلى الله عليه وسلم اخبرتنى هذه الذراع (اخفاؤه) عن الحاضرين (ابداء) له
صلى الله عليه وسلم اى هو وان خفى عليهم ظهر له صلى الله عليه وسلم وفيه طباق ولما قال
صلى الله عليه وسلم لها ذلك صدقته ثم قالت قلت ان كان نبيا فلن يضره وان لم يكن نبيا
استرحنا منه فعفا عنها صلى الله عليه وسلم ولم يعاقبها وتوفى اصحابه صلى الله عليه وسلم
الذين اكلوا من الشاة واحتجم صلى الله عليه وسلم على كاهله من اجل الذى اكل منها
وفى رواية غير ابى داود انها جعلت تسأل اى الشاة احب اليه فقيل لها الذراع فعمدت
الى عنز لها فذبحتها وصلتها ثم عمدت الى سم موح اى يقتل لوقته فسمتها به واكثرت منه
فى الذراع والكتف ثم وضعتها بين يديه صلى الله عليه وسلم ومن حضر من أصحابه وفيهم
بشر بن البراء فتناول صلى الله عليه وسلم الذراع فانتهش منها وتناول بشر عظما آخر
فلما ازدرد لقمته ازدرد بشر ما فى فيه واكل القوم فقال صلى الله عليه وسلم ارفعوا أيديكم فان هذه الذراع
تخبرنى انها مسمومة وفيه ان بشرا مات وانه صلى الله عليه وسلم دفعها الى أوليائه فقتلوها
رواه الحافظ الدمياطى ورواية انه قتلها تعارض رواية البيهقى عن ابى هريرة وجابر رضى
الله عنهما انه صلى الله عليه وسلم لم يعاقبها ومن ثم قال (وبخلق من النبى كريم) بل لا اكرم
منه قال تعالى وانك لعلى خلق عظيم اى بسبب ما تحلى به من كمال الحلم والعفو والصفح
(لم تقاصص بجرحها) بواطنهم بذلك السم اذ هو يجرح الباطن كما يجرح الحديد الظاهر

(قوله وقول الشارح ان سام وسمت من هذا) اى من تجنيس الاشتقاق تساهل اى وانما هو شبه اشتقاق لانهما وان اشتركا
فى غالب الحروف فلم يشتركا فى المعنى فتأمل (قوله فقال اخسؤا) قال فى القاموس خسأ الكلب كمنع طرده خسأ وخسوأ
والكلب بعد كانخسأ وخسئ والبصر كل والخاسئ من الكلاب والخنازير ١٢٥ المبعد لا يترك ان يدنو من الناس اهـ
والمعنى هنا ابعدوا ولا تدنوا منا
واوضح من ذلك ما ذكره
البيضاوى فى تفسير اخسؤا فيها
حيث قال اى اسكتوا سكوت
هوان ثم قال من خسأت الكلب
اذا زجرته نخسأ (قوله مصلية)
اى مشوية بالنار (قوله اعنى
انه) اى الذراع وذكره مع انه
مؤنث بدليل قوله فى الحديث
أخبرتنى تنظر التسمية عضوا
(قوله واحتجم صلى الله عليه وسلم)
اى بامر جبريل له بالحجامة لحديث
الحجامة فى الرأس هى المغيثة
أمرنى بها جبريل حين أكلت
طعام اليهودية وهذا صريح فى
ان احتجامه لاكله طعام اليهودية
المسموم كان فى الرأس والذى فى
الشارح انه احتجم على كاهله
فان ثبت انه احتجم فى الموضعين
فلا اشكال تأمل (قوله فانتهش
منها) قال فى الصحاح النهش أخذ
اللحم بمقدم الاسنان وهو ينتهش
بالسين والشين جميعا (قوله دفعها
الى أوليائه الخ) فيه انه قد ذكر
سابقا ان أصحابه الا كلين ماتوا
فلم اختص دفعها الاولياء بشر
دون أوليائهم ولعله لعدم تحقق
موتهم بالسم بخلاف بشر فتأمل (قوله بجرحها العجماء) فيه تلميح الى قولهم العجماء جرحها جبار اى لا قصاص فيه ويحكى ان
خطافا راود خطافة فى قبة سليمان عليه الصلاة والسلام فسمعه يقول بلغ من حبك انك لو قلت اهدم القبة على سليمان فعلت
فاستدعاه عليه الصلاة والسلام فقال لا تعجل ان المحبة لسانا لا يتكلم به الا المجنون والعاشقون ما عليهم من سبيل فانهم
يتكلمون بلسان المحبة لا بلسان العلم والعقل فضحك منه صلى الله عليه وسلم ولم يعاقبه وقال هذا يرح جبارة كره الا كبرى

(العجماء) اى المرأة ويقال للبهيمة أيضا وقال الزهرى أسلمت فتركها وفى مغازى سليمان التيمى نحوه وانها قالت استبان لى الآن انك صادق وانى أشهدك ومن حضر أنى على دينك وأن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله وجمع البيهقى بأنه يحتمل ان يكون تركها اولا فلما مات بشر قتلها به وبذلك اجاب السهيلى وزاد انه تركها لانه كان لا ينتقم لنفسه ثم قتلها ببشر قصاصا ويحتمل انه تركها لاسلامها فلما مات بشر تحقق بموته وجوب القصاص عليها فقتلت وقوله انه قتلها قصاصا فيه نظر اذ لم نر أحدا من الصحابة روى عنه انه قتلها قصاصا وانما الوارد انه قتلها وهو محتمل لكونه قتلها بنقضها العهد بما فعلته ويدل عليه ما جاء فى رواية انه صلبها اذ لو قتلت قصاصا لم تصلب بل لو فرض انه لم يصلبها لم يكن قتلها بالسيف دليلا للقصاص لان المماثلة فيه معتبرة فقياسه ان يقتلها بمسموم كما ان اليهودى الذى رض رأس الجارية بحجر امر به صلى الله عليه وسلم فرض رأسه بمثل ذلك الحجر ايثارا للمماثلة المقصودة من مشروعية القصاص لا يقال الصلب لا يدل على انتفاء القصاص لان للامام ان يصلب من يريد قتله اذا رأى ذلك زجرا وتنكيلا لانا نقول ليس للامام الصلب فى قتل القصاص كما يصرح به كلام ائمتنا المتقرر ان المدار فيه على المماثلة ما أمكن فلا يجوز للامام الزيادة عليها ولا النقص عنها ولم نر احدا من ائمتنا ولا من غيرهم جوز الصلب فى غير قاطع الطريق فمن ادعاه فعليه البيان بغير محل النزاع الذى نحن فيه فان قلت هو يرد على هذا الحصر لان هذه غير قاطعة طريق وصلبت قلت الذمى اذا نقض العهد ملحق بقاطع الطريق فى احكام لا يبعد ان يكون هذا منها على ان ذلك صار كحربى واحكام الحربيين لا يقاس بها احكام المعصومين فان قلت قولكم ايثارا للمماثلة الخ انما يتأتى على القول بتعينها فى القود واما التخيير بينها وبين السيف فيما ليس بمسموم او التخيير بينها وبين السيف فى القتل بمسموم فلا يتأتى عليه ذلك البحث قلت بل يتأتى على التخيير ايضا لان القتل بالسيف لا يعين القود لانه يحتمله ويحتمل انه لنقض العهد والمدعى انما هو ان قتلها بالسيف لا يدل على خصوص كونه قودا وتأخير قتلها الى موت بشر لا يدل على القود أيضا لاحتمال انه لتحقق عظيم جنايتها وبهذا كله يعلم ان ما فى هذه القصة من قتلها بتقدير صحته لا يرد على قول أئمتنا من أضاف انسانا فقدم له طعاما مسموما فأكل منه فمات لا قود عليه لانه تناوله باختياره والضيف لم يلجئه الى أكله وذلك لانه لم يثبت انه صلى الله عليه وسلم قتلها بقيد كونه قودا وبهذا الذى قررته يعلم تحقيق الناظم حيث نفى القصاص مع اطلاعه على الروايات المخالفة فى ذلك فان قلت لا نسلم ان نفيه لذلك بل لان ثبوته بقيد كونه قصاصا لم يصح والاصح عدمه قلت هذا يحصل منه مدعانا أيضا لان ثبوته اذا لم يصح من أصله او بذلك القيد فلا دلالة فيه للخصم بوجه ويجلو من النبى كريم (من) فهو معطوف بحذف حرف العطف على لم تقاصص خلافا لما يوهمه كلام الشارح انه استئناف اى انعم نعمة عظيمة (فضلا) مفعول مطلق كفرحت

عنه عند قولهم عن الغشواية الحب انه كالدابة جرحه جبار (قوله اى المرأة) ظاهر تفسيره يدل على ان اطلاقه عليها بطريق الاشتراك وليس كذلك بل فى البهيمة حقيقة ويطلق على المرأة تشبيها بها فحق التفسير ان يقول اى المرأة اليهودية التى كالبهيمة اهـ دنوشرى (قوله وجمع البيهقى بأنه الخ) اى فقولهم لم يقتلها اى فى الحال. وقولهم قتلها اى بعد ذلك (قوله بنقضها العهد) انظره مع ما سبق عن مغازى التيمى انها أسلمت وفى شرح م ز عند الكلام على التضيف بمسموم ان قتلها لنقض العهد كما ذكره الشارح هنا ولعله لم يثبت عندهما ولم يصح ما روى من اسلامها فحرر (قوله ان يقتلها بمسموم) لان من قتل بسم يقتل بمثل السم الذى قتل به ما لم يكن مهريا يمنع الغسل والظاهر ان ما هنا لم يكن مهريا ومن ثم تأخر موت بشر مدة عن أكل السم اهـ من ع ش على م ر (قوله ان ما فى هذه القصة) فهى واقعة حال فعلية طرقها الاحتمال فسقط بها الاستدلال على كون قتلها قصاصا تأمل (قوله من اضاف انسانا) اى عمدا بقرينة قوله لانه تناوله باختياره اما غير المميز ففيه القود كما هو مصرح به فى الفروع (قوله فهو معطوف) اى بحذف حرف العطف

بدلا او مفعول لاجله وهو الاولى لان المراد بالمن هنا ما ذكره الله تعالى بقوله عز قائلا فاما منا بعد واما فداء اعتق بتخلية سبيلهم بعد ان ملكهم المسلمون اى رفع الرق عنهم لاجل فضله اى احسانه العام عليهم وعلى غيرهم بلا عوض وعلى هذا فمعنى هذه العلة والعلة التى تليها المستفادة من اذ كان أهلاً له بشيئين عموم احسانه عليهم وعلى غيرهم وخصوص كونه تربى فيهم وعليه فظرف العطف مقدر الثبوت ويصح ان تكون الثانية علة للاولى وايهامه قصر فضلا عليهم غير مراد لانه لم يرد مطلق الفضل بل فضلا يتعلق بهم سواء أعلق على هوازن بمن أو بفضلا اكتفاء بقرينة السياق (على هوازن) قبيلة حليمة السعدية رضى الله تعالى عنها وهم أهل حنين المذكور فى القرآن وهو واد قريب من ذى المجاز السوق المشهور من أسواق الجاهلية بناحية عرفة بين ذلك الوادى وبين مكة نحو ثلاث ليال غزاهم صلى الله عليه وسلم عقب فتح مكة لما اتفقت اشراف هوازن وثقيف على حربه صلى الله عليه وسلم فخرج اليهم سادس شوال سنة ثمان فى اثنى عشر الفا عشرة جاء بهم والفان من طلقاء مكة ولما هزمهم صلى الله عليه وسلم قصد الطائف وامر ان يجعل سبى هوازن وغنائمهم بالجعرانة حتى يأتى اليهم وكان السبى وهو النساء والذرارى ستة آلاف رأس والابل أربعة آلاف وعشرين الفا والغنم فوق اربعين الفا واربعة آلاف أوقية فضة ولما رجع صلى الله عليه وسلم من الطائف انتظر هوازن بضع عشرة يوما ليقدموا عليه مسلمين ثم اخذ فى قسمة الغنائم فجاؤا مسلمين فقالوا يا رسول الله انا اهل وعشيرة وقد أصابنا من البلاء ما لا يخفى عليك فامنن علينا من الله عليك وقام رجل من فخذ حليمة فقال يا رسول الله ان ما فى الحظائر عماتك وخالاتك اى من الرضاع لانهن قرابات حليمة أو حواضنك اللاتى كن يكفلنك ولو انا ارضعنا الحرث بن ابى شمر او النعمان بن المنذر ثم نزل بنا مثل الذى نزلت فيه رجونا عطفه وأنت خير المكفولين فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أحسن الحديث أصدقه ابناؤكم ونساؤكم أحب اليكم ام أموالكم فقالوا أبناؤنا ونساؤنا فقال أما ما كان لى ولبنى عبد المطلب فهو لكم واذا صليت الظهر بالمسلمين فقوموا وقولوا انا نستشفع برسول الله صلى الله عليه وسلم الى المسلمين وبالمسلمين الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أبنائنا ونسائنا فأعطيكم عند ذلك واسأل لكم ففعلوا ذلك فقال صلى الله عليه وسلم اما ما كان لى ولبنى عبد المطلب

(قوله اى رفع الرق عنهم) اى باعتاقهم لان ما فى السبى نسوة وذرارى وهم يرقون بنفس الاسر فقول النبى فيما يأتى اما ما كان لى ولبنى عبد المطلب فهو لكم اى مسلم لكم بعد عتقه، وكذا يقال فيما بعد فيحتمل ان العتق فى غير ما للنبى قد فوض اليه ففعل ويحتمل ان كل من سمح بما له من الغانمين نجز عتقه بقى ان طرو الرق على النكاح يفسخه فان كان رد النساء لهوازن من غير عود لازواجهن فلا اشكال والا أشكل الا ان ثبت تجديد عقد وانما لم يذكرهم النبى ذلك لكونهم عالمين بالحكم وفيه أيضا ان ثلاثة أخماس الخمس التى لليتامى والمساكين وابن السبيل لم يذكر فى القصة تبرعهم بها على انهم غير محصورين فلا يتأتى نزولهم عن حقهم الا ان يقال للامام ان يحصر حق بعض المستحقين فى بعض أنواع الغنيمة ويكون قد حصر حق هؤلاء الثلاثة من غير السبى كالابل تحرر (قوله وايهامه قصر فضلا) فيه نظر فان النص على الشئ لا ينفى ما عداه دلالة ولا ايهاما اه دنوشرى (قوله قريب من ذى المجاز) قال فى المصباح وذو المجاز موضع بمنى كان به سوق فى الجاهلية اه انظره مع قول الشارح بين ذلك الوادى الخ الذى ليس بين مكة ومنى هذه المسافة تأمل (قوله فى اثنى عشر ألفا الخ) عشرة جاء بهم اى لفتح مكة والفان من طلقاء مكة اى الذين اسلموا من أهل مكة يوم فتحها فأطلقهم اى خلى سبيلهم ولم يسترقهم واحدهم طليق فعيل بمعنى مفعول (قوله وقام رجل من فخذ حليمة) قال فى القاموس الفخذ ككتف ما بين الساق والورك مؤنث كالفخذ ويكسر وحى الرجل اذا كان أقرب من عشيرته والجمع أفخاذ اه (قوله ان ما فى الحظائر) جمع حظيرة قال فى المختار والحظيرة تعمل للابل من شجر لتقيها البرد والريح (قوله قرابات حليمة) كان الظاهر ان يزيد وقرابات زوجها الا ان يجعل قوله عماتك اذ قرابات الام من الرضاعة خالات وقرابات الاب من الرضاعة عمات كالنسب (قوله الحرث) اى ملك الشام (قوله أو النعمان) اى ملك العراق

فهو لكم فقال المهاجرون وما كان لنا فهو لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقالت الانصار
مثل ذلك وامتنع بنو تميم وبنو فزارة وعباس بن مرداس من بني سليم فوعدهم صلى الله
عليه وسلم من أول سبي يصيبه بما طابت به نفوسهم فردوا من بقي عندهم ومنّ صلى الله
عليه وسلم عليهم بذلك (اذ) اى لاجل انه صلى الله عليه وسلم (كان لها قبل ذاك) اى وهو
طفل (فيهم رباء) بفتح الراء والمد اى تربيته من رئيت في بني فلان وربيت فيهم اذا نشأت
بينهم او طول باعتبار ما وصل اليه من ابن حليمة وتربيتها *(تنبيه)* جعل الناظم اذ
تعليلية خلاف ما عليه الجمهور قالوا ولا دليل في ولن ينفعكم اليوم اذ ظلمتم الآية لان
التقدير بعد اذ ظلمتم وعلى الاول هل هي حينئذ حرف بمنزلة لام العلة أو ظرف بمعنى وقت
والتعليل مستفاد من قوة الكلام لا من اللفظ قولان المنسوب الى سيبويه الاول وعلى
الثاني في الآية اشكالات ليس هذا محل بسطها وترد اسماً للزمن الماضي وهو الغالب
ثم قال الجمهور لا تكون الا ظرفاً أو مضافاً اليها الظرف نحو يومئذ تحدث أخبارها وقال
الاقلون تكون مفعولا به نحو واذكروا اذ كنتم قليلا فكثركم وكذا المذكورة أوائل
القصص كلها بتقدير اذكرا او بدلا منه بدل اشتمال أو كل من كل ورده الجمهور بأن
المفعول أو المضاف اليه محذوف وزعم الزمخشري انها تكون في محل المبتدأ مما تفرد به
وجوز كثيرون ورودها للمستقبل نحو فسوف يعلمون اذ الاغلال في اعناقهم لاستقبال
يعلمون لفظاً ومعنى واجيب بأنه من تنزيل المستقبل الواجب الوقوع منزلة الواقع
(وأتى) ذلك (السبي) أصله الاسر والمراد به هنا المسبي اى المأسورون الى الجعرانة بأمره
صلى الله عليه وسلم كما مر ليقسمها على المسلمين وكان ذلك السبي (فيه أخت) النبي صلى
الله عليه وسلم من (رضاع) واسمها الشيماء كما مر ولما شقوا عليها عند سبيها قالت والله اني
اخت صاحبكم فأتوا بها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله اني اختك قال
وما علامة ذلك قالت عضة عضضتنيها في ظهري فعرفها الكن (وضع) اى نقض (الكفر)
القائم بها (قدرها و) كذلك وضع قدرها (السباء) اى الاسر القائم بها أيضاً فاضمحل في
جنب ذلة هذين ما فيها من اخوته صلى الله عليه وسلم كما اضمحل في جنب الكفر ما في نحو
أبي طالب من العمومة والتربية ومنع الاعداء بكل طريق امكنته ثم من الله عليها
بالاسلام وبمعرفته صلى الله عليه وسلم لها (فحباها) اى أعطاها ما لم يكن في حسابها وجاد
على قومها لاجلها (برا) اى لاجل برها اذ رحم الرضاع كرحم النسب ويجوز ان
يكون هو المفعول الثاني ويؤيده انه أبدل منه قوله وبسط الخ كما يأتي ولما أتته بسط لها
رداءه واجلسها عليه ثم خيرها وقال ان أحببت فعندي محببة مكرمة وان أحببت ان
أمتعك وترجعي الى قومك فعلت فاختارت قومها فمتعها وزاد في الاحسان اليها كما هو
شأنه وردها الى قومه وأعطاها غلاما له يقال له مكحول وجارية فتزوجته بها فلم يزل فيهم من
نسلهما بقية (توهمت الناس) الذين رأوا ذلك البر اى وقع في وهمهم اى ذهنهم واسناد

(قوله واسمها الشيماء) اى من غير ياء ويقال الشيماء بالياء (قوله وما علامة ذلك) بكسر الكاف لانه خطاب مؤنث (قوله السباء) بكسر السين وفتحها (قوله ما لم يكن في حسابها) هذا المفعول الثاني المحذوف على جعل برا مفعولا لاجله (قوله وأعطاها غلاما له) الذي في النعمة الكبرى فاعطاها نعما وشاء وثلاثة اعبد وجارية

تلك اليهم باعتبار ما من شأنه (به) اى بسبب ذلك البر الذى وصل اليها منه (انما) بفتح الهمزة اداة حصر كمكسورتها (السباء) اى المسبيات او النساء لانهن يسبين سبا ففى القاموس والسبى ما يسبى وجمعه سباء والنساء لانهن يسبين القلوب او يسبين فيملكن وحينئذ تصح قراءة النظم بسين ثم باء او بنون ثم سين اذ المعنى صحيح على كل منهما كما يعلم من تقريرى الآتى فتأمله وبينه وبين الناس الجناس المقلوب (هداء) بالكسر مصدر هديت المرأة الى زوجها اى مهديات كرجل عدل والجملة فى محل مفعول توهمت الناس اى توهموا ان النسوة اللواتى معها فى السبى لم يسبين لعظيم ما قابلهن به من الاكرام وانما يتمنى لاكرام هداه عروس وجدلانها عليه صلى الله عليه وسلم لا لكونهن مسبيات لان ذلك الاكرام انما يفعل مثله لنساء يهدين عروسا لا النساء مسبيات * (تنبيه) * استعمال الناظم لانما بالفتح فى الحصر تبع فيه الزمخشرى والبيضاوى وغيرهما وجعل الاولان منه قوله تعالى قل انما يوحى الى انما الهكم اله واحد فقالا انما لقصر الحكم على شئ او لقصر الشئ على حكم نحو انما زيد قائم وانما يقوم زيد وقد اجتمعا فى هذه الآية لان انما يوحى الى مع فاعله بمنزلة انما يقوم زيد وانما الهكم بمنزلة انما زيد قائم وفائدة اجتماعهما الدلالة على ان الوحى اليه صلى الله عليه وسلم مقصور على استئثار الله تعالى بالوحدانية وقول ابى حيان يلزم الزمخشرى انحصار الوحى فى الوحدانية مردود بانه حصر مجازى باعتبار المقام ومن جملة ذلك البر انه (بسط) فهو بدل من برا كامر ويصح كونه بدلا من حبى (المصطفى) صلى الله عليه وسلم (لها من) الظاهر انها زائدة على مذهب الاخفش وجماعة (رداء) كان عليه اى نشره وجعله لها فراشا تجلس عليه ويصح جعل من للتبعيض فيكون صلى الله عليه وسلم بسط لها بعضه لتجلس عليه والاول اقرب وعلى كل فهنيئا لها ذلك الاكرام كيف وهو رداء (اى فضل) اى شرف عظيم لا غاية له (حواه) اى جمعه (ذلك الرداء) بمماسته لجسده الشريف صلى الله عليه وسلم وما افهمه هذا التقرير من ان اى فضل الخ جملة نعت لرداء ومن زائدة او تبعيضية هو المتبادر كما لا يخفى ويصح ان تكون اى مفعول بسط وان فضل بمعنى فضيلة ومن تبعيضية وانه على حاله ومن تعليلية داخلة على مضاف اى نشر لها من اجل فرش ردائه لها فضلا عظيما سوامه ذلك الرداء اى تمييزا ظاهرا على بقية نسائهم وازن وفى رداء وارتداء رد العجز على الصدر (فغدت) اى صارت مندرجة (فيه) اى فى ذلك الفضل (و) الحال انها (هى سيدة) اولئك (النسوة) اللواتى معها من سبى هوازن لما حصل لها من التمييز الظاهر الباهر عليهن (و) ان اولئك النسوة هن (السيدات) قبل اسرهن (فيه) اى فى ذلك الفضل (اماء) اى صارت كأنها سيدتهن وكأنهن مع كونهن سيدات اماء لها وبين السيدات والاماء طباق وهذه مؤكدة للجملة الاولى التى هى حال من فاعل غدت كما علم عامر ولما ذكر ما اختص به صلى الله عليه وسلم من الرفعة والترقى الى ما لم يصل اليه مخلوق وما يتعلق

(قوله نعت لرداء) فيه انها الثانية ولعل المراد من حيث المعنى او المراد معمولة نعت لان القول فى مثل ذلك مقدر اى مقول فيه اى فضل الخ تأمل (قوله وفى رداء والرداء رد العجز على الصدر) هو عبارة عن أن يأتى الشاعر بكلمة فى صدر البيت متقدمة كانت او متأخرة ثم يأتى بها بلفظها فى عجزه واحسنه ما كانت اللفظة افتتاح البيت والاخرى ختامه كقوله
ذ صدت عن سرى فاظهرت
سر اثر القلب الامن حديث فى
وقد تقدم

بذلته من صفات تنقطع اعناق الاطماع عن أن تمتد اليها وخصال لم يعول آمال الكمل الاعليها اطلب من كل سامع فاته مشاهدة رؤيته صلى الله عليه وسلم أن يتنزه سمعه بالاصغاء الى صفات ذاته ومعانيه فقال (فتنزه) قال الشارح هو من قولهم خرجنا نتنزه فى الرياض اه وكأنه جرى فى ذلك على العرف اذ التنزه كما فى القاموس التباعد ثم قال وارض نزهة بعيدة عن الريف اى الخصب والزرع وغمق المياه وذبان القرى وومد البحار وفساد الهواء ثم قال واستعمال التنزه فى الخروج الى البساتين والخضر والرياض غلط قبيح (فى) أوصاف (ذاته) من الكلام عليها فى التذاذ العلوم (ومعانيه) اى صفاته الخارجة عن أوصاف ذاته صلى الله عليه وسلم (استماعا) اى من جهة اصغائك الى استماع أوصاف ذاته وجميل صفاته الآتية فى هذا النظم الجامع البديع وبين ذاته ومعانيه جناس المقابلة كالاستماع والاجتلاء الآتى (ان عز) اى فقد (منها) متعلق بقوله (اجتلاء) من جلوت العروس جلاء وجلوة واجتليتها اذا نظرت اليها مجلية اى مكشوفة مزينة اى ان فاتتك رؤية ذاته الكريمة ومشاهدة صفاته العلية فلا يفتك تفريغ سمعك لكل ما يتلى عليك من أوصاف ذاته صلى الله عليه وسلم وعلى صفاته وبه يظهر أن من زائدة فى الايجاب وهو ما اجازه جماعة وخرجوا عليه قوله تعالى ولقد جاءك من نبأ المرسلين يحلون فيها من أساور من ذهب من جبال فيها من برد يغضوا من ابصارهم وفيه نظر لامكان نحو التبعيض فلا زيادة فتأمله (و) لا تقتصر على سماعك القليل من ذلك بل (املا السمع) بأن تكثر من سماع ذلك حتى لو فرض ان ما سمعته شئ محسوس وان سمعك اناء واسع للا تخذ لشئ من المحسوس (من محاسن) اشتمل عليها صلى الله عليه وسلم لا يلحق احد آثارها ولا يشق كامل غبارها وهو جمع على غير قياس لان مفرده حسن لا محسن الا تقديرا (عليها) من أمليته الكتاب ويجوز أمللته (عليك) من هذه القصيدة وغيرها (الانشاد) لها من شجى الصوت بأتم الاعراب فقد قالوا من أقوى الاسباب الباعثة على محبته صلى الله عليه وسلم سماع الاصوات المطربة بالانشادات بالصفات النبوية المعربة اذا صادفت محلا قابلا فانها تحدث للسامع سكرا واريحية وطربا وذلك يحدث عند هاسببين احدهما انها فى نفسها توجب لذة قوية ينغمر فيها العقل الثانى انها تحرك النفس الى جهة محبوبها فيحصل بتلك الحركة والشوق تخيل المحبوب واحضاره فى الذهن وقربه صورته فى القلب واستيلاؤها على الفكر وفى هذا من اللذة ما يغمر العقل لاجتماع لذة الالحان وكثرة الاشجان فيحصل للروح ما هو أعجب من سكر الشراب وأقوى فى اللذة من عناق

(قوله وذباب القرى) الذباب معروف الواحدة بهاء والجمع أذبة وذبان بالكسر وذب بالضم انتهى قاموس (قوله وومد البحار) الومد بالتحريك شدة حر الليل انتهى صحاح وفى القاموس الومد محركة المطر الشديد مع سكون الريح او ندى يجىء فى صميم الحر من قبل البحر (قوله واستعمال التنزه الخ) قد يقال يمكن اجراء كلام الناظم على قانون اللغة لا على العرف بأن يجعل فى ذات الخ متعلقا بمحذوف وصلة تنزه محذوفة اى فتنزه اى تباعد عن العفونات ونحوها متلذذا فى اوصاف الخ (قوله وبه يظهر) اى بقوله اجتليتها حيث عداه بنفسه (قوله ان من زائدة) قال سيبويه يشترط لزيادتها أن يتقدم نفى او شبهه وان يكون مجرورها نكرة والاخفش لا يشترط ذلك قال ابن مالك وبقوله اقول واستدل بقوله يحلون فيها من اساور من ذهب وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم ولسيبويه أن يدعى انها فى الآيتين تبعيضية وكذا فى نظائرهما فيقال فى النظم ان عز اجتلاء بعضها و يعلم بالاولى طلب التنزه فيها اذا كان عز اجتلاء كلها تأمل (قوله لان مفرده حسن) قال فى المختار الحسن ضد القبيح والجمع محاسن على غير قياس (قوله الانشاد) قال الهروى فى غريبه والنشد رفع الصوت ومنه انشاد الشعر اى رفع الصوت به وقولهم نشدتك الله اى سألتك بنشدى اى برفع صوتى (قوله من شجى الصوت) اى الصوت الشجى او من شخص شجى صوته فهو من اضافة الصفة للموصوف او الوصف لفاعله اى صوت شجى اى مطرب قال فى القاموس شجاه حزنه وطربه كأشجاه فيهما ضد (قوله وأريحية) اى خفة قال وراحت يده بكذا اى خفت له (قوله وطربا) الطرب خفة تصيب الانسان لشدة حزن أو سرور انتهى مختار فعطف طربا على أريحية مرادف

الشراب

الثواب وقد ذكر الامام أحمد رضي الله عنه وغيره أن الله تعالى يقول لداود في الجنة مجدني بذلك الصوت الذي كنت تمجدني به في دار الدنيا فيقول كيف وقد أذهبته بالموت فيقول أنا أرده عليك فيقوم عند ساق العرش ويمجده فاذا سمع أهل الجنة صوته استفرغ نعيم اهل الجنة وأعظم من ذلك اذا سمعوا كلام الرب جل جلاله وخطابه لهم لاسيما ان انضم الى ذلك رؤيته وجهه الكريم فان اللذة تغني عن الجنة ونعيمها بما لا تدركه العبارة ولا تضبطه الاشارة (والانشاء) من ناظمها واسناد الاملاء اليهما مجاز ومما يحملك على استفراغ وسعك في ذلك التنزه واملاء السمع من تلك المحاسن انه يجب عليك ان تعتقد ان محاسن ذاته وكمال صفاته لا يمكنك ان تحيط بها كيف و(كل وصف له) من صفاته الذاتية والمعنوية (ابتدأت) انت او انا (به) في الذكر او ابتدأت بذكره لتحيط بغايته (استوعب اخبار الفضل) مفعول مقدم اي جميع اخبار الفضائل والكمال (منه) متعلق بقوله (ابتداء) اي كلما ابتدأت بوصف به صلى الله عليه وسلم وتأملت ما اشتمل عليه صريحا وايماء وجدت ذلك الوصف المبتدأ به جمع انواع الفضل وغايات الكمال ولا يستبعد ذلك فان كل وصف من اوصافه صلى الله عليه وسلم آخذ بحجز بقية تلك الاوصاف اذ لا يتحقق كمال وصف من صفات الانسان كالحلم مثلا الا ان كمل في بقية اوصافه كالعلم والكرم والشجاعة والخلق الحسن وغيرها وحينئذ فكل من صفاته صلى الله عليه وسلم يدل على ما وضع له مطابقة وعلى ما عداه من بقية اوصافه والتزاما كما لا يخفى على من سبر ذلك وتأمله وبهذا التحقيق الذي تنبه له الناظم يعلم انه رضي الله عنه ثاقب النظر كامل المعرفة متضلع من العلوم والمعارف وليس ذلك بكثير على من حل عليه نظر القطب الكبير والعلم الشهير سيدي ابي العباس المرسي وارث ابي الحسن الشاذلي قدس الله سرهما ونور ضريحهما وبما قررته في شرح هذا البيت يعلم انه من غرر ابيات هذه القصيدة وانه لا تعقيد فيه خلافا للشارح وانه يجب عليك ان تعتقد ايضا انه من تمام الايمان به صلى الله عليه وسلم الايمان بان الله تعالى اوجد خلق بدنه الشريف على وجه لم يظهر قبله ولا بعده في آدمي مثله صلى الله عليه وسلم وسر ذلك ان محاسن الذوات دليل على ما بطن فيها من بدائع الاخلاق وجلائل الصفات ونبينا محمد صلى الله عليه وسلم قد بلغ الغاية التي لم يصل اليها غيره في كل من ذلك ومن ثم قال الناظم في بردة المديح • فهو الذي تم معناه وصورته • البيتين فتبين ان حقيقة الحسن الكامل كملت فيه وحده ولم تنقسم بينه وبين غيره لانه الذي تم معناه دون غيره ولو شورك لم يتم معناه وما أحسن قول بعضهم لم يظهر لنا تمام حسنه صلى الله عليه وسلم والا لما اطاقت اعيننا النظر اليه وبين ابتدأت وابتداء جناس الاشتقاق • (تنبيه) • شرح الناظم بيان تمام معناه بما مر ويأتي ولم يشرح تمام حسن ذاته كذلك وانما اشار لذلك بقوله برؤية وجه الخ ضحكا التبسم الخ وبتقبيل راحة الخ فتعين علينا ان نشير الى شيء من ذلك فنقول اما وجهه الشريف فصح عن البراء انه صلى الله عليه

(قوله ويمجده) اي فيرفع صوته لزبور (قوله والانشاء) قال تعالى وهو الذي أنشأكم اي ابتدأ خلقكم وكل من ابتدأ شيأ فقد أنشأه فهو مجاز اي لان الذي على هو الشخص المنشد والمنشئ فهو على حد واسأل القرية وبين الانشاد والانشاء الجناس اللاحق لبعد مخرجي الدال والهمزة (قوله بحجز بقية تلك الاوصاف) قال الجوهري وحجزة الازار معقده وحجزة السراويل التي فيها التكة

وسلم كان احسن الناس وجها واحسنهم خلقا وعن ابي هريرة رضي الله عنه ما رأيت شيأ احسن منه صلى الله عليه وسلم كان الشمس تجري في وجهه صلى الله عليه وسلم وعن البراء انه قيل له أ كان وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم كالسيف قال لا بل كالقمر اى لم يكن كالسيف في الطول ولا في اللمعان بل كالقمر في التدوير وفوق لمعان السيف وصح عن جابر بن سمرة لم يكن كالسيف بل كالشمس والقمر وكان مستديرا فنبه بهذا انه جمع بين الحسن والاشراق والملاحة والاستدارة وجاء عن علي رضي الله تعالى عنه لم يكن بالمكلثم اى شديد استدارة الوجه بل فيه تدوير قليل وهو أحلى عند العرب وهو معنى قول ابي هريرة كان أسيل الخدين اى فيهما طول وسلامة من ارتفاع الوجنة ومد وتشبيه غير واحد لوجهه بشقة القمر اى عند التفاته وقيل احترازا عما في القمر من السواد ويرده تشبيه ابي بكر رضي الله تعالى عنه وغيره له بدارة القمر وفي النهاية انه صلى الله عليه وسلم كان اذا اسر صار وجهه كالمرآة تغري خيال الجدر فيه وفي رواية يتلألأ وجهه تلألأ القمر ليلة البدر وانما كان الاكثر تشبيهه بالقمر دون الشمس لان من شاهده يتملى كمال النظر ويستأنس به ولا يتأذى منه بخلاف الشمس في الكل ولذا كان من أسمائه صلى الله عليه وسلم البدر ومن ثم قال الخارجون لملاقاته حين مرجعه من تبوك

طلع البدر علينا • من ثنيات الوداع • وجب الشكر علينا • ما دعا لله داع

ثم هذه التشبيهات جرت على عادة العرب والا فلا شيء يعادل صفاته صلى الله عليه وسلم الخلقية والخلقية وأما بصره صلى الله عليه وسلم فيكفيك فيه ما زاغ البصر وما طغى وصح عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما كان صلى الله عليه وسلم يرى بالليل في الظلمة كما يرى بالنهار في الضوء وصح انه كان في الصلاة يرى من خلفه كما يرى من أمامه اى رؤية ادراك كهي بالبصر اذ الرؤية الواقعة على جهة الكرامة لا تتوقف عليه ولا على شعاع ولا على مقابلة عند أهل السنة وما قيل كان له عينان بين كتفيه كسم الخياط يرى بهما ولا يحجبهما الثياب لم يثبت ما يدل عليه والاصل عدمه كما زعم أن صورهم كانت تنطبع في قلبه او انها رؤية قلب او ان المراد بها العلم بوحي او الهام وخبر حديث اني لا أعلم ما وراء جداري لم يعرف له سند وانما ذكره ابن الجوزي في بعض كتبه بلا اسناد وبفرض وروده فهذا غير ما نحن فيه لان المنفي علم الغيب بما وراء الجدار حيث لم يعلم به بوحي او الهام ومن ثم قال لما ضلت ناقته وقال بعض المنافقين هو يزعم علم الغيب والله اني لا أعلم الا ما علمني ربي وقد دلني ربي عليها وهي في موضع كذا احتبسها شجرة بخطامها فذهبوا فوجدوها كما اخبر صلى الله عليه وسلم وبفرض التعارض فما مر في حالة الصلاة وهذا خارجها وجاء انه كان اذا التفت التفت جميعا اى لا يسارق النظر ولا يلوي عنقه يمنة ولا يسرة كالطائش الخفيف وان جل نظره النظر بلحاظه صلى الله عليه وسلم وهو جانب العين الذي يلي الصدغ وانه صلى الله عليه وسلم عظيم العينين أهدب الاشفار مشرب العينين بحمرة وروى مسلم

(قوله كان الشمس تجري) قال الطيبي شبه جريان الشمس في فلكها بجريان الحسن في وجهه صلى الله عليه وسلم قال ويحتمل أن يكون من تناهي التشبيه جعل وجهه مقرا ومكانا للشمس انتهى مواهب (قوله وصح انه كان في الصلاة) في الامداد استظهر عدم الفرق بين الصلاة وغيرها الاطلاق حديث الصحيحين

أشكل العينين والشكلة الحمرة في بياض العين وهي محمودة والشهلة حمرة في سوادها وفي رواية أدعج العينين اي شديد سوادهما أهدب الاشفار اي طويلها ● واما سمعه صلى الله عليه وسلم فحسبك فيه خبر الترمذي اني ارى ما لا ترون واسمع ما لا تسمعون اطت السماء وحق لها ان تئط ليس فيها موضع اربع اصابع الا وملك واضع جبهته ساجدا لله تعالى وفي رواية لابي نعيم او قائم ● واما شعره صلى الله عليه وسلم فصح انه كان بين شعرين لا رجل اي يتقبض فينكسر وهو ما يتكسر قليلا ولا سبط ولا جعد قطط وكان بين اذنيه وعاتقه وانه رجل ليس بالسبط ولا الجعد ولا تخالف لان فيه رجولة قليلة فالاولى لتي كثيرها وانه الى شحمة أذنيه وانه الى اسفلها وانه الى الكتفين ولا تخالف ايضا لانه ربما ترك تقصيره فيطول وربما قصره فيقصر وكان اذا انفرق انفرق بنفسه والا تركه معقوصا ولعل هذا كان اولا والا فالذي صح انه كان صلى الله عليه وسلم يسدله اي يرسله ثم فرق ثم رأيت ان العلماء قالوا ان الفرق سنة لانه الذي رجع اليه صلى الله عليه وسلم وكان في عنفقته صلى الله عليه وسلم وصدغيه شعرات بيض دون العشرين وانما لم يكثر فيه مع انه نور ووقار لرواية ما شانه الله بالشيب اي لان النساء يكرهنه غالبا ومن كره منه صلى الله عليه وسلم شيأ فقد خلع وكفر واختلفت الروايات في تغيره صلى الله عليه وسلم الشيب بنحو الحناء ولا مخالفة لانه صلى الله عليه وسلم فعله كثيرا وتركه أكثر ومن ثم كان سنة عندنا وصح انه صلى الله عليه وسلم كان كث شعر اللحية الكريم وجاء انه صلى الله عليه وسلم كان يكثر دهن شعر رأسه وتسريح لحيته وكان أشعر الذراعين والمنكبين وأعالي الصدر ولم يرد فيه أنه صلى الله عليه وسلم حلق رأسه في غير حج أو عمرة وورواية انه كان يأخذ من عرض لحيته وطولها غريبة بخلاف رواية أعفوا اللحى فمن ثم أخذ بها أئمتنا رضي الله عنهم وورد انه صلى الله عليه وسلم كان ينظر في المرآة اذا سرح لحيته وانه صلى الله عليه وسلم كانت له مكحلة يكتحل منها بالاثمد في كل عين ثلاثة قبل النوم ● وأما جبينه صلى الله عليه وسلم وحاجباه وأنفه ورأسه فقد جاء انه واضح الجبين مقرون الحاجبين اي شعرهما متصل وانه غير متصلهما ورجحه ابن الاثير وقد يجمع بأنهما كانا كثيري الشعر كما في رواية سابغين كما في أخرى دقيقين كما في أخرى فهما مع كثرة شعرهما فيهما سبوغ الى آخر العين ودقة في طرفيهما فلكثرة شعرهما يريان من بعيد كأنهما متصلان وليسا في الحقيقة كذلك وصح انه ضخم الرأس ضخم الكراديس اي رؤس العظام وجاء انه صلى الله عليه وسلم أقنى الانف اي طويله مع دقة أرنبته وحدب في وسطه وعبر بعضهم بأنه سائل مرتفع وسطه وانه صلى الله عليه وسلم دقيق العرنين اي أعلى الانف وان من لم يتأمله يحسبه أنه أشم اي طويل قصبة الانف ● وأما فمه صلى الله عليه وسلم فقد صح انه واسعه يفتتح الكلام ويختتمه باشداقه اي لسعة فمه والعرب تمدحه وتذم صغره وانه صلى الله عليه وسلم أشنب اي لاسنانه غاية البريق واللمعان وانه اذا تكلم رؤي كالنور يخرج من ثناياه وانه صلى الله عليه وسلم مفلج الاسنان اي متفرقها وفي رواية انه مفلج الثنيتين

(قوله اطت السماء) اي صوتت من ثقل ما عليها كاطت الابل اي صوتت لثقل احمالها (قوله كان يسدله) بضم الدال وكسرها (قوله يكرهنه) فيمنعهم من ذلك رفقا بهن وقال بعضهم فيه نظر لان الكراهة الطبيعية خارجة عن الامور التكليفية والتردد بان ذلك يجر الى الكراهة الاختيارية وهي كفر فمنع الله تعالى ما يجرهن الى الكراهة الداعية لذلك انتهى شرح الخصائص لابن علان (قوله الحناء) بالمد والتشديد (قوله كان ينظر في المرآة) فيندب النظر فيها اقتداء به صلى الله عليه وسلم كما قاله ابن جماعة نقلا عن المحب الطبري (قوله مكحلة) هو أحد ما جاء على الضم من الادوات (قوله دقيق العرنين) عرنين كل شئ أوله وعرانين القوم سادتهم وعرنين الانف تحت مجتمع الحاجبين وهو اول الانف حيث يكون فيه الشمم يقال هم شم العرانين

اى أكثر من البقيع وأمار يقه صلى الله عليه وسلم فقد صح انه يوم حنين تفل فى عين على كرم الله وجهه ورضى عنه وكان به رمد فبرئ منه لوقته وأعطاه الراية ففتح الله على يديه وجاء انه صلى الله عليه وسلم مج فى بئر ففاح منه رائحة المسك وانه صلى الله عليه وسلم بزق فى أخرى فلم يكن فى المدينة أطيب ماء منها وانه صلى الله عليه وسلم كان فى يوم عاشوراء يبصق فى فم رضعائه ورضعاء فاطمة وينهى عن رضاعهم فيجزئهم ريقه الى الليل وانه صلى الله عليه وسلم مضغ قطعة لحم وأعطاها لخمس نسوة فمضغنها كل قطعة ولم يوجد لافواههن ريح خلوف وكان فى أفواههن نتن ٭ وأما فصاحة لسانه صلى الله عليه وسلم وجوامع كلمه وبديع بيانه وحكمه فأمر أظهر من أن يذكر وأشهر من أن ينشر كيف وقد ارتقى فى كل ذلك الغاية التى لم يدركها مخلوق حتى قال بعض العلماء ان كلامه معجز كالقرآن ٭ وأما صوته صلى الله عليه وسلم فروى ابن عساكر خبر ما بعث الله نبيا قط الا بعثه حسن الوجه حسن الصوت حتى بعث الله نبيكم صلى الله عليه وسلم فبعثه حسن الوجه حسن الصوت والبيهقى خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أسمع العواتق فى خدورهن وأبو نعيم انه صلى الله عليه وسلم قال للناس يوم الجمعة على المنبر اجلسوا فسمعه عبد الله بن رواحة وهو فى بنى غنم فجلس مكانه وابن سعد انه صلى الله عليه وسلم خطب بمنى ففتح الله اسماعهم فسمعوه وهم فى منازلهم ٭ وأما ضحكه صلى الله عليه وسلم فهو انه (سيد) للعالمين الاولين والآخرين كما مر مبسوطا أول الكتاب (ضحكه) اى الذى يظهر به سروره هو (التبسم) كما رواه البخارى عن عائشة رضى الله تعالى عنها ما رأيته مستجمعا قط ضاحكا اى مقبلا على الضحك بكليته انما كان يتبسم ولا ينافيه خبر البخارى أيضا فى المواقع أهله فى رمضان فضحك حتى بدت نواجذه وهى بالجيم والذال المعجمة الاضراس وهى لا تكاد تظهر الا عند المبالغة فى الضحك لان عائشة رضى الله تعالى عنها انما نفت رؤيتها وذلك لا ينافى وقوع غير التبسم منه ثم الذى دل عليه مجموع الاحاديث ان أكثر أوقاته صلى الله عليه وسلم هو التبسم وربما ضحك والمكروه انما هو الاكثار والافراط من الضحك سواء كان معه قهقهة أم لا ومن ثم روى البخارى فى أدبه وابن ماجه النهى عن كثرته وانه يميت القلب والفرق أن التبسم مبادى الضحك من غير صوت والضحك انبساط الوجه حتى تظهر الاسنان من السرور مع صوت خفى فان كان فيه صوت يسمع من بعيد فهو القهقهة ٭ وأما بكاؤه صلى الله عليه وسلم فكان من جنس ضحكه لم يكن بشهيق ولا برفع صوت ولكن تدمع عيناه حتى تهملان ويسمع لصدره أزيز اى غليان يبكى رحمة لميت وخوفا على أمته وشفقة من خشية الله تعالى وعند سماع القرآن وأحيانا فى صلاة الليل وجاء انه صلى الله عليه وسلم حفظ من التثاؤب بل جاء ان كل نبى كذلك ٭ وأما يده صلى الله عليه وسلم فقد وصفه غير واحد كما فى عدة طرق بأنه شثن الكفين اى غليظ أصابعهما وبأنه عبل الذراعين رحب الكفين ووصف أيضا

(قوله ريح خلوف) اى وكان فى افواههن نتن كذا فى بعض النسخ وعبارة المواهب ودخلت عليه عميرة بنت مسعود هى واخواتها يبايعنه وهن خمس فوجدنه يأكل قديدا فمضغ لهن قديدة فمضغنها كل واحدة قطعة فلقين الله وما وجد لافواههن خلوف رواه الطبرانى (قوله حتى أسمع العواتق) قال فى الصحاح وجارية عاتق اى شابة أول ما أدركت فخدرت فى بيت أهلها ولم تبن الى الزوج من البينونة اى لم تبن من اهلها الى الزوج (قوله وأما ضحكه صلى الله عليه وسلم) يقال ضحك يضحك ضحكا وضحكا وضحكا وضحكا أربع لغات والضحكة المرة الواحدة ورجل ضحكة اى كثير الضحك وضحكة بالتسكين يضحك منه والاضحوكة ما يضحك منه وامرأة مضحاك كثيرة الضحك اه صحاح (قوله حتى بدت نواجذه) جمع ناجذ وهو ما يظهر عند الضحك من الاسنان وقيل هى الانياب وقيل الاضراس وقيل الدواخل من الاضراس التى فى أقصى الحلق (قوله حتى تهملان) يقال هملت عينه اى فاضت وبابه نصر (قوله من التثاؤب) بهمزة بعد الالف وأما بالواو فغلط اه قسطلانى على البخارى ثم قال وهو تنفس ينفتح منه الفم من الامتلاء وثقل النفس وكدورة الحواس

بأن يده صلى الله عليه وسلم ألين من الحرير والديباج وأبرد من الثلج وأطيب ريحا من المسك ولا ينافي هذا اللين ما مر آنفا لانه جمع له مع لين الجلد غلظ العظام وقوتها وتفسير الاصمعي الشثن بغلظ في خشونة مردود بل نقل ابن خالويه عنه أنه قيل له ورد في صفته صلى الله عليه وسلم أنه لين الكفين فأقسم أن لا يفسر شيأ في الحديث وتسليمه فهو صلى الله عليه وسلم كان ربما حصلت له خشونة في كفيه من جهاد أو عمل في مهنة أهله وتفسير أبي عبيدة له بغلظ الاصابع مع قصرها يرده ما جاء انه كان سائل الاطراف فالتحقيق أن الشثن الغلظ من غير خشونة ولا قصر روى الحاكم وغيره انه صلى الله عليه وسلم مسح بيده الشريفة الدم عن وجهه وصدره من جرح في وجهه فكان أثر يده الشريفة غرة سائلة كغرة الفرس وصح أنه صلى الله عليه وسلم مسح رأس ولحية أبي زيد الانصاري ثم قال اللهم جمله فبلغ بضعا ومائة سنة وما في لحيته بياض ولا في وجهه انقباض وروى أحمد وغيره أنه مسح رأس حنظلة بيده وقال بورك فيك فكان يمسح بمحل يده صلى الله عليه وسلم الورم فيذهب * وأما ابطاه صلى الله عليه وسلم فكانا أبيضين كما جاء عن عدة من الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين لكن تعارضه الرواية الصحيحة كنت أنظر الى عفرة ابطيه والعفرة بياض ليس بالناصع وقد يجمع بحمل البياض في الاول على البياض غير الناصع وذكر بعضهم أنه لا شعر بابطيه ورد بأنه لم يثبت بوجه وكان يسيل منهما مثل ريح المسك وكانت له مسربة وهي خيط الشعر الذي بين الصدر والسرة وفي رواية له شعرات من لبته الى سرته تجري كالقضيب ليس على صدره ولا على بطنه غيره * وأما بطنه وظهره صلى الله عليه وسلم فجاء انه مفاض البطن اي واسعه وقيل مستوى الظهر مع الصدر وان بطنه صلى الله عليه وسلم كالقراطيس المثنى بعضها على بعض وانه بعيد ما بين المنكبين اي عريض الصدر * وأما قلبه صلى الله عليه وسلم فهو أول قلب أودع الاسرار الالهية والمعارف الربانية لانه أول الخلق كما مر وصورته صلى الله عليه وسلم آخر صورة الانبياء صلى الله عليه وسلم وعليهم أجمعين فهو اولهم وآخرهم في حيازته أعلى الكمالات الخلقية والخلقية ومما يخبرك بأن قلبه أودع ما لم يودعه غيره تكرر شقه وملؤه ايمانا وحكمة واخراج حظ الشيطان منه كما مر ذلك مبسوطا في مبحث رضاعه صلى الله عليه وسلم ومحاسنه الظاهرة التي هي اعلام على الاخلاق الباطنة فكما ان قلمنا لم يسار وفيها مخلوق فكذلك هذه * وأما جماعه صلى الله عليه وسلم فقد صح عن أنس كما تحدث انه صلى الله عليه وسلم أعطى قوة ثلاثين رجلا في الجماع وروى الاسماعيلي أنه أعطى قوة أربعين رجلا زاد ابو نعيم عن مجاهد كلهم من رجال اهل الجنة والرجل في الجنة يعطى قوة مائة كما صححه الترمذي وقال غريب واربعون في مائة بأربعة آلاف ومع ذلك كان صلى الله عليه وسلم على جانب عظيم من تقليل الغذاء فخرق الله له العادة في الامرين ولم يحتلم قط وكذا الانبياء لانه من الشيطان لكن ظاهر قول عائشة رضي الله عنها يصبح صائما جنبا من جماع

(قوله لكن تعارضه) في الحقيقة لا تعارض

غير احتلام انه يحتلم وتسليمه فالاول محمول على ما اذا كان عن رؤية وقاع لان هذا هو الذى من الشيطان بخلاف مجرد نزول المنى فى النوم * وأما قدمه صلى الله عليه وسلم فجاء عن غير واحد انه شثن القدمين اى غليظ اصابعهما وكانت سبابة قدميه أطول من بقية اصابعهما ومن روى ذلك فى اليد فقد غلط كما بينه غير واحد وكانت خنصرهما متظاهرة وكانا الاخمص لهما اى ليس فى باطنهما كبير انخفاض بحيث يطأ به كله فهو معتدل الخمص ومعنى رواية مسيح القدمين ان فيهما مع ذلك لينا وملاسة دون تكسر وتشقق * وأما طوله صلى الله عليه وسلم فكان ربعة لكنه الى الطول اقرب كما جاءت به الاحاديث الكثيرة وفى حديث ما يفيد ان هذا ان مشى وحده او مع قصير والا طال على من ماشاه وهو صلى الله عليه وسلم ينسب الى الطول بل لو اكتنفه طويلان طالهما فاذا فارقاه نسب الى الربعة * وأما مشيه صلى الله عليه وسلم فقد صح عن على كرم الله وجهه انه كان اذا مشى تكفأ تكفئا كأنما ينحط من صبب وفى رواية عنه كان اذا مشى تقلع والتقلع والانحدار من الصبب قريب اراد به انه كان يستعمل التثبت ولا يتبين منه فى هذه الحالة استعجال ومبادرة بالمشى وهذا هو مراد الناظم بقوله (والمشى) الكائن منه (الهوينا) تصغير الهون وهو السكينة والوقار التعظيم نحو قول الشاعر

وكل اناس سوف تدخل بينهم * دويهية تصفر منها الانامل

وقد مدح الله من يمشون كذلك فقال عز قائلا وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا ولا ينافى ذلك رواية الترمذى عن ابى هريرة رضى الله عنه ما رأيت اسرع من مشية رسول الله صلى الله عليه وسلم كأن الارض تطوى له انا لنجهد أنفسنا وهو غير مكترث لان عجزهم عن لحوقه ليس لانه كان يجهد نفسه فى المشى كما يدل عليه قوله غير مكترث بل لانه كان يبارك له فى مشيه كما يدل عليه قوله كأن الارض تطوى له فهو مع هون مشيته لا يلحق ومعنى رواية يتذريع المشى اى واسع الخطوة وقال ابن القيم فى رواية كان اذا مشى تقلع والتقلع الارتفاع من الارض بجملته كحال المنحط فى الصبب وهى مشية أولى العزم والهمة وهى أعدل المشيات وأروحها للاعضاء فكثير من الناس من يمشى دفعة واحدة كأنه خشبة محمولة فهى مذمومة كالمشى بالانزعاج كالجمل الاهوج وهذه تدل على قلة عقل صاحبها لاسيما اذا أكثر فيها الالتفات وكان صلى الله عليه وسلم اذا مشى مع أصحابه قدمهم أمامه وقال خلوا ظهرى للملائكة وكان اذا مشى فى قمر أو شمس لا يظهر له ظل وسره قوله صلى الله عليه وسلم فى دعائه واجعلنى نورا وأما لونه صلى الله عليه وسلم فقد وصفه جمهور اصحابه بالبياض كما صح عنهم من طرق متعددة ولا ينافيه رواية مشرب بحمرة لانه مع ذلك يسمى ابيض ثم قد يتنافيها رواية ابيض شديد البياض الا أن يحمل المشرب بالحمرة على الوجه فقط وما عداه شديد البياض كما تدل عليه رواية فنظرت الى ظهره كأنه سبيكة فضة وعلى الوجه يحمل رواية امهق اى أحمر ليس بابيض وقول عياض

(قوله مجرد نزول المنى) عبارة ابن علان فى شرحه الخصائص وجوز بعضهم عليهم الاحتلام الناشئ من امتلاء البدن وترك الجماع لانه امر طبيعى ليس للشيطان فيه مدخل وفى قوله من امتلاء البدن نظر اذ الانبياء حاشاهم ان يملؤا أجوافهم وقد علمت قول الشارح قريبا كان على غاية من تقليل الغذاء وبقية الانبياء مثله فى ذلك كما هو اللائق بمقامهم عليهم الصلاة والسلام (قوله تصغير الهون) والهونى تأنيث الاهون كقولك الاكبر والكبرى وفى الحديث المسلمون هينون لينون قال ابن الاعرابى العرب تمدح بالهين اللين مخففا وتذم بالهين اللين مثقلا وقال غيرهما شئ واحد والاصل فيه التثقيل فخفف اهـ من الهروى فى غريبه قال البيضاوى عند قوله يمشون على الارض هونا هينين أو مشيا هونا مصدر وصف به والمعنى يمشون بسكينة وتواضع (قوله الخطوة) بضم الخاء ما بين القدمين وأما بفتحها فنقل القدم (قوله قدمهم أمامه) لعله غالبا بدليل قوله قبل لان عجزهم عن لحوقه اذ هو ظاهر فى مشيهم خلفه

رحمه الله تعالى انها وهم غير صحيح وكذا رواية ليس بالابيض ولا بالآدم اى وقول عياض ان هذه ليست بصواب مردود بأن المراد ليس شديد البياض ولا شديد الادمة وانما يخالط بياضه حمرة والعرب تطلق على من هو كذلك انه اسمر الوارد فى رواية وتوافقها رواية ابيض بياضه الى السمرة وفى رواية احمر الى البياض او المراد انه صلى الله عليه وسلم كان تحصل له السمرة اذا سافر لتأثره من الشمس وتظليل الغمام وغيره له انما كان ارهاصا كما مر وقد انقضى وقته وذهب بعض المالكية الى أن من زعم انه صلى الله عليه وسلم كان أسود كفر وفى رواية يقتل اى لان السواد يشعر بالنقص (و) أما (طيب ريحه صلى الله عليه وسلم وعرقه وفضلاته فكان فى ذلك الغاية العليا وان لم يمس طيبا كما صح عن انس وغيره وروى ابو يعلى والطبرانى ان رجلا استعان به فى تجهيز ابنته فاستدعى صلى الله عليه وسلم بقارورة وسلت فيها من عرقه وقال مرها فلتطيب به فكانت اذا تطيبت به شم أهل المدينة ذلك الطيب فسموا بيت المطيبين ومن انه كان اذا مر بطريق عرف الناس منه وجدوا رائحته وعرفوا بذلك انه مر منه وحديث خلق الورد من عرقه أو من عرق جبريل أو من عرق البراق موضوع وجاء من وجه غريب ان ما كان يخرج منه صلى الله عليه وسلم تبتلعه الارض وايده الحافظ عبد الغنى بان أحدا من الصحابة لم يذكر انه رآه بخلاف البول فانهم كانوا يستشفون به كلمه صلى الله عليه وسلم ومن ثم اختار جماعة من أئمتنا رضى الله تعالى عنهم طهارة جميع فضلاته صلى الله عليه وسلم (و) اما (نومه) فهو (الاغفاء) أى أخف النوم بحيث لا يستغرق لان الاستغراق انما يتولد عن نوم القلب وغفلته المتولدين عن الشبع المفرط وهو صلى الله عليه وسلم كسائر الانبياء عليهم الصلاة والسلام كان تنام عينه ولا ينام قلبه كما صح عنه صلى الله عليه وسلم ومن ثم لم ينتقض وضوءه بالنوم وسر ذلك كمال حياة قلبه صلى الله عليه وسلم ويقظته ودوام شهوده لربه عز وجل ومن ثم كان صلى الله عليه وسلم اذا نام لا يوقظ لانه لا يدرى ما هو فيه ولا ينافيه نومه صلى الله عليه وسلم بالوادى عن صلاة الصبح حتى حميت الشمس لان رؤيتها من وظيفة العين والقلب انما يدرك نحو الحدث والالم مما يتعلق به دون العين فهى نائمة والقلب يقظان وكأنه انما لم يدرك مرور الوقت الطويل فانه صلى الله عليه وسلم نام قبل الفجر الى ان حميت الشمس لانه صلى الله عليه وسلم كان مستغرقا فى شهود ربه وما يفيضه عليه من معارفه وانما لم ينبه على ذلك ليقع التشريع بتلك الاحكام الكثيرة جدا التى استفيدت من تلك الواقعة كسهوه صلى الله عليه وسلم فى الصلاة وقيل كان له نوم ينام فيه قلبه أيضا وهو الذى كان يستيقظ ورد بانه لم يثبت فهو مردود على قائله كتأويل بعضهم قوله صلى الله عليه وسلم لا ينام قلبى بما يخرجه عن ظاهره من غير دليل واذ قد انتهى الكلام على شئ من محاسن ذاته صلى الله عليه وسلم التى لم يخلق الله تعالى ذاتا أشرف منها فلنذكر شيأ مما يتعلق بمحاسن أخلاقه وصفاته التى لم يخلق الله تعالى أشرف منها أيضا فنقول (ماسوى)

(قوله موضوع) قال السيوطى فى حسن المحاضرة ما ورد فى الورد رويت فيه أحاديث كلها موضوعة منها حديث على رضى الله تعالى عنه مرفوعا لما أسرى بى الى السما سقط الى الارض من عرقى فنبت منه الورد فمن أحب أن يشم رائحتى فليشم الورد أخرجه ابن عدى فى كامله وحديث أنس رضى الله تعالى عنه مرفوعا الورد الابيض خلق من عرقى ليلة المعراج وخلق الورد الاحمر من عرق جبريل وخلق الورد الاصفر من عرق البراق أخرجه ابن فارس فى كتاب الريحان والحديثان أوردهما ابن الجوزى فى الموضوعات (قوله تبتلعه الارض) اى ويشم منه رائحة المسك وكذلك الانبياء اه من الخصائص الصغرى للسيوطى (قوله أشرف منها) بل ولا مساوية لها وكذا يقال فيما يأتى (قوله وهذا مقتبس الخ) فيه أن قول ابن عباس ليس فيه ذكر النسيم فلا يظهر الاقتباس ويجاب بأن الريح فى كلامه أل فيه للاستغراق فيشمل سائر أقسامه ومنها نسيم الصبا وفيه أيضا ان المشبه فى كلام ابن عباس الجود لا الخلق وقد يجاب بأن الجود من ثمرات الخلق الحسن فاذا شبه الفرع بالنسيم فالاصل أولى

أى ليس غير (خلقه النسيم) أى الريح التى فى غاية اللطافة واللين والطيب يعنى لا يشبهها
خلق أحد الا خلقه الكريم العظيم وهـذا مقتبس من قول ابن عباس رضى الله عنهما
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أجود الناس بالخير ثم قال أيضا فرسول الله صلى الله
عليه وسلم اجود بالخير من الريح المرسلة فان قلت صريح هذا ان خلقه صلى الله عليه
وسلم أفضل من النسيم بل لا نسبة بينهما فكيف هذا التشبيه المؤذن بشرفها عليه
صلى الله عليه وسلم قلت هذا الايذان انما هو باعتبار الغالب والا فقد يشبه الافضل
بالمفضول لنكتة كما فى قوله كما صليت على ابراهيم الخ فكذا هنا تشبيهه بها البليغ انما
هو باعتبار ما فيها انما بقيت الروح ويحيى القلب ويعلو صدأ النفس وغير ذلك مما لاقيام
لحقيقة الحيوان الا به وانما قلت لا يشبهها الخ لابين أن هذا المراد من العبارة لا التى هى به
وذلك لان نفى مشابهة غير خلقه صلى الله عليه وسلم لها لا يفيد انه لا يشبهها الا خلقه صلى
الله عليه وسلم لان هذا الحصر لا دليل عليه فى الكلام بل صريح كلام الراغب انه
لا مفهوم النفى بغير وعبارة غير تقال على أوجه الاول ان تكون النفى المجرد من غير
اثبات معنى به نحو مررت برجل غير قائم وقال تعالى ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى
من الله وقال تعالى وهو فى الخصام غير مبين انتهى المقصود منه وسيأتى فى شرح قوله وما
سواى هو العاصى ماله بما هنا تعلق فاستحضره والخلق بضم فضم أو سكون قال الراغب
هو والمفتوح فى الاصل بمعنى واحد لكن خص المفتوح بالهيآت والصور المبصرة
والمضموم بالسجايا والقوى المدركة بالبصيرة ثم قيل المضموم غريزة لخبر البخارى ان الله
قسم بينكم أخلاقكم كما قسم بينكم أرزاقكم والحق ان أصله غريزى وتمامه مكتسب
لما صح انه صلى الله عليه وسلم قال للاشج ان فيك لخصلتين يحبهما الله ورسوله الحلم والاناة
قال يا رسول الله قديما كانا فى أم حديثا قال قديما قال الحمد لله الذى جبلنى على خلتين
يحبهما الله ورسوله فترديده السؤال وتقرير النبى صلى الله عليه وسلم له على ذلك يدل على
ان بعضه غريزى وبعضه مكتسب ويدل له أيضا الحديث الصحيح اللهم كما حسنت خلقى
فحسن خلقى وما صح انه كان يقول فى دعاء الافتتاح واهدنى لاحسن الاخلاق فانه
لا يهدى لاحسنها الا أنت فهو جبلة فى نوع الانسان وهم متفاوتون فيه فمن علم حسنه
أو كاله أمر بالمجاهدة والرياضة حتى يقوى ويصير محمودا وقد عرف الخلق الحسن بانه
ملكة يسهل على ذويها فعل الجميل وتجنب القبيح ولما اجتمع فيه صلى الله عليه وسلم من
خصال الكمال وصفات الجلال والجمال ما لا يحصره حد ولا يحيط به عد أثنى الله تعالى عليه
فى كتابه العزيز فقال عز من قائل وانك لعلى خلق عظيم فوصفه بالعظم وزاد فى المدحة
باتيانه بعلى المشعر بانه صلى الله عليه وسلم استعلى على معالى الاخلاق واستولى عليها فلم
يصل اليها مخلوق غيره ووصفه بالعظم دون الكرم الغالب فى وصفه به لان كرمه يراد به
السماحة والدماثة وخلقه صلى الله عليه وسلم غير مقصور على ذلك بل كما كان عنده غاية

(قوله المرسلة) اى المطلقة يعنى
انه فى الاسراع بالخير أسرع من
الريح وعبر بالمرسلة اشارة الى
دوام هبوبها بالرحمة والى عموم
النفع بخيره كما تعم الريح المرسلة
جميع ما تهب عليه وانما قلت يعنى
الخ لان اصطلاحهم فى التعبير
انه اذا كان المعنى لا يحتاج لعناية
بان أفاده جوهر اللفظ عبروا باى
والا عبروا بيعنى (قوله لا يفيد
الخ) بل ولا يفيد أصل مشابهة
خلقه لها على ما نقله عن الراغب
فاذا قلت ما مررت برجل غير قائم
لا يستفاد منه مرورك بقائم فضلا
عن حصر مرورك به فتدبر (قوله
بمعنى واحد) كالشرب والشرب
(قوله قال للاشج) لقبه رسول الله
صلى الله عليه وسلم بذلك لاثر فى
وجهه واسمه المنذر بن عائذ (قوله
والاناة) بزنة قناة أى التثبت
وترك العجلة (قوله والدماثة)
الدماثة سهولة الخلق انتهى
قاموس

الرحمة للمؤمنين كان عنده غاية الغلظة والشدة على غيرهم فاعتدل فيه الانعام والانتقام ولم تكن له همة سوى الله تعالى فعاشر الخلق بخلقه وباينهم بقلبه ومن ثم ورد بسند فيه ضعف ان الله بعثنى بتمام مكارم الاخلاق وكمال محاسن الافعال وفى رواية الموطا بلاغا بعثت لأتمم مكارم الاخلاق فكل خلق حميد اندرج تحت خلقه ومن ثم قالت عائشة رضى الله عنها كان خلقه القرآن قال السهروردى رحمه الله تعالى وتبعه فى عوارفه فى قولها ذلك رمز غامض وايماء خفى الى الاخلاق الربانية فاحتشمت من الحضرة الالهية ان تقول كان متخلقا باخلاق الله تعالى فعبرت عن المعنى بقولها كان خلقه القرآن استحياء من سبحات الجلال وسترا للحال بلطيف المقال وهذا من وفور عقلها وكمال أدبها انتهى وقال بعض العارفين لما كان خلقه صلى الله عليه وسلم أعظم خلق بعثه الله تعالى الى جميع العالمين وعلم من كلام عائشة رضى الله تعالى عنها ان كمالات خلقه صلى الله عليه وسلم لاتتناهى كما ان معانى القرآن لاتتناهى وان التعرض لحصر جزئياتها غير مقدور للبشر ثم ما انطوى عليه صلى الله عليه وسلم من كريم الاخلاق لم يكن باكتساب ورياضة وانما كان فى أصل خلقته بالجود الالهى والامداد الرحمانى الذى لم تزل تشرق أنواره فى قلبه الى ان وصل لاعظم غاية وأنهى نهاية واعلم ان كمال الخلق انما ينشأ عن كمال العقل لانه الذى به تقتبس الفضائل وتجتنب الرذائل والعقل لسان الروح وترجمان البصيرة فهو جوهر الانسان ولكن جوهره الصُّرَّة وفى القاموس بعد الاشارة الى الخلاف فى تعريفه والحق انه نور روحانى به تدرك النفوس العلوم الضرورية والنظرية وابتداء وجوده عند اجتنان الولد ثم لايزال ينمو الى ان يكمل عند البلوغ انتهى والحديث المشهور أول ماخلق الله العقل قال له أقبل الخ موضوع وعقل نبينا صلى الله عليه وسلم وصل فى الكمال الى غاية لم يصل اليها ذو عقل ومن ثم روى أبو نعيم وابن عساكر عن وهب انه وجد فى احدى وسبعين كتابا ان الله لم يعط جميع الناس من بدء الدنيا الى انقضائها من العقل فى جنب عقله صلى الله عليه وسلم الا كحبة رمل من بين رمال جميع الدنيا ومما يقطع بعظمة ذلك سياسته صلى الله عليه وسلم للعرب الذين هم كالوحوش الشاردة وصبره على طباعهم المتنافرة والمتباعدة حتى قاتلوا دونه أهاليهم وهجروا فى رضاه أوطانهم واحبابهم مع انه لم يطلع على سير الماضين ولاتعلم من العقلاء المحدثين وفى هذا ما فى الذى قبله عامر آخا (ولا غير محياه) أى وجهه صلى الله عليه وسلم (الروضة الغناء) أى الكثيرة النبات والازهار والثمار أى ليست الروضة الغناء الا وجهه صلى الله عليه وسلم لانه أحسن الخلق وجهاكما مر مبسوطا هو (رحمة) وهى عطف وميل نفسانى غايتها التفضل والانعام أى عينها مبالغة أو ذوها وهو خبر مقدم واخبر بهذه وبما بعدها بلفظ المصدر اشارة الى انها قد امتزجت بذاته صلى الله عليه وسلم واستحال انفصالها عنه حتى كانها هو وكانه هى أى ركب منها وطبع عليها وخلق منها (كله) كما قال تعالى وما أرسلناك الا رحمة للعالمين

(قوله خلقه القرآن) أى كان يتخلق بما فيه من محمود الاوصاف ويجتنب ما فيه من ممنوعها ويحتمل ان تريد بقولها القرآن الآيات التى اقتضت الثناء عليه صلى الله عليه وسلم كقوله تعالى وانك لعلى خلق عظيم انتهى من المفهم للقرطبى (قوله من سبحات الجلال) بضم السين والباء أى عظمته (قوله لانه الذى به الخ) ولذا فضله بعضهم على العلم لانه يدرك به والمعتمد ان العلم أفضل لان الله سبحانه يوصف به ولا يوصف بالعقل (قوله أى ليست الروضة الخ) مقتضى قوله فى نظيره سابقا وانما قلت بمعنى الخ ان يقول هنا بمعنى ليست الخ (قوله هو رحمة) كان الظاهر عدم تقدير مبتدإ ورحمة خبرا مقدما أى وكله مبتدأ فتأمل

ويجوز نصب رحمة على الحال على انها اسم فاعل أو مفعول لاجله وعلى حذف مضاف أى ذا رحمة والعالمون قيل الانس والجن وعليه الجمهور وقيل والملائكة وعليه غير واحد من المحققين ويدل له أيضا قوله تعالى ليكون للعالمين نذيرا ونقل الفخر الرازى وغيره الاجماع على انه لم يرسل للملائكة مردود بل أخذ بعض متأخرى أئمتنا المحققين بظاهر خبر مسلم وأرسلت الى الخلق كافة كما مر وعلى كل فهو رحمة للمؤمنين بالهداية والامان من القتل والكافرين بتأخير العذاب ولسائر الحيوانات لانه يوجهه يستسقى الغمام وبدعائه ينزل الغيث من السماء فينبت النبات فيكون لها سقيا ورعيا وللمنافق وقال ابن عباس رضى الله عنه رحمة للبر والفاجر لان كل نبى اذا كذب اهلك الله من كذبه ومحمد صلى الله عليه وسلم أخر من كذبه الى الموت أو الى يوم القيامة واما من صدقه فله الرحمة فى الدنيا والآخرة فعلم ان ذاته الشريفة رحمة للمؤمن والكافر كما قال تعالى وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وروى البخارى والبيهقى حديث انما أنا رحمة مهداة وقال بعضهم زينه ربه بزينة الرحمة فكان وجوده وجميع شمائله رحمة على الخلق وقال آخر الانبياء خلقوا كلهم من الرحمة ونبينا صلى الله عليه وسلم عين الرحمة لا يقال كيف هو عين الرحمة وقد جاء بالسيف واستباحة الاموال لانا نقول انما قاتل من ادبر واستكبر ولم ينفع فيه وعظ ولا ارشاد ومن أوصافه تعالى الرحمن والرحيم والجبار والمنتقم وفى الشفاء حكى انه صلى الله عليه وسلم قال لجبريل هل أصابك من هذه الرحمة شئ قال نعم كنت أخشى العاقبة فامنت ولما شج وجهه صلى الله عليه وسلم وكسرت رباعيته يوم أحد قالوا لو دعوت عليهم فقال انى لم أبعث لعانا ولكن بعثت داعيا ورحمة اللهم اغفر لقومى فانهم لا يعلمون أى اغفر لهم هذا الشئ المخصوص لا مطلقا والا لاسلموا كلهم ذكره ابن حبان وانما دعا عليهم يوم الخندق بان الله يملأ قبورهم نارا لانهم شغلوه عن الصلاة الوسطى فكان الدعاء قهلا لحظ نفسه صلى الله عليه وسلم (وحزم) كله أى كل جميع أحواله التى تصدر منه انما تصدر على غاية من الضبط والقوة والشدة الباطنة والظاهرة لان منشأ ذلك العقل الكامل وقد مر انه لا أكمل من عقله بل لا مساوى له من نبى ولا ملك (وعزم) كله من عزم على الشئ قطع به أى جميع ما يفعله بوحى أو اجتهاد وانما يفعله مع امضائه والقطع به من غير اعراض عنه ومن ثم كان من خصائصه صلى الله عليه وسلم انه اذا فعل خيرا لزمه ادامته كما وقع له ان ناسا شغلوه عن سنة الظهر البعدية حتى دخل وقت العصر فصلاها حينئذ واستمر يصلى ركعتين بعد العصر الى وفاته (ووقار) كله لان الله تعالى ألقى عليه من المهابة ما لا غاية له ومن ثم قال خارجة بن زيد كما رواه أبو داود كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أوقر الناس فى مجلسه وعن أبى سعيد الخدرى كان اذا جلس فى المسجد احتبى بيديه وكان كثير السكوت لا يتكلم فى غير حاجة وكان ضحكه تبسما وكلامه فصلا لا فضول ولا تقصير وكان ضحك أصحابه عنده التبسم مجلسه مجلس علم وحياء وخير وأمانة

(قوله للمؤمن والكافر) قال ابن علان ولحوق عذاب الكفر بهم ليس من نقصان الرحمة بل لعدم استعدادهم للتأهل لاثرها (قوله وانت فيهم) ان قلت قد عذبهم ببدر والنبى فيهم قلت المراد وأنت فيهم مقيم بمكة وتعذيبهم ببدر انما كان بعد خروجه من مكة أو المراد ما كان الله ليعذبهم العذاب الذى طلبوه وهو امطار الحجارة وانت فيهم اه من فتح الرحمن لشيخ الاسلام زكريا (قوله مهداة) أى هدية من الله للخلق (قوله وكلامه فصلا) بالصاد المهملة أى بينا ظاهرا يفصل بين الحق والباطل وفى المواهب بعد فصلا لا نزر ولا هذر ثم ضبط النزر بسكون المعجمة والهذر بفتحها

لاترفع فيه الاصوات ولاتؤبن فيه الحرم اذا تكلم صلى الله عليه وسلم أطرق جلساؤه كأنما على رؤسهم الطير وجاء اليه رجل فقام بين يديه فأخذته رعدة شديدة ومهابة فقال له هوّن عليك فانى لست بملك ولاجبار انما أنا ابن امرأة من قريش تأكل القديد بمكة فنطق الرجل بحاجته فقام صلى الله عليه وسلم وقال ياأيها الناس انى أوحى الى ان تواضعوا ألافتواضعوا حتى لايبغى أحد على أحد ولايفخر أحد على أحد وكونوا عباد الله اخوانا ورأته قيلة بنت مخرمة فى المسجد قاعدا القرفصا فأرعدت من الفرق رواه أبو داود وروى مسلم عن عمرو بن العاص رضى الله عنه قال صحبت رسول الله صلى الله عليه وسلم فماملأت عينى منه قط حياء منه وتعظيما له ولو قيل لى صفه ماقدرت واذا كان هذا وهو من أجلاء الصحابة رضى الله تعالى عنهم كذلك فماظنك بغيره فلم انه صلى الله عليه وسلم لولا أنه كان يباسطهم ويمزح معهم ومع ذلك لايقول الاحقا ويتواضع لهم ويؤانسهم لماقدر أحد منهم ان يجالسه ولايحادثه لماألقى الله عليه من المهابة والجلالة وقد خير صلى الله عليه وسلم بين ان يكون نبيا ملكا أو نبيا عبدا فاشار لجبريل يستشيره فاشار اليه ان تواضع فاختار العبودية (وعصمة) كله أى حفظ يستحيل عليه شرعا وقوع خلافه من سائر الذنوب صغيرها وكبيرها عمدها وسهوها قبل النبوة وبعدها فى سائر حركاته وسكناته فى باطنه وظاهره سره وعلانيته جده ومزحه ورضاه وغضبه والخلاف فى بعض ذلك لايعول عليه كيف وقد أجمع الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين على اتباعه صلى الله عليه وسلم والتأسى به فى كل مايفعله من قليل وكثير صغير وكبير لم يكن عندهم فى ذلك توقف حتى أعماله صلى الله عليه وسلم فى السر والخلوة يحرصون على العلم بها وعلى اتباعها علم بهم صلى الله عليه وسلم أولم يعلم ومن تأمل أحوالهم معه استحيا من الله كما قاله الامام المجتهد التقى السبكى ان يخطر له تشكك فى انه معصوم فى كل ماذكرناه وكذلك الانبياء عليهم الصلاة والسلام كلهم معصومون كماذكر وحكى فى عصمتهم قبل النبوة خلاف ومحله فى غير الجهل بالله تعالى وصفاته أما هذا فهم معصومون منه اجماعا بل لاينشأ الاعلى أكمل الاحوال من الايمان بالله تعالى ومعرفته كما ينبغى وحكى فى عصمتهم من الصغائر بعد النبوة خلاف أيضا وهو فى غاية الضعف بل ألزم قائله بخرق الاجماع ومالايقول به مسلم ومحله فى غير صغائر الخسة كسرقة لقمة وفى غيرها مما يتعلق بطرق التبليغ أما هذا فهم معصومون منها اجماعا وأما قوله تعالى ووجدك ضالا فهدى فللمفسرين فيه أقوال كثيرة وأحسنها ماجاء عن ترجمان القرآن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما وآخرين من صحابة وتابعين ان معناه ووجدك ضالا عما أنالك من معالم النبوة فهداك اليها ويؤيده قوله تعالى ما كنت تدرى أى قبل الوحى ما الكتاب أى القرآن ولا

(قوله كأنما على رؤسهم الطير) قال الشارح فى شرح الشمائل وأصل ذلك ان سليمان صلى الله على نبينا وعليه وسلم كان اذا أمر الطير بان يظلل أصحابه غضوا ابصارهم ولم يتكلموا حتى يسألهم مهابة منه فقيل للقوم اذا سكتوا مهابة كأنما على رؤسهم الطير أو من سكونهم متلذذين بكلامه وأصل ذلك ان الغراب يقع على رأس البعير يلتقط عنه صغار القراد فيسكن سكون راحة ولذة ولايحرك رأسه خوفا من طيرانه عنه (قوله القرفصا) مثلث القاف والفاء مقصور والقرفصاء بالضم ممدودان يجلس على أليتيه ويلصق فخذيه ببطنه ويحتبى بيديه يضعهما على ساقيه أو يجلس على ركبتيه متكئا ويلصق بطنه بفخذيه ويتأبط كفيه (قوله وسهوها) فان قلت امتناع الصغيرة والكبيرة سهوا يشكل عليه تسليمه عليه الصلاة والسلام سهوا من ركعتين من الرباعية مع حرمة السلام فى الفرض قبل محله لانه قطع له وهو محرم اتفاقا قلت يمكن ان يقال محل امتناعها سهوا مالم يترتب على السهو تشريع والا فيقع أو بان المنع من السهو معناه المنع من استدامته لامن ابتدائه أو بان محله فى القول مطلقا وفى الفعل اذالم يترتب عليه حكم شرعى لانه صلى الله عليه وسلم بعث لبيان المشروعات وقد يشكل تفرقته بين القول والفعل مع ثبوت السهو بالسلام الذى هو قول الا ان يحمل القول على المتعلق بتبليغ الاحكام

(قوله اذ الايمان يطلق عليها حقيقة) أى شرعية والا فهو لغة التصديق (قوله أعباء النبوة الخ) أى المعبر عنها بالاوزار على طريق التشبيه بجامع المشقة (قوله أو المراد عصمتك) قال البرماوى عصمة نبيه صلى الله عليه وسلم المراد الحاجز بينه وبينه حاجز العصمة فلا يلابسه أصلا وعفو ذنب غيره الحاجز بينه وبينه حاجز العفو والغفر وهو كلام حسن وقال السيد الصفوى فيما كتبه على الشفاء وقد سنح لى معنى لطيف بالمعنى

كثير مما ذكروه وهو ان العبد لا يأتى بما هو اللائق بجلال كبريائه تعالى ومنه ما عبدناك حق عبادتك فسمى هذا القصور بالنسبة الى كمال القرب مجازا ذنبا مبالغة وتخويفا ثم شرفه بتشريف لم يعم حوله أحد وهو ستر ذلك القصور بأن تعد عبادته على الوجه اللائق بجلاله ويجازى عليها كذلك وأى مرتبة فوق ذلك ولا يستبعد تسمية القصور عما هو فى كمال القرب ذنبا لشرفه (قوله عفا الله عنك) قال الرازى فى شرح أسماء الله الحسنى العفو أبلغ من المغفرة لان الغفران يشعر بالستر والعفو يشعر بالمحو والمحو أبلغ من الستر (قوله من خلاف الاولى) وهو الاذن للمنافقين فى التخلف عن غزوة تبوك فالعفو لا يستدعى سبق ذنب بل قال بعض المفسرين ان ذلك يدل على المبالغة فى التعظيم فهو كما يقول الرجل لغيره اذا كان معظما له عفا الله عنك ما صنعت فى أمرى (قوله فأراد اربد) بفتح الهمزة وسكون الراء وفتح الموحدة بعدها دال المهملة هو أخو لبيد ابن ربيعة لامه بعث الله عليه صاعقة فأحرقته كافرا ولبيد صحابى كما فى مزيل الخفاء عن ألفاظ الشفاء وخرجوا راجعين الى بلادهم حتى اذا كانوا ببعض الطريق بعث الله على عامر ابن الطفيل الطاعون فى عنقه فقتله فى بيت امرأة من بنى سلول فجعل يقول يا بنى عامر أغدة كغدة البكر فى بيت من بنى سلول ثم خرج أصحابه حتى واروه بالتراب ثم قدموا أرض بنى عامر فلما قدموا أتاهم قومهم فقالوا ما وراءك يا اربد قال لا شئ والله لقد دعانا الى عبادة شئ لوددت انه عندى الآن فأرميه بالنبل حتى أقتله فخرج بعد مقالته بيوم أو يومين معه جمل يبيعه فأرسل الله عليه وعلى جمله صاعقة فأحرقتهما انتهى من سيرة ابن سيد الناس

الايمان أى اثقاله السيئة أو ولا الفرائض والاحكام اذ الايمان يطلق عليها حقيقة فهو وما كان الله ليضيع ايمانكم أى صلاتكم الى بيت المقدس كما يصرح به سبب النزول وما جاهر فوعا أى وجدك ضالا عن جدك عبد المطلب حتى كاد الجوع يقتلك فردك اليه أو هو من ضل الماء فى اللبن اذا انغمر فيه أى وجدك مغمورا بين كفار مكة فنصرك عليهم وأما قوله تعالى ووضعنا عنك وزرك الذى أنقض ظهرك فاختلف المفسرون فيه على أقوال كثيرة منها ما يبطل الاحتجاج به القول الساقط السابق آنفا ومن أحسنها ان المعنى خففنا عنك أعباء النبوة التى أثقلت حقوقها والقيام بموجباتها ظهرك حتى كاد ان يكون له نقيض أى صوت أو المراد عصمناك من الوزر الذى لو عملته صوت ظهرك من ثقله فسمى العصمة وضعا مجازا ووضعنا عنك أوزارا متك التى أثقل ظهرك خوف عاقبتها حتى أمنك الله ذلك فى العاجل بقوله عز وجل قائلا وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وأعطاك الشفاعة فيهم فى الآجل وأما قوله تعالى ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر فاختلفوا فيه كذلك وأحسن ما فيه أيضا قول ابن عباس رضى الله تعالى عنهما انك مغفور لك غير مؤاخذ بذنب ان لو كان أو المراد بالذنب ذنوب أمته على وزان ما مر أو تركك الاولى والاحرى كما قيل حسنات الابرار سيآت المقربين وعليه قوله تعالى عفا الله عنك لم أذنت لهم أى محا عنك ما ارتكبته من خلاف الاولى ووقع لبعض مشاهير المفسرين فى بعض هذه الآيات ما لا ينبغى من التساهل وسوء الادب فاحذره وحفظ أيضا صلى الله عليه وسلم من أعدائه الحريصين على قتله فكان أصحابه يحرسونه حتى نزل والله يعصمك من الناس فأخرج صلى الله عليه وسلم رأسه من القبة وقال يا أيها الناس انصرفوا عنى فقد عصمنى ربى وتواعد جماعة على قتله فلما حموا به صحوا اصرتا منه ولا نغشى عليهم ثم تواعدوا مرة أخرى فلما رأوه سبحت الصفا والمروة فقاتا بينه وبينهم وواعد أبو سفيان قريشا ان يرى آملها أن عنقه فأعلموه به فذهب اليه فولى هاربا فسئل فقال لما دنوت منه أشرفت على خندق مملوء نارا فكدت أهوى فيه وأبصرت هولا عظيما وخفق أجنحة فقال صلى الله عليه وسلم تلك الملائكة لو دنا لاختطفته عضوا عضوا ووفد عليه عامر بن الطفيل وأربد بن قيس ليقتلاه فشغله عامر فأراد أربد قتله فلم ير الا عامرا (وحماه) كما

كما يصرح به خبر البخاري عن أبي سعيد رضي الله تعالى عنه قال كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم أشد حياء من العذراء أي البكر في خدرها قيل ذكره من باب التتميم لان العذراء
في خدرها يشتد حياؤها أكثر مما تكون خارجة عنه لان الخلوة مظنة وقوع الفعل بها
وقيل الظاهر ان المراد تقييده بما اذا دخل عليها في خدرها لاحيث تكون وحدها فيه
والحياء بالمد لغة تغير وانكسار يعتري الانسان من خوف ما يعاب به وشرعا خلق يبعث على
اجتناب القبيح ويمنع من التقصير في حق ذي الحق من الحياة وكذا الحيا المقصور وهو
المطر وقوته وضعفه بقوة حياة القلب وضعفه وهو اقسام عليه يطول استقصاؤها منها
حياء الكرم كحيائه صلى الله عليه وسلم عن دعاهم الى وليمة زينب فطولوا عنده المقام ان
يقول لهم انصرفوا ومن ثم كان لا يواجه أحدا بما يكره بل اذا بلغه عن أحد شيء قال
ما بال اقوام ولم يقل ما بال فلان قالت عائشة رضي الله عنها ما رأيت منه ولا رأى مني ومنها
حياء المحبة وهو ما يخطر بقلب المحب في غيبة محبوبه فيجيء اليه ومنها حياء العبودية وهو
يمتزج بين محبة وخوف وغايته شهود علم صلاح عبوديته لمعبوده فيستحي منه لا محالة
ومنها حياء المرء من نفسه ان رضيت بالنقص أو قنعت بالدون حتى كان المنقسمين يستحي
باحداهما من الاخرى وهذا أكمل ما يكون من الحياء وهو حياء النفوس الشريفة
الرفيعة وهو الذي قال فيه صلى الله عليه وسلم الحياء لا يأتي الا بخير والحياء من الايمان
رواهما البخاري وجعل من الايمان مع انه غريزة لان استعماله على قانون الشرع يحتاج
الى قصد واكتساب وعلم فالحياء المكتسب هو الذي جعله الشارع من الايمان وهو
المكلف به دون الغريزي غير ان من كان فيه غريزته فانها تعينه على المكتسب حتى
يكاد يكون غريزيا وهو صلى الله عليه وسلم جمع الله له النوعين فكان في الغريزي أشد
حياء من العذراء في خدرها ومر ان عقله صلى الله عليه وسلم أوسع العقول ولذلك اتسعت
اخلاق نفسه الكريمة اتساعا لا يحد فمن ذلك اتساع خلقه العظيم في الحلم والعفو مع
القدرة وصبره على ما يكره لاسيما في الشدائد حتى انه (لا تصل البأساء) أي الشدة وان
أفرطت لاسيما في الحروب وقد استعرت نيرانها واصطلت عقول شجعانها (منه) متعلق
بما بعده من المضاف أو المضاف اليه أو بتحل (عرا الصبر) وهو حبس النفس على
ما تكره أي أسبابه من الحلم والعفو والصفح والشجاعة المشبهة في اشتمالها على من قامت
به حتى منعته من وقوع بادرة منه عند فوران نار الغضب بحبال ربطت على شيء واحكمت
في عرا فاستمسكت عليه ولم يمكن حلها ولا نقضها فذكر العرا استعارة تخييلية وتشبيه
الصبر بالثوب السابغ ذي الازرار والعرا المحكمة استعارة بالكناية وذكر لا تحل ترشيح
وحسبك صبره صلى الله عليه وسلم على من سار يوم احد في أشدما نالوه من كسر
رباعيته وشج وجهه فسال الدم على وجهه الشريف وشق ذلك على اصحابه فقالوا يا رسول

(قوله أشد حياء) أي في غير حدود الله ولهذا قال للذي اعترف بالزنا أنكتها لا تكني (قوله في خدرها)
الخدر ناحية في البيت يترك
عليها ستر فتكون فيه الجارية
البكر (قوله وجعل من الايمان
الخ) قال ابن قتيبة معنى هذا
الحديث ان الحياء يمنع صاحبه
من ارتكاب المعاصي كما يمنع
الايمان فجاز ان يسمى ايمانا لان
العرب تسمي الشيء باسم ما قام
مقامه أو كان شبيها به (قوله
وقد استعرت نيرانها) قال في
المختار سعر النار والحرب هيجها
وبابه قطع ثم قال واسعرت النار
وسعرت توقدت والسعير النار
(قوله واصطلت) الاصطلام
الاستئصال قال في القاموس
اصطلمه استأصله (قوله عرا
الصبر) الصبر ثلاث درجات
ترك الشكوى الى غير الله وهي
للتائبين والرضا بالقضاء وهي
للزاهدين ومحبة ما يصنع الرب
به وهي للصديقين (قوله من
وقوع بادرة) قال في المختار
البادرة الحدة بدرت منه بوادر
غضب أي خطأ وسقطات عند
ما احتد (قوله فذكر العرا الخ)
أي وذكر الحل ترشيح (قوله
وتشبيه الصبر) لعل الواو بمعنى
أو أي اما ان تشبه الاسباب المعبر
عنها بالصبر أو تشبه نفس الصبر
فتأمل وذكر الحل ترشيح والعرا
تخييل (قوله من كسر رباعيته) هذا اما قبل نزول آية العصمة وهي والله يعصمك من الناس لان سورة المائدة آخر ما نزل من
القرآن أو المراد العصمة من القتل

الله لودعوت عليهم فقال اللهم اغفر لقومي أو اهد قومي فانهم لا يعلمون أي لا تعاجلهم بالعقوبة من أجلي فانهم لا يعلمون تفاصيل ما يترتب عليهم في ذلك من أنواع العذاب واصناف العقاب وروى عن عمر رضي الله عنه انه قال بابي وأمي يا رسول الله لقد دعا نوح على قومه فقال رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا ولو دعوت علينا مثلها لهلكنا من عند آخرنا فقد وطئ ظهرك وأدمى وجهك وكسرت رباعيتك فأبيت ان تقول الاخيرا فقلت اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون وانما قال صلى الله عليه وسلم يوم الخندق حين شغلوه عن صلاة العصر اللهم املأ قبورهم نارا لان الحق لله تعالى وهو صلى الله عليه وسلم لم يكن يغضب لنفسه وانما يغضب اذا انتهكت حرمات الله امتثالا لقوله سبحانه وتعالى له جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ومن ثم غضب صلى الله عليه وسلم في اماكن متعددة لاسباب مختلفة لكن مرجعها الى انه صلى الله عليه وسلم لم يغضب لنفسه بل لربه عز وجل وقد صح عن زيد بن سعنة بمهملة ونون مفتوحتين وهو من اجل احبار اليهود الذين اسلموا انه قال لم يبق من علامات النبوة شئ الا وقد عرفته في وجه محمد صلى الله عليه وسلم حين نظرت اليه الا اثنتين لم اخبرهما منه يسبق حلمه جهله ولا تزيده شدة الجهل عليه الا حلما فكنت أتلطف به لان اخالطه فأعرف حلمه فابتعت منه تمرا الى أجل فأعطيته الثمن فلما كان قبل محل الاجل بيومين او ثلاثة أتيته فأخذت بمجامع ردائه وقميصه ونظرت اليه بوجه غليظ ثم قلت الا تقضيني يا محمد حقي فوالله انكم يا بني عبد المطلب مطل فقال عمر اي عدو الله اتقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما اسمع فوالله لولا ما احاذر فرقه لضربت بسيفي رأسك ورسول الله صلى الله عليه وسلم ينظر الى عمر في سكون وتؤدة وتبسم صلى الله عليه وسلم ثم قال انا وهو كنا احوج الى غير هذا منك يا عمر تأمرني بحسن الاداء وتأمره بحسن التقاضي اذهب به يا عمر فاقضه حقه وزده عشرين صاعا مكان ما رعته ففعل فقلت يا عمر كل علامات النبوة قد عرفتها في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم الا اثنتين وذكرهما وقد عرفتهما فأشهدك أني قد اسلمت وروى ابو داود ان اعرابيا جاء اليه فجذبه بردائه وكان خشنا حتى اثر في عنقه الشريف وقال له احمل على بعيري هذين فانك لا تحملني من مالك ولا من مال ابيك فقال له صلى الله عليه وسلم لا وأستغفر الله وكررها ثلاثا حتى تقيدني في جذبتك التي جذبتني كل ذلك والاعرابي يقول له لا اقيدك ابدا ثم امر له بحمل بعير تمرا وبعير شعيرا وروى البخاري ان اعرابيا جذبه حتى اثرت حاشية البرد في صفحة عنقه الشريف من شدة جذبته وقال يا محمد مر لي من مال الله الذي عندك فضحك ثم امر له بعطاء وروى الترمذي عن عائشة رضي الله عنها لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم فاحشا ولا متفحشا ولا يجزي بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح أي لم يكن له الفحش خلقا ولا تكسبا وروى البخاري ان رجلا استأذن عليه فلما رآه قال بئس أخو العشيرة وبئس ابن العشيرة فلما جلس اليه ألان له القول وانبسط اليه

(قوله ان انتهكت) الانتهاك المبالغة في خرق محارم الشرع واتيانها (قوله يسبق حلمه جهله) الاولى جهل من جهل عليه لانه صلى الله عليه وسلم لا جهل له أو يقول يسبق حلمه الجهل تأمل ورايت في نسخة بدل جهله غضبه ويؤيد هذه النسخة ما سيأتي قبيل قوله وسع العالمين من تصريح الشارح عند الاشارة لهذه القصة بقوله غضبه (قوله فرقه) أي خوفه (قوله فجذبه) قال النووي في الجبذ والجذب لغتان بمعنى وهو مد الشئ اليك يقال جذب وجبذ واجتذب (قوله وكررها ثلاثا) وقال المال مال الله وأنا عبده (قوله حتى تقيدني) أي تمكنني من القود (قوله لا اقيدك ابدا) سيأتي في الشرح انه صلى الله عليه وسلم قال له لم فقال لانك لا تكافئ بالسيئة السيئة فضحك صلى الله عليه وسلم ثم أمر الخ (قوله فاحشا) اي منسوبا للفحش فليس للمبالغة بل للنسب على حد قوله

وليس بذي سيف وليس بنبال

اي ذي نبل

فلما مضى سألته عائشة رضي الله تعالى عنها عما قال له وعما فعل فقال صلى الله عليه وسلم متى عهدتني فحاشا والعشيرة القبيلة وانبساطه اليه تألفه لانه رئيس قومه وتعليم للامة وفيه جواز المداراة اتقاء الشر وهي بذل الدنيا لصلاح الدين أو الدنيا أو هما بخلاف المداهنة فانها بذل الدين لصلاح الدنيا وهو صلى الله عليه وسلم انما بذل له من دنياه حسن عشرته ولم يمدحه فكان قوله فيه حقا وفعله معه حسن عشرة وهذا الرجل بين بعضهم انه عيينة بن حصن الفزاري وقد كانت منه أمور في حياة النبي صلى الله عليه وسلم وبعد موته تدل على ضعف ايمانه بل ارتد في زمن الصديق وحارب ثم أسلم في زمن عمر رضي الله عنه فما قاله صلى الله عليه وسلم فيه من علامات النبوة ولا ينافي ما مر انه لم ينتقم لنفسه أمره بقتل عقبة بن أبي معيط وعبد الله بن خطل وغيرهما ممن كان يؤذيه صلى الله عليه وسلم لانهم كانوا مع ذلك ينتهكون حرمات الله تعالى فأيس من ايمانهم ومن تم لم يطمع في ايمان المنافقين أمهلهم مع شدة ايذائهم له بما لا يصبر عليه بشر وصبره على من أعلم بعدم ايمانه للمصلحة العامة كما أشار الى ذلك صلى الله عليه وسلم بقوله لمن قال له اقتلهم لا تتحدث الناس ان محمدا يقتل أصحابه وصح عن أنس كان صلى الله عليه وسلم أحسن الناس وأجود الناس وأشجع الناس وان أهل المدينة فزعوا ليلة فخرجوا نحو الصوت فاستقبلهم راجعا من جهة الصوت متقلدا سيفه على فرس لابي طلحة فقال لهم صلى الله عليه وسلم لن تراعوا ما رأينا من بأس وصارع صلى الله عليه وسلم أبطالا معروفين بانهم لم يصرعوا فصرعهم صلى الله عليه وسلم وفي البخاري عن البراء بن عازب انه قيل له أفررتم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين فقال لكن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يفر كان هوازن رماة وانا لما حملنا عليهم انكشفوا فاكببنا على الغنائم فاستقبلونا بالسهام ولقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم على بغلته البيضاء وان أبا سفيان بن الحرث آخذ بزمامها وهو صلى الله عليه وسلم يقول أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب وثباته حينئذ نهاية الشجاعة كيف وقد فر جيشه عنه ولم يبق معه الا بضعة عشر رجلا فوقف صلى الله عليه وسلم في نحو ألوف مؤلفة على بغلة لا تصلح لكر ولا فر وهو صلى الله عليه وسلم مع ذلك يركضها الى وجوههم وينوه باسمه ليعرفه من يجهله ومن ثم قال الصحابة رضي الله تعالى عنهم كنا اذا احمر البأس اتقينا برسول الله صلى الله عليه وسلم أي جعلناه بيننا وبين العدو وكنا نلوذ به ونحتمي به ولما قال اللعين أبي بن خلف يوم أحد أين محمد لا نجوت ان نجا تناول صلى الله عليه وسلم الحربة من الحرث بن الصمة وقال لاصحابه بعد ان أرادوا التعرض له خلوا سبيله فطعنه في عنقه طعنة كان فيها انقلاب نفسه الخبيثة اللعينة (ولا تستخفه) أي لا تخرجه عن ثباته وتواضعه ووقاره (السراء) أي الرخاء والسعة في الجيوش والفتوح التي منحها في أواخر حياته صلى الله عليه وسلم بل هو معها كهو قبلها لم يزدد الا تواضعا وحلما وعفوا وصبرا ومن ثم لما دخل صلى الله عليه وسلم مكة يوم الفتح في تلك الجيوش الهائلة التي لما رآها أبو سفيان

(قوله وفيه جواز الخ) وفيه أيضا جواز غيبة الفاسق المعلن بفسقه ومن يحتاج الناس الى التحذير منه اهـ شرح مسلم وفي الحديث رأس العقل بعد الايمان مداراة الناس اهـ وهي ان تلاينهم ولا تنفرهم عن نفسك وأصله من دريت الصيد اذا استترت عنه بشيء ثم ترميه لئلا ينفر ولا يعارض ذلك أمره بالاغلاظ على الكفار وبعثه بالسيف لانه أمر بالمداراة أولا فان لم يفد فالاغلاظ فان لم يفد فالسيف كما ذكره المناوي في شرح الخصائص (قوله لا تتحدث الناس) جواب قوله لا اقتلهم فتتحدث الناس الخ (قوله اذا احمر البأس) احمرار البأس كناية عن اشتداد الحرب (قوله فطعنه في عنقه) ولم يخرج من طعنته دم فرجع الى قومه وجعل يقول قد كان قال لي بمكة أنا أقتلك فوالله لو بصق علي لقتلني وحكي عنه انه قال لو كان هذا الذي بي بأهل ذي المجاز لماتوا اجمعين قال في الصحاح وذو المجاز موضع بمنى كان به سوق في الجاهلية

قال العباس لقد أصبح ملك ابن أخيك ملكا عظيما فقال له ويحك انه ليس بملك ولكنها النبوة قال نعم وهو صلى الله عليه وسلم على ناقته القصواء في كتيبته الخضراء بين أبي بكر وأسيد بن حضير وحياله وضع رأسه تواضعا لله تعالى لما رأى ما أكرمه الله تعالى به من الفتح حتى ان رأسه ليكاد يمس رحله شكرا وخضوعا لعظمته اذ أحل له بلده ولم يحله لاحد قبله وانما اتصف صلى الله عليه وسلم بهذه الكمالات التى لم توجد فى غيره لانه صلى الله عليه وسلم (كرمت نفسه) لان الله تعالى لما أراد ايجاد خلقه أبرز الحقيقة المحمدية من أنواره الصمدية فى حضرة الاحدية ثم سلخ منها العوالم كلها علوها وسفلها على ما اقتضاه كمال حكمه وسبق فى ارادته وعلمه ثم أعلمه الله تعالى بكماله ونبوته وبشره بعموم دعوته ورسالته وبانه نبى الانبياء وواسطة جميع الاصفياء وأبوه آدم بين الروح والجسد بل ولا روح ولا جسد ثم انبجست منه عيون الارواح فظهر بعد الهافى عالمها المتقدم على عالم الاشباح وكان هو الجنس العالى على جميع الاجناس والاب الاكبر لجميع الموجودات والناس فهو صلى الله عليه وسلم وان تأخر وجود جسمه متميز عن العوالم كلها برفعته وتقدمه اذ هو خزانة السر الصمدانى ومحتد نفوذ الامداد الرحمانى (أ) بسبب كرامة نفسه صلى الله عليه وسلم وتشريفها عن كل رذيلة ونقيصة (ما يخطر السوء على قلبه ولا الفحشاء) كيف وقلبه قد طهره الله تعالى بشق الملائكة المرات المتعددة عند تنقله فى الاطوار المختلفة كما مر بيانه واخراج ما فيه مما جبل عليه النوع الانسانى مما يقتضى ذلك ثم طهر وغسل وحشى من الحكم والعلوم ما لا يحيط به الا الملك به عليه صلى الله عليه وسلم وذكر الفحشاء مع العلم بانتفائها بالاولى مع انتفاء السوء لانها السوء الذى جاوز حده لان المقام مقام الاطناب واذا تاملت ما آتاه الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم مما مر من الكمالات التى لا تحد ولا تعد علمت انه قد (عظمت نعمة الاله عليه) عظمة قطعت سائر الخلق عن ان يصل أحد منهم الى مبادى غاياتها ومقاصد نهاياتها (أ) بسبب هذه العظمة المذكورة (استقلت لذكره) أى عند أو وقت ذكر ما أنعم الله به عليه ونظيره أقم الصلاة لذكرى (العظماء) أى جميع ما أنعم الله به عليهم لانه صلى الله عليه وسلم أوتى غايات الكمالات الباهرة التى لا يدرك شأوها مخلوق ولو عرض معها على ذوى العقول الكاملة جميع النعم والفضائل التى أوتيها غيره من المخلوقات لاستقلوها وعدوها دون كمالاته وقطعوا بان ما عنده أعظم وأجل وأفخم وأعدت ضمير ذكره وجعلت العظماء على ما ذكرته لان المتن صريح فى ذلك باعتبار انه فرع الاستقلال على عظم النعمة وحذرا من ان لو لم أجعل ذلك لاوهم ذكر الاستقلال على ما هو المتبادر منه عرفا الاحتقار للعظماء الشامل لبقية الانبياء والمرسلين والملائكة المقربين لا سيما وقد استعمله الناظم فيه بعد بيتين حيث قال مستقل دنياك ولا نظر مع ذلك الى تقدير لذلك الايهام المنجر بان يقال استقلال الشئ عده قليلا حتى فى العرف ولا شك ان ما عداه صلى الله عليه وسلم بالنسبة اليه

(قوله فى كتيبته الخضراء) الكتيبة الجيش كما فى المختار (قوله ونظيره الخ) اى فى كون اللام للتأقيت اى وقت ذكرى وهى لام التوقيت كذا فى البيضاوى وذكر رضى الله عنه لها معنى آخر وهو التعليل حيث قال اى لتذكر المعبود وتشغل القلب واللسان بذكره وقيل لانى ذكرتها فى الكتب وأمرت بها أولان اذكرك بالثناء أولذكرى خاصة لا تراثى بها ولا تشوبها بذكر غيرى (قوله لذكرى) ومثله أقم الصلاة لدلوك الشمس وقوله لثلاث خلون

كنسبة القليل الى الكثير فان قلت يلزم على تسليم ذلك الايهام ان الاحتقار متبادر حتى
على ماذكرته لان اضافة استقلال الى النعم توهم احتقارها وهو محذور أيضا قلت ممنوع
لان النعم الواصلة للعظيم وغيره توصف بالقلة تارة والكثرة أخرى فلم يوهم ذكر الاستقلال
فيها احتقارا أصلا بخلاف القوات فان وصفها بانها استقلت يوهم احتقارها اذلا يستعمل
الاستقلال فيها الا بهذا المعنى غالبا ثم قرينة المقام لاسيما مع مراعاة وصفهم بالعظمة
تدفع ذلك الايهام كما هو جلى وبين عظمت والعظماء تجنيس الاشتقاق وكان صلى الله
عليه وسلم من الحلم على من آذاه وزيادة الاحتمال لاعدائه وفرط الحلم عليهم والاغضاء
عنهم بالغاية التى لم يصل اليها غيره ومن ثم قال (جهلت قومه) أى قريش وغيرهم (عليه)
أى آذوه أذى لا يطاق فضربوه وخنقوه واغروا به سفهاءهم وصغارهم فضربوه ورجموه
بالحجارة الى ان أدموا رجله فسال منها الدم على نعليه وشجوا وجهه وكسروا رباعيته
ورموه بالسحر والكهانة والجنون وتواعدوا على قتله مرارا وحصروا الاجلة بنى هاشم
وبنى المطلب فى شعبهم سنين حتى كادوا أن يهلكوا من الجوع كما مر جميع ذلك وفى
رواية البخارى ومسلم من حديث عائشة رضى الله تعالى عنها انها قالت للنبى صلى الله
عليه وسلم هل أتى عليك يوم أشد من يوم أحد قال صلى الله عليه وسلم لقد لقيت من قومك
وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة وذكر ما مر من ذهابه الى ثقيف فاغروا به سفهاءهم
وصبيانهم فضربوه ورجموه (فأغضى) عنهم حلما وتكرما سجاوكذا جاملا ان اشتد
ايذاؤهم له ملك الجبال كما رواه البخارى ومسلم من حديث عائشة السابق آنفا انه قال
بعد ان ذكر ما آذاه به ثقيف لما خرج اليهم بعد موت أبى طالب يدعوهم الى الله تعالى
ويستنصر بهم على قريش فانطلقت وانا مهموم على وجهى فلم أستفق الا وأنا بقرن
الثعالب أى ميقات أهل الحجاز فرفعت رأسى فاذا أنا بسحابة قد أظلتنى فنظرت فاذا فيها
جبريل فنادانى فقال يا محمد ان الله قد سمع قول قومك وما ردوا عليك وقد بعث اليك ملك
الجبال لتأمره بما شئت فنادانى ملك الجبال فسلم على ثم قال يا محمد ان الله قد سمع قول
قومك وأنا ملك الجبال وقد بعثنى ربك اليك لتأمرنى بامرك ان شئت ان أطبق عليهم
الاخشبين فقال صلى الله عليه وسلم أرجو ان يخرج الله من اصلابهم من يعبد الله وحده
لا يشرك به شيأ وكان الامر كما رجا صلى الله عليه وسلم (واخو الحلم) اى التأنى فى الامور
وعدم الانتقام ممن أتى بمكروه وان عظم أى الذى طبع عليه حتى صار غريزة مختلطا
بلحمه ودمه (دأبه) أى شأنه وعادته المستمر هو عليها (الاغضاء) أى التغافل عن ان يلتفت
الى ما نالهٖ اوذى فضلا عن ان ينتقم ممن آذاه وفى كلامه المقابلة لما تقرر ان المراد بالجهل
لازمه من ايذائه بما لا يطاق ومن ثم لما آذوه يوم أحد بشج وجهه وكسر رباعيته قيل له
ادع عليهم فقال صلى الله عليه وسلم اللهم اغفر لقومى فانهم لا يعلمون أى علما ينتفعون به اما
لجهلهم أى اعتقادهم الشئ على خلاف ما هو عليه وكثير منهم كانوا كذلك فكانوا

(قوله والجنون) فان قلت ما اصل تهمتهم له صلى الله عليه وسلم بالجنون مع جودة عقلهم ومعرفتهم بان ذلك كذب لم يجدله شئ من أنواعه فالجواب انهم تعلقوا بصورة خيالية وهى ما كان يعترضه صلى الله عليه وسلم عند نزول الملائكة من الاستغراق لتلقى الوحى وحمرة وجهه وكثرة غطيطه وعميت قلوبهم عن طلب الفرق بين هذا وبين اغماء الجنون ونزول الشياطين اه خصائص الخضرى (قوله بقرن الثعالب) قال القاضى قرن الثعالب هو قرن المنازل وهو ميقات أهل نجد وهو على مرحلتين من مكة وأصل القرن كل جبل صغير ينقطع من جبل كبير اه شرح مسلم النووى (قوله ان اطبق عليهم الاخشبين) هما بفتح الهمزة وبالخاء والشين المعجمتين وهما جبيلا مكة أبو قبيس والجبل الذى يقابله اه شرح مسلم

يعتقدون حل ايذائه صلى الله عليه وسلم ومقاتلته غفلة عما لو التفتت قلوبهم اليه أدنى
التفات من معجزاته صلى الله عليه وسلم لعلموا الحق واتبعوه من فورهم واما المعاند هم وهم
الا كثرون قال تعالى وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا فنزل عليهم منزلة الجهل
بل هو أضر منه كما لا يخفى وبهذا يعلم ان فى تعبير الناظم بالجهل تضمينا للجملة كقوله لا يعلمون
وان المراد بالحلم لازمه من عدم الانتقام وفيه المقابلة أيضا بين الاساءة والاعطاء
والتضييق والتلين الآتيين وفيه أيضا جناس الاشتقاق بين اغضى والاغضاء والتذييل
بالمثل السائر وأصل الاغضاء اطباق الجفن عن رؤية المكروه فاستعير لما ذكر بجامع
الاعراض عن المكروه فيهما واذا كان أخو الحلم دأبه ذلك فكيف بنبينا صلى الله عليه
وسلم وهو الذى وصل من الحلم الى غاية لم يصل اليها مخلوق لان الله تعالى هو الذى تولى تاديبه
بنفسه وافاض عليه من حقائق حلمه وقدسه حيث قال له خذ العفو وأمر بالعرف
واعرض عن الجاهلين وفسرها جبريل للنبى صلى الله عليه وسلم حين سأله فقال يا محمد ان
الله يامرك ان تصل من قطعك وتعطى من حرمك وتعفو عمن ظلمك وكل من أثر له حلم
واحتمال عرفت منه زلة أو هفوة تنافى الحلم الا نبينا صلى الله عليه وسلم فانه لا يزيد على كثرة
الاذى الا صبرا وعلى جهل الجاهلين وان بلغ الغاية الا حلما ولقد قالت عائشة رضى الله
عنها ما رأيته منتصرا من مظلمة ظلمها قط الا أن تكون حرمة من محارم الله تعالى أى
المتعلقة به تعالى كما مر ذلك مبسوطا فى شرح قوله لا تحل البأساء منه عرى الصبر ومنه
قصة الاعرابى الذى جذبه بردائه حتى اثر فى عنقه الشريف وقال له أعطنى من مال الله
لا من مالك ولا من مال أبيك فقال صلى الله عليه وسلم المال مال الله وأنا عبده ثم طلب منه
القود فقال لا فقال لم قال لانك لا تكافئ بالسيئة السيئة فضحك وأمر له بحمل بعيرين
ومر فى قصة اليهودى الذى أسلم ان من علامات نبوته صلى الله عليه وسلم ان حلمه يسبق
غضبه وانه لا تزيده شدة الجهل عليه الا حلما ولما دخل فى غزوة فتح مكة على قريش وقد
أجلسوا فى المسجد الحرام وأصحابه ينتظرون أمره فيهم من قتل أو غيره قال لهم ما تظنون
انى فاعل بكم قالوا خيرا أخ كريم وابن أخ كريم قال صلى الله عليه وسلم أقول كما قال أخى
يوسف لا تثريب عليكم اليوم اذهبوا فأنتم الطلقاء (وسع) بالكسر (العالمين) جمع عالم
وللمحققين فيه فى الآية كلام منتشر لا بأس بتلخيصه وتحريره هنا وهو مع اشتقاقه من
العلامة اسم لما يعلم به كالخاتم اسم لما يختم به مع كونه مشتقا من الختم ثم غلب فيما يعلم به
الخالق تعالى فصار اسما لكل ما سوى الله تعالى من الجواهر والاعراض فانها لامكانها
وافتقارها الى مؤثر واجب لذاته تدل على وجوده وجمع ليشمل ما تحته من الاجناس
المختلفة ولا يعارضه ان المفرد وهو العالم أدل على الشمول والاستغراق اذ الجمع قد يحتمل
غير الشمول لان الغرض هنا افادة ان ثم أجناسا مختلفة كالجن والانس والملائكة
والدواب والجماد وغير ذلك واستغراق جميعها بطريق المطابقة ولو قيل العالم لاوهم

(قوله وجحدوا بها) اى الآيات
المتقدمة فى قوله فلما جاءتهم آياتنا
مبصرة اى بينة اى كذبوا بها
واستيقنتها اى والحال انهم قد
استيقنتها انفسهم ظلما لانفسهم
وعلوا ترفعا عن الايمان
واتصابهما على العلة من جحدوا
وأنت خبير بان هذه الآية
متعلقة بفرعون وقومه لا بقوم
سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم
كما هو ظاهر سياق الشارح وقد
يقال مراده ان حال قوم رسول
الله معه كحال فرعون وقومه مع
سيدنا موسى فتأمل (قوله
والاستغراق الخ) فى بعض
النسخ وساقط من نسخة المؤلف

استغراق

استغراق بعض أفراد تلك الاجناس فتلو لاصحاب حواشى الكشاف هنا كلام متباين
هذا أحسنه وغلب فى جمعه بالواو والياء والنون العقلاء لشرفهم وجمع جمع قلة مع ان
الظاهر مستدع للاتيان بجمع الكثرة تنبيها على ان العوالم وان كثرت قليلة فى جنب
عظمة الله تعالى وكبريائه وقيل العالم اسم وضع لذوى العلم وهم الانس والملائكة والجن
وتناوله لغيرهم على سبيل الاستتباع فهو مشتق من العلم وقيل عنى به الناس فان كل واحد
منهم عالم من حيث انه يشتمل على نظائر ما فى العالم الكبير من الجواهر والاعراض التى
يعلم بها الصانع ولذلك سوى بين النظر فيهما فقال تعالى وفى أنفسكم أفلا تبصرون وقد
بين حجة الاسلام فى كتابه الانتصار لما فى الاحياء من الاسرار وجه اشتمال الانسان على
نظير ما فى العالم بما فيه طول فراجعه فانه بديع ومنه ان العالم انقسم الى عوالم عالم الملك
وهو الظاهر للحواس وعالم الملكوت وهو المدرك بالعقل وعالم الجبروت وهو المتوسط الذى
أخذ بطرف كل عالم منهما والانسان كذلك فالمناسب للاول اجزاء بدنه وللثانى هو روحه
وعقله وارادته وللثالث الادراكات الموجودة فى الحواس والقوى الموجودة بأجزاء
البدن (علما) تمييز أى وسع علمه صلى الله عليه وسلم علوم العالمين الانس والملائكة والجن
لان الله تعالى أطلعه على العالم فعلم علم الاولين والآخرين ما كان وما يكون كامر
وحسبك فى ذلك القرآن الذى أوتيه صلى الله عليه وسلم ومثله معه كما صح عنه صلى الله
عليه وسلم وقد قال تعالى ما فرطنا فى الكتاب من شئ ويلزم من احاطته صلى الله عليه وسلم
بالعلوم القرآنية ومثلها الذى أوتيه أيضا انه صلى الله عليه وسلم أحاط بعلوم الاولين
والآخرين وأن علومهم مندرجة ومنغمرة فى علومه صلى الله عليه وسلم (وحلما) تمييز أى
وسع حلمه حلم العالمين بأسرهم وكل من صدر منه حلم فى حقه صلى الله عليه وسلم ولا غضب
ولا انتصر لنفسه قط كما عرف مما سبق انه ما من حليم قط الا وقد عرفت له زلة أو هفوة
تخدش فى كمال حلمه الا نبينا صلى الله عليه وسلم فانه لا يزيد شدة الايذاء والجهل عليه
الا حلما وعفوا وصفحا وبين حلما وعلما الجناس المضارع (فهو) بسبب جمعه لتلك
المعانى التى لم تجتمع لغيره (بحر) أى واسع العلم والحلم وغيرهما من اخلاق نفسه الزكية
وصفاتها العلية فهو تشبيه بليغ أو استعارة على قول مردود أى كالبحر الذى هو
خلاف البر والنهر تعنى بحر الاتساعه وعمقه (لم تعيه) من أعيا فلانا فى مشيه أى تعب
أو وقف (الاعباء) جمع عبء بكسر أوله وبالموحدة والهمز وهو الحمل والثقل من أى شئ
كان أى لم يكدر بحر علمه شك ولا شبهة وبحر حلمه ايذاء ولا جهالة فاستعار الاعباء
لكدورة المشرب والاعباء الشبه والجهالات واذا تأملت ما تقدم من أوصاف كماله الباهرة
وعصمته ونزاهته الظاهرة وانه البحر الذى اندرجت البحار كلها فيه والحليم والكريم
الذى دخل كل كريم وحليم تحت حيطة كرمه وحلمه علمت انه صلى الله عليه وسلم لعصمته
عن الالتفات لما سوى الله تعالى (مستقل) أى محتقر (دنياك) أى الاموال التى هى من

(قوله وبين حلما وعلما الجناس المضارع) لتقارب مخرجى العين والحاء (قوله دنياك) لم يقل دنياه لانه صلى الله عليه وسلم لم يشبها الى نفسه فقال حبب الى من دنياكم ثلاث ولم يقل من دنياى

جلتها الذهبي في الاصل اسم لما بين السماء والارض (ان ينسب الاصالة منها اليه أو) ان ينسب اليه أيضا (الاعطاء) منها الانم انفاقها وكثرة الاشتغال بها عن المعالي حقيقة بزيد الاعراض عنها وعدم الالتفات الى امساكها واخراجها ولو لمستحقها احتقارا لشأنها وتعليم للامة عدم الاعتداد بها ودليل اعراضه صلى الله عليه وسلم عنها أشد الاعراض خبر الترمذي انه صلى الله عليه وسلم قال عرض على ربي ان يجعل لي بطحاء مكة ذهبا فقلت لا يارب ولكن أشبع يوما وأجوع يوما فاذا جعت تضرعت اليك وذكرتك واذا شبعت شكرتك وحمدتك وحكمة هذا التفصيل الاستلذاذ بخطابه تعالى والا فهو عالم بالاشياء جملة وتفصيلا وروى الطبراني باسناد حسن انه صلى الله عليه وسلم كان هو وجبريل على الصفا فقال يا جبريل والذي بعثني بالحق ما أمسى لآل محمد سفة من دقيق ولا كف من سويق فلم يكن كلامه بأسرع من ان سمع هدة من السماء أفزعته فقال صلى الله عليه وسلم لجبريل أمر الله القيامة ان تقوم قال لا ولكن أمر اسرافيل ان ينزل اليك حين سمع كلامك فأتاه اسرافيل فقال ان الله سمع ما ذكرت فبعثني اليك بمفاتيح خزائن الارض وأمرني ان أعرض عليك ان أردت ان أسير معك جبال تهامة زمردا أو ياقوتا أو ذهبا وفضة فعلت فان شئت نبيا ملكا وان شئت نبيا عبدا فأومأ اليه جبريل ان تواضع فقال بل نبيا عبدا ثلاثا فانظر الى همته العلية كيف عرضت عليه خزائن الارض فأعرض عنها والحال انه لو أخذها لم ينفقها الا في طاعة الله تعالى لكن اختار العبودية المحضة فيالها من همة شريفة رفيعة ما اسناها ونفس زاكية كريمة ما ابهاها وقد أشار الناظم الى ما هنا بقوله في بردة المديح • وراودته الجبال الشم من ذهب • الابيات الثلاثة ومعنى البيت الثالث وكيف تدعو ضرورة سيد المعصومين الى زخرف الدنيا وزينتها وهي وما فيها انما خلقت لاجله كما صرح به الخبر السابق • (تنبيه) • قوله هنا مستقل الخ أحسن من قوله ثم وأ كد تزهده فيها ضرورة لان بعض العلماء أنكر وصفه صلى الله عليه وسلم بالزهد ويؤيده قول محمد بن واسع وقد قيل له فلان زاهد فقال وما قدر الدنيا حتى يزهد فيها واذا أنكر وصفه بالزهد فالضرورة من باب أولى وفي أسئلة المساولة التقي السبكي عن الشفاء وأقره أن فقهاء الاندلس أفتوا بإراقة دم من وصفه صلى الله عليه وسلم بالفقر في أثناء مناظرته باليتيم ثم زعم ان زهده لم يكن قصدا ولو قدر على الطيبات أكلها وذكر البدر الزركشي عن بعض الفقهاء المتأخرين انه كان يقول لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم فقيرا من المال ولا حاله حال فقير بل كان أغنى الناس بالله تعالى قد كفى أمر دنياه في نفسه وعياله وكان يقول في قوله صلى الله عليه وسلم اللهم أحيني مسكينا ان المراد استكانة القلب لا المسكنة التي هي أن لا يجد ما يقع موقعا من كفايته وكان يشدد النكير على من يعتقد خلاف ذلك اه ولو قال لا المسكنة المرادفة للفقر او المقابلة له لكان أنسب بغرضه وأما خبر الفقر فخري وبه افتخر فموضوع وقد صح انه صلى الله عليه وسلم

ورجح النووي انها جميع الموجودات الحادثة الكائنة قبل الآخرة

(قوله اسم لما بين السماء والارض) والجو والهواء وقيل هي كل موجود قبل الحشر وعليه فالبرزخ من الدنيا وسميت دنيا لدنوها وسبقها الآخرة فهي من الدنو وقيل لدناءتها فهي مأخوذة من الدناءة وجمعها دنا مثل كبرى وكبر وصغرى وصغر (قوله ان ينسب) عبارة ابن عبد الحق اى ان ينسب الامساك منها عن غير المستحق والاعطاء منها للمستحق اى بعد ذلك قليلا بالنسبة لما يمسكه عن غير المستحق ويعطيه للمستحق من العلوم والمعارف والارشاد والدلالة (قوله بطحاء مكة) قال الجوهري الابطح مسيل واسع فيه دقاق الحصى والجمع الاباطح ومنه بطحاء مكة (قوله سفة من دقيق) قال في المختار وسفة من السويق بالضم اى حبة وقبضة (قوله هدة من السماء) الهدة صوت وقوع الحائط ونحوه والمراد هنا صوت اسرافيل (قوله ولو قال) اى البدر الزركشي وقوله لكان أنسب بغرضه اى لان صدر عبارته يصرح بان كلامه في الفقر لا المسكنة فان حملت على المرادفة للفقر ناسب آخر عبارته صدرها وقوله أو المقابلة له زائد عن الغرض وهو المذكور في قوله انه لا يجد الخ والقول بالمقابلة هو الراجح كما ذكره الفقهاء في بيان الفقير والمسكين عند الكلام على الاصناف الثمانية فليتأمل

وسلم استعاذ من فتنة الفقر كما استعاذ من فتنة الغنى * (فائدة) * أكثر القرآن يشتمل على ذم الدنيا وصرف الخلق عنها ودعوتهم الى الآخرة بل هذا هو المقصود بالذات من سائر الشرائع كيف وهي عدو لله تعالى لقطعها طريق الوصلة اليه ولذلك لم ينظر اليها منذ خلقها وعدوة لاوليائه لانها تزينت لهم بزينتها حتى تجرعوا مرارة الصبر في مقاطعتها وعدوة لاعدائه لانها استدرجتهم بمكرها واقتنصتهم بشبكتها حتى وثقوا بها فخذلتهم أحوج ما كانوا اليها وروى جماعة في قصة ثعلبة بن حاطب الذي أنزل الله تعالى فيه ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن الآيات انه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يدعو له بان الله تعالى يرزقه مالا فقال صلى الله عليه وسلم قليل تؤدى شكره خير من كثير لا تطيقه فأعاد السؤال فقال صلى الله عليه وسلم أما لك في أسوة أما ترضى ان تكون مثل نبي الله أما والذي نفسي بيده لو شئت أن تسير معي الجبال ذهبا وفضة لسارت الحديث بطوله وصح انه صلى الله عليه وسلم رأى شاة ميتة فقال والذي نفسي بيده للدنيا أهون على الله عز وجل من هذه الشاة على أهلها ولو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافرا منها شربة ماء وفي الخبر الحسن الدنيا ملعونة ملعون ما فيها الا ذكر الله وما والاه وعالما أو متعلما وصح ان أبا بكر رضي الله تعالى عنه دعا بشراب فأتى بماء وعسل فبكى حتى أبكى أصحابه ثم بكى ثم مسح عينيه فسألوه فقال كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأيته يدفع عن نفسه شيئا ولم أر معه أحدا فقلت يا رسول الله ما الذي تدفع عن نفسك فقال هذه الدنيا مثلت لي فقلت لها اليك عني ثم رجعت فقالت انك ان أفلت مني لم يفلت مني من بعدك وصح من جملة الحديث المشهور فوالله ما الفقر أخشى عليكم انما أخشى عليكم ان تبسط عليكم الدنيا كما بسطت على من كان قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها فتهلككم كما أهلكتهم * (تنبيهان) * أولهما المراد بالدنيا المذمومة في الاحاديث وغيرها ما في قوله تعالى زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين الآية ويجمع ذلك كل ما فيه حظ عاجل أو شهوة من غير ان يعين على عمل أخروي ولا يقصد به * ثانيهما تعارضت الاحاديث في ذم المال ومدحه ولا تعارض مع ما سبق من ذم الدنيا سمى المال خيرا وفي الحديث نعم المال الصالح للمرء الصالح وكل ما جاء في ثواب الصدقة والضيافة والاحسان والزكاة والحج وغيرها فهو ثناء على المال لانه يتوصل به اليه وفي حديث البيهقي وغيره كاد الفقر ان يكون كفرا وهو ثناء على المال وصح على نزاع فيه ولذلك قال بعض الحفاظ انه حسن وزعم بطلانه غلط صريح خبر اللهم من آمن بي وصدقني وعلم أن ما جئت به هو الحق من عندك فأقلل ماله وولده وحبب اليه لقاءك وعجل له القضاء ومن لم يؤمن بي ولم يصدقني ولم يعلم ان ما جئت به هو الحق من عندك فأكثر ماله وولده وأطل عمره وطرقه كثيرة مختلفة بعضها وهي صحيحة على شرط الشيخين ان أبا ذر

(قوله في قصة ثعلبة) أتى النبي صلى الله عليه وسلم وقال ادع لي ان يرزقني الله مالا فقال عليه الصلاة والسلام يا ثعلبة قليل تؤدى شكره خير من كثير لا تطيقه فراجعه وقال والذي بعثك بالحق لئن رزقني الله مالا لأعطين كل ذي حق حقه فدعا له فاتخذ غنما فنمت كما ينمو الدود حتى ضاق بها المدينة فنزل واديا وانقطع عن الجماعة والجمعة فسأل عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل كثر ماله حتى لا يسعه واد فقال يا ويح ثعلبة فبعث مصدقين لاخذ الصدقات فاستقبلهما الناس بصدقاتهم ومرا بثعلبة فسألاه الصدقة واقرآه الكتاب الذي فيه الفرائض فقال ما هذه الا جزية ما هذه الا أخت الجزية فارجعا حتى أرى رأيي فنزلت فجاء ثعلبة بالصدقة فقال ان الله منعني ان أقبل منك فجعل يحثو التراب على رأسه فقال هذا عملك قد أمرتك فلم تطعني فقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء بها الى أبي بكر فلم يقبلها ثم جاء بها الى عمر في خلافته فلم يقبلها وهلك في زمن عثمان اه بيضاوي وأين هذا من عبد الرحمن بن عوف فقد روي انه عليه الصلاة والسلام حث على الصدقة فجاء عبد الرحمن بن عوف بأربعة آلاف درهم وقال كان لي ثمانية آلاف فأقرضت ربي أربعة وأمسكت لعيالي أربعة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بارك الله لك فيما أعطيت وفيما أمسكت فبارك الله حتى صولحت إحدى امرأتيه عن نصف الثمن على ثمانين ألف درهم اه بيضاوي

(قوله فأعد للفقر تجفافا) قال النووى فى شرح مسلم التجفاف بكسر التاء هو ثوب كالجل تلبسه الفرس لتقيه السلاح وجمعه تجافيف ويروى جلبابا قال العينى معناه ان ترفض الدنيا وتزهد فيها وتصبر على الفقر والتقلل فكنى بالتجفاف أو الجلباب عن الصبر لانه يستر الفقر كما يستر ان البدن (قوله فالمال ليس خيرا الخ) هذا كله مع ما تقدم من الآيات والاحاديث صريح القول بتفضيل الفقير الصابر على الغنى الشاكر سيما ما تضمنته من اعراضه عن خزائن الارض مع انه سيد الشاكرين فترجيح بعضهم الغنى الشاكر يحتاج الى حسن بدنظر وقوة دفع وتحقيق جمع (قوله تحقق الخ) حال مؤكدة لاستفادته مما افادته من قوله شمس فضل وصاحب الحال ضميره صلى الله عليه وسلم وسيأتى ذلك فى التنبيه فى شرح البيت الآتى بعد هذا (قوله من حق بمعنى ثبت) وقال ابن عبد الحق اى صار الظن فيه محققا اه ١٥٢ فأبقى الظن على حقيقته وجعل مطابقة الواقع مستفادة من تحقق تأمل

أتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال انى أحبكم أهل البيت فقال له النبى صلى الله عليه وسلم أالله قال الله قال فأعد للفقر تجفافا فان الفقر اسرع الى من يحبنا من السيل من أعلى الاكمة الى أسفلها مع دعائه صلى الله عليه وسلم لخادمه أنس بأن الله يكثر ماله وولده رواه الشيخان ووجه الجمع ان المدعو به فى الاول من قلة المال والولد المراد منه قلة فتنتهما لان الغالب فيهما الفتنة كما هو واضح من الآيات والاحاديث وفى الثانى من كثرتهما فالمراد به كثرة فوائدهما وثمراتهما الاخروية فالمال ليس خيرا محضا من كل وجه ولا شرا محضا من كل وجه وانما هو كالسيف فى يد المقاتل يقتل به معصوما تارة ومهدرا أخرى أو كحية فى يد انسان فيها سم وترياق ولكن سمها أكثر وأغلب وأوحى للنفوس واذهب واذا تأملت أيضا ما تقرر من كمالاته العلية علمت انه صلى الله عليه وسلم (شمس) سماء العلوم والكمالات باسرها كيف وكل (فضل) تحلى به كل كامل فانما هو بواسطة استمداده من فضله واذا كان الامر كذلك (تحقق) من حق بمعنى ثبت (الظن) يعنى الاعتقاد الجازم المطابق للواقع (فيه) أى فى ذاته وصفاته (انه) بالنسبة الى بقية الكمل فى اشراقه ورفعته عليهم (الشمس) المشرقة على هذا العالم البائنة عنه (رفعة) فلا يصل اليها أحد منهم (و) انه (الضياء) المفيض عليهم اضواء الكمالات وخوارق الامدادات وبين الشمس والضياء تجنيس مراعاة النظير وفيهما التشبيه البليغ أو الاستعارة الاصلية المطلقة على القول الذى مر رده ومر أوائل الكتاب ما تعلق بالتشبيه بالشمس فراجعه لكن ليس كون المشبه به أعلى من المشبه أمرا مطردا بل قد ينعكس الحال كما فى صلاة التشهد كما صليت على ابراهيم على أحد الاجوبة فيه وما هنا من ذلك كما نبه الناظم رحمه الله تعالى لذلك حيث بين انه صلى الله عليه وسلم أعلى شأنا فى الضياء من الشمس فقال عاطفا فاء

(قوله مراعاة النظير) التطليع وضم الشئ الى ما يناسبه من أحد الوجوه ومنه قوله تعالى الشمس والقمر بحسبان والنجم والشجر يسجدان فالنجم هنا هو النبت الذى لا ساق له لما ذكر الشمس والقمر اختار لفظة النجم على لفظة النبت مراعاة النظير وسماه قوم من أهل البديع التوفيق وبيت الصفى شاهده يجار لفظ الى سوق القبول بها من بلة الفكر تهدى جوهرا الكلم (قوله على أحد الاجوبة) اعلم انه يحتمل رجوع التشبيه للصلاة على سيدنا محمد وآله فيشكل بان المشبه أعلى من المشبه به والواجب عكس ذلك وأجيب أولا بمنع كون الواجب العكس بل قد يكون المشبه أعلى ومراعى فى المشبه به جهة تكون مصححة لتشبيه الاعلى بغيره وهى هنا كون الرحمة والبركة لم يجتمعا لغير ابراهيم وآله فطلب للنبى السيية وآله مثلهما زيادة على ما اعطته مما لم يصل اليه أحد وأجيب ثانيا بالتسليم ويجعل التشبيه راجعا للآل رسول الله دونه ولا شك ان الخليل وآله لكونهم رسلا أفضل من آل النبى فالصلاة المتعلقة بهم أفضل من المتعلقة بآله صلى الله عليه وسلم انتهى
(قوله حيث بين انه صلى الله عليه وسلم أعلى الخ) أى بقوله وقد أثبت الخ وأما قوله فاذا ما ضحا الخ فقد يقال انما يظهر به بيان شئ من وجه الشبه أى ان ضوءه يمحو الظل كما ان ضوء الشمس يمحوه وان زاد ضوءه بانه لا يثبت معه ظل بخلاف ضوئها اذا علمت ذلك فكان الظاهر فى الحل فبسبب كونه مشبها بالشمس كان شأنه الخ ثم يقول عند قوله وقد يثبت الخ أشار به الى ان المشبه أعلى من المشبه به فتدبر

السببية اشعارا بالنكتة التي ذكرنا انه تنبه لها (ف) بسبب ان المشبه قد يكون أعلى من المشبه به كان شأنه صلى الله عليه وسلم انه (اذا ما) لم يتكلم الجمال بن هشام على هذه في المغني مع أنها في القرآن في غير موضع وتكلم على اذما مع كونها ليست فيه وتكلم على تلك البهاء السبكي في عروس الافراح في أدوات الشرط لكنه لم يتعرض الى ان زيادة ما حولها الى الحرفية أولا قال الجلال السيوطي يحتمل ان يجرى فيها قولا اذما قول سيبويه انها حرف والمبرد وغيره انها باقية على الظرفية ويحتمل ان يجزم ببقائها على الظرفية لانها أبعد من التركيب بخلاف اذما انتهى وفيما علل به الجزم نظر لانه قابل المنع فالذي يتجه جريان الخلاف وان الاصح بقاؤها على الظرفية لان ما تزاد في نحو ذلك كثيرا وحينئذ فيجرى فيها أحكام اذا غير الفجائية من ان الغالب انها ظرف المستقبل متضمنة معنى الشرط وتختص بالجمل الفعلية ولو مقدرة كاذا السماء انشقت وتحتاج لجواب وتقع في الابتداء عكس الفجائية وجوابها اما فعل كما هنا أو جملة اسمية مقرونة بالفاء أو باذا الفجائية نحو اذا هم يستبشرون أو فعلية طلبية كذلك وقد يقدر الجواب لدلالة السياق والمقام عليه ثم المحققون على ان ناصبها شرطها والاكثرون على انه ما في جوابها من فعل أو شبهه ولا تخرج عن الظرفية عند الجمهور وزعم الاخفش في حتى اذا جاؤها انها مجرورة بحتى وابن جني في اذا وقعت الواقعة بناء على نصب خافضة رافعة ان اذا الاولى مبتدا والثانية خبر والمنصوبان حالان وكذا الباقي ومعمولاتها ثم قد تخرج من الاستقبال فترد للحال نحو والليل اذا يغشى والماضي نحو واذا رأوا تجارة الآية فانها نزلت بعد الرؤية والانفضاض وعن الشرطية نحو اذا ما غضبوا هم يغفرون فهي ظرف لهم المبتدا وزعم انه جوابها بتقدير فهم غفلة عن ان حذف الفاء ضرورة وان هم تأكيد لواو يغفرون الذي هو جوابها تعسف وان جوابها محذوف تكلف بلا ضرورة وقد تستعمل لاستمرار الازمنة نحو واذا قاموا الى الصلاة قاموا كسالى وقد ينظر فيه بان الاستمرار هنا وفي نظائره التي استدلوا بها انما أخذ من قرينة السياق دونه وضعا اذا وتفارق ان اذا في أحكام كثيرة منها ان اذا للمتيقن والمظنون الكثير الوقوع كما هنا في اذا ماوان للمشكوك أو الموهوم النادر ولا يرد ولئن مت لان الموت لكثرة الغفلة عنه والجهل بوقته نزل منزلة الموهوم ولا نحو واذا مس الانسان الضر لانه لتخويفهم واخبارهم بانه لابد أن يمسهم شيء من العذاب (ضحى) اى مشى عقب طلوع الشمس وهذا ليس لتقييد الجزاء به اذ محو نوره الظل يكون في هذا الوقت وغيره لكنه في هذا الوقت أظهر لقوة ضياء الشمس وضعف نورها حينئذ (محا نوره) وبين محى وضحى التجنيس اللاحق وهذا والضحاء تجنيس الاشتقاق (الظل) مفعول اى ظل ذاته الكريمة أو مطلق الظل مبالغة بل حقيقة لان نوره صلى الله عليه وسلم أصل نور كل شيء وهو لا يبقى معه ظلمة ومنها الظل أو المراد بالظل كل ضلالة ونقص و بنوره ما جاء به صلى الله عليه وسلم من

(قوله ومعمولاتها) اتظر المعمول الثاني لها فانه مع نصب خافضة كما يظهر ١٥٣ الامعمول واحد وهو الجار والمجرور (قوله اذا يغشى) فالغشيان مقارن لليل (قوله ضحى) بفتح الحاء ويجوز كسرها اى برز للشمس اه ابن عبد الحق وفي القاموس ان الضحو والضحوة والضحية كعشية ارتفاع النهار ثم قال وضحا برز للشمس وكسعى ورضى اصابته الشمس اه ولم نر فيه أن ضحى بمعنى مشى عقب طلوع الشمس كما ذكره الشارح اولا ولا انه مجرد ارتفاع الشمس كما ذكره ثانيا تأمل (قوله اى مشى عقب الخ) سبق عن القاموس ان الضحاء بفتح الضاد ما قرب من انتصاف النهار وعليه فكان الظاهر أن يقول هنا اى مشى قرب انتصاف النهار وذلك هو الملائم لقوله بعد لكنه الخ اذ هو وقت قوة ضياء الشمس والا فعقب الطلوع لا قوة له تأمل (قوله اذ محو نوره الخ) اى فاذا حصل محو الظل بذلك النور في ذلك الوقت ففي غيره من باب اولى (قوله تجنيس الاشتقاق) اى ان اريد بالضحا معنى مصدرى بأن قصد ضاده وهو قرب انتصاف النهار فان اريد به الشمس بأن ضمت ضاده كان شبه اشتقاق (قوله او مطلق الظل) مع قوله لا يبقى معه ظلمة يقتضى تقدم ضحى فظهوره لا بخصوص مشيه عقب طلوع الشمس

الكتاب والسنة والعلوم والآداب لكن المراد بضحى على هذا مطلق ظهوره فى هذا
الكون بأوصافه الكاملة (و) الحال انه (قد أثبت الظلال) جمع ظل وهو ما تنسخه
الشمس أو ينسخها هو وأخص منه الفئ لانه اسم لما بعد الزوال من الظل فهو ما نسخ
الشمس وقيل كل ما نسخته فهو فئ وظل وكل ما لم تنسخه فهو ظل لا فئ (الضحاء) اى
ارتفاع الشمس ومده لضرورة النظم فنبينا صلى الله عليه وسلم أكمل من الشمس رفعة
وضوأ لان نورها يثبت الظل ونور نبينا صلى الله عليه وسلم يمحوه وظل على المعنى الاول ان
من خصائصه صلى الله عليه وسلم أنه اذا مشى فى الشمس لا يظهر له ظل لطهارته ذاته عن
كل نقص ولان الله تعالى استجاب له دعاءه المشهور وانه يجعله كله نورا فكان بدنه فى غاية
الاضاءة التى لا يحجبها مقابلها قيل مد الضحاء ضرورة النظم اهـ وفيه تطويل الذى
فى القاموس ان الممدود مع فتح أوله ما قرب من انتصاف النهار كما مر ثم ذكر ان المقصور
الشمس وحينئذ ان أريد بالضحاء الشمس كان مده ضرورة أو قرب انتصاف النهار كان
مده صحيحا لا ضرورة فيه لكن المراد بضحى على هذا مطلق ظهوره فى هذا الكون
بأوصافه الكاملة لكن لا يصح ارادة هذا هنا كما هو ظاهر من جعل الناظم جملة وقد الخ
حالا من فاعل ضحى ۞ (تنبيه) علمت أن تستشكل تركيب قوله شمس فضل الخ بأن حكمه
عليه بأنه شمس الفضل يغنى عن قوله تحقق الظن الخ لانه اذا ثبت أولا انه شمس الفضل
الذى هو اسم يصح لكل كامل علم انه الشمس فى الرفعة وانه الضياء فقوله تحقق الخ لا حاجة
اليه وجوابه أشرت اليه فى حله من ان جملة تحقق الظن فيه الخ حال مؤكدة لما قبلها
وصاحب الحال الضمير العائد عليه صلى الله عليه وسلم اذ مستقل وشمس فضل معطوفان
على بحر بحذف حرف العاطف أو يقدر لكل مبتدأ استئنافا لتعداد شمائله صلى الله عليه
وسلم اشارة الى ان كلا مستقل كامل فى ذاته لينضم لبقية كما مر فى شرح قوله كل وصف له
ابتدأ أتى به الخ ولما ورد على ظاهر ما قرره قطرا الاحتمال الثانى من ان نوره صلى الله
عليه وسلم يمحو الظل ما سبق له صلى الله عليه وسلم ان الغمامة كانت تظله بأن يقال كيف
يمحو نوره الظل والغمامة أظلته فلم يمح نوره ظل الغمامة ولم احتاج اليه مع انه مع الضياء
الاعظم من ضياء الشمس فلا يؤثر فيه أشار الى جوابه لكن بما تقصر عنه عبارته
بادئ الرأى فقال (فـ) بسبب محو نوره الظل الحسى على ما مر صار صلى الله عليه وسلم
هو الظل المعنوى الاعظم على جميع اتباعه حتى (كأن الغمامة) لما أظلته قبل النبوة
ارهاصا وتأسيسا لما سيصير اليه أمره أعلمته بأنها (استودعته) الامة بأسرها الكرام
أصحابه بلا واسطة وهم الذين ومن بعدهم بواسطة استمداد الاولين من ظله صلى الله
عليه وسلم وامدادهم لمن بعدهم من ذلك الظل فبالذين بواسطتهم (من) اى الذين

(قوله لا يبقى معه ظله) ان كان المراد الظلة الحسية كما هو الظاهر لذكره المعنوى بعد توقفت صحة ذلك على ثبوت انه اذا مشى فى ظل حائط مثلا زال بنوره واذا كان فى ظلمة ليل زالت بنوره وهذا غير بعيد لكنه يحتاج لنقل فى ذلك فتأمل (قوله الضحاء بالضم)(٢) ثابت بخط المؤلف وفى نسخة لفظة له بدل قوله بالضم (قوله اى ارتفاع الشمس) لا يناسب ضبطه كما فى بعض النسخ بالضم لان المضموم اسم للشمس لا لارتفاعها كما سيأتى وانما الذى هو اسم لارتفاعها فهو بفتح الضاد تأمل والمراد بارتفاع الشمس قرب انتصاف النهار كما سيأتى قريبا عن القاموس فارتفاعها قبل ذلك لا يسمى ضحاء فتأمل (قوله كامر) تأملناه فلم نجده ذكر هنا المعنى فيما مر وانما ذكر أن معنى ضحى المشى عقب طلوع الشمس وان معنى الضحا ارتفاع الشمس وتقدم ما فيه فتدبر (قوله ان المقصور الشمس) اى مع ضم أوله كما علم مما مر ويطلق ايضا على ضوئها ومنه قوله وأخرج ضحاها اى أظهر ضوءها والشمس وضحاها اى ضوئها (قوله كان مده صحيحا) اى مع فتح الضاد كما علم مما مر (قوله ان الغمامة الخ) وكذلك الشجرة وثبت التظليل عليه صلى الله عليه وسلم وقت رميه الجمار وما قيل فى الجواب عن تظليل الغمامة يقال فى الجواب عن تظليل الشجر من الاعلام بعموم ظله واما جواب التظليل وقت الرمى فسيأتى انه كان للتشريع

(اظلت)

(٢) قوله المحشى الضحاء بالضم ليس فى نسخ الشارح التى بأيدينا لفظة بالضم ولا له اهـ

(أظلت) هم (من) بعض (ظله) الاعظم (الدفاء) جمع داف كعلماء جمع عالم وهم جيوشه سمى الجيوش بذلك لانهم يدفون نحو العدو اى يسيرون اليه لدفعه واستئصاله وحاصل الجواب أن ذلك التظليل الذى كان قبل النبوة كان لحكمتين احداهما الارهاص كما تقرر وثانيهما اعلامه صلى الله عليه وسلم بما سيؤل اليه أمره من أن الله سيجعل له أمة أكثر الامم وانهم قرون متفاوتون وان كل قرن مستمد من القرن الذين قبلهم وان الكل مستمدون ويمدون من ظله صلى الله عليه وسلم فسائر القرون مستمدون من أصحابه وأصحابه مستمدون ويمدون من ظله وحينئذ فلا تنافى بين محو نوره الظل وبقاء الظل مع نوره عند تظليل الغمامة له صلى الله عليه وسلم لان المحو هو الاصل المستمر والبقاء انما كان على خلاف الاصل لحكمتين المذكورتين احداهما الارهاص والثانية الاعلام بعموم ظله المعنوى على الامم من أولهم الى آخرهم فتأمل ذلك فانه مهم بل انغلق معنى هذا البيت على الشارح فقال انه وجد هذا البيت فى نسخة وانه غير مفهوم المعنى وسبب انغلاقه عليه جعل الضمير المفعول فى استودعته الظل لا يقال بل ما قاله من رجوعه للظل يتضح به المعنى لكن ان جعلنا الدفاء الطيور ويكون فى البيت حينئذ التلميح الى قصة هى ان الطيور كانت تظل الانبياء قبله كداود وسليمان بل بنى اسرائيل كما قال سبحانه وظللنا عليهم الغمام وحينئذ فكأنه يقول الغمامة لما أظلته استودعت الظل للانبياء الذين أظلتهم الطيور من ظله لانا نقول هذا المعنى لا يطابق اللفظ سلمنا مع ما فيه من البعد والتكلف فوزن دفاء فعلاء وهو انما يكون جمعا لفعيل اذا كان وصف مذكر عاقل بشروط أخر أو لما دل على سجية مدح أو ذم بشروط أخر كشجاع وشجعاء وصالح وصلحاء وشاعر وشعراء وجاهل وجهلاء فعلم أنه لا يصح حمله على الطيور أصلا لانه انما يكون جمعا لصفة عاقل مذكر أو سجية مدح أو ذم بشرطهما على أن الذى سمع فى الطير دفوف فى العقاب وفعلاء لا تجمع عليه أصلا وداف فيما يطير بجناحيه ولا يصف وهو وصف لغير عاقل ودفيف وهو ليس وصفا للطائر بل لحركته وبتسليم أنه وصف له فهو غير عاقل فان قلت

(قوله استودعته) يقال استودعته وديعة اذا استحفظته اياها والمراد هنا استحفظت النبى الامة اى جعلته حافظا لها لكونه الظل المعنوى الاعظم الواقى لسائر اتباعه يعنى أن بقاء الظل الحسى اشارة الى بقاء ظله المعنوى تأمل (قوله احداهما الارهاص) اى الاستعجال اى جعل له ما يسمى معجزة بعد النبوة أو من أرهصه الله اى جعله معدنا للخير يعنى اعلاما بجعله معدنا الخ (قوله وثانيهما اعلامه الخ) ذكر الشارح المالكى لتظليل الغمام معنى لطيفا هو ان الشمس لما بهرت وقت سلطان ضوئها خجلت أن تقابل النور الاصلى الذى هو أعلى من نورها واصل لها فأسدلت حجابا بينها وبينه حياء منه وهو الغمامة فنزلت منزلة عاقل أعطى التصرف فى السحاب لارسال قطعة منه حاملة لما ذكر (قوله سيجعل له أمة الخ) الذى يظهر فى الجواب هو قوله وان الكل مستمدون الخ وأما كون أمته أكثر الامم فليس فى المتن ما يفيده فتدبر (قوله الظل) اى الحسى لا النبى الذى هو الظل المعنوى كما سبق (قوله من رجوعه الخ) اى ويراد بمن أظلت الانبياء كما أشار لذلك بقوله كانت تظل الانبياء (قوله وظللنا عليهم الغمام) هذا فى سورة الاعراف والآية التى فى البقرة عليكم الغمام وقد ذكر المفسرون ان الغمام السحاب فلا يظهر جعل الشارح ذلك دليلا لتظليل الطير لهم فتأمل فكان الظاهر حذف قوله بل بنى اسرائيل ودليله لان المقام لا يناسب ذلك كما لا يخفى (قوله لا يطابق الخ) لان الانبياء لم يكونوا موجودين وقت تظليلها فكيف يجعلهم حافظين لها أو يجعله حافظا لهم (قوله أو لما دل على سجية الخ) ربما يقتضى انه ان لم يكن صفة عاقل مذكر وليس كذلك وانما احتاج لذلك لقوله قريبا فعيل فذكر قوله أو لما دل الخ ليشمل فعالا كشجاع وفاعلا كصالح تأمل (قوله دفوف) قال فى القاموس وعقاب دفوف تدنو من الارض اذا انقضت (قوله لا تجمع عليه أصلا) كان الظاهر لا تكون جمعا له تأمل (قوله ولا يصف) قال الهروى فى الغريب وفى الحديث كل ما دف ولا تأكل ما صف أى كل ما حرك جناحيه فى الطيران كالحمام ونحوه ولا تأكل ما صف جناحيه كالنسور والصقور لا يؤكل (قوله بل لحركته) قال فى القاموس والدفيف الدبيب والسير اللين ومن الطائر مره فويق الارض أو ان يحرك جناحيه ورجلاه فى الارض

المعنى الصحيح أن الغمامة لما أظلته استودعت الظل الطيور التى أظلت الانبياء عليهم الصلاة والسلام من ظله صلى الله عليه وسلم فهل لا يحمل الناظم عليه قلت يعارضه ما تقرر فى قاعدة تجمع فعلا مع بتسليمه فيجوز أن فى الجمع فالناظم غبر عن هذا المعنى بكل وجه كما هو واضح فان قلت ظاهر كلام الناظم فى البردة أنه احتاج لتظليل الغمامة لتقيه حر الشمس فينافى ما مر أن تظليلها للحكمتين السابقتين قلت ما أفهمه كلامه ثم يعارضه أن تظليلها لم يكن الا قبل النبوة ارهاصا كما مر ولو كان لما ذكره لكان بعد النبوة أيضا فان قلت قد ظلل عليه صلى الله عليه وسلم عند رميه الجمرة بثوبه وهو يشعر بالاحتياج قلت هذا من ضرورة الجبلة البشرية وما نحن فيه من حيث الحقيقة والامور الاصلية فتأمله وأيضا فهو صلى الله عليه وسلم برز للشمس فى عرفة ولم يظلل اشارة الى أن السنة للمحرم أن يبرز للشمس وظلل عند الرمى اشارة الى أنه لا يسن البروز للشمس هنا كذا ذكروه وعليه فلا اشكال أصلا ومرت قصة تظليل الغمام ورد وابائها فى شرح قوله

وأنا ما ان الغمامة والسرح أظلته منهما أفياء

واذا تقرر أن كل فضل مستمد من فضله صلى الله عليه وسلم وان نوره يمحو الظل على ما سبق فى معناه علم أنه قد (خفيت عنده) اى فى جنبه ما أوتيه (الفضائل) التى أوتيها غيره من الانس والملائكة والجن (و) انه قد (انجابت) اى انكشفت (به) اى بسبب ما بثه فينا من علومه وآدابه وأخلاقه (عن عقولنا) معشر أمة الاجابة والعقل لغة المنع واصطلاحا غريزة يتبعها العلم بالضروريات عند سلامة الآلات وفيه خلاف طويل أشار اليه فى القاموس وعبارته العقل العلم بصفات الاشياء من حسنها وقبحها وكمالها ونقصانها أو العلم بخير الخيرين وشر الشرين أو مطلق الامور أو لقوة بها يكون التمييز بين القبيح والحسن أو لمعان مجتمعة فى الذهن تكون بمقدمات تستتب بها الاغراض والمصالح أو لهيئة محمودة للانسان فى حركاته وكلامه والحق أنه نور روحانى به تدرك النفوس العلوم الضرورية والنظرية وابتداء وجوده عند اجتنان الولد ثم لا يزال ينمو الى أن يكمل عند البلوغ اه (الاهواء) اى الضلالات والنقائص فلم تقع فى ورطة شئ منها كما وقع فيها من أعرض عن الهدى وسلك سبل الردى ثم استدل على ذلك الخفاء وكشف الهوى بما أفاده الاستفهام الانكارى فقال على طريق اللف والنشر المرتب (أ) يوجد (مع الصبح النجوم تجلى أو) يوجد (مع الشمس الظلام بقاء) اى انما خفيت الفضائل عنده لانه الفجر الصادق وغيره من سائر الكمل كالنجوم فكما ان النجوم لا يبقى لها نور مع الفجر فكذلك سائر الكمل وانما كشف عن عقولنا الاهواء لانه الشمس كما مر والاهوية والنقائص كالظلام فكما ان الظلام لا يبقى مع الشمس فكذلك الاهوية والضلالات لا تبقى مع اشراق الشمس من غير حائل بينها وبين ما أشرقت عليه وبين الصبح والنجوم والشمس والظلام تجنيس التقابل وفى البيت

(قوله فالناظم غبر الخ) اذ يصير المعنى استودعت الظل الطيور الذين أظلتهم الطيور وفيه أيضا استعمال من فى غير العالم (قوله فى البردة) حيث قال مثل الغمامة انى سار سائرة تقيه حر وطيس للهجير حمى أى مجىء الاشجار مثل الخ أى المذكورة فى قوله جاءت لدعوته الاشجار ساجدة تمشى اليه على ساق بلا قدم وقوله سائرة بالنصب بمحذوف أى تسير سائرة حيث سار أو خبر مبتدا محذوف وقوله وطيس هو فى الاصل التنور والمراد هنا الشمس والهجير وسط النهار واشتداد الحر (قوله ثم) أى فى البردة (قوله وأيضا الخ) أى فتظليله وعدمه كان للتشريع لا للوقاية الحر به فتأمل (قوله ورطة) الورطة الهلاك

الكلام الجامع وللمأثور وما يتعلق بقوله شمس فضل بما بعده الى هنا الا مناسب له عطف بحذف حرفه أو استأنف تعليم مأمر فقال (معجز القول) لان الله تعالى امتن عليه بجوامع الكلم التى أوتيها دون غيره ومن ثم قال بعض العلماء ان كلامه معجز كالقرآن وكأن الناظم رحمه الله تعالى اعتمد هذا القول حيث عبر بما او افقه وان احتمل أن يريد ما يوافق مذهب الاكثرين ان كلامه صلى الله عليه وسلم غير معجز (و) معجز (الفعال) فلا يقدر مخلوق أن يوجد فعلا مطابقا لسائر المصالح الظاهرة والباطنة فى ذلك الوقت الذى أوجد فيه ذلك الفعل غيره صلى الله عليه وسلم وهذه هى مرتبة وارث الحضرة الالهية التى لا يدخل أحد اليها الا باذنه (كريم الخلق) كما يعلم مما قدمته مبسوطا فى شرح قوله فتنزه فى ذاته الخ (و) كريم (الخلق) بضم أوله كما مر مبسوطا فى شرح قوله ماسوى خلقه النسيم وبين والخلق والخلق القول والفعل تجنيس التقابل مع تجنيس التحريف فى الثانى (مقسط) اى عادل فى أحكامه وأقواله وأفعاله صلى الله عليه وسلم فلا يصدر منه شئ قط الا على غاية العدل باطنا وظاهرا باتفاق كل من رآه وعلم أحواله حتى أعدائه ومناويه ألا ترى أن قريشا لما بنوا الكعبة والنبى صلى الله عليه وسلم معهم قبل النبوة فوصلوا الى موضع الحجر الاسود واختلفوا فيمن يضعه فى محله ثم أجمعوا على انهم يحكمون أول داخل المسجد فكان النبى صلى الله عليه وسلم أول داخل فقالوا هذا الامين فحكموه فأمر صلى الله عليه وسلم بوضعه بثوب وأمر كل رئيس قبيلة أن يمسك بطرف الثوب ثم يرفعوه ففعلوا الى أن بلغوا به محله فأخذه صلى الله عليه وسلم ووضعه فى محله وصح أن رجلا قال وهو صلى الله عليه وسلم يقسم اعدل فقال صلى الله عليه وسلم ويلك فمن يعدل ان لم أعدل خبت وخسرت ان لم أعدل وكان صلى الله عليه وسلم يقول أبلغوا حاجة من لا يستطيع ابلاغ حاجته فانه من أبلغ سلطانا حاجة من لا يستطيع ابلاغها أمنه الله يوم الفزع الاكبر وكان صلى الله عليه وسلم لا يؤاخذ أحدا بقول أحد ولا يصدق أحدا فى أحد (معطاء) اى كثير العطاء الذى يعجز عن أدناه الملوك فقد صح عن أنس كان صلى الله عليه وسلم احسن الناس واشجع الناس وأجود الناس واقتصاره على هذه الثلاثة من جوامع الكلم التى منحها من امداده صلى الله عليه وسلم لانها من أمهات الاخلاق اذ فى كل انسان ثلاث قوى الغضبيه وكمالها الشجاعة والشهوانية وكمالها الجود والعقلية وكمالها اكتساب الفضائل واجتناب الرذائل وصح عنه أيضا ما سئل صلى الله عليه وسلم شيأ الا اعطاه فجاءه رجل فأعطاه غنما بين جبلين فرجع الى قومه فقال اسلموا فان محمدا صلى الله عليه وسلم يعطى عطاء من لا يخاف الفقر واعطى صفوان بن أمية يوم حنين حين أسلم مائة من النعم ثم مائة ثم مائة وصح عن جابر ما سئل صلى الله عليه وسلم عن شئ قط فقال لا أى لا ينطق بالرد بلا بل ان كان عنده المسؤل وساغ الاعطاء

(قوله الكلام الجامع) هو ان يأتى الشاعر ببيت تكون جملته حكمة أو موعظة أو تنبيها أو غير ذلك من الحقائق الجارية مجرى الامثال كقول الصفى الحلى فى بديعيته

من كان يعلم ان الشهد مطلبه
فلا يخاف لادغ النحل من ألم

وكقول أبى الطيب

واذا كانت النفوس كبارا
تعبت فى مرادها الاجسام

(قوله وان احتمل الخ) بان يراد بالقول المشتمل على الاخبار بالمغيبات فان القول المشتمل على ذلك معجز باتفاق كما سيأتى قبيل قوله شق عن صدره الخ فقوله ان كلامه غير معجز أى كل كلامه لما علمته من ان كلامه المخبر بالمغيبات لا خلاف فى انه معجز (قوله ومناويه) أى معاديه قال الجوهرى وناواه أى عاداه انتهى فعطفه عطف أحد المترادفين على الآخر (قوله وأجود الناس) قال المرصفى فى كتابه اسفار الصباح الفتوة والايثار والجود والسخاء والسماحة مترادفة وبعضهم فرق بينها فجعل الكرم الانفاق بطيب النفس فيما يعظم خطره ونفعه وسماه حرية وهو ضد النذالة والسماحة التجافى عما يستحقه المرء عند غيره بطيب نفس وهو ضد الشكاسة والشكاسة عسر الخلق قال تعالى شركاء متشاكسون أى مختلفون عسر والاخلاق انتهى مختار والسخاء سهولة الانفاق وتجنب اكتساب ما لا يحمد وهو الجود وضده التقتير (قوله غنما بين جبلين) أى غنما كثيرة كأنها تملأ ما بين جبلين

بان لم يرمستطاعا عنده ما هو أهم اعطاء والا سكت كما فى حديث مرسل فحينئذ لا ينافى الحديث الا ثم قلت لا أجد ما احملكم عليه فهو صلى الله عليه وسلم لا يقولها امتناعا للعطاء بل اعتذارا حيث لا ينفع السكوت لنحو جهل السائل وفى حديث الترمذى انه حمل اليه تسعون ألف درهم فقام اليها فما رد سائلا حتى فرغ منها وقال لسائل ما عندى شئ ولكن ابتع على فاذا جاءنا شئ قضيناه فقال له عمر رضى الله تعالى عنه ما كلفك الله ما لا تقدر فكره منه ذلك فقال انصارى انفق يا رسول الله ولا تخف من ذى العرش اقلالا فتبسم وعرف البشر فى وجهه صلى الله عليه وسلم وقال بهذا امرت وقوم ما اعطاه يوم حنين فكان خمسمائة ألف ألف قيل هذا نهاية الجود الذى ما سمع لاحد مثله وصح انه صلى الله عليه وسلم أتى بمال من البحرين فأمر صلى الله عليه وسلم بصبه فى المسجد وكان اكثر مال أتى به صلى الله عليه وسلم وفى رواية مرسلة كان مائة ألف فخرج الى الصلاة فلم يلتفت اليه ثم بعدها جلس اليه ففرقه صلى الله عليه وسلم ومع هذا الجود الواسع الذائع كان صلى الله عليه وسلم يعيش عيش الفقراء و يأتى عليه الشهران لا يوقد فى بيته نار و ربما ربط الحجر على بطنه الشريف من شدة الجوع وجاءه سبى فسألته فاطمة رضى الله تعالى عنها فى خادم يكفيها مؤنة بيتها فأمرها صلى الله عليه وسلم ان تستعين بالتسبيح والتكبير والحمد وقال صلى الله عليه وسلم لا اعطيك وأدع أهل الصفة تطوى بطونهم من الجوع واذا علمت اتصافه صلى الله عليه وسلم بهذه الاوصاف الجليلة التى لم يوجد مثلها ولا ما يقاربها فى مخلوق غيره علمت ان من الواجب على كل من عرف ذلك ان يقول لمن لم يعرفه حق معرفته (لا تقس) من قست الشئ بغيره قدرته على مثاله أى لا تشبه (بالنبى) الموصوف بما ذكر وهو نبينا صلى الله عليه وسلم (فى الفضل) الجامع لتلك الصفات بل ولا فى كل وصف منها على حدته لان كل وصف من أوصافه صلى الله عليه وسلم وصل فيه الى غاية منه لم يلقه مخلوق فيها (خلقا) نبيا أو ملكا أو غيرهما أى لا تعتقدن مخلوقا يساويه أو يقاربه فى وصف من أوصاف كماله صلى الله عليه وسلم كما مر أول الكتاب فى شرح قوله لم يساووك فى علاك الخ (فهو) لا غيره (البحر) الجامع لكل وصف من أوصاف الكمال البالغ النهاية فيه (والانام) هو كما فى القاموس كسحاب والآنام بالمد والانيم كأمير الخلق أو الجن والانس أو جميع ما على وجه الارض انتهى والمراد هنا الاول بدليل قوله الآتى فى العالمين (اضاء) بالكسر والمد جمع اضاة كقناة وهى الغدير ويجمع أيضا على اضا كفتى وشتان ما بين البحر والغدير فبينهما غاية التغاير وكيف لا و (كل فضل) وجد (فى العالمين) الانس والملائكة والجن (فـ)هو كائن (من فضل) ذلك (النبى) الاكرم على ربه من سائر الانبياء والمرسلين والملائكة المقربين وبين فضل والفضلاء تجنيس الاشتقاق (استعاره) حال من ضمير الظرف المستقر (الفضلاء) لانه الممد لهم اذ هو الوارث للحضرة الالهية والمستمد منها بلا واسطة دون غيره فانه لا يستمد منها الا بواسطته فلا يصل لكامل

(قوله أهل الصفة) هى موضع مظلل من المسجد كانت المساكين تأوى اليه (قوله والمراد هنا الاول بدليل الخ) سيأتى تفسير العالمين بالانس والملائكة والجن وذلك يقتضى ان المراد بالخلق الذى هو الاول بعض ما صدقه وهو العوالم الثلاثة المذكورة فتأمل (قوله اضاء) فى نسخة ركاء جمع ركوة وهى الدلو الصغير (قوله وهى الغدير) هى القطعة من الماء يغادرها السيل اه جوهرى

منها شئ الا وهو من بعض مدده وعلى يديه فآيات كل نبي انما هي مقتبسة من نوره صلى الله عليه وسلم لانه صلى الله عليه وسلم كالشمس وهم عليهم الصلاة والسلام كالكواكب فهي غير مضيئة بذاتها وانما هي مستمدة من نور الشمس فاذا غابت أظهرت أنوارها فهم قبل وجوده صلى الله عليه وسلم انما كانوا يظهرون فضله وانوارهم مستمدة من نوره الفائض ومدده الواسع ألا ترى ان ظهور خلافة آدم واختصاصه بالاسماء كلها انما هو مستمد من جوامع الكلم المخصوص به نبينا صلى الله عليه وسلم ثم توالت الخلائق الى زمن بروز جسمه الشريف فلما برز كان كالشمس اندرج في نوره كل نور وانطوى تحت منشور آياته كل آية لغيره من الانبياء عليهم الصلاة والسلام فلم يعط أحد منهم كرامة أو فضيلة الا وقد أعطى مثلها أو اعظم منها كما سيأتي وضح ومنه ان آدم لما اعطى خلق الله تعالى بيده أعطى نبينا صلى الله عليه وسلم انه شق صدره وملأه فكان الخلق النبوى فتولى من آدم الخلق الجسمي ومن نبينا صلى الله عليه وسلم الخلق النبوى ولما كان هو المقصود من خلق آدم ومن ثم لم يكن سجود الملائكة الا لنور محمد صلى الله عليه وسلم الذى في جبهة آدم كما قاله الفخر الرازى وادريس لما اعطى المكان العلى أعطى لنبينا المعراج الافخم الاعظم ونوح لما ان نجى هو وقومه اعطى لنبينا صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى لم يهلك أمته بعذاب عام ووقع في تفسير الرازى انه صلى الله عليه وسلم اعطى مكان السفينة انه صلى الله عليه وسلم دعا حجرا وهو على شط ماء فاقتلع وسبح الى ان جاء اليه وشهد له بالرسالة وابراهيم عليه الصلاة والسلام لما نجى من النار نجا نبينا صلى الله عليه وسلم من نار الحرب قال تعالى كلما أوقدوا نارا للحرب اطفأها الله وروى النسائى انه احترق جلد طفل كالمقصه صلى الله عليه وسلم فصار صحيحا ولما اعطى ابراهيم مقام الخلة أعطى نبينا صلى الله عليه وسلم ذلك وزاد عليه بمقام المحبة الارفع من كل مقام ومن ثم يقول ابراهيم في الموقف لما يسئل في الشفاعة العظمى انما كنت خليلا من وراء وراء ولما اعطى بناء الكعبة اعطى نبينا صلى الله عليه وسلم وضع الحجر الذى هو روحها في محله لما اشتد رأى قريش ولما اعطى موسى عليه الصلاة والسلام قلب العصا حية اعطى نبينا صلى الله عليه وسلم حنين الجذع الذى هو أبهر واغرب وذكر الرازى وغيره ان أباجهل اراد ان يرميه بحجر فرأى على كتفه ثعبانين فانصرف مرعوبا واليد البيضاء التى بياضها يغشى البصر اعطى نبينا عليه الصلاة والسلام انه كان عنده عباد بن بشر واسيد بن حضير ليلا فخرجا وبيد كل واحد عصا فاضاءت لهما عصا أحدهما فمشيا في ضوئها فلما افترقا اضاءت عصا الآخر صححه الحاكم واخرج البخارى في تاريخه والبيهقى وابو نعيم عن حمزة الاسلمى قال كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في سفر فتفرقنا في ليلة ظلماء فاضاءت أصابعى حتى جمعوا عليها ظهرهم وما هلك منهم وان اصابعى لتنير وانفلاق البحر اعطى نبينا صلى الله عليه وسلم انشقاق القمر الذى هو أبهر لانه تصرف في العالم العلوى على انه نقل ان بين السماء والارض بحرا

(قوله لما أعطى المكان) اى السماء الخامسة أو السادسة على الخلاف (قوله مكان السفينة) أى مكان استقرارها على الماء (قوله انه دعا حجرا) حيث قال له عكرمة بن أبي جهل ان كنت صادقا فادع ذلك الحجر الذى في الجانب الآخر فليسبح ولا يغرق فدعاه الى آخر ما في الشرح فقال له النبي صلى الله عليه وسلم يكفيك هذا فقال حتى يرجع لمكانه (قوله العصا) تكتب بالالف لانك تقول في التثنية عصوان وجمعها عصى وعصى في الكثير ووزنها فعول عصو فاستثقلوا الواو في الجمع فقلبوا من الضمة كسرة ومن الواو ياء واجاز سيبويه في الجمع القليل عصا وأعص مثل دلو وادل ولم يجز الفراء افنا وأفن ومثالهما من الصحيح جمل واجمل وأما قول النبي صلى الله عليه وسلم لاترفع عصاك عن اهلك فلم يرد عليه الصلاة والسلام التى يضرب بها ولا ضرب صلى الله عليه وسلم خادما له قط ولا أمر بذلك صلى الله عليه وسلم وانما اراد الادب ويقال شق فلان العصا اى خرج عن السلطان والقى فلان العصا اى ترك السفر وانشد

فالقت عصاها واستقر بها النوى
كما قر عينا بالاياب المسافر

يسمى المكفوف بحر الارض بالنسبة اليه كقطرة من البحر المحيط فعليه يكون انفلاق
لنبينا صلى الله عليه وسلم ليلة الاسراء وتفجير الماء من الحجر أعطى نبينا صلى الله عليه وسلم
تفجيره من بين اصابعه وهو أبلغ لان الحجر من جنس الارض التى ينبع منها الماء والكلام
أعطى نبينا مثله ليلة الاسراء وزيادة الدنو والرؤية بعين البصر وشتان ما بين جبل الطور
الذى نوجى به موسى عليه الصلاة والسلام وما فوق العرش الذى نوجى به نبينا صلى الله عليه
وسلم وهرون الفصاحة اعطى نبينا ابلغ منها وأبهر على انها فى العبرانية والعربية أفصح
منها ومن ثم لم تكن فصاحته معجزة بخلاف فصاحة نبينا فانها معجزة عند بعضهم وكذا عند
الكل لكن بالنسبة لما اشتملت عليه من الاخبار بالمغيبات ولم يتحدى بها الانبياء عليه
الصلاة والسلام ولقد قال له بعض أصحابه ما رأينا الذى هو افصح منك فقال صلى الله
عليه وسلم وما يمنعنى وانما نزل القرآن بلسانى لسان عربى مبين ويوسف شطر الحسن
وتأويل الرؤيا أعطى نبينا صلى الله عليه وسلم الحسن كله كما فى الحديث وعبر عن المراتى
فوقعت كما عبر مما لا يدخل الحصر وتعبير يوسف عليه الصلاة والسلام انما كان فى ثلاث
مراتى كما فى سورته وداود تليين الحديد اعطى نبينا ان العود اليابس اخضر بين يديه وان
شاة أم معبد درت ببركة يده ولم تلد قط كما مر وسليمان كلام الطير اعطى نبينا صلى الله عليه
وسلم انه كلمه الحجر وسبح الحصا فى كفه وكلمه ذراع الشاة المسمومة والظبى وشكى اليه البعير
والريح التى غدوها شهر ورواحها شهر اعطى نبينا صلى الله عليه وسلم البراق وهو
أسرع من الريح بل من البرق الخاطف فحمله من الفرش الى العرش فى لحظة واحدة واقل
مسافة فى ذلك سبعة آلاف سنة وما فوق العرش الى المستوى والرفرف لا يعلمه الا الله
تعالى وأيضا الريح سخرت لسليمان عليه الصلاة والسلام لتحمله الى نواحى الارض ونبينا
صلى الله عليه وسلم زويت له الارض أى جمعت له حتى رأى مشارقها ومغاربها وفرق بين
من يسعى الى الارض ومن تسعى له الارض وتسخير الجن اعطى نبينا صلى الله عليه وسلم
ان الله مكنه من شيطان تفلت عليه فى صلاته فاراد ان يربطه بسارية فى المسجد وحضرة
الجن حتى أسلموا ولم يحضر والسليمان الا فى العمل وعدد الطير من جملة جنوده تقاومه
حمامة الغار وعنكبوته بل هذا أعجب لانتفاء الحاجة من العدد الكثير بالشئ القليل
وعيسى عليه الصلاة والسلام ابرأ الاكمه والابرص واحيى الموتى اعطى نبينا عليه
الصلاة والسلام رد العين الى محلها بعدما سقطت فعادت أحسن ما كانت وذكر الرازى
انه صلى الله عليه وسلم مسح برمد فشفيت والبيهقى ان رجلا قال لا أومن بك حتى تحيى
لى ابنتى فاتى قبرها فخاطبها فاجابته وتسبيح الحصا وحنين الجذع ابلغ من تكليم الموتى لان
هذا من جنس ما لا تكلم وبالجملة فقد أوتى صلى الله عليه وسلم مثلهم وزاد بخصائص
لا تحصى اعلاما بانه صلى الله عليه وسلم امدهم دائما وفيه تجنيس الاشتقاق وعدل عن
استعاره وليفهم بالفضل أى هم مع كونهم فضلاء كاملين على بقية العالم انما يستمدون

(قوله وعبر) بالتخفيف وعبرت
الرؤيا اعبرها عبارة فسرتها
والتثقيل مبالغة وضبطها بعضهم
بالتثقيل (قوله فى ثلاث مراتى)
هى رؤيا الاحد عشر كوكبا
ورؤيا السبع سنبل ورؤيا الذى
يعصر خمرا والذى صلب فتأكل
الطير من رأسه (قوله فحمله من
الفرش الى العرش) هذا خلاف
الراجح السابق من ان البراق
انما حمله من المسجد الحرام الى
المسجد الاقصى وان صعوده الى
السماء انما كان على المعراج

(قوله وشق له البدر) اى تم التام كما فى المختار (قوله من تهوره) التهور الوقوع فى الشئ بقلة مبالاة

من محمد صلى الله عليه وسلم لا على وجه الاصالة والاستقلال به بل على وجه الاستعارة المضعفة الرداذا أراده المعبر ولم لايكون ذلك كذلك وقد (شق عن صدره) الكريم وفى نسخة عن قلبه وكل منهما صحيح لانه صلى الله عليه وسلم شق عن صدره اولا ثم قلبه المرة بعد المرة الى ان تكرر ذلك الشق أربع مرات أو خمسا مبالغة فى التطهير والتخليص من الاغيار ولم يحصل لاحد من الكمل نظير ذلك ولا ما يقاربه وقدمر الكلام على ذلك مستوفى فى مبحث رضاعه صلى الله عليه وسلم فراجعه فانه نفيس (وشق له) أى لاجله صلى الله عليه وسلم (البدر) أى القمر بمكة قبل الهجرة بنحو خمس سنين لما كذبه كفار مكة وبالغوا فى عناده فطلبوا منه آية يريها اياهم تدل على صدقه صلى الله عليه وسلم وهى ان يشق لهم القمر نصفين فسأل ربه فانشق له كذلك كما نص عليه القرآن الشريف وتواترت به الاحاديث كما حققه التاج السبكى وغيره وأجمع عليه المفسرون وأهل السنة اعلاما بصدقه فى دعواه الرسالة والوحدانية لله تعالى وان ما يعبدونه باطل لا يضر ولا ينفع ولم يقع انشقاقه لغيره صلى الله عليه وسلم وهو من أمهات معجزاته لا يكاد يعدلها شئ من آيات الانبياء عليهم الصلاة والسلام لظهوره فى ملكوت السموات خارجا عن جملة طباع ما فى هذا العالم المركب من الطبائع فلم يطمع أحد فى الوصول اليه بحيلة وفى روايات ما يوهم تعدد الانشقاق مرتين وظاهر كلام بعضهم حكاية الاجماع عليه لكن رد بان احدا من أئمة الحديث لم يجزم بذلك وبان من قال مرتين أراد فرقتين كما فى روايات أو فلقتين كما فى أخرى وفى روايات ان فرقة كانت فوق جبل حرا وأخرى كانت اسفله فى رواية انه كان بمكة المراد منها ان ذلك كان وهم بمكة قبل الهجرة فلا دليل فيه على انه صلى الله عليه وسلم كان بمكة ليلتئذ وفى رواية لاحمد فصار فرقتين فرقة على هذا الجبل وفرقة على هذا الجبل وفى روايات انه صلى الله عليه وسلم قال لهم اشهدوا فقالوا سحرنا محمد ثم اتفقوا على ان يسألوا السفارة أتوا من كل جانب وأخبروا به فقال بعضهم لبعض لا يستطيع محمد ان يسحر الناس كلهم وانكار جمهور الفلاسفة ومن وافقهم من المبتدعة ذلك مبنى على انكارهم خرق الاجرام العلوية والتئامها وذلك من جملة كفرهم وتقولهم بمقتضى عقولهم معاندين الشرائع فيما وردت به وأما قول بعض الملاحدة لو وقع هذا النقل متواترا واشترك أهل الارض كلهم فى معرفته ولم يختص به أهل مكة لتوفر الدواعى على نقل العجائب فهو من تهوره لانه انما طالة اغماتوجه لو كان نهارا أو أول الليل والناس مستيقظون اما اذا وقع ليلا والناس الا القليل قد ناموا ومن لم ينم لم ينظر الى السماء فلا يلزم ما ذكره وجه على ان الاجماع الموافق للقرآن والسنة لا يخدش فيه مثل هذه التخيلات الفاسدة فكان هذا الملحد لم يسمع بما هو الواقع البديهى من ان الكسوف قد يدركه أهل قطر دون أهل قطر آخر وما قيل ان القمر قد دخل فى جيبه صلى الله عليه وسلم وخرج من كمه فباطل لا اصل له *(تنبيه)* البدر القمر ليلة أربعة

عشر وظاهر تعبير الناظم به دون القمر ان الشق كان ليلة أربعة عشر ولم أره فى ذلك
سلفا ولعله أراد بالبدر مطلق القمر سمى بذلك لانه يبادر الشمس بالطلوع كله بجعلها المغيب
وقيل لتمامه ويناسب هذه المعجزة رد الشمس له صلى الله عليه وسلم بعدما غابت حقيقة لما
نام صلى الله عليه وسلم ورأسه فى حجر على بالصهباء قرب خيبر حتى غابت ولم يمكنه ايقاظه
لاحتمال انه كان يوحى اليه فلما استيقظ سأله أصليت العصر قال لا فدعا الله ان يردها
عليه لانه كان فى طاعة الله ورسوله فردت ليصلى العصر اداء كرامة له صلى الله عليه وسلم
وهذا الحديث اختلف فى صحته جماعة بل جزم بعضهم بوضعه وصححه آخرون وهو الحق
وقولها صلى الله عليه وسلم فى الرواية الصحيحة فرأيت الشمس بعدما غربت حتى وقعت على الجبال وعلى
الارض وقام على فتوضأ وصلى العصر ثم غابت يرد زعم انها وقفت ولم ترد وزعم ان حركتها
انما ابطأت فقط وفى رد واحد منهما حسن أمره صلى الله عليه وسلم الشمس فتأخرت ساعة
من نهار وزعم انها ردت عليه بعد الاسراء لما أخبرهم بعيرهم ولا يعارض ذلك كله الحديث
الصحيح لم تحبس الشمس على أحد الا ليوشع بن نون حين قاتل الجبارين يوم الجمعة فلما ان
ادبرت خاف ان تغيب قبل ان يفرغ منهم ويدخل السبت فلا يحل له قتالهم فيه فدعا الله
فردها عليه الشمس حتى فرغ من قتالهم وذلك لان المراد على أحد غيرى بل على ان كثيرين
أو الاكثرين من الاصوليين ان المتكلم لا يدخل فى عموم كلامه وروى حبسها يوم الخندق
حين شغل عن صلاة العصر وذكر البغوى فى تفسير ردها على انها حبست لسليمان صلى
الله عليه وسلم وردبان المراد الصافنات لانها المذكور قبل دون الشمس وبين شق وشق
الجناس التام وهو ان يتفق اللفظان صورة وعددا وهيئة ومنه قوله تعالى ويوم تقوم
الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة واعترض بان الساعة فى الموضعين بمعنى واحد
وشرطه اختلاف المعنى وأن لا يكون أحدهما حقيقة والآخر مجازا بل حقيقتين
وزمان الساعة وان طال لكنه عند الله فى حكم الساعة الواحدة فاطلاق الساعة على
القيامة مجاز وعلى الآخر حقيقة وذلك يخرج الكلام عن التجنيس كما لو قلت ركبت
حمارا ولقيت حمارا يعنى بليدا اه فاذا علمت هذا يأتى هنا لان الشق فى الموضعين بمعنى
واحد وبتسليم الاختلاف فهو فى أحدهما حقيقة وفى الآخر مجاز قلت يمكن ان يقال
انه فيهما مختلف وحقيق اذ شق الاجرام الجمادية غير شق الاجرام الحيوانية فمن حيث
الصورة والآلة وأيضا فشق القمر شق جرمه كله وشق الصدر ازالة غشائه لا غير وكفى
بهذا الاختلاف تم التبادر من كل منهما الحقيق كما لا يخفى قيل ليس فى القرآن من
الجناس التام غير هذه الآية واستدرك عليه شيخ الاسلام ابن حجر بآية يكاد سنا برقه
يذهب بالابصار يقلب الله الليل والنهار ان فى ذلك لعبرة لاولى الابصار فانه استعمل
الابصار أولا بمعنى العيون وثانيا بمعنى البصائر وقد ينظر فيه بان استعمال الابصار
فى البصائر مجازى وقد تقرر انه لا يكفى وقد يجاب بادعاء أنه حقيقة عرفية وعلى كل

فاقول

(قوله وقيل لتمامه) اى انما سمى بدرا لتمامه (قوله ردت عليه) الذى مر انها وقفت عن المغيب حتى دخل العير فالمراد بقوله ردت عليه حبست عليه اى لاجله عن المغيب لا انها غابت ثم ردت تأمل (قوله ابن نون) قال أبو حيان فى النهر يوشع بن نون ابن أفرائيم بن يوسف وهو ابن أخت موسى ولما مات موسى وهرون نبأ الله يوشع بعد كمال أربعين سنة فصدقه بنو اسرائيل وأخبرهم بان الله أمرهم بقتال الجبارين فبايعوه وسار بهم الى اريحا وقتل الجبارين وأخرجهم وصار الشام كله لبنى اسرائيل وفى تلك الحرب وقفت له الشمس (قوله فردها عليه) اى ردها عن المغيب اى أمسكها لا انها غابت ثم ردها كما لا يخفى (قوله وذلك لان المراد) أو قال ذلك قبل ان تحبس له عليه الصلاة والسلام (قوله قلت يمكن الخ) فيه نظر اذ مثل هذا لا يكفى فى تحقق التجنيس مع اتحاد معنى أصل الشق والا لكان كل لفظ باعتبار موارد استعماله جناسا ولا قائل به ثم رأيته أشار لذلك آخرا فتأمله طبلاوى

فاقول فى القرآن آية أخرى أظهر من تينك وهى يلوون ألسنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب فالاول ما كتبوه بايديهم المذكور فى فويل للذين يكتبون الكتاب بايديهم والثانى التوراة والانجيل والثالث الجنس الشامل لكتب الله كلها اى ما هو شئ من كتب الله فان قلت هذا أعم من الثانى فليس مغايرا له من كل وجه قلت بل يسمى مغايرا له حقيقة كما مر جوابه وعلى التنزل وان هذا التغاير لا يكفى هنا فيكفى التغاير بين اللفظين الاولين فيتحقق الجناس التام فيهما فان قلت لم لا يعدوا منه أن النفس بالنفس الخ قلت كأنه لكونه هنا مميزا يمنع قلم التجنيس وهو الباء الدالة على المقابلة فتأمله فان قلت لم اكتفوا فى التورية بكون أحدهما مجازا لا هنا قلت لوضوح الفرق اذ مبنى التورية على قصد المعنى البعيد والمجاز قد يكون كذلك ولا كذلك الجناس التام فلم يكتف فيه كون أحدهما مجازا ومن ثم أقر بعض المحققين اشتراط كونهما حقيقتين وعليه يحتمل ان يقال لا بد أن يكون له حقيقة فى الشرع أو فى العرف أو فى اللغة فلا يكفى كون أحدهما حقيقة شرعية والآخر حقيقة لغوية مثلا لأن هذين كالحقيقة والمجاز وقد تقرر انهما لا يكفيان ويحتمل ان يقال يكفى ذلك ويؤيده اطباقهم على ان الآية فيها الجناس التام مع ان حقيقة الساعة لغة أو عرفا أو شرعا شئ واحد وانما الاختلاف من حيث انها فى مطلق الزمن حقيقة لغوية وفى القيامة حقيقة شرعية وهذا الثانى أقرب ومما يؤيد الثانى اشتراط كونهما حقيقتين انه ما من لفظ غالبا أو دائما الا وله حقيقة ومجاز فلو قلنا بانه يكفى كون أحدهما مجازا لزم وجود التجنيس فى غالب الالفاظ او كلها وهو بعيد جدا ولك ان تأخذ من قولهم ليس فى القرآن جناس تام الا ما مر مع ما فيه من نحو النفس بالنفس الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا الحر بالحر ونحو ذلك أن شرط الجناس التام ان لا يكون فى اللفظ قرينة ظاهرة تدل على مغايرة معنى اللفظ المتحد وهو متجه لانه مع فهم التغاير ليس فيه تعمية أصلا ومبنى الجناس التام انما هو التعمية على السامع ما أمكن نظير التورية ولم أر لاحد من أهل البديع فى هذا المبحث ما يشفى فتأمله فان قلت ما ذكر فى شق من الاختلاف انما هو بالنظر لتعلق الشقين دون موضعهما وذلك لا يكفى قلت هذا وان كان ظاهر كلامهم الا انه لا يمنع من أن يلحق به اختلافهما من حيث المتعلق اذا تباينت به صورتهما (و) انما شق له القمر لانه شق عن صدره حتى أخرج قلبه ثم شق وطهر فجوزى على ذلك اذ (من شرط كل شرط) وقع فى البدن لغرض مقصود ان يكونه (جزاء) اى من بر من مرض أو غيره فكذا هنا لما وقع صلى الله عليه وسلم يشق قلبه المرة بعد المرة وما حصل له من المخوف والتألم جوزى على ذلك بمعجزة عظيم مشابه له فى الصورة وهو شق القمر الذى هو أظهر معجزاته وأبهر حاسد القرآن وفى كلامه الجناس التام بين شرط وشرط لانهما مختلفان معنى وحقيقة ولا يقدح فيه كون الاول حقيقة لغوية والثانى حقيقة عرفية على ان الاول يحتمل ان

(قوله قلت كأنه) لا حاجة لهذا اذ شرط التجنيس لم يوجد لعدم اختلاف المعنى الحقيقى فيهما فتأمله وبهذا يندفع قوله ولك ان تأخذ الخ كما سيأتى اه طبلاوى فيه نظر فان معنى النفس الاولى المقتص منها ومعنى النفس الثانية المقتص لها فهما متغايران وحينئذ فلا يندفع قوله ولك ان تأخذ الخ فتدبر (قوله قلت هنا وان كان) الى آخر ما قدمه فى توجيه عدم الاكتفاء بكون أحدهما مجازا وانه مبنى على التعمية يمنع هنا أو يبعده جدا وكلام ائمة الفن مصرح بخلافه فتأمله طبلاوى (قوله حقيقة عرفية) لعل الظاهر لغوية

يكون بمعنى العلامة فيكون مع كون الثانى بمعنى الجرح كل منهما حقيقة لغوية بجناء
الجنيس التام اتفاقا او بفرض ان أحدهما مجاز يكون فيه التورية أو حقيقة أيضا
ولكنه أبعد فهمهما من اللفظ يكون فيه الجناس التام والتورية ومر الكلام فيها
مستوفى اذ الشرط المراد به فى الاول ما علق بحصوله حصول شئ آخر يسمى جزاء وفى
الثانى شق الجلد والجزاء فيه تورية أيضا اذ هو يطلق على الجزاء الصورى والجزاء
العرفى وهو المجازاة على صنيع وقع منه ومن جزيته وجازيته بما صنع جزاء ومجازاة
(و) من معجزاته صلى الله عليه وسلم أيضا انه فى غزوة بدر وغزوة حنين (رمى) اعداءه
(بالحصى فاقصد) اى أصاب فاهلك فى القاموس اقصد السهم أصاب فقتل مكانه اه
(جيشا) عظيما كانوا تألبوا عليه حتى ظن ظان انهم لا يبقون أحدا من المسلمين وبيان
ذلك انه لما التقى الجمعان يوم بدر تناول صلى الله عليه وسلم كفا من الحصى فرمى به فى
وجوههم وقال شاهت الوجوه اى قبحت وانهزمت قريش مشركو مع كثرتهم وقلة ذلك
الحصى الا دخل فى عينيه ومنخريه منهم شئ فانهزموا واقتل الله من قتل من صناديد قريش
واسر من اسر من اشرافهم قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم فى قوله تعالى وما رميت اذ رميت
ولكن الله رمى قال هذا يوم بدر أخذ صلى الله عليه وسلم ثلاث حصيات فرمى بحصاة فى ميمنة
القوم وبحصاة فى ميسرة القوم وبحصاة بين اظهرهم وقال شاهت الوجوه فانهزموا
وكذلك روى غير واحد انها نزلت فى رميه يوم بدر وان كان ورد فى غيره ولاهل الجبر فى
هذه الآية تعلق لا بأس بذكره ثم رده قالوا فيها سلب فعل النبى صلى الله عليه وسلم عنه
واضافته الى ربه وهو عين الجبر وابطال نسبة افعال العباد اليهم وليس كما زعموا والا
لزمهم ان لا تكليف ولا عقاب وسر ما فى الآية ان تلك الرمية من البشر لما لم تبلغ هذا
المبلغ كان منه صلى الله عليه وسلم مبدؤها وهو الحذف ومن الرب تعالى نهايتها وهو
الايصال فاضاف اليه رمى الحذف الذى هو مبدؤه ونفى عنه رمى الايصال الذى هو نهايته
ونظيره هذا ما فى الآية نفسها فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم فاخبر تعالى انه المنفرد بالتأثير
وان غيره ليس منه الا الاسباب فظهر للناس قيل ورماهم بالحصى يوم الاحزاب وفيه نظر
وانما الذى نقل انه صلى الله عليه وسلم لما بلغت القلوب الحناجر دعا عليهم فقال اللهم منزل
الكتاب سريع الحساب اهزم الاحزاب اللهم اهزمهم وزلزلهم فارسل الله تعالى
عليهم الريح فرمتهم بالحصى وسفت عليهم التراب وقلعت أوتاد خباءهم فسقطت عليهم
وكفأت قدورهم وسمعوا فى ارجاء معسكرهم التكبير وقعقعة السلاح فارتحلوا آيسين
خائبين ومن ثم أخبر صلى الله عليه وسلم انهم لا يغزونه بعد اليوم فكان كذلك ولما التقى
الجمعان يوم حنين استقبل المسلمين من هوازن ما لم يروا مثله فى السواد والكثرة فحملوا حملة
واحدة فانهزم المسلمون ولم يبق معه صلى الله عليه وسلم وثبت الا اناس قليلون من أهل
بيته العباس وابى سفيان بن الحرث وعلى والفضل وأصحابه أبى بكر وعمر وآخرين قام

(قوله لما بلغت القلوب الخ) اى
رعبا لان الرئة تنتفخ من شدة
الروع فترتفع بارتفاعها الى رأس
الحنجرة وهى منتهى الحلقوم
مدخل الطعام والشراب اه
بيضاوى وعبارة الخازن وبلغت
القلوب الحناجر اى زالت عن
أماكنها حتى بلغت الحلقوم من
الفزع والحنجرة جوف الحلقوم
وهذا على التمثيل عبر به عن شدة
الخوف وقيل معناه انهم جبنوا
وسبيل الجبان اذا اشتد خوفه
ان تنتفخ رئته فاذا انتفخت
رئته رفعت القلب الى الحنجرة
(قوله فى ارجاء معسكرهم)
العسكر الجيش والموضع معسكر
بفتح الكاف (قوله وأصحابه)
اى غير أهل بيته والافمن تقدم
من أهل بيته أصحابه أيضا (قوله
وآخرين) اى متممين لبضعة
عشر اذ لم يبق معه الا هذا القدر

صلى الله عليه وسلم ان ينادى فى الناس ليرجعوا فلما سمعوا نداءه أقبلوا كأنهم الابل اذا
حنت على أولادها يقولون يا لبيك يا لبيك فاقتتلوا مع الكفار واشتد القتال حتى قال
صلى الله عليه وسلم حمى الوطيس وهو التنور يخبز فيه اى اشتد حر الحرب حتى اشبهت
التنور وحينئذ تناول صلى الله عليه وسلم حصيات من الارض ثم قال شاهت الوجوه
ورمى بها فى وجوه المشركين فما خلق الله منهم انسانا الا ملأ عينيه من تلك القبضة وفى
رواية لمسلم قبضة من تراب والجمع بينهما انه يحتمل انه رمى بكل مرة أو انها قبضة واحدة
لكنها مختلطة وقد رواه عند أحمد وغيره ان المسلمين لما ولوا قال صلى الله عليه وسلم أنا
عبد الله انا عبد الله ورسوله ثم اقتحم عن فرسه واخذ كفا من تراب فضرب به وجوههم
وقال شاهت الوجوه فما بقى منهم احد الا امتلأ عيناه وفمه ترابا ولاحمد والحاكم عن ابن
مسعود فحادت به بغلته فقلت ارتفع رفعك الله فقال ناولنى كفا من تراب فضرب
وجوههم وامتلأت أعينهم ترابا وجاء المهاجرون والانصار سيوفهم بايمانهم كأنها
الشهب فولى المشركون الادبار واذا علمت ما ترتب على رميه صلى الله عليه وسلم بالحصى
من تشتيت شملهم وافتراق جمعهم وهزيمتهم آن لك أن تقول لمن قال لك ان القاء موسى
لعصاه والسحرة لحبالهم وعصيهم يعادل الرمى بالحصى لا تقل ذلك (ما) استفهام انكارى
(العصى) التى القاها موسى على حبال سحرة فرعون وعصيهم حتى ابتلعت تلك (عنده)
اى الحصى المرمى (وما الالقاء) لتلك العصا على تلك الحبال والعصى التى فعلها سحرة
فرعون اى لا تقس معجزة نبينا صلى الله عليه وسلم فى القائه تلك الحصى بمعجزة موسى صلى
الله عليه وسلم فى القاء عصاه على ما ذكر لان معجزة نبينا صلى الله عليه وسلم أظهر وابهر اذ
القاء موسى لعصاه كى به القاء السحرة لحبالهم وعصيهم ومعجزة نبينا صلى الله عليه وسلم
لم تصادف شيأ قط ووصول تلك الحصيات القليلة الى جميع ذلك الجيش الذى هو الوف
مؤلفة حتى هزمهم عن آخرهم وشتت شملهم ابهر من قلب العصى حية وابتلاعها تلك
الحبال من حيث انها مع ذلك لم تقهر العدو ولا شتت شملهم بل زاد بعدها طغيانهم
وعتوهم على موسى وقومه وجانس بين الحصى والعصى وتضمن بين رمى والالقاء
(تنبيه) اكثر معجزات بنى اسرائيل كانت حسية لبلادتهم وعمى بصائرهم وأكثر
معجزات هذه الامة عقلية لفرط ذكائهم وكمال افهامهم ولان هذه الشريعة لما كانت
باقية على صفحات الدهر الى يوم القيامة خصت بالمعجزات العقلية الباقية ليراها ذو
والبصائر كما قال صلى الله عليه وسلم فى حديث البخارى ما من الانبياء نبى الا أعطى ما مثله
آمن عليه البشر وانما كان الذى اوتيته وحيا اوحاه الله الى وانا ارجو ان أكون
اكثرهم تبعا وفى معناه قولان غير متنافيين اذ يرجع حاصلهما الى أن المراد ان معجزات
الانبياء انقرضت بانقراض اعصارهم مع كونها حسية تشاهد بالابصار كعصى موسى
وناقة صالح فلم يشاهدها الا من حضرها ومعجزات القرآن تشاهد بالبصيرة وتستمر الى

(قوله انه رمى بكل مرة) يؤيد
ذلك رواية ابن مسعود الآتية
فانها تفيد انه ناوله رسول الله
صلى الله عليه وسلم وهو راكب
وصرح فيها بالتراب وانه ضرب
به وغير رواية انه تناول الحصى
أو التراب بيده من الارض وذلك
ظاهر فى انه رمى بالحصى مرة
وبالتراب مرة وكونه أخذ بيده
من الارض كفا من الحصى ثم
ركب وأخذ بمناولة ابن مسعود
كفا من تراب ورمى بهما جميعا
بعيد تأمل (قوله ثم اقتحم الخ)
اى رمى بنفسه قال فى القاموس
قحم فى الامر كنصر قحوما رمى
بنفسه فجأة بلا روية وقحمه
تقحيما واقحمه فانقحم واقتحم
(قوله عن فرسه) سيأتى عن ابن
مسعود فحادت به بغلته اى
مالت به (قوله وجانس) اى أتى
بالجناس المضارع لتقارب مخرجى
الحاء والعين

القيامة لايمر عصر الا ويظهر فيه شيء أخبر بانه سيكون فكان من يتبعه لاجلها أ كثر اذ
ما يدرك بالعقل يشاهده كل من جاء بعد الاول (و) من معجزاته أيضا انه (دعا للانام) من
تفسير ملكن المراد به هنا غيره ثم اذ هم هنا اهل المدينة ومن ضاهاهم (اذ) اى وقت او
لاجل ان (دهمتهم) اى غشيتهم (سنة من) اجل (محولها) متعلق بما بعده اى شدة جدبها
وقحطها (شهباء) اى لاخضرة فيها ولا مطر والسنة من الجدب والمحل وتطلق على الزمن
المخصوص فعلى الاول شهباء تأكيد وعلى الثانى تأسيس وسبب دعائه ما فى الصحيحين ان
الناس أصابتهم سنة على عهده صلى الله عليه وسلم فقام اعرابى وهو صلى الله عليه وسلم
يخطب يوم الجمعة فقال يا رسول الله هلك المال وجاع العيال فادع الله لنا فرفع يديه وليس فى
السماء قطعة سحاب فما وضعهما حتى صار السحاب امثال الجبال ثم لم ينزل حتى أصابه المطر
واستمر الى الجمعة الاخرى فقام ذلك الاعرابى أو غيره فقال يا رسول الله تهدم البناء وغرق
المال فادع الله لنا فرفع يديه فقال اللهم حوالينا ولا علينا فأقلعت السحابة وخرجوا
يمشون فى الشمس وسال الوادى قناة شهرا ولم يجئ احد من ناحية الا حدث بالجود وهو بفتح
الجيم المطر الواسع الغزير (ف) بسبب دعائه (استهلت بالغيث) اى صبت المطر بشدة
(سبعة أيام) كوامل لما علمت انه من خطبة الجمعة الى خطبة الجمعة الاخرى بالقاء الكسر
(عليهم سحابة) فاعل استهلت (وطفاء) اى مسترخية الجوانب لكثرة مائها حال كونها
(تتحرى) اى تتقصد تلك السحابة بمائها واسناد ذلك اليها مجاز كما فى جدارا يريد ان
ينقض الا ان يراد الملائكة الموكلون بها (مواضع الرعى) اى الكلا التى يرعى
(و) مواضع (السقى) التى يجتمع الماء فيها للشرب بمعنى البهائم وفى الرعى والسقى مراعاة
النظير والسقى والسقاء تجنيس شبه الاشتقاق (و) تتحرى أيضا (حيث العطاش) اى
مواضعهم التى (توفى) بالبناء للمفعول اى تعطى (السقاء) منهم فيها اى ان تلك السحابة
عمت جميع الاماكن بمائها حتى انها تتحرى الامكنة المعطشة التى تتفرق اسقية العطاش
فيها فيحتاجون الى الغدران للشرب منها وهذا الظهر وأولى مما سلكه الشارح كما يعرف
بتأملهما لا يقال مواضع السقى تشمل مواضع الشرب فلا يحتاج لقوله وحيث الخ
لانا نقول قرينة قرن السقى بالرعى تصرفه الى سقى البهائم فاحتاج فى افادة عمومها الى
التصريح بمواضع شربها للعطاش أيضا قال الشارح أيضا وفى قوله حيث العطاش الخ
اقتباس المثل وهو قولهم

خل سبيل من وهى سقاؤه * ومن هريق فى الفلا ماؤه

يضرب لمن لا يستقيم أمره فضرب به المثل هنا فى المحل والجدب اه ملخصا وفيه نظر لبعد
معنى المثل عما نحن فيه الا ان يكتفى بما تقرر بان مراد الناظم ما دلت عليه عبارته من ذلك
النص على عموم ذلك الغيث لجميع الاماكن (و) لما استمرت عليهم سبعة أيام وكادت ان
تهلكهم (أتى الناس) اليه صلى الله عليه وسلم وهو على المنبر كاليوم سألوه ان يدعو لهم

(قوله فادع الله لنا) فى رواية
يغيثنا قال فى المواهب يغيثنا بفتح
أوله يقال غاث الله البلاد يغيثها
اذا أرسل عليها المطر (قوله يريد
ان ينقض) عبارة البيضاوى
اى يدانى ان يسقط فاستعيرت
الارادة للمشارفة كما استعير لها
الهم والعزم قال

يريد الرمح صدر ابى براء
ويعدل عن دماء بنى عقيل

وقال

ان دهرا يلم شملى بجمل
لزمان يهم بالاحسان

وانقض انفعل من قضضته اذا
كسرته ومنه انقضاض الطير
والكوكب لهويه أو افعل من
النقض (قوله لتفرق السقاء) اى
لتقادمها (قوله السقاء) قال فى
الصحاح السقاء يكون للبن والماء
والجمع القليل اسقية واسقيات
والكثير أساق والوطب للبن
خاصة والقربة للماء والعكة بضم العين
وتشديد الكاف وعاء صغير من
جلد كل منهما للسمن والقربة
للماء

(يشتكون أذاها) اى تلك السحابة اى الماء النازل منها لقطعه السبل وتعطيله المعاش وتخريبه البيوت وذكر الناس مع ان الشاكي واحد لان عليه بهم فكان الكل شاكين بلسان الحال فلذا أسنده الى كلهم ونظيره قوله تعالى الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم اذ المراد بالناس الاول واحد كما هنا (ورخاء) اى سعة من المطر (يؤذى الانام غلاء) اى شدة عظيمة وأصله ارتفاع السعر المؤدى الى الشدة وبين اذاها ويؤذى جناس الاشتقاق والرخاء والغلاء جناس التضاد (ف) بسبب ان هذا الرخاء الذى هو المقصود منه حياة النفوس انتقل الى ضده وهو اهلاكها (دعا) صلى الله عليه وسلم ربه ان يكشف عنهم (فانجلى الغمام) اى السحاب عقب دعائه وخرجوا يمشون فى الشمس كما مر واذا تقرر هذا (فقل) أيها العالم بهذه الوقعة ما تشتت من الكلام الدال على التعجب او فتعجب (فى وصف غيث اقلاعه) اى انكشافه (استسقاء) اى ذو استسقاء على خلاف المتعارف اذ الاستسقاء غالبا انما يكون لطلب وجوده لا لطلب رفعه وبهذا يندفع قول الشارح الاحسن ان الاستسقاء بمعنى السقى لانه يلزمه فوات هذه النكتة التى هى سبب التعجب (ثم) بعد ذلك الغيث الواسع النافع ببركة دعائه صلى الله عليه وسلم (اثرى الثرى) اى كثر المطر الواقع عليه حتى كثرت فوائد التراب لكثرة انباته الزرع والثمار المؤدية الى كثرة الاموال من أثرى الرجل كثر ماله (ف) بسبب هذه الكثرة (قرت) اى فرحت واطمأنت من أقر الله عينه اى اعطاه حتى لا تطمح عينه الى من هو فوقه (عيون) لاهل المدينة بسبب ما زال عنهم من الكرب وحصل لهم من الخصب (و) بسبب عمارة (قراها) اى العيون اى المدينة وبلادها بتلك الفوائد الكثيرة بعد خرابها (وأحييت) بعد ما حصل لها من الجدب والشدة تمامها كلوقى من احياء الله حيى بالفك وحى بالادغام وهو الاكثر (احياء) جمع حى اى قبائل العرب بواسطة احياء نفوسهم ومواشيها وفيه تجنيس الاشتقاق فى أثرى الثرى وقرت قراها وأحييت احياء (فترى) أنت لو شاهدت تلك الواقعة (الارض غبه) اى عقب ذلك الغيث المتوقف منه ما يدهش الابصار من النبات والزهور (كسماء) حال ان جعلت رأى بصرية وهو الظاهر أو مفعول ثان ان جعلت علمية (أشرقت) اى ذالت عنها (من) أجل (نجومها الظلماء) ففيه تجوز اذ الاشراق انما يستعمل فى النور ووجه الشبه ما حصل للارض باصابة الغيث والسماء من النجوم من زوال ظلمتها الحقيقية فى السماء والمجازية فى الارض وبين الارض والسماء والاشراق والظلمة الطباق وتراها أيضا (تخجل) اى تحير وتدهش (الدر) اى اللؤلؤ (واليواقيت) وهى فارسى معرب واسناد الخجل اليها مجاز أو هو على حذف مضاف اى أهلهما بمعنى ان من بايديهم تلك الجواهر يشاهدونها ليلا ونهارا لا يملكون نفوسهم عن رؤية تلك الازهار الغريبة والاعشاب العجيبة (من نور) بفتح النون اى زهر وهو بيان للفاعل تخجل الآتى (رباها) بضم الراء الطالع المرتفعة منها وخصت لان ما بها

(قوله الذين قال لهم الناس) المراد بالناس الاول فى الآية نعيم الاشجعى وحده والمراد بالناس الثانى أبو سفيان وأصحابه (قوله اى ذو استسقاء) وتقدير ذلك المضاف لا يوضح المراد وعبارة ابن عبد الحق اى اقلاعه كاستسقاء فى النفع فالاستسقاء هنا بمعنى الاسقاء اه والمعنى الواضح الذى يبين به المتن ان يقال ان اقلاعه على حذف مضاف اى طلب اقلاعه وان استسقاء على حذف اداة التشبيه اى كاستسقاء أى طلب اقلاعه كطلب السقيا فى ترتب دفع الضرر على كل تأمل (قوله غالبا) وقد يكون لطلب زيادة بها نفع وقد يكون لطلب عذوبة الماء بعد ملوحته (قوله وفيه تجنيس الاشتقاق) الظاهر انه شبه اشتقاق لان أحد اللفظين وهو الثانى فى المواضع الثلاثة ليس مشتقا ولا مبدأ اشتقاق تأمل (قوله تجوز) اى على طريق الاستعارة التصريحية التبعية حيث شبه ازالة الظلام باشراق الضوء بجامع ترتب النفع بالابصار (قوله انما يستعمل) اى لان أشرق معناه اضاء

النضر وابهى من بقيتها (البيضاء) راجع الدر (والحمراء) راجع اليواقيت اى يحجل نورها الابيض الدر ونورها الاحمر اليواقيت ففيه اللف والنشر المرتب ومراعاة النظير بذكر المعدنين والتقابل بذكر الضدين ويسمى التدبيج لانه الوان وما تقرر ان الناظم انما أراد القصة المذكورة التى كانت بالمدينة وصحت بها الاحاديث هو الظاهر ويجوز ان يريد أيضا ما وقع بمكة على ما ورد ان قريشا لما ابطؤا عن الاسلام ودعا عليهم صلى الله عليه وسلم بالقحط فأخذتهم سنة حتى هلكوا فيها وأكلوا الميتة والعظام جاءه أبو سفيان فقال له يا محمد جئت تأمر بصلة الرحم وان قومك هلكوا فادع الله فدعا فسقوا الغيث فاطبقت عليهم سبعا فشكا الناس كثرة المطر فسأل الله تعالى رفعه ولما ذكر من صفاته صلى الله عليه وسلم الباهرة ما يشوق كل سامع لشئ منها الى رؤيته ووجهه الكريم تمنى ذلك فقال (ليته) هى لتمنى ما لا طمع فى حصوله أو ما فيه عسر (خصنى برؤية وجه) اى ليتنى أدركت زمنه لا كون من أصحابه اذ هم أفضل من جميع من جاء من بعدهم عند الاكثرين وذهب ابن عبد البر الى انه يمكن ان يكون فيمن بعدهم من هو أفضل من بعضهم للخبر الحسن بل قيل انه يرتقى الى درجة الصحة مثل أمتى مثل المطر لا يدرى آخره خير أم أوله والخبر الحسن أيضا ليدركن المسيح أقواما انهم لمثلكم أو خير ثلاثا وفى حديث أبى داود والترمذى يأتى أيام للعامل فيهن أجر خمسين قيل منهم أو منا قال منكم ويجاب عن الاول باحتمال انه قبل ان يعلم أفضلية أصحابه فلما علمها صرح بها بقوله لو انفق أحد كم مثل الارض ذهبا لم يبلغ مد أحدهم ولا نصيفه وبقوله خير القرون قرنى وعن الثانى بان أو فيه تحتمل ذلك أيضا وعن الثالث بانهم صرحوا بان مجرد زيادة الثواب لا تقتضى الافضلية على ان فضيلة الصحبة لا يعادلها عمل ومن ثم لما سئل ابن المبارك عن عمر بن عبد العزيز ومعاوية رضى الله عنهما أيهما أفضل قال الغبار الذى دخل فى أنف فرس معاوية مع رسول الله صلى الله عليه وسلم خير من مائة مثل عمر بن عبد العزيز وأشار بعضهم الى ان محل الخلاف فى صحابى لم يحصل له الا مجرد الرؤية وأما من زاد على ذلك بنصر رواية أو غزو فلا نزاع فيه أو ليتنى أراه فى الموقف وعلى الحوض وفى الجنة شافعا نافعا أو ليتنى أراه فى النوم رؤية تدل على اعتنائه بى لاخباره صلى الله عليه وسلم فى الاحاديث الصحيحة بان من رآه فيه رآه حقا وان الشيطان لا يتمثل بصورته صلى الله عليه وسلم ولا يتشبه بها وان من رآه فيه فقد رآه فى اليقظة اى كانه رآه فى اليقظة لما تقرر ان الشيطان لا يتشبه به صلى الله عليه وسلم فهو وان تمكن من التصور باى صورة أراد لم يمكن من التصور بصورته صلى الله عليه وسلم مطلقا وقال جمع انه رؤى بصورته التى كان عليها وقال بعضهم ان رؤى بصفته التى قبض عليها حتى عدد شيبه وصح هذا عن ابن سيرين وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ما يفهمه وفى حديث ضعيف انه أرى فى كل صورة وصحح النووى وغيره انه يرى حقيقة ولو على غير صفته قال ابن العربى وغيره لكن

(قوله فسقوا الغيث) بضم السين والقاف على صيغة المجهول وأصله سقيوا استثقلت الضمة على الياء فنقلت لما قبلها بعد سلب حركتها فصار سقوا على وزن فعوا والغيث مفعول ثان لسقوا (قوله ما لا طمع فى حصوله) وذلك التفسير الاول من التفاسير الاربعة لقول الناظم ليتنى خصنى برؤية وجه وقوله أو ما فيه عسر وذلك ما بقى من التفاسير لان ذلك أمر متعسر باعتبار توقفه على تصفية النفوس من ظلمات الرعونات وتحليتها بانوار الطاعات فتأمل (قوله برؤية) هى والرؤيا بالف التأنيث قيل بمعنى والاظهر ان الاولى أعم لشمولها اليقظة والمنام واختصاص الثانية بالثانى ولما كانت رسالة تتعلق برؤية النبى صلى الله عليه وسلم سميناها بتبليغ المرام ببيان حقيقة رؤيته فى اليقظة والمنام فارجع اليها ان أردت

رؤيته على غير صفته مثال فرؤيته مقبلا أو بصورة حسنة كاملة تدل على خير وعكسه بعكسه وقال عياض في رواية مسلم من رآني فسيراني في اليقظة يحتمل ان المراد رؤيته صلى الله عليه وسلم على صفته موجبة لرؤيته صلى الله عليه وسلم في الآخرة على نوع مخصوص من قربه منه أو شفاعته له وفي هذا أقوال أخر كثيرة وقال الغزالي في رؤيته على صفته ليس المراد رؤية ذاته حقيقة بل مثال يحكيها على التحقيق كما في رؤية الله تعالى اذ لا صورة له ترى بل يعرف لها من نور أو غيره أو لتلق أرامه في يقظتى بناء على امكان ذلك وهو ما حكاه ابن أبي جمرة والبارزي واليافعي وغيرهم عن جماعة من التابعين ومن بعدهم انه رأوه في المنام فرأوه بعد ذلك في اليقظة وسألوه عن أشياء غيبية فاخبرهم بها فكانت كما أخبر قال ابن أبي جمرة وهذه من جملة كرامات الاولياء فيلزم منكرها الوقوع في ورطة انكار كراماتهم وفي منقذ الغزالي ان أرباب القلوب في يقظتهم قد يشاهدون الملائكة وأرواح الانبياء عليهم الصلاة والسلام ويسمعون منهم اصواتا ويقتبسون منهم فوائد وقال البدر حسن الاهدل وقوعها للاولياء متواترة باجناسها الاخبار وصار العلم بذلك قويا انتفى عنه الشك وما تواترت عليه أخبارهم لم يبق فيه شبهة ثم أخذ يبطل ذلك كله ويفسده ويعظم التنكير على مجوزه بلا حجة لمنفيه ومما يبطل جميع ما دندن به وجاوز فيه الحد ان من المعلوم انه صلى الله عليه وسلم حي في قبره وانه لا يراه في اليقظة الرؤية النافعة الاولى وانه لا يبعد ان من أكرم برؤيته صلى الله عليه وسلم ان يكرم بازالة الحجب بينه وبينه فهو صلى الله عليه وسلم مع كونه في قبره يراه الاولياء في اليقظة في قبره ويصادقونه وان بعدت ديارهم واختلفت مراتبهم في الحالة الواحدة ولا يلزم من وقوع ذلك لهم على سبيل الكرامة الباهرة انهم صحابة لان الصحبة انقطعت بموته صلى الله عليه وسلم واذا كان من رآه بعد موته وقبل دفنه غير صحابي فهؤلاء كذلك بالاولى فاندفع قول فتح الباري هذا مشكل جدا ولو حمل على ظاهره كانوا صحابة اه ومما يؤيد ان الناظم يحتمل انه أراد ذلك انه تلميذ القطب أبي العباس المرسي فهو الذي حلت عليه بركته حتى وصل الى النظم البالغ الذروة العليا والقطب المذكور وارث القطب الاكبر أبي الحسن الشاذلي وكل منهما حفظت عنه رؤية النبي صلى الله عليه وسلم يقظة بل قال أبو الحسن لو حجب عني النبي صلى الله عليه وسلم طرفة عين ما عددت نفسي مسلما والقطب علي ابن القطب محمد بن أبي الوفاء وهما من جملة المنتسبين الى القطب الشاذلي ومن ثم قالوا طريقتنا الوفائية خلاصة طريقة الشاذلية ممن حفظت عنه رؤية النبي صلى الله عليه وسلم يقظة مرارا الاسيما عند قبر والده بالقرافة كما هو مسطور في كراماته فيكون الناظم رحمه الله تعالى منتسبا لهؤلاء الواقعة لهم الرؤية يقظة فيقرب انه ماله في وقوع ذلك له كما وقع لهم ولقد كان شيخي وشيخ

(قوله من رآني فسيراني في اليقظة) وورد من رآني فقد رأى الحق اى الرؤيا الحق (قوله أراه في يقظتي) بان يرى ذاته الشريفة المتشكلة شكل جسده الشريف المنطلقة الانطلاق الكلي أو جسده الشريف فانه حي في قبره ولا مانع من اكرام الله بعض عبيده برفع الحجب بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم فيراه في قبره وان بعدت داره فليس المراد برؤيته يقظة انه يخرج من قبره بروحه وجسده ويمشي في الاسواق ويأتي لمكان الرائي ويخفى عمن لم يرد الله رؤيته كالملائكة وان نقله بعض شراح المعارج عن الجلال السيوطي للزوم خلو قبره عنه ولوجود رؤيته اثنين فاكثر له في آن واحد مع تباعدهما بان يكون أحدهما بمصر والآخر بالبصرة وانما المراد ان الحجب تزول خرقا للعادة بان تحصل تلك الحجب كالزجاج الذي يحكي ما وراءه فيراه أولياء الله بعين بصرهم مع كونه في قبره ويصادقونه ويسألونه عن أشياء ويجيبهم ويسمعون وان بعدت أماكنهم لانه حي في قبره أو بان روحه الشريفة تتشكل بصورته الكريمة وتجول في الملك والملكوت وتحضر عند الموعود برؤيتها فيراها عيانا كما يراها احيانا بعين بصيرته ويكون نورها وشعاعها عند جولانها متصلا بجسده المطهر في قبره الا ترى ان نور الشمس مثلا مشرق بالارض مع بعد المسافة فنور روحه أولى بذلك لانه اصل كل نور وورد ان اول ما يرفع رؤيته صلى الله عليه وسلم في المنام والقرآن والحجر الاسود كذا في الخصائص الصغرى للسيوطي

(قوله الوحى) نائب فاعل اى السريع قتله (قوله ما لم يحصل لغيره) بل قد وقع له ذلك الامداد لاسيما فيما يرجع الى منظومته فى المديح والحظ الوافر فى قبولها وانتشارها فى جميع أقطار الاسلام بحيث لم يحظ به لشئ من ذلك سابق ولا لاحق مع فصاحتهم وبلاغتهم التى لاتدانى كما أشار اليه الشارح أول الكتاب (قوله تهمى) اى الباء هنا اى من نحو ليته يخصنى برؤيته وبحدا خلة على الاول اى المقصور على كل من الثالث والرابع وهما قوله أوليتنى أراه فى النوم برؤية تدل على اعتنائه بى الخ أوليتنى أراه فى يقظتى الخ غير ظاهر بل الظاهر دخولها على المقصور عليه ويكون من قصر الموصوف على الصفة قصرا اضافيا والمعنى ليتنى مقصور على ماذكر لا أتجاوزه الى رؤية لاتدل على الاعتناء بى على الاول كرؤيته مدبرا عنى أو لا أتجاوزه الى رؤية نومية على الثانى وأما على ماقاله العلامة الشارح فيكون المعنى لايتجاوزنى ماذكر الى غيرى من افراد الموصوف اذهو على ماقال من قصر الصفة على الموصوف ومعناه ان الصفة لاتجاوز ذلك الموصوف الى موصوف آخر لانها لاتجاوزه الى اتصافه بصفة أخرى كما قرر علماء البيان نعم على ماقرره سابقا فى صدر التنبيه من قوله اى ليته يخصنى الخ يصح انه من قصر الصفة على الموصوف لانه جعل الصفة لاتجاوزه الى موصوف آخر وان كان فيه بعد تكلف عنه بقوله ولا نظر الى كونه الى آخره وكذا يقال فى الرابع فافهم وقوله وعلى الاولين اى ليتنى أدركت زمنه ورؤيته مع الاجتماع المتعارف لاكون من أصحابه أوليتنى أراه فى الموقف وعلى الحوض الخ يخصنى فيهما بمعنى اعطانى ظاهره ان المعنى فيهما لايصح ان يكون على الحصر وهو غير ظاهر بل يصح ان يكون ماذكر من قصر الموصوف على الصفة كالاولين والمعنى ليتنى مقصور على الكون من أصحابه أو على رؤيته فى الموقف الخ لا أتجاوزه الى التأخر عن زمنه فى الاول أو على رؤيته رؤية نازلة عن هذه الرؤية على الثانى اه (قوله والماضى قد يستعمل) هذا بالنسبة لماعدا الاول وأما بالنسبة اليه فالماضى على حقيقته تأمل لكن كلام الشارح سابقا متدافع فى الثالث حيث قال أولا أوليتنى أراه فى النوم فعبر بأراه وقال ثانيا ومن الثالث قريب الى ان قال اى ليته يخصنى فيما مضى

فزال

والدى الشمس محمد بن أبى الحمائل يرى النبى صلى الله عليه وسلم يقظة كثيرا حتى يقع له انه يسئل فى الشئ فيقول حتى أعرضه على النبى صلى الله عليه وسلم ثم يدخل راسه فى جيب قميصه ثم يقول قال النبى صلى الله عليه وسلم فيه كذا فيكون كما أخبر لايختلف ذلك أبدا فاحذر من انكار ذلك فانه السم الوحى * (تنبيه) ماذكر من مناسبة الاول والثانى بعيد اذ لايناسبه لفظ يخص بل ولا معناه لان الذى تمنى رؤيته فى حياته ليكون من أصحابه أو فى الموقف او فى الجنة وكل مسلم تمنى ذلك فالتمنى أمر عام لاخصوصية فيه ومن الثالث قريب يناسبه لفظ يخص ومعناه اى ليته يخص فيما مضى برؤيتى له فى النوم الرؤية السابقة فالمعنى فيه صحيح وكذا الخصوصية لان مرائى الناس له فى النوم متعددة الانواع والدلالات فلا بدع ان تمنى وقوع رؤية تخصه دون غيره باعتبار ماتدل عليه من المنة والامداد وغيرهما ولا نظر الى كونه مفضولا بالنسبة لأكثر الاولياء والعلماء لان ذلك لايمنع انه يحصل له من ذلك الجناب من نوع امداد ولطف مالم يحصل لغيره ومن المعنى الرابع قريب أيضا لكن على القول بوقوعه وحينئذ يتبين ان أحسن هذه الاحتمالات التى لانزاع فيه هو الثالث * (تنبيه آخر) * من المقرر عند المحققين ان الباء فى حيز الاختصاص وما اشتق منه يجوز دخولها على المقصور والمقصور عليه فهى هنا داخلة على الاول على كل من الثالث والرابع وأما على الاولين فخص فيهما بمعنى أعطانى والماضى قد يستعمل مرادا به الاستقبال أيضا * (تنبيه آخر) * ما تقرر من ان خص وما اشتق منه يفيد الحصر وانه يفيد فى خوخصه بكذا قصره عليه قصر قلب تارة وافراد أخرى هو المشهور وأيضا خلافا لمن فرق بين الاختصاص والحصر وفى القاموس خصه بالشئ خصا وخصوصا وخصوصية وقد يفتح وخصيصا وعد وخصية وتخصه وخصه فضله بالود كذلك ثم قال والتخصيص ضد التعميم اه ولا يتوهم منه أن الاختصاص غير الحصر لانه لايحى فضله الا ان حصر فيه ويؤيده قوله والتخصيص ضد التعميم الصريح فى ان التخصيص قصر العام على بعض افراده فتأمل ذلك كله فانه نفيس (زال) اى تحول

فزال هنا تامة لا ناقصة (عن كل من رآه) مؤمنا في حياته أو بعد موته في يقظة الرائي لان
ذلك لا يقع الا لاكابر الاولياء أو في النوم على صفته التي كان عليها صلى الله عليه وسلم لما
مر ان ذلك يدل على الخير ورؤيته المخصوصة في الآخرة (الشقاء) اى بجميع أنواعه لان
الصحابة رضى الله عنهم كلهم عدول كما يشهد لهم بذلك الكتاب والسنة فهم أصحابي كالنجوم
بأيهم اقتديتم اهتديتم وما وقع لبعضهم على الفرض فذلك تداركه الله فيه برحمته فوفقه
للتنصل من وصمته وجعله ممن أحبته ببركة شمول نظر نبيه صلى الله عليه وسلم ولما
ذكر ذلك الوجه الكريم وزوال الشقاء عن كل من رآه أتبعه بذكر صفات وخصوصيات
له صلى الله عليه وسلم ذاكرا مع كل ما يناسبه كما هو شأن البلغاء فقال (مسفر) ذلك الوجه
حسنا فهو صفة ثانية للوجه اى مشرق نوره الذى يكاد ان يخطف الابصار (يلتق) ذلك
الوجه أيضا (الكتيبة) اى الجيش بالمثلثة أو المثناة من تكتبت بنو فلان اذا اجتمعوا حال
كونه (بساما) اى متبسما يفتر عن مثل سنا البرق أو عن مثل حب الغمام (اذا أسهم) اى
غيره من سهم فتح عينه أو ضمها وجهه اذا احمر وتغير (الوجوه القتاه) العدو فهو صلى الله
عليه وسلم في الحالات التى فيها يزعج غيره ويضطرب ويتغير وجهه على غاية من الطمأنينة
والثبات والتبسم لعظيم ما آتاه الله سبحانه وتعالى من الشجاعة التى لم يصل غيره الى
أدناها وقد صح كما مر عن أنس انه صلى الله عليه وسلم كان أشجع الناس وانه سمع صياحا
بالمدينة ليلا فخرج صلى الله عليه وسلم الى ان بعد فلم ير شيأ فلما رجع رأى الناس خارجين
فقال صلى الله عليه وسلم لن تراعوا اى روعا عن حقيقة أنا ما من شئ وصح انه صلى الله
عليه وسلم صرع ركانة مرات ولم يصرع قط فقال له متعجبا منه ان شأنك لعجيب وصرع
آخر بلغ من شدته انه كان يقف على جلد البقرة ويتجاذب أطرافه عشرة ليتنزعوه من
تحت قدميه فيتفرى الجلد ولم يتزحزح عنه وصح انه صلى الله عليه وسلم في غزوة حنين
لما تفرق عنه أصحابه ولم يبق معه الا بضعة عشر ثبت على بغلته مع انها لا تصلح لكر ولا فر
وهو صلى الله عليه وسلم يركضها الى وجه العدو وينوه باسمه ليعرفه من لا يعرفه قائلا
أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب ولا شجاعة وراء ذلك ثم قال الصحابة رضى
الله عنهم كنا اذا حمى الوطيس اى اشتد البأس اتقينا برسول الله صلى الله عليه وسلم اى
جعلناه أمامنا واستقبلنا العدو به صلى الله عليه وسلم وقمنا خلفه وذهب بعض المالكية
الى ان من قال ان النبي صلى الله عليه وسلم هزم يستتاب فان تاب والا قتل لانه تنقيصه
اذ لا يجوز ذلك عليه في خاصة نفسه لعلمه بان الله تعالى ناصره وحافظه واعترضه بعض
المالكية بما حاصله انه حيث كان ذلك تنقيصا لم يستتب ولم يقبل له توبة . اه وقياس
مذهبنا خلافا لمن أخطأ فيه انه ان نوى بذلك تنقيصه صلى الله عليه وسلم كفر والا فلا
ولذا قلنا بكفره فذهب بعض أئمتنا الى انه لا تقبل توبته وحكى فيه الاجماع والمعتمد
قبولها منه (جعلت مسجدا له) اى لذلك الوجه الكريم ولامته بطريق التبع له

(قوله على صفته التى كان عليها)
واما من رآه لا على تلك الصفة
ككونه اسود فان ذلك لا يدل
على زوال جميع أنواع الشقاء
عنه بل يدل على نقصه فتأمل
(قوله لان الصحابة) تعليل قاصر
على من رآه مؤمنا في حياته صلى
الله عليه وسلم اذ هو الذى ثبتت
له الصحبة فلا يشمل من رآه بعد
موته في يقظة الرائي أو نومه على
الصفة التى كان عليها مع حكم
الشارح عليهما بأنهما كالاول
تأمل (قوله يفتر) اى يضحك
(قوله اى روعا الخ) أو المراد
روعا مستقرا أو روعا يضركم
(قوله صرع ركانة) بضم الراء
أسلم يوم الفتح ومات بالمدينة (قوله
وصرع آخر) هو أبو الاسود
الجمحي قيل وصارع أبا جهل
ولكنه لم يصح (قوله جعلت
مسجدا الخ) مناسبته لما قبله في
خلال التكلم على صفات وجهه
الشريف تعلق السجود على
الارض به اذ هو جزء من اجزائه

(الارض) كلها كما أخبر بذلك صلى الله عليه وسلم فى الاحاديث الصحيحة حيث قال أعطيت خمسا لم يعطهن أحد من الانبياء قبلى نصرت بالرعب مسيرة شهر وجعلت لى الارض مسجدا وطهورا فأيما رجل من أمتى أدركته الصلاة فليصل الحديث والمراد بقوله مسجدا موضع سجود اى ان السجود لا يختص بموضع منها دون غيره قيل ويمكن ان يكون مجازا عن المكان المبنى للصلاة وهو من مجاز التشبيه لانه لما جازت الصلاة فى جميعها كانت كالمسجد فى ذلك وقيل المراد جعلت لى الارض مسجدا وطهورا ولغيرى مسجدا لا طهورا لان عيسى صلى الله على نبينا وعليه وسلم كان يسيح فيها ويصلى حيث أدركته الصلاة وقيل ان المراد ان الصلاة لم تبح الا فى محل يتيقنون طهارته بخلاف هذه الامة ابيحت لها فى كل أرض الا ما يتيقنون نجاسته والاصح الاول وهو انها لم تبح لمن قبلنا الا فى أماكن مخصوصة كالبيع والكنائس والصوامع للخبر المصرح بذلك وكان من قبلى انما يصلون فى كنائسهم وفى رواية ولم يكن أحد من الانبياء يصلى حتى يبلغ محرابه وبهذين يرد الاحتجاج بقصة عيسى المذكورة بمنع ما ذكر فيها الا لا هذين على خلافه وبفرض صحته فهو لا ينافى الخصوصية لانها ثابتة لنبينا صلى الله عليه وسلم وأمته بخلاف عيسى صلى الله عليه وسلم (ف) بسبب هذا الجعل (اهتز) اى تحرك طربا وفرحا (به) صلى الله عليه وسلم (الصلاة) اى لاجلها (فيها) اى الارض (حراء) بالكسر والمد ويجوز قصره وصرفه وعدمه باعتبار المكان والبقعة كسائر أسماء الامكنة وهو الجبل الذى كان صلى الله عليه وسلم يتعبد فيه قبل النبوة وهو مشهور ودليل ذلك انه صلى الله عليه وسلم كان على حراء هو وأبو بكر وعثمان وعلى وطلحة والزبير فتحركت الصخرة فقال صلى الله عليه وسلم اسكن حراء فما عليك الا نبى أو صديق أو شهيد وفى رواية وسعد بن أبى وقاص ولم يذكر عليا أخرجهما مسلم وخرجهما الترمذى وذكر انه كان عليه العشرة الا أبا عبيدة وقال صلى الله عليه وسلم اثبت حراء وفى رواية احدا أحراء ورواه البخارى فى أحد بلفظ انه كان معه أبو بكر وعمر وعثمان فرجف بهم فضربه صلى الله عليه وسلم برجله وقال اثبت أحد فانما عليك نبى وصديق وشهيدان ورواه النسائى والترمذى فى ثبير وهو جبل مقابل لحراء انه صلى الله عليه وسلم كان عليه ومعه أبو بكر وعمر وعثمان فتحرك حتى تساقطت حجارته بالحضيض اى التى فى قراره وأسفله فركضه صلى الله عليه وسلم برجله وقال اسكن ثبير فانما عليك نبى وصديق وشهيدان وما أشار اليه الناظم تبعيرا بما اهتز من ان ذلك التحرك انما هو للطرب والفرح لا للغضب نقله شارح البخارى ابن التين فى أحد فقال قيل الحكمة فى ذلك انه لما رجف أراد صلى الله عليه وسلم ان يبين ان هذه الرجفة ليست من جنس رجفة الجبل بقوم موسى عليه الصلاة والسلام لما حرفوا الكلم وان تلك رجفة الغضب وهذه هزة الطرب ولهذا نص صلى الله عليه وسلم على مقام النبوة والصديقية والشهادة التى توجب سرور ما اتصلت به

(قوله الحديث) تمامه وأحلت لى الغنائم ولم تحل لاحد قبلى وأعطيت الشفاعة وكان النبى يبعث الى قومه خاصة وانى بعثت الى الناس عامة اه ق عن جابر (قوله يتيقنون طهارته) اى الامم السابقة (قوله كالبيع) جمع بيعة بالكسر متعبد النصارى اى الرئيس منهم كالراهب (قوله والكنائس) جمع كنيسة متعبد اليهود والنصارى أو الكفار (قوله والصوامع) جمع صومعة كجوهرة بيت النصارى (قوله يرد الاحتجاج بقصة عيسى الخ) وعليه فما الحكم اذا سافر واحد من قومه ولم يكن فى طريقه محل معد للصلاة ككنيسة فان كان فى شريعته سقوط الصلاة حينئذ فظاهر وكذا ان كان عدم صحة صلاتهم فى غير المعد مقيدا بالاقامة فليحرر (قوله أو شهيد) أو فيه وفيما قبله بمعنى الواو كما سبق والمراد بالشهيد الجنس فيصدق باكثر من واحد فلا يرد ان الشهداء على حراء أكثر من واحد تأمل (قوله العشرة) بزيادة طلحة وسعيد على من ذكر (قوله احدا أحراء) عبارة المختار هدأ أى سكن وبابه قطع وخضع واهدأه سكنه (قوله الحضيض) اى القرار من الارض عند منقطع الجبل اه جوهرى (قوله لما رجف) من باب نصر والرجفة الزلزلة والاضطراب الشديد

لا رجفانه فاقر الجبل بذلك فاستقر اه واستشكل ما ذكر بان الهز طربا وفرح العلم بمن فوقه وقوله اثبت الخ يقتضي ان تحركه لفرط السرور وحصل بانه علم من الاحاديث الصحيحة التى منها أحد جبل يحبنا ونحبه ان أحدا أودع عليه صلى الله عليه وسلم ومحبته وميلا اليه فاذا اهتز لاجل ذلك دل على نوع طيش وخفة فناسب ان يركضه صلى الله عليه وسلم برجله الكريمة وان يذكره بان مقام النبوة والصديقية والشهادة كل منها يقتضي الرزانة وعدم التحرك فلما علم الجبل ذلك سكن وخضع فكان ما نشأ أولا هزة الطرب وآخرا سكون الحياء والامتثال والادب ويحتمل انه ارتعد هيبة واجلالا له صلى الله عليه وسلم فأمره صلى الله عليه وسلم بترك ذلك الورود كرها بما عليه من المقامات الثلاث السابقة يقتضي هزة الجبال والقناة المنبئين عن غاية الفرح والسرور (قال الطبرى) وغيره واختلاف الروايات يحمل على انها قصص تكررت وهذا واضح لان كلا منها صحيح فلا وجه الا التعدد وايده شيخ الاسلام الحافظ العسقلاني بعدما ومحمد بان التى معه بحراء ازيد ممن معه باحد فان قلت ما وجه التعليل في قول الناظم لصلاته بها قلت كأنه يشير الى ان الله تعالى لما اطلع نبيه صلى الله عليه وسلم الارض وجعلها كلها مسجدا له صلى الله عليه وسلم وشرفها بصلاته فيها دخل في ذلك جبالها فاذا صعد بعضها كذلك الجبل وتلك الصلاة الذين حصل بهما للجبل كبقية الارض غاية الشرف فمقتضى تحرك اعلاما للامة بما حصل له مما يوجب السرور والطرب ثم رأيت بعضهم جعل ضمير فيها الجبل وجعل المراد بالصلاة صلاته صلى الله عليه وسلم فيما كان يختلى فيه قبل البعثة وهذا كلام ساقط لانه لم يعرف انه صلى الله عليه وسلم صلى قبل النبوة ولان الاهتزاز بعد النبوة بكثير لرواية ان العشرة الا واحدا كانوا معه (مظهر) ذلك الوجه الكريم (شجة الجبين) اى بجرح جبينه وهو المنحرف عن الجبهة فوق الصدغ وفي التعبير به مساعة وتجوز لما يأتي ان الذى شج جبينه وفى رواية وجنته صلى الله عليه وسلم والجبين غيرهما فالتعبير بالجبين من مجاز المجاورة (على البرء) اى فيه أو معه من برئ من المرض بالكسر برأ بالضم وبرأ برأ بالفتح فيهما وهذه الشجة كانت يوم أحد اخرج ابن هشام عن أبى سعيد الخدرى ان عتبة بن أبى وقاص أخا سعد بن أبى وقاص أول من رمى منهم في سبيل الله تعالى وكان صلى الله عليه وسلم ناوله السهام يوم أحد ويقول له ارم فداك أبى وأمى قال فلم يجمع أبويه لغيرى وكان يفتخر به ويقول هذا سعد خالى اى لانه زهرى فليرنى امرؤ خاله فشتان ما بين هذين الاخوين رمى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد فكسرت رباعيته اليمنى السفلى وجرحت شفته السفلى وان عبد الله بن شهاب الزهرى شجه في جبهته وان ابن أبى قمئة جرح وجنته فدخلت حلقتان من المغفر فيها ووقع صلى الله عليه وسلم في حفرة وفى رواية وهشموا البيضة على رأسه صلى الله عليه وسلم ورموه بالحجارة حتى رموه صلى الله عليه وسلم لشقه فى حفرة الحديث وروى الطبرانى وغيره ان عبد الله بن أبى

(قوله لا رجفانه) الرجفان بفتحتين الاضطراب (قوله فاقر الجبل بذلك) اى خلق الله فيه الاذعان لما نص عليه صلى الله عليه وسلم من المقامات الثلاثة المقتضية للادب والحياء لا الطيش فاستقر وثبت وقد أشار لذلك في جواب الاشكال (قوله ازيد ممن معه باحد) اى وممن معه بثبير (قوله الجبل) اى بتأويله بالقصة تأمل وعبارة المالكى من خصائصه صلى الله عليه وسلم ان جعلت له الارض مسجدا اى مكانا لصلاته وطهورا اى مكانا للتيمم ثم قال ومن جملة ذلك صلاته في جبل حراء وهو الجبل الذى كان يتعبد فيه قبل البعثة فانه اهتز اى تحرك فرحا وطربا لما كان على ظهره جماعة من أصحابه ثم ذكر حديث أطلب شيخنا وغيره (قوله ساقط لانه الخ) فلو جعل ذلك البعض المراد بالصلاة صلاته بعد النبوة لما ذكرنا علمه وقت الهزة لاستقام ما ذكره لكن صحة ذلك تتوقف على ثبوت صلاتهم عليه عند الهزة والاتيان بما ذكر من قوله كأنه يشير الخ تأمل (قوله وجنته) الوجنة مثلثة وكلمة ما ارتفع من الخدين (قوله أول من رمى بسهم) راجع لسعد رضى الله عنه (قوله وكان) اى رسول الله صلى الله عليه وسلم يفتخر به اى بسعد اى في ظاهر الامر تعليما للامة بفخر محل التلطف والا فسعد هو الذى يفتخر بكونه صلى الله عليه وسلم ابن أخته وأعظم به فخرا (قوله رمى رسول الله الخ) اى عتبة

لكنه رمى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد فشج وجهه وكسر رباعيته فقال خذها وأنا ابن قمئة فقال صلى الله عليه وسلم وهو يمسح الدم عن وجهه أقمأك الله فسلط الله عليه تيس جبل فلم يزل ينطحه حتى قطعه قطعة قطعة وروى أحمد والترمذى والنسائى عن أنس كسرت رباعيته صلى الله عليه وسلم يوم أحد وشج وجهه فجعل الدم يسيل على وجهه وجعل يمسح ويقول كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم وهو يدعوهم الى ربهم فأنزل الله تعالى ليس لك من الامر شئ أو يتوب عليهم أو يعذبهم فانهم ظالمون وفى مرسل قوى ان وجهه صلى الله عليه وسلم ضرب يومئذ بالسيف سبعين مرة وقاه الله شرها كلها (كما) مصدرية (أظهر الهلال البراء) بفتح الموحدة وهو أول ليلة من الشهر اى ان وجهه الكريم أظهر آثار تلك الشجة مع برئها ظهورا واضحا ليس فيه أدنى شين بل فيه غاية الكمال والجمال كظهور الهلال ليلة استهلاله لحكمتين لتذكر الراؤن لذلك والراوون عنهم ما وقع له صلى الله عليه وسلم من المحنة وعظيم الصبر عليها حتى يقتدى به فى ذلك وليعلموا ان تلك الشجة لم تنقصه شيأ من ذلك بل زادته بها الاعلى جماله صلى الله عليه وسلم لانها صارت بعد البرء كالهلال فى وجهه الاحسن من الهلال كما قال (ستر) ذلك الوجه (الحسن) الاصلى (منه بالحسن) العارض من الشجة (فاحتجب الحسن) الاصلى (له الجمال) العارض وفى هذا كالذى قبله الجناس التام المقابل بناء على ما مر مع الكلام عليه فى شرح شق عن قلبه مع شق له البدر واطلاق الشارح بانه من ذلك مع اختلاف موضوعه باعتبار الاصلى والعارض كما تقرر لا من حيث الوضع فغير صحيح ولو حصل تمام التجنيس من اللفظين مع اتفاق الوضع واختلاف المراد لعدوا منه الذين قال لهم الناس ان الناس أن النفس بالنفس لم يمكن ان يقال فقياس اختلاف المراد باختلاف الوضع حيث لا قرينة تميزه كما هنا بخلاف ما فى الآيات فان قرينة التغاير فيها ظاهرة تمنع التجنيس فلو عبر الشارح بيحتمل أو نحوه لسلم من الجزم بما كلامهم كالصريح فى رده وفى البرء والبراء الجناس المطرف (وقاه) وسيذكر ان اوقاه الله أعطى نبيه صلى الله عليه وسلم غاية الجمال التى لم يعطها المخلوق كما مر بدليله فى باطنه وظاهره ويكشف لنا عجائب ذلك ما جاء من ان الله تعالى جعله كله نورا حتى لم يظهر له ظل فكان جلده ساترا لجماله الباطن فاذا ازالته الشجة ظهر من انوارها الباطنة ما صيرها كالهلال فى وجهه وصار بهيئة تحسن ظاهره مستورا بما ظهر من حسن باطنه فهما حجابان عظيمان صار باطنهما وقاية لظاهرهما وهذا مما يستغرب ويتعجب منه ولذلك شبهه بشبابيه وضع نافد وتكشفه فقال (فهو)

(قوله فشج وجهه) اى جرح وجنته كما سبق قريبا (قوله وكسر رباعيته) يقتضى ان كاسرها ابن قمئة وقد سبق قريبا ان كاسرها عتبة بن أبى وقاص فان ثبت ان الرباعية هنا غير اليمنى السفلى اندفع التنافى (قوله اقمأك الله) بالهمز اى حقرك وأذلك (قوله ليس لك من الامر شئ) اعتراض بين المتعاطفين ١٧٤ (قوله أو يتوب عليهم الخ) معطوف على قوله أو يكبتهم اى يخزيهم والمعنى ان الله مالك أمرهم فاما ان يهلكهم أو يكبتهم أو يتوب عليهم ان أسلموا أو يعذبهم ان أصروا وليس لك من أمرهم شئ وانما أنت عبد مأمور بانذارهم وجهادهم (قوله وهو أول ليلة) عبارة القاموس البراء أول ليلة أو يوم من الشهر أو آخرها أو آخره اه فقصر الشارح له على أول ليلة منه لقوله الهلال (قوله كظهور الهلال) قال المالكى واستعار الهلال للشجة لانها تشبهه غالبا (قوله واما جزم الشارح) اى وكذا الشارح المالكى (قوله لم يمكن الخ) تقدم دعواه ان الذى فى شق عن قلبه وشق له البدر (قوله وفى البرء الخ) كان الاولى تقديمه على هذا البيت لانه متعلق بالبيت الذى قبله (قوله المطرف) فيه ان المطرف كما فى البديعيات وشروحها ما زاد أحد ركنيه على الآخر بحرفا فى طرفه الاول وهذا هو الفرق بينه وبين المذيل فانه ما زاد أحد ركنيه على الآخر حرفا فى آخره فصار له كالذيل اه فكان الصواب ان يقول المذيل بدل المطرف على ان الحرف الزائد لم يقع طرفا بل وسطا لانه قبل الهمزة الواقعة طرفا فليس مذيلا ايضا ومثال المذيل قول البهاء زهير

اشكو واشكر فعله • فاعجب لشاك منه شاكر
طرفى وطرف النجم فيـ ـك كلاهما ساه وساهر

فكان المناسب ان يقول بدل المطرف الناقص الاعم من المطرف والمذيل كما هو معلوم من فنه

آى

اى ماظهر بالشجعة من باطن بدنه صلى الله عليه وسلم (كالزهر) اى نور النبات اذا (لاح) اى ظهر (من مجيف) بفتح أوله وكسره اى ستر (الاكمام) والاكمام هو كالأكِنّة جمع كِم بالكسر وهو غطاء النور المشبه به هنا ظاهر الجلد (و) هو أيضا مثل (العود) الذى يتطيب به اذا (شق عنه اللحاء) وهو قشر الشجر من لحوته ألحوه قشرته فظاهر الجلد كاللحاء وباطنه كالعود وفى هذين التشبيهين مايعلمك ان جمال باطنه ربما فاق جمال ظاهره ومن ثم قال (كاد) ماظهر بالشجعة (أن) وهى ومابعدها سدت مسد مرفوع كاد وخبرها (يغشى) بالغين المعجمة اظهر من المهملة (العيون) اى يغطى عليها (سنا) بالقصر اى ضوء عظيم خارج (منه لسر) عظيم وفى نسخ بسر (فيه) اى فى ذلك الباطن الذى ظهر هو مصيره كله ضياء أعظم من ضياء الشمس ومن ثم كان أصل ذلك السر لا كما له (حكته) اى شابهته (ذكاء) بضم المعجمة وعدم الصرف وامتناع دخول أل عليها اى الشمس وذكرها بعد سنا من مراعاة النظير وبما تقرر علم ان من أسباب عدم شبهه بتلك الشجعة ما أوتيه صلى الله عليه وسلم من الحسن الذى لم يؤته غيره ومن ثم (صانه) ذلك (الحسن) لو انفرد فكيف (و) قد انضم اليه (السكينة) اى وقار الظاهر مع طمأنينة القلب وعدم تحركه عما يقتضى به من المؤذيات التى لا يسكن عندها غيره (ان تظهر فيه آثارها) هو ضمير الفاعل المتقدم رتبة وهو (البأساء) اى الشدة فلذلك لم يظهر عليه من تلك الشجعة الانماية الطمأنينة ونهاية الجمال كما هو قطعا صلى الله عليه وسلم لما أودعه الله فيه من كمال الجمال وعظم البهاء فى حالة السراء كهو فى حالة البأساء فلا تؤثر فيه البأساء البتة (وتخال) اى تظن انت (الوجوه ان قابلته) اى عاينت وجهه وجواب ان محذوف لدلالة ما قبله عليه خجلت من فرط جماله وتلونت بالالوان المختلفة كما يشاهد عن قوى خجله حتى كان تلك الوجوه عند ذلك التلون (ألبستها الوانها) هو ضمير الفاعل المتقدم رتبة وهو (الحرباء) المشهورة ومن شأنها انها تستقبل الشمس وتدور معها كيف دارت وتتلون بالالوان العجيبة المختلفة (فـ) بسبب هذا الجمال الباهر المستلزم لباهر الافضال والاحسان (اذا شمت) بالمعجمة من شمت البرق نظرت الى سحابه (بشره) اى طلاقة وجهه صلى الله عليه وسلم (ونداه) اى جوده اى اذا تطلعت الى مخايله بصرك منتظرا اليه (اذهلتك) اى انستك ما انت بصدده (الانوار) الباهرة التى تحصل لك من بشره عند رؤية وجهه صلى الله عليه وسلم (والانواء) جمع نوء وهو ماتنسب العرب الامطار اليه من النجم أو وقته كهو مطرنا بنوء الثريا وهو هنا كناية عن الخيرات الواصلة منه صلى الله عليه وسلم لمن قصده وأمله ففيه لف ونشر مرتب لرجوع الانوار للبشر والانواء للندى وفيهما الجناس اللاحق ونوع من مراعاة النظير يسمى تشابه الاطراف وهو ان يختم الكلام بما يناسب ابتداءه فى المعنى نحو لا تدركه الابصار الآية فاللطيف يناسب لا تدركه الابصار والخبير يناسب وهو يدرك الابصار ولما تمنى رؤية الوجه المكرم

(قوله العود) اى كالعود الهندى اذا أزيل عنه القشر المانع لكثرة طيب رائحته فانه يظهر ظهورا تاما للشام (قوله ألحوه) لحوا ولحيته ألحيه لحيا (قوله يغشى) بضم الياء (قوله الحرباء) وهى دويبة نحو العظاية تستقبل الشمس برأسها كما فى القاموس وتطلق على مسمار الدرع أو رأسه فى حلقة الدرع والظهر وذكر أم حبين وعلى الارض الغليظة كما فى القاموس أيضا (قوله اذا تطلعت الى مخايله) اى علامته (قوله الجناس اللاحق) لبعد مخرجى الراء والهمزة

(قوله اى واعطاؤها) فالعطاء اسم مصدر لاعطى (قوله البراءتها) اى براءة صاحبها اذهو المتصف بالبراءة من الغرض حقيقة
(قوله ثم خفف بحذفه) اى بعد نقل حركتها الساكن قبلها (قوله وبينهما تجنيس الخ) اى وتجنيس شبه الاشتقاق لان أحد
اللفظين ليس مشتقا ولا مبدأ اشتقاق حتى يكون جناس اشتقاق فان السيل هنا اسم للماء الكثير الجارى كما ذكره الشارح
تأمل (قوله التحريف والتصحيف) ذكر شراح البديعيات ان جناس التصحيف ما ابدل حرف من أحد
ركنيه بحرف آخر على صورته فى
الخط واختلفا لفظا ويسمى جناس
الخط كقوله وهم يحسبون أنهم
يحسنون صنعا والجناس المحرف
ما اتفق ركناه فى اعداد الحروف
وترتيبها واختلفا فى الحركات
كقوله صلى الله عليه وسلم اللهم كما
حسنت خلقى فحسن خلقى واذا
اجتمع فيه التصحيف والتحريف
صار مشوشا كقول الحريرى
• زينة زيه بجد بجد •
وبه تعلم انه ان أريد فى تعريف
جناس التصحيف بالحرف المبدل
كونه فى موضع المبدل منه كما فى
الآية فان النون واقعة فى موضع
الباء اى بين السين والواو فما فى
المتن ليس منه لاختلاف الموضع
وان أريد الاعم كان منه وان
كانت أمثلة أهل البديع تأباه
واما كونه جناسا محرفا فغير ظاهر
لاشتراطهم التوافق فى الترتيب
ولم يوجد ذلك فى النظم لان التاء
فى أول أحد الركنين والباء فى
وسط الآخر فتأمل ثم رأيت فى
شرح بديعية لبعض الادباء عدم
ذكر الترتيب فى حقيقة الجناس المحرف وحينئذ فيظهر وجود
الجناسين فى النظم كما ذكره الشارح اه لكن فى شرح بديعية الصفى الحلى ما نصه وأما المحرف فهو ما تماثل ركناه فى الحروف
وتخالفا فى الحركات فيكون الشكل فارقا بينهما كما فى الحديث المذكور اه وعليه فليس تسل وسيل منه لعدم مماثلة التاء للباء
اللهم الا ان يراد المماثلة فى الصورة سواء تماثلا نطقا كما فى الحديث أولا كما فى النظم ويكون الفارق بينه وبين المصحف اختلاف
اللفظ فى المصحف واختلاف الشكل فى المحرف فقط فتدبر (قوله لا يقدر أحد) اى لا يطيق حصره وضبطه

معبد

واستتبعه بأوصافه العلية أخذ فى تمنى تقبيل راحته الكريمة ووصفها بأوصافها العلية
فقال (أو) ليت شعرى (بتقبيل راحة) اى بالتمنى فى اليقظة أو النوم تطهير ما هو لكفه التى
(كالله) اى لاجله ابتغاء لوجهه تعالى دون غرض آخر (وبالله) اى بسبب شهود اعانته
وحده (أخذها والعطاء) اسم مصدر بمعناه اى واعطاؤها البراءتها من كل غرض ينافى
الكمال الاعظم فلم يقع تصرف منها فى شئ منذ أفاض الله عليها خوارق جوده الا مع
شهود سلب كل حول وقوة عما سوى الله تعالى ولهذا الشهود الاعظم فى تصرفها كانت
(تتق) بفتح التاءين اى تخاف وتحذر (بأسها) اى شدتها فى الحرب (الملوك) كقيصر
وكسرى والمقوقس الذين اظفرها الله بجميعهم (و) كانت (تحظى) اى تفوز (بالغنى)
الحسى والمعنوى (من بعض (نوالها) اى عطائها (الفقراء) لانه صلى الله عليه وسلم
كان أجود الناس فيعطى عطاء تعجز عنه الملوك ومع ذلك يعيش عيش الفقراء لا يثاره
على نفسه وعياله وكان جوده كله لله تعالى وفى ابتغاء مرضاته يبذل المال تارة للفقير
والمحتاج وتارة ينفقه فى سبيل الله وتارة يتألف به من يقوى اسلامه أو من يسلم باسلامه
قومه وبين الاخذ والعطاء والملوك والفقراء وتتق وتحظى تجنيس التقابل (لا تسل)
أصلها بالهمز ثم خفف بحذفه كما قرئ فى سال سائل (سيل) وهو الماء الكثير الجارى
وبينهما تجنيس التحريف والتصحيف (جودها) بفتح الجيم وهو المطر الغزير اى لا تسأل
هذا الامر المكنى به عن سعة عطائه وجوده فان هذا شئ لا يقدر أحد من البشر قدره بل
(انما) الذى يليق بك ان تسأل ما (يكفيك) وهو ان يصل اليك (عن وكف) اى قطر
(سحبها) جمع سحاب (الانداء) جمع ندى وهو البلل على ان بلل هذا القطر فيه الغنى الكلى
فمن وصلت اليه بلة من قطرة منه كانت سببا لغناه فى الدنيا والآخرة ومن أوصاف تلك
الراحة العلية أيضا انها (درت الشاة) اى أرسلت لبنها الغزير (حين مرت عليها
) بسبب ذلك المرور (لها) بعد فقد اللبن منها بالكلية اذ لم يكن طرقها الفحل قط (تروة) اى
كثرة اللبن (بها) اى بسبب تلك الراحة الكريمة (وغاء) اى زيادة فى تلك الكثرة وهذه
القصة وقعت له صلى الله عليه وسلم لما خرج من غار ثور مهاجرا الى المدينة ومعه أبو بكر
ومولاه عامر بن فهيرة فأخذ بهم الدليل طريق الساحل فمروا بقديد قريبا من رابغ على أم

معبد عاتكة بنت خالد الخزاعية وكانت برزة تسقى وتطعم وكانوا فى غاية القحط والجهد فطلبوا منها لبنا ولحما يشترونه فلم يجدوا عندها شيأ فنظر صلى الله عليه وسلم الى شاة فى كسر الخيمة تخلفت عن الغنم لشدة الجوع فسألها فقال هل بها من لبن فقالت هى أجهد من ذلك والله ما ضرب بها فحل قط فقال صلى الله عليه وسلم أتأذنين لى ان أحلبها فقالت نعم ان رأيت بها حلبا فاحلبها فدعا بالشاة فاعتقلها ومسح ضرعها بيده ودعى الله تعالى فتفاجت ودرت ودعا باناء يشبع الجماعة فملأه من حلبها وسقى القوم حتى رووا وانه شرب آخرهم ثم حلب بيده مرة أخرى علا بعد نهل ثم تركه عندها وذهبوا اذ كر ذلك أصحاب السير وغيرهم

* ومن أوصاف تلك الراحة الجليلة أيضا انه (نبع الماء) بها اى بسببها وعدل اليها عن منها المتبادر ليفيد انه نبع تارة منها وتارة بتبركها من غيرها اما الاول فقال القرطبى قصة نبع الماء من بين أصابعه صلى الله عليه وسلم قد تكررت منه صلى الله عليه وسلم فى عدة مواطن فى مشاهد عظيمة و وردت من طرق كثيرة يفيد مجموعها العلم القطعى المستفاد من التواتر المعنوى ولم يسمع بهذه المعجزة من غير نبينا صلى الله عليه وسلم حيث نبع الماء من بين عظمه ولحمه وعصبه ودمه وذكر المزنى صاحب الشافعى رضى الله تعالى عنهما ان هذا ابلغ من نبع الماء من الحجر بضرب موسى صلى الله عليه وسلم وعلى نبينا وسائر الانبياء والمرسلين لان الحجر يؤلف منه خروج الماء ولا كذلك البدن فمن جملة تلك المواطن ما فى الصحيحين عن انس ان الناس احتاجوا الصلاة العصر فلم يجدوا الماء فأتى صلى الله عليه وسلم بوضوء فوضع صلى الله عليه وسلم يده الشريفة فى ذلك الاناء فنبع الماء من بين اصابعه حتى توضؤا كلهم زاد البخارى كانوا ثمانين وان الماء نبع من بين اصابعه ومن أطراف اصابعه صلى الله عليه وسلم وفى رواية لابن شاهين انه وقع نظير ذلك فى غزوة تبوك لما شكوا اليه فطلب فضلة ماء فأتى بها فصبها صلى الله عليه وسلم فى صحفة ثم وضع صلى الله عليه وسلم راحته فيها فتفجرت عيون من بين أصابعه فشربوا وسقوا ابلهم وتزودوا منه وفيهما عن جابر أنه صلى الله عليه وسلم كان يتوضأ من ركوة فجاؤه يشكون العطش فوضع يده فى الركوة فجعل الماء يفور من بين أصابعه كأمثال العيون فتوضؤا كلهم وكانوا ألفا وخمسمائة بل قال جابر لو كنا مائة ألف لكفانا وفى رواية لاحمد عنه فوالذى ابتلانى ببصرى لقد رأيت عيون الماء تخرج من بين أصابعه كأمثال العيون فتوضؤا كلهم وكانوا ألفا وخمسمائة وظاهر الروايات ان الماء نبع من نفس اللحم الكائن فى الاصابع وهو ما صححه النووى وجزم به غيره وانما استدعى قليل ماء تأدبا مع ربه فانه المنفرد بايجاد المعدومات من غير أصل ثم فى رواية عند جماعة انه فعل ذلك مرة من غير ماء لكن استدعى بشن يابسة ووضع صلى الله عليه وسلم يده فيها فنبعت عيون الماء وأما الثانى ففى مسلم انكم ستأتون غدا ان شاء الله تعالى عين تبوك وانكم لن تأتوها حتى يضحى النهار فمن جاءها فلا يمس من مائها شيأ حتى آتى فسبق رجلان ومسا منه قبل أن يأتى صلى الله عليه وسلم

(قوله وكانت برزة) قال فى القاموس وامرأة برزة اى بارزة المحاسن أو متجاهرة كهلة شديدة جليلة تبرز للقوم يجلسون اليها ويتحدثون وهى عفيفة (قوله فى كسر الخيمة) بفتح الكاف وكسرها وسكون السين اى جانبها (قوله حلبا) بفتح اللام اى لبنا محلوبا (قوله فتفاجت) اى فتحت رجليها للحلب (قوله ودعا باناء) جمع آنية كسقاء وأسقية ورداء وأردية وجمع الآنية أوان ووقع فى الوسيط وغيره من كتب الخراسانيين اطلاق الآنية على المفرد وليس بصحيح اه من التحرير للنووى (قوله وعدل اليها) اى الجملة المذكورة بعد قوله اثمر الفضل فى عام لانه تنازعها نبع واثمر (قوله من التواتر الخ) تقدم عند شرح قوله وسلام وحن جذع اليه بيان التواتر اللفظى والمعنوى فراجعه ان شئت

فيهما ثم اغترفوا الحقيلا متهاثا غسل به وجهه ويديه ثم صب الغسالة فى العين فجرت العين
بماء كثير ثم قال يا معاذ يوشك ان طالت بك حياة أن ترى ما ههنا قد ملئ بساتين وعمران
وفى رواية الموطأ وغيره ففاض فيه من الماء ماله حس كحس الصواعق وصح عن مقاتل فى
بعض رواياته ان العاش اشتد بهم فى غزوة تبوك حتى كادت رقابهم تنقطع وكان الرجل
ينحر بعيره فيعصر فرثه فيشربه ويجعل الباقى على كبده فسأله أبو بكر رضى الله تعالى عنه
أن يدعو لهم فقال صلى الله عليه وسلم أتحبون ذلك قال نعم فرفع صلى الله عليه وسلم يديه فلم
يرجعهما حتى سالت السماء فاسكبت فملؤا ما معهم من آنية ثم ذهبوا ينظرونها فلم يجدوها
جاوزت العسكر وفى البخارى فى غزوة الحديبية نحو ذلك مرتين مرة أمرهم بوضع سهم
من كنانته فى محل الماء ففاض ومرة بوضع يده الشريفة فى الركوة فجعل الماء يفور من بين
أصابعه صلى الله عليه وسلم ● ومن أوصافها أيضا انه (أثمر النخل فى عام) اى فى سنة غرسه
(بها) اى بسبب من تلك الراحة الكريمة لتلك النخل فى قصة سلمان الفارسى رضى الله
تعالى عنه التى ذكرها أصحاب السير ابن هشام وابن سيد الناس وغيرهما وحاصلها انه صلى
الله عليه وسلم لما قدم المدينة أتاه سلمان وآمن به وكان مسترقا فأمره صلى الله عليه وسلم أن
يكاتب سيده فكاتبه على غرس ثلثمائة ودية وتعهدها حتى تثمر وأربعين أوقية ذهبا ثم
أخبره صلى الله عليه وسلم بذلك فأمر أصحابه أن يعينوه بالودى فأعانوه به ثم وضعه صلى الله
عليه وسلم بيده فما ماتت منها واحدة حتى أثمرت كلها فى عامها وفى رواية توقفت منها
واحدة فغلعها صلى الله عليه وسلم وأعادها فساوت البقية فأداها وبقى عليه الذهب فجاء
للنبى صلى الله عليه وسلم مثل بيضة دجاج من ذهب من بعض المعادن فأعطاها صلى الله
عليه وسلم له فقال وأين تقع هذه مما على قال صلى الله عليه وسلم خذها فان الله سيؤدى بها
عنك فوزن لهم منها أربعين أوقية ● ومن أوصافها ايضا انه (سبحت بها) اى فى راحته صلى
الله عليه وسلم (الحصباء) اى الحصى كما رواه البزار والطبرانى فى الاوسط وغيرهما انه صلى
الله عليه وسلم كان عنده ابو بكر وعمر وعثمان فقبض صلى الله عليه وسلم حصيات فسبحن
فى كفه حتى سمع لهن حس كحس النحل فنا واهن ابا بكر فسبحن فى كفه كذلك ثم عمر كذلك
ثم عثمان كذلك ثم اخذها الحاضرون فلم تسبح مع احد منهم قال الحافظ شيخ الاسلام
العسقلانى ليس لحديث تسبيح الحصا الا طريق واحد مع ضعفها لكنها مشهورة عند
الناس اه ثم أخرج البخارى من حديث ابن مسعود كانا كل مع النبى صلى الله عليه
وسلم الطعام ونحن نسمع تسبيح الطعام وفى فتح البارى عن الشفاء انه صلى الله عليه وسلم
مرض فأتاه جبريل بطبق فيه رمان وعنب فأكل منه فسبح ● (تنبيه) ● تسبيح الجماد
كالطعام والحصا معناه ان الله خلق فيهما اللفظ الدال على التنزيه حقيقة خرقا للعادة ومع
ذلك اضافة التسبيح اليه مجاز لان اللفظ انما يضاف حقيقة لمن قام به ● ومن أوصافها
العلية ايضا انه (أحيت المرسلين) اى الذين تقدزادهم من الجهد حتى أشرفوا على الموت

(قوله ينظرونها) اى المطر المعلومة من السياق (قوله بوضع يده) كان الظاهر حذف الباء اى ومرة وضع بلفظ الماضى اذ يبعد أن يكون أمرهم بوضع يده ثم هذا مكرر مع ما سبق عن جابر وقد يقال بتعدد وضع اليد فى الركوة فلا تكرار (قوله وكان مسترقا) اى مدعى رقه بالكذب اذ هو حر كما سيأتى فى شرح قوله كان يدعى قنا (قوله فوزن لهم منها الخ) قال سلمان والذى نفس سلمان بيده وزنت لهم منها اربعين اوقية فأوفيتهم حقهم وبقى عندى مثل ما أعطيتهم (قوله تقد) من باب تعب اى فرغ

فتسميتهم موتى حق وصفو ابالحياة مجاز كما ان اسناد الاحياء الى الراحة مجاز ايضا فهو استعارة تبعية (من موت جهد) اى قحط شديد والاضافة بيانية مبالغة بادعاء ان ذلك الجهد لما كان سببا قريبا للموت أطلق عليه اسمه (أعوز القوم) عدل اليه عن اعوازهم الذى هو القياس لازالة ايهام لفظ المرملين انه خاص بذكورهم وان كان التغليب فى مثل شائعا ذائعا فان قلت شمول القوم للاناث انما هو بطريق التبع فساوى المرملين قلت الفرق بينهما واضح لان شمول القوم الاناث لفظى وان قلنا بالتبعية ومن ثم لم يحتج لقرينة بخلاف المرملين فأفاد القوم مالم يفده المرملين (فيه) اى ذلك الجهد (زاد وماء) من أعوزه الشئ اذا احتاج اليه وعبر بزاد مع انه انما يقال فى طعام المسافر اشعارا بأنهم لما حصلت لهم تلك المشقة التى أدت بهم الى الاشراف على الموت صاروا كالمسافرين المشرفين على الهلاك وبين الموت والاحياء والزاد والماء الطباق كالرى والشبع المفهومين مما يأتى (ف) بسبب احيائه لهم كثر الله كرامة ومعجزة له صلى الله عليه وسلم الطعام والماء القليل جدا حتى (تغدى) بالدال المهملة اى أكل وقت الغداء وهو ماقبل الزوال (بالصاع) الواحد وهو قدحان بالكيل المصرى تقريبا (ألف جياع وتروى بالصاع ألف ظماء) جمع ظامئ اى عاطش اما تروى الالف الظماء بالماء القليل النابع من بين أصابعه صلى الله عليه وسلم تارة و ببركة دعائه تارة أخرى فتقدم الكلام عليه مستوفى والتعبير بالصاع فيه المراد به الماء القليل كما يعلم مما مر وانما ذكره على جهة مجاز المشاكلة لما قبله نحو وجزاء سيئة سيئة مثلها ومكروا ومكر الله تعلم ما فى نفسى ولا أعلم ما فى نفسك وبالالف المراد به العدد الكثير ففى بعض المواطن كالحديبية كانوا ألفا وأربعمائة أو خمسمائة وفى بعض المواطن كانوا ثلثمائة وفى بعضها كانوا أقل وفى غزوة تبوك كانوا الوفا مؤلفة واما تغدى الالف الجياع بالصاع فهو ما فى الصحيحين عن جابر رضى الله تعالى عنه انه رأى بالنبى صلى الله عليه وسلم فى غزوة الخندق جوعا شديدا فذهب

(قوله لازالة ايهام الخ) اولضرورة النظم أو لدفع توهم اختصاص ذلك بالمسافرين فقد نقل البرلسى فى شرحه المرملين جمع مرمل من أرمل اذا افتقد زاده فى السفر والمراد هنا فقد الطعام مطلقا (قوله احيائه) مقتضى السياق احيائهم اى الراحة وان كان ماذكره صحيحا ايضا (قوله بالدال المهملة) واما بالذال المعجمة فمطاوع غذيته بالتشديد فمأخوذ من الغذاء بالكسر وهو ما يغتذى به من الطعام و لشراب يقال غذوت الصبى باللبن من باب عدا اى ربيته ولا يقال غذيته بالياء مخففا و يقال غذيته مشددا اه مختار (قوله وهو ماقبل الزوال) قال فى القاموس الغداء طعام الغدوة والجمع أغدية وتغدى ا كل أول النهار اه فقول الشارح وهو اى الغداء ما اى طعام يؤكل قبل الزوال انظر ابتداء تسميته غداء من أى وقت وقد يؤخذ من قول القاموس وتغدى أ كل أول النهار ان ابتداءها الفجر وأما العشاء كسماء فقد قالوا هو ما يؤكل بعد الزوال وانظر غاية تسمية بذلك قال فى القاموس العشاء كسماء طعام العشى والجمع أعشية اه وقال قبل والعشاء كبناء أول الظلام او من المغرب الى العتمة أو من زوال الشمس الى طلوع الفجر اه فان كان المراد بالعشاء كسماء ما يؤكل فى وقت العشاء كبناء فالمناسب المعنى الاخير فيكون انتهاء تسميته ما يؤكل بعد الزوال عشاء الفجر فتدبر وغير خاف حدوث تسمية خاصة لبعض ما يؤكل بين الزوال والفجر بفطور لما يأكله الصائم عند الغروب وسحور بفتح السين لما يأكله الصائم بعد نصف الليل وقبل الفجر (قوله والتعبير بالصاع فيه الخ) مقتضاه ان التعبير بالصاع فى التغدى على حقيقته وهو ظاهر فى رواية جابر لتصريح فيها به وأما فى بقية الروايات بعدها انما يظهر اذا كانت الاقراص فى قصة أبى طلحة وفضل الازواد فى قصة عمر والحيس فى قصة أم أنس وما فى القصعة فى قصة سمرة مقدار صاع فى كل منها تأمل (قوله وبالالف الخ) على أن التعبير بالالف لا ينفى الزيادة عليها لكن يحتاج لما ذكره الشارح لشمول الاقل من الالف (قوله وبالالف) اى فى التغدى والتروى بقرينة ما يأتى أن عدد الآكلين كانوا ثمانين غير رسول الله وأهل البيت فى قصة أبى طلحة وقدر ثلثمائة فى قصة أم أنس

لا مر أتموا خبزها فأخرجت صاعا من شعير وشاة داجنا أي سمينة فذبحتها وطحنت الشعير
فلما وضعت اللحم في البرمة ذهب للنبي صلى الله عليه وسلم وأخبره وطلب ان يأتي بنفر معه
فصاح النبي صلى الله عليه وسلم يا أهل الخندق ان جابرا صنع سورا فحيهلا بكم ثم امره
أن لا ينزل البرمة ولا يخبز العجين حتى يجيء فلما جاء صلى الله عليه وسلم بصق في العجين وبارك
ثم في البرمة وبارك ثم امرها أن تدعو خابزة تخبز معها وان تغرف من برمتها ولا تنزلها
فأكلوا وهم ألف حتى تركوه وان عجينهم وبرمتهم كما هما وفيهما ايضا الا بعض زيادات ففي
مسلم عن أنس رضي الله عنه في غزوة الخندق ايضا ان عمه زوج أمه أبا طلحة عرف جوع
رسول الله صلى الله عليه وسلم في صوته فذكر ذلك لام سليم زوجته فأخرجت أقراصا من
شعير ولفتها بخمار واعطتها لأنس ولفت طرف الخمار على رأسه مرتين كالعمامة
وأرسلته الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجده بالمسجد أي الموضع الذي أعده
لمحاصرة الأحزاب ومعه الناس فقال له أرسلك أبو طلحة قلت نعم قال الطعام قلت نعم
فقال لمن معه قوموا فتقدمهم أنس فأخبره فقال يا أم سليم قد جاء رسول الله صلى الله
عليه وسلم بالناس وليس عندنا طعام نطعمهم فقالت الله ورسوله أعلم فتلقى أبو طلحة
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال صلى الله عليه وسلم هلمي يا أم سليم ما عندك فأتت بذلك
الخبز فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم به ففت وعصرت عكة سمن فآدمته ثم قال فيه صلى
الله عليه وسلم ما شاء الله تعالى أن يقول ثم قال ائذن لعشرة فأكلوا حتى شبعوا فخرجوا
ثم قال ائذن لعشرة وهكذا فأكلوا وشبعوا وهم ثمانون ثم أكل صلى الله عليه وسلم وأهل
البيت وتركوا بقية وفي طرق هذه القصة ما يقتضي تعددها وادخالهم عشرة عشرة
لاتحاد القصعة وصغرها وقول أنس نعم إما لاستحيائه من كثرة الناس فقال ذلك ليتبعه
النبي صلى الله عليه وسلم وحده وإما لأن من أرسله ذكر له انه اذا رأى كثرة الناس دعاه
وحده وفي رواية ان أبا طلحة قال إنما أرسلت أنسا يدعوك وحدك ولم يكن عندنا
ما يشبع من أرى فقال ادخل فان الله تعالى سيبارك فيما عندك وفي رواية انه صلى الله
عليه وسلم مسح القرص فجعل ينتفخ ويتسع في الجفنة وفي أخرى ان أبا طلحة رأى رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقري أصحاب الصفة سورة النساء وقد ربط على بطنه حجرا وروى
مسلم انهم في غزوة تبوك جاعوا فسأل عمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يدعو بفضل
أزوادهم ثم يدعو الله تعالى لهم عليها بالبركة ففعل فاجتمع شيء يسير فدعا صلى الله عليه وسلم
بالبركة ثم قال خذوا في أوعيتكم فما تركوا في العسكر وعاء الا وملؤه فأكلوا حتى شبعوا
وفضلت فضلة فقال صلى الله عليه وسلم أشهد ان لا إله الا الله وأني رسول الله الحديث
وفيهما عن أنس ايضا ان أمه أرسلته الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بحيسة في ثور وهو
عروس بزينب فأمره ان يدعو من لقي فدعا من لقي فكانوا زهاء ثلثمائة فوضع صلى الله

(قوله وشاة داجنا) الداجن التي تألف البيوت من الشياه وتطلق أيضا على كل ما يألف البيوت من طير أو غيره كذا في اللغة فليس السمن من مدلول الداجن فقول الشارح أي سمينة زائد على مدلوله فلعله اطلع على كونها متصفة بذلك (قوله صنع سورا) قال النووي في شرح مسلم السور بضم السين وإسكان الواو غير مهموز وهو الطعام الذي يدعى إليه وقيل الطعام مطلقا وهي لفظة فارسية وقد تظاهرت أحاديث صحيحة بأن رسول الله تكلم بألفاظ غير عربية (قوله فحيهلا) بتنوين هلا وعدمه (قوله الطعام) باللام كما يدل عليه قوله فقال الخ إذ لو كان بالباء لطلب الطعام فما في بعض النسخ من الباء الموحدة بدل اللام غير ظاهر (قوله عكة) بضم العين وتشديد الكاف وعاء صغير من جلد للسمن خاصة وقوله فآدمته بالمد والقصر لغتان آدمته وأدمته اه من شرح مسلم النووي (قوله مسح القرص) المراد الجنس لما تقدم ان الذي أتت به من الخبز أقراص (قوله بحيسة) قال في المختار الحيس تمر يخلط بسمن وأقط (قوله في ثور) الثور بالمثلثة القطعة من الأقط اه صحاح وأما بالمثناة من فوق المفتوحة فالواو الساكنة فهو إناء مثل القدح اه من شرح مسلم والظاهر انه هنا بالمثناة (قوله زهاء) بضم الزاي والمد أي قدر اه شرح مسلم

عليه وسلم يده على تلك الحبة وتكلم بما شاء الله تعالى ثم دعا عشرة عشرة فأكلوا حتى شبعوا فما ادرى حين وضعت كانت اكثر أم حين رفعت وصح عن سمرة بن جندب انهم تداولوا القصعتين غدوة الى الليل يقوم عشرة ويقعد عشرة قيل له فماذا كانت تمد قال ما كانت تمد الا من ههنا وأشار الى السماء (و) منها انه (وفى قدر بيضة) اى بيضة دجاج (من نضار) اى ذهب (دين سلمان) الفارسى رضى الله تعالى عنه الذى كان من جملة ما كاتب عليه سيده وهو أربعون أوقية من الذهب كما مر أى مع صغر تلك البيضة وعظم ذلك الدين لكن ببركته صلى الله عليه وسلم لتلك البيضة براحته الكريمة (حين حان) اى قرب (الوفاء) اى حلول الاجل وبين وفى والوفاء الجناس الناقص ورد العجز على الصدر وحين ودين وحان الجناس اللاحق وسبب هذا الدين على سلمان انه (كان يدعى قنا) اى ارقا بالباطل وملخص قصته كما حكاه هو عن نفسه انه من اصبهان واجتهد فى المجوسية حتى صار قطنها فمر بكنيسة النصارى فأعجبوه فذكر ذلك لابيه فقيده فقال له دينك ودين آبائك خير من دينهم فأرسل يسأل من النصارى عن علماء دينهم فقالوا بالشام فارسل اليهم اذا جاءكم احد من الشام فاخبرونى ففعلوا فحل القيد وتوجه اليها وسأل عن اعلمهم فدخل عليه يخدمه الى ان مات ثم خدم من اقيم مقامه فلما احتضر قال له بمن توصينى قال بفلان بالموصل فجاءه فاخبره وخدمه فلما احتضر قال له بمن توصينى قال بفلان بنصيبين فجاءه واخبره وخدمه فلما احتضر ذكر ذلك له فقال بفلان بعمورية من أرض الروم فلما احتضر قال له ذلك قال يا بنى ما اعلم احدا على ما كنا عليه آمرك ان تأتيه ولكن اظل زمان نبى هو مبعوث بدين ابراهيم يخرج من ارض العرب مهاجرا الى ارض بين حرتين به علامات لا تخفى يأكل الهدية ولا يأكل الصدقة بين كتفيه خاتم النبوة فان استطعت ان تلحق بارضه فافعل ثم مات فمر بى نفر من كلب فقلت لهم احملونى الى ارض العرب واعطيكم ما عندى فحملونى فلما بلغوا وادى القرى ظلمونى فباعونى من يهودى فباعنى من ابن عم له من بنى قريظة بالمدينة قال فعلمت انها هى فبعث صلى الله عليه وسلم بمكة فلم اسمع له ذكرا ثم هاجر الى المدينة فبينما انا اجنى لسيدى تمرا جاءه ابن عم له فقال له قاتل الله بنى قيلة وهى أم الاوس والخزرج انهم الآن لمجتمعون بقباء على رجل قدم اليهم من مكة اليوم يزعمون انه نبى فأخذتنى رعدة وشدة حتى ظننت انى ساقط فنزلت فقلت لسيدى ماذا قال لك هذا فغضب ولطمنى لطمة شديدة ثم قال ما لك ولهذا اقبل على عملك فلما امسى اخذت شيأ جمعته وذهبت به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بقباء فقلت له هذا صدقة فامر اصحابه باكله ولم يأكل فجمعت شيأ آخر واتيته به وهو بالمدينة فقلت له هذا هدية فأكل هو واصحابه ثم جئته بالبقيع وقد تبع جنازة فجعلت انظر الى ظهره صلى الله عليه وسلم فعرف النبى صلى الله عليه وسلم انه يتأمل الشئ وصف له فالقى رداءه عن ظهره فرأى خاتم النبوة فقص عليه حديثه واسلم فأمره صلى الله عليه وسلم ان يكاتب فكاتب

(قوله دين سلمان) كان من المعمرين عاش مائتين وخمسين سنة وقيل ثلثمائة وخمسين والاول اصح (قوله الناقص) اى المذيل لزيادة حرف فى آخر احدى كلمتى الجناس (قوله اللاحق) لبعد مخرجى الحاء والدال ومخرجى الياء والالف وبين حين وحان شبه جناس الاشتقاق (قوله بعمورية) بفتح أوله وتشديد ثانيه من ارض الروم كان ملكها يركب فى مائة ألف فارس وكان حولها ألف عمود على كل عمود راهب لا ينزل منه الا بالموت وكانت مركز قيصر ومنها كان يستعد للغارات على بلاد المسلمين الشام والجزيرة وغيرهما فتحها المعتصم (قوله بقباء) بالقصر يذكر ويؤنث ويقصر أيضا كما فى المختار وفى القاموس انه بضم القاف (قوله بالبقيع) ويقال له بقيع الغرقد بالغين المعجمة وأصل الغرقد شجر عظام او هى العوسج اذا عظم واحدته غرقدة وأضيف البقيع الى الغرقد لانه كان منبتها اه قاموس وعبارة المختار البقيع موضع فيه اروم الشجر من ضروب شتى وبه يسمى بقيع الغرقد وهى مقبرة بالمدينة والاروم جمع ارومة بفتح الهمزة وضمها وهى الاصل اى اصول الشجر

تطرا لحالته الراهنة والافهو من جملة الاحرار الذين هم اتباع حوارى عيسى عليه الصلاة والسلام على غرس ثلثمائة نخلة وتعهدها حتى تثمر واربعين اوقية من ذهب فغرس له النخل فاثمرت من عامها واعطاه مثل بيضة من ذهب فوفت الاربعين (فاعتق) باداء النجوم (لما أنحت) أى نضحت (من نخيله) حال من قوله (الاقناء) جمع قنو وهو العذق أى العرجون ولاجل ما ذكر عن سلمان انه بمجرد سماعه لذكر النبي صلى الله عليه وسلم أخذته الرعدة والشدة وهو على رأس نخلة يجنيها لسيده وشاهد لسيده منه ومع ذلك الدال على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وانه بلغ أمره ونعته الاباعد والاقارب لطمهم ان له تلفتا الى سماع خبر النبي صلى الله عليه وسلم لطمه لطمة شديدة لانه كان من جملة اليهود الذين كانوا يفتخرون على الانصار بانه قرب زمن نبي عربي كريم فنكون اول من يتبعه ونقتلكم معه قتل عاد وارم فلما جاءهم المدينة كفروا به أكثرهم كما قال تعالى فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به عرض الناظم رحمه الله تعالى لموالى سلمان منكرا عليهم اذلم يؤمنوا بنبينا صلى الله عليه وسلم مع ما شاهدوه من حال سلمان بل زادوا في الطغيان بضربه فقال (أ) تلطمون سلمان وتمنعونه من الاجتماع بمحمد صلى الله عليه وسلم حتى لا يؤمن به (فلا تعذرون سلمان) أى ترون له عذرا يمنعكم من ايذائه ومنعه وقد وضح الدليل عندكم على نبوته صلى الله عليه وسلم (لما) أى حين (ان عرته) أى غشيته (من) اجل (ذكره) أى ذكر اليهودى لقربه النبي صلى الله عليه وسلم واجتماع الناس به فى قبا (العرواء) أى قوة الحمى ومسها فى اول اخذها الانسان بالشدة والرعدة وما ذكرته فى تقرير هذا البيت المطابق لما فى قصة سلمان والذى فيه غاية المناسبة للمقام وغاية الانكار على اليهود ورميهم بالعناد والبهتان أولى مما وقع للشارح فى تقريره على ما فيه من التظر كما يعلم بتأمله وبين عرته والعرواء تجنيس شبه الاشتقاق (و) من أوصاف تلك الراحة ايضا انها (ازالت لمسها) لمن به امراض اعيت الاطباء (كل داء) به (أ كبرته) أى استعظمته وعجزت عن برئه (الطبة) جمع طبيب وهو العالم بعلم الطب الذى هو حفظ صحة الانسان بمنع الواصل ورفع الحاصل (واساء) بكسر الهمزة أى مرضى جمع آس كراع ورعاء روى الدارمى ان امرأة جاءت الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت له يا رسول الله ان ابنى به جنون وانه ليأخذه عند غدائنا وعشائنا فمسح صلى الله عليه وسلم صدره فقاء من جوفه مثل الجرو الاسود فشفى ● (فائدة) ● روى البخارى ان سلمة أصيب يوم خيبر بضربة فى ساقه فنفث فيها صلى الله عليه وسلم ثلاث نفثات فما اشتكى قط (و) من أوصافها أيضا انه برئ بها (عيون) ابصرت (مرت بها) تلك الراحة (وهى رمد) أى معطلة الابصار (فارتها) أى تلك الراحة تلك العيون (ما) أى الشئ البعيد الذى (لم تر) ه فيسمع

(قوله نضحت) بكسر الضاد اى أدركت (قوله العذق) بكسر العين المهملة وأما العذق بفتحها فهو النخلة كذا فى حاشية السيرة الهشامية للخشنى (قوله ويقتلكم) اى على زعمهم انه صلى الله عليه وسلم يكون معينا لليهود على الانصار

(قوله العرواء) بضم العين المهملة وفتح الراء قال ابن سيد الناس فى سيرته العرواء الحمى النافض والبرحاء الحمى الصالب والرحضاء الحمى التى تأخذ بالعرق والمطواء التى تأخذ بالتمطى والثؤباء التى تأخذ بالتثاؤب (قوله أولى مما وقع للشارح) عبارة الشارح ومن ذلك قصة سلمان الفارسى حيث وفى دين كتابته لموالى وقد كان شيأ كثيرا من قطعة ذهب قدر البيضة اعطاها له ومما حصل من ثمار نخيله التى غرسها رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده وهى ثلثمائة ودية ولاجل ذلك الذى رآه من عظيم آياته وبركته كان اذا ذكر النبي صلى الله عليه وسلم تأخذه الرعدة انتهى وكذا صنع الشارح المالكى فقال وكان اذا ذكر تلك البركة أخذته الرعدة كما تأخذ المحموم من الحمى ثم ساق قصة سلمان التى ساقها الشارح لكن فاتته الاشارة كالجوهرى الى أن مراد الناظم بالعرواء الرعدة الخاصة بالقصة المذكورة المشتملة على الانكار والتبكيت بطريق بليغ فما فعله الشارح رحمه الله تعالى اولى وانسب كما قال (قوله فائدة روى البخارى الخ) هذا ليس مما الكلام فيه وهو ازالة الداء ببركة لمس الراحة وانما ازالته ببركة ريقه الشريف وكذا يقال فى قصة عينى قتادة الآتية ولعل هذا هو السر فى تعبيره فى كل منهما بقوله فائدة فكانه يقول لك انها فائدة خارجة عن المقام لمناسبة لا تخفى تأمل

ارتها بجناس الاشتقاق (الزرقاء) المشهورة بزرقاء اليمامة التي كانت تنظر من مسيرة ثلاثة أيام ٭ روى البخاري في غزوة خيبر انه صلى الله عليه وسلم قال أين علي ليعطيه الراية ويكون الفتح على يديه كما في رواية اخرى قالوا يشتكي عينيه قال ارسلوا اليه فأتي به فبصق في عينيه ودعا له فبرأ حتى كأن لم يكن به وجع وعند الطبراني عن علي رضي الله تعالى عنه فما رمدت ولا صدعت منذ دفع الي رسول الله صلى الله عليه وسلم الراية يوم خيبر وعند الحاكم عنه فوضع صلى الله عليه وسلم رأسي في حجره ثم بصق في راحته فدلك بها عيني وعند الطبراني فما اشتكيتهما حتى الساعة قال ودعا لي صلى الله عليه وسلم فقال اللهم اذهب عنه الحر والقر فما اشتكيتهما حتى يومي هذا ٭ (فائدة) ٭ روى ابن أبي شيبة والبغوي والبيهقي والطبراني وابو نعيم انه صلى الله عليه وسلم نفث في عيني فديك وكانتا مبيضتين لا يبصر بهما شيأ وكان قد وقع على بيض حية فكان يدخل الخيط الابيض في الابرة وانه لابن ثمانين سنة وان عينيه لمبيضتان (و) منها أيضا انها (اعادت على قتادة) بن النعمان رضي الله تعالى عنه (عينا) له ذهبت (فهي حتى) أي الى (مماته النجلاء) أي الواسعة والمراد واسعة النظر وقصته ان عينه اصيبت يوم احد فوقعت على وجنته فأتي بها الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ان لي امرأة احبها واخشى ان رأتني تقذرني فاخذها صلى الله عليه وسلم بيده وردها الى موضعها وقال صلى الله عليه وسلم اللهم اكسها جمالا فكانت احسن عينيه واحدهما نظرا وكانت لا ترمد اذا رمدت الاخرى وقد وفد على عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه رجل من ذريته فقال له عمر من انت فقال

أبونا الذي سالت على الخد عينه ٭ فردت بكف المصطفى ايما رد
فعادت كما كانت لاول امرها ٭ فيا حسن ما عين ويا حسن ما خد

فوصله عمر رضي الله عنه واحسن جائزته قال السهيلي وفي رواية اصيبت عيناي يوم احد فسقطتا على وجنتي فأتيت بهما الى النبي صلى الله عليه وسلم فاعادهما مكانهما وبصق فيهما فعادتا تبرقان قال الدارقطني هذا حديث غريب تفرد به عمار بن نصر عن مالك وهو ثقة واخرج الطبراني وابو نعيم عنه كنت يوم احد اتقي السهام بوجهي دون وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان آخرها سهما ندرت منه حدقتي فأخذتها بيدي وسعيت الى النبي صلى الله عليه وسلم فلما رآها في كفي دمعت عيناه فقال صلى الله عليه وسلم اللهم ق قتادة كما وقى وجه نبيك بوجهه فاجعلها احسن عينيه واحدهما نظرا ويجمع بين رواية الواحدة ورواية الثنتين على تقدير صحتها بان أحد الرواة ظن ان الساقط واحدة وبعضهم على انه ثنتان فاخبر كل بحسب ظنه ومن قواعدهم ان زيادة الثقة مقبولة وبها تترجح رواية الثنتين (أو) لبنته خص في اليقظة أو النوم تطهير عام (بلثم) اى بتقبيل (التراب) المتصل (من قدم) له صلى الله عليه وسلم موصوفة باوصاف جليلة كثيرة كما تقدم منها انها كانت اذا مشت على حجر (لا انتحيا) اى لاجل او من

قوله رمدت) من باب طرب انتهى مختار (قوله وعند الحاكم الخ) هذا هو اللائق بالمقام وأما رواية البخاري التي قبل هذه فالبصق فيها من ريقه لا من كفه تأمل (قوله والقر) أي البرد (قوله واسعة النظر) أي لا واسعة الجرم عن الاخرى لان ذلك يشوه (قوله تقذرني) القذر ضد النظافة وشيء قذر بين القذارة وقذرت الشيء من باب طرب وتقذرته واستقذرته أي كرهته انتهى مختار (قوله ندرت) أي سقطت (قوله ويجمع بين رواية الخ) هذا الجمع قد ينازعه ما في الواحدة من الزيادة بنحو قوله اللهم اجعلها احسن عينيه وأحدهما نظرا فانه اذ هو ظاهر او صريح في سلامة الاخرى فيعارض فسقطتا على وجنتي الذي هو نص في عدم سلامتهما وانما كان يتجه الجمع لو اقتصر فيها على قوله ندرت منه حدقتي انتهى طبلاوي

جهة استصباحها منها واجلالها لها (من) اجل (مسها) اى تلك القدم الكريمة لها (الصفواء) اى الحجارة الصلدة فاعل لانت واعيد ضمير مسها وما بعده عليها لتقدمها رتبة ونبه بذلك على انه ينبغى لك أيها العاقل ان تستحى من مخالفتك ملجأ عن نبيك صلى الله عليه وسلم لانك اذا علمت ان الحجر الاصم استحى منه ان يبقى على صلابته مع مشيه عليه صلى الله عليه وسلم فتشق عليه صلابته فلان له حتى يسهل عليه مشيه عليه فانت اولى بالاستحياء منه ان تبقى على مخالفتك مع علمك بجليل اوصافه وعلى اخلاقه صلى الله عليه وسلم ثم هذا الذى ذكره الناظم ذكره غيره ممن تكلم على الخصائص لكن بلا سند وعبارة الجلال السيوطى فى خصائصه ومما أورده رزين صاحب الصحاح فى خصائصه انه صلى الله عليه وسلم كان اذا وطئ على الصخر أثر فيه وذكر الحافظ التبريزى الحنبلى تلميذ ابن القيم ذلك فى خصائصه فقال وأما الانة الحديد لداود عليه الصلاة والسلام فان الانة الحديد معروف بالنار وقد ألان الله تعالى الحجارة لمحمد صلى الله عليه وسلم ولا يعرف لين الحجارة بالنار ولا غيرها وهذا ابلغ ثم قال واعجب من هذا انه كان اذا مشى على الصخر لانت تحت اقدامه واذا مشى على الرمل لا يؤثر فيه خرقا للعادة الجارية وقال فى أول كتابه ونحن نذكر مانقل عن كل نبى من المعجزات وماثبت لنبينا صلى الله عليه وسلم من الخصائص وماله من الفضائل والفواضل (موطئ) بدل من التراب (الأخمص) بضم الميم والمراد به الجنس أى الاخمصين وهو من التعبير بالبعض عن الكل اذ الاخمص من القدم الموضع الذى لا يلتصق بالارض منها عند الوطء والخمصان البالغ فيه ولا يرد على كلامه مارواه البيهقى عن أبى هريرة كان صلى الله عليه وسلم اذا وطئ بقدمه وطئ بكلها ليس له أخمص وابن عساكر عن أبى امامة كان صلى الله عليه وسلم لا أخمص له يطأ على قدمه كلها لان المراد ان اخمصه معتدل الخمص ومن ثم قال ابن الاعرابى اذا كان خمص الاخمص بقدر لم يرتفع جدا ولم يستو أسفل القدم جدا فهو أحسن مايكون وان استوى أو ارتفع جدا فهو مذموم (الذى) نعت المضاف ولا يصح كونه نعتا للمضاف اليه الا بالتكلف (منه) صفة المبتدا الذى هو وطاء فقدمت عليه فصارت حالا (القلب) خبر المبتدا وهو الفؤاد وقد يعبر به عن العقل ومن المراد بالقلب والخلاف فى العقل وذكر القلب بعد الاخمص فيه تجنيس مراعاة النظير (اذا مضجعى) أى جنبى الذى اضطجع عليه (اقض) بالقاف والمعجمة أى اصابه القضض وهو التراب الذى يعلو الفراش كما فى القاموس

(قوله واجلالها لها) يقتضى ظاهره ان النسخة التى شرح عليها الشارح مسها بالسين المهملة من المس لامشيها بالشين المعجمة والاقبال عليها أى الصفواء وقوله آنفا اذا مشت على حجر يقتضى ظاهره ان النسخة مشيها والخطب سهل (قوله الصلدة) الصلد هو الصلب الاملس (قوله وأعيد ضمير الخ) حرره فان الضمير قد أعاده على القدم وهى متقدمة رتبة ولفظا والمتقدم رتبة فقط هو الصفواء وأيضا ليس بعدها مايعود ضمير منه عليها فى كلام الناظم ثم ضميرها فى كلام الشارح عائد على الصفواء فيصح ان يقال فيه أعيد عليها لما ذكر وكذا ضميرا استصباحها وضمير اجلالها السابقين (قوله لكن بلا سند) وفى فتاوى الشارح هل ورد انه صلى الله عليه وسلم لان له الصخر وأثر قدماه فيه وانه اذا مشى على التراب لا تؤثر قدمه الشريفة فيه وانه لما صعد صخرة بيت المقدس ليلة المعراج اضطربت تحته ولانت فأمسكتها الملائكة وان الاثر الموجود بها الآن أثر قدمه وانه صلى الله عليه وسلم لما جاء الى بيت أبى بكر بمكة ووقف ينتظره ألصق منكبه ومرفقه بالحائط فغاص المرفق فى الحجر وأثر فيه وبه يسمى الزقاق بمكة زقاق المرفق فاجابه بقوله أجاب الحافظ السيوطى لما سئل عن ذلك كله فقال لم أقف على اصل ولا سند ولا رأيت من خرجه من كتب الحديث انتهى وقد ذكر الائمة ان الحافظ اذا قال مثل هذه العبارة بقوله لا اعرفه دل على عدم وروده (قوله الاخمص بضم الميم) فى شرح ابن عبد الحق بفتح الميم على الاشهر (قوله والخمصان) (وطاء) بضم الخاء وقصها (قوله البالغ فيه) أى الخمص المفهوم من الخمصان (قوله اذا مضجعى) بفتح الجيم انتهى ابن عبد الحق (قوله أى اصابه القضض) عبارة ابن عبد الحق أى اصابه تراب منه ثم قال وصف ذلك التراب بانه اذا اصاب مضجعه من ترابه كان فراشا فى الحقيقة للقلب يستريح باضطجاعه عليه أعظم من استراحته باضطجاعه على الفرش اللينة

(وطاء) أى فراش وصف ذلك التراب الذى هو موطئ القدمين الشريفين بانه لو فرض ان مضجعه أصابه تراب بفراشه الذى هو من جملة ذلك التراب يسرى سر ذلك التراب الاكبر الى قلبه فانا أناره وأزاح همه من الاغيار وصيره على أكمل الاحوال وصانه من قبائح الخطرات والاهوال كان الفراش يصون من فرش له عن ذلك وهذا أولى واظهر مما حمل به الشارح هذا البيت فتأملهما ومن أوصافها أيضا انه (حظى المسجد الحرام) يعنى جميع حرم مكة اذ المسجد الحرام يراد به ذلك كثيرا كما فى القرآن فى مواضع كثيرة بل كل ما ورد فيه من ذلك المراد به مكة الا فى قوله فول وجهك شطر المسجد الحرام (بممشاها) أى بمشى تلك القدم فيه أى فضل حرم مكة سائر البقاع ما عدا موضع قبره المكرم كما عليه أكثر العلماء بواسطة ولادة النبى صلى الله عليه وسلم وتربيته ونشأته فيه ومن ثم صح من غير نزاع فيه لاحد انه صلى الله عليه وسلم قال لمكة والله انك لاحب ارض الله الى الله ولولا انى أخرجت منك ما خرجت والحديث المعارض لذلك الذى يرو بتفضيل المدينة المنورة موضوع كما اعترف به امام المالكية أبو عمر بن عبد البر وصرح بان افضلية مكة هى الحق عند من الهم رشده وبرئ من التعصب (ولم ينس حظه) منه (ايلياء) أى بيت المقدس بل شرف بمشيه صلى الله عليه وسلم فيه أيضا وصلاته فيه بالانبياء عليهم الصلاة والسلام ليلة الاسراء كما جاء ذلك فى الاحاديث الصحيحة ولم يذكر المدينة لانه هو الذى أنشأ شرفها كما قال فى الحديث الصحيح اللهم ان ابراهيم حرم مكة وانى حرمت المدينة الحديث فقوله صلى الله عليه وسلم حرمت المدينة أى نزل تحريمها على لسانى ولم يسبق زمنى بخلاف مكة فان تحريمها من يوم خلق الله السموات والارض كما فى حديث البخارى وغيره وحديث البخارى وغيره ايضا ان ابراهيم حرم مكة معناه اظهر حرمتها لا غير جمعا بين الحديثين فانه متعين ما امكن وليس الكلام فيما أنشأ حرمته واغا هو فيما عرفت حرمته من قبل على لسان غيره من الانبياء عليهم الصلاة والسلام لكن ازدادت حرمته ببركة حلوله به ومشيه فيه فتفضل غيره حينئذ تفضل مكة وبيت المقدس ليس لتقدم حرمتهما قبله صلى الله عليه وسلم بل لاجل حلوله ومشيه فيهما وبين حظى وحظه كورمت ورى تجنيس شبه الاشتقاق ومن اوصافها ايضا انها (ورمت) كما فى حديث الصحيحين انه صلى الله عليه وسلم قام من الليل حتى تورمت قدماه فقيل له اتتكلف هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر قال افلا اكون عبدا شكورا وفى رواية لهما عن عائشة رضى الله تعالى عنها قام نبى الله صلى الله عليه وسلم حتى تورمت قدماه وفد وابتحق

(قوله كان الفراش الخ) فيه ان الفراش انما يصون من تعب البدن الظاهر من خوف وسوسة لا من الخواطر والشغل بالاغيار فكان الظاهر ان يقول كان الفراش يصون من تعب الظاهر فتدبر (قوله وهذا أولى واظهر الخ) عبارة الشارح فى الاعراب وموطئ الاخمص يصح جره بدلا من التراب ورفعه خبرا لمبتدا محذوف والاخمص مضاف اليه والمراد المنفى الصادق باخمص الرجلين معا الذى صفة الاخمص وهو موصول صلته القلب منه وطاء ووطاء مبتدأ والقلب خبر ومنه متعلق بالاقدمت عليه فصارت حالا ومضجعى اخفض اسمية فى محل جر باضافة اذا اليها وأفادت اذا شرطية الجملة التى تليها الجملة المتلوة بها ثم قال المعنى تمنى تقبيل موطئ قدمه الشريفة صلى الله عليه وسلم التى لانت لمشاها الحجارة الصم استضاءتها ان تستقر على صلابتها مع مسها لها وعبر عنها بالاخمص تعبيرا بالبعض عن الكل وان موضعها يكون وطاء لقلبه ومهادا له لشدة ميله اليها اذا اخشنت المضاجع (قوله حظى) بفتح الحاء انتهى ابن عبد الحق أى حصل له بذلك حظوة بكسر الحاء وضمها كما فى القاموس اى منزلة رفيعة على غيره من البقاع التى لم يمش فيها ورأيت فى كلام بعضهم فتح الحاء أيضا ولم أره فى القاموس ولا فى المختار (قوله ايلياء) بالكسر يمد ويقصر وبشد دفيهما والياء بياء واحدة ويقصر انتهى من القاموس (قوله اى بيت المقدس) ويقال القدس والقدس بالسكون والتحريك والمسجد الاقصى وصهيون كبرذون بكسر الصاد المهملة والزيتون أيضا يقال لمسجد بيت المقدس اه من مثير الغرام الى زيارة القدس والشام (قوله ورمت) يقال ورم يرم بكسر الراء فيهما وهو شاذ اه مصباح

تفطرت قدماه فقلت لم تصنع هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فقال أفلا أكون عبدا شكورا فلما بدن وكثر لحمه صلى جالسا فاذا أراد أن يركع قام فقرأ ثم ركع والفاء للسببية والتقدير أأترك تهجدى فلا أكون عبدا شكورا والمعنى أن المغفرة سبب لكون التهجد لمحض الشكر فكيف أتركه قال ابن بطال شارح البخارى فى هذا الحديث أخذ الانسان على نفسه بالشدة فى العبادة وان أضر ذلك ببدنه لأنه صلى الله عليه وسلم اذا فعل ذلك مع علمه بما سبق له صلى الله عليه وسلم فكيف بمن لم يعلم بذلك فضلا عمن لم يأمن انه استحق النار اه قال بعض المفسرين قام صلى الله عليه وسلم طول ليله على قدميه الا قليلا فلما ورمت قدماه كان يقف على أطراف أصابعه فأنزل الله تعالى عليه طه اى طأ الارض بكل قدمك واسترح مما أنت فيه من التعب فانا ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى (اذ) اى وقت أو لاجل انه (رمى بها ظلم الليل) فيه استعارة بالكناية فشبه القدم الشريفة بسهم صائب من حيث ان قيام القدم فى طاعة الله تعالى أوجب زوال ظلمة الليل ووحشته كما ان رمى السهم فى طاعة الله تعالى يزيل صولة عدوه ووطأته فتشبيه القدم بالسهم فى ذلك استعارة بالكناية لبنائها على هذا التشبيه المكنى بها فى النفس واثبات الرمى لها استعارة تخييلية وبهذا التقرير البديع المبقى لها على حالها يندفع زعم الشارح انها بمعنى من أو عن وانه لا يصح بقاؤها على حالها ولما كان قيام الليل كذلك ينشأ اما عن مزيد خوف أو سعة رجاء بين الناظم رحمه الله تعالى أن قيامه صلى الله عليه وسلم لم يكن لاجل ذلك وانما كان لمحض الشكر كما أفاده قوله صلى الله عليه وسلم أفلا أكون عبدا شكورا مع التلذذ بمناجاة الله تعالى والقيام بين يديه فان خوفه ورجاءه صلى الله عليه وسلم اللذين وصل فيهما الى غاية لم يصل اليها غيره انما كان لمحض التقرب بهما الى الله تعالى فقال (الى الله) خبر مقدم (خوفه) منه قال صلى الله عليه وسلم انا أعلمكم بالله تعالى وأخوفكم منه (والرجاء) اى وسعة أمله فيما عنده لا الى غرض آخر لان الله تعالى عصمه عن أن ينظر أو يميل الى غيره طرفة عين بل هو دائم المثول فى حضرات

(قوله تفطرت) اى تشققت (قوله فلما بدن) من باب ظرف اى سمن فقوله وكثر لحمه تفسير (قوله ثم قرأ) الظرف قائما انما جلس ليقرأ لمشقة طول القيام مع البداية وحينئذ فقيامه لمحض الركوع من قيام لا للقراءة قبله (قوله اى طأ الارض) انما يظهر ذلك على القراءة الشاذة بسكون الهاء لكون بدلا من الالف أو هاء السكت قال البيضاوى وقرئ طه على انه أمر للرسول صلى الله عليه وسلم بأن يطأ الارض بقدميه فانه كان يقوم فى تهجده على احدى رجليه وان أصله طأ فقلبت همزته هاء أو قلبت فى يطأ ألفا كقوله لا هناك المرتع ثم بنى عليه الامر وضم اليه هاء السكت وقوله على احدى رجليه قال فى الخازن لم يراوح بين قدميه فى الصلاة لطول قيامه وقوله ثم بنى عليه اى على المضارع وعلى فتح الهاء يكون ذلك قسما اى أقسم الله بطوله وهدايته فالطاء مقتطعة من طول والهاء من هداية وقيل هو اسم من أسماء الله اى مأخوذ من اسمين لله فالطاء افتتاح اسمه طاهر والهاء افتتاح اسمه هادى كذا فى الخازن (قوله يزيل صولة عدوه) اى سطوته واعتداءه (قوله ووطأته) اى قيامه (قوله وبهذا التقرير الخ) لم أر ما نسبه الشارح والذى فى نسخة صحيحة منه ما نصه ورمت جملة فعلية فاعلها ضمير يعود على القدم اذ ظرف اى وقت قيامه عليها الليل ورمى بها فاعله يعود على النبى صلى الله عليه وسلم وبها متعلق برمى وضميره القدم والجملة فى محل جر باضافة اذ اليها وظلم الليل مفعول ومضاف اليه وخوفه مبتدأ والرجاء معطوف على المبتدا والى الله خبر المبتدا وما عطف عليه اى الامر ان معه يتقرب بهما الى الله (قوله دائم المثول) قال الجوهرى مثل بين يديه مثولا اى انتصب قائما اه قال فى المختار باب دخل وقال فى النهاية ومنه من سره أن يمثل له الناس قياما فليتبوأ مقعده من النار اى يقومون له قياما وهو جالس يقال مثل الرجل يمثل مثولا اذا انتصب قائما ودوام المثول سال المراد لله المحبوب له فانه يحبسه لمحبته ما دام محبته لذاته لذاتها سأل رجل معروفا الكرخى اى شئ أهيج للعبادة وأقطع لهوى النفس فقال خوف الموت فقال وأشد من ذلك قال هول الموقف فقال وأشد من ذلك قال يا أخى ان أحببته أحببته وان أحببته انسالك هذه كلها وعيبته لاجل ذاتها

الشهود الاقدس والتلى بجماله القرب الانفس ووقع الشارح رحمه الله تعالى حمل
هذا البيت على خلاف ماذكرته وماذكرته اولى وانسب بمقامه صلى الله عليه وسلم كما لا
يخفى على متأمل ثم رأيت القرطبي اشار لما ذكرته حيث قال ظن من سأله في حديث
الصحيحين المذكور عن سبب تحمله المشقة في العبادة انه انما يعبد الله خوفا من الذنوب
وطلبا للمغفرة والرحمة فمن تحقق انه غفر له لايحتاج الى ذلك فأفادهم أن هناك طريقا آخر
للعبادة وهو الشكر اذهو الاعتراف بالنعمة والقيام بالخدمة فمن كثر ذلك منه سمى
شكورا لكنه قليل كما قال تعالى وقليل من عبادى الشكور وفي الحديث بيان ما كان
عليه صلى الله عليه وسلم من الاجتهاد في العبادة والخشية من ربه قال العلماء رضى الله
تعالى عنهم انما ألزم الانبياء انفسهم بشدة الخوف لعلمهم بعظيم نعمة الله عليهم وانه تعالى
ابتدأهم بها قبل استحقاقها فبذلوا مجهودهم في عبادته تعالى ليؤدوا بعض شكره مع أن
حقوق الله اعظم من أن يقوم بها العباد اه وقيام الليل كان في اول الاسلام واجبا
عليه صلى الله عليه وسلم وعلى أمته كما ذكره الله تعالى في أول سورة المزمل ثم نسخ بما في
آخرها ثم نسخ عن الامة بالصلوات الخمس وكذا عنه على الاصح كما نص عليه الامام
الشافعي رضى الله تعالى عنه لكن أكثر أصحابه على أنه صلى الله عليه وسلم لم ينسخ عنه
لقوله تعالى ومن الليل فتهجد به نافلة لك اى عبادة زائدة في فرائضك لان الامر للوجوب
وقيل معناه زيادة نافلة لك لان تطوع غيره يكفر ذنبه وتطوعه خالص له لكونه صلى الله
عليه وسلم لاذنب عليه فسائر تطوعاته صلى الله عليه وسلم لمحض زيادة الدرجات والقرب
وأما حديث اللهم انى اسألك الجنة وماقرب اليها من قول او عمل وأعوذ بك من النار
وماقرب اليها من قول أو عمل فهو تعليم لامته فصلى الله عليه وسلم بين الخوف والرجاء
المقابلة ومن أوصافها أيضا انها (دميت) اى خرج دمها (في الوغى) قال الشارح هو
الصوت والجلبة ويقال للحرب لما فيها من الصوت والجلبة وكثرة اختلاط الاصوات وهو
المراد هنا اه (لتكسب) هى (طيبا ما) الذى (أراقته) هى (من الدم) بيان لما (الشهداء)
جمع شهيد فعيل بمعنى فاعل لانه يشهد الجنة وما أعد الله فيها عند طلوع روحه
أو مفعول لان ملائكة الرحمة تشهده عند ذلك وهو فاعل أراقت اى من حكم خروج
الدم من رجله المشرفة أن يعود طيب ذلك الدم وبركته على جميع دم الشهداء حتى تكون
رائحته منهم كريح المسك كما أخبر صلى الله عليه وسلم عن دمهم بانه كذلك وكان ينبغى
للناظم أن يذكر هذا من أوصاف يده الكريمة لان الذى في البخارى أنه صلى الله عليه وسلم
دميت اصبعه فقال هل انت الا اصبع دميت وفي سبيل الله مالقيت وقد يحمل كلام
الناظم على ماسبق انه صلى الله عليه وسلم خرج الى ثقيف يدعوهم الى الله تعالى فأبوا
واغروا به سفهاءهم فرموه بالحجارة الى أن ادموا رجليه فخلص من شدة الالم وبدموله
بعصمة منهم فان قلت ليس هنا حرب والناظم قيد ذلك بالوغى قلت قد علمت ان اصل الوغى

(قوله ووقع الشارح رحمه الله الخ) عبارته ووصف القدم المذكورة بأنها ورمت من طول قيامه عليها في طاعة الله تعالى صلاة وخوفا ورجاء وان كل ذلك الصادر منه لله تعالى عصمه الله من الميل الى أعراض الدنيا صلى الله عليه وسلم (قوله والجلبة) عبارة المختار الجلب والجلبة بفتح اللام فيهما الاصوات وعليه فهو من عطف المرادف وذكر قبل ذلك ان جلب يجلب جلبا وزن طلب يطلب طلبا بمعنى صاح بهم من خلفه واستحثه للسبق وكذا أجلب عليه وأجلبوا عليه تجمعوا (قوله تشهده) اى تحضره (قوله عند ذلك) اى خروج روحه (قوله وقد يحمل الى آخر ماذكره) انما يصح كون ماذكره من أوصاف رجله لا راحته فيقتضى أن المناسب ذكره من أوصافها ايضا فلم يستفد من ذلك الناظم الجواب عنه فتأمل (قوله أدموا رجليه) اى عراقيبه كما سيأتي التصريح بذلك وهى عصب فوق القدم فلا يطابق المدعى من كون التى دمى قدمه فان ثبت نزول الدم من خصوص القدم بجرحها اتضح ماذكره من غير احتياج لتكلف جواب بتقدير

الصوت والجلبة وهذا امر موجود هنا على أن لنا أن نمنع قول الشارح ليس هنا حرب ويسند المنع انه اقام عندهم شهرا يدعوهم وهم لا يجيبونه بل يغرون به سفهاءهم وعبيدهم يسبونه قال موسى بن عقبة ورجموا عراقيبه بالحجارة حتى اختضبت نعلاه بالدماء زاد غيره وكان اذا اذلقته الحجارة قعد الى الارض فيأخذونه بعضديه فيقيمونه فاذا مشى رجموه وهم يضحكون وزيد بن حارثة يقيه بنفسه حتى لقد شج فى رأسه شجاجا وهذا حرب اى حرب لان من اقام بين ظهرانى العدو يواجههم بما يكرهون من غير أن ينزجر بزجرهم ولا ينكف عنهم بضربهم محارب لهم اى محارب ويدل لذلك أن ائمتنا عدوا من المحارب بين الصفين اذا تقابلا بحيث يصل سلاح كل الى الآخر وان لم يقع قتال بل ولا سل سيف ولا رمى سهم تنزيلا لما بالقوة منزلة ما بالفعل فكذلك هنا بل اولى لانه وجد من جانبهم ضرب وجرح وغيرهما ومن جانبه غلظة عليهم وسب لهم ولآلهتهم وبما قررته يعلم عذر الشارح فى صرفه الوغى عن معناه الحقيقى الى معناه المجازى وقال انه المراد هنا اى كما يقتضيه سياق الكلام لكن كان عليه أن يبين ما يشهد لذلك المراد من كتب السير اوغيرها وانما تقرر انه صلى الله عليه وسلم قام على قدميه حتى تورمت وانه اصيب فى الحرب ليكسب طيب دمه ادم الشهداء طيبا (فهى) حينئذ (قطب المحراب و) قطب (الحرب) اى انتهى اليها الثبات فى الصلاة والحرب الى حالة لم توجد فى غيرها لانه صلى الله عليه وسلم لا أتقى ولا اخشع لله تعالى منه ولا اشجع كما مر فهى قطب العبادات والجهاد فى سبيل الله تعالى لا تتحرك ولا تنتقل عن مكانها فلذا دارت عليها قبائل العرب الذين اكرمهم الله تعالى بطاعته للاقتداء بها والجهاد معها كما قال (كم) اى مرات كثيرة (دارت عليها فى طاعة) لله تعالى حال من قوله (ارحاء) اى قبائل وهذا تخييل وقطب الرحا ما تدور عليه ويسمى امير الجيش قطب رحا الحرب لانها انما تدور عليه واستفيد من ذلك انها مركز دائرة الوجود فهو نقطة الكون المخلوق لاجلها ابتداء والمتصرف فيه انتهاء وبين المحراب والحرب تجنيس الاشتقاق (وأراه) اى اعلم انه صلى الله عليه وسلم (لو) هى مع شرطها وجوابها سدت مسد المفعول الثانى ويصح ان ما يجئ هو المفعول وجواب لو محذوف دل عليه ما يجئ واعلم أن الكلام على لو كثر اختلاف العلماء فيه وقد أردت هنا ايراد خلاصته لانه مما يضطر الى معرفته فأقول هى شرط الماضى غالبا واختلفت عبارات النحاة فى معناها حتى قيل انهم لم يفهموه قال سيبويه هى حرف لما كان سيقع لوقوع غيره وقال البصريون حرف امتناع لامتناع واختلف فى مرادهم فقال ابن الحاجب مرادهم امتناع الشرط لامتناع الجواب لا عكسه لان انتفاء السبب لا يدل على انتفاء مسببه لجواز أن يكون للشئ اسباب واستدل لذلك بقوله تعالى لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا لانها مسوقة لنفى تعدد الآلهة بامتناع الفساد لا عكسه اذ لا يلزم من انتفائها انتفاؤه اذ المراد فساد نظام العالم عن حالته المشهودة لجواز أن يفعله الاله

(قوله أذلقته) بذال معجمة وقاف اى أضعفته (قوله فى طاعة) اى من صلاة وجهاد وغيرهما (قوله واستفيد من ذلك الخ) قد يقال هذا لا يفيده جوهر اللفظ وان كان ما ذكره ثابتا فى نفس الامر اذ المستفاد من جوهره أنها مركز دائرة خصوص العباد والمجاهدين فتدبر

الواحد

الواحد سبحانه اه وردّوا عليهم وأطالوا وصوّبوا أن المراد امتناع جوابها لامتناع شرطها كما هو المتبادر للافهام واعترض ذلك بأن الجواب قد لا يمتنع فى اماكن كثيرة نحو ولو أن ما فى الارض من شجرة اقلام الآية وقول عمر رضى الله تعالى عنه نعم العبد صهيب لو لم يخف الله لم يعصه لان عدم النفود محكوم به وجد الشرط ام لا وكذلك عدم العصيان وجد الخوف ام لا فلذلك حوّل جمع محققون العبارة عن معناها فقالوا انها حرف يقتضى امتناع ما يليه واستلزامه لتاليه من غير تعرض لنفى التالى فقيام زيد من لو قام زيد قام عمرو محكوم بانتفائه وبكونه مستلزما ثبوته لثبوت قيام من عمرو وهل لعمرو قيام آخر غير اللازم عن قيام زيد أو ليس له لا تعرض لذلك ثم ان ناسبه بأن لزم التالى الاوّل عقلا او شرعا او عادة ولم يخلف المقدم فى ترتب التالى عليه غيره لزم انتفاؤه بانتفائه كلو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا فتفاسدهما لازم لتعدد الآلهة على وفق العادة عند تعدد الحاكم من التمانع فى الشئ ولم يخلف التعدد فى ترتب الفساد غيره فينتفى الفساد بانتفاء التعدد المفاد بلو وان خلفه لم يلزم كلو كان انسانا لكان حيوانا فالانسان لازم الحيوان عقلا لانه جزؤه وهو خلف الانسان فى ترتب الحيوان غيره كالحمار ويثبت التالى مع انتفاء الاول ان لم يناف انتفاءه وناسبه اما بالاولى كالاثر عمر المرتب فيه عدم العصيان على عدم الخوف وهو بالخوف المفاد بلو أنسب للترتيب عليه ايضا فى قصده والمعنى أنه لا يعصى الله مطلقا لا مع الخوف وهو ظاهر ولا مع انتفائه اجلالا له تعالى عن ان يعصيه او المساوى كقوله صلى الله عليه وسلم فى بنت ام سلمة لو لم تكن ربيبتى فى حجرى ما حلت لى انها الابنة اخى من الرضاعة رواه الشيخان اى لا تحل لى اصلا لان لها وصفين متساويين المصاهرة والرضاع لو انفرد كل منهما حرم او الادون كلو انتفت اخوة الرضاع ما حلت للنسب الادون منه الرضاع (لم يسكن) هو (بها) اى بقدمه الشريف (قبل) بالبناء على الضم (حراء) مفعول يسكن بالصرف هنا لا غير لئلا يتزحف الوزن وفى غير هذا يجوز كل منهما بالاعتبارين المعروفين (ماجت) اى تحركت واضطربت (به) اى القدم او النبى صلى الله عليه وسلم وفى نسخة بها (التأماء) اعلم أن الشارح رحمه الله تعالى تكلم على هذا البيت بما فيه خفاء وتظر لانه جعل مفعول اراد الثانى ماجت ولو لم يسكن شرطا جوابه محذوف لدلالة الكلام عليه وقال فى التأماء هى بالمعجمة كأنه اراد بها سرعة الحركة وقال فى حله ومن اوصافه صلى الله عليه وسلم انه لو لم يسكن بالقدم المذكور حراء لما اراد التحنث فيه ماجت به سرعة الحركة واستمر اضطرابه به صلى الله عليه وسلم كما انه لما صعد احد اضطرب به فقال اسكن احد فما ذاك تسكين بالقول وهذا بالفعل اه ولم يظهر من هذا الحل مع ما قبله من الاعراب معنى مطابق للنظم وجعل سرعة الحركة فاعل ماجت فى غاية الخفاء مع عدم المناسبة لما قبله على انه فى القاموس لم يذكر التأماء بالمعجمة ولا التأمه بالمعجمة بمعنى مناسب للسرعة الحركة ولا مقاربا لها اصلا وانما ذكر لا تأمه

ماقد يناسب سرعة الحركة وهو الرعب وعبارته في ذأمه بالمعجمة كمنعه حقره وذمه
وطرده وخزاه والاذآم الرعب وماسمعت له ذأمة كلمة اه واعلم ذكر الداماء بالمهملة
فقال الدأم الحائط كمنع دعمه وتدأم الماء الشئ غمره والفحل الناقة تجللها وتداءمه الامر
كتفاعله تراكم عليه وتزاحم والداماء البحر ثم قال وجيش مدأم كثير يركب كل شئ انتهى
والذى يتجه في محله ان ماجت جواب لو وان الدأماء بالمهملة وانها البحر وان فيها
الاستعارة المصرحة لانه شبه الجبل بالبحر لانه لما تحرك به صلى الله عليه وسلم اشبه تحركه
حينئذ تحرك البحر براكبه وان ماجت استعارة مرشحة لانها تناسب المشبه به وهو
البحر اذ لا يستعمل ماج الا في الماء كما يصرح به كلام القاموس وحينئذ فالمعنى واعلم انه
لو لم يسكن بقدمه حراء الجبل اى عند ابتداء تحركه به بقوله له اثبت حراء الى آخر ما مر في
شرح قوله لما هتزته الصلاة فيها حراء الملاح اى استمر اضطرابه وتحركه الى آخر الدهر لما مر
انه اهتزة الطرب والسرور برقيه صلى الله عليه وسلم عليه وكان القياس لو لم يسكن بقدمه
الشريف قبل حراء ماج لكن لما احتاج الى تشبيه الجبل بالبحر فيماذكر عدل عن ذلك
الى ماجت الدأماء لافادتها في تشبيه الجبل بالبحر من البلاغة المبنية على الاستعارتين
المذكورتين فان قلت الذى مر في حراء انه انما قال له اثبت او نحوه ولم يضرب به بقدمه
وانما الذى ضرب به بقدمه أحد وثبير فمن أين للناظم قوله لو لم يسكن بها قبل حراء قلت كأنه
نظر لما في بعض الطرق في مسند الحرث بن أسامة اذ فيها أحد أو حراء بالشك وصح في رواية
حراء وفي رواية أحد فاقتضى ذلك أن الضرب بالقدم الكريمة في حراء كما انه في أحد ولك
أن تحمل النظم على ان المراد لو لم يسكن حراء قبل اى قبل طلوعه عليه هو وأصحابه
بقدمه اى مشيه عليه واقامته فيه للتعبد قبل النبوة لاستمر تموجه واضطرابه حتى طلع
عليه ثانيا هو وأصحابه وحينئذ لا يرد على الناظم شئ الا أن يقال المسكن له كل من قدمه
وقوله له اثبت او اهدأ حراء فلا وجه لتخصيص القدم بالذكر وقد يجاب بأنه لا مانع أن
المسكن له كل من الامرين فنسبته الى القدم لا ينافى انه لا مسكن غيرها ولك ايضا أن
تجعل الدأماء الارض تسمية للمحل باسم الحال وحينئذ فالمعنى لو لم يسكن بقدمه الكريم
حراء اى بتعبده فيه قبل النبوة لماجت به الارض بعد النبوة فرحا وطربا الى آخر الدهر
وخص حراء لانه صلى الله عليه وسلم خصه بتعبده فيه دون غيره * (تنبيه) * اشار صلى الله
عليه وسلم في أحد الى أن سبب تحركه محبته له فقال أحد جبل يحبنا ونحبه رواه
الشيخان قال الخطابي والمراد يحب أحد يحب أهل المدينة فهو واسئل القرية ورده
البغوى ونحوه بأنه لا مانع من حمله على ظاهره ولا ينكر وصف حب الجمادات بحب
الانبياء والاولياء وأهل الطاعة نظير ما مر في حنين الجذع لمفارقته صلى الله عليه وسلم
وحديث ان حجرا كان يسلم على قبل النبوة وروى البزار وأبو نعيم حديثا لأوحى الله

(قوله انماجت جواب لو) أو مفعول ثان ١٩٠ دل على جواب لو المحذوف كما سبق آنفا (قوله استعارة مرشحة) ذكر البيانيون
أن الترشيح يجوز أن يكون باقيا على
حقيقته وأن يكون مستعارا من
ملائم المستعار منه لملائم المستعار
له فما ذكره الشارح جار على هذا
الجائز الثاني بتشبيه تحرك الجبل
بموجان البحر واستعارة الموجان
للتحرك ثم اشتق منه ماج بمعنى
تحرك ففيها استعارة تصريحية
تبعية فهو ترشيح لفظا تجريد معنى
وتسميتها مرشحة لجريانها في
الترشيح والا فهى تصريحية تبعية
كما علمت (قوله اى استمر الخ) اذ هو
الذى انتفى بمقتضى لو والا فاصل
التحرك قد وجد لكن قوله الى
آخر الدهر يحتاج استفادته الى
عناية وقد يقال ان التحرك تحرك
طرب ومن خلق الطرب قوة
ادراك سببه من حلول النبي ومن
معه عليه لا يغفل عنه فلا ينقطع
تحركه (قوله لكن لما احتاج الخ) فيه
أنه لا يحتاج في التشبيه المبنى عليه
الاستعارة الى ذلك العدول لان
الضمير في ماج المعدول عنه كهذا
الظاهر في المعدول اليه في جريان
الاستعارة وان اختلفت حقيقة
الاستعارتين من أنها في الظاهر
مصرحة وفي الضمير مكنية نعم
استقامة النظم متوقفة على هذا
العدول (قوله واهدأ حراء) اى
اسكن يقال هدأ يهدأ كمنع
يمنع (قوله أنه لا مسكن غيرها)
حق العبارة أن يقول لا ينافى
كون المسكن غيرها معها أو يقال لا تقتضى أنه لا مسكن الا هو فتأمل (قوله تسمية للمحل الخ) ليصح من الى
تسمية الكل باسم الجزء لان ماخلقت منه الارض غير ما خلقت منه الجبال كما سبق فخلقت الارض أولا ثم خلقت الجبال عليها

(قوله لا بالقيدين المذكورين) اى العناد والخذلان بقرينة قوله وان فانهما الخ وأما الحسد والغل فيرجعان الى العناد لانهما سببه (قوله لن نؤمن الخ) اى تعنتا بعدما ألزمهم الحجة ببيان اعجاز القرآن وانضمام غيره من المعجزات اليه والينبوع عين لا ينضب ماؤها (قوله أو تكون لك جنة الخ) اى بستان يشتمل على ذلك (قوله أو تسقط السماء الخ) يعنون قوله تعالى أو تسقط عليهم كسفا من السماء وهو كقطع لفظا ومعنى وقد سكنه ابن كثير وأبو عمرو وحمزة والكسائي ويعقوب في

جميع القرآن الا الروم وابن عامر الا في هذه السورة وأبو بكر ونافع في غيرهما وحفص فيما عدا الطور (قوله قبيلا) اى كفيلا بما تدعيه اوشاهدا على صحته ضامنا لدركه أو مقابلا اى نراه مقابلة كالعشير بمعنى المعاشر وهو حال من الله وحال الملائكة محذوفة لدلالتها عليها أو جماعة فيكون حالا من الملائكة (قوله أو يكون لك بيت من زخرف) من ذهب وقد قرئ به واصله الزينة اوترقى في السماء في معارجها ولن نؤمن لرقيك وحده حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه وكان فيه تصديقك (قوله اولى مما قرره الشارح) عبارته والذى موصول وهو المبتدا ويسألون صلة الموصول والظاهر أن العائد محذوف اى يسألونه وضمير منه النبي صلى الله عليه وسلم وكتاب خبر المبتدا ومنزل صفته وقد أتاهم جملة حالية وارتقاء معطوف على كتاب وكأنه أشار الى قوله تعالى اوترقى في السماء ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه ثم قال والمعنى تعجب من مقامهم على كفرهم مع مشاهدتها يعنى معجزاته صلى الله عليه وسلم بل من ازدياد كفرهم مع مشاهدتهم من الآيات والمعجزات ما يرشد العقول الى الحق ويهدى اليها ولا المعاندة والخذلان وأخذ يوبخهم بما حكاه عنهم من أنهم سألوه صلى الله عليه وسلم أن يرقى في السماء ويأتيهم بكتاب منزل عليه ولم يكتهم عن ذلك الذى تعنتوا بطلبه واقترحوه عليه ما أنزل عليه من الكتاب العزيز الذى هو رحمة للمتقين وشفاء للمؤمنين قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء

التى جعلت لا أمر بشجر ولا حجر الا قال السلام عليك يا رسول الله ومما ذكر جملة كثيرة من معجزاته صلى الله عليه وسلم التى من شاهدها آمن به من فوره يتبين أن الكفار الذين شاهدوها ولم تزدهم الا ضلالا لا حقيقون بأنه يقال في شأنهم (عجبا) بدل من اللفظ بفعله وهو الامر المستغرب الخارج عن قياس العقول (الكفار) اى منهم حال كونهم (زادوا ضلالا) المعجزة القرآن وغيره (الذى فيه) اى في كل فرد من افراده (للعقول) السليمة الخلية عن العناد والخذلان والحسد والغل ومر الكلام على العقل وما فيه من الخلاف (اهتداء) الى الدين الحق الذى جاء به صلى الله عليه وسلم والى صحة ما تحدى به ويصح أن يراد العقول لا بالقيدين المذكورين حملا للاهتداء على ما يشمل ما بالقوة وما بالفعل اذ المعجزة فيها الاهتداء بالقوة وان فاتها عنادا أو خذلانا وبين الضلال والاهتداء والجن والانس الآتيين الطباق ووجه التعجب منهم واضح فانهم كانوا مع ما شاهدوه من الآيات والمعجزات التى ترشد العقول الى الحق لا يزدادون لما عندهم من الحسد والتلبيس على الضعفاء منهم الا اباء وكفرا وتمردا كما قال تعالى عنهم وان يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر (و) عجبا أيضا من (الذى) (يسألونه) (منه) على جهة التعنت والعناد وهو كثير منه (كتاب منزل) معه عليهم من السماء (قد أتاهم) به وهم يشاهدونه (وارتقاء) منه اليها وغير ذلك مما حكاه الله تعالى عنهم بقوله تعالى لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا أو تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الانهار خلالها تفجيرا أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا أو تأتى بالله والملائكة قبيلا أو يكون لك بيت من زخرف أو ترقى في السماء ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه وقالوا له أيضا لقد علمت أنه ليس أحد من الناس أضيق بلدا ولا أقل ماء ولا أشد عيشا منا فاسئل ربك فليسير عنا هذه الجبال التى ضيقت علينا وليبسط لنا في بلادنا وليفجر لنا فيها انهارا كأنهار الشام وليبعث لنا من مضى من آبائنا وليكن فيهم قصى بن كلاب فانه كان شيخ صدق فان صدق قولك صدقناك وما قررته في هذا البيت أولى مما قرره الشارح فيه من أن الذى مبتدا خبره كتاب وارتقاء معطوف عليه لانه حينئذ لا تعلق له بما قبله ولا بما بعده مع ما فيه من غموض المعنى بخلاف ما ذكرته فان مناسبته لما قبله واضحة وكذا لما بعده كما يدل عليه الاستفهام التعجبى الانكارى في قوله (أ) يقولون ذلك كله ويتعنتون به (ولم

يكفهم) عن ذلك كله (من الله) حال من فاعل يكف وهو (ذكر) واصل اليم وتسميته
ذكرا جاءت فى آيتين احداهما الشرف كما فى آية وانه لذكر لك ولقومك وفى أخرى مرادا به
انه مذكر لكل ما ينفع ومحذر عن كل ما يضر (فيه للناس) والجن والملائكة (رحمة)
باهتداء المؤمنين به وتأخير عذاب الاستئصال عن الكافرين ببركة كونه بين ظهرانيهم
(وشفاء) من كل داء ظاهر وباطن حسى أو معنوى كما قال تعالى قل هو للذين آمنوا هدى
وشفاء وتخصيص المؤمنين لانهم المقصودون بذلك بالذات وغيرهم بطريق التبع وانما
قلت والملائكة لقول بعض أكابر أئمتنا ان الملائكة لم يعطوا فضيلة حفظ القرآن
لكنهم حريصون على استماعه من غيرهم قال العلماء لم ينزل الله من السماء شفاء قط أعم ولا
أنفع ولا أعظم ولا أنجع فى ازالة الداء من القرآن فهو للداء شفاء ولصدا القلوب جلاء
كما قال تعالى وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين قال الفخر الرازى وغيره ومن
ليست للتبعيض بل للجنس والمعنى وننزل من هذا الجنس الذى هو القرآن شفاء من
الامراض الروحانية كالاعتقادات الفاسدة فى الالهية والنبوة والمعاد وفى القرآن من
النصوص القاطعة بفساد تلك ما يكفى ويشفى وكالاخلاق المذمومة وفيه أوضح بيان
لانواعها وحض على اجتنابها ومن الامراض الجسمانية بالتبرك بقراءته عليها لكن
مع الخلوص وفراغ القلب من الاغيار وقربه واقباله على الله تعالى بالكلية وعدم أكل
الحرام وعدم رين الذنوب وعدم استيلاء الغفلة على القلب وصح حديث ان الله لا يقبل
الدعاء من قلب غافل لاه وقراءته من هذه حالته على أى مرض كان مبرئة له وان أعيا
الاطباء ومن ثم قال بعض الائمة متى تخلف الشفاء فهو اما لضعف تأثير الفاعل أو لعدم
قبول المحل المنفعل أو لمانع قوى فيه يمنع أن ينجع فيه الدواء كما يكون ذلك فى الادوية
والادواء الحسية فقد روى حديث من لم يستشف بالقرآن لا شفاه الله وروى ابن ماجه
أنه صلى الله عليه وسلم قال خير الدواء القرآن وعن العارف الامام الكبير أبى القاسم
القشيرى رحمه الله تعالى أن ولده اشتد به مرض فانزعج عليه فرأى النبى صلى الله عليه
وسلم فشكا اليه ما بولده فقال له أين أنت من آيات الشفاء اى وهى ست آيات مشهورة
فكتبها ومحاها بماء وسقاها له فكأنما نشط من عقال ثم استطرد بذكر شئ مما اشتمل عليه
القرآن العزيز من المعجزات الباهرة والآيات الظاهرة فمن ذلك بل أبهره فى قمع
المعارض وادحاض الجاحد أنه (أعجز) قيل علم اعجازه ضرورى والاصح أن محله فيمن
شاهد النبى صلى الله عليه وسلم او علم وجوه الاعجاز وظاهر أن المشاهد يحصل له العلم
الضرورى باعجازه وان لم يعلم وجوه الاعجاز ولا يستبعد ذلك لان من كشف عن قلبه
الغطاء عند المشاهدة يحصل لقلبه العلم الضرورى أنه رسول الله صلى الله عليه وسلم وما
جاء به من عند الله تعالى وانه معجز الخلق عن مثله لان هذا امر يدركه الذوق السليم وان
لم يكن صاحبه أن يعبر عنه بل لو ادعى مدع أن ذلك قد يحصل لبعض حذاق العوام لم

(قوله والملائكة) ظاهر بالنسبة للرحمة وقد وجه ذلك بقوله وانما قلت الخ لانهم يتنعمون ويتلذذون باستماعه وذلك نعمة عظيمة وأما كونه شفاء فخاص بالثقلين لان الملائكة اجسام نورانية لم نعلم اتصافهم بأمراض حسية ومعصومون فلا يتصفون بالامراض المعنوية فلا يحتاجون لدواء تأمل (قوله ولا أنجع الخ) قال فى الصحاح ونجع فى الدابة العلف ولا يقال انجع وقد نجع فيه الخطاب والوعظ والدواء اى دخل واثر فيه اه وقوله ولا يقال انجع اى من باب الفعل المزيد وأما صوغ اسم التفضيل من نجع كما فى الشارح فصحيح تأمل (قوله بقراءته) أو بكتابته ومحو نقوشه بالماء او نحوه وشربه كما فى قصة القشيرى الآتية (قوله وهى ست آيات) هى ويشف صدور قوم مؤمنين وشفاء لما فى الصدور يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين واذا مرضت فهو يشفين قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء

يعد لاسيما وكل أحد يدرك فرقا بينهما بين القرآن وغيره عند سماعهما (الاقس آية) عبر بها تبعا للقاضي ولم يبال بأن الذى عليه الجمهور أن اقل ما وقع به التحدى اقصر سورة منه وهى ثلاث آيات ومثلها طلب منهم صلى الله عليه وسلم أن يأتوا بمثله فعجزوا فطلب أن يأتوا بعشر سور من مثله فعجزوا فطلب منهم أن يأتوا بسورة من مثله فعجزوا فكان اقل ما طلب منهم قدر اقصر سورة من سوره وذلك لان فى دليل الجمهور تشبيها اذ يلزم من كونه لم يطلب منهم دون السورة انهم قادرون على اقل منها الان المشاهدة قاضية بأنهم عجزوا حتى عن بعض الآية المفيد كما يفيده قول الناظم الآتى أو بعضها الان فى ارتباطها بما قبلها او بعدها انواعا من بدائع الحكم لا يحيط بها غيره صلى الله عليه وسلم فالحق انهم عاجزون عن محاكاة آية من آياته حتى ثم تنظر او بعضها المفيد لكن مع النظر لمناسبتها لما قبلها وما بعدها واما التصريح بأنه لم يقع التحدى الا عن ثلاث آيات فترده المشاهدة الخارجية اذ لم يسمع عن احد قط انه حاكى شيأ (منه و) اعجز (الجن) آية منه ايضا وذكرهم كالآية لان التحدى وقع لهم ايضا لانه صلى الله عليه وسلم مبعوث لهم اجماعا وزعم انهم انما ذكروا لتعظيم الاعجاز لانهم ليسوا من أهل اللسان العربى يرد بان الآية تقتضى انهم يحسنون اللسان العربى فادعاء خلافه يحتاج لدليل قيل ولم يذكر الملائكة لانه صلى الله عليه وسلم ليس مرسلا اليهم ويرد بان الاصح خلافه ومن ثم قال بعضهم انهم منويون فى الآية أيضا وانهم لا يقدرون على معارضته اى وكان حكمة عدم ذكرهم عصمتهم عن المخالفة فلم يحسن تحديهم وعلى كل فلم يستطع أحد من الفريقين بل الثلاثة فى زمنه صلى الله عليه وسلم ولا بعده ان يأتى بمثل سورة أو يأتى بمثل آية منه على نظمه البديع وتاليفه المنيع وعذوبة منطقه وما فيه من الامثال والاخبار بالمغيبات ودلائل البعث والنبوة والاخلاق الكريمة وضدها وهذا مقتبس من قوله تعالى قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا وحينئذ (فهلا) هى فى الاصل للتحضيض والمراد بها هنا التهكم وتقريع من حيث ان لو لا بمعنى هلا فيثبت لهذه ما لتلك فلولا نصرهم الذين اتخذوا من دون الله قربانا آلهة لآية فهى هنا للتوبيخ والتنديم فكذلك هلا هنا التوبيخ من يزعم امكان المعارضة كبعض أهل الضلال والالحاد (يأتى ببعضها) اى الآية والمراد بعضها المفيد وفى نسخة شرح عليها الشارح به والاحسن عود ضميره على ما ذكر من الآية وأعاده على القرآن وما قلناه أبلغ (البلغاء) جمع بليغ والفرق بين الفصاحة والبلاغة ان الاولى خلوص اللفظ من تنافر الحروف والغرابة ومخالفة القياس اللغوى ويوصف بها الكلام والمتكلم والكلمة والثانية مطابقة الكلام لمقتضى الحال بان يدل على ما يقتضيه حال المتكلم أو المخاطب أو المحكى من تنكير أو اطلاق أو تقديم أو اضمار أو ايجاز أو فصل أو ضد كل ويوصف بها ما عدا الكلمة وبلاغة المتكلم ملكة يقتدر بها على ايراد الكلام البليغ غير محتاج الى

(قوله او بعضها) لا وجود له فى كلام الناظم وانما النسخة المحرقة يبعضها وهى خطأ والصحيحة يأتى بها البلغاء فان كان هناك نسخة ثالثة هى به او بعضها ظهر قوله او بعضها وهى أخش تحريفا من نسخة يبعضها تأمل (قوله تعظيما الخ) اى لان للهيئة الاجتماعية من القوة ما ليس للافراد واذا فرض اجتماع الثقلين وظاهر بعضهم بعضا وعجزوا عن المعارضة كان الفريق الواحد أعجز (قوله العربى) اى الذى جاء القرآن على أساليبه (قوله بان الآية) اى قوله تعالى قل لئن اجتمعت الانس والجن (قوله وفى نسخة الخ) اى وشرح عليها هو أيضا فى النسخة المرجوع عنها فقال به اى بمثل ما ذكر من السورة أو بعضها ثم ضرب عليه وعدل الى ما رأيت من قوله يبعضها وهو مبنى على محرفته بدا التحريف فى النظم اذ لا .. انه ان قوله يبعضها يخرج النظم عن ميزان الشعر ويلحقه بالنثر فالصواب ما شرح عليه أولا من قوله به فليرجع اليه وليعتمد عليه (قوله به) اى بدل قوله يبعضها وهو الصواب لعدم استقامة الوزن على نسخة يبعضها (قوله على القرآن) اى المعبر عنه فيما سبق بالذكر والا فلفظ القرآن لم يتقدم تأمل

تعقيب أو استدراك وأفاد الناظم رحمه الله تعالى بهذا أن البلغاء والشعراء فضلاء من غيرهم مع انهم العرب الفصحاء والخطباء البلغاء والشعراء والفهماء في قريش وغيرها والمتقدمون في اللسن والتبيان والرؤساء في قوانين المعاني والبيان والفرسان في ميادين الفصاحة والشجعان في مهامه البلاغة أظهروا عوار عجزهم عن المعارضة وعثار عقلهم عن المناقضة ومن ثم كان عجزهم عن ذلك أعجب في الآية وأوضح في الدلالة من احياء الموتى وابراء الاكمه والابرص لان قوم عيسى عليه الصلاة والسلام لم يكونوا يطمعون في ذلك ولا يتعاطون علمه وقريش كان أعلى أربهم ومنتهى طلبهم التفنن في افنية الفصاحة والتنزه في رياض البلاغة والتقدم في أعاجيب الخطابة وأساليب البراعة فدل عجزهم عنه مع ذلك على انه اعظم ولكونه من اعلام نبوته صلى الله عليه وسلم وبراهين رسالته وهذه حجة قاطعة ومحجة ساطعة اذ محال ان يلبثوا ثلاثا وعشرين سنة عن السكوت عن معارضة آية منه المستلزمة لنقض أمره وتفريق اتباعه وزوال شوكته وحيازة مرتبته مع قدرتهم عليها وطلبها منهم وقتل أكابرهم وسبي ذراريهم وهو لا يزداد الا تقريعا لهم بعجزهم حتى يكشف من قصصهم ما كان مستورا وقال لهم ان زعمتم أني افتريته لعلمي بأخبار الامم فأتوا بعشر مثله فلم يرم ذلك خطيب ولا طمع فيه شاعر ولا تكلفه مصقع والا لظهر ووجد من يستجيده ويحامي عليه ويزعم بمجرد الدعوى انه عارض وناقض فاذا لم يوجد ذلك مع ان كثيرا منهم هجاه وعارض شعراء أصحابه وخطباء امته صلى الله عليه وسلم قطع بعجزهم وعيرهم وانقطاعهم ومن ثم قال الخطابي وقد كان صلى الله عليه وسلم اعقل خلق الله تعالى وقد قطع القول بأن ما أتى به من عند ربه معجز وانهم لا يأتون بمثل اقصر سورة منه فلولا أنه على بينة واختصاص من ربه والا لم يقطع بشيء من ذلك على انه لم يزل ينادي عليهم بالعجز عن معارضته وبالتقصير عن بلوغ الغرض في مناقضته فلم يستطع أحد منهم ان يناديه ولم يرفع رأسه الى ان يباريه بل رضيت هممهم السرية وأنفسهم الابية اذ كانوا آنف شيء وأشده حمية بسفك الدماء وهتك الحرم ولذلك قال العلماء رضي الله عنهم من أعلى وجوه اعجاز القرآن ان فصاحته وبلاغته خرقت عادة العرب مع أنهم اوتوا منهما ما لم يؤته غيرهم لانهم كانوا يأتون منهما على البداهة بالامر الاعجب ويدلون به الى كل سبب فيخطبون بديها عند شدة الطلب ويرتجزون بين الطعن والضرب ويترسلون في أوديتهما فيأتون بالسحر الحلال ويطوقون من دررهما أجمل من سمط الجمال فلا يشك ذو عاقل أنهما طوع مرادهم وسلك قيادهم فجاءهم الرسول كريم بكتاب قديم لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد بهرت بلاغته العقول وظهرت فصاحته على كل مقول وهم أفصح ما كانوا في هذا الباب مقالا وأشد ما وجدوا في الخطابة والشعر منالا صار خاتمهم في كل حين مقرعا لهم على رؤس الملا أجمعين فأتوا بسورة من مثله والا فأنتم المردودون الى أسفل سافلين ثم لم يزل يقرعهم

(قوله في قوانين) جمع قانون اي أصل وليس بعربي (قوله في مهامه) المهمه المفازة البعيدة والجمع المهامه اه جوهري (قوله عوار) العوار العيب وقد تضم العين اه صحاح (قوله في الآية) اي العلامة (قوله مصقع) بكسر الميم وسكون الصاد اي بليغ (قوله يباريه) اي يعارضه ويأتي بمثله (قوله آنف شيء) يقال أنف من الشيء يأنف أنفا وأنفة اي استنكف اه صحاح (قوله من سمط) السمط وزان حمل القلادة اي الخيط ما دام فيه الخرز والا فهو سلك (قوله الجمال) باللام هو الموافق للسجع ووقع في بعض النسخ الجمان بالنون وكتب عليه بعضهم الجمانة حبة تعمل من الفضة كالدرة وجمعها جمان

(قوله بالتشغيب) اى تهييج الشر (قوله وأساطير) قال في القاموس والاساطير الاحاديث لا نظام لها جمع اسطار واسطير
بكسرهما واسطور وبالهاء في الكل اهـ اى اسطارة واسطيرة واسطورة

وبوبخهم ويسفه أحلامهم ويحط أعلامهم ويسب آلهتهم ويستبيح ديارهم
وأموالهم وهم لا يزدادون الا تقهقرا عن المعارضة ثم بأو احتيال صابرون على الجلاء
والقتل والصغار والاذلال ناكصون عن معارضته محجمون عن مماثلته يخادعون
أنفسهم بالتشغيب والتكذيب والاعتراف بالافتراء في قولهم ان هذا الا سحر يؤثر
وسحر مستمر وافك افتراه وأساطير الاولين والمباهتة والرضا بالدنية كقولهم قلوبنا غلف
وفي أكنة مما تدعونا اليه وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب والادعاء مع ظهور رقابة
العجز عليهم بقولهم لو نشاء لقلنا مثل هذا وقد قال لهم تعالى ولن تفعلوا فما فعلوا وما قدروا
اذ لو أطاقوا أدنى معارضة لبادروا اليها وأفحموا الخصم الذي كانوا حافظين على اطفاء
نوره واخفاء أمره مع طول الامد وكثرة العدد وتظاهر الوالد وما ولد بل ابلسوا
فأبلسوا وقطعوا فانقطعوا هذا كله والآتي اليهم به مكث بين ظهرانيهم أربعين سنة
أميا لا يحسن نظم كتاب ولا عقد حساب ولا تعلم سحرا ولا أنشد شعرا ولا يحفظ خبرا
ولا روى أثرا حتى أكرمه الله بالوحي المنزل والكتاب المفصل قال الله تعالى وما كنت
تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك اذا لارتاب المبطلون وروى البيهقي وغيره ان عتبة
ابن ربيعة قام من جمع قريش الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس في المسجد
وحده فعرض عليه المال وغيره ليكف عما هو فيه فقال صلى الله عليه وسلم اسمع مني وقرأ
بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل من الرحمن الرحيم الى أن بلغ السجدة فسمع ما بهره فقال
للنبي صلى الله عليه وسلم أنت وذاك فقام الى أصحابه فقال بعضهم لبعض لقد جاءكم بغير
الوجه الذي ذهب به اليه فقالوا ما وراءك قال سمعت قولا ما سمعت مثله قط فوالله ما هو
بسحر ولا شعر ولا كهانة أطيعوني معشر قريش وخلوا بينه وبين ما هو فيه فليكونن له نبأ
ولما بلغ فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود أمسكت بفيه وناشدته الرحم ان يكف
وقد علمتم انه اذا قال شيأ لم يكذب فخفت أن ينزل بكم العذاب وروى ابن اسحق والبيهقي
ان الوليد بن المغيرة وكان زعيم قريش في الفصاحة طلب منه ان يقرأ عليه فقرأ عليه ان الله
يأمر بالعدل والاحسان الآية فاستعاده اياها فأعادها فقال والله ان له لحلاوة وان عليه
لطلاوة وان أعلاه لمثمر وان أسفله لمغدق وانه ليعلو وما يعلى وما يقول هذا بشر وما فيكم
اعلم مني بالشعر واجمعوا فيه رأيا قبل حضور وفود العرب في الموسم لئلا يكذب بعضكم
بعضا فقالوا نقول انه كاهن قال ما هو بزمزمته ولا بسجعه قالوا مجنون قال ما هو بخنقه ولا
بوسوسته قد قالوا شاعر قال قد عرفنا الشعر كله رجزه وهزجه وقريضه وبسيطه ومقبوضه
ما هو بشاعر قالوا ساحر قال ما هو بنفثه ولا بعقده وما انتم قائلون من هذا شيأ الا وأنا

وقيل هي الاباطيل وأصلها من سطرت اى كتبت اهـ من تفسير الثعلبي (قوله قلوبنا غلف) اى غطى عليها بغلاف فهي لا تحفظ والغلاف غلاف السيف (قوله وفي أكنة) اى اغطية (قوله وقر) اى ثقل (قوله بل ابسلوا) قال في الصحاح وقد بسل بالضم بسالة فهو باسل اى بطل ثم قال وابسلت فلانا اذا أسلمته للهلكة (قوله أميا) قال بعضهم أعظم به علوما خصيصة هي في حق سواه نقيصة وحكى الجرجاني من الالفاظ التي ظاهرها المدح وباطنها الذم قول بعضهم في فلان فضيلتان من فضائل النبي صلى الله عليه وسلم وهما انه لا يقول الشعر (قوله وان عليه لطلاوة) اى حسنا وقبولا (قوله وان أسفله لمغدق) لفظ ابن اسحق وان أصله لعذق بفتح العين المهملة وسكون الذال المعجمة والعذق النخلة بحملها ولفظ ابن هشام لغدق بفتح الغين المعجمة وكسر الدال المهملة من الغدق وهو الماء الكثير ورواية ابن اسحق أفصح لان بها آخر الكلام يناسب أوله (قوله ما هو بزمزمته) الزمزمة صوت خفي لا يكاد يفهم وكأنه والله أعلم اذا أراد الكاهن
حضور رئيه من الجن زمزم له فيحضر (قوله بخنقه) بالحاء المهملة اى غيظه وبعضهم ضبطه بالمعجمة وكسر النون مصدر خنقه اى ربط عنقه بحبل والمناسب للمقام الاول تامل (قوله ولا بوسوسته) هي ما يلقيه الشيطان (قوله ما هو بنفثه) اشارة الى ما يفعله الساحر من عقده خيطا ثم ينفث عليه والنفث بالفم شبيه بالنفخ والتفل يكون معه شيء من الريق

أعلم أنه باطل وروى الحاكم ان هذا الشقي لما رأى قراءة القرآن عليه سباه اللعين ابو جهل فقال يا عم ان قومك يرون ان يجمعوا لك مالا لانك اتيت محمدا للمال فقال قد علموا أني من أكثرهم مالا قال فقل فيه ما يعلم قومك انك كارهه فقال ماذا أقول وذكر ما مر من مدح القرآن قال لا يرضى عنك قومك حتى تقول فيه قال فدعني حتى أفكر ساعة فلما فكر قال هذا سحر يؤثر أي ينقله عن غيره فتأمل قضاء هؤلاء الاشقياء على أنفسهم بالفساد المحض والسفساف القبيح والتقول الباطل ومع ذلك لم يزدادوا الا ضلالا وعنادا وطغيانا وفسادا وما أحسن ما قيل لو وجد مصحف بفلاة لشهدت العقول السليمة بأنه من عند الله فكيف وقد جاء على يدي أصدق الخلق وقال انه من عند الله وتحداهم بأقصر سورة منه فعجزوا هذا وقد علم مما تقرر وجوه اعجازه اجمالا وأما تفصيلها فقد بينها الائمة بما حاصله انه ينحصر مقصود اعجازه في أمور أربعة وعدها بعضهم أكثر من ذلك وهي ترجع الى ما قلنا أحدها ما فيه من الايجاز والبلاغة والتراكيب والفصاحة بحيث وصل في كل منها ومن مراتب البلاغة فيها الى المرتبة العليا لفظا ومعنى لصدوره ممن أحاط علمه بجميع مراتب الالفاظ ومعانيها فلا يضع لفظة عقب لفظة الا اذا لم يوجد غيرها أبلغ ولا أنسب منها وغيره ليس كذلك ومن ثم لما سمع اعرابي فاصدع بما تؤمر سجد وقال سجدت لفصاحة هذا الكلام ولما سمع نصراني قوله تعالى ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه الآية قال جمعت هذه الآية ما أنزل على عيسى من أمر الدنيا والآخرة ولقد رام بعض سخفاء العقول معارضته فصار التمسخر فاقة من الهذيان بالعجب العجاب كقول مسيلمة الكذاب اللعين يا ضفدع كم تنقين وأعلاك في الماء وأسفلك في الطين لا الماء تكدرين ولا التراب تمنعين وقوله ايضا كالنازعات والناريات والزارعات زرعا والحاصدات حصدا والذاريات قمحا والطاحنات طحنا والخابزات خبزا والثاردات ثردا واللاقمات لقما لقد فضلتم على أهل الوبر وما سبقكم أهل المدر وقال آخر ألم تر كيف فعل ربك بالحبلى أخرج من بطنها نسمة تسعى من بين شراسيف واحشا وقال آخر الفيل وما الفيل

(قوله والسفساف) بفتح السين الردي من كل شيء والامر القبيح اه صحاح فقوله القبيح نعت كاشفة (قوله الى المرتبة العليا) ظاهره اختيار مذهب القاضي الآتي في شرح قوله كل يوم تهدي الى سامعيه الخ من ان كل جملة منه في أعلى طبقات الفصاحة والبلاغة فتراكيبه غير متفاوتة فيهما ويقوي اختياره له الآتي قوله فلا يضع لفظة الخ ويحتمل اختيار مذهب أبي نصر القشيري الآتي أيضا من تفاوته فيهما بان يريد ان مجموع تراكيبه في المرتبة العليا لا كل فرد فلا ينافي ان البعض متصف باصل الفصاحة لا باعلاها فليحرر (قوله مسيلمة الكذاب اللعين) ويروى عن اللعين انه قيل له ان محمدا اذا تفل في الماء الملح صار عذبا فهلا تتفل في هذا البئر الملح فيصير عذبا مثله فتفل فيه فغار ماؤه وأتي بأعور فدعا الله تعالى ان تعود لعينه العوراء فغارت الصحيحة فقيل ما هذا فقال ان محمدا ابعث بالثمار وبعثت بالخراب وقد أنزل الله تعالى فيه ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا الآية وقتل في أيام أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه زمن خلافته لما غزا اليمامة وقتله وحشي قاتل حمزة ابن عبد المطلب قال قتلت بحربتي خير الناس وقتلت بها شر الناس يعني مسيلمة ويعني بخير الناس حمزة رضي الله عنه ولعل الله ان يكفر هذا بذاك (قوله يا ضفدع) بكسر الضاد والدال كزبرج وبفتحهما كجعفر وبضمهما كجندب وبكسر أوله وفتح ثالثه كدرهم وهذا أقل أو مردود (قوله كم تنقين) يقال نق الضفدع والعقرب والدجاجة ينق نقيقا اي صوت وربما قيل للهر أيضا والنقاقة الضفدعة والنقنقة صوتها اذا ضوعف (قوله والذاريات) قال المفسرون يعني الرياح تذرو التراب وغيره أو النساء الولود فانهن يذرين الاولاد أو الاسباب التي تذري الخلائق من الملائكة وغيرهم ولعل المراد بالذاريات في قول اللعين والذاريات قمحا الايدي الباذرات والمفرقات للقمح في الارض للزراعة بقرينة قوله لعنه الله والحاصدات والطاحنات والالفاظ التي ذكرها المفسر في تفسير الذاريات في كلام رب العزة لا تناسب ما ذكره هذا اللعين الا بتكلف تأمل (قوله شراسيف) الشرسوف كعصفور وغضروف معلق بكل ضلع أو مقط الضلع وهو الطرف المشرف على البطن اه قاموس

القيل وما أدراك ما القيل لمذنب وثيل ومشفر طويل فان ذلك من خلق ربنا القليل ثانيها انه مع كونه من جنس كلام العرب خارج عن سائر فنونه من النظم والسجع والخطب والشعر ونحوها لخروج عقولهم حتى لم يهتدوا الى مثل شئ منه اذ لا مثال له يعول عليه ولا امام يرجع عند الاشتباه اليه ولقد رام قوم من المتأخرين انتهت اليهم فصاحة وقتهم شيأ من هذا كابن المقفع فلما تأملوه همت قطعتهم هيبته عن ذلك ومنهم من فصل كلاما وجعله سورا فسمع صبيا يقرأ وقيل يا أرض ابلعي ماءك ويا سماء أقلعي وغيض الماء وقضي الامر فتاب ومحا ما عمل ثالثها تأثيره في النفوس والقلوب بحيث يجد من الذوق والحلاوة عند سماعه ما لا يجده عند سماع غيره ومن ثم كان قارئه وسامعه لا يمله بل كلما ازداد تكريره ازدادت حلاوته واتضحت طلاوته رابعها ما فيه من الاحاطة بعلوم الاولين والآخرين ما فرطنا في الكتاب من شئ ومن الاخبار بالغيبات مما كان وما يكون نحو فان لم تفعلوا ولن تفعلوا ولن يتمنوه أبدا فلا تفعل مثله ثلاثة ولا تمنى الموت يهودي وهذه أيضا من أبهر المعجزات قال بعض المحققين اعجازه من وجهين اما الذاتي من حيث لفظه ومعناه المخصوصان اذ تاليفه ليس على هيئة ما يتعاطاه البشر اذ لا يصح ان يقال له رسالة ولا خطابة ولا شعر ولا سجع وفنون كلام العرب لا تخرج عن ذلك واما صرف الناس عن معارضته والاعجاز في هذا الظاهر أيضا اذا اعتبر وذلك انه ما من صناعة محمودة أو مذمومة الا وبينها وبين قوم مناسبة خفية واتفاق جلي التوجه ولهذا تجد هذا يؤثر حرفة لانشراح صدره لها وذاك يكرهها وينشرح لحرفة أخرى وهكذا فلما دعا الله تعالى أهل البطالة الذين يجودون في كل واد من المعاني بسلاطة لسانهم الى معارضة القرآن فعجزوا عن الاتيان بمثله ولم يتصدوا لمعارضته لم يخف على أولي الالباب ان الها صارفا لهم صرفهم عن ذلك وأي اعجاز أبلغ من ذلك اه ملخصا وحاول بذلك توجيه القول بالصرفة مع انه للنظام من المعتزلة لكن أفسدوه بأن قوله تعالى قل لئن اجتمعت الانس والجن الآية فيه دليل ظاهر على عجزهم مع بقاء قدرتهم ولو سلبوا القدرة لم يبق فائدة لاجتماعهم لانه حينئذ بمنزلة اجتماع الموتى وليس اجتماع الموتى مما يحتفل بذكره هذا مع ان الاجماع منعقد على ان اضافة الاعجاز الى القرآن والقول بالصرفة يلزمه اضافته الى الله تعالى لا الى القرآن وحينئذ يلزمه زوال الاعجاز بزوال زمان التحدي وفيه خرق لاجماع الامة أن معجزة الرسول صلى الله عليه وسلم العظمى باقية ولا معجزة له باقية أظهر من القرآن ويلزم الصرفة أيضا أنه لا فضيلة للقرآن على غيره فان قلت القول بعجزهم مع بقاء قدرتهم فيه الجمع بين النقيضين وهو محال قلت معنى قدرتهم ان هممهم توجهت الى انها كانت لهم القدرة عليها فعجزت وعلى القول بالصرفة لم يتوجهوا المعارضته أصلا لعلمهم من نفوسهم بعجزها وانه لا قدرة لها عليها البتة فان قلت توجه الهمم الى ما يعجز عنها في نفس الامر لا يسمى قدرة قلت ممنوع بل يسمى قدرة باعتبار العرف وقطع النظر عن العاقبة ولا شك ان أهل فن

قوله الخبيث وثيل كذا في النسخ بالمثلثة والظاهر ان الواو للعطف اى وله ثيل وفي القاموس الثيل بالكسر والفتح وعاء قضيب البعير وغيره أو القضيب نفسه اه

(قوله حبوبيل) قال في الصحاح الوبيل بالباء الموحدة الشديد وقال الوثيل بالمثلثة الليف (قوله ولم يتصد) اى يتعرض (قوله بالصرفة) اى كان في قدرتهم ان يعارضوه لكن الله صرفهم عن ذلك بان سلب علمهم بذلك فلم يكن معجزا في ذاته بل الغير

البلاغة لا يقطعون بسلب القدرة عن الجا كالما بتداء بل بعد الاختبار فتأمله لتعلم سقوط
ماقيل كيف يخاطبون بالتحدى مع القطع بعجزهم عنه ونظير ذلك خطاب من علم الله منه
عدم الايمان بالايمان كأبى جهل ولهب لتطرالقدرتهما عليه باعتبار الظاهر واعراضا
عن النظر للغايات والعواقب ومن المفاسد أيضا قول فريق ضلال ان الكل قادرون
على الاتيان بمثله وانما تأخروا عنه لعدم العلم بوجه ترتيب لو تعلموه لوصلوا اليه وآخرين
ان العجز انما وقع من الموجودين وأما من بعدهم ففى قدرتهم الاتيان بمثله ومما يرد عليهم ان
جماعة ممن انتهت اليهم الرياسة فى الفصاحة تعرضوا لمعارضته كابن المقفع والمعرى والمتنبى
ونظائرهم فلم يأتوا الا بما تمجه الاسماع وتنبو عنه الطباع ونادى عليهم بالخزى والانقطاع
ومصيرهم مثلة ومضربة وضحكة الى ان تاب أكثرهم وأظهر ندمه ونسكه ولاشتمال القرآن
على ما لا يحصى من العلوم والمغيبات وأحوال العالم الدنيوى والاخروى وغير ذلك من
العجائب كان (كل يوم) اى وقت (يهدى) فاعله القرآن أى توصل وأفاد التعبير به تشبيه
المعجزات بالتحف المهداة فهو استعارة بالكناية تتبعها استعارة تخييلية (الى سامعيه
معجزات) من بيان المعجزة بما يتعين الوقوف عليه ليعلم منه ان المراد بها هنا الامر الغريب
والا لم يصدق عليه بعد المعجزة السابق مبتدأة (من لفظه) لعذوبته وانسجامه وجزالة
معناه وغاية ايجازه مع غاية بلاغته وبيانه مع فصاحته وخروجه عن جنس كلام العرب
حتى صار جنسا آخر متميزا عنه مع اتحاد الحروف والاصطلاح وكثرة اخباره الصادرة
تارة عن الامم الماضية وأخرى عن المغيبات وما فيه من العلوم التى لا يمكن حصرها ونقل
الامام ابن سراقة من أصحابنا أن كل واحد من هذه رأى قوم انه سبب اعجاز القرآن ثم
اعترضهم بانهم كلهم ما بلغوا فى وجوه اعجازه جزأ واحدا من عشر معشاره وتبعه البدر
الزركشى فقال أهل التحقيق على ان الاعجاز وقع بجميع ما سبق لاشتماله على الكل
فنسبته الى أحدها أى وحده تحكم بل فيه غير ذلك ككونه لا يزال غضا طريا على الالسنة
وفى الاسماع وبجمعه صفتى الجزالة والعذوبة وهما كالمتضادين اذ لا يجتمعان غالبا فى كلام
البشر وكونه مستدركا على جميع الكتب قبله فهى مفتقرة اليه وهو غنى عنها ومن ثم
كان أبهر فى الاعجاز من سائر معجزات الانبياء عليهم الصلاة والسلام بل معادلا للكل لان
سبيلها واحد وهو مخالفة العادة وهو سبيله كثيرة كما تقرر فى وجوه اعجازه وسئل بعضهم
ما موضع الاعجاز من القرآن فقال هذا شبيه بقولك ما موضع الانسان من الانسان
ومعناه انه ليس للانسان موضع من الانسان بل متى أشرت الى جملته فقد حققته ودللت
على ذاته كذلك القرآن لشرفه لا يشار لشئ منه الا وكان ذلك المعنى آية فى نفسه ومعجزة
لمحاوله وهدى لقائله وليس فى قدرة البشر الاحاطة باسرار الله تعالى من كتابه فلذلك
حارت العقول وتاهت البصائر عنده واختلفوا فى تفاوته فى مراتب الفصاحة بعد
اتفاقهم على بلوغه الذروة العليا كما مر فاختار القاضى المنع وانما المتفاوت ادراك

الناس له واختار أبو نصر القشيري وغيره تفاوته وتبعهم ابن عبد السلام ولم يأت كله بالافصح لئلا يخرج عن نمط كلام العرب فجاء على نمط كلامهم ليتم ظهور عجز بلغاء العرب عن معارضته (القراء) لان من سمع ألفاظ القرآن وتدبرها حق تدبرها علم ان كل لفظ منها باعتبار ما دل عليه أمر معجز لا يعارض ولا يناقض واذا بلغ القرآن في الجلالة التي مرت الاشارة اليها ما لم يبلغه غيره كان حقيقا بانه (تحلى به) أي بسماعه (المسامع) من التحلية بالفاظه (و) تحلى بالفاظه (الافواه) من الحلاوة (فهو الحلى) راجع للاول (والحلاوة) راجع الثاني (رق) أي حسن (لفظا) أي من جهته فلا تجد لفظة منه فيها ما ينافي كمال الرقة الموجبة للفصاحة من تنافر أو تعقيد (وراق) اى صفى من شوائب النقص فاعجب كل ناظر فيه (معنى) أي من جهته فلا تجد معنى من معانيه الا وهو واصل في الاحكام ووضوح المراد الغاية القصوى وفي رق وراق والحلى والحلاوة الجناس كلاها وحليها وسور وصور والنظائر والنظراء الآيات والمسامع والافواه واللفظ والمعنى مراعاة النظير كالرقة والصفاء والآيات والحروف والهيجاء الآيات وفيما بعدها اللف والنشر المرتب (ف) بسبب كون سوره رقت وراقت (جاءت) فاعله الخنساء وما قبله حال منه اى حال كونها (في حلاها) أى صفاتها الجميلة (وحليها) اى زينتها (الخنساء) بنت عمرو وخصها من بين كثيرات مثلها بذلك لانها كانت شاعرة مفلقة كما في بسط الكلام في ترجمتها شبه سور القرآن في صفاتها العلية وتزيينها بما أودعته من الاسرار البهية بامرأة بلغت في الزينة وأوصاف الحسن ما لا يمكن التعبير عنه (وأرتنا) اى أوضحت لنا وفاعله رقة الآتي (فيه) اى في القرآن (غوامض) اى خفايا (فضل) كالعلوم والمعارف المستنبطة منه التي لا حد لها ولا غاية ومن ثم جاء عن على كرم الله وجهه لو شئت ان أوقر بعيرا من تفسير سورة الضحى لفعلت (رقة) كائنة (من زلالها) الزلال ماء في غاية الحلاوة والبرودة يوجد في أجواف صور توجد في نحو الثلج تشبه الحيوان وليست في الحقيقة بحيوان كما قاله بعض أكابر أئمتنا (وصفاء) من ذلك الزلال شبه آي القرآن في محاسن أساليبها وصفاء مواردها الموجبين لمن حدق في خفاياهما حديد نظره وحقق في غورهما دقيق فكره برد اليقين وصفاء القلب عن كل سوى حتى اطلع على سائر الغوامض من العلوم الالهية والمعارف الاختصاصية والمواهب الربانية والمآرب الروحانية بماء في غاية العذوبة والبرودة وصفاء الجوهر ورقته بحيث لا يمنع من رؤية ما تحته عمل من شأنه ان يخفى وبهذا الذى قررته من برد اليقين وصفاء القلب يعلم ان ذلك انما يحصل لمن انصقلت مرآة فكره كما أشار لذلك بكلام جامع بديع على عادته فقال (انما تجتلى الوجوه) أى تظهر ظهورا واضحا لا خفاء معه بوجه اذا قوبلت بالمرآة (اذا ما) زائدة (جليت) اى أزيلت وبين هذا وتجتلى تجنيس الاشتقاق (عن مرآتها) بكسر الميم والمد (الاصداء) فكذلك مرآة القلوب لا تجتلى لها العلوم

(قوله في حلاها) أصله حلى برزنة فعل بضم الفاء وفتح العين قلبت الياء ألفا لتحركها وانفتاح ما قبلها ثم حذفت لالتقاء الساكنين وأعيدت الالف هنا لعدم التنوين المقتضى لحذفها بسبب الاضافة والحلى جمع حلية بزنة فعلة بكسر الفاء وسكون العين اى صفة كلحية ولحى وذلك قليل والكثير جمع فعلة على فعل بضم الفاء وفتح العين قال في الخلاصة ولفعلة فعل اى بكسر الفاء فيهما كحجة وحجج وقد يجئ جمعه على فعل اى بضم الفاء وفتح العين (قوله بنت عمرو) اى أخت صخر ويقال لها خناس بالضم وأما خنساء بنت خذام وبنت عمرو ابن الشريد فصحابيتان وهما خلاف أخت صخر الشاعرة (قوله وخصها) يعني الخنساء باخت صخر انظر من اى شئ أخذ الشارح تخصيص الناظم بها فان لفظ الخنساء صادق على الثلاثة من ذكرت وخنساء بنت خذام وخنساء بنت عمرو بن الشريد فتأمل (قوله مفلقة) اسم فاعل من أفلق الشاعر أتى بالعجب كما في القاموس قال عمر ابن الخطاب رضى الله عنه للخنساء أنت أشعر من كل ذى حر فقالت ومن كل ذى انثيين يا أمير المؤمنين

(قوله الا اذا جليت الخ) ومن أعظم ما يحصل به الجلاء ذكر الله قال صلى الله عليه وسلم ان لكل شئ صقالة وان صقالة القلب ذكر الله ومامن شئ انجى من عذاب الله من ذكر الله ولو ان تضرب بسيفك حتى ينقطع واذا الماء قالوا له صلى الله عليه وسلم انا لنجد القرآن مثلنا ما لا نجده من أنفسنا اذا نحن خلونا قال أجل انا اقرؤه لبطن وأنتم تقرؤنه لظهر قالوا يارسول الله وما البطن وما الظهر قال اقرؤه واتدبره واعمل بما فيه وتقرؤنه أنتم هكذا وأشار بيده فأمرها ولا يخفى عليك ان خطابه صلى الله عليه وسلم الصحابة ومعلوم ان الله اثنى عليهم فهم ثبوت التدبر والعمل لهم فكيف نفيهما عنهم والجواب ان المراد بإشارته نفي تدبرهم كتدبره ونفي عملهم كعمله لا نفي أصل التدبر والعمل وسيأتي لنا في شرح قوله كم ابانت آياته من علوم نقله عن الاتقان ان معنى البطن والظهر المناسب هنا ان الاول ما تضمنه من الاسرار التي اطلع عليها أرباب الحقائق والثاني ما ظهر لاهل العلم بالظاهر فافهم

(قوله في اشتمال كل منها الخ) عبارة السنباطي فكما تميزت كل صورة منا عن الاخرى بما اشتملت عليه من الصفات الخلقية والخلقية فكذلك سور القرآن كل منها تميز عن الاخرى بما اشتملت عليه من الصفات الجميلة اللفظية والمعنوية ومن ثم كان بعضها أفضل من بعض باشتمالها على ما لم تشتمل عليه الاخرى من الفضائل أو الفواضل (قوله وتطلق النظائر على الاماثل الخ) اي كما تطلق على السور وعلى الامثال والاشباه ومن اطلاقها على السور ما نقل عن ابن مسعود والملائم لسياق المتن ان المراد بالنظائر الاماثل والافاضل اذ هي المشبه بها السور لا انها مشبهة بالسور كما يقتضيه قوله اي ومثل الخ فتدبر (قوله وكل منهما) اي المعنيين المذكورين الاول المثل والمناظر اي المشابه والثاني الاماثل والافاضل وقوله خلافا للشارح حيث خصص كون المراد بالنظائر في هنا المعنى الاول وعبارته والنظراء جمع نظير وهو المثل والمناظر والنظائر الاماثل والافاضل ويكون جمعا لنظيرة وهو المراد هنا انتهت وعلى ما ذكره من كون المراد بالنظائر هنا جمع نظير بمعنى المثل يكون المراد بها السور ويكون المراد بالنظراء الاماثل والافاضل كما نقله شارحنا عن ابن مسعود فيقتضي ذلك كون السور مشبها بها والسور التي هي الاماثل والافاضل مشبهة وهو خلاف ما ذكره قبل حيث قال وتطلق النظائر الخ لو قال اي ومثل الاماثل الخ تلك السور الخ لوافق ما ذكره قبل لكن ما ذكره ثانيا هو الموافق لما نقله عن ابن مسعود من ان النظائر هي السور فتدبر وأنت خبير بان مدخول مثل او الكاف هو المشبه فكون النظائر هي المشبه بها وذلك يقتضي انها الصور المعبر عنها بالاماثل والافاضل والسور هي المشبه وذلك هو الموافق لقوله سور منه أشبهت صورا منا فليحرر

والمعارف من القرآن الا اذا جليت عنها اصداء الاغيار واذابت قواها فيما يحيى بصدده آناء الليل وأطراف النهار (سور) جمع سورة وهي الطائفة المخصوصة المسماة باسم مخصوص وتوقيف (منه) لبيان الجنس لان ما يأتي ليس شأنا بعض سوره بل يشملها كلها (أشبهت) لاشتمال كل منها على مقادات من العلوم وغيرها مستقلة بها لا تتوقف على ما في الاخرى ومن ثم وقع التحدي باقصر سورة منه (صورا) جمع صورة وصورة الشئ شكله (منا) في اشتمال كل منها على عقل وادراك ووهم وخلق لا يشاركه فيه غيره ولا يتوقف على ما في غيره وكان الناظم رحمه الله تعالى قصد بهذا التشبيه الرد على من زعم ان الاعجاز انما هو بمجموع القرآن لا بكل سورة لان ما فيه من أنواع الاعجاز السابقة انما يستفاد من مجموعه وهذه مقالة فاسدة لا يعول عليها لمنافاته لقوله تعالى فأتوا بسورة من مثله كما مر بيانه فالصواب خلاف هذه المقالة بل قائلوها معتزلة لا يقام لهم وزن (ومثل النظائر) جمع نظير (النظراء) جمع نظير أيضا وهو المثل والمناظر وتطلق النظائر على الاماثل والافاضل وكل منهما يصح ان يكون مرادا هنا خلافا للشارح وهذا ساقه كالمثل لما قبله فيكون من التذييل ومثل تلك السور التي هي نظائر كما قال ابن مسعود وقد عرفت النظائر التي كان يقرؤها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي عشرون سورة الاماثل والافاضل الذين يتناظرون في التحلي بالفضائل والتخلي عن الرذائل (والاقاويل) جمع اقوال والمراد به هنا اللفظ المقيد (عندهم) أي الكفار ظرف المبتدأ أو الخبر وهو (كالقنابيل) جمع قنال وهو الصورة يعني ان تقولهم في القرآن وافتراءهم عليه بما يقدح

فى حقيقة أمره من خوف بموه بالاباطيل كما ان التصاوير التى يخترعها المصورون كذلك
فكما أن هذه لا وجود لها فى الحقيقة ولا اعتبار بها فكذلك تقولهم المذكور واذا
تقرر لك ان جميع ما قالوه فى القرآن باطل قطعى البطلان (فلا يوهمنك الطلبة) أى
فاحذر ان يوقع من حرفوا الكلمات بتشدقهم وتفاصحهم فى ذهنك أدنى ريب أو شك فى
شئ من أوصاف القرآن التى مر بيان بعضها وما ننبه على ما بقى منها (كم) اى مرات كثيرة
(أبانت) أوضحت (آياته) جمع آية وهى لغة العلامة واصطلاحا قرآن مركب من جمل
ولو تقديرا ذو مبدا ومقطع مندرج فى سورة قاله الجعبرى ويشكل عليه عدهم نحو ثم نظر
فى المدثر آية اذ ليس فى هذه جمل ولا تقديرا فالاولى قول غيره طائفة من القرآن منقطعة
عما قبلها وما بعدها لكن قوله من القرآن الاولى ان يقول بدله من السورة وسميت الآية
بذلك لانها علامة على صدق الآتى بها او على عجز المتحدين بها او بانى قريبا عد آى القرآن
(من) زائدة فى الاثبات كما هو رأى جماعة (علوم) لا غاية لها كما قال تعالى ما فرطنا
فى الكتاب من شئ وقال وأنزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شئ وفى حديث الترمذى وغيره
ستكون فتن قيل وما المخرج منها قال كتاب الله فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم
ما بينكم وأخرج سعيد بن منصور عن ابن مسعود قال من أراد العلم فعليه بالقرآن فان
فيه خبر الاولين والآخرين قال البيهقى يعنى أصول العلم وأخرج عن الحسن أنزل
الله مائة وأربعة كتب أودع علومها فى أربعة منها التوراة والانجيل والزبور
والفرقان ثم اودع علوم الثلاثة القرآن أى مع زيادات لا تحصر ومن ثم قال الشافعى
رضى الله عنه جميع ما تقوله الامة شرح السنة وجميع السنة شرح القرآن وقال أيضا
جميع ما حكم به النبى صلى الله عليه وسلم فهو مما فهمه من القرآن وما ثبت ابتداء
بالسنة فهو فى الحقيقة مأخوذ منه لانه أوجب علينا اتباعه صلى الله عليه وسلم ولهذا قال
مرة بمكة سلونى عما شئتم أخبركم عنه من كتاب الله تعالى فاستحضر به فاتى فاستنبطها من
القرآن منها لو قتل محرم زنبورا هل عليه جزاء فاستنبط لهم منه انه لا جزاء عليه لان عمر
رضى الله عنه أمر بقتله والنبى صلى الله عليه وسلم قال اقتدوا بالذين من بعدى أبى بكر
وعمر والله تعالى يقول وما آتاكم الرسول فخذوه الآية وتبعه يعنى الشافعى العلماء على
ذلك فقال واحد ما قال صلى الله عليه وسلم شيأ او قضى او حكم بشئ الا وهو أو اصله فى
القرآن قرب او بعد وقال آخر ما من شئ فى العالم الا وهو فيه فقيل له أين ذكر الخانات فيه
فقال فى قوله تعالى ليس عليكم جناح أن تدخلوا بيوتا غير مسكونة فهى الخانات وقال
آخر ما من شئ الا ويمكن استخراجه من القرآن لمن فهمه الله تعالى حتى ان عمر النبى صلى
الله عليه وسلم ثلاث وستون سنة استنبط من آخر سورة المنافقين لانها رأس ثلاث وستين
سورة وعقبها بالتغابن لظهوره بفقده صلى الله عليه وسلم وقال آخر لم يحط بالقرآن الا
المتكلم به ثم نبيه صلى الله عليه وسلم فيما عدا ما استأثر الله تعالى بعلمه ثم ورث عنه معظم

(قوله ومقطع) اى آخر تنتهى اليه (قوله الاولى ان يقول الخ) اى لان قوله طائفة من القرآن يصدق بالسورة فلا يكون الحد مانعا وقضية هذا ان قوله من السور لازم فى الحد (قوله زنبورا) بضم الزاى وجمعه زنابير (قوله فهى الخانات) قال البيضاوى فى تفسير الآية كالربط والخانات والحوانيت فيها متاع اى استمتاع لكم كالاستكنان من الحر والبرد وايواء الامتعة والجلوس للمعاملة (قوله من آخر سورة المنافقين) وهى قوله تعالى ولن يؤخر الله نفسا الى آخرها

ذلك اعلام الصحابة مع تفاوتهم فيه بحسب تفاوت علومهم كأبى بكر فانه أعلمهم بنص ابن عمر وغيره وكعلى كرم الله وجهه لقوله صلى الله عليه وسلم فى الحديث الحسن خلافا لمن زعم وضعه أنا مدينة العلم وعلى بابها ومن ثم قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما جميع ما ابرزته لكم من التفسير فانما هو عن على كرم الله وجهه وكابن عباس حتى انه قال لو ضاع لى عقال بعير لوجدته فى كتاب الله تعالى ثم ورث عنهم التابعون معظم ذلك ثم تقاصرت الهمم عن حمل ما حملها أولئك من علومه وفنونه فنوعوا علومه انواعا ليضبط كل طائفة علما وفنا ويتوسعوا فيه بحسب مقدرتهم ثم أفردغالب تلك العلوم وتلك الفنون التى كادت أن تخرج عن الحصر وقد بين هذا القائل وجه استنباط غالبها منه بيانا ليف لا تحصى وقال آخر علومه خمسون علما وأربعمائة علم وسبعة آلاف وسبعون ألف علم على عدد كلم القرآن مضروبة فى اربعة اذ لكل كلمة ظهر وبطن وحد ومقطع ويضم لذلك اعتبار تركيب ما بينهما من روابطه لكن هذا لا يحصيه الا المتكلم به ثم أم علومه ثلاثة توحيد ووعظ وحكم ومن ثم سميت الفاتحة أمه لاشتمالها على هذه الثلاثة والاخلاص ثلثه لاشتمالها على الاول وقال ابن جرير الثلاثة التوحيد والاخبار والديانات وقال آخر اشتمل القرآن على كل شئ كما قال تعالى ما فرطنا فى الكتاب من شئ أما العلوم فلا تجد مسئلة هى اصل الا وفى القرآن ما يدل عليها وفيه عجائب المخلوقات وملكوت السموات والارض وما فى الافق الاعلى وتحت الثرى وبدء الخلق وأسماء مشاهير الانبياء والملائكة وعيون أخبار الامم السابقة وشأنه صلى الله عليه وسلم وغزواته واخباره الى مماته ثم شأن أمته من بعده وبدء خلق الانسان الى موته وأمارات الساعة وجميع أحوال البرزخ والحشر والجنة والنار وزعم الجاحظ أنه لا يوجد فيه شئ من المذهب الكلامى الذى هو احتجاج المتكلم على ما يريد اثباته بحجة تقطع الخصم على طريقة أرباب الكلام ولا من النوع المنطقى الذى تستنتج منه النتائج الصحيحة من المقدمات الصادقة وردوا عليه بأنه مشحون من ذلك اذ ما من برهان ودلالة وتقسيم وتحديد يبنى منه كليات العلوم العقلية الا وكتاب الله ينطق به وقد بين الاسلاميون من أهل هذه العلوم كثيرا من ذلك منه أن من اول سورة الحج الى قوله تعالى وأن الله يبعث من فى القبور خمس نتائج تستنتج من عشر مقدمات بل فيه الاشارات حتى لعلم الهندسة بل لا شكل مافيه وهو الشكل الثلاثى بقوله تعالى الى ظل ذى ثلاث شعب الآية قال الائمة وانما أوردت حججه على عادة العرب دون دقائق المتكلمين لقوله وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه ولان من استطاع أن يفهم غيره بالاوضح الذى يفهمه الاكثرون لا ينبغى له أن ينحط الى الاغمض الذى لا يفهمه الا الاقلون والا كان ملغزا ومن ثم

(قوله لكل كلمة ظهر) مما قيل فى معنى البطن والظهر أن ظاهر الكلمة لفظها وباطنها تأويلها ومنه أن القصص التى قصها الله عن الامم الماضية وما عاقبهم بها ظاهرها الاخبار بهلاك الاولين وباطنها وعظ الآخرين وتحذيرهم أن يفعلوا كفعلهم فيحل بهم مثل ما حل بهم ومنه أن ظاهرها ما ظهر من معانيها لاهل العلم بالظاهر وباطنها ما تضمنته من الاسرار التى اطلع عليها ارباب الحقائق وقوله وحد اى أحكام الحلال والحرام وقوله ومقطع سبق قلم والظاهر بدله مطلع اى اشراف على الوعد والوعيد اه كذا فى الاتقان وما ذكره صاحب الاتقان لا يلائم التعبير بكل كلمة كما عبر به الشارح لان القصص ليست مأخوذة من كلمة وكذا احكام الحلال والحرام والاطلاع على الوعد والوعيد لان ذلك انما يستفاد من الجمل المفيدة وانما يلائم ماذكره من التعبير بالقراءة بان يقال ان القرآن ظهرا وبطنا الخ والحاصل أن تعبير الشارح بكل كلمة انما يلائم تفسير الظهر باللفظ والبطن بالمعنى والحد بمقدار من الثواب ان وافقت تلاوة الكلمة الشرع أو العقاب ان خالفت كمقارنة رياء لها والمطلع بما يشرف عليه الانسان من دقيق المعنى وأما تفسير الظهر باخبار القصص بما ذكروا البطن بوعظ الآخرين المذكور والحد باحكام الحلال والحرام والمطلع بالاشراف على الوعد والوعيد فلا يناسب تعبير الشارح لان هذا ليس معنى لكل كلمة بل لبعض جمل القرآن تأمل (قوله وحد) الحد منتهى معناه الذى أراده الله وقيل مقدار من الثواب او العقاب اه من الاتقان

أخرج تعالى فى مخاطباته محاجات خلقه فى أجلى صورة وأوضحها ليفهم العامة ما يقنعهم أو يلزمهم الحجة بسببه والخاصة ما يليق بهم من دقائق المعارف التى هى منتهى كل ومبلغ اربه ومن عجيب تلك الآيات أنها بانت تلك العلوم التى لا غاية لها حال كونها متولدة (عن) بينها وبين من الجناس اللاحق (حروف) قليلة بالنسبة اليها أخرج ابن الضريس عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال جميع آى القرآن ستة آلاف آية وستمائة آية وست عشرة آية وجميع حروف القرآن ثلثمائة ألف حرف وثلاثة وعشرون ألف حرف وستمائة حرف واحد وسبعون حرفا وهذه الحروف ليس المراد بها حروف التهجى بل مسمياتها فحروف التهجى أسماء كاشفة عن تلك المسميات كما قال (أبان) اى كشف (عنها الهجاء) اى التهجى وهو تعديد الحروف بذكر أسمائها فانك اذا قلت ضرب مركب من ض ر ب فقد عددت الحروف البسيطة التى هى مادة الكلمة قبل أن تحصل صيغة والمراد هنا أنه بتهجى بالاسماء من المسميات حتى يتبين موضوع كل وبيانه أن الحرف الذى اول زيد مثلا مسمى وهو ز والنطق به بحذف هاء السكت لا يؤثر لانه للتعليم وله اسم هو الزاى لانه تعتريه سائر علامات الاسم ومن ثم قال سيبويه قال الخليل يوما وقد سأل اصحابه كيف تقولون اذا أردتم أن تتلفظوا بالكاف التى فى ذلك والباء التى فى ضرب فقيل نقول باء كاف فقال انما جئتم بالاسم ولم تتلفظوا بالحرف وقال أقول كه به فحروف القرآن من الاول وحروف التهجى من المراد من الثانى ودليل تسميتها حروفا الخبر الصحيح من قرأ حرفا من كتاب الله فله حسنة والحسنة بعشر أمثالها لا اقول الم حرف بل الف حرف ولام حرف وميم حرف فتسمية كل حرفا اما لغة واما مجازا باعتبار مدلوله وحينئذ (فهى) اى حروف القرآن وان عزت معانيها وكثرت أحكامها لا يستبعد منها ذلك وان كانت قليلة جدا بالنسبة لما يستفاد منها لان لها مثالا يقربها نوع قرب كحروف أسماء الاعداد والافتتان ما بينهما انما يأتى له أمد معلوم يغنى فيه عن قرب وهذه مستمرة النمو والزيادة على ممر الاعصار وتوالى الازمان فى هذه الدار بل وفى دار القرار كما يدل عليه الحديث الصحيح أنه يقال للقارئ فى الجنة اقرأ وارق ورتل كما كنت ترتل فى الدنيا ويأتى ذلك قريبا بزيادة وذلك المثال هو امثالها كحروف أسماء الاعداد فانها مع كونها ألفاظا محصورة لا ينتهى الوهم الى المعدود بها وامثالها (كالحب) الذى يلقيه الزراع (والنوى) الذى يلقيه الغارس بالارض فينشأ عن الاول من السنابل والحبوب ما يكاد أن لا يحصى ولا يتناهى ومن الثانى من الثمر ما هو كذلك وفى هذه الحالة (اعجب) فاعله يأتى فقول الشارح أن فيه ضميرا لحب والنوى وأن فاعله سنابل سهو منه اذ كيف يتصور فى فعل ان له فاعلين ضميرا وظاهرا فى حالة واحدة (الزراع) والغارس كما يدل عليه ذكر النوى فهو اكتفاء كسرابيل تقيكم الحر اى والبرد وفيه ايضا اللف والنشر المرتب لعود الزراع للحب والغارس للنوى وعود السنابل للاول والزكاء

(قوله وان عزرت) الغزارة الكثرة وقد غزر الشئ بالضم يغزر فهو غزير اه صحاح (قوله فقول الشارح الخ) عبارته فهى مبتدا كالحب خبر والنوى عطف على الخبر أعجب فعل فاعله ضمير الخبر وما عطف عليه بتأويل المذكور أو الواو بمعنى أو والزراع مفعول وسنابل فاعله وزكاء عطف عليه

لهما (منها) اى من تلك الزروع والاشجار (سنابل وزكا) اى نمو بفوت الحصر بحيث
لو اجتمع اهل الارض على استقصاء عدده لما اطاقو فقد علمت أن المتناهى هنا كما يحصل
منه ما لا يتناهى فكذلك حروف القرآن هى متناهية ويحصل منها من العلوم والمعارف
ما لا يتناهى وهذا المثال المراد به التقريب لا غير كما عرفه عاص والا فشتان ما بين
الامرين ألا ترى أن عدم تناهى تلك الحبوب والثمار انما هو فى مدة قليلة ثم تفنى عن قرب
وأما تلك الحروف فان معانيها لا تتناهى فى الدنيا ولا فى الآخرة ففى الحديث الصحيح أنه
يقال للقارئ فى الجنة اقرأ وارق ورتل كما كنت ترتل فى الدنيا وبه يعلم أنه يقرأ ويتلذذ
بالقراءة ومن لازم ذلك تلذذه بمعانيها وما يفتح الله به على القراء من أنواع المعارف اللائقة
بتلك الدار وتلك الذوات التى تم فيها التأهل وذلك امر لا يتناهى أبدا ومن عجيب شأن
الكفار أنهم مع هذه المعجزات والآيات البينات كلها استمروا على ما هم عليه من غاية
الاعراض والانكار (فأطالوا فيه التردد والريب) اى الشك عطف مرادف (فقالوا) كما
حكاه الله عنهم فى كتابه العزيز فهو تلميح مرة انه (سحر) اى تمويه لا حقيقة له وأصل السحر
لغة كل ما لطف مأخذه ودق (وقالوا) مرة اخرى انه (افتراء) اى كذب ومرة أساطير
الاولين الى غير ذلك من افترائهم واقتراحهم ومباهتتهم وتلبيسهم وضلوا فيما قالوا بل هو
والله المتفضل بانزاله قرآن مجيد فى لوح محفوظ لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه
تنزيل من حكيم حميد وكل ذلك ينادى عليهم بالبوار والعناد وأنهم لا عقل لهم ولا رأى
ولا استعداد (و) لكن ليس ذلك بكثير على من عدم التوفيق ولم يبصر سواء الطريق
لما هو مقرر فى العقول السليمة من الحكم البديعة الجامعة أنه (اذا) كانت (البينات)
اى الحجج القطعية البرهان الواضحة البيان (لم تغن) هم اى لم تفدهم (شيأ) من الهدى
(فالتماس الهدى بهن) اى طلبه منهم بتلك الحجج بعد اليأس من ايمانهم (عناء) اى تعب
لا يفيد شيأ (واذا ضلت) عن طرق الحق (العقول) جمع عقل وسبق الكلام عليه
مستوفى (على) اى مع (علم) منها بتلك الطرق اى أضلها باريها (فماذا تقوله) اى فأى قول
تقوله الانبياء (النصحاء) وقولهم حينئذ لا يفيد شيأ والبيت الاول مقتبس من قوله
تعالى وما تغنى الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون والثانى من قوله تعالى أفرأيت من
اتخذ الهه هواه وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن
يهديه من بعد الله أفلا تذكرون وبما قررت به كلامه يعلم أن هذين البيتين من الكلام
البديع الجامع ﴿تنبيه﴾ لا يتوهم من الناظم أنه مخالف لقول الائمة أجمعت الامة على
التكليف بالمحال لغيره كتكليف اى جهل مثلا بالايمان مع علم الله تعالى بأنه لا يؤمن
وذلك لان التكليف بذلك انما هو بالنظر للحالة الراهنة المنطوى عنا عاقبتها فهم بالنسبة
اليها مكلفون بالايمان لقدرتهم عليه ظاهرا وان كانوا عنه عاجزين باطنا لعلم الله تعالى
بأنهم لا يؤمنون لان هذا لا نظر اليه والا لارتفع الاختيار وثبت القول بالجبر المنافى لما

(قوله عطف مرادف) ما المانع
أن يراد بالاول التردد يشمل الظن
والوهم فيكون من عطف الخاص
على العام تأمل (قوله ومباهتتهم)
اى قولهم فى القرآن خلاف
الواقع مأخوذ من قوله بهته قال
عليه ما لم يفعل (قوله وتلبيسهم)
من لبس فى الامر خلط اى
تغليطهم (قوله على التكليف
بالمحال) عبارة لب الاصول
وشرحه لشيخ الاسلام الاصح
جواز التكليف عقلا بالمحال اى
الممتنع بمعنى جواز تعلق الطلب
النفسى بايجاده مطلقا اى سواء
كان محالا لذاته اى ممتنعا عادة
وعقلا كالجمع بين السواد
والبياض أم لغيره اى ممتنعا عادة
لا عقلا كالمشى من الزمن اه
وكتب عليه أيضا وخرج
بالتكليف بالمحال التكليف المحال
فلا يجوز والفرق بينهما أن الخلل
فى الاول يرجع الى المأمور به وفى
الثانى الى المأمور كتكليف الميت
والجماد اه لب

باحت به الشرائع فاحذر أن تميل اليه فتزل قدمك ويحق ندمك واستحضر قوله تعالى لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون * (فوائد) * منها قيل حكمة تنزيه القرآن من الشعر مع ان الوزن يورث الكلام عذوبة أن قصارى امر الشاعر التخييل بتصور الباطل في صورة الحق والافراط في الاطراء والمبالغة في الذم والايذاء دون اظهار الحق ولهذا نزه الله نبيه صلى الله عليه وسلم عنه ومن ثم قال بعض الحكماء لم ير متدين صادق اللهجة مفلقا في شعره اى غالبا وما وقع فيه على صورة الشعر لا يسمى به لان شرطه القصد ومن ثم لم تعارضه العرب ولو اعتقدوه شعرا لعارضوه وقيل ما دون البيتين ليس شعرا وقيل الرجز كذلك ومنها سئل الغزالي عن قوله تعالى لوجدوا فيه اختلافا كثيرا فقال الاختلاف مشترك بين معان وليس المراد نفي اختلاف الناس فيه بل نفي الاختلاف عن ذات القرآن فليس كلمه مختلفا ولا بعضه يدعو للدين وبعضه يدعو للدنيا بخلاف كلام البشر لاختلاف قواهم وأغراضهم وأحوالهم ومنها أن سائر كتب الله تعالى لا اعجاز فيها من حيث النظم والتأليف لان ألسنتهم لا تفي بذلك بخلاف الاخبار بالغيوب فان الكل جميعا تشترك فيه ولكون ألسنتهم كذلك كان كل ما في القرآن حكاية عنهم انما هو حكاية لمعنى ألفاظهم ذكره ابن جني وغيره ومنها وقع في القرآن آيات متشابهات من حيث النظم كايراد القصة الواحدة في سور وفواصل مختلفة كوكلا وفكلا ويذبحون ويذبحون سنزيد وسنزيد وذلك كثير وقد أفرد خلائق الجواب عن ذلك بتآليف مختلفة مستقلة ومن حيث ايهام التعارض عند عدم التأمل نحو ولا يتساءلون وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون وأول من تكلم في الجواب عن ذلك ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ثم تبعه الائمة حتى أفرد بعضهم ذلك بالتآليف كما ألفوا في مختلف الحديث وبيان الجمع بين الاحاديث المتعارضة ومن حيث انها من المتشابه الذي استأثر الله تعالى بعلمه أو علمه ايضا الراسخون في العلم وهو مبحث طويل فلا بأس بذكر خلاصته وهي قيل القرآن كله محكم كما في آية وقيل كله متشابه كما في آية والاصح انقسامه اليهما والمراد باحكمت آياته أتقنت وتنزهت عن نقص يلحقها وبمتشابهات أنه يشبه بعضه بعضا في الحق والصدق والاعجاز ثم المحكم ما عرف المراد منه قيل ولو بالتأويل والمتشابه ما استأثر الله تعالى بعلمه كالساعة والحروف المقطعة أوائل السور وفيهما أقوال أخر ثم المتشابه هل علم فيه قولان منشؤهما اهل الوقف على في العلم من قوله تعالى والراسخون في العلم وعليه طائفة قليلة كمجاهد والضحاك وهو رواية عن ابن عباس وقال النووي انه الاصح لانه يبعد أن يخاطب الناس بما لا سبيل لاحد من الخلق الى معرفته وابن الحاجب انه المختار والاكثرون من الصحابة فمن بعدهم خصوصا اهل السنة أن الوقف على الا الله من قوله

(قوله أن قصارى) قال في الصحاح وقولهم قصرك أن تفعل كذا وقصاراك أن تفعل كذا بالضم وقصاراك أن تفعل ذلك بالفتح اى غايتك وآخر أمرك وما اقتصرت عليه (قوله بتصور الباطل الخ) قال السيوطي في المزهر قال بعض العقلاء وقد سئل عن الشعر ان هزل أضحك وان جد كذب فالشاعر بين كذب واضحاك (قوله اختلافا كثيرا) اى تناقضا وأما اختلاف الروايات فثابت لحديث أنزل القرآن على سبعة أحرف (قوله كوكلا وفكلا) عبارة الاتقان قوله تعالى وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا وفي الاعراف فكلا بالفاء قيل لان السكنى في البقرة الاقامة وفي الاعراف اتخاذ المسكن فلما نسب القول اليه تعالى وقلنا يا آدم ناسب زيادة الاكرام بالواو الدالة على الجمع بين السكنى والاكل ولذا قال فيه رغدا وقال حيث شئتما لانه أعم وفي الاعراف ويا آدم فأتى بالفاء الدالة على ترتيب الاكل على السكنى المأمور باتخاذها لان الاكل بعد الاتخاذ (قوله يذبحون ويذبحون) لان الاول من كلام الله تعالى لهم فلم يعدد عليهم المحن تكرما في الخطاب والثاني من كلام موسى فعددها وفي الاعراف يقتلون وهو من تنويع الالفاظ المسمى بالتفنن اه اتقان (قوله سنزيد وسنزيد) ان قلت لم ذكرها بالواو وفي الاعراف بدونها قلت لان الصالة هنا اشد لاسناد القول فيه الى الله في قوله وإذ قلنا ادخلوا بخلافه ثم فالاليق به حذف الواو لكونه استئنافا اه من فتح الرحمن

تعالى وما يعلم تأويله الا الله وهو اصح الروايات عن ابن عباس وعد ابن السمعانى اختيار الاول هو قوى ورجح بعضهم بأن من المتشابه ما يمكن الوقوف عليه ومنه ما لا يمكن فتصح الوقفان بهذا الاعتبار ومن المتشابه ذكر آيات الصفات التى فيها ذكر نحو الاستواء واليد والعين وجمهور اهل السنة منهم اكثر السلف واهل الحديث على تفويض معناها المراد منها الى الله تعالى مع تنزيهه عن ظواهرها وذهب الخلف الى تأويلها بما يليق بجلاله تعالى وكان امام الحرمين يميل الى هذا ثم رجع عنه فقال والذى نرتضيه دينا وندين الله به عقدا اتباع سلف الامة فانهم درجوا على ترك التعرض لمعانيها وتبعه ابن الصلاح فقال وعلى ذلك مضى صدر الامة وسادتها واياها اختار أئمة الفقهاء وقادتها واليها دعا أئمة الحديث والفخر فقال وأحسن فيما قال لا يصرف اللفظ عن ظاهره الا بدليل منفصل وهو اما لفظى وهو لا يعتبر هنا لانه مظنون اذ القطع به يتوقف على انتفاء الاحتمالات العشر وهو مظنون واما عقلى وهو انما يفيد صرف اللفظ عن ظاهره لاستحالة مدلول ثبات المعنى المراد لانه ترجيح مجاز على مجاز وتأويل على تأويل وذلك انما يكون بلفظى وقد تقرر أنه لا يفيد الا الظن وهو لا يعول عليه فى المسائل الاصولية القطعية قال فلهذا اختار الائمة المحققون من السلف والخلف بعد اقامة الدليل القاطع على ان حمل اللفظ على ظاهره محال ترك الخوض فى تعيين التأويل اه وتوسط ابن دقيق العيد فقال يقبل التأويل ان قرب فى لسان العرب نحو على ما فرطت فى جنب الله اى فى حقه وما يجب له لا ان بعد كما قيل استوى باستولى ولما فرغ من الحجاج مع المشركين وبين ما آل اليه أمرهم شرع فى الكلام مع اهل الكتابين ليبين ما آل اليه امرهم ايضا فقال يا (قوم) وحذف حرف النداء جائز الا فى الندبة والاستغاثة ومع الضمير وكذا مع اسم الاشارة واسم الجنس على قول به (عيسى) المدعوين بالنصارى (عاملتم قوم موسى) وهم اليهود (ب) التصديق بكتابهم وهو التوراة (التى عاملتكم) بنظيره وهو التصديق بكتابكم الذى هو الانجيل (الحنفاء) اى المسلمون جمع حنيف وهو المائل عن كل دين الى الدين الحق ثم بين ما ابهمه فى البيت قبله بقوله (صدقوا) اى قوم عيسى (كتبكم) وهى التوراة وما بعدها كالزبور (وكذبتم كتبهم) وهى الانجيل وجمعها مشاكلة أو لتنزيلها منزلة كتب متعددة وفى هذا التفات لان قوم عيسى خوطبوا أولا وأعيد عليهم ضمير الغيبة وقوم موسى بالعكس وبين عيسى وموسى الجناس اللاحق كقابيل وهابيل الآتيين والتصديق والتكذيب الطباق (ان ذا) اى الذى فعلتم معشر اليهود (لبئس البواء) اى الصنيع الذى رجعتم به القهقرى وهذا مقتبس من قوله تعالى وباؤا بغضب من الله (لو جحدنا) من الجحد وهو الانكار عن علم (جحودكم) اى مثله بان أنكرنا كتابكم

كما

(قوله الا فى الندبة والاستغاثة) أى لانهما يطلب فيهما مد الصوت والحذف ينافيه وقوله ومع الضمير أى لتفويت الدلالة على النداء قال الاشمونى فى شرحه على الخلاصة أفهم كلامه جواز نداء المضمر والصحيح منعه مطلقا وشذ نحو يا اياك قد كفيتك وقوله • يا أبجر بن أبجر يا أنتا • وأما قولهم يا هو يا من لا هو الا هو كما فى دلائل الخيرات وغيرها فهو فيه اسم للذات العلية لا من قبيل ضمير الغيبة اه وقول الاشمونى والصحيح الخ قال فى التصريح الخلاف فى ضمير المخاطب وأما ضمير المتكلم والغائب فنداؤهما ممتنع اتفاقا فلا يقال يا أنا ولا يا هو (قوله وكذا مع اسم الاشارة الخ) فى شرح قول الخلاصة وذاك فى اسم الجنس والمشار له قل ومن يمنعه فانصر عاذله للاشمونى ما ينبغى الوقوف عليه لمن أراد تحقيق المقام (قوله وهذا مقتبس من قوله الخ) يقتضى أن البواء بمعنى الرجوع ولم يذكر فى القاموس البواء بهذا المعنى قال فيه باء اليه رجع أو انقطع ثم قال وباء بذنبه بوءا وبواء احتمله أو اعترف به وقال بعد أيضا البواء السواء والكفؤ وأجابوا عن بواء واحد أى بجواب واحد [illegible] ثم رأيت فى البيضاوى ما نصه رجعوا به أو صاروا أحقاء بغضبه من باء فلان بفلان اذا كان حقيقا بان يقتل به وأصل البوء المساواة اه وقد يقال مراد الشارح بالصنيع الذى رجعوا به القهقرى المعبر به البواء الاحتمال أى احتمالهم غضب الله بتكذيبهم كتاب الله المنزل فيكون موافقا لقول القاموس وباء بذنبه بوءا وبواء احتمله فتأمل

كما انكرتم كتابنا وكتاب عيسى (لاستوينا نحن وانتم) أى يكون ذلك منا لا يتصور ذلك كيف (و) ليس (الحق) وهو ما نحن عليه من التصديق بجميع كتب الله ورسله (بالضلال) وهو ما أنتم عليه من التصديق بالبعض والكفر بالبعض (استواء) اى مساواة بل بينهما غاية التفاوت فالحاصل أنتم لم تجحدوا شيأ من كتب الله وانما وقع الجحد من اليهود لكتاب النصارى ومن النصارى لكتاب اليهود خلاف ما يوهمه النظم قال تعالى وقالت اليهود ليست النصارى على شئ وقالت النصارى ليست اليهود على شئ وهم يتلون الكتاب اى المكذب لهم فى ذلك وكان الشارح أخذ من هذا قوله وانما وقع التجاحد بين أهل الكتاب اذ التعبير بالتفاعل مصرح بما ذكر مما يخالف النظم ويوافق ظاهر الآية اه وقد يقال لا يلزم من ادعاء كل فرقة فى الاخرى ما ذكر انكار كتابهم اذ لا مانع أن النصارى قائلون فى اليهود ذلك مع قولهم انهم ليسوا على شئ اى باعتبار تبديلهم وتغييرهم فصح ما فى النظم ويحتمل ارجاع ضمير صدقوا وكتبهم الى الحنفاء وضمير الخطاب فى كتبكم وكذبتم للفريقين اليهود والنصارى ويكون ذلك تفسيرا لما ما لكم المتقدم وفى السياق ما يؤيد كلامى الاحتمالين لكن الاول أقرب ولما كان من المعلوم المستقر أن اليهود أشد الناس حسدا قال تعالى أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله وأنهم حسدوا عيسى حتى قتلوه فى زعمهم الفاسد واستمر حسدهم للنصارى من بعده حتى قالوا ليست النصارى على شئ الموجب لقول النصارى فيهم ذلك أيضا وان الطائفتين حسدوا محمدا صلى الله عليه وسلم وأمته حتى وقع منهم من العناد ما لا يصدر من سفهاء العقول فضلا عن غيرهم شرع الناظم فى بيان ذلك كله منهم على وجه بديع فقال (ما لكم) اى أى حال حصل لكم معشر الفريقين يا (اخوة الكتاب) المراد به الجنس الشامل لكتابيهما سماهم بذلك لانه لما جمعهم ما فيه من التكاليف والاحكام صاروا مستوين فيه كاستواء الاخوة فى الانتساب الى أصل واحد قال كونكم (أناسا ليس شأنكم انه (يرعى الحق منكم اناس) بكسر الهمزة نائب فاعل يرعى ويجوز أنه اسم ليس ونائب فاعل يرعى ضميره اى مؤاخاة اى ليس تصدر منكم مراعاة الدين الحق بالقيام بما يجب له من الحقوق التى منها التصديق بمحمد صلى الله عليه وسلم عملا بما فى كتبكم من التصريحات الكثيرة بنبوته وعموم رسالته وفى اناسا مع اخوة رد العجز على الصدر وبين الاخوة والاناس جناس الاشتقاق كالشهادة والشهداء الآتى ومن عدم رعايتكم الحق انه (يحسد الاول الاخير) كما وقع لليهود أنهم حسدوا عيسى صلى الله عليه وسلم حتى زعموا أنهم قتلوه وصلبوه وما درى الملاعين أنه شبه لهم به فقتلوه وتخلص الله منهم ثم رفعه الى السماء لينزل آخر الزمان حاكما بشريعة محمد صلى الله عليه وسلم مصليا وراء المهدى أول نزوله ليعلم أنه نزل تابعا لهذه الامة عاملا بشريعة نبيهم ومنها أنه لا يقبل الجزية بل يقتل كل يهودى ونصرانى فى الارض لان نوعا من الشبهة المجوزة لقبول

(قوله أم يحسدون الناس) المراد بالناس رسول الله واصحابه او العرب او الناس جميعا لانه من حسد على النبوة فكانما حسد الناس كلهم وقوله من فضله اى من النبوة والكتاب والنصرة والاعزاز وجعل النبى الموعود منهم اه من البيضاوى (قوله معشر الخ) المعشر هم الطائفة الذين يشملهم وصف والشباب معشر والشيوخ معشر والانبياء معشر (قوله سماهم بذلك) وكما يقال فى الصديقين اخوان لاستوائهما فى الصداقة (قوله ليس شأنكم) يشير الى أن اسم ليس ضمير الشان وهو بناء على أن اناسا نائب فاعل يرعى وقد أخر هذا المسلك الجوجرى فقال ويجوز أن يجعل النائب هو الاناس فيكون اسم ليس ضمير الشان (قوله ويجوز أنه اسم ليس) قدمه الشارح الجوجرى وقال انه أحسن (قوله جناس الاشتقاق) كان الظاهر شبه الاشتقاق لان نسبق الفريقين الاشتقاق بوشبهة

(قوله قابيل) سيأتى فى كلام الشارح التصريح بأنه كافر (قوله وهم اربعون الخ) تقدم الشارح فى شرح قول الناظم لم تزل فى ضمائر الكون البيت ان آدم أولد حواء اربعين ولدا فى عشرين بطنا الاشيثا وصيه فانه ولد منفردا كرامة لكون نبينا صلى الله عليه وسلم من نسله اه وتقدم لنا فى الحاشية أن قوله الاشيثا الخ يقتضى أن الصواب أن يقول بدل اربعين ولدا تسعة وثلاثين ولدا ويزيد بعد قوله بطنا كل بطن اثنين الاشيثا الخ فقوله وهم اربعون الخ صوابه أن يقول وهم تسعة وثلاثون ويقول بعد قوله ذكر وأنثى الابطنا من البطون لم يكن الاذكرا وهو شيث فتأمل (قوله تقبل قربان هابيل) وكان هابيل صاحب غنم وكان لين الجانب وكان قابيل صاحب صيد وقنص وكان فظا غليظا فاصطاد صيدا وقربه وعمد هابيل الى أحسن غنمه فقربه اه والذى فى الخازن أن قابيل كان صاحب زرع فقرب صبرة من طعام ردى واضمر فى نفسه لاأبالى أيتقبل ام لالايتزوج اختى احد غيرى وكان هابيل صاحب غنم فعمد الى كبش من غنمه وقربه واضمر فى نفسه رضا الله وهابيل اول قتيل قتل ولذا ورد فى الحديث مامن قتيل يقتل الا وعلى ابن آدم الاول كفل منها لانه اول من سن القتل وكان قبله حسد ابليس آدم فهبطا عن الملكوت وقيل هى اول معصية وجدت اى من اولاد آدم (قوله اخت هابيل) وتسمى لبودا (قوله بكمال اخته) وتسمى اقليما (قوله اراد بالاخوة الخ) على أنه لايصح ارادة ذلك لانه لايظهر معه جعل مظلوم فانه للجنس فلا توجد مطابقة المبتدا الخبر فتدبر (قوله اى عبد الله) قال النووى فى التهذيب قال ابو على الفارسى هذا الذى قيل ان معناه عبد الله خطأ من وجهين أن ايل وال لايعرفان فى اسماء الله تعالى الثانى لو كان كذلك لانصرف آخر الاسم فى وجوه العربية ولكان آخره مجرورا كعبد الله قال وهذا الذى قاله ابو على هو الصواب اه وفى الوجه الثانى نظر

الجزية منهم ارتفع بنزوله وتكذيبه لهم (ومازال كذا) أى هكذا المذكور من حسد الاول للاخير (المحدثون والقدماء) من لدن آدم الى اليوم (قد) هى للتحقيق (علم) بأهل الكتاب (بظلم قابيل) من اضافة المصدر الى فاعله وهو أول أولاد آدم وهم أربعون جاءته بهم من حواء فى عشرين بطنا فى كل بطن ذكر وأنثى وبارك الله فى نسله فى حياته حتى بلغوا اربعين ألفا (هابيل) بشدخه رأسه بين حجرين وهو ثانى أولاد آدم صلى الله عليه وسلم حسدا له على الدين من أجل كون الله تعالى تقبل قربان هابيل ولم يتقبل قربانه فحينئذ قال له لاقتلنك فأجابه بانه يستسلم لقضاء الله ولايجزى بالسيئة السيئة كما أفاد ذلك ما حكاه الله تعالى عنه بقوله عز قائلا لئن بسطت الى يدك لتقتلنى ما أنا بباسط الآية ولذلك قال صلى الله عليه وسلم فى الحديث الصحيح كن خير ابنى آدم كن عبد الله المقتول ولا تكن عبد الله القاتل وجاء أن سبب حسده انه تزوج اخت هابيل وكانت ليست كجمال اخته التى تزوجها هابيل وكان من شريعة آدم عليه الصلاة والسلام أن اختلاف بطون حواء بمنزلة اختلاف الانساب فكان يزوج ذكور كل بطن لاناث الاخرى وبالعكس وهو مع مخالفته لظاهر الآية يمكن تأويله بانه لامانع من ان حسده لسببين أخروى وهو ما فى الآية ودنيوى وهو ماذكر على أنه جاء فى القصة ان آدم عليه الصلاة والسلام لما أمر قابيل أن يزوج اخته لهابيل فامتنع وقال أختى أحسن لا امكنه منها ولا ارضى اخته أمرهما أن يقربا قربانا لله وكانت العلامة على قبوله اذ ذاك نزول نار من السماء تأكله فقرب كل منهما قربانه فتقبل قربان هابيل فزاد حسده حتى قتله وبين الاول والاخير والمحدثون والقدماء جناس الطباق كوفيتم ووفيتم وشانوا وأحسنتم وأساؤا والآباء والابناء وعرفوه وأنكروه الآيات (ومظلوم الاخوة) الاضافة فيه بمعنى من ويصح بتكلف كونها بمعنى فى وأخبر عنه بالجمع لانه للجنس الصادق بالجمع وقسيميه (الاتقياء) لانهم الذين يصبرون على تحمل الاذى ولا ينتقمون لانفسهم وهذا فيه مخور ارسال المثل للاستدلال به على ماقبله وكذا ومازال الخ وعلم من قولى وهذا فيه الخ أنه ليس المراد بالاخوة هنا خصوص قابيل وهابيل حتى يجاب عنه بأنه اراد بالاخوة الاخوين بناء على القول بأن اقل الجمع اثنان (و) قد (حمش) هو للتقليل لان المراد فى كل العلم (بكيد أبناء يعقوب) المسمى فى القرآن باسرائيل اى عبد الله بن اسحق الذبيح عند الاكثرين لكن الاشهر أنه اخوه اسمعيل بن ابراهيم الخليل صلى الله عليه وسلم (أخاهم) يوسف صلى الله عليه وسلم

(قوله نحن نقص الخ) قال الكرمانى فى العجائب فى قوله تعالى نحن نقص الخ قيل هو قصة يوسف لاشتمالها على حاسد ومحسود ومالك ومملوك وشاهد ومشهود وعاشق ومعشوق وحبس واطلاق وسجن وخلاص وخصب وجدب وغيرها مما يعجز عن بيانها طوق الخلق اه اتقان (قوله أو لقوة الخلاف) قال شيخ الاسلام زكريا فى فتح الرحمن بكشف ما يلتبس من القرآن لم يكونوا انبياء على الصحيح (قوله بسطه كتب الاصول) حاصل المعتقد منه أنهم معصومون قبلها ايضا من الكبائر والصغائر عمدا وسهوا ثم رأيته صرح به فيما سياتى (قوله فانهم لما جاؤا اليه الخ) روى أن يوسف طاف بيعقوب فى خزائنه كلها فلما ادخله خزائن القراطيس قال يابنى ما اعقك عندك هذه القراطيس وما كتبت الىّ على مسافة ثمان مراحل قال امرنى جبريل بذلك قال أماتسأله قال يوسف انت انشط اليه منى فاسأله انت فقال جبريل ٢٠٩ الله امرنى بذلك لقولك انى اخاف أن يأكله الذئب فهلا خفتنى واقام يعقوب عند يوسف اربعا وعشرين سنة فلما حضره الموت وصى يوسف بأن يحمل جسده ويدفنه عند ابيه فمضى يوسف بنفسه ودفنه عند ابيه ثم عاد الى مصر وروى أنه وصل اليه ريح يوسف من العريش قرية بين مصر وكنعان استأذنت ريح الصبا فى اتيان يعقوب بريح يوسف قبل اتيان البشير فأذن لها فجاءت بريح يوسف وكان يعقوب ساجدا اه كواشى (قوله وخروا له سجدا) قال البيضاوى تحية وتكرمة له فان السجود كان عندهم يجرى مجراها وقيل معناه خروا لاجله سجدا لله شكرا وقيل الضمير لله والواو لابويه واخوته (قوله وقد أحسن بى) ويقال أيضا أحسن الىّ والمفعول فيهما محذوف تقديره صنعه (قوله من السجن) لم يقل من الجب تكرما لئلا تستحى اخوته من ذلك ومن تمام الصفح والعفو ان لا يذكر ما تقدم من الذنب أو لان السجن كان باختياره بقوله السجن أحب الىّ والاختيار آفات فشكر الله تعالى على تخليصه من فتنة اختياره بخلاف الجب فانه كان موضع اضطرار واختبار من الله تعالى اه كواشى وقال القاضى فى تفسيره انما ابتلى بالسجن لقوله هذا أى رب السجن الخ وانما كان الاولى به ان يسأل الله العافية ولذلك رد رسول الله صلى الله عليه وسلم على من كان يسأل الصبر (قوله من البدو) اى البادية وكان منزل يعقوب عليهما الصلاة والسلام باطراف الشام بالبادية ببادية فلسطين وكان رب ابل وغنم وفى الحديث من يرد الله به خيرا ينقله من البادية الى الحاضرة اه من النهر لابى حيان

فانه لاخلاف فى نبوته كما هو مبسوط فى قصته المصدرة بقوله تعالى نحن نقص عليك احسن القصص اى لانها سيقت على اسلوب لم يسبق عليه غيرها من بقية القصص (و) لا يتوهم من كيدهم له المحكى عنهم فى قصتهم ولا من ذكرهم اثر تأويل الكافر العين أن ذلك ينافى صلاحهم لاتفاق العلماء على أنهم (كلهم صلحاء) عدل اليه عن انبياء لانه الامر المتفق عليه كما تقرر او لقوة الخلاف عنده فى عدم نبوتهم بخلاف يوسف فانه لاخلاف فى نبوته لكن الحق أن ظاهر الآية او صريحها وهى قوله تعالى قولوا آمنا بالله وما انزل الينا وما انزل الى ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط اذ الاسباط هم اولاد يعقوب وقد ذكرت الآية أنه انزل عليهم شئ يجب الايمان به غير ما انزل على آبائهم وذلك الشئ هو الوحى كما هو المتبادر بل صرحت به آية واوحينا الى ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط وحينئذ فنفى نبوتهم المستلزم لنفى الوحى اليهم مناقض لصريح الآية فتأمله ولا ينافى نبوتهم ما حكى عنهم فى تلك القصة لانه انما صدر منهم عن تأويلات تراها شرعيتهم ومما يقرب ذلك أن العلماء رضى الله تعالى عنهم اتفقوا على صلاحهم وأن تلك الامور التى جرت منهم لم تؤثر فى صلاحهم فكذا فى نبوتهم على ان فى عصمة الانبياء قبل النبوة خلافا محل بسطه كتب الاصول (حين) ظرف لكيد (القوه فى غيابة جب) هو البئر التى لم يطو وغيابته قعره وكاد وهم بذلك خوفا من تقدمه مع كونه اصغرهم عليهم الذى ابانت عنه رؤياه المذكورة اول السورة اذ الاحد عشر كوكبا مثال لهم لانهم احد عشر والشمس والقمر ابوه وخالته ومجموع الكل له دخولهم تحت أمره وطاعته وكان الامر كذلك كما فى آخر السورة فانهم لما جاؤا اليه مع أبيهم وخروا له سجدا قال يا أبت هذا تأويل رؤياى من قبل قد جعلها ربى حقا وقد أحسن بى اذ أخرجنى من السجن وجاء بكم من البدو

٢٧ =

من بعد أن نزغ الشيطان بيني وبين اخوتي وليس في التعبير بنزغ الشيطان بينه وبينهم ما يقدح في نبوتهم على القول بها قال تعالى لافضل خلقه صلى الله عليه وسلم واما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله لان معناه واما يستخفنك غضب يحملك على ترك الاعراض عن المكذبين لك فالنزغ أدنى حركة أمره تعالى انه متى تحرك عليه أدنى غضب على عدوه وأراد الشيطان القاء أدنى وسوسة اليه ان يستعيذ به تعالى ليكفيه أمره وهذا من عَلَم عصمته صلى الله عليه وسلم لانه لا يسلط عليه بأكثر من التعرض له بهذا الامر الذي لا تأثير له من غير قدرته عليه (و) من كيدهم له أيضا انهم (رموه بالافك) حيث قالوا ان يسرق فقد سرق أخ له من قبل يريدون يوسف عليه الصلاة والسلام (وهو براء) اي بريء منه وفي تسمية الناظم هذا افكا نظر ظاهر بل لا يصح كيف وقد أخرج ابن مردويه عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى ان يسرق فقد سرق أخ له من قبل قال سرق يوسف عليه الصلاة والسلام صنما لجده أبي أمه من ذهب وفضة فكسره والقاه على الطريق فعيرته اخوته بذلك وأخرج ابن جرير عن قتادة قال سرقته التي عابوه بها أخذه صنما كان لابي أمه وانما أراد بذلك الخير وروى نحو ذلك جماعة عن زيد بن أسلم وسعيد بن جبير وابن جرير وزاد ان أمه أمرته بذلك لانها كانت مسلمة قال الامام الشافعي رضي الله تعالى عنه كان زيد هذا من العالمين بالقرآن فالحاصل انه وقع منه صورة سرقة فذكروها تعييرا له صلى الله عليه وسلم فلم يكذبوا وانما الذي وقع افتراؤهم فيه انهم عيروه بما لا عار فيه بل عاقبته غاية الرفعة والمدحة كما ذكرته في كتابي سعادة الدارين في صلح الاخوين وذكرت فيه نحو ما سبق وملخصه واعلم ان واقعة يوسف عليه الصلاة والسلام مع اخوته واقعة عجيبة تشتمل على عجائب وغرائب وحكم واحكام وعبر وامثال وذل واتضاع وطلوع وارتفاع وعلى حسن عاقبة الصبر وخشية عاقبة الحسد وعلى نصر الحق وان لم يكن له اعوان ولا انصار وعلى خذلان المبطل وان كان أعوانه وانصاره الوزراء والملوك فضلا عن غيرهم وعلى ان التباغض والتحاسد بين الاخوة أمر قديم قل ما يسلم منه منهم أو أديم وان كانوا وبلغوا وعلت مراتبهم وزكت معادنهم ومذاهبهم لما ان اخوة يوسف وقع منهم ما وقع مع كونهم صلحاء بل أنبياء بنص قوله تعالى قولوا آمنا بالله الآية اتفقوا على ان المراد بالاسباط أولاد يعقوب فكونه تعالى أمرنا بالايمان بما أنزل الى أبيهم وبما أنزل اليهم ظاهر أو نص في انه أنزل عليهم ما يجب علينا الايمان به اجمالا وهذا صريح في نبوتهم وعليه فقد يستشكل ما وقع منهم في هذه القصة من الامور الكثيرة التي ظواهرها يجب تنزيه الانبياء صلى الله عليهم وسلم عنها بناء على الاصح بل الصواب ان الانبياء عليهم الصلاة والسلام جميعهم الرسل وغيرهم معصومون قبل النبوة وبعدها من صغائر المعاصي وكبائرها سهوها وعمدها ويجاب بان ذلك يتأتى على مذهب كثيرين بل نقل عن الاكثرين ان العصمة انما

(قوله من ذهب وفضة) وقيل ورثت عمته من أبيه منطقة ابراهيم وكانت تحضن يوسف وتحبه فلما شب أراد يعقوب انتزاعه منها فشدت المنطقة في وسطه ثم أظهرت ضياعها ففتش عنها فوجدت محزومة عليه فصارت أحق به في حكمهم (قوله قل ما يسلم منه منهم أديم) الخيم بالكسر السجية والطبيعة لا واحد له من لفظه والاديم الجلد ويطلق على وجه الارض والادمة محركة الجلدة ما يلي اللحم اه قاموس والمراد بالاديم هنا الجملة والمعنى ما خلا جسد من حسد

هي بعد النبوة لاقبلها والاولى ان يجاب بأن هذه الامور انما تشكل على قواعد
شرعنا اما على شرعهم فنحن لاندريه وبفرض انه يوافق شرعنا فذلك فيحتمل ان لهم
تأويلا سوغ لهم ارتكاب ما فعلوه وتعبير كثيرين كالناظم بكيدهم وحسدهم ونحو
هذا من العبارات التي ظاهرها لا يليق بهم انما هو بناء على عدم نبوتهم كما هو قول فيهم
وأخرج ابن جرير وابن المنذر ان أبا عمرو قيل له كيف تقرأ نرتع ونلعب والنون وهم أنبياء
فقال لم يكونوا يومئذ أنبياء والحاصل انه يجب علينا الايمان بنزاهتهم وبراءتهم من كل
ما لا يليق بهم انتهت عبارة الكتاب المذكور واذ قد علمتم معشر المسلمين ما وقع لمن قبلكم
من الشدائد والمحن وصبروا عليها ففازوا بارضا الله تعالى ومحبته (فتأسوا) اى فتعزوا اذ
التأسي التعزي من تأسيت بفلان تعزيت به اى جعلت حالى على حاله ففى التأسي تسكين
النفس على الامر المشق وتصبرها عليه والتعزي الحمل على الصبر ووعد الاجر فمعنى التأسي
والتعزي واحد أو متقارب وساغ ذكرهما على الاول لاختلاف لفظهما (بمن مضى)
قبلكم من الكمل فى ذلك (اذ) اى وقت أو لاجل ان (ظلمتم) من الكفار بما رموكم به من
الحسد والبغضاء والعداوة والقتال (فالتأسي) فى المصائب لاصحاب الكمل (النفس فيه
عزاء) اى تسل وتصبر يحملها على أن لا يصدر منها الا كمال الاخلاق والاعراض عن
النظر الى ما يصدر من أهل النفاق والشقاق وهذا من التذييل (اتراكم) الفاعل لاهل
الكتاب والمفعول للمسلمين اى أتظنكم أهل الكتاب (وفيتم) بما عاهدتم الله عليه فاظهرتم
الحق ودمتم على العمل به (حين) ظرف لوفيتم الواقع موقع المفعول الثاني (خانوا)
ما عاهدوا الله عليه فكتموا الحق وأبوا قبوله من غيرهم (أم) متصلة لانها معادلة للهمزة
السابقة (تراكم) أهل الكتاب (أحسنتم) فى اتباع نبيكم فى جميع ما جاء به فلم تغيروا منه شيأ
قط ولم تبدلوا فى حياته ولا بعد وفاته (اذ اساؤا) الطوية فلم يستمروا على العمل بما اتتهم
به رسلهم بل بدلوه وغيروه ايثارا لما ينالونه من اتباعهم من الحظوظ الدنيوية (بل)
لا يرون شيأ من ذلك وانما الذى حملهم على عدم اتباع الانبياء عليهم الصلاة والسلام انه
(تمادت) اى تتابعت واستمرت (على التجاهل) المرجب لرفض الحق واتباع الباطل اى
اظهار الجهل من نفوسهم مع علمهم بالحق وانهم على خلافه وجحدوا بها واستيقنتها
أنفسهم ظلما وعلوا فاظهرتم غير الحق ودمتم على العمل به (آباء) بينه وبين الابناء الطباق
(فقفت) اى تبعت (آثارها) الباطلة (الابناء) انا وجدنا آباءنا على أمة وانا على
آثارهم مقتدون (بيته) اى الحق الذى من جملته نبوة محمد صلى الله عليه وسلم
وعموم رسالته (توراتهم) المنزلة على موسى صلى الله عليه وسلم من أورثت الزند قدحته
لتخرج ناره والنار تستلزم النور (والاناجيل) المنزلة على عيسى عليه الصلاة والسلام من
قبل النبى أخرجه التى لهم كما حكاه الله تعالى عنهما بقوله عز قائلا الذين يتبعون الرسول
النبى الامى الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والانجيل ولا ينافى هذا جمع الناظم له

(قوله ونلعب) اى تسابق وتناضل
لنتسبب لقتال العدو فلم يكن
لعب لهو بدليل انا ذهبنا نستبق
واطلق عليه لعب لانه بصورته
(قوله وجحدوا بها) اى الآيات
التسع المتقدمة فى الآية وهى
الفلق بسكون اللام والطوفان
والجراد والقمل والضفادع
والدم والطمس والجدب فى
بواديهم والنقصان فى مزارعهم

لانه باعتبار افراده وهذا من أعظم الادلة على نبوته وعموم رسالته ودلى انه صلى الله عليه وسلم على البينة الواضحة من أمره لانه صرح بذلك على رؤس أهل الكتابين ولم يخش ان أحدا منهم يقول ليس ذلك فى كتابنا فاذ قد صرح بذلك ولم يعترضوه كانوا عالمين به وكان تخلفهم عن اتباعه لمحض العناد والحسد قال تعالى يكتمون الحق وهم يعلمون يحرفون الكلم عن مواضعه يعرفونه كما يعرفون أبناءهم ليطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله الا ان يتم نوره ولو كره الكافرون ومبشرا برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به وأخرج ابن عساكر فى تاريخ دمشق ان ابن سلام لما سمع بمخرج النبى صلى الله عليه وسلم بمكة ذهب اليه فقال له صلى الله عليه وسلم أنت ابن سلام عالم يثرب قال نعم قال أنشدك الله الذى أنزل التوراة على موسى أتجد فى التوراة قال انسب ربك فارتج النبى صلى الله عليه وسلم فقال له جبريل عليه الصلاة والسلام قل هو الله أحد الى آخرها فقرأها فقال ابن سلام أشهد أنك رسول الله وان الله مظهرك ومظهر دينك على الاديان وانى لاجد صفتك فى كتاب الله تعالى اى التوراة يا أيها النبى انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا أنت عبدى ورسولى سميتك المتوكل ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب فى الاسواق ولا تجزى بالسيئة مثلها ولكن تعفو وتصفح ولن يقبضه الله حتى تستقيم به الملة العوجاء حتى يقولوا لا اله الا الله يفتح بها أعينا عميا وآذانا صما وقلوبا غلفا وأخرج البيهقى وأبو نعيم عن كعب والبخارى عن عمرو بن العاص رضى الله عنهما انه حكاه نقلا عن التوراة

(قوله لانه باعتبار افراده) اى افراد ذلك المنزل على عيسى وأما الافراد التى وقع فيها التغيير والتبديل فليس فيها الحق مبينا وهى أربعة وثمانون ثم رجعوها الى ان صارت أربعة قال العلامة نصر بن عيسى المهتدى فى كتابه المسمى بالنصيحة الايمانية فى فضيحة الملة النصرانية التى ذكر فيها بيان ضلالاتهم وابطال مذاهبهم لانه رضى الله عنه اسلم وحسن اسلامه بعد ان أحاط بما هم عليه مع عقله وفهمه وألف هذا الكتاب لاشهار حقيقة الاسلام وزيادة ايضاح ضلالات النصارى ان أربعة وثمانين رجلا من علمائهم كل رجل غير وبدل واختلفت الاناجيل على قدر عقله واستمروا على ذلك الحين الى ان ملك من ملوكهم يقال له قسطنطنوس فلما رأى هذا الملك اضطراب حال النصارى بسبب اختلاف أناجيلهم وأن كل واحد قد أتى فى انجيله بشئ لم يأت به الآخر وقد تبع كلا منهم جمع كثير وكثرت الفتن بينهم وكل فرقة منهم تكذب الاخرى وتكفر اعتقادها أمر ذلك الملك جميع النصارى باحضار ما عندهم من الاناجيل واحضار علمائهم من أقاصى البلدان فحضر جميع ذلك وكان عدة من حضر من علمائهم ثلثمائة وثمانية عشر عالما ثم ان الملك أمرهم ٢١٣ ان يقتصروا من تلك الاناجيل على بعضها فامتثلوا أمره واختاروا أربعة أناجيل وهى التى بأيديهم الآن وهى لوقا ومرقوس ولوقا ويوحنا وأسقطوا ثمانين انجيلا وهذه الاربعة أيضا فيها التغيير والتبديل لكنها أخف من التى تركت (قوله أنشدك الله) قال النووى فى شرح مسلم معنى أنشدك أسألك رافعا نشيدى اى صوتى وهو بفتح الهمزة وضم الشين وفى شرح الشفاء للشهاب أنشدك الله قسم بفتح الهمزة وضمها يقال نشدته وأنشدته وفى القاموس نشد فلانا استحلفه بالله والله منصوب بنزع الخافض اى أسألك بالله وفى النهاية انه متعد لمفعولين (قوله فارتج النبى صلى الله عليه وسلم الخ) قال فى الصحاح وارتج على القارى على ما لم يسم فاعله اذا لم يقدر على القراءة كأنه اطبق عليه كما يرتج الباب وكذلك ارتتج عليه ولا تقل ارتج عليه بالتشديد اه فعليه كان الظاهر ارتج على النبى بزيادة على تأمل فلو قال فرتج النبى بفتح فكسر استقام المعنى من غير زيادة على قال فى القاموس ورتج كفرح استغلق عليه الكلام ولم أجد فيه ما فى الصحاح من التقييد بما لم يسم فاعله (قوله ليس بفظ) اى سيئ الخلق ولا غليظ اى قاسى القلب والمراد على المؤمنين فلا ينافى قوله تعالى واغلظ عليهم اى الكفار (قوله ولا سخاب) بالسين المهملة والخاء المعجمة اى صياح فى الخصومات فالسخب هو الصياح واضطراب الاصوات للخصام (قوله الملة العوجاء) يعنى ملة ابراهيم صلى الله عليه وسلم لان العرب غيرتها عن استقامتها فصارت كالمعوجة (قوله يفتح بها أعينا الخ) اطلاق ذلك عليها مجاز علاقته المشابهة على طريق الاستعارة المكنية (قوله غلفا) جمع أغلف وهو الشئ فى غلاف وغشاء بحيث لا يوصل اليه

والانجيل

والانجيل فهو ذلك مع زيادة عليه وفي التوراة تجلى الله من طور سيناء اى بتكليمه موسى عليه وأشرق من ساعير اسم جبل اى بتكليمه عيسى عليه واستعلن من جبال فاران اى جبال بنى هاشم المطلة على شعبهم بمكة اى برسالة محمد صلى الله عليه وسلم منها الى جميع الخلق كما يشير اليه تعبيره باستعلن وفي الانجيل كالتوراة من ذلك ما يضيق عنه هذا المحل (وهم) اى اليهود والنصارى (في جحوده) اى مخالفة الحق الذي بينه كما اهما وهو الانكار بعد العلم (شركاء) اى مشتركون في لعنة الله تعالى عليهما (ان) شرطية (تقولوا) يا أهل الكتاب (ما) نافية (بينته) اى التوراة والاناجيل الحق المذكور (فلانا التبيها) اى التوراة والاناجيل (عن عيونهم عشواء) بالمعجمة والمهملة اى عن بصائرهم ظلمة مانعة لهم عن ابصارهم الحق من قولهم ركب فلان العشواء اذا كان قد خبط أمره على غير بصيرة وقولهم ركب متن عمياء وخبط خبط عشواء وهي الناقة التي لا تبصر امامها فهي تخبط بيديها كل شئ فقصد الاشارة للمثل المذكور والاستعارة بالكناية لانه شبه العيون بالبصائر والعشواء بالظلمة المذكورة والاستعارة تخييلية في اثبات الظلمة للعيون والترشيح في قوله ما بينته لانه يناسب المشبه (أو تقولوا قد بينته) كما هو الحق (فما) اى فاي شئ حصل (للاذن) اى لآذانكم حتى انها (عما تقوله) التوراة والاناجيل واسناد القول اليها فيه الاستعارتان السابقتان آنفا وكذا في قوله الا في قوله لا في صممهم الخ وقوله كما هم الخ (صماء) اى غير سامعة سماع قبول فلا موجب للاعراض عن ذلك الا محض العناد والحسد (عرفوه) اى الحق السابق معرفة يقينية ببواطنهم (وأنكروه) بظواهرهم كما قال تعالى عنهم يكتمون الحق وهم يعلمون وبين عرفوه وانكروه الطباق وذلك نتيجة الالزام السابق (وظلما) مفعول لاجله (كتمته) اى الحق المذكور (الشهادة) بدل اشتمال من كتمته اى كتمت الشهادة به (الشهداء) الذين هم أهل الكتابين لانهم عرفوا صفة النبي صلى الله عليه وسلم وصفته بنعمة قطعية ثم انكروا ذلك راسا حسدا وعنادا ومباهتة وتلبيسا على ضعفائهم ليبقى ما نالوه منهم ونكتة ايقاع الظاهر موقع المضمر اذ الاصل كتموا الشهادة به التسجيل عليهم بما قررناه انهم بلغوا من العلم به صلى الله عليه وسلم وبحقيقته ما يبلغ رؤية الشمس ومع ذلك كتموه وعما يدل لقوة علم الشاهد اشتراط اتيانه بلفظ الشهادة لانها أبلغ من العلم كما يفيده الحديث الصحيح على مثل هذه اى الشمس فاشهد ومن ثم لم يكتف بقوله اعلم (أ) تكتمون ذلك وتظهرون الضلال (ونور الاله) اى الذي هو النبوة والرسالة والاله المسود بالحق (تطفئه) من اطفأت النار اذهبت حرها (الافواه) اى الالسنة المتفوهة بالباطل وهذا من الكلام البديع الجامع لا يكون غالبا يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله الا ان يتم نوره ولو كره الكافرون وكيف يطفأ ذلك النور الالهي (وهو الذي به يستضاء) ظاهرا وباطنا اى يبصر الحق من الباطل والصادق من الكاذب

(قوله من طور سيناء) جبل موسى بين مصر وأيلة وقيل بفلسطين وقيل فيه طور سينين وشح صرف سيناء للعلمية والعجمة أو التأنيث على تأويل البقعة لا للالف لانه فيعال كديماس من السناء بالمد وهو الرفعة أو من السنا بالقصر وهو النور اه من تفسير القاضي (قوله من ساعير اسم جبل) من جبال فلسطين وكان المسيح يسكن من ساعير أرض الخليل بقرية تدعى ناصرة وباسمها سمى من اتبعه نصارى (قوله من كتمه) اى من مفعول كتمه

(أ) يستمرون على ضلالهم وادعاء انهم محقون و ينكرون نبوته صلى الله عليه وسلم
(ولا ينكرون من طعنتم) اى اهلكتم (برماحها) اى اسلحتها (عن أمره الهيجاء) اى
حربه صلى الله عليه وسلم لا ينبغى ذلك بل الذى ينبغى لهم الرجوع عن الضلال والاعتراف
بانهم ان استمروا عليه طعنتم صلى الله عليه وسلم برماحه كما طعن آباءهم وأبناءهم
وأجليهم بجلاء بنى النضير الى أرض الشام وألزمهم أن لا يحمل كل واحد منهم الا حمل بعير
من غير سلاح وقتل بنى قريظة (و) لشدة بأسه وظلمهم ونصرته صلى الله عليه وسلم عليهم
(كساهم ثوب الصغار) اى الذل كضرب الرق على غير المقاتلين من بنى قريظة استعار
اللباس للصغار على حد فاذاقها الله لباس الجوع والخوف ثم قرنه بما يلائم المشبه به
وهو الكسوة وبما يلائم المشبه وهو طلول دماء وصون دماء فالاولى ترشيحية والثانية
تجريدية (و) الحال انه (قد طلت) اى دفقت (دماء منهم) كبنى قريظة (وصينت دماء)
منهم كبنى النضير أو المراد دماء المسلمين لان الله جعل لهم الغلبة والدائرة على أعدائهم
واذا تقرر اتصاف أهل الكتابين بتلك القبائح الشنيعة حق لهم ان يقال فى حقهم
(كيف يهدى) اى يوصل (الاله منهم قلوبا حشوها) اى ملؤها (من) بمعنى اللام المعدية
(حبيبه) صلى الله عليه وسلم متعلق بقوله (البغضاء) اى شدة البغض لحبيبه صلى الله
عليه وسلم ويصح على بعد انها للتعليل اى من أجله أو البدل اى حشوها بغضه بدل حبه
وفى هذا الاستعارتان السابقتان أيضا (خبرونا) أى اعلمونا يا (أهل الكتابين) التوراة
والانجيل (من أين) استفهام انكارى (أتاكم تثليثكم) أى ادعاؤكم معشر النصارى
ان الله ثالث ثلاثة الاب والابن وروح القدس (و) من أين لكم معشر اليهود (البداء)

(قوله و ينكرون) التى فى النظم أولا ينكرون وهو الموافق للوزن وكتب عليه السنباطى ما نصه أتنكرون الحق أيها اللاعين
ولا تنكرون الخ اى من أهلكتهم منكم الحرب بسلاحها عن أمره صلى الله عليه وسلم اه ثم قال اى لا ينبغى لكم أيها
اللاعين ان تنكروا الحق ولا تنكروا ما ذكر الدال عليه ثم رأيت فى نسخة صحيحة من الشرح نصها أو ينكرون نبوته صلى الله
عليه وسلم ولا ينكرون من الخ وعليها فلا اخلال فى الوزن ولا اشكال (قوله ثوب الصغار) من اضافة المشبه به للمشبه لا من
الاستعارة فليس على حد الآية تامل (قوله وصون دماء) انما يكون من ملايمات المشبه الذى هو الصغار ان أريد صون الدماء
منهم كبنى النضير اما اذا أريد دماء المسلمين فلا يكون من ملايمات المشبه لان الله جعل لهم العزة لا الصغار تامل (قوله قد طلت)
فى الصحاح وطل دمه اى بالبناء للمفعول فهو مطلول وأطل دمه وأطله الله وطله اى اهدره ولا يقال طل
دمه بالفتح وأبو عبيدة والكسائى يقولانه وقيل فيه ثلاث لغات
طل دمه وطال دمه وأطل دمه
وأطل عليه اى أشرف (قوله أو
البدل) انما يظهر ذلك اذا كان
مدخولها حبه لا حبيبه كما يرشد
اليه قوله اى حشوها الخ ولذلك
جعل صحته بعيدة لاحتياجها
الى التكلف اى من حب حبيبه
تدبر (قوله الاب والابن الخ)
انما يناسب هذا لو قال الشارح
ان الله أجزاء ثلاثة واما قوله ان
الله ثالث ثلاثة انما يناسب ان
يقول بعد ما فى الجلالين من
تفسير قوله ان الله ثالث ثلاثة
ونص ما فيهما اى آلهة ثلاثة
اى أحدها والآخران عيسى
وأمه وقد يقال هذا ظاهر على
ما ذكره السنباطى فى معنى الاب
والابن وروح القدس واما على ما ذكره الخازن فيناسب ما ذكره الشارح فتأمل والذى ذكره السنباطى بالموحدة
يريدون بالاب الوجود وبالابن العلم وبروح القدس الحياة والذى ذكره الخازن فى تفسير الاقانيم ما ملخصه ان اقنوم الاب
ذات الله واقنوم الابن عيسى واقنوم روح القدس الحياة الحالة فيه اه وفيه ان الحياة الحالة فى عيسى ليست الها حتى يكون
ما ذكره الخازن مناسبا لما فى الشرح الهم الا ان يقولوا ان الحياة المذكورة اله وسينقطع ومناسبته لما فى الشرح
تامل وسيتضح بعبارة السنباطى وقول الشارح الاب انما يناسب قول فرقة أخرى من أهل الضلال ان الله مركب من أقانيم
ثلاثة الاب والابن وروح القدس المبينة فى شرح السنباطى وهذه الفرقة هى النسطورية من النصارى ويقولون أيضا ان
المسيح ابن الله والفرقة القائلة بان الله ثالث ثلاثة المبينة فى الجلالين وهم المرقوسية وهم نصارى نجران (قوله البداء) اى
ادعاؤكم استلزام النسخ البداء اى ظهور المصلحة التى تعبد خلقها عليه تعالى

بالموحدة والمهملة من بدا ظهر وهو كما يأتي ظهور مصلحة بعد خفائها وبنوا على ذلك امتناع النسخ أي لم يأتكم واحد من هذين عن دليل صحيح بل عن محض سفههم وعنادكم (تنبيه) حكى ابن الصلاح عن بعضهم ان لفظ البداء غير صحيح لغة لانه لم يرد بدا وانما ردوه بأن ابن دريد ذكره قال التبريزي هو بالمد من قولهم بدا لي في الامر اي تغير رأيي فيه عما كان ونقله الزركشي عن صاحب المحكم عن سيبويه وقال السهيلي الاسم البداء ولا يقال في المصدر ومن أجل ان البدو والظهور كان البداء في وصف البارى سبحانه وتعالى محالا لانه لا يبدو له شئ كان غائبا عنه ويجيء بدا بمعنى أراد كما في حديث الاقرع والاعمى والابرص بدا الله ان يبتليهم اي أراد الله لا ظهر لانه كفر كما يأتي (ما أتى بالمقدمتين) المذكورتين (كتاب) من كتب الله تعالى ابدا (واعتقاد) وهو جزم الذهن بالحكم ثم ان طابق ذلك الحكم ما في نفس الامر كاعتقادنا فصحيح والا كاعتقادهم فباطل (لا نص فيه) اي في اثباته وعبر بالنص وهو ما لا يحتمل غيره بمعنى واحد بأن خلا عن الاحتمالات العشر المقررة في محلها دون الدليل الاعم من ذلك لان الاعتقاديات لا يكفي فيها الدليل الظني (ادعاء) اي باطل لانه اختراع في الدين بمجرد التشهي وكالنص حكم العقل القطعي فالاعتقاد المستند اليه صحيح وان لم يرد فيه نص بل لو ورد النص بخلافه وجب تأويل النص اليه كآيات الصفات وأحاديثها اذ ظاهرها محال على الله عقلا فوجب صرفها عنه بتأويلها بما يوافق العقل وأنكر جمع متأخرون من الحنابلة تأويلها لزعمهم باعتقاد ظواهرها من التجسيم أو الجهة وأطالوا في ذلك بما كان سببا لمقتهم ومحقهم في الدنيا والآخرة (والدعاوي) التي تقولونها معشر اليهود والنصارى بفتح الواو وكسرها كالفتاوي (ما) مصدرية ظرفية (لم تقيموا عليها بينات) اي أدلة قطعية لان الكلام في الاعتقاديات وهي لا يفيد فيها الظن (ابناؤها) اي نتائجها (ادعياء) اي باطلة والدعي في الاصل من ينتسب الى شخص بالكذب ومن يتبناه الانسان وليس بابن له وان عرف نسبه شبه دعاويهم بوطء الزنا بجامع فساد كل وقبحه وعدم الاعتداد بما ينشأ عنه لانه ناشئ عن أصل فاسد وهذا استعارة بالكناية ثم خيل لها بذكر ما هو من لوازم المشبه به الذي هو وطء الزنا وهم الابناء الذين هم نتيجته ثم رشح لها بذكر الادعاء المناسب للمشبه وبين الادعاء والادعياء والدعاوي تجنيس الاشتقاق وشبهه كتلطوها والتلطاء والصفات وصفه الآتيان وفي النظم القياس الاقتراني المركب من مقدمتين حمليتين المنتج انتاج الشكل الاول فالاولى الاعتقاد الذي لا نص فيه دعوى والثانية الدعوى بلا بينة باطلة ينتج الاعتقاد الذي لا نص فيه باطل (تنبيه) فرق النصارى ثلاثة نسطورية ويعقوبية وملكية ولكل فرقة اعتقاد معروف

(قوله بدا بمعنى أراد) وهذا المعنى لبدا هو المصحح لاخذ البداء منه فمعناه الارادة لا المعنى المتقدم المشتمل على القائل الذي دأبنا عليه اليهود امتناع النسخ (قوله الاحتمالات العشرة المقررة في محلها) قال ابن أبي شريف في حاشيته جمع الجوامع هي كما يتحصل من تعارض المجاز والاشتراك تعارض النقل والاشتراك تعارض المجاز والاضمار تعارض النقل والاضمار تعارض التخصيص والمجاز تعارض التخصيص والنقل تعارض التخصيص والاشتراك تعارض التخصيص والاضمار تعارض الاحتمال والاشتراك تعارض المجاز والنقل وهذه العشرة حاصلة من ضرب خمسة في اثنين والخمسة هي التخصيص والمجاز والاضمار والنقل والاشتراك وقد جمعها بعضهم وأضاف اليها النسخ وقدم المجاز على الاضمار فقال

تجوز ثم اضمار وبعدهما نقل تلاه اشتراك فهو يخلفه
وارجح الكل تخصيص وآخرها نسخ فما بعده قسم يخلفه

ويمكن انشادهما على ترتيب وفق الكتاب بان يقال تجوز مثل اضمار وبعدهما الخ اه وقد مثل في شرح جمع الجوامع لبعضها فراجعه ان شئت (قوله كآيات الصفات) نحو يد الله فوق أيديهم (قوله وأحاديثها) نحو ان الله يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل فالمراد باليد في الآية القدرة وفي الحديث الرحمة (قوله نسطورية) بضم النون وفتحها أصحاب نسطور الحكيم الذي ظهر في زمن المأمون وتصرف في الانجيل برأيه وقال ان الله واحد ذو أقانيم ثلاثة وان المسيح ابن الله وقولهم يعقوبية

ـف اصحاب يعقوب براهب القسطنطونية قالوا ان المسيح هو الله هبط الى الارض ثم صعد الى السماء وقوله وملكية أصحاب ملكان الذي ظهر ببلاد الروم قالوا المسيح عبد الله ونبيه كذا في البيضاوي في سورة مريم عند قوله فاختلف الاحزاب الآية زاد الثعلبي والمرقوسية وهم نصارى أهل نجران قالوا الله ثالث ثلاثة والآخران عيسى وأمه وسيأتي ان الناظم أشار لفرقة خامسة بقوله أم أردتم بها الصفات كما في شرح السنباطي مما يقتضيه ظاهر عبارته وسيأتي نقلها هنالك وامكان رد ما ذكره للمذهب اليعقوبية (قوله وقد أشار الناظم الخ) فيه نظر بالنسبة للملكية على ما نقله عنهم البيضاوي من أن اعتقادهم ان المسيح عبد الله ونبيه وهذا موافق لعقيدة أهل الحق ويكون ضلالهم وكفرهم بغير ذلك فان كان لهم اعتقاد فاسد غير ماذكر كغيرهم من بقية فرقهم مع (قوله للبحث مع الكل والرد عليهم) بالنسبة لهم أيضا ولعلهم يعتقدون

وقد أشار الناظم رحمه الله تعالى للبحث مع الكل والرد عليهم جميعا وأكثر الكلام مع القائلين بالتثليث لانهم أكثروا أشد كفرا ومن ثم خصوا بالذكر في قوله عز قائلا لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة الآية (ليت) حرف تمن (شعري) اي علمي اي ليتني علمت ما تقولونه انضباطا حتى أتكلم معكم في رده بما يليق بما هنا وهو (ذكر الثلاثة) الصادر منكم تارة حيث قلتم ان الله ثالث ثلاثة الاب والابن وروح القدس (و) ذكر (الواحد) الصادر منكم تارة أخرى حيث ادعيتم توحيده (نقص في عدكم أم نماء) اي زيادة فحين ذكرتم التثليث كان ذكركم الواحد نقصا وحين ذكرتم الواحد كان ذكركم التثليث زيادة وهذا تناقض عجيب لا يصدر عن عاقل لانكم تارة تثبتون تعدد الاله وتارة تثبتون عدم تعدده ولذا قال متعجبا منهم (كيف وحدتم) أيها القائلون بالتثليث (الها نفى التوحيد عنه الآباء والابناء) الذين أثبتوهما في دعواكم التثليث (أ) يمكن ان يوجد (المركب) من ثلاثة أجزاء أو أقل أو أكثر الاثنا (ما سمعنا باله ذاته أجزاء) أو جزآن اي بوجود اله كذلك بل ولا تعقلناه لانه مما يحيله العقل بالبديهة كما انها تحيل تعدده كما يدل عليه برهان التمانع المذكور في قوله تعالى لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا وبيان احالة العقل لما ذكر انه لو فرض المركب من أجزاء أو متعدد قيل لهم (ألكل منهم نصيب) اي جزء (من الملك) فان قالوا نعم قيل لهم (فهلا) وفي نسخة فلم لا وحذفت ألف ما الاستفهامية لدخول الجار عليها فهو عم يتساءلون (تميز) بالبناء للفاعل اي تميز أو المفعول (الانصباء) اي نصيب كل من الآلهة حتى يكون ذلك التميز دليلا على ما زعمتموه ولا تميز فلا تعدد كما هو بديهي وبين الثلاثة والواحد والنقص والنماء جناس

أن الاله مركب من الصفات الثلاث تحل في بدن عيسى فراجع وحرر ثم رأيت في الخازن في تفسير قوله يا أهل الكتاب تعالوا ان الملكية قائلون ان عيسى هو الله كاليعقوبية وان المرقوسية لهم مذهب آخر غير ما ذكره الثعلبي وهو انهم يقولون ان عيسى جوهر واحد مركب من ثلاثة أقانيم اقنوم الاب واقنوم الابن واقنوم روح القدس وانهم يريدون باقنوم الأب الذات الالهية وباقنوم الابن عيسى وباقنوم روح القدس الحياة الحالة فيه اهـ قال في المختار الاقانيم الاصول واحدها اقنوم واحسبها رومية (قوله ليت حرف تمن الخ) عبارة السنباطي ثم أخذ في الرد على النصارى في دعواهم ان الله ثالث ثلاثة مع دعواهم انه اله واحد فقال ليت الخ ثم قال بعد قوله ذكر الثلاثة والواحد التقابل في قولكم الله ثلاثة الله واحد وفيه مع ما بعده لف ونشر مشوش (قوله الاب) تقدم ما فيه من ان صوابه تعيين الثلاثة بالله وعيسى وأمه وهو ظاهر على ما ذكره السنباطي وأما على ما ذكره الخازن فما ذكره الشارح صحيح على ما سبق من ان الحياة الحالة في عيسى اله (قوله أيمكن ان يوجد الخ) اي فان قالوا اله واحد مركب من ثلاثة أجزاء كل منها اله فقلنا أيمكن الخ اي ما سمعنا باله ذاته أجزاء كل منها اله اي لم يوجد اله كذلك لانه لو وجد لكان الاله متعددا وحينئذ الكل الخ (قوله مركب من أجزاء) اي كما تقول النسطورية وقوله كما انها تحيل تعدده اي كما تقول المرقوسية وان لم يذكر الشارح هذه الفرقة وتقدم ان الثعلبي ذكرها (قوله أي تميز) اي فهو مضارع محذوف احدى التاءين ويصح ان يكون ماضيا وقوله أو المفعول فيه نظر سواء كان ماضيا أو مضارعا لانه لازم وصيغة المجهول في الماضي مكسور الياء وفي المضارع مفتوحها كما لا يخفى تأمل

التقابل كالحاجة والاضطرار والاماتة والاحياء والاتحاد فان قالوا الكل نصيب
أو انصباء لكنهم خلطوها قيل لهم (أتراهم) اى أتظنهم (لحاجة) اى احتياج (واضطرار)
وهو شدة الحاجة الى الشئ بحيث لا يجد مندوحة عنه (خلطوها) خلطا يمنع تميزها فان
قالوا نعم قلنا لهم الاله لا يحتاج ولا يضطر لشئ مطلقا لانه غنى بذاته عن غيره فاحتياجه
واضطراره دليل قطعى على عدم الوهيته فان قالوا خلطوها لا لحاجة ولا لاضطرار قلنا
أيتصور وجود شركة دائمة بين شريكين لنا كذا (و) الحال انه (ما) نافية (بغى) اى ظلم
(الخلطاء) اى الشركاء اى بعضهم على بعض لا يتصور ذلك بل متى وجدت شركة دائمة بين
شريكين وجد التمانع والتنازع المستلزم كل منهما خراب هذا العالم المشاهد لانهما ان
استويا فى القوة تمانعا ولم يقع فعل من أحدهما وان تفاوتا وقع مراد الغالب فقط
وتخلف مراد المغلوب فيلزم أن لا يتم نظام هذا العالم لان الغرض وقوع الشركة وعدم
التميز واحتمال توافقهما دائما الذى يجوزه العقل لا نظر اليه لانه مما تحيله العادة التى
هى مناط الادلة القرآنية والدلائل العربية فليس ذلك دليلا اقناعيا خلافا لمن وهم فيه
بل ألزم قائله الكفر بعض المتأخرين وألف فيه لكنه الزام باطل كما هو جلى وكون
العادة تحيل ذلك مما لا يحتاج لبيان لان كل من عرفها حكم ان شريكين فى الايجاد
والامداد لا يتصور دوامهما على الموافقة لانه من شأن النفس أن لا تريد شريكا معها
وكل ذلك باطل لانا نشاهد هذا العالم باقيا على أكمل وجوه الاتقان واحكم قواعد
الشروط والاركان ويلزم من ذلك انتفاء الشريك مطلقا وان الاله لا شريك له وهو بيان
بطلان التعدد من وجه آخر وبيانه ان عيسى عليه الصلاة والسلام كان يركب الحمار
كما عرف ذلك بالتواتر عنه وحينئذ يقال لهم (أ) تقولون فى حال ركوب عيسى الحمار
(هو) اى الاله (الراكب الحمار) فان قلتم انه هو فركوبه يستدعى حدوثه وتعبه وهو
يستدعى عجزه والاله لا يكون عاجزا ولا حادثا فلو جاز عجزه يلزمه عجزه وحدوثه وحينئذ
(فيا عجزاه) تعجيب من دعواهم المستلزمة ذلك (عينه الاعياء) اى التعب (أم) متصلة
لمعادلتها الهمزة تقولون الثلاثة الذين زعمتموهم آلهة (جميع على الحمار) فيقال لكم
(لقد جل) حينئذ (حمار بجمعهم) اى الآلهة اى بمجموعهم (مشاء) صيغة مبالغة من
مشى وقبح المحتاج الى ان يمشى به حمار فالجملة الخبرية فى النظم تفيد التعجب مما يترتب
على ما قبلها (أم) متصلة لمعادلتها الهمزة تقولون (سواهم) اى الثلاثة الذين على الحمار
(هو الاله) بسبب ذلك (ما) استفهامية (نسبة عيسى اليه) خبر نسبة (والانتماء) هو
الانتساب فهو عطف مرادف على نسبة اى اخبرونا عن انتماء عيسى وانتسابه الى الاله
حينئذ هل يوجب التثليث الذى زعمتموه كل عاقل يجزم بأنه لا يوجبه بل ولا يقتضيه
وقوله فيا عجزاه وما بعده تذييل متكرر (أم) متصلة كذلك (أردتم بها) اى بالثلاثة

(قوله واحتمال توافقهما) وهذا هو المذكور فى قوله تعالى لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا فاللازمة
المستفادة من الشرطية عادية
لا عقلية علوا تفاقهم فى
المراد عقلا فلا يلزم الفساد
ولكن العادة تحيله كما مر فان
قلت فالحجة المستفادة منها ظنية
لا عقلية قلت ممنوع بل هى مفيدة
للعلم وعدم استحالة النقيض
عقلا لا يخرجه عن كونه علما
اذ لم يؤخذ فى مفهوم العلم
استحالة النقيض بل مجرد الجزم
عن موجب وهو موجود فى ذلك
اه سنباطى (قوله وبيانه) كذا
بخطه رحمه الله تعالى والاولى
حذفه (قوله أتقولون الخ) رد
على طائفة من النصارى تزعم
ان المسيح هو الله وتقدم ان ذلك
مذهب اليعقوبية وانه فى الاصل
فى السماء ثم نزل الى الارض ثم
رجع لها وعبارة السنباطى ثم
من النصارى لعنهم الله من يزعم
ان الله هو عيسى بن مريم ومنهم
من يزعم انه ابن الله فقال لهم من
المعلوم ان عيسى كان يركب
الحمار وحينئذ أتقولون هو اى
الله الراكب الحمار بان أردتم
بالثلاثة التى هى الله عدد كم
الذوات امتزجت بعيسى امتزاج
اللبن بالخمر فكان الله هو الراكب
الحمار فيا هذا الاعياء فيا عجزاه
عينه الاعياء أم لغيره اعياه
والثلاثة التى هى الله عندكم
جميع الخ (قوله جميع على الحمار) رد على طائفة من النصارى تزعم ان الاله ثلاثة الله وعيسى وأمه لعن الله جميع فرقهم
الخاسرة وتقدم ان هذا مذهب المرقوسية (قوله فما نسبة الخ) اى لا نسبة بينهما الا التباين فكيف قلتم بالاتحاد اه سنباطى

(قوله القائمة الخ) اى قامت بعيسى قيام العرض بمحله فكان هو الله اه سنباطى وهذا مذهب لطائفة من النصارى غير المذاهب الاربعة المتقدمة فتأمل فذكر الفرق ثلاثة فى كلام الشارح وأربعة فى كلام غيره وليس الحصر فتأمل ويمكن ان يقال ان هذا مذهب اليعقوبية القائلين بأن الاله هو عيسى هبط الى الارض ثم صعد الى السماء أى الصفات التى هى آلهة قامت به قيام العرض بمحله فكان هو الله (قوله الى مجموع الثلاثة) أى الوجود والعلم والحياة التى عبروا عنها بالاب والابن وروح القدس كما تقدم التى قامت بعيسى الى آخر ما سبق آنفا (قوله والاثنين الخ) المراد بالاله بالحقيقة عيسى والاله بالتجوز الصفات المذكورة فهى اله مجازا وعيسى الحقيقة لكن ظاهر النظم ان المراد ثناء من الصفات وصرح بذلك

التى زعمتم انها آلهة (الصفات) القائمة بذات الاله والصفة ما دل على معنى زائد على الذات (قل) مر آنفا الكلام عليها (خمت ثلاث) بالصرف للوزن (بوصفه) اى الاله (وثناء) بضم أولهما معدولين عن ثلاث ثلاث واثنين اثنين والمراد هنا ليس ذلك التكرير بل نفس الثلاثة فقط عند من ينظر الى مجموع الثلاثة والاثنين فقط عند من ينظر الى الاله بالحقيقة والاله بالتجوز فان الاول واحد فقط والثانى اثنان فقط وعلى كل فالصفات لا تنحصر فى اثنين ولا فى ثلاث فادعاء التثليث تحكم صرف وهو لا يقول به عاقل (أم) تقولون (هو) اى عيسى صلى الله عليه وسلم (ابن الاله) فيقال لكم لم اختص عيسى عليه الصلاة والسلام بذلك حتى انه (ما) نافية (شاركته فى معانى النبوة الانبياء) بل عيسى وبقية الانبياء عليهم الصلاة والسلام فى ذلك على حد سواء فادعاء النبوة لعيسى عليه الصلاة والسلام تحكم باطل ايضا (قتله) اى عيسى عليه الصلاة والسلام (اليهود) حال كون قتلهم له انما هو (فيما) اى فى القول الذى (زعمتم) معشر النصارى والزعم اصله وموضوعه قول كذب ومن ثم قالت العرب زعموا مطية الكذب وقد يستعمل بمعنى قال مجردا عن التكذيب كقول ام هانئ للنبى صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة زعم ابن أمى اى على كرم الله وجهه انه قاتل من أجرته فقال لها النبى صلى الله عليه وسلم قد اجرنا من اجرت يا ام هانئ وكيف يزعمون ذلك (و) الحال انه (لا موا تكم به) اى بسبب عيسى عليه الصلاة والسلام (احياء) وهو رد الروح الى الجسد بعد مفارقتها له لانه كان فيكم يحيى الموتى فكيف يحيى الموتى ويمكن منه من يقتله فتصديقكم لليهود فى ذلك شاهد صدق على سخافة عقولكم وانه لا عقول لكم او لا تثبت لانكم تقعون فى التناقض الصريح ولا تشعرون له وعلى كل حال (ان قولا) مما يحكى عنكم كقولكم بالتثليث (اطلقتموه على الله تعالى) عما تقولون انتم وأمثالكم علوا كبيرا (ذكرا) اى ثناء وتعظيما له فى قولكم الله ثالث ثلاثة (لقول هراء) بضم الهاء من هرأ الكلام اذا كثر

الشارح حيث قال لا ينحصر فى اثنين وذات عيسى ليست حقيقة فتدبر وتأمل (قوله وثناء) زائد عما ذكره من ادعاء النصارى التثليث مبالغة فى الرد عليهم اى حتى لو ادعيتم ان الاله اثنان فدعواكم باطلة لما ذكر وانما قلنا زائد الخ لانا لم نعلم احدا منهم قال ان الاله اثنان ثم رأيت ان فرقة منهم قائلة ان المراد بالاب ذات الله وبالابن كلام الله وبروح القدس العلم فيمكن بقطع النظر عن كلام الشارح اجراء قول الناظم او ثناء عليه فانهم قائلون بامتزاج الصفتين المذكورتين وجعلهما الها ولا ينافى ذلك ضم شئ اليه وهو الاب المفسر بذات الله (قوله على حد سواء) قد يقال للملاعين ان يقولوا بالفرق لان عيسى لا ابا له من الخلق بخلاف غيره من الانبياء فيرد عليهم بادلة نفى ابوة الله سبحانه المقررة فى التوحيد ومن ادلة الرد قوله قتله اليهود (قوله قتله) فلا يكون الها ولا ابنه والا لم يتمكنوا من قتله (قوله احياء) اى باذن الله فمن كان فى يرد الحياة بعد ذهابها باذن الله فكيف لا يمنعها من الذهاب باذنه ولا يسعها عن نفسه (قوله بضم الهاء) عبارة الجوهرى رحمه الله تعالى وهراء بضم الهاء والراء المهملة قال ابن السكيت هرأ الكلام اذا أكثر فى الخطأ وهو منطق هراء قال الشاعر

لها بشر مثل الحرير ومنطق رخيم الحواشى لا هراء ولا نزر

وفى بعض النسخ هزاء بالزاى ولعله من قولهم رجل هزأة بالتسكين يهزأ به وهزأة بالتحريك يهزأ بالناس فهو نظير ضحكة بضم فسكون لمن يضحك منه وبضم ففتح لمن يضحك كثيرا وظاهر أخذه من هزأة بالتسكين على قياس ضحكة انه يجامع قيام الوصف بغير من وصف به فقول القول هزأة اى يهزأ الناس به فالوصف قائم =

في الخطا وفي نسخة بالزاي من قولهم هزأة بالتحريك أي مهزوء به وبالضم يهزأ بالناس
ويصح أن ذكرا تمييز من تعالى أي تعالى ذكره وهذا من القول البديع الجامع (مثل)
يجوز نصبه حالا أي القول حال كونه مثل أو نعتا لمصدر محذوف ورفعه خبر مبتدا
محذوف أي هو مثل (ما قالت اليهود) أي قولهم بالبداء فالتشبيه من حيث مطلق الكفر
وإن تباين تفصيل كل من المقالتين (وكل) من الفريقين (لزمته) أي لزمت دعواه (مقالة
شنعاء) أي قبيحة جدا (إذ هم استقروا البداء) أي تتبعوه حتى قالوا أما عدا العيسوية
منهم لا يجوز عقلا ولا شرعا على الله تعالى نسخ ملة بملة لأنه يوهم البداء وهو ظهور مصلحة
بعد خفائها حتى نسخ ما مضى لأجلها ووافقهم بعض غلاة الرافضة ومنهم من جوزه
عقلا ومنعه شرعا وأما قول بعض المسلمين الحكم الثابت لا يرتفع بل ينتهي فلا يكون
نسخا ممنوع بل هو نسخ وحينئذ فالخلاف لفظي واعلم أن شريعة نبينا صلى الله عليه
وسلم ناسخة لجميع الشرائع إجماعا واختلفوا في شريعة عيسى عليه الصلاة والسلام
هل هي ناسخة لشريعة موسى صلى الله عليه وسلم أو مخصصة والأظهر أنها مخصصة
لا ناسخة لقوله تعالى ولأحل لكم بعض الذي حرم عليكم قال الإمام في تفسيره روي أن
الرسل عليهم الصلاة والسلام كلهم على شريعته إلا شريعة عيسى عليه الصلاة والسلام
(تنبيه) ذكر الإمام أيضا في المطالب العالية في الحكمة في نسخ الشرائع كلاما
حسنا فقال الشرائع منها ما يعرف نفعه بالعقل معاشا ومعادا فهذا يمتنع طرو النسخ
عليه كمعرفة الله تعالى وطاعته أبدا ومجامع هذه الشرائع العقلية أمران التعظيم
لأمر الله تعالى والشفقة على خلق الله تعالى ومنها ما لا يعرف الانتفاع بها إلا من
السمع وهذا يمكن طرو نسخه وتبديله وحكمة نسخه أن الأعمال البدنية إذا
واظب عليها الخلف عن السلف صارت كالعادة وظن أنها مطلوبة لذاتها فيمتنع
الوصول بها لما هو المقصود من معرفة الله تعالى وتمجيده بخلاف ما إذا تغيرت تلك
الطريق وعلم أن المقصود من الأعمال إنما هو رعاية أحوال القلب والروح في
المعرفة والمحبة فإن الأوهام تنقطع عن الاشتغال بتلك الصور والظواهر إلى تعاهد
السرائر وقال غيره حكمته أن الخلق طبعوا على الملال من الشيء فوضع في عصر
كل رسول شريعة جديدة لينشطوا في أدائها وأعظم حكمة إظهار شرف نبينا صلى الله
عليه وسلم فإنه نسخ بشريعته شرائعهم وشريعته صلى الله عليه وسلم لا ناسخ لها ومن حكم
النسخ أيضا ما فيه من حفظ مصالح العباد كطبيب يأمر بدواء في يوم وبآخر في يوم ثان
وهكذا بحسب المصلحة وإن كان الثاني أثقل *(تنبيه)* آخر ما زعمه اليهود أن النسخ
يستلزم البداء باطل لما تقرر أن المصالح الداعية للنسخ ترجع إما للأحوال المكلفين
أو الأزمنة وذلك لا يستلزم بل ولا يقتضي أن الله تعالى ظهر له شيء بعد أن لم يكن وزعم
اليهود أنه يستلزمه فمنعوا النسخ وزعم كفرة الرافضة أنه يجوز البداء عليه لوقوع النسخ

= بالناس لا بالقول كرجل
ضحكة أي يضحك منه الناس
فالضحك قائم بالناس لا بالرجل
تأمل (قوله وفي نسخة الخ) وفي
نسخة شرح عليها السنباطي
بالذال المعجمة وفسر بالخطا ثم رأيت
في القاموس ما يؤخذ منه أنه
المكر وسماعه حيث قال هذأ
فلانا كمنع أسمعه ما يكره (قوله من
تعالى) أي من ضميره محول عن
ذلك الفاعل (قوله ورفعه خبر
مبتدا الخ) أو صفة ثانية لقول
ولا يشكل كونه حالا أو صفة
بإضافته لمعرفة لأنه لا يتعرف
بالإضافة تقول مررت برجل
مثلك (قوله لزمت دعواه الخ)
تقدمت المقالة الشنيعة اللازمة
لدعوى النصارى التثليث وأما
المقالة الشنيعة اللازمة على دعوى
اليهود عدم النسخ فقد أشار إليها
الناظم بقوله لو أراهم لم يعملوا الخ
(قوله هل هي ناسخة لشريعة
موسى) أي لجميعها. وقوله أو
مخصصة أي ناسخة لبعضها فإن
تحليل بعض ما حرم الله فيه نسخ
التحليل بالتحريم

(قوله لا يتصور فيه نسخ) أجاب المالكي عن هذه الشبهة بعد ايراده لها بأن المسلمين اتفقوا ان الشرع لموسى شرعه بلفظ الدوام ولا يجب ان يكون ذكر معه ان يكون منسوخا اذ لا يجب البيان عند الخطاب بل يجب عند الحاجة انتهى ولا يخفى ما فيه . (قوله بخت نصر) بضم الموحدة واسكان الخاء المعجمة ثم مثناة فوقية وبفتح النون والصاد المهملة المشددة أى ابن الصنم لان بخت معناه ابن ونصر اسم صنم كان يعبد ولم يعرف له أب فاضيف اليه (قوله في صور كثيرة) منها ما ذكره الشارح المالكي انه قال في العبد يستخدم ست سنين ثم يعتق في السابعة فان أبى العتق فلتثقب اذنه ويستخدم ابدا وهو منقطع بالموت فاطلق الابد على العمر وقال في البقرة التى أمروا بذبحها تكون لكم سنة أبدا وهى تنقطع بخراب العالم وقال في الجمل التى أمروا بذبحه وان تأكلوا لحمه ولا تكسروا عظمه ويكون لكم هذا الجمل سنة أبدا قال ثم مذهبهم منقوض بصور منها ان السارق اذا سرق في المرة الرابعة تثقب اذنه ويباع وقد تنفقنا على ان ذلك تغيير ومنها قصة الذبيح ومنها ما في التوراة ان الجمع بين المرأة والامة كان جائزا في ملة ابراهيم وحرمته التوراة وهل النسخ الا رفع حكم بحكم آخر ومنها ان في التوراة قال الله تعالى ياموسى اخرج أنت وشعبك لترثوا الارض المقدسة التى وعدت بها أباكم ابراهيم ان اورثها نسله فلما ساروا الى التيه قال الله تعالى لا تدخلوها لانكم عصيتمونى وهو عين النسخ ومنها تحريم السبت فانه لم يزل العمل مباحا الى زمن موسى وأمور أخر (قوله جواب لو الآتية) أى على الصورة مذهب الكوفيين حيث جوزوا تقديم الجزاء على أداة الشرط ووافقهم بعض البصريين ومذهب جمهور البصريين عدم جواز تقدمه وان تقدم على أداة الشرط شبيه بالجواب فهو دليل عليه وليس اياه ويمكن تقدير مضاف في كلام الشارح فيكون جاريا على مذهب الجمهور أى دليل جواب الخ وفيه ان جعله دليل الجواب لا يقتضى تصحيح انه المراد بخلاف جعله جوابا فجريانه على مذهب غير الجمهور متعين

منه وهذا اغلظ من الاولين من كفر اليهود فعلم الجواب عن قولهم الفعل اما حسن فيستحيل النهى عنه أو قبيح فيستحيل الامر به فالنسخ محال على التقديرين وبيانه ان التحسين والتقبيح العقليين باطلان وبتسليمهما فالعقل العادى قاطع بان الفعل قد يكون مصلحة في وقت مفسدة في وقت آخر وكذا بالنظر للمكلف يكون مصلحة في حق واحد مفسدة في حق آخر ولا مانع ان علمه تعالى يتعلق بان حرمة كذا تنتهى بوقت او فعل كذا فالوا والسمع يمنع النسخ أيضا لان اللفظ الدال على شرع موسى عليه الصلاة والسلام اما ان يدل على الدوام فان ضم اليه ما يقتضى نسخه فهو تناقض وان لم ينضم له ذلك كفى في العمل به مع تقلا يتصور فيه نسخ قالوا ويؤيده ايضا ما علم بالتواتر من قول التوراة تمسكوا بالسبت أبدا وجوابه انهم في زمن بخت نصر قتلوا حتى لم يبق منهم الا دون عدد التواتر بل قيل انهم لم يبق منهم الا ستة أطفال على ان الابد كثيرا ما يراد به الزمن الطويل كما في التوراة في صور كثيرة (وكم) أى مرات كثيرة (ساق وبالا) أى عذابا (اليهم استقراء) وفي هذين كقالت ومقالة السابقين جناس الاشتقاق كرد العجز على الصدر وفي المسخ والنسخ ونسخ ومسخ الجناس اللاحق وفالقوهم وقالوهم الجناس المضارع لقرب المخرج والمصحف وقوله وكم الخ من التذييل البديع (وأراهم) أى اعلم انهم لقولهم بذلك اعنى امتناع النسخ لئلا يلزم البداء (لم يعلموا) أى لم يعتقدوا (الواحد) في ذاته وصفاته وافعاله فلا شريك له بوجه ما (القهار في الخلق) أى الخالق على نفوذ ما اراده فيهم ويصح تعلقه بفاعلا فتى على حالها (فاعلا ما يشاء) لان امتناع النسخ عليه يستلزم قهره وعجزه (جوزوا النسخ) جواب لو الآتية تجويزا (مثل ما) مصدرية (جوزوا المسخ عليهم لو انهم فقهاء) أى فهماء ولا فهم لهم اذ ما فرقة أبلد من الفرق منهم والنسخ لغة الازالة والتغيير والنقل كنسخت الشمس الظل والريح التراب ونسخت الكتاب وشرعا بيان انتهاء حكم شرعى بخطاب آخر شرعى وزيد فيه متراخ ليخرج نحو الاستثناء ورد بان الكلام لا يعرف حكمه الا بانتهائه فلا يحتاج للاحتراز عن ذلك بهذا القيد أى لو ثبت انهم فقهاء لجوزوا النسخ لانه كما علم من حده لا يلزم عليه محذور البتة وزعمهم البداء باطل لا يعول عليه ومما يدل على جوازه ووقوعه ما علمه اليهود من وقوع المسخ وهو تحويل

الصورة الى أقبح منها فى كثير منهم فى زمن موسى عليه الصلاة والسلام لما خالفوا فى
السبت فسخهم الله قردة وخنازير كما قصه الله تعالى علينا فى كتابه العزيز وكيف ينعتون
النسخ و(هو) ليس فيه (الا ان يرفع الحكم) الشرعى أى استمراره وتعلقه فعلم ان المراد
بالحكم تعلقه بالمكلف بعد ان لم يكن أو تقييده لكن من حيث دوامه بمعنى تكرره لا ذاته
التى هى خطاب الله تعالى المتعلق بفعل المكلف من حيث هو مكلف اقتضاء او تخييرا لانه
قديم وما ثبت قدمه استحال عدمه ثم النسخ يكون الى بدل ولا الى بدل فان كان الى بدل
زيد فى الحد (بالحكم) الشرعى وان كان لا الى بدل لم يزد ذلك (وخلق) أى ايجاد (فيه)
أى المسخ الصورة الثانية بعد ذهاب الصورة الاولى (وأمر) أى تصرف برفع الحكم
الاول وايجاد الثانى (سواء) لما تقرر ان المسخ فيه رفع الصورة الاولى وخلقها الصورة
الثانية والنسخ فيه رفع الحكم الاول وخلقها الحكم الثانى فاذا جوزتم الاول لزمكم ان
تجوزوا الثانى والا فانتم سفهاء معاندون لا يلتفت اليكم وكيف تستبعدون النسخ وانما
غايته ان كان لبدل ان فيه حكمين المنسوخ وهو المراد بقوله (ولحكم من الزمان انتهاء)
والناسخ وهو المراد بقوله (ولحكم من الزمان ابتداء) ولا ينافى هذا تفسيرنا النسخ بالرفع
لما علمت ان المراد رفع تعلقه بالمكلف أو دوامه وهو الانتهاء المذكور هنا وقول الشارح
أنه اشارة الى تفسيرين فى النسخ غير صحيح لان حقيقة الرفع مستحيلة فوجب تأويل
التفسير به بما قلنا كما هو المقرر فى محله فتأمله ثم على كل فجواز النسخ أولى من جواز المسخ
لان ذاك فى الاحكام وهذا فى الذوات سواء جعلنا النسخ رفعا أم بيانا وسواء اجعلنا
المسخ فى صورتهم حتى صارت آثار بهم من المؤمنين لا يعرفونهم وهم يعرفونهم اذ يجىء
القرد الى قريبه ويمسح به ويدمع عيناه فيقول له ألم انهكم عن المخالفة فيشير اليه
برأسه ان نعم أو فى قلوبهم فقط على ما ذكره مجاهد والنظم مشير الى هذه القصة ففيه تلميح
وبين ابتداء وانتهاء طباق واذا اردتم أيها السائلون المبالغة فى ادحاض حجتهم (فسلوهم)
قائلين لهم (أ كان فى مسخهم) التفت عن خطابهم مبالغة فى تحقيرهم أى جعلهم قردة
فى الصورة كما هو المشهور او فى قلوبهم وجعلها كقلوب القردة لا تقبل هداية مع بقاء
ذواتهم على ما زعمه مجاهد (نسخ لآيات الله) وهى الصورة الاولى مع احكامها
أو للادراك الاول بناء على قول مجاهد (أم انشاء) لايجاد صور مستقلة وحكم مستقل
يتعلق بها او لادراك كذلك فان قالوا بالاول فقد ناقضوا أنفسهم ولزمهم الحجة
او بالثانى فهو مكابرة للحس والحق ان المسخ متردد بين انشاء الخلق وبين النسخ لانه
بالنسبة للصورة الاولى نسخ وبالنسبة الى الصورة الثانية المتجددة القبيحة انشاء لا يقال
قد لا يعترفون بطرو التغير على قلوبهم بناء على قول مجاهد لانهم اعترفوا به فى قولهم قلوبنا
غلف أى مغطاة بأغشية متلاصقة لا يصل اليها ما جئت به (وبداء) بالمد وسبق معناه وهو مبتدأ
خبره (فى قولهم) الثابت عنهم وتقولهم (ندم الله على خلق آدم أم خطاء) المشهور

(قوله أو تقييده الخ) فيه انه انما أريد استمراره لا ذاته كما انه فى الاول انما أريد تعلقه لا ذاته فلا بد من تقدير مضاف اما تعلق أو استمرار فكان الظاهر ان يقول فعلم ان المراد تعلقه أو استمراره لا ذاته التى الخ (قوله اقتضاء) أى طلبا للفعل وجوبا أو ندبا أو للكف حرمة أو كراهة أو خلاف الاولى وقوله أو تخييرا بين الفعل والترك أى اباحة (قوله وخلقه الحكم الثانى) أى ان كان الى بدل (قوله وقول الشارح الخ) عبارته وهذا فيه اشارة الى تفسير آخر للنسخ فانه انما اختلف فيه هل هو رفع أو انتهاء فاشار الى التفسيرين (قوله فتأمله) تأملناه فوجدنا ما ذكره من عدم صحة كلام الشارح غير ظاهر لان ما أول به الرفع يؤول به الانتهاء والابتداء أى انتهاء تعلقه وابتداؤه فيرجع التفسيران الى معنى واحد فتدبر (قوله والحق ان المسخ الخ) لا داعى الى ذلك اذ لك ان تقول ذلك فى معنى أحد قسمى النسخ وهو النسخ الى بدل فتأمل (قوله على خلق آدم) بصرفه للضرورة

فيه القصر ويجوز مده كما يجرى عليه الناظم وهو عطف على بداء أى سلوهم عن قولهم هذا اهو عن قصد منهم أم عن غلط منهم فان قالوا عن قصد كان عين البداء الذى انكروه لانه يستلزم جهل الله تعالى بعواقب الامور وحينئذ فكيف ينفون النسخ فرارا من لازمه عندهم وهو البداء هذا تناقض قبيح وان قالوا انه غلط منهم فيكفيهم الاعتراف به على نفوسهم وانهم فى غاية السفاهة والغباوة وسيلهم الاعتراف بالبداء لا بالغلط فاتضح بطلان زعمهم استحالة النسخ حذرا من البداء وسلوهم ايضا عن الابكلهم انكاره لانه امر محسوس ورد القرآن على طبقه فقولوا لهم اعلامة الليل والنهار كل منهما باقية فلا تزول احداهما بالاخرى (ام محا) اى اذهب (الله آية) اى علامة (الليل) أسم جنس جمعى واحده ليلة كثمر وثمرة وأتى بالنهار بدله وهكذا الى يوم القيامة (ذكرا) بضم الذال تمييز اى من جهة الذكر اى العلم والتعمد (بعد سهو ليو بعد الامساء) اى الدخول فى المساء وهو ما بعد الزوال والمناسب ان يراد به هنا ما بعد الغروب اى سلوهم اهل هذا المحو واقع ام لا وبفرض وقوعه فهل هو عن عمد بعد سهو او عن سهو ابتداء فان قالوا بالاول لزمهم القول بالنسخ لانه بمنزلته أو بالثانى من الترديد الاول فقد كابروا الحس أو من الترديد الثانى لزمهم القول بالبداء لان من يجوز السهو يجوز البداء لانه بمنزلته فلم منعوا النسخ حذرا منه وقد بين الله تعالى حكمة اختلاف الليل والنهار فى غير ما آية فقال تعالى قل ارأيتم ان جعل الله عليكم الليل سرمدا الآيات وقال تعالى وهو الذى جعل الليل والنهار خلفة أى يخلف احدهما الآخر لمن اراد ان يذكر او اراد شكورا وقال تعالى وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة لتبتغوا فضلا من ربكم ولتعلموا عدد السنين والحساب والحاصل ان الحكمة كما تقتضى دوام اشياء بلا تبديل ولا تغيير تقتضى تبديلها وتغييرها وفى ذكر ابعد سهو جناس التطابق كرهوا التحليل وجحدوا أمن الآيات (أبدا الاله فى ذبح اسحق) حيث امر به ثم نسخه (و) الحال انه (قد كان الامر فيه) اى بذبحه من الله تعالى لخليله ابراهيم صلى الله عليه وسلم فى النوم (مضاء) اى ماض نافذ وفى نسخ قضاء بالقاف اى حتم وذلك لان رؤيا الانبياء عليهم الصلاة والسلام وحى اى سلوهم عما وقع للخليل عليه الصلاة والسلام انه امر بذبح ولده امرا جازما ثم عند ارادته له لما اضجعه على جنبه نسخه الله تعالى بامره بتركه وقد افتدى بذبح عظيم وما يقال من ان الرقبة كسيت نحاسا وانه مر بالسكين عليها فلم تؤثر ونحو ذلك مما يذكره الخطباء والقصاص فكله لم يثبت فيه شئ فان قالوا ان الامر بالفداء ونزل الذبح نسخ للامر بالذبح لزمهم القول بالنسخ مطلقا او غير نسخ لزمهم الجهل المفرط والغباوة الشنيعة • (تنبيه) • ما يجرى عليه الناظم ان الذبيح اسحق هو ما عليه الاكثرون قيل واجمع عليه اهل الكتابين لكن سياق الآية والمشاهد تان

(قوله والمناسب الخ) هو كذلك وفيه بعد اذ الامساء المذكور انما يترتب وجوده على محو آية هي النهار لا على محو آية هي الليل وقد يقال وجود ما ذكر مرتب على محذوف أشار اليه الشارح بقوله وهكذا أى ومحا آية النهار وأتى بالليل بدله ويمكن بقطع النظر عن كلام الشارح تصحيح كلام الناظم من غير تقدير محذوف بان يراد بآية الليل القمر ويراد بمحوها ذهاب نورها ويراد بالامساء الاظلام وترتب الامساء بهذا المعنى على ذلك المحو ظاهر تامل (قوله وبفرض وقوعه) كان الاولى وعلى وقوعه لانه محقق لا مفروض مقدر تدبر (قوله او من الترديد الثانى) وكذا بالاول من الترديد الثانى لان فيه السهو أيضا حيث قال فهل هو عمد بعد سهو (قوله هو الذى جعل لكم الليل) التلاوة وهو بالواو ثم رأيت فى نسخة بالواو الموافقة للتلاوة (قوله آيتين الخ) قال البيضاوى تدلان على القادر الحكيم بتعاقبهما على نسق واحد فمحونا آية الليل أى الآية التى هى الليل بالاشراق وجعلنا آية النهار مبصرة اي مضيئة او مبصرة للناس من ابصر فبصر أو مبصرة اهله وقيل الآيتان الشمس والقمر وتقدير الكلام وجعلنا نيرى الليل والنهار آيتين او وجعلنا الليل والنهار ذوى آيتين ومحونا آية الليل التى هى القمر جعلها مظلمة فى نفسها مطموسة النور او نقص نورها شيئا فشيئا الى المحاق وجعل آية النهار التى هى الشمس مبصرة جعلها ذات شعاع تبصر الاشياء بضوئها اهـ مع بعض حذف (قوله اهل الكتابين) ومن ثم جرى الناظم عليه لان كلا منهم

اسمعيل

اسمعيل هو الذى كان بمكة ومنى ولم ينقل قط ان اسحق حج ولا انى تلك الاماكن كما تشعان
بانه اسمعيل وهو التحقيق كيف وقد صح ما يصرح به فقد روى الحاكم فى المستدرك ان
الصنابحى قال حضرنا مجلس معاوية رضى الله تعالى عنه فتذاكر القوم اسمعيل واسحق
ابنى ابراهيم على نبينا وعليهم أفضل الصلاة والسلام فقال بعضهم الذبيح اسماعيل وقال
بعضهم الذبيح اسحق فقال معاوية سقطتم على الخبير كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم
فأتاه اعرابى فقال يا رسول الله خلفت البلاد يابسة والماء يابسا وضاع العيال فعد على
مما افاء الله عليك يا ابن الذبيحين فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم ينكر عليه فقلنا
يا أمير المؤمنين وما الذبيحان قال ان عبد المطلب لما امر اى فى المنام بحفر زمزم نذر لله ان
سهل الله له امرها ان ينحر بعض ولده فلما خرجوا اسهم اى اقرع بينهم فخرج السهم لعبد
الله فاراد ذبحه فمنعه اخواله من بنى مخزوم وقالوا ارض ربك وافد ابنك ففداه بمائة ناقة
فهو الذبيح الاول واسمعيل الذبيح الثانى وكذا رواه ابن مردويه والثعلبى فى
تفسيريهما وسلوهم ايضا فقولوا لهم (أ) تنكرون النسخ (و) تقولون (ما حرم الا نكاح
الاخت بعد التحليل) فى زمن آدم صلى الله عليه وسلم او تقولون حرم بعد ان كان حلالا وعليه
(فهو) اى نكاحها (الزناء) موجب للرجم ومعا الزناة المقتان فان قالوا حرم بعد ان
احلوا فهذا صريح فى النسخ الذى انكروه وان قالوا لم يحرم فهذا تمويه وعناد محض وقائله
لا يخاطب ولا يكالم واذا بان لك قبيح جهلهم وتناقضهم وعنادهم فاسكت عن حجاجهم
و(لا تسكن ان اليهود) الحال انهم (قد زاغوا) اى مالوا (عن الحق) من وجوه عديدة
سفها وحسدا (معشر) اى قوم (لؤماء) جمع لئيم وهو الدنى الاصل الشحيح النفس
(جحدوا) بدل من زاغوا (المصطفى) اى المختار من الصفوة او المصفى من كل نقص اى
انكروا نبوته ورسالته صلى الله عليه وسلم بعد علمهم بها علما يقينا قال تعالى وجحدوا بها
واستيقنتها انفسهم (و) الحال انه قد (آمن بالطاغوت) اى الشيطان وكل ما عبد من دون
الله او صد عن عبادته فعلوت من الطغيان (قوم هم عندهم شرفاء) حقا كالذى بعده بيان
لعظيم لؤمهم وزيغهم عن الحق اذ جحدوا الحق الاظهر من الشمس والقروا من آمن
بالباطل ومدحوهم على ذلك بل عدوهم مع ذلك من شرفائهم ثم ظاهر النظم ان المؤمن
بالطاغوت فرقة من اليهود لا كلهم وليس كذلك بل كلهم آمنوا به كما صرح به قوله تعالى
عز قائلا الم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب قال المفسرون وهم اليهود يؤمنون
بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا من اشرافهم أو كفار العرب هؤلاء اهدى من
الذين آمنوا سبيلا وعجيب من الشارح كيف أخذ النظم على ظاهره واستدل له بالآية
مع انها انما تدل على الكل لا البعض ويصح ان المراد وآمن بالطاغوت قوم من قريش هم
عندهم شرفاء ومعنى الآية حينئذ ويقولون أى اليهود للذين كفروا أى من كفار
العرب الذين آمنوا بالجبت هؤلاء اهدى من الذين آمنوا سبيلا ويدل على هذا ان

(قوله يا ابن الذبيحين) ولم يرد من آبائه صلى الله عليه وسلم أنه ابن الذبيحين يعنى بهما عبد الله واسمعيل وبه استدل من يقول الذبيح اسمعيل ورجان هذا الحديث لم يثبت انتهى من التتمة الكبرى (قوله نذر لله ان سهل الله امرها الخ) تقدم الشارح قبيل قوله وتداعى ايوان كسرى ان نذره ذبح ولد معلق على رزقه عشرة اولاد لا على تسهيل امر زمزم كما هنا وعبارته هناك فنذر ان رزق عشرة بنين ليذبحن احدهم فيه انتهت (قوله وجحدوا بها) الضمير فى الآية للآيات التسع التى ترعون وقومه اى فكما انكر اليهود الآيات التسع مع تيقنها انكروا نبوة المصطفى مع تيقنهم لها فالضمير فيها على كونه للآيات ولا لظهوره جعله لنبوة الرسول تعبر القرآن عن معناه فتأمل (قوله بالجبت) الجبت كلمة تقع على الصنم والكاهن والساحر ونحو ذلك انتهى صحاح (قوله للذين كفروا) اى لاجلهم

(قوله حيي بن اخطب) بالتصغير واخطب بفتح الهمزة وسكون الخاء المعجمة وفتح الطاء (قوله قتلوا الانبياء) ذكر ابن عطية في تفسيره انه لم يقتل من الانبياء الا من لم يؤمر بالقتال وكل من أمر بالقتال نصر (قوله واتخذوا العجل) حاصل قصتهم انه لما وعد الله موسى لميقاته وهو اربعون ليلة كان قوم موسى قد أمنوا من عدوهم ودخلوا في مصر ولم يكن لهم كتاب ولا شريعة ينتهون اليها فوعد الله موسى ان ينزل عليهم التوراة فقال موسى لقومه اني ذاهب الى ربي آتيكم بكتاب فيه ما تأتون وما تذرون ووعدهم اربعين ليلة ثلاثين من ذي القعدة وعشرا من ذي الحجة استخلف عليهم اخاه هرون فلما جاء الموعد اتى جبريل على فرس يقال لها فرس الحياة لا تمر على شيء الا حيي فلما رآه السامري وكان رجلا منافقا اسمه ميخا من اهل كرمان او غيرها وقيل من بني اسرائيل من قبيلة يقال لها سامرة فرأى موضع الفرس يخضر وكان منافقا من قوم يعبدون البقر فقال ان لهذا شأنا فأخذ قبضة من تربة حافر فرس جبريل ثم ألقى في روع السامري انه اذا ألقى في شيء غيره وكان بنو اسرائيل قد استعاروا حليا كثيرا من قوم فرعون حين أرادوا الخروج من مصر بعلة عرس لهم ولما أهلك الله فرعون وقومه بقي ذلك الحلي في ايديهم فقال السامري لبني اسرائيل ان الحلي الذي استعرتموه غنيمة لا تحل لكم فاحفروا حفرة وادفنوه فيها حتى يرجع موسى من ميقات ربه فيرى رأيه فيه فلما اجتمع الحلي صاغه السامري عجلا في ثلاثة أيام ثم ألقى القبضة التي أخذها من أثر حافر فرس الرسول فيه فخرج عجلا من ذهب مرصعا بالجواهر من أحسن ما يكون وخار خورة. وكان يمشي ويخور فقال السامري هذا الهكم واله موسى فنسيه ههنا وخرج يطلبه وكان بنو اسرائيل قد أخلفوا الموعد لقوله وعدوا اليوم مع الليلة حتى مضت عشرون يوما ولم يرجع موسى فوقعوا في الفتنة وكان موسى وعدهم ثلاثين ليلة وزيدت العشرة وكانت الفتنة في العشرة فعكفوا على عبادة العجل وكان الذين عكفوا على عبادته منهم ثمانية آلاف أو كلهم عبده الا هرون مع اثني عشر الف رجل وهو الصحيح والسامري اسمه موسى بن الظفر أو ميخا كما سبق وقيل غير ذلك (قوله استعاره) الذي في القصة استعاروه أي بنو اسرائيل (قوله خور) قال في المختار في باب الثور يخور خوارا صاح ومنه قوله تعالى فأخرج لهم عجلا جسدا له خوار وقوله جسدا أي بدنا ذا لحم ودم أو جسدا من الذهب خاليا من الروح ونصبه على البدل والخوار اسم لصوت البقر كذا في البيضاوي وقوله خاليا من الروح اي صاغه بنوع من الحيل فتدخل الريح جوفه وتصوت وقيل ألقى في فمه من تراب أثر فرس جبريل فصار حيا

حيي بن اخطب لما ذهب لقريش وغيرهم ليحرضهم على قتاله صلى الله عليه وسلم ومعه اشراف من اليهود سألوهم أنحن خير دينا من محمد قالوا انتم فقرحوا وخرجوا لقتاله صلى الله عليه وسلم • (تنبيه) • جعل الواو للحال لا للعطف الدال عليه حذفها من قتلوا الآتي أولى من قول الشارح انها عاطفة وان المسوغ للعطف وصف قوم بالجملة بعده أي لما قرينة فيه ان مدحهم بالمؤمنين بالطاغوت مع جحدهم نبوة نبينا صلى الله عليه وسلم فيه غاية الغباوة واللؤم واحوجه الى ذكر المسوغ قولهم شرط قبول عطف الجملة على الاخرى ان يكون بينهما مناسبة لجهة جامعة نحو زيد يكتب ويشعر وقد يقال في النظم دلالة لما فعله الشارح لانه أتى باربع جمل ثنتين بلا واو وثنتين بواو ونظرا للمناسبة المعتبرة في ذلك وبيانه ان ايمانهم بالطاغوت مع جحدهم بنبوة نبينا صلى الله عليه وسلم فيه ما مر وكذلك اتخاذهم العجل مع قتلهم الانبياء عليهم الصلاة والسلام واما قتلوا مع ما قبله فلا مناسبة ظاهرة بينهما فلم يعطف عليه قوله (قتلوا) بل جعله بدلا أو عطفه بحذف حرفه بناء على انه يمكن مناسبته لما قبله (الانبياء) كزكريا ويحيى وغيرهما لما جاء انهم قتلوا في يوم واحد سبعين نبيا ثم أقاموا سوق بقلهم ومعاشهم (واتخذوا العجل) الها ومعبودا مع ان السامري هو الذي صاغه لهم بحضرتهم من الحلي الذي استعاره من القبط قبل غرقهم والقى فيه قبضة من تراب أخذه من تحت حافر فرس جبريل الذي جاء به لفرعون حين دخل وراءهم البحر لما انفرق لهم لانه كان أحجم عن دخوله فبمجرد ان القى فيه القبضة خور فقال هذا الهكم واله موسى فراج على عقولهم السخيفة كلامه فاعتقدوه الها ومعبودا كما قصه الله تعالى علينا مبسوطا في القرآن ومن ثم كان في كلامه اقتباس

لقوله (الا) حرف تنبيه لاستفراغ وسع السامع فى التامل لما بعدها (انهم هم السفهاء) ولكن لا يشعرون لجهلهم مركب فلا اسفه ولا اغبى منهم جمع سفيه وهو من زاد نقص عقله حتى حصلت له خفة وطيش وسخافة رأى وانطماس بصيرة ومن ثم لم ينظروا الى كونه محمدا نابعضرتهم من جماد والا فلا يكون كذلك من عنده ادنى عقل وتمييز ثم بين ادنى انواع سفههم بقوله ملحبا لما وقع لهم (وسفيه) خبر مقدم او مبتدا او سوغ الابتداء به وقوعه بيانا لما قبله كما تقرر (من ساءه) اى اثرته (المن) وهو نوع من الحلوى يسمى الترنجبين كان ينزل عليهم وهم فى التيه فى غاية الاضطرار (والسلوى) وهو السمانى طير من اشهى الطيور لحما وانفعها واطيبها غذاء كانت يأتيهم الى محالهم فرقا فرقا فيعدون ايديهم اليه ويأخذون منهما شاؤا (وارضاء القوم) اى الثوم كما قرئ به وقيل الحنطة وهو بعيد من السياق لان الحنطة ليست من الادنى (والقثاء) بل سأل السعة فيهما وفى نظائرهما قال تعالى تبكيتا لهم بعد ما ذكر انه انزل عليهم المن والسلوى واذ قلتم يا موسى لن نصبر على طعام واحد فادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الارض من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها قال اتستبدلون الذى هو ادنى بالذى هو خير وفى كلامه اقتباس وطباق بين ساءه وارضاه ومراعاة النظير فى المن والسلوى والقوم والقثاء (ملئت بالخبيث) وهو ما سألوه من القوم وما بعده (منهم) صفة تقدمت فصارت حالا (بطون) ايناسب ما انطوت عليه من الغل والحسد والغباوة والسفاهة او المراد ملئت بطونهم بالداء الخبيث اى العضال الذى لا دواء له وهو الغل وما بعده والى هذه يرشد ما رتبه عليه بقوله (فهى نار) اى مشتملة على ما يؤدى الى النار او سماها نارا باعتبار المآل كما فى ارانى اعصر خمرا (طباقها) اى النار (الامعاء) اى المصارين اى معى فوقه نار فمعى ثم نار وهكذا والى الاول يرشد قوله ملئت بالخبيث المشعر بان بطونهم صارت به كالذات طباق وطباقها هى اعتقاداتهم الخبيثة ويصح أن المراد بطونهم صارت كالذات طباق بعضها فوق بعض فطباقها امعاؤهم اذا الخبيث الذى ملئت به بطونهم هو نحو الربا والسحت فاذا دخلها جذبته المصارين اليها وبعضها فوق بعض وايضا الخبيث بعضه اشد عذابا من بعض فبعضه فوق بعض لتفاوت عذابهم بالنسبة الى أ كلهم واكتسابهم هذا على الاصح عندنا فى الاصول أنهم مخاطبون بفروع الشريعة فيعاقبون عليها

(قوله ولكن لا يشعرون) صوابه لا يعلمون لانه التلاوة وقد يقال ليس مراد الشارح ذكر نظم التلاوة (قوله محمدا نابعضرتهم) ظاهره ما فى القصة انه لم يصفه بحضرتهم (قوله يسمى الترنجبين) ونقل عن تذكرة داود انه غيره حيث قال هو نوع من الحلوى كالترنجبين وهو طل ينعقد فى الهواء ويسقط ثم بعد ذكر خواصه قال والترنجبين أقوى عملا واكثر فائدة انتهى قال القاضى قيل كان ينزل عليهم المن مثل الثلج من الفجر الى الطلوع ويبعث الله الجنوب فيحشر عليهم السمانى وينزل بالليل عمود نار يسيرون فى ضوئه وكانت ثيابهم لا تتسخ ولا تبلى (قوله هو السمانى) ولا دال سمانى بالتشديد الواحدة سماناة والجمع سمانيات انتهى صحاح (قوله كما قرئ به) اى شذوذا انتهى سنباطى (قوله ان نصبر على طعام واحد) اى ما رزقوا فى التيه من المن والسلوى والمراد بوحدته والله اعلم انه نوع واحد لا تختلف الوانه ولذلك اجموا اى سئموا وكرهوه قال فى الصحاح اجمت الطعام بالكسر اى كرهته من المداومة عليه (قوله هو أدنى) وأصل الدنو القرب فى المكان فاستعير للخسة كما استعير البعد فى الشرف والرفعة فقيل بعيد الهمة بعيد المحل (قوله ملئت بالخبيث) عبارة السنباطى ملئت بالمأكول الخبيث اى الحرام كالربا والسحت منهم بطون فكيف لا يطلبون أن يلاها هذا المأكول الخبيث بالنسبة للمن والسلوى لما بينهما من المناسبة فى مطلق الخبث وان اختلفت جهة الخبث فيهما (قوله اى معى) قال فى القاموس المعى بالفتح وكالى من اعفاج البطن وقد يؤنث الجمع امعاء اه قال فيه فى فصل العين من باب الجيم العفج وبالكسر وبالتحريك وككتف ما ينتقل الطعام اليه بعد المعدة والجمع اعفاج وفى الحديث المؤمن يأكل فى معى واحد والكافر يأكل فى سبعة امعاء قال فى المختار لان المؤمن لا يأكل الا من الحلال ويتوقى الحرام والشبهة والكافر لا يبالى ما أكل وأين أكل وكيف أكل اه وحيث ثبت أن لهؤلاء الكفار ومن شابههم من الفجار سبعة امعاء وقدرنا أن بعضها فوق بعض صح تشبيهها بالطباق النارية والبطن الجامع لها بجهنم

بخ‍ـ وصها فى الآخرة وعلى مقابلهم كفروا من وجوه عديدة بعضها أشد من بعض (لو) شرطية (اريدوا فى حال سبت) مصدر سبت اليهود اى عظموا سبتهم بالسكون فيه عما عدا العبادة وأصل السبت القطع (بخير) الباء زائدة للتأكيد كما هو رأى جماعة وكل من الظرفين متعلق باريدوا على ان الثانى مفعول ويصح كون الاول حالا من خير أى لو أراد الله باليهود فى حال سبتهم الذى فرض الله عليهم تعظيمه خيرا (كان سبتا لديهم) اى عندهم (الاربعاء) بتثليث الباء هذا من حيث ترتبه على ماقبله بطريق الملازمة المستفادة من لو فى غاية الاشكال ولم ينبه الشارح على ذلك فلم يتنبه له ولنتكلم على بعض مفرداته فقط ومنها قوله والسبت آخر الاسبوع والاربعاء رابعه وقيل السبت اوله والاربعاء خامسه وقد يقال كان الناظم نظر الى أن السبت القطع كما مر والى أن الاربعاء محل النور الحسى لما يأتى أن الله تعالى خلق النور فيه فيكون محلا للنور المعنوى الذى هو الوصل فكأنه يقول لو اريد بهم الخير لجعل قطعهم وصلا ولا ينافى ذلك قوله هو يوم مبارك الخ لانه باعتبار مافرض عليهم من تعظيمه وتخصيصه بالعبادة وماهنا فيه باعتبار أنه لو اريد بهم تمام الخير لحمل محل عبادتهم مؤذنا بوصلهم الذى من شأنه أن ينشأ عن العبادة وأما اذ جعل محل عبادتهم مؤذنا بقطعهم باعتبار أصل مدلوله فهذا مما يؤذن بنقصهم وانه لم يرد بهم كمال الخير ومما يوضح هذا أن الله تعالى اذخر لهذه الامة يوم الجمعة المؤذن بغاية الوصل اذ مقام الجمعية هو مقام الوصل الذى هو أكمل المقامات وافضلها وجعل لليهود السبت المؤذن بقطعهم وحرمانهم وللنصارى الاحد المؤذن بوحدتهم وتفردهم عن مواطن الخيرات والسعادات فكان فيما اختصت به كل أمة من الايام دليلا على احوالها ومايؤل اليه امرها فنبه الناظم رحمه الله على هذه الحقيقة العرفانية والحكمة الربانية زيادة فى مدح هذه الامة وذم غيرهم او يقال ان الناظم أراد بذلك أنهم لو اريد بهم الخير لكانت الايام كلها سبتا عندهم ليصيروا جميعها بالعبادة وأما تخصيص يوم منها بالعبادة دون بقية الاسبوع فهو من جملة ما اريد بهم من خلاف الخير وعلى هذا مع مافيه من البعد والتكلف يكون معنى حال سبتهم ذكر أنه ويكون ذكر الاربعاء للمثال لا للتقييد ويكون قوله هو يوم الخ رجوعا الى مدح ماشرع لهم ولا ينافى ماقبله لان بركته لا تنافى أن تعطلهم عن العبادة ببقية الاسبوع غير خير واعلم أن قول الشارح والسبت الخ عجيب منه اذ ماحكاه بقيل هو الذى صح به الخبر وعليه الاكثرون وهو مذهبنا كما فى الروضة واصلها ونقله فى شرح المهذب عن الاصحاب بل قال السهيلى فى روضه لم يقل بأن اوله الاحد الا ابن جرير واستدل له فى شرح المهذب بخبر مسلم عن ابى هريرة قال اخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدى فقال خلق الله التربة يوم السبت وخلق فيها الجبال يوم الاحد وخلق الشجر يوم الاثنين وخلق المكروه يوم الثلاثاء وخلق النور يوم الاربعاء وبث فيها الدواب يوم الخميس وخلق آدم بعد العصر من يوم الجمعة فى آخر الخلق فى آخر

ساعة

(قوله فى حال سبت) عبارته السابقة تدل على أن المراد بحال السبت السكون عما عدا العبادة وكأنه قال لو أراد الله بهم خيرا كاملا فى سكونهم فى ذلك اليوم لكان يوم الاربعاء يوم سبتهم لانه يوم النور فاختيار يوم السبت المشير لقطعهم النظر لمعناه الاصلى دون الاربعاء المشير للنور والوصل دليل على أنه لم يرد بهم ذلك تأمل (قوله متعلق باريدوا) فيه أنه يجعل حرف الجر فى الثانى زائدا وهو لا يتعلق كما هو معلوم فى فن العربية تدبر ويمكن أن يقال المراد بالتعلق الارتباط لا التعلق الجار الاصطلاحى اى كل منهما مرتبط باريدوا ارتباط المعمول بعامله تأمل (قوله خلق الله التربة الخ) واذا أردت ضبط ترتيب المخلوقات الواقعة فى الحديث فائت بكلام تكون حروفه مرتبة على ترتيب أوائلها بسهل استحضاره فقل تجشم نداء اى تكلف رفع صوت (قوله وخلق النور) رواه مسلم بالنون مكان الراء اى الحوت وجاء فى رواية الحوت بدل النون ولا منافاة لجواز خلقهما اى النور والنون فى ذلك اليوم

ساعة من النهار فيما بين العصر الى الليل ولهذا الخبر صوب الاسنوى كالسهيلى وابن
عساكر أن أوله السبت وجرى النووى فى موضع على ما يقتضى أن أوله الاحد فقال فى
يوم الاثنين سمى به لانه ثانى الايام الا أن يجاب بانه جرى فى توجيه التسمية المكتفى فيه
بادنى مناسبة على القول الضعيف ثم انتصر لكون أوله الاحد الذى جزم به القفال من
أصحابنا بان الخبر السابق تفرد به مسلم وقد تكلم فيه الحفاظ على بن المدينى والبخارى
وغيرهما وجعلوه من كلام كعب وان أبا هريرة انما سمعه منه ولكن اشتبه على بعض
الرواة فجعله مرفوعا ويجاب بان من حفظ الرفع حجة على من لم يحفظه والثقة لا يرد
حديثه بمجرد الظن ولاجل ذلك أعرض مسلم عما قاله أولئك واعتمد الرفع واخرج طريقه
فى صحيحه فوجب قبولها ومن ثم انتصر ابن عساكر لكون أوله السبت بما حاصله أن تأييد
ابن جرير لكون أوله الاحد بان هذا العالم خلق فى ستة ايام وآدم خلق يوم الجمعة انما يصح
بتقدير أن يوم الجمعة داخل فى الست التى فيها خلق العالم ولم يصح ذلك لانه صلى الله عليه
وسلم فسر خلق الاشياء وجعل خلق آدم فى اليوم السابع وهو الجمعة ولم يثبت أنه خلق آخر
الايام وانما أخبر تعالى أنه خلق العالم فى ستة أيام فآخرها يوم الخميس وخلق آدم بعد
الفراغ من خلقها اشارة لكونها خلقت لمصالحه كيف وسياق خبر مسلم المذكور ظاهر
فى ذلك ويؤيده ايضا الخبر الصحيح أن الله تعالى هدانا اليوم الجمعة وأضل عنه اليهود
والنصارى اى لان اليهود لما اعتقدوا أن اول الاسبوع الاحد كان الجمعة سادسا
فأخذوا السابع وهو السبت والنصارى لما اعتقدوا أن أوله الاثنين اخذوا الاحد وأما
هذه الامة فاعتقدوا أن أوله السبت فأخذوا السابع وهو الجمعة قال ولا حجة فى اشتقاق
نحو الاحد من الواحد وهكذا الا ان هذه التسمية لم تثبت بامر من الله ولا من رسوله فلعل
اليهود وضعوها على قاعدة مذهبهم فأخذتها العرب عنهم ولم يرد فى القرآن الا الجمعة
والسبت وليسا من اسماء العدد اه على ان هذه التسمية لو ثبتت لم يكن فيها دليل لان
العرب تسمى خامس الورد ربعا وهكذا وهذا هو الذى أخذ منه ابن عباس رضى الله
تعالى عنهما قوله الذى كاد أن يتفرد به ان يوم عاشوراء هو تاسع المحرم وتاسوعاء ثامنه
وهكذا (هو) اى يوم السبت (يوم مبارك) لان الله تعالى ابتدأ فيه خلق هذا العالم كما مر
خلافا لما زعمته اليهود أنه ابتدأه يوم الاحد وفرغ منه يوم الجمعة واستراح يوم السبت قالوا
فنحن نستريح فيه كما استراح الرب فيه وهذا من جملة غباوتهم ومفاسدهم ومن ثم رد الله
تعالى عليهم بقوله عز قائلا وما مسنا من لغوب اى تعب تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا
اذ لا يتصور التعب الا من حادث مفتقر لغيره فى الاسباب والله تعالى بخلاف ذلك انما
امرنا لشئ اذا أردناه أن نقول له كن فيكون اى ان نوجده فورا فلا يتخلف عن الارادة
فقوله كن كناية عن ذلك (قيل) بناء للمجهول لضيق التكلم فلا يتوهم أنه قول ضعيف
(التصريف) اى التصرف (فيه) ببيع او نحوه (من اليهود اعتداء) اى ظلم وعدوان كان

(قوله المكتفى فيه) اى التوجيه
(قوله كن كناية الخ) اى فليس
المراد بالآية الكريمة أن الله
يقول لشئ من الاشياء كن لا فى
الازل ولا فيما لا يزال بل المراد بها
التمثيل لتأثير قدرة الله تعالى فى
مراده من غير توقف على عمل
واستعمال آلة قطعا لمادة الشبهة
وهى قياس قدرة الله تعالى على
قدرة الخلق

سيما المسخ كثيرين منهم قردة وخنازير وذلك أنهم لما امروا أن يجردوها للعبادة اعتدى فيه ناس منهم في زمن داود صلى الله عليه وسلم اثنا عشر الفا فاصطادوا فيه وكانوا بايلة قرية على جانب البحر فابتلاهم الله تعالى بان ألهم السمك يوم السبت أنه ما يبقى حوت في البحر الا ورفع خرطومه او خرج فاذا مضى السبت تفرق السمك وتفرقا جمع رأى جماعة منهم على حيلة يمسكون بها السمك وتمنعهم عن الاصطياد يوم السبت فحفروا يوم الجمعة حفرا بجانب البحر وجعلوا فيها جداول من البحر فصارت تملئ منه يوم السبت ويأخذونه يوم الاحد فشووا وأكلوا فشم جيرانهم فسألوهم فأخبروهم بالحيلة فقالوا ان الله معذبكم ثم لما لم يعاجلوا بالعقوبة تبعهم جماعة ثم جماعة حتى صاروا قدر الثلث وسكت قدر الثلث واعتزلهم الثلث الباقي فبنوا بينهم حائطا فأصبحوا وقد مسخ الثلث الاول قردة وخنازير وكذا الثاني على خلاف فيه اى لان الآية فيهم محتملة ومن ثم قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما لا ادرى ما فعل بالثالثة فاها ام مسخها كذلك قال مالك يؤخذ من هذا تحريم الحيلة ووجوب سد الذرائع اه ويرد بان المقرر في الاصول ان شرع من قبلنا ليس بشرع لنا فان ورد في شرعنا ما يوافقه فالدليل هو شرعنا الاخيره (فبظلم) متعلق بحرمنا (منهم) وهو وضع الشئ في غير محله كخيانتهم في السبت واخذهم الربا واكلهم اموال الناس بالباطل (وكفر) من عطف الاخص لزيادة الاهتمام به (عدتهم) اى فاتتهم (طيبات) من الرزق حرمها الله عليهم وهذا مقتبس من قوله تعالى فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم الآية ومن شأن الطيبات أن يوجد (في تركهن) الذى قصد الامر به (ابتلاء) اى اختبار ومحنة العبد تكون سببا لفلاحه او هلاكه (خدعوا) اى يهود المدينة وما قرب منها وهو بدل من زاغوا لكن ذاك عام وهذا خاص لتقييده بالظرف بعده (بالمنافقين) من الاوس والخزرج الذين قهرهم الاسلام فاظهروه واتخذوه جنة من القتل مع بقائهم على كفرهم باطنا وكان هوى هؤلاء مع اليهود لانهم مثلهم باطنا فكانوا يلبسون اليهم المكر والخديعة وكانت احبار اليهود هم الذين يتعنتون على النبى صلى الله عليه وسلم فينزل القرآن مكذبا لهم تارة ومجيبا عن شبههم أخرى ومنبها على أحوال المنافقين الذين هم معهم باطنا أخرى ومعنى كونهم خدعوا بهم أنهم أريد بهم المكروه من حيث لا يعلمون بسبب المنافقين الذين كانوا يلبسونهم عن النبى صلى الله عليه وسلم فيتخذعون لهم لغباوتهم وسفاهتهم كما قال (وهل يتقى الاعلى السفيه الشقاء) اى وما يتقى الشقاء الا على السفهاء وهم اليهود لا غير شبه الشقاء الحاصل لهم بدراهم لصرف وتخرج في الشر فهي استعارة بالكناية وأثبت لها ما هو من لوازم المشبه به وهو الانفاق

(قوله قردة وخنازير) مسخ الشباب قردة والشيوخ خنازير لهما أذناب يتعاوون فمكثوا ثلاثة أيام ثم هلكوا اذ لم يبق ممسوخ فوق ثلاثة أيام ولم يحصل منه توالد وقال مجاهد انما مسخت قلوبهم دون صورهم وهو خلاف الاجماع (قوله وكانوا بايلة) اى وكانت اليهود الذين بها نحو سبعين ألفا (قوله الا ورفع خرطومه) اى حتى لا يرى الماء من كثرته (قوله حفرا) اى وعمقوها فيقبل الموج بالحيتان اليها فلا تقدر على الخروج لبعد عمقها (قوله واعتزلهم الثلث) في شرح قصيدة ابن زيدون أن الناهين الناجين اثنا عشر ألفا وعليه فيكونون أقل من الثلث لما علمت من أن جميع اهل القرية كانوا نحو سبعين ألفا تأمل (قوله وكذا الثاني على خلاف فيه) في شرح ابن عبد الحق ما يقتضى ترجيح عدم مسخه كالثالث حيث قال مسخ الله الاول دون الثاني وكذا الثالث على ما قاله عكرمة ورجع اليه ابن عباس بعد قوله لا أدرى ما فعل بالفرقة الثالثة لما بين له وجه اخذه من الآية وكساه حلة (قوله حرمها الله) اى بسبب ذلك وقد كانت حلالا لهم وهي التي في قوله تعالى وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذى ظفر الآية (قوله خدعوا بالمنافقين) اى خدعهم الله بسبب المنافقين اى بسبب صدهم لهم عن رسول الله وأما قول السنباطي اى خدعهم المنافقون ففيه أن المنافقين لم يريدوا بهم مكروها حين صدوهم بل انما أرادوا بزعمهم نفعهم الفاسد تأمل (قوله فكانوا يلبسون) اى يخبرونهم بالخفية من دس الشئ في التراب أخفاه فيه وبابه رد كما في المختار

تفصيلا

تخييلا وجعل الشارح نفق من النفاق اى الرواج فعليه شبه الشقاق بالسلعة المعروضة للبيع وأثبت لها النفاق تخييلا ورشح أو جرد بذكر السفه الملائم للمشبه أو المشبه به (واطمأنوا) فى زعمهم عما كانوا يترقبونه من النبى صلى الله عليه وسلم (ق) سبب (قوله الاحزاب) اى طوائف أهل مكة ومن كان معهم من قبائل العرب الذين تجمعوا لحربه صلى الله عليه وسلم بعد وقعة أحد (اخوانهم) فى الكفر لهم (اتتالكم أولياء) اى متوالون ومتفقون على حرب محمد صلى الله عليه وسلم وسبب ذلك أن جماعة من اليهود منهم اللعين حيى بن أخطب ازدادت عداوتهم له صلى الله عليه وسلم حتى قدموا على قريش بمكة فدعوهم لحربه صلى الله عليه وسلم وقالوا انا نكون معكم عليه حتى نستأصله فوافقوهم ثم ذهبوا لغطفان وذكروا لهم ذلك فوافقوهم فخرجت قريش وقائدها أبو سفيان رضى الله تعالى عنه وغطفان ومن معهم من أهل نجد وقائدها عيينة بن حصن فاجتمعوا فى عشرة آلاف واليهود قاطعون بأنهم بذلك يستأصلون المسلمين فلما سمع بهم صلى الله عليه وسلم أشار سلمان الفارسى بحفر الخندق لان العرب لم تكن تعرفه فاجتهد فيه صلى الله عليه وسلم هو وأصحابه فلما وصل العدو اليه خرج اليهم فى ثلاثة آلاف فمكثوا نحو عشرين يوما أو خمسة عشر يوما وهو الاشهر لاقتال بينهم الا الرمى بالنبل والحصى ثم اشتد الحرب فجاء نعيم بن مسعود الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال له انى أسلمت ولم يعلم بى قومى فمرنى بما شئت فأمره صلى الله عليه وسلم بان يخذل عنهم ما استطاع فان الحرب خدعة فذهب الى بنى قريظة وكان نديمهم فى الجاهلية فحسن لهم التخلف عن معونة قريش الا ان أخذوا منهم رهنا وخوفهم على أموالهم وأولادهم فقالوا أشرت بالرأى ثم ذهب للعرب وقال لهم عن اليهود مثل ذلك وأنهم ندموا على ذلك وأرسلوا لمحمد صلى الله عليه وسلم بذلك فارسلوا رسلهم لقريظة فذكروا لهم ذلك فاعتقدوا صدق نعيم وانفصل عزمهم فخذلهم الله تعالى وارسل عليهم ريحا فى ليلة شديدة البرد فاكفأت قدورهم وطرحت خيامهم وبلغه صلى الله عليه وسلم تخالفهم وما هم فيه فقال صلى الله عليه وسلم لحذيفة بن اليمان اذهب فانظر

(قوله وجعل الشارح نفق الخ) قال فى المختار ونفق البيع بالضم نفاقا راج اهـ ثم رأيته فى شرح السنباطى نفق كنصر به اى يروج اهـ وهو مخالف لما فى المختار لمقتضى ما فيه أن المضارع بهذا المعنى بضم العين كينصر فتأمل وفى المصباح مثل ما فى السنباطى وكذلك فى القاموس لانه حين ذكر نفق بمعنى راج لم يضبطها وقد ذكر فى خطبته أن كل كلمة عراها عن الضبط فانها بالفتح الا ما اشتهر بخلافه اشتهارا رافعا للنزاع من البين فان كان فيه الضبطان اى من باب شرف ومن باب ضرب ارتفع التنافى بين المختار وغيره وعليه فينفق فى النظم مبنى للفاعل من باب عدل أو شرف كما علمت لانه لازم فلا يصاغ منه المجهول بخلافه على جعله من الانفاق تأمل (قوله الملائم للمشبه) انظر وجه كون السفه ملائما للسلعة المعروضة للبيع اللهم الا أن تقيد بكونها خبيثة أو تعرض للبيع عرضا كذلك كما قيدت الدراهم فى التشبيه الاول بالصرف فى الشر فتأمل (قوله وغطفان) بفتح الطاء حى من قيس (قوله الخندق) فارسى معرب وأصله كنده اهـ شرح التقريب (قوله خرج اليهم) اى بلا الخندق بينه وبينهم (قوله خدعة) فيه ثلاث لغات مشهورة أشهرها فتح الخاء واسكان الدال قال النووى فى شرح مسلم اتفقوا على أنها أفصحهن قال ثعلب وغيره وهى لغة النبى صلى الله عليه وسلم قال الخطابى ومعناها أنها مرة واحدة اى اذا خدع المقاتل مرة واحدة لم يكن لها اقالة أو ان معناه أنها تخدع أهلها وصف الفاعل باسم المصدر أو تكون وصفا للمفعول كما قيل ضرب الامير اى مضروبه اللغة الثانية بضم الخاء واسكان الدال اى أنها تخدع لان أحد الفريقين اذا خدع صاحبه فيها فكأنها خدعت هى الثالثة ضم الخاء وفتح الدال اى أنها تخدع أهلها وتمنيهم الظفر أبدا وقد يقلب بهم الحال لغيرها كما يقال رجل لعبة وضحكة للذى يكثر اللعب والضحك وحكى فيها الحافظ المنذرى فى حواشى السنن رابعة وهى فتحهما جمع خادع يعنى أن أهلها بهذه الصفة فلا يطمأن اليهم كأنه قيل أهل الحرب خدعة ثم حذف المضاف قال وأصل الخدع اظهار أمر واضمار خلافه (قوله بنى قريظة) قبيلة من يهود خيبر (قوله فخذلهم) قال فى المصباح خذله اذا ترك عونه ونصره

ماذا يفعل القوم ولا تحدثن شيئا حتى تأتينا فدخلت بينهم فسمع ابا سفيان يقول لينظر الرجل منكم من جليسه قال حذيفة فأخذت بيد من بجنبي فقلت من انت قال فلان بن فلان ثم قال ابو سفيان والله يا معشر قريش ما اصبحتم بدار مقام لقد هلك الكراع والخف واخلفتنا بنو قريظة ثم امرهم بالرحيل فارتحل قال حذيفة ولولا عهد النبي صلى الله عليه وسلم أن لا تحدث شيئا لقتلته بينهم ثم سمعت غطفان ما وقع لقريش فرجعوا ايضا فلما أصبح صلى الله عليه وسلم رجع الى المدينة وقال صلى الله عليه وسلم لا تغزونكم قريش بعدها ابدا ولكن أنتم تغزونهم وكان كذلك ولما وضعوا السلاح جاءه جبريل معتجرا بعمامة من استبرق على بغلة عليها قطيفة ديباج وفي رواية البخاري أنه صلى الله عليه وسلم لما وضع السلاح اغتسل فأتاه جبريل عليه الصلاة والسلام فقال قد وضعت السلاح والله ما وضعناه اخرج اليهم اعمد بني قريظة فاني عامد اليهم ومزلزل بهم وفي رواية قم فشد عليك سلاحك فوالله لأدقنهم دق البيض على الصفا فبعث صلى الله عليه وسلم مناديا يا خيل الله اركبي فذهب اليهم في ثلاثة آلاف مقاتل وستة وثلاثين فرسا فحاصرهم خمسا وعشرين ليلة او خمسة عشر وقذف الله في قلوبهم الرعب فعرض عليهم رئيسهم الايمان وحلف لهم أنه نبي مرسل وانه الذي يجدونه في كتابهم فأبوا فقال الليلة السبت فلعلهم أمنوا فانزلوا لعلكم تصيبون منهم فقالوا انفسد سبتنا ونحدث فيه ما لم يحدث فيه من قبلنا الا من علمت فأصابه ما لم يخف عليك من المسخ ثم اشتد عليهم الحصار فنزلوا على حكم النبي صلى الله عليه وسلم فحكم فيهم سعد بن معاذ سيد الاوس فحكم فيهم بان تقتل رجالهم وتقسم أموالهم وتسبى ذراريهم فقال صلى الله عليه وسلم لقد حكمت فيهم بحكم الله الذي حكم به من فوق سبعة ارقعة فأمر صلى الله عليه وسلم بهم فادخلوا المدينة وحفر لهم اخدودا في السوق وجلس صلى الله عليه وسلم ومعه أصحابه وأخرجوا اليه فضرب بت أعناقهم وكانوا ما بين ستمائة الى سبعمائة ولا تنافيه الرواية الصحيحة أنهم كانوا اربعمائة مقاتل لان الباقين اتباع وبما تقرر علم أن الاحزاب (سالموهم) اى اليهود اى عاهدوهم مع الايمان المغلظة على حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم (وسالموهم) في ذلك فرحلوا عنهم وأسلموهم للنبي صلى الله عليه وسلم حتى قتلهم عن آخرهم (ولم أدر لماذا ضاق الخناق) وأراد بنفي الدراية على طريقة تجاهل العارف اغراء السامع على البحث عن سبب ذلك وان كان ظاهرا وهو ان الله تعالى اراد خذلانهم بتفريق كلمتهم واستئصال شأفتهم ●(تنبيه)● تجاهل العارف سماه السكاكي سوق المعلوم مساق غيره وهو سؤال المتكلم عما يعلمه على سبيل التعجب او الانكار او التوبيخ كما هنا او التقرير نحو وما تلك بيمينك يا موسى (أسلموهم) اى المنافقون عبد الله بن أبي وأصحابه

(قوله بيد من بجنبي) كل منه ومن بجنبي مقدر مضاف فيهم اليدين والجنبين لانه أخذ بيد من عن يمينه وبيد من عن يساره وقال لكل من أنت (قوله الكراع) بالضم في الغنم والبقر كالوظيف في الفرس وهو مستدق الساق يذكر ويؤنث والجمع أكرع ثم أكارع اه مختار (قوله معتجرا بعمامة) قال في المصباح المعجر ما تشده المرأة على رأسها ومنه يقال اعتجرت المرأة والاعتجار ايضا لف العمامة على الرأس (قوله يا خيل الله) على حذف مضاف اى يا فرسان خيل الله على حد لا بفضض الله فاك اى أسنان فيك (قوله اخدودا) الاخدود شق مستطيل في الارض اه مختار (قوله تجاهل العارف) وهو من محسنات البديع وشاهده قول الحافظ السيوطي في بديعيته

لقد تجاهلتم عن معرفة

قلتم أطالب وصل أم قرى حرم سألوا عن ذلك مع علمهم ومعرفتهم أن المحب امتلاه وصالهم وأن فيه بقاء مهجته ولا يظن أنه طالب قرى وضيافة بطعام (قوله شأفتهم) بشين معجمة وهمزة وفاء قرحة تخرج في أسفل القدم فتكوى فتذهب أو اذا قطعت مات صاحبها واستأصل الله شأفته أذهبه كما تذهب تلك القرحة او أزاله من أصله اه قاموس (قوله اى المنافقون) اى فضمير الفاعل غير راجع للاحزاب بدوان قربوا واظهر للمنافقين في قوله خدعوا المنافقين فلو ذكره عقبه لكان أولى

واصحابه اليهود المسمين بني النضير (لاول الحشر) المقتبس من قوله تعالى هو الذى أخرج الذين كفروا من اهل الكتاب من ديارهم لاول الحشر ماظننتم أن يخرجوا وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا وقذف في قلوبهم الرعب يخربون بيوتهم بايديهم وأيدى المؤمنين اى في أول حشرهم واجلائهم من جزيرة العرب الى الشام او من محلهم الى محل آخر وانما كان اولا لانهم لم يصبهم قبل قط ذلك اوفي أول حشرة الى القتال لما يأتي في قصتهم أنهم عزموا على القتال ففشلوا وألقى الله الرعب في قلوبهم وآخر حشرهم اجلاء عمر لن بقيبر من هؤلاء ومن اهلها الى الشام اوفي ول حشر الناس الى الشام لانها قصت بعد ذلك بقليل وقصدها الناس للاقامة بها وعليه فآخر حشرهم بها عند قيام الساعة لانها أرض المحشر (لاصعادهم) اى المنافقين لليهود بانهم ينصرونهم على النبي صلى الله عليه وسلم (صادق) لانهم سولوا لهم قتالهم وأنهم يعينونهم ثم تخلفوا عنهم (ولا الابلاء) اى الحلف منهم لهم صادق ايضا (سكن الرعب) اى هيبة النبي صلى الله عليه وسلم وخشية انتقامه منهم وظن ظفره عليهم (والتراب) الآتي لدورهم (قلوبا) من اليهود المحصورين وغيرهم من اهل خيبر وغيرها وهذا راجع للاول (وبيوتا منهم) راجع للثاني ففيه لف ونشر مرتب (نعاها) اى اخبر تلك البيوت بموت اهلها المعنوى من نعاه له نعوا ونعيا ونعيانا اخبر بموته (الجلاء) اى خروجهم من ديارهم شبهه في كونه معلما بقهرهم وزوال شوكتهم المشبه بالموت بانسان مخبر بما ينفع ويضر فهى استعارة بالكناية وذكر النعى الملايم المشبه به استعارة تخييلية والعجب من الشارح حيث لم يتكلم على هذه الجملة مع ما علمته فيها من الاستعارتين المذكورتين بل فيها استعارة ثالثة كما اشرت اليها بقولى المشبه بالموت وظاهر النظم أن واقعة بني النضير هذه بعد الخندق المشار اليها بقوله السابق واطمأنوا الخ وهو ما اوهمه كلام بعض اهل السير لكنه مردود بان بني قريظة هم الذين ظاهروا الاحزاب وأما بنو النضير فلم يكن لهم في الاحزاب ذكر بل كانوا من أعظم الاسباب في جمع الاحزاب بما وقع من اجلائهم فانه كان من رؤسهم حيي بن أخطب واضرابه وهو الذى حسن لبني قريظة الغدر وموافقة الاحزاب حتى كان من اهلاكهم ما كان فكيف يصير السابق لاحقا وخلاصة ما قاله اهل السير في واقعة بني النضير أنه صلى الله عليه وسلم خرج اليهم يستعينهم في دية قتيلين قتلهما بعض حلفائهم فاظهروا له الاجابة ثم تواعدوا وهو صلى الله عليه وسلم جالس الى جنب جدار لبعض بيوتهم على أن يصعد واحد منهم ويلقى عليه صخرة ليستريحوا منه فنهاهم بعضهم وقال والله ليخبرن بما هممتم به وانه لنقض العهد الذى بيننا وبينه فلما صعد الرجل لذلك اخبر به صلى الله عليه وسلم فقام مظهرا انه أنه يقضى حاجته وترك اصحابه في مجلسهم ورجع مسرعا الى المدينة فطلبه اصحابه فأخبرهم ونزل في

(قوله بني النضير) وقريظة وبنو النضير قبيلتان من يهود خيبر وقد دخلوا في العرب على نسبهم الى هرون أخي موسى عليهما الصلاة والسلام منهم محمد بن كعب القرظى (قوله فأتاهم الله) اى عذابه وهو الرعب والاضطرار الى الاجلاء وقيل الضمير للمؤمنين اى فأتاهم نصر الله اه بيضاوى (قوله يخربون بيوتهم بايديهم) ضنا بها على المسلمين (قوله وأيدى المؤمنين) وعطفها على أيديهم من حيث ان تخريب المؤمنين مسبب عن نقضهم فكأنهم استعملوهم فيه اه بيضاوى (قوله ففشلوا) فشل من باب طرب اى جبن اه مختار (قوله وبيوتا منهم) اى لهم (قوله اى أخبر تلك البيوت) عبارة السنباطى اى أخبر بخرابها منهم المشبه بموتهم جلاؤهم منها بجامع الانتقال من دار الى دار والذل والهوان بسبب اهانة هؤلاء اللاعين في القبر وما بعده وسلب أموالهم (قوله المشبه بالموت) فيه أنه لم يذكر في الكلام ماذكر من القهر والزوال الذى جعله مشبها ولا الموت الذى جعله مشبها به والاستعارة لابد فيها من ذكر أحد الطرفين نعم ان شبه المضاف الذى هو أهل لكونه في قوة المذكور بضمير البيوت الذين مثلهم ٣ في الضلال اتجه تقرير المكنية

٣ قول المحشى بضمير البيوت الذين مثلهم الخ هكذا في الاصل الذى بايدينا وتأمل في صحته وفي اجراء المكنية عليه اه

ذلك يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ هم قوم أن يبسطوا اليكم أيديهم
الآية فأمر النبي صلى الله عليه وسلم بالتهيؤ لحربهم والمسير اليهم فسار صلى الله عليه وسلم
وحاصرهم ست ليال فتحصنوا بالحصون فقطع النخل وحرقها وخرب ولما وقع فى نفوس
بعض المسلمين شيء من ذلك نزل ما قطعتم من لينة الآية واللينة أصناف التمر ما عدا العجوة
والبرنى ففي الآية أنه صلى الله عليه وسلم لم يحرق من نخلهم الا ما ليس بقوت وكانوا
يقتاتون العجوة وفى الحديث العجوة من الجنة وثمرها يغذى أحسن غذاء والبرنى ايضا
كذلك وكان رهط من بنى عوف بن الخزرج منهم ابن أبى بعثوا اليهم أن اثبتوا وتمنعوا
فانا لن نسلمكم ان قوتلتم قاتلنا معكم وان أخرجتم خرجنا معكم فتربصوا فقذف الله
تعالى فى قلوبهم الرعب فسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يجليهم عن ارضهم ويكف
عن دمائهم وفى رواية ابن سعد أنهم لما هموا بالغدر أرسل اليهم محمد بن مسلمة أن اخرجوا
من بلدى وقد أجلتكم عشرا فمن رؤى منكم بعدها ضربت عنقه فشرعوا فى التجهيز
فأرسل اليهم ابن أبى بأن يمتنعوا ويعدهم بنصرهم فأرسلوا لرسول الله صلى الله عليه
وسلم يقولون لا نخرج فأظهر التكبير وكبر المسلمون لتكبيره فسار اليهم وعلى يحمل رايته
فلما رأوه قاموا على حصونهم يرمون بالنبل والحجارة وخذلهم ابن ابى وغيره فحاصرهم
خمسة عشر يوما ثم قال لهم اخرجوا ولكم دماؤكم وما حملت الابل الا الدرع فنزلوا على
ذلك وكانوا يخربون بيوتهم بأيديهم فلحقوا بخيبر ثم الى الشام والحيرة على ستمائة بعير
ولكون القاهر لهم مجرد الرعب كان ما بقى من اموالهم له صلى الله عليه وسلم فقسمه بين
المهاجرين ليرفع مؤنتهم عن الانصار (و) خدعوا ايضا بنى قريظة منهم (يوم الاحزاب
اذ زاغت الابصار) منهم (فيه وضلت الآراء) وذلك أن الاحزاب لما اقبلوا ونزلوا حول
المدينة وخرج صلى الله عليه وسلم والمسلمون فجعلوا ظهورهم الى سلع والخندق بينهم وبين
القوم خرج عدو الله حيى بن أخطب حتى اتى كعبا القرظى صاحب عقد بنى قريظة
وعهدهم فأغلق كعب دونه باب حصنه وقال له انك امرؤ مشؤم وانى عاهدت محمدا صلى
الله عليه وسلم فلست بناقض ما بينى وبينه فانى لم ار منه الا وفاء وصدقا فقال ويلك افتح ولم
يزل به حتى فتح فقال يا كعب جئتك بعز الدهر جئتك بقريش انزلتهم بمجتمع الاسيال
ومن دونه غطفان وقد عاهدونى أن لا يبرحوا حتى يستأصلوا محمدا ومن معه ولم يزل به
حتى نقض عهده وبرئ مما كان بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم فبلغه ذلك فعظم

(قوله فقطع النخل) الاولى لمناسبة الآية ولكلام القسطلانى الآتى ولقول الشارح فى تفسير اللينة اصناف الخ أن يقول
بدله اللينة وعبارة القسطلانى فى المواهب ولم يقل من نخله على العموم تنبيها على كراهة قطع ما يقتات ويغذو من شجر العدو اذا
رجى أن يصل للمسلمين وأصل لينة لونة ٢٣٢ قلبت الواو ياء لانكسار ما قبلها وقال البيضاوى اللينة من اللين وهى النخلة
الكريمة وجمعها الليان اه فقول الشارح فقطع النخل اى
الكريمة التى حملها لا يقتات
فعليه يكون قوله تعالى من لينة
اى من حامل لينة (قوله اصناف
التمر) أو هى ضرب من النخل يرى
نجم نواه من خارجه يغيب فيه
الضرس اه كواشى (قوله
العجوة) قال الجوهرى هى تمر
المدينة وهو من أجودة رها قال
الازهرى والصيحانى منه (قوله
والبرنى) نسبة لشخص يقال له
رأس البرنية (قوله أحسن غذاء)
ما يغتذى به من الطعام والشراب
يقال غذوت الصبى باللبن من باب
غدا اى ربيته ولا يقال غذيته
بالياء مخففا ويقال غذيته مشددا
اه مختار (قوله والحيرة) قال فى
المختار والحيرة بالكسر مدينة بقرب
الكوفة (قوله يوم الاحزاب)
لو قدم هذا البيت على البيتين قبله
وقدمهما على البيتين قبلهما
لكان أظهر فى أداء المراد المتقدم
بيانه وكان هذا الوضع من غلط
الشارح (قوله زاغت الخ) اى
مالت عن مستوى نظرها حيرة
اى من شدة الحزن الذى حصل
للمسلمين حين احاط بهم العدو قال تعالى اذ جاؤكم من فوقكم ومن أسفل منكم واذ زاغت الابصار البلاء
الآيات ففى البيت اقتباس (قوله وضلت الآراء) كما حكاه سبحانه عن المنافقين بقوله واذ يقول المنافقون والذين فى قلوبهم
مرض ضعفاء اعتقاد ما وعدنا الله ورسوله من الظفر واعلاء الدين الا غرورا اى قولا باطلا (قوله مشؤم) قال فى المختار الشؤم
ضد اليمن يقال رجل مشؤم ومشوم ويقال ما أشأم فلانا والعامة تقول ما أشيمه وقد تشاءم به بالمد

البلاء واشتد الخوف واتاهم عدوهم من فوقهم ومن أسفل منهم حتى ظن المؤمنون كل ظن ونجم النفاق فى بعض المنافقين فانزل الله تعالى وإذ يقول المنافقون والذين فى قلوبهم مرض الآية وقال رجال ممن معه يا اهل يثرب لا مقام لكم فارجعوا ثم وقع ما مر من أن الله تعالى خذل الاحزاب وبدد شملهم وجعل الدائرة عليهم والغلبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين واهلك بنى قريظة عن آخرهم كما مر وبما تقرر علم أن فى كلام الناظم فى هذا البيت والذى قبله تلميحا من وجوه عديدة (وتعدوا) ظاهر سياقه أن الضمير للنصارى واليهود والمنافقين ويجوز عوده لمطلق الكفرة الشامل لكفار العرب وغيرهم اى تجاوزوا حتى وصل ايذاؤهم (الى النبى) صلى الله عليه وسلم (حدودا) حدها الله لهم ومنعهم عن مجاوزتها فلم يقفوا عندها فلذلك (كان فيها) اى فى مجاوزتها (عليهم) احد الظرفين حال والآخر خبر (العدواء) اى بعدهم عن النجاة ووقوعهم فى الهلاك الابدى وفى هذا تلميح الى قوله تعالى ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون وبين تعدوا والعدواء جناس شبه الاشتقاق وهو أو شبه مبين نهتهم وانتهت والبذى والبذاء والخيل والخيلاء وأكدى وكداء وعصا وعصو وسواء وسواء وأجمت والجون وأحلم والحلم الآتيات (ونهتهم) اى أولئك المعتدين قوم منهم عن استمرارهم على ما هم عليه من مخالفة النبى صلى الله عليه وسلم وايذائه قائلين لهم انه رسول الله حقا (وما انتهت عنه) اى عن مخالفة النبى صلى الله عليه وسلم وايذائه (قوم) بل استمروا على ما هم عليه من ايذائه والامر به (فـ) بسبب ذلك (أبيد) اى اهلك (الامار) منهم بايذائه صلى الله عليه وسلم (والنهاة) عن اتباعه لبقاء كل من الفريقين على ضلاله ومر أن عتبة بن ربيعة لما اشتد أذى قريش له صلى الله عليه وسلم ذهب اليه ليناظره فقرأ عليه فصلت فرجع الى قومه ومدح القرآن وامرهم أن يخلوا بينه وبين ما هو فيه وبين لهم أن القرآن ليس بسحر ولا شعر ولا كهانة وأنه صلى الله عليه وسلم ليس به جنون وانه ليكونن لقوله نبأ فقالوا له سحرك محمد بلسانه فقال افعلوا ما بدا لكم فلم يزدهم ذلك الا طغيانا وايذاء له بالقول والفعل وقتل عتبة يوم بدر مشركا وبين الامار والنهاة جناس الطباق كنهتهم وما انتهت وكالغدو والعشاء والقطع والوصل والتقريب والاقصاء والملام والاطراء والتباين والوفاء الآتيات (وتعاطوا فى أحمد) نبينا صلى الله عليه وسلم وخصه بالذكر لانه لم يسم به احد قبله كما رواه مسلم وأما محمد فتسمى به قبله خمسة عشر نفسا كما بينه الحافظ العسقلانى (منكر القول) اى القول المنكر الذى ينكر سامعه بل المتلفظ به لعلمه بقبحه وفساده وأن الحامل له عليه انما هو محض عناد أو حسد فقالوا مرة ساحر ومرة كاهن ومرة مجنون كما سبق ذلك مبسوطا فى بيان اعجاز القرآن وطاف صلى الله عليه وسلم هو وابو بكر وعثمان رضى الله تعالى عنهما فلما مر بأبى جهل وعقبة بن أبى معيط وأمية بن خلف أسمعوه بعض ما يكره ثم أراد ابو جهل الاخذ بمجامع ثوبه صلى الله عليه وسلم فدفعه عثمان

(قوله ظن المؤمنون كل ظن) اى كل ظن جميل لثبات قلوبهم حيث ظنوا أن الله منجز وعده فى اعلاء دينه وأن الله عاصمهم فخافوا الزلل وضعف الاحتمال (قوله ونجم النفاق) يقال نجم الشئ ينجم نجوما وبابه دخل اى ظهر وطلع (قوله ممن معه) اى مع النبى من المنافقين وقوله لا مقام لا موضع قيام لكم ههنا وقوله فارجعوا اى الى منازلكم هاربين وقيل لا مقام لكم على دين محمد فارجعوا الى الشرك وأسلموه لتسلموا أو لا مقام لكم بيثرب فارجعوا كفارا ليمكنكم المقام بها (قوله العدواء) بفتح العين (قوله عن مخالفة النبى) اى فالضمير للنبى على تقدير مضاف اى مخالفته (قوله قوم) فاعل نهت وفاعل انتهت ضمير مستتر عائد عليه لتقدمه رتبة وأشار لذلك الشارح بقوله قوم منهم وفى بعض الشروح أن فاعل نهت الحدود اى نهتهم عن تعديها وقوم فاعل انتهت (قوله فأبيد الامار والنهاة) اى كما أبيد المعتدون بايذائه وقد أبيد أيضا من نهاهم عن مخالفته بسبب عناده وكفره وهو عتبة بن ربيعة وقد يقال هو داخل فيمن آذاه بقتاله فى وقعة أحد التى هلك فيها (قوله وتعاطوا) اى خاضوا يقال فلان يتعاطى كذا اى يخوض فيه اهـ مالكى وعبارة الهروى يقال تعاطيت الشئ اذا تناولته وعطوت أيضا مثله (قوله وطاف صلى الله عليه وسلم) اى بالبيت الشريف (قوله ثم أراد أبو جهل) اى فى الطوفة الرابعة من طوافه

رضي الله عنه فوقع على استه ودفع ابو بكر رضي الله عنه أمية والنبي صلى الله عليه وسلم عقبة ثم قال صلى الله عليه وسلم والله لا تنتهون حتى يحل بكم عقابه عاجلا فما منهم الا من أخذته رعدة شديدة وجعل صلى الله عليه وسلم يقول لهم بئس القوم أنتم لنبيكم ثم قال صلى الله عليه وسلم لاصحابه رضي الله تعالى عنهم أبشروا فان الله تعالى مظهر دينه ومتم كلمته وناصر نبيه ان هؤلاء الذين ترون مما يذبح الله بايديكم عاجلا قال عثمان رضي الله عنه فوالله لقد رأيتهم ذبحهم الله بايدينا ومن ايذاء المنافقين قولهم يوم الخندق محمد يعد أصحابه ان ينفقوا كنوز قيصر وكسرى وأحدنا اليوم لا يأمن على نفسه ان يذهب الى الغائط وقد حقق الله تعالى ما وعد نبيه صلى الله عليه وسلم فملك الله المسلمين كنوز كسرى وقيصر في زمن عمر وعثمان رضي الله تعالى عنهما ثم ذيل بجملة مشتملة على معنى ما قبلها جارية مجرى الامثال فليس تتميما خلافا للشارح لانه المأتى به لمجرد المبالغة والتأكيد ولا تكميلا لانه المأتى به لرفع الايهام نعم في ذلك اضطراب بين أهل البديع فقال (ونطق) أي منطوق (الاراذل) أي الاسافل الاخساء الذين لا مروأة لهم ولا عقل الكلمة (العوراء) اى القبيحة الساقطة أي شأنهم النطق بالفحش وهؤلاء كذلك كيف و(كل رجس) اى قذر وحنق وغضب قائم بهم يزيده ما جبلوا عليه وهو (الخلق السوء) بفتح السين وضمها اى القبيح (سفاها) بفتح السين من سفه بالضم سفاها وسفاهة ومصدر المكسور سفها وهو ضد الحلم وسببه خفة العقل وطيشه (و) يزيده سفاهة ايضا وبعدا عن الخير (الملة) اى الشريعة سميت بذلك لانها تملى وتكتب (العوجاء) اى الباطلة شبهها بطريق عوجاء لا يهتدى سالكها الى مطلوبه بل يتوه ويضل فيها على سبيل الاستعارة المكنية ثم اثبت لها العوج تخييلا وأولئك الاراذل اجتمع فيهم الوصفان الخلق السوء والتمسك بالملة الباطلة فتضاعفت سفاهتهم (ف) بسبب ازديادهم في السفاهة والجهل (انظروا) أيها العقلاء (كيف) هي وما بعدها سدت مسد مفعولي انظروا وأما قول الشارح كيف في موضع المفعول الثاني وعاقبة القوم المفعول الاول فهو انما يصح بفرض زيادة كان ولا محوج لذلك كما عرف مما قررته (كان) تامة (عاقبة) أي مآل ومصير (القوم) المعروفين بما ذكر وهي خزي الدنيا وعذاب الآخرة ثم كان عاقبة الذين أساؤا السوأى الآية ففيه اقتباس (و) انظروا (ما) هو بصلته سد مسد المفعولين أيضا وعجيب من الشارح حيث لم يبين اعرابه مع احتماله لوجه آخر فيه غير ما ذكر لكن ما ذكرته أولى كما هو واضح (ساق البذى) اللسان كهؤلاء (البذاء) بالمعجمة أي بذاؤهم أي فحشهم وهو تخلفهم عن عز الدنيا وسعادة الآخرة وفيه تشبيه البذى بدابة مسوقة والبذاء بسائقها وهما استعارتان مكنيتان واثبات السوق للبذاء على جهة كونه فاعلا وللبذى على جهة كونه واقعا عليه تخييل (وجد) البذى (السب) أي الشتم (فيه) أي النبي صلى الله

(قوله وحنق) اى غيظ والجمع حناق مثل جبل وجبال وقد حنق عليه بالكسر أي اغتاظ فهو حنق وأحنقه غيره فهو محنق انتهى صحاح (قوله مفعولى انظروا) أى لان انظروا بمعنى اعلموا (قوله فهو انما يصح الخ) بل على هذا الفرض لا يصح أيضا لان كيف الاستفهامية واجبة التصدير لا يعمل ما قبلها فيها فتأمل (قوله هو بصلته سد مسد الخ) حيث جعل ما موصولا اسميا كان من قبيل المفرد فلا يظهر قوله سد الخ وانما يظهر لو كانت استفهامية فتدبر (قوله لم يبين اعرابه) سكت عنه لعله من اعراب الجملة قبله والخطب في ذلك سهل والتعجب في مثل ذلك ليس في محله ألا ترى الى سكوت الشارح أى ابن حجر عن الاعراب في مواضع كثيرة

• ومن ذا الذي ترضى سجاياه كلها •

فينبغي اقامة العذر للبر بري لانه أول شاطب لها كما قال لم اظفر له بشرح ارجع في المهمات اليه ولا بكلام من احد ولو في حاشية اعتمد عليه فيزيل ما يعرض من الاشكال بل انا هو أبو عذره ومقتضب حلوه ومره والكاشف عن حقيقة أمره والمستغنى عن خبره بخبره (قوله وفيه تشبيه البذى بدابة مسوقة) لا يخفى ان هناك ضميرا عائدا على الموصول ساقه أي البذى أى جلبه له من خسارة الدين وحينئذ فالبذى حسائقه لا مسوقه فتأمل

عليه وسلم (سمًّا) مهلكا اى مهلكًا وبين السب والسم الجناس المضارع (ولبيد) ذلك البذى ان سبه عين السم القاتل لو قسم لفظا (اذا الميم في مواضع) حال من الخبر وهو (باء) كقولهم في بني عيسد وهي لغة مازن قال المازنى دخلت على الخليفة الواثق فقال لى ممن الرجل قلت من بنى مازن قال اى الموازن امازن تميم أم مازن قيس ام مازن ربيعة قلت من مازن ربيعة فكلمنى بكلام قومى وقال لى باسمك يريد ما اسمك وهي لغة قومى لانهم يقلبون الميم باء والباء ميما قال فكرهت ان اجيبه على لغة قومى لئلا اواجهه بالمكر فقلت بكر يا امير المؤمنين ففطن لما قصدت واعجب به اى وفيه ايضا سب لنفسه ثم قال لى اجلس فاطبق يريد فاطمئن وقال ابن جنى في سر الصناعة اخبرنا ابو على باسناده الى الاصمعى قال كان ابو سوار الغنوى يقول باسمك يريد ما اسمك فهذه الباء بدل من الميم انتهى والمعنى لانه اهلكهم كما يهلك السم بل هو ابلغ من السم لان اهلاك السم فى الدنيا وله ادوية تزيله واهلاك السب فى الدنيا والآخرة ولا دواء له (كان من) اجل ما صدر من (فيه) اى فم البذى حال من الضمير المستتر فى الخبر وهو يليه (قتله) لنفسه (بيديه) وقتل الانسان لنفسه اشد من قتل غيره له (ذ) بسبب ذلك (هو) اى البذى القاتل لنفسه المذكور (فى) الاتصاف بما وقع من (سوء فعله) بنفسه المرأة المشهورة بالملكة القاهرة فى العرب التى هى (الزباء) بفتح الزاى وتشديد الموحدة اى شبيهها فانها تناولت خاتما مسموما فمصته حتى قتلت نفسها وقالت بيدى لا بيدك يا عمرو فكان قتلها لنفسها بسبب ما تناولته بفمها من بعد ما ظفر بها عمرو ابن اخت جذيمة الابرش لما كان بينهما خوفا من تعذيبه اياها وحاصل القصة وهى طويلة ذكرها الاخباريون وابن هشام وابن الجوزى وغيرهم ان جذيمة بن مالك التنوخى وقيل الازدى وهو اول من ساس العرب واول من اتخذت له الشموع وأوقدت بين يديه واول من اجتمع له الملك بأرض العراق من قبل اردشير وكان ابرص فكنوا عن ذلك بالابرش الوضاح وقيل كان لا يأنف من الابرص لان فى العرب من يفتخر بذلك وكان له اخت اسمها رقاش وعنده عدى بن نصر الايادى فوافقها على ان ينكحها منه اذا غلب السكر عليه فسأله فاستنكحها ذلك فأنكحه اياها واشهد عليه ودخل بها فلما اصبح وعلم بذلك تغيب عدى فلم يعرف له أثر فولدت له ولدا سمى عمرا فاحبه جذيمة واختطفته الجن ثم ردوه فزاد حظا عند خاله وكان ابو الزباء وجمعت بذلك لكثرة شعرها اذ كان يجللها وسعت من ورائها ملكها ما بين الفرس والروم فغزاه جذيمة وقتله قبل بعثة عيسى صلى الله على نبينا وعليه وسلم وطردها فلحقت بالروم

(قوله بفتح السين لغة من ثلاث فيه (قوله فى الاتصاف بما وقع منه) كذا بخط الشارح كما قاله بعضهم ولا يستقيم الا بحذف الهاء من منه وقد رأيته فى نسخة بدون هاء (قوله وتشديد الموحدة) اى والمد وهى ملكة الجزيرة (قوله وأول من اتخذت له الشموع) قال السيوطى الشمع كان موجودا قبل البعثة كما ذكره العسكرى فى الاوائل ان أول من أوقدت له الشموع جذيمة بن مالك الابرش بل ورد فى حديث انه أوقد النبى صلى الله عليه وسلم عند دفنه عبد الله ذا البجادين (قوله وكان له اخت أحبها الخ) اسمها رقاش فقالت له اذا سقيت الملك فسكر فاخطبنى اليه فسقى عدى جذيمة وألطف له فلما سكر قال له سلنى ما أحببت قال له زوجنى أختك رقاش قال قد فعلت فعلمت رقاش انه سينكر اذا أفاق فقالت للغلام ادخل على أهلك فدخل واصبح فى ثياب جدد وطيب فلما رآه جذيمة قال ما هذا قال انكحتنى أختك البارحة قال ما فعلت وجعل يضرب رأسه ووجهه وأقبل على رقاش وقال

حدثينى وأنت غير كذوب
أبحر زنيت أم بهجين
أم بعبد وأنت أهل لعبد
أم بدون وأنت أهل لدون

قالت زوجتنى كفؤا كريما من أبناء الملوك فأطرق جذيمة فلما علم عدى بذلك خاف فهرب ولحق بقومه ومات هنالك وعلقت منه رقاش وأتت ابن سمته جذيمة عمرا وتبناه وأحبه حبا شديدا وكان لا يولد له انتهى من القاموس (قوله ولم يعرف له أثر) قد علمت من عبارة القاموس علم موضعه (قوله ثم ردوه الخ) فعرفه وقبله وبعثه الى أمه فادخلته الحمام وألبسته وطوقته طوقا كان له من ذهب فلما رآه جذيمة قال شب عمرو عن الطوق فصار مثلا يضرب للابس ما هو دون قدره انتهى من القاموس

و جمعت الجيوش واستخلصت من جذيمة ملك أبيها وابتنت لها بجانب الفرات قصرا حصينا فدخلت بجذيمة قصة خطبته إياها لانها بكر واجمل اهل عصرها وطمع فى ملكها فارسل لها فاظهرت غاية الفرح والسرور وأرسلت له بهدية نفيسة فاستشار فى المسير اليها فبالغ قصير بن سعد فى منعه وفى ان ذلك مكيدة منها فلم يصغ اليه وسار اليها فلما قرب منها أعاد الاستشارة فاعاد قصير رأيه فلم يصغ اليه وسار وكانت أمرت عسكرها اذا وصل ان يحيطوا به ويمنعوا من معه ففعلوا وقصير معه فلما رأى ذلك ركب فرس جذيمة التى تسبق الريح يجريها وفربها ثم ادخل جذيمة عليها وليس معها الا الجوارى وكانت ربت شعر عانتها حولا كاملا فكشفته له وقالت امتاع عروس ترى فقال بل متاع أمة بظراء ثم قالت خذن بيد سيدكن وبعل مولاتكن فاجلسنه على النطع ففعلن ثم أمرتهن بفصد عروق يديه ففعلن ووضع له طست فنزف دمه فيه الى ان قضى عليه فامرت به فدفن ثم اقبل قصير على عمرو واخبره الخبر وامره ان يأخذ بثاره منها فافهمه انه لاقدرة له عليها فقال له اجدع أنفى وأذنى واضرب ظهرى حتى يؤثر فى الضرب ففعل به ذلك وقيل ان قصيرا فعل بنفسه ذلك ثم ذهب اليها مستجيرا بها من عمرو فراجت عليها حيلته واكرمت منزله ثم قال لها ان لى بالعراق مالا كثيرا ودفنا ترفعه فريبنى لاتيك به فاذنت فرجع اليها باموال حافلة ثم عاد الى العراق ثانيا ثم رجع اليها باكثر من الاولى فازدادت مكانته عندها ولم يزل يتلطف حتى عرف سردابا جعلته تحت الفرات يصل منه الى قصرها وبابه من جانب الفرات الآخر ثم خرج ثالثا ورجع باكثر من ذلك كله فزادت مكانته عندها وعولت عليه فى امورها فاظهرت له انها تريد الغزو وانه يذهب ويأتيها بالعبيد والعدد فقال لها ان لى فى بلاد عمرو الف بعير وخزانة مال وسلاح فاعطته ما اراد من المال وقالت له الملك لايصلح الا بمثل هذا فعاد الى عمرو وقال أصبت الفرصة منها فقال له عمرو مربما شئت فقال الرجال والاموال فعمد الى الفى رجل من فتاك قومه فحملهم على الف بعير على كل بعير اثنان فى غرارتين سوداوين وعمرو منهم وساق الخيل والكراع والسلاح وكان يكمن النهار ويسير الليل ثم دخل عليها فقال انظرى الى العير فنظرت فقالت

ما للجمال مشيها وئيدا ● أجندلا يحملن ام حديدا

أم الرجال جثما قعودا ● ام الرجال فى الغرائر السودا

ولما وصلت العير المدينة طعن بواب قصرها جوالقا بمخصرة بيده فضرط من اصابته فاراد الصياح فضربه قصير بسيفه فقتله ثم حلت الجوالق فخرجت الرجال ودخل عمرو باب السرداب ليصعد الى الزباء فلما أحست خاتما فى يدها مسموما وقالت بيدى لا بيد عمرو فماتت وقيل ان عمرا قتلها بسيفه واحتوى على بلادها (او هو) فى موضعه (التمثل)

(قوله بظراء) قال فى القاموس البظر مابين اسكتى المرأة ثم قال وامرأة بظراء طويلته (قوله أجدع) بالدال المهملة أى اقطع (قوله فى غرارتين) والغرارة واحدة الغرائر التى للتبن وأظنه معربا انتهى صحاح (قوله أم الرجال الخ) ذكر بعضهم بدل هذا البيت

أم صرفانا باردا شديدا

أم الرجال جثما قعودا

وقوله وئيدا هو حال من الجمال أى أى شئ ثبت للجمال حال كونها وئيدا مشيها أى بتؤدة وشدة وطء على الارض ومشيها مبتدأ خبره محذوف أى يكون أو يوجد وئيدا وهذا الاعراب يتأتى جعله وئيدا حالا من الجمال فلو قال حال من الضمير المستتر فى خبر مشيها الذى هو مبتدأ وهو يكون المقدر من كان التامة لاستقام الاعراب أو منصوب على المصدرية أى تمشى مشيا ويصح خفضه على انه بدل اشتمال من الجمال والصرفان الرصاص وقيل جنس من التمر لم يكن يهدى للزباء شئ أحب اليها منه والجثم بضم الجيم وتشديد المثلثة جمع جاثم وهو الذى يلبد بالارض والقعود جمع قاعد والجندل الحجارة (قوله بواب قصرها جوالقا) قال فى القاموس الجوالق بكسر الجيم واللام وبضم الجيم وفتح اللام وكسرها وعاء معروف والجمع جوالق كصحائف وجواليق وجوالقات ثم قال والجولق شولق وهذا يقتضى ان الجولق بدون ألف بعد الواو لايقال للوعاء فلا يناسب هنا وعليه فلعل الالف ساقطة من عبارة الشارح فحرر (قوله بمخصرة بيده) كمكنسة ما يتوكأ عليه كالعصا ونحوها اى انتهى قاموس فالمخصرة بكسر الميم ومن حفظ الضبط فى المختار ورأيت فى كلام بعضهم تنفرتيل مخصرة

اى شبهه ثم بين وجه الشبه فقال (قرصها) اى لسعها العقرب (يجلب الحتف) اى الموت (اليها) عقب لسعها (و) الحال ان لسعها (ما) نافية (لها فتكا) اى قتل ولا جرح ولا دم ولا تأثير قوى فى الملسوع فكل منهما قتل نفسه بما خرج من فيه مع انه لا مصلحة تعود عليهما بما كان سببا لهلاكهما (صرعت قومه) صلى الله عليه وسلم الذين ارسله الله اليهم فلم يؤمنوا به أى القتهم قتلى بين يديه (حبائل) جمع حبالة وهى التى يصاد بها وناصبها يسمى الحابل (بغى) عليه صلى الله عليه وسلم (مدها) أى تلك الحبائل اليه (المكر) حال كونه (منهم) وهو ابطان السوء مع اظهار خلافه (والدهاء) هو بالكسر والمد كالدهى جودة الرأى وفى كلامه استعارة بالكناية من حيث تشبيه القوم الذين صاروا صرعى بين يديه صلى الله عليه وسلم بصيد منحصر وقع بين يدى الصياد ومن حيث تشبيه البغى بشبكة الصياد ومن حيث تشبيه المكر والدهاء بالصائد كما تقتضيه نسبة المد اليهما أو حبال الشبكة التى يمدها الصائد حتى يقع فيها الصيد وتخييلية باثبات المد اللازم للمشبه به وترشيح بذكر الصرع اللائق بالمشبه وبما تقرر علم ان فى كلامه ثلاث استعارات مكنيات الاولى تشبيه القوم بالصيد وبرد لها بذكر الصرع والمكر والدهاء لهم ورشح او خيل لها بذكر الحبائل والمد والثانية تشبيه البغى بالشبكة وخيل لها باثبات الحبائل له ورشح بذكر المد وجرد بذكر الصرع الملائم للبغى والثالثة تشبيه المكر والدهاء بالصائد على مامر وخيل باثبات المد ورشح بذكر الحبائل وجرد بذكر الصرع هنا ايضا اذلا مانع من اشتراك مكنيتين او اكثر فى كون الشىء الواحد تخييلا او ترشيحا او تجريدا لكل اعتبار الكل على حدته بما يناسبها (ف) بسبب مكرهم ودهائهم (انتهم) من قبله صلى الله عليه وسلم ما او جب عود تلك الحبائل اليهم ولا يحيق المكر السىء الا باهله فلا يمكرون به مكرا ولا يكيدون به كيدا الا عاد عليهم وكيف لا وكلما تحزبوا لحربه صلى الله عليه وسلم وحاولوا اخفاء أمره صلى الله عليه وسلم بدد الله جمعهم وقتل سادتهم وأظهر أمره عليهم هو الذى ايدك بنصره وبالمؤمنين فى ذلك انهم أتتهم (خيل الى الحرب تختال) أى تتبختر بها راكبوها تيها وعجبا (والخيل) التفاقس وعليها الشجعان (فى الوغى) أى الحرب متعلق بقوله (خيلاء) أى كبر وترفع عن الوقوع فى وهدة او الاصطدام بنحو شجرة وهذا تذييل (قصدت فيهم) أى فى أبدانهم (القنا) أى الرماح جمع قناة وفى هذه الاستعارة المشهورة فى قوله تعالى جدارا يريد ان ينقض فأقامه ولا ينافى ذلك عد كثيرين له من أنواع المجاز باعتبار ان فيه اضافة الفعل الى ما لا يصح منه وهو الارادة التى هى من صفات الحى لان ذلك مبنى على تشبيه ميله للوقوع بارادته وهو الاستعارة مجاز علاقته المشابهة ومن ثم قيل زوج المجاز بالتشبيه فتولد بينهما الاستعارة وهل هى مجاز لغوى او عقلى خلاف والاصح الاول لانها موضوعة للمشبه به لا للمشبه ولا الاعم منهما فاسد فى رأيت اسدا يرمى موضوع للسبع لا للشجاع ولا للحيوان الجرىء (ف) بسبب قصدها لهم

(قوله بما خرج من فيه) فيه ان الفصل موته بما خرج من زبانه تدبر فكان الظاهر ان يقول بما خرج منه اعم من ان يكون من فيه او من زبانه (قوله صرعت قومه الخ) ولما فرغ من بيان عاقبة اليهود شرع فى بيان عاقبة ما يعمهم وغيرهم من اعدائه بقوله صرعت الخ (قوله هو بالكسر والمد) وبالفتح ايضا انتهى ابن عبد الحق وهمزته منقلبة عن واو ويقال ما دهاك اى ما اصابك (قوله جودة الرأى) يقال رجل داهية بين الدهى أى بين المكر وجودة الرأى (قوله ومن حيث تشبيه البغى) سيأتى ان هذا كله ليس من المكنية بل من اضافة المشبه به للمشبه (قوله وترشيحه) لعله وتجريده بقرينة قوله وجرد لها الخ (قوله ثلاث استعارات) صوابه ثلاث استعارات (قوله تشبيه البغى) فيه انه من اضافة المشبه به للمشبه فليس استعارة مكنية كما زعم الشارح فرد (قوله الشجعان) اى فالمراد بالخيل ركابها او المجموع اى الخيل وراكبوها كما يدل لذلك شرح قوله والخيل الخ (قوله فى الوغى) يكتب بالياء لا بالالف لان الالف قد تحقق انه مقلوب عن الواو وليس فى الاسماء اسم اوله واو وآخره واو الا الواو اسم لحرف هجاء انتهى له (قوله قصدت) اى ارادت الطعن فيهم الخ ضمن قصدت معنى دخلت فعدا بفى والا فهو يتعدى بنفسه (قوله جمع قناة) وتجمع على قنوات وقنى على فعول وقنا كجبال وكذا القناة التى تحفر انتهى صحاح

كانت (قوافى الطعن) اى الطعنات المشبهة بالقوافى فى تتابعها حال كون ذلك الطعن (منها) اى تلك الرماح (ماشانها) اى عابها وفى نسخة شانه اى الطعن (الايطاء) لانه لم يوجد فيها اذ السالبة تصدق بنفى الموضوع وهو تكرير القافية المتحدة لفظا ومعنى قبل عدد مختلف فيه عندهم المشبه به الطعنات الواردة على محل واحد من غير ان تؤثر التالية شيأ لم تؤثره المتلوة وهو معيب فى المشبه به لانه يدل على عى الشاعر وتقصيره والمشبه لانه يدل على قصر ساعد الشجاع وعدم تمكنه وتصريحه وهذا الحل أولى مما سلكه الشارح كما يعلم بتأمله ثم قوله ولكثرة ماعلت رماحهم فى أجساد عدوهم تأتى الطعنة الثانية مكان الاولى حتى كانهما واحدة لسرعة الطعن بقرب محله (وأثارت) أى رفعت تلك الخيل لما ركضت فى مهامه الحرب (بارض) العدو فى الاقطار الحجازية وغيرها حتى فى (مكة) فى غزوة الفتح لما ازدحمت قرب دخولها (نقعا) اى غبارا أظلم الجو حتى (ظن ان الغدو) أى وقته وهو ما بين صلاة الغداة وطلوع الشمس (منها) أى من أجل تلك الخيول التى اثارت ذلك النقع أو من أجل تلك الغبرة المفهومة من الغبار التى أثارتها تلك الخيول (عشاء) اى وقتها وهو مغيب الشفق الاحمر وقضية كلام الشارح بل صريحه ان المراد العشاء بفتح العين وفسره بانه ما بين الغروب والعتمة وفيه نظر وما ذكرته اولى واسلم مما تكلفه وفى قوله وأثارت نقعا تلميح الى قوله تعالى فى سورة العاديات فاثرن به نقعا وخلاصة شئ من هذه الغزوة التى حصل بها ذلك الفتح الذى هو اعظم فتوح الاسلام لان الله تعالى اعز به دينه ورسوله وجنده وحرمه وبلده وبيته واستبشر به اهل السماء وضربت أطناب عزه على مناكب الجوزاء ودخل الناس فى دين الله افواجا واشرق وجه الارض ضياء وابتهاجا وسببها انه وقع الصلح بالحديبية انه صلى الله عليه وسلم لا يتعرض لمن دخل فى عقد قريش وانهم لا يتعرضون لمن دخل فى عقده وكان ممن دخل فى عقده خزاعة وفى عقدهم بنو بكر وكانا متعاديين فخرج بعض بنى بكر وبنى خزاعة فاقتتلوا فامد قريش بنى بكر فخرج أربعون من خزاعة اليه صلى الله عليه وسلم يخبرونه ويستنصرونه فقام صلى الله عليه وسلم وهو يجر رداءه ويقول لا نصرت ان لم أنصركم بما انصر به نفسى ولما أحس أبو سفيان بمجيئهم جاء الى المدينة ليجدد العهد ويزيد فى المدة فابى صلى الله عليه وسلم فرجع فخرج صلى الله عليه وسلم فى عشرة آلاف ثم لحقه ألفان لليلتين من رمضان سنة ثمان فلما كان بقديد عقد الالوية والرايات ودفعها الى القبائل ثم لما نزل مر الظهران أمرهم ان يوقدوا عشرة آلاف نار فرآها أبو سفيان

اوسله

(قوله القافية) وهى الكلمة الاخيرة من البيت والراجح انها من المحرك قبل الساكنين الى آخر البيت فعلى القول الاول كلمة الايطاء هى القافية وعلى الثانى هى من الهمزة التى بعد اللام الى آخر الكلمة وخرج بتكرير القافية تكرير غيرها كتكرير آخر النصف الاول من البيت فى آخر بيت آخر فليس بايطاء (قوله قبل عدد مختلف فيه عندهم) اى العروضيين المعلومين من السياق والراجح كما فى شرح الخزرجية لشيخ الاسلام انه تكريرها فيما دون سبعة ابيات (قوله وهذا الحل اولى مما سلكه الشارح) عبارته وزاد الله تعالى فى اظهاره عليهم بخيله ورجله هو الذى ايدك بنصره وبالمؤمنين فجعل سيوف رجاله عاملة فى رقابهم ورماحهم فى نحورهم وصدورهم ذلك جزيناهم بما كفروا وهل يجازى الا الكفور ولكثرة ذلك منهم تاتى الطعنة الثانية فى موضع الاولى حتى كانها طعنة واحدة لفرط السرعة فى الطعن انتهى وما قاله الشارح اولى كما قال اذ هو اوفق بسياق المقام واظهر فى تادية المرام (قوله فى مهامه الحرب) جمع مهمه وهى المفازة البعيدة انتهى مختار (قوله الغبرة) بفتحتين انتهى مختار (قوله من الغبار) اى المفسر به النقع (قوله وقضية كلام الشارح الخ) ليس كما قال وعبارته رحمه الله تعالى والعشى والعشية والعشاء من غروب الشمس الى العتمة والغدو ما بين صلاة الغداة وطلوع الشمس ثم قال فى المعنى ولم تزل خيله تثير الغبار باراضيهم ومواضعهم حتى بارض مكة فى غزوة الفتح حتى صار يظن لكثرة كر الخيل عليهم وفرها وما أثاره ذلك من الغبار ان وقت الغداة وقت العشاء من اظلام الغبار انتهى فتامله فانه ظاهر لا تكلف فيه (قوله وبنى خزاعة) وفى نسخة الشارح بدله بنت خزاعة

أرسله قريش ليأخذ لهم أمانا فلقيهم بتجهيز صلى الله عليه وسلم اليهم فلما رأى تلك النيران
أنكروا أمرها فأدركه الحرس فأتوا به رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلم بعد تمنع وتهديد
فسأل العباس النبي صلى الله عليه وسلم اذ يظهر له شرفا في قومه فقال صلى الله عليه وسلم
من دخل دار أبي سفيان فهو آمن وقال للعباس احبسه عند حطم الجبل حتى ينظر الى
المسلمين وفي رواية أجلسه عند مضيق الوادي حتى تمر به جنود الله تعالى فيراها فحبسه
فمرت به القبائل كتيبة كتيبة وهو يسأل عن كل قبيلة فيسميها له العباس فيقول ومالي
ولها ولما مرت به كتيبة الانصار وصاحب رايتها سعد بن عبادة قال له سعد يا أبا سفيان
اليوم يوم الملحمة أي الحرب اليوم تستحل الحرمة أو الكعبة فبلغ ذلك النبي صلى الله
عليه وسلم فأمره على لسان علي كرم الله وجهه بدفع الراية لابنه قيس وأخبر أبا سفيان
انه لم يأمر بقتل قريش وان اليوم يوم المرحمة وان الله تعالى يعز قريشا وخشي سعد أن
ابنه يقع منه شيء أيضا فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فدفعها النبي صلى الله عليه
وسلم للزبير وكانت راية النبي صلى الله عليه وسلم في كتيبة المهاجرين مع الزبير أيضا فبعثه
ومعه المهاجرون وخيلهم وأمره ان يدخل من أعلى مكة وان يغرز رايته بالحجون ولا يبرح
حتى يأتيه كذا ذكره موسى بن عقبة وغيره وقول الشارح انه صلى الله عليه وسلم أمر
الزبير ان يدخل من كدا بالضم تصحيف وصوابه من كداء بالفتح والمد وقوله وأمر سعد بن
عبادة ان يدخل في بعض الناس من كدا بالفتح لم أره في الروايات المعتمدة بما يشهد له وانما
الذي صح انه صلى الله عليه وسلم دخل من أعلاها وخالد من أسفلها ورواية عكس ذلك
ضعيفة لا يعول عليها ولعل الشارح أخذ ذلك من الرواية الآتية عن مسلم وأنت خبير
بأنه ليس فيها نص بكدى ولا بكدا أو بعث خالد بن الوليد في قبائل ليدخل من أسفل مكة
ويغرز رايته عند أدنى البيوت وبعث سعد بن عبادة في كتيبة الانصار في مقدمة رسول
الله صلى الله عليه وسلم وأمرهم ان يكفوا أيديهم الا ان قوتلوا ولما دخل خالد من أسفل مكة
قوتل فقاتلهم حتى أدخلهم المسجد من باب الحزورة ثم كف ولما قال له النبي صلى الله
عليه وسلم قاتلت وقد نهيتك قال كففت يدي ما استطعت فقال قضاء الله خير وصح
في مسلم وغيره انه صلى الله عليه وسلم بعث على احدى المجنبتين خالد بن الوليد وبعث الزبير
على الاخرى وبعث أبا عبيدة على الذين بغير سلاح فقال يا أبا هريرة اهتف لي بالانصار
فهتف بهم فجاؤا فأطافوا به فقال لهم أترون الى أوباش قريش وأتباعهم ثم قال باحدى
يديه على الاخرى احصدوهم حصدا حتى توافوني بالصفا قال أبو هريرة فانطلقنا فما نشاء
ان نقتل واحدا منهم الا قتلناه فجاء أبو سفيان فقال يا رسول الله أبيحت خضراء قريش
لا قريش بعد اليوم فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم من أغلق بابه فهو آمن ومن هنا
أخذ الاكثرون ان مكة فتحت عنوة وبردائه صلى الله عليه وسلم لم ينص الاعلى أو باشهم
الذين من شأنهم الجهول والمبادرة بالقتال في غير محله وهذا كقوله من أغلق بابه فهو آمن

(قوله من دخل دار أبي سفيان) قال ابن مالك في شرح المشارق قيل انما أكرمه صلى الله عليه وسلم بهذا
القول لانه كان اذا أوذي بمكة
فدخل دار أبي سفيان كان آمنا
فجزاه بمثل ذلك (قوله كتيبة)
بالمثناة الفوقية أي الجيش والجمع
الكتائب (قوله فيقول ومالي
ولها) انظر ما المراد بذلك مع سؤاله
عنها فان سؤاله يقتضي تعلق
غرضه بالبيان وهذه العبارة
تقتضي خلاف ذلك فتدبر (قوله
بالحجون) بفتح الحاء وهو الجبل
المطل على مقبرة مكة المسماة
بالمعلاة وذلك هو كداء بالفتح والمد
فهذه أسماء لها واحد (قوله
من باب الحزورة) الحزاور الروابي
الصغار الواحدة حزورة انتهى
صحاح (قوله المجنبتين) أي بضم
الميم وفتح الجيم وكسر النون وهما
الميمنة والميسرة ويكون القلب
بينهما اهـ شرح مسلم للنووي
(قوله اهتف لي بالانصار) أي
ادعهم لي وخص الانصار لثقته
بهم ورفعا لمراتبهم (قوله فأطافوا
به) قال في الصحاح أطاف به أي
ألم به وقاربه انتهى (قوله أوباش
قريش) أي جماعتهم الاسافل
(قوله أبيحت خضراء قريش)
أي استؤصلت قريش بالقتل
وأفنيت وخضراؤهم بمعنى
جماعتهم ويعبر عن الجماعة
المجتمعة بالسواد والخضرة
ومنه السواد الاعظم انتهى
شرح مسلم النووي

ظاهر فى ان الكلام تماهو فيمن قاتل ليوافق الروايات الاخر المقيدة بذلك وبهذا يقوى ماذهب اليه امامنا الشافعى رضى الله عنه انها فتحت صلحا كما هو قضية التأمين الذى وقع منه صلى الله عليه وسلم لمن دخل دار ابى سفيان او اغلق بابه او دخل المسجد ولم يقع قتال من جهة اعلى مكة التى دخل منها صلى الله عليه وسلم والعبرة بها الا بغيرها على ان القتال الذى وقع فى غيرها انما كان دفعا لقتالهم كما مر وعلم مما تقرر فى القصة انه صلى الله عليه وسلم امرا كثر اصحابه بان يدخلوا من الحجون وهو كداء بالفتح والمد وكان معهم فى كتيبتهم الخضراء الكثيرة ما عليهم من السلاح راكبا على ناقته القصواء بين ابى بكر واسيد بن حضير وفيها المهاجرون والانصار لا يرى منهم الا الحدق من الحديد فرأى ابو سفيان ما لا قبل له به فقال للعباس لقد اصبح ملك ابن اخيك ملكا عظيما فقال ويحك انه ليس ملكا ولكنها نبوة قال نعم وامر بقية اصحابه ان يدخلوا من اسفلها وهو كدا بالضم والقصر ولذا قال (اجمت) اى كفت وامسكت (عنه) اى عند ذلك النقع الذى حصل بمكة لما اجتمعت فيها جنود الاسلام مع ما هم فيه من كثرة الخيل والسلاح الداخلون من اعلاها ومن اسفلها (الحجون) بفتح الحاء هو الجبل المطل على مقبرة مكة المسماة بالمعلاة وذلك هو كداء بالفتح والمد اى ان الفرقة التى كانت بالحجون وان اثارت فيه من النقع شيأ كثيرا لكنه قليل بالنسبة لما فى مكة فامسك عن محاكاة ما بمكة (وا كدى) اصله قلة الخير والمراد هنا قلة التراب (عنه) حال من كداء (اعطائه) أى كداء لتقدمه رتبة والمصدر مضاف للمفعول وفاعل الاعطاء النبى صلى الله عليه وسلم (القليل) من الناس مفعول المصدر الثانى (كداء) بضم الكاف والمد لغة قليلة فيه أى واقل غبار مكة كداء الذى هو أسفل مكة لان الفرقة الداخلين منه الذين أعطاهم النبى صلى الله عليه وسلم له كانوا قليلين وعجيب من الشارح حيث لم يبين لهذا الشطر معنى ملائما مع كونه أوهم ضبط كدا معنا بالفتح وهو فاسد لان المفتوح الحجون السابق فى الشطر الاول أو قريب منه كما يصرح به كلام أئمتنا فى المناسك وغيرهم فان قلت هذا البيت وان كان فيه ما لفظاً لطيفة من الجناس والمجاز من حيث التعبير بالمحل عن الحال والمجاز والاستعارة من حيث اسناد الاجمام والمنع اللذين هما من صفات الآدمى الى غيره على حد بيدا ار يد أن ينقض كما مر بيانه آنفا لكنه ركيك المعنى اذ لا حاصل له لانه من المعلوم ان ما بمكة من مجموع الفرقتين الداخلتين من أعلى واسفل وان ما من مجموعهما أكثر مما

(قوله القصواء) هى التى قطع من آذانها شئ قليل (قوله بالضم والقصر) ويجوز المد على لغة قليلة كما يأتى (قوله الذى حصل بمكة) الموافق لما سبق ان يقول قريب منه او لمكة تأمل فيقدر مضاف ليوافق ما سبق له أى بقرب مكة وكذا يقال فى نظيره الآتى ويحتمل انه اشار الى كثرة التراب يقرب مكة عند اجتماع الخيلين بها او كثرة كرها وفرها كما كان كثيرا عند اجتماعها قريبا منها الذى ذكره سابقا (قوله ان الفرقة التى كانت بالحجون) وكتب ابن عبد الحق فى حل البيت أى كفت عند ذلك النقع أهل الحجون عن القتال وامتنع أهل كداء عن القتال بعد قتالهم قليلا قال تعالى واعطى قليلا وأكدى أى اعطى قليلا من المال ثم امتنع من الباقى مأخوذ من الكدية ارض صلبة كالصخرة تمنع حافر البئر اذا وصل اليها من الحفر (قوله عجيب من الشارح) عبارة الشارح فى بحث اللغة ويقال اكدى الرجل عن الشئ اذا قل خيره وقوله تعالى واعطى قليلا واكدى أى قطع القليل ويقال اكديت الرجل عن الشئ اذا رددته عنه وكداء بالفتح والمد موضع باعلى مكة ينزل منه على الابطح ومقابر مكة يدخل منه الحاج وكدا بالضم والقصر موضع باسفلها يخرج منه الحاج قريب من قعيقعان ثم قال فى المعنى فكان ما حصل من النقع المتولد عن كثرة الخيل وكثرة كرها وفرها فيما فوق ما حصل بكداء وكدا بحيث لا يقاوم ما بالحجون ولا ما بكدا من النقع ما بمكة منه فقلة ذلك فيهما بالنسبة الى ما فى مكة كان ما فى الحجون اجم من مقاومة ما بمكة وكان كدا أتى من بشئ قليل أو لم يوجد فيه شئ من ذلك يصلح للمقاومة انتهى فتأمله فانه لا ايهام فيه مع ما تقدم (قوله لما فيه من الجناس) اى جناس شبه الاشتقاق بين اكدى وكداء والجناس المعنوى بين الحجون وكداء فالمراد بالجناس جنسه (قوله والمجاز من حيث الخ) لانه عبر بكداء واراد الحال فيه وهو الغبار (قوله وان ما الخ) اى وان التراب الذى من مجموعهما اكثر من التراب الذى من كل منهما

(قوله والتقدير ان الجون وكذا ابنعاهم الخ) استفادة المنع من الجون ظاهر لان اجمت بمعنى منعت واما استفادته من كذا ففيه نظر لان اكدى معناه قل ويدفع النظر بما تقدم عن ابن عبد الحق من ان اكدى يستعمل ايضا بمعنى امتنع (قوله وبين الجون وكذا اجناس معنوى) قال الحافظ السيوطى فى شرح بديعيته الجناس المعنوى كون احدى الكلمتين دالة على الجناس بمعناها دون لفظها وسبب استعمال هذا النوع ان يقصد الشاعر المجانسة لفظا ولا يوافقه الوزن على الاتيان باللفظ المجانس فيعدل الى مرادفه ومثل لها بامثلة منها قول دعبل فى امرأته سلمى انى احبك حبا لو تضمنه •
سلمى سميك ذلك الشاهق الراسى اراد ان يجانس بين سلمى امرأته وسلمى الجبل فلم يساعده الوزن فعدل الى سميك انتهى وهنا اراد ان يقول اجمعت عنده كداء بفتح الكاف والمد ليجانس كدا بضمها والمد آخر البيت الجناس المحرف وهو ما تماثل ركناه فى الحروف وتخالفا فى الحركات فيكون الشكل فارقا بينهما ومنه قوله صلى الله عليه وسلم اللهم كما حسنت خلقى فحسن خلقى فلم يساعده الوزن فعدل الى الجون المرادف له وما ذكر احد قسمى الجناس المعنوى المسمى بتجنيس الاشارة وهو ان يذكر احد المتجانسين ويشار الى الآخر بلفظ يدل عليه كقول الشيخ عبد الغنى النابلسى ٢٤١ يا حمزة اسمح بوصل • وامنن علينا بقرب

فى ثغرك اسمك أضحى

مصحفا وبقلبى

فقد ذكر أحد المتجانسين وهو لفظ حمزة وأشار الى الجناس فيه بانه مصحف فى ثغره أى خمرة بالخاء المعجمة والراء وفى قلبه أى جمرة بالجيم والراء وأما القسم الثانى المسمى بتجنيس الاضمار وهو مقصود أهل البديع فهو ان يضمر المتكلم ركنى التجنيس ويذكر ألفاظا مرادفة لاحدهما فيدل المظهر على المضمر كقول ابى بكر بن عبدون وقد اصطبح

٣١ - بخمر وترك بعضها الى الليل فاستحالت خلا الا فى سبيل اللهو بنت مدامة • أتتنا بطعم عهده غير ثابت حكت بنت بسطام بن قيس صبيحة • وامست كجسم الشنفرى بعد ثابت وبنت بسطام بن قيس اسمها الصهباء وقوله كجسم الشنفرى بعد ثابت أشار به الى قول الشنفرى يرثى خاله تأبط شرا واسمه ثابت بن خولة الفهمى وهو فاسقنيها أبا سواد بن عمرو • ان جسمى من بعد خالى لخل والخل الضعيف المهزول فصح لابن عبدون فى بيته جناسان مضمران أحدهما فى صدر البيت وهو صهباء وصهباء والثانى وهو خل وخل والشنفرى بفتح الفاء والراء بزنة كربلا ومن هذا القسم للخوارزمى فى غلام يعرف بابن برغوث بليت ولا أقول بمن لانى • اذا ما قلت من هو يعشقوه حبيب قلق عن رقادى • فان غمضت أيقظنى أبوه فقد أضمر ركنى الجناس وأظهر ما يرادف أحدهما وذلك لفظ أبوه وحصل الجناس المعنوى بين برغوث الذى هو الغلام وبرغوث اسم الحيوان المعروف ويحكى ان السلطان ابا زكريا يحيى بن عبد الواحد صاحب افريقية عرض مرة جنده وكان فيهم امرد وسيم اسم جده النعمان فسأله السلطان واعجبه حسنه فخجل واحمر وجهه فازداد حسنا فقال السلطان

• كلمته فكلمت صفحة خده • وسأل من الحاضرين الاجازة أى تكميل البيت فلم يأتوا بشئ فقال السلطان مجيزا الشطره

• فتفتحت فيه شقائق جده • وهذا من اللطف الاتفاقيات فى هذا الباب ومن أراد زيادة على ذلك فعليه بمطالعة ما ذكره =

من كل منهما ومثل هذا ليس له كبير جدوى قلت بل فيه معنى يستفاد وله جدوى لخفائه وهو ان دخولهم صلى الله عليه وسلم وأكثر أصحابه كان من الجون والبقية من كدا ووجه أخذه من النظم واضح فانه نص اعطاء القليل بكدا فدل على انه هو والكثير دخلوا من الجون ويصح ان يراد نفس البقعتين مبالغة وعليه فيصح ان يكون اجمعت معطوفا على أثارت بحذف حرف العطف ففيها ضمير هو الفاعل يعود على الخيل وان أكدى مبنى للمفعول والتقدير ان من قوة تلك الخيول انها قهرتهم حتى أما كنهم فكفت الجون ومنعت كدا والجون عن ان تقصر الا عليهما والتصور منهما ذلك لاسيما وخيل كدا كانت قليلة ويصح بقاء النظم على اعرابه الاول وهو ان الجون فاعل وان أكدى مبنى للفاعل وان المراد انه صلى الله عليه وسلم نصر عليهم نصرا باهرا حتى ان بقاعهم ساعدته عليهم والتقدير ان الجون وكذا منعاهم عن ان يعدوا أعينهم اليه صلى الله عليه وسلم أو الى أحد من عسكره وفى هذا وما قبله من المبالغة ما لا يخفى عظيم وقعه عند الفصحاء وبين الجون وكدا جناس معنوى (ودهت) أى اهلكت تلك الخيل

والخيانة (أوجبها) من الناس (بها) أى بمكة فقاتلت كما فى الرواية المصرحة بذلك المحمولة عليها الرواية المطلقة وكذا جماعة لم يقاتلوا لكن كانوا يبالغون فى ايذائه صلى الله عليه وسلم واظهار هجوه فأمر بقتلهم وان كانوا متعلقين باستار الكعبة وعدتهم ستة رجال وأربع نسوة (و) أهلكت (بيوتا) كان أهل مكة يرجعون الى أهلها (مل) أى منهم (منها الاكفاء) وهو فى الشعر المخالفة بين هجاء أواخره كان يكون بعضها ميما والآخر باء وهنا انكفاء تلك الوجوه على الناس لعلها بمحيها أو تجبيرها (والاقواء) أصله من قولهم منزل قواء اى لا أنيس به وأقوت الدار وقوت أى خلت ثم استعمل فى الشعر مرادا به ان تختلف حركات اعراب الروى وبما قررت به كلامه هنا وفيما قبله فى قصدت فيهم القنا الخ يعلم ان الناظم استعار القوافى للطعن المتتابع ورشح بذكر الايطاء ولم يذكر البيوت ترشيحا للبيوت الشعر المرشح بها وبذكر ما يختص بها من الاقواء والاكفاء الى الاستعارة الاولى وفيه مالو ريه ولف ونشر مشوش لانه رجع الاقواء للبيوت باعتبار لم بيوت الشعر والاكفاء للوجوه لان الرأس اذا قطع انكفأت الوجوه وتحولت واستعمل الاقواء فى الخلو من حيث بيت السكن وفى تغيير القافية من حيث بيت الشعر وكذلك الاكفاء من حيث تغيير حركة الروى (فى) بسبب ما حصل لاهل مكة من الخوف الذى ظنوا انه مهلك لهم عن آخرهم (دعوا) محمدا صلى الله عليه وسلم (أحلم البرية) بالهمز فى الاصل اى الخلق اى طلبوا منه يوم الفتح ان يعفو عنهم وأن لا يعاقبهم بما مضى منهم مما كانوا أوصلوه اليه من الايذاء الذى لا يتحمله غيره صلى الله عليه وسلم فاجابهم الى العفو قائلا لهم لا تثريب عليكم اليوم كما يأتى (والعفو) عن سأله (جواب الحليم) من حلم بالكسر اذا ترك الانتقام بحق (والاغضاء) أى ارخاء الجفون من الحياء وفى ذكر الحلم والعفو والاغضاء مراعاة النظير (ناشدوه) بدل من دعوا (القربى) اى حلفوه على ان يصل قرابتهم ويعفو عنهم أو بالقربى على حذف الجار اى حلفوه بالقربى التى بينهم وبينه ان يعفو عنهم (التى) وصلت اليه (من) ما آخر بطون (قريش) وهم ولد النضر بن كنانة أحد أجداده صلى الله عليه وسلم حال كون تلك القربى (قطعتها الترات) بضوقيتين جمع ترة وهى مصدر وتر اى قتل له قتيل ولم يترك دمه (والشحناء) اى التباغض والتحاسد الذى كان بينهم (ف) بسبب تلك المناشدة (عفا) صلى الله عليه وسلم (عفو قادر) لانه صلى الله عليه وسلم كان يسهل عليه ابادتهم عن آخرهم (لم ينغصه) اى لم يكدر ذلك العفو (عليهم) بسبب (ما مضى) منهم صفة اغراء تقدمت عليه فصارت حالا (اغراء) من أغريت الكلب بالصيد اى حثثته على اصطياده وهو فاعل ينغص اى لم يكدر عفوه عنهم اغراء سفهائهم وجهلائهم فيما مضى حال كونه منهم حتى بالقوافى ايذاءه بما لا يتحمله مخلوق كما تحمله صلى الله عليه وسلم وخلاصة ما أشار اليه الناظم انه صلى الله عليه وسلم لما كان الغد من يوم الفتح قام خطيبا فى الناس فحمد الله وأثنى عليه ومجده بما هو أهله

ثم

= النهامة الادبية على أفندى التلمى المكى فى شرحه لبديعيته ثم قال فى شرحه المذكور هذا كلام أرباب الفن فى هذا النوع وأنى السبق فى بديعيته وشرحها بتخيل غير مطابق لهذا التقرير قال النواجى لم أر احدا من البديعيين سبق الصفى الى ما ذكره والله اعلم من اين اخذه انتهى (قوله انكفاء تلك الوجوه) من اكفاه أى اماله وقلبه فانكفأ كما يؤخذ من القاموس وسياق الشارح قريبا بمعنى آخر حيث قال لان الرأس اذا انقطع انكفأت الوجوه وتحولت (قوله استعار) كان الظاهر شبه الطعن المتتابع بالقوافى لما علمت من انه من اضافة المشبه به للمشبه (قوله مشوش) انما يظهر ذلك على غير النسخة التى شرح عليها من تقدم الاقواء على الاكفاء واما عليها حيث قدم الاكفاء على الاقواء فهو من اللف والنشر المرتب فتأمل (قوله من حلم بالكسر) الذى فى القاموس بالضم ومثله فى المختار ثم ذكر ان حلم بالكسر بمعنى آخر حيث قال وحلم البعير كفرح كثر حلمه وحلم الجلد كفرح وقع فيه الحلم (قوله وهى مصدر وتر) فهو كوعد مصدره عدة والجمع عدات اه (قوله بسبب ما مضى) جعل الباء سببية فيه خفاء المعنى وجعلها بمعنى فى الظرفية واضح المعنى الا ترى الشارح فى حل المعنى صرح بفى حيث قال حال كونه منهم فيما مضى تأمل

ثم قال أيها الناس ان الله حرم مكة يوم خلق السموات والارض وهي حرام بحرمة
الله تعالى الى يوم القيامة لا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر ان يسفك بها دما أو
يعضد بها شجرة فان أحد ترخص فيها بقتال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقولوا له ان الله
أذن لرسوله ولم يأذن لكم وانما احلت لي ساعة من نهار اى من الفجر الى العصر وقد
عادت حرمتها اليوم كحرمتها بالامس فليبلغ الشاهد الغائب ثم قال صلى الله عليه وسلم
يا معشر قريش ما ترون انى فاعل فيكم قالوا خيرا أخ كريم وابن أخ كريم فقال صلى الله
عليه وسلم اذهبوا فانتم الطلقاء اى من الاسر والاسترقاق وفي رواية انه صلى الله عليه وسلم
قال لهم أقول لكم كما قال يوسف لاخوته لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم
الراحمين ومر هذا العفو وهذه الوصلة منه صلى الله عليه وسلم لهم بعد القطع انه ناظر
الى الله تعالى دون غيره (واذا كان القطع والوصل لله) كما هو حال النبي صلى الله عليه وسلم
تساوى) عند فاعل ذلك (التقريب) للاقارب والبعداء (والاقصاء) اى الابعاد للاقارب
والبعداء ولم يميز باحدهما قريب ولا أجنبي لان النظر لرضا الله وامتثال أمره لا غير وهذا
من القول البديع الجامع (وسواء) بفتح السين والمد ويجوز كسرها والقصر وهو فيهما
بمعنى مستو ويستعمل الاول بمعنى التمام ومنه سواء السائلين الى سواء الصراط و بمعنى
الوسط ومنه فى سواء الجحيم و بمعنى غير قليل ومنه فقد ضل سواء السبيل وهو وهم وانما هى
بمعنى وسطه (عليه) اى الذى تقريبه واقصاؤه لله لا غير واجل من اتصف بهذه المرتبة نبينا
صلى الله عليه وسلم لانه كان خلقه القرآن يرضى برضاه ويسخط بسخطه وهذا خبر مقدم
ويصح كونه مبتدأ (فيما أتاه من سواه) كلاهما حال من المبتدا أو الخبر وهو (الملام)
بالسب والتنقيص (والاطراء) اى المبالغة فى المدح حتى بغير الواقع اى سواء عليه اللوم
والاطراء حال كونهما مندرجين فيما أتاه من غيره من خير أو شر اى استوى عنده مدح
الغير وذمه لانه ليس ناظرا الى نفسه وانما نظره الى تصريف الحق فى خلقه بما أراده
منهم * (تنبيه) * ما وقع للناظم هنا من حذف همزة التسوية بعد سواء والعطف بالواو
هو ما درج عليه الفقهاء فى كتبهم وهو لغة وان كانت خلاف الاشهر الشائع من ذكر
الهمزة والعطف بأم وقد صرح فى الصحاح بتلك اللغة فقال تقول سواء على قمت أو قعدت
وكذلك فى القاموس قال وسواء تطلب اثنين سواء زيد وعمرو اى ذوا استواء من استويا
وتساويا وتماثلا وقد صرح سيبويه بالمسئلة أتم تصريح وأوضحها أكمل ايضاح فقال كما
فى البديع عنه اذا كان بعد سواء همزة استفهام فلا بد من أم اسمين كانا أو فعلين
وان كان بعدها فعلان بغير ألف الاستفهام عطف الثانى بأو وتقول سواء على قمت
أو قعدت وان كانا اسمين بلا ألف عطف الثانى بالواو وتقول سواء على زيد وعمرو وان كان
بعدها مصدران كان الثانى بالواو وأو حملا عليها اه فعلم صحة ما عليه الفقهاء واندفع
قول ابن هشام ان ذلك لحن وان ما فى الصحاح سهو وان قراءة أو لم تنذرهم من الشذوذ

(قوله بفتح السين والمد الخ) وهو منه بنفى التقدم

بكان اه فاستحضر ذلك فانه مهم (و) من ثم (لو) سرفيها الى بعث أوصاف قدمه صلى الله عليه وسلم ماينبغى مراجعته لعزته وتفاسته (اثاانتقامه) صلى الله عليه وسلم اى غضبه واستيفاءه الذى صدر منه كان (لهوى النفس) الامارة بالسوء والمطبوعة على التكبر على الغير وحب التميز عليه بما يظهره وينيله (المامت قطيعة) الرحم (وجفاء) اى ابعاد لهاولكنه لم يكن كذلك وانما كان لله تعالى فقطعهم حيث قطعوا ما أمر الله به ان يوصل ووصلهم غير ناظر لماسبق منهم من قتل أصحابه لاسيما بأحد والتمثيل بهم وشج وجهه وكسر رباعيته حيث وصلوه بامتثال أوامره واجتناب نواهيه وكيف لاوقد (قام) صلى الله عليه وسلم (لله) وحده لالهوى ولالحظ ولالرعاية رحم أوصديق وفى نسخة بالله اى مستعينا به (فى الامور) جميعها (ف) بسبب قيامه لله تعالى أو به (أرضى الله) تعالى (منه) صلى الله عليه وسلم وهو متعلق بالرضى أوحال من فاعله وهو (تبابن) لاعداء الله (ووئام) لاولياء الله تعالى من غير تعويل على حظ سوى رضاربه ولهذا كان (فعله) صلى الله عليه وسلم (كله جميل) لصدوره على اصح قوانين الاعتدال واحق موازين الكمال (و) لابدع فى ذلك اذ (كل) اى ما (ينضح) اى يسيل بما فيه على ظاهره (الاناء) عائد على متقدم الرتبة وهو (الاناء) اى لاينضح الاناء الابما فيه فن امتلأ اناء قلبه خيرا كانت افعاله المشبهة بما ينضحه الاناء كلها خيرا ومن امتلأ اناء قلبه شرا كانت افعاله كلها شرا وليس أحد متحليا بحلى هذه الصفات الباهرة الانبينا صلى الله عليه وسلم وهذا من التذييل ومنه قوله تعالى وهل نجازى الا الكفور ويصح ان يكون من التتميم وفيه التلميح الى المثل السائر وهو وكل اناء بمافيه ينضح (اطرب السامعين) اى أسرهم وأفرحهم ونشطهم الى محبته واتباعه وامتثال جميع ما برز من حضرته صلى الله عليه وسلم (ذكر علاه) لانهم يسمعون فلك رفعة تفوق رفعة الراح (يا) حرف استغاثة (راح) اى خمر مستغاث وانما قصد لاستعانة لان شاربها يستريح ويرتاح من هموم الدنيا مادام سكرانا بها (مالت) اى سكرت وتواجدت (به) اى الراح المستعار لذكر علاه فهو مذكر لفظا ومعنى فاندفع ما قد يقال الراح الخمر وهى مؤنثة وتذكيرها شاذ (الندماء) اى شاربو الخمر سموا بذلك لانهم يتنادمون اى يتخاطبون عليها بالاشعار التى فيها مدحها وفى هذا استعارة تصريحية واستعارة ترشيحية لانه شبه ذكر علاه فى اطرابه لسامعيه بالراح فى اطرابها الشاربها ثم قرن بذلك ما يلائم المستعار منه وهو ذكر الميل والندماء واعلم ان هذا الموصوف بهذه المعالى التى أطرب السامعين ذكر علاه هو (النبى الامى) نسبة الى الام وهو من لايكتب ولايقرأ المكتوب كأنه على أصل ولادة أمه أومثلها اذ الغالب فى النساء عدم الكتابة وقيل نسبة لام القرى اى مكة وقيل غير ذلك ومع كونه صلى الله عليه وسلم لايقرأ ولايكتب أطلعه الله تعالى على علوم الاولين والآخرين وجعله القدوة العظمى لكل مخلوق فى كل علم وحلم وحكمة وخلق حسن

(قوله عائد) اى الضمير المستتر لان الاناء فاعل ينضح فهو وان تأخر لفظا متقدم رتبة واما البارز فهو عائد على ما وهى متقدمة لفظا ورتبة (قوله من التذييل) وهو كالتتميم من المحسنات البديعية وحقيقته ان يأتى بعد تمام الكلام بجملة تشتمل على معناه تجرى مجرى المثل لتوكيد الكلام المتقدم كالآية وكقول النابغة الذبيانى

ولست بمستبق اخالاتلمه
على شعث اى الرجال المهذب

فالجملة الاخيرة من كل هى التذييل (قوله ويصح ان يكون من التتميم) وهو الاتيان بما اذا زيد فى الكلام التام أفاده حسنا وقد مثل له الصفى الحلى فى بديعيته بقوله

وكم بذلت تلطفا والطريف لكم
طوعا وأرضيت منكم كل مختصم

فقوله طوعا أفاد انه لم يبذل كرها (قوله ونشوة الراح) قال فى المختار النشوة السكر وقد نشى (كذا) والنشوة القابل من السكر وضيره والمراد هنا اللذة التى هى ملزوم ما ذكر أو حقيقتها بأن اجتابوا من شدة ما يحصل لهم من الطرب (قوله مستغاث) نزله منزلة العاقل فناداه ليغيثه من هموم الدنيا بسلبه ادراكه

وسائر أوصاف الكمال وأرادمن الاحاطة بجميع مصالح الدنيا والدين وقوانين سياسات
العالم ومتفرقات الشرائع وعوارف المعارف مالم يصل لشأوه مخلوق وهذا مقتبس من
قوله تعالى الذين يتبعون الرسول النبى الامى الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة
والانجيل الآيات (اعلم) الخلق جميعا حتى (من) اى الانبياء والمرسلين الذين (أسند) اى
روى (عنه الرواة والحكام) اى العلماء الذين يضعون كل شئ فى محله فهو من عطف
الاخص على الاعم ولما قدم كثيرا من أوصافه صلى الله عليه وسلم وأحواله وسيره ومغازيه
انتقل بطريق لطيف الى ذكر دار مولده وبعثته ودار مهاجره لانتهم سماتشرفا به على سائر
الامكنة والى ذكر زيارته وتأكيدها والاشارة الى انها من أفضل القربات وأنجح المساعى
وقد ألفت فيها كتابا حافلا لم أسبق الى مثله مشتملا على جميع مايتعلق بها وسميته الجوهر
المنظم فى زيارة القبر المكرم وفيه أبلغ الرد والتضليل لمن نازع فى ندبها بما يكون سببا
لسواد وجهه وتبابه فى الدنيا والآخرة الى فقال كانيا عن منة الله تعالى عليه باشارته
انه هيأ له أسباب تلك الزيارة من الزاد والراحلة الموصوفة بالصفات الحسنة الآتية
حتى كأنها مخاطبة له تقول اركب على ظهرى فانى أحملك ذهابا وايابا مع السلامة من
التعب والراحة من السير المتعب (وعدتنى) ذكر الموعود فى سيرها كما هنا وجب
اشتراكها بين الخير والشر وانما يقع التمييز بالقرائن وحذفه يعينها للخير ويعين للشر
أوعد (ازديانه) اى النبى صلى الله عليه وسلم افتعال من الزيارة وابدال الدال من التاء
فى نحو ذلك مطرد وهو منصوب بنزع الخافض اى بزيارته هذا (العام وجناء) اى ناقة
قوية من الوجن وهى الارض الصلبة (ومنت) اى أنعمت (بوعدها) اى بموعودها
(الوجناء) المذكورة وهذا كما علم مما وطأت به أولا كناية منه عن نيته الزيارة فى تلك
السنة واعداده ذلك المركوب لها فهو اخبار عن لسان حال ذلك المركوب وبما تقرر
من ان أل فى الوجناء العهد الذكرى اندفع قول الشارح بين وجناء والوجناء جناس
والعجب منه انه صرح مع ذلك بان أل العهد المستلزم لاتحاد اللفظين وان الاول هو عين
الثانى (أ) يليق بى ان أترك الزيارة وأتباطأ عنها (فلا انطوى) اى أحسن ان أضم
نفسى على تلك الوجناء التى منت على بما ذكر (لها) اى لاجلها ليسهل سيرها بى فان حسن
سير المركوب من حسن ركوب راكبه (فى) حصول (اقتضائيه) اى طلبى منها ذلك
الموعود فالمصدر مضاف للفاعل وهو الياء والهاء مفعوله فان أريدت الاضافة اليها أيضا
كانت هذه الاضافة غير صحيحة لانه اجتمع فيها آلتا تعريف وهو الاضافة الى كل من
الضميرين وقد قالوا لايجوز اجتماع آلتى تعريف على معرف واحد قالوا وانما جاز فى
اضافة الصفة من اسم الفاعل أو المفعول أو الصفة المشبهة وأمثلة المبالغة اقتران
المضاف دون سائر المضافات بال لان اضافة الصفة الى معمولها لاتفيد تعريفا بل تخفيفا
فليس هنا محذور اجتماع اداتى تعريف بخلاف بقية المضافات اه ثم جرى لنا قول

(قوله وتبابه) اى خسرانه قال
تعالى وما كيد فرعون الا فى تباب
(قوله يوجب اشتراكها الخ) قد
يقال ماذكر بعدها تصريح بما
علم من لفظها الوضعها الخير فلا
يعتد كره كونه مشتركة تأمل
(قوله من الزيارة) وأصله ازتيارة
بالتاء (قوله من الوجن) بسكون
الجيم لان فعله وجن من باب وعد
(قوله الصلبة) بضم الصاد
اى الشديدة (قوله فى حصول
اقتضائيه) اقتضى دينه وتقاضاه
بمعنى والاقتضاء مصدر اقتضى
وهو مضاف الى الفاعل ناصبا
للهاء ويقال اقتضائيه واقتضائه
اياه (قوله ثم جرى لنا الخ) أقول
يلزم منه جواز اضافة المضاف
الى شئ الى آخر ولم يسمع مثله

ان اضافة المصدر الى مرفوعه أو منصوبه غير محضة فعليه يجوز ما وقع فى النظم لانه لم يجتمع اداتا تعريف فتأمله اما اذا لم ترد الاضافة لها فواضح أو أريد بقاؤها على نصبها ففيه ارتكاب ضرورة اتصال الضمير مع امكان انفصاله (لتطوى) بالبناء للفاعل أو للمفعول والاول أولى اذ لا يلزم عليه زيادة ما بخلاف الثانى (ما) أى المسافة البعيدة التى (بيننا) اى بينى وبين ذلك القبر المكرم على الحال به أفضل الصلاة والسلام (الافلاء) جمع فلاة كما فى القاموس وعبارته والفلاة القفر أو المفازة لا ماء فيها ثم قال أو الصحراء الواسعة جمعه فلا وفلوات وفُلِىّ وفِلِىّ جمع جمعه افلاء اه وبه يندفع ما الشارح هنا وجوز الشارح فيه كسر الهمزة مصدرا أى المسير الى فلاة بعد أخرى ولا يلزم على بنائه للفاعل وان الافلاء جمع اتحاد الفاعل والمفعول لانهما مختلفان بالاعتبار بل وبالحقيقة اذا النظر فى تلك المسافة المطوية الى السير البعيد وفى الافلاء الى الامكنة المقفرة ولا شك ان السير غير محاله فتأمله وبين انطوى وتطوى جناس الاشتقاق كهو وشبهه بين مباركها والبركة وحاورتها والحوراء وحنين وحنت ونضت والانضاء والخلاص والخلصاء والآقتات (ف) وجناء (الوف) صيغة مبالغة من ألف كعلم متعلق بتطوى وكان القياس به لكن أظهر لافادة وصفها بهذا الوصف الممدوح (البطحاء) المعهود ذهنا وهى مكة وروابيها وأصل الابطح والبطحاء مسيل متسع فيه دقاق الحصى وهذا وما بعده لسان حاله أبرزه على لسان ناقته مبالغة فى أنه من تلك الاوصاف ما لو كان لراحلته ادراك لكانت مثله فيها لما تشاهد من باله (يعقلها) اى يزعجها ويقلقها (النيل) اى أرض مصر عن الاقامة بها مع انها وطنها ومرباها لشدة شوقها الى التملى بتلك الانوار والتعفر بتراب تلك الآثار وبين الالف والاجفال جناس الطباق (و) الحال انه (قد شف) اى شرب رطوبة جوفها أو انحل (جوفها الاظماء) اى شدة العطش فى طريقها فهى راضية بهذه المشقة المؤدية الى التلف فى جنب ما أملته فى تلك الحضرة من مزايا الانعام وخفايا اللطف ولاجل ذلك (انكرت مصر) لانها لا تؤمل فيها من تلك المواهب العلية معشار ما أملته فى تلك الحضرة الاحمدية والساحة المصطفوية (ف) بسبب هذا الانكار المسبب عن ذلك الامل (هى تنفر) بكسر الفاء وضمها اى تجد فى الهرب من مصر الى تلك الحضرات العلية (ما) مصدرية ظرفية (لاح) اى ظهر من أرض مصر (بناء لعينها أو خلاء) اى فضاء ولا ينافى هذا قوله بالوف البطحاء لانها ألفتها لتقطعها حتى تصل الى مطلوبها فعند توجهها اليه تجد فى السير وتنفر الى جهة مقصدها سواء لاح لها فى غير تلك

(قوله وبه يندفع ما الشارح) عبارته والفلاء والفلوات جمع فلاة وهى المفازة ونطق به المصنف على أفعال جمعا للقلة كاجمال وكانه اطلع على ذلك ويقال افلى القوم اذا صاروا الى الفلاة فيجوز أن يكون الافلاء فى كلام المصنف بكسر الهمزة لا فتحها مصدر الافلاء بمعنى صار الى الفلاة اى ليطوى الافلاء الذى هو المسير الى فلاة بعد أخرى ما بيننا من بعد المسافة وهذا أحسن (قوله وجوز الشارح فيه الخ) ان روى يطوى بالياء المثناة تحت تأمل (قوله يجفلها) بالجيم قال فى المختار جفل أسرع وبابه جلس والجافل المنزعج واجفل القوم هربوا مسرعين اه واما الحفل بالحاء المهملة فالجمع من الناس وهو فى الاصل مصدر حفل من باب ضرب كما فى المختار فليس فيه احفل بالهمز اه وظاهره ان اجفل لازم كجفل حيث قال واجفل القوم الخ وبخالفه ما فى النظم من تعديته وفى القاموس ما يفيد انه يستعمل لازما ومتعديا (قوله الاظماء) مصدر اظمأه اعطشه عطشا شديدا (قوله المصطفوية) هكذا فى عبارة غيره من المؤلفين وهو خلاف الصواب لان الالف المجاوزة لاربعة أحرف تحذف عند النسب كما فى الخلاصة وشرحها قال فيها

والالف الجائز أربعا ازل

ولم أر قولا بقلبها واوا فالصواب مصطفية تأمل (قوله مصدرية ظرفية) اى مدة ظهور (قوله ولا ينافى هذا) انما تتوهم المنافاة اذا أريد بالبطحاء الامكنة المتسعة وقد ذكرنا بقا ان المراد بها مكة فالفها مكة لا ينافى تفرقها من الفضاء الخالة ويجاب بان الفها مكة يقتضى ان تألف الفضاء الموجب الفه قطعه للوصول اليها وحاصل دفع التنافى الذى أشار اليه ان الفضاء الذى تنفر منه ليس هو الفضاء الذى فى مقصدها بل الذى قطعت مخافة ان تعاد اليه قبل نيل مرادها

الحالة بناء أو فضاء وفسر الشارح الخلاء بالحشيش الرطب ويوجه بتطبيق ماذكرته انها تجد
فى السير الى جهة مطلبها وان ظهر لها فى غيرها قوتها التى هو الحشيش الرطب وهذا فيه
من زيادة المبالغة ما لا يخفى عظيم وقعه ولكن يبعده مقابلته بالبناء بخلاف ماذكرته وقوله
أو المراد به ما بين ابنية مصر وهو أقرب اهـ وهو فى غاية البعد كما لا يخفى (فأفضت) من
الفضيض وهو الماء العذب أو السائل (على مباركها بركتها) هو أول محل على طريق
الحجاز تجتمع الحجاج فيه للتأهب لسفرهم ولذلك كان مجمعا عظيما يجلب اليه كل
ما يحتاجه الحجاج وسميت بذلك لان ماء النيل يأتى اليها فيمكث فيها زمنا طويلا وكانت فضاء
صرفا فعمر فيها القطب الربانى البرهان المتبولى من نحو سبعين سنة جامعا وجعل فيه
مجاورين يقرؤن القرآن فعادت بركته عليهم حتى ذكر بعض صالحيهم ممن أدركناه يوما
بالجامع الازهر انه اشتهى زيارة أمه بالعجم وهو ثم فاستأذن الشيخ فى السفر لذلك فلم يأذن
له ودخل الى خلوته والناس يقرؤن القرآن على بابها فرأى نفسه ببلده عند أمه فسلم
عليها وأقام عندها أربعة أشهر بعدها بالايام والليالى ثم اشتاق للشيخ فرأى نفسه
فى خلوته فخرج فرأى القراء قد قرؤا فى تلك المدة نحو ربع القرآن وهذا من بعض
كرامات الاولياء ان الله تعالى يطوى لهم الارض ويفسح لهم فى الزمن ووقع لهم من
نظائر ذلك ما لا يحصى وانكار اتساع الزمن القليل دون طى الامكنة تحكم لان كليهما
من حيز الكرامة فاذا جاز أحدهما جاز الآخر فتأمله ثم بنى الشيخ ثم الناس حوله ذلك
الجامع ابنية وبساتين لا تزال تتسع ببركته حتى صارت الآن قرية كبيرة اى فأفاضت
البركة على مباركة تلك الناقة من الماء العذب ما ارواها وارواكبها ومن معه (ف) بعد
البركة منازل الحجاج فى هذه الطريق أكثرها مشهور ولغالب الحجاج فلا حاجة بنا الى مزيد
بيانها هى (البويب) واغماجات النظم على هذا الابهام ان أفضت عام فى الكل وهو
غير مراد ان أراد به ماذكرناه فان أراد به انه من الفضاء اى فاتسعت على مباركة الناقة
بركتها المزيد سعتها صح عطف ما بعده عليه من غير حاجة الى التأويل الذى ذكرته ويعجب
من الشارح حيث حمله على المعنى الاول ولم ينبه على عطف ما بعده عليه الذى لا يصح الا
برعاية ماذكرته لان تلك المنازل أكثرها قفر معطش لا ماء فيه أصلا (فالخضراء)
وهى قريبة من المحل المسمى الآن بعجرود وفيه بئر ماء مسهل وبجانبها بركة ماء تملأ
من بيت المال يوم احتياج الحجاج اليها وكان ذلك من أصله حدث بعد الناظم وانما قلت
من أصله لان بركته معلومة الحدوث فى أوائل هذا القرن (فالقباب التى تليها) اى
المنازل السابقة اى الوادى المسمى بوادى القباب اى ذى الرمل المشبهة لارتفاعها
وبياضها بالقباب البيض الحسنة (فبئر النخل) وبجانبها بركة تملأ من بيت المال أيضا
وماؤها أحسن من الذى قبله بكثير ولذا قال (والركب قائلون) عندها اى مستريحون
وقت القيلولة (رواء) من الماء بكسر أوله جمع ريان أو ريا (وعدت ايلة) اى عقبتها

(قوله وفسر الشارح الخلاء الخ) وعبارة
الشارح والخلاء مقصور ومده الناظم لضرورة والحشيش
الرطب الواحدة خلاة وكأنها
انما تنكر الخلاء المذكور حالة
كونه مزروعا لكونها اعتادت
أن لا تأكل الخلاء الا فى الفلاة
لاجل دوام السير كأنها لا تأكلها
القلاة تنكر البناء ويجوزان
يكون المراد بالخلاء ما بين الابنية
مما لا بناء فيه من أرض مصر
وهذا أقرب (قوله فأفضت)
بالفاء (قوله ايلة) بفتح الهمزة
وسكون الياء وفتح اللام قال أبو
عبيد هى مدينة على شاطئ
البحر فى منتصف ما بين مصر
ومكة وقال البكرى سميت بايلة
بنت مدين بن ابراهيم عليه الصلاة
والسلام وروى ان ايلة هى
القرية التى كانت حاضرة البحر

(وحقل) محل بعدها قريب منها تسميه العامة مدورحقل (وقر) ليس هذا الاسم
مشهورا عند الناس اليوم (خلفها) اى الناقة لكونها جاوزته (فالمغارة) المنسوبة
الى شعب النبى صلى الله عليه وسلم (الفيحاء) اى الواسعة (فعيون الاقصاب) سميت بذلك
لكثرة ما فيها من القصب الفارسى (يتبعها النبك) هذا أيضا ليس بمشهور وفى القاموس
النبك بالنون فالموحدة بلد بين حمص ودمشق (ويتلو) النبك (كفافة) وبها قبر ولى
يسمى مرزوقا الكفافى مشهور البركة وله ذرية كثيرون مشهورون بالصلاح والصباح
فيه اعتقاد وتعظيم خارج عن الحد (العوجاء) اى المنحرفة عن جادة الطريق وجعل
الشارح كفافة مفعول يتلو والعوجاء فاعله فعليه هما محلان متغايران وفيه نظر لانه
ليس ثم محل يعرف بالعوجاء أصلا فالموافق للخارج ما ذكرته (حاورتها) اى حاورت
الناقة (الحوراء) فيما هى بصدده (شوقا) منها الى الناقة مشتاقة ومائرة اليه واثبات
الشوق للجمادات غير منكر لقوله تعالى لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا
متصدعا من خشية الله وان من شئ الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم وهذا
مانع لحمله على التسبيح بلسان الحال اذ لو كان مرادا لم يقل ولكن لا تفقهون الخ أحد
جبل يحبنا ونحبه (فينبوع) حاورتها شوقا أيضا وهى بلدة معروفة من جملة الحجاز الذى
هو مكة والمدينة واليمامة وقراها فقد ذكروا ان ينبوع هذه من جملة قرى المدينة
(ف) بسبب مجاورتها لهما (رقا الينبوع والحوراء) المذكوران منها السماء بهما ما يتعلق
بالزيارة ومشاهدتهما الزائرين (لاح) اى ظهر (بالدهنوين) اى فيهما تثنية دهنا اما
لكونه غلب اسمها وهو الدهنا لمحل قبيل بدر على مجاورها أو ان ثم محلين كل يسمى
بالدهنا (بدر) وهى الآن قرية عامرة بها عين كبيرة ونخيل ومحل الواقعة المشهورة به
التى أعز الله بها الاسلام مشهور يزار ويتبرك بمن دفن به من الشهداء وغيرهم وفى بدر
تورية مرشحة بلاح المناسب للمعنى الغير المراد وبقربه آية باقية من آياته صلى الله عليه
وسلم وهى سماع صوت هائل كصوت طبل الحرب فى الجو اشتهر على الالسنة ان هذا
لاجل نصرته صلى الله عليه وسلم والفرح بها وقد أنكره قوم فقالوا لا حقيقة وانما هى
أصوات الريح تسمع فى ذلك الوادى عند قوة هبوبها لان فى أوله جبلين عظيمين من الرمل
فاذا مشى الانسان بينهما وقوى عصف الريح سمع ذلك الصوت وقال آخرون من أئمة
المتأخرين بل له حقيقة لانا ذهبنا الى ذلك المحل وأقمنا به حتى سمعناه والجو ساكن لا ريح
به البتة وتكرر سماعنا له المرة بعد المرة اه وأقول وقع لى أيضا سماعه مرات متعددة
فى سفرات متعددة حيث لا ريح ولا حركة لدواب ولا مشاة ثم ولقد كنت فى بعضها مرافقا
لجمع جم من وجوه مكة ورؤسائها وعلمائها من المالكية والحنفية فجرى الكلام بينهم
فى ذلك فمنهم من أنكره ومنهم من أثبته ثم وقع الاتفاق على الذهاب لذلك المحل والرقى
الى أعلى أحد الجبلين ليحتاط بسبب ذلك الصوت فذهبنا وأقمنا عليه فجر وربع النهار

وقفن

ونحن لانسمع شيأ وقد هدأ الريح ولا أحد ثم غيرنا وايس لاحد منا شئ كذا في آخر الامر سمعنا ذلك الصوت الهائل مرة واحدة فقط فانصرفنا ومن المنكرين من رجع ومنهم من أصر على انكاره ولقد جاءنا فقيه ممن كان يؤذن ويؤم في مسجد البلد فقال خلف انهم ليلة الاثنين والجمعة يسمعون ذلك من أول الليل الى آخره وفي غيرهما لايسمعونه الا أحيانا فالله أعلم بحقيقة ذلك (لها) اى الناقة (بعد) وفي نسخة قبل ما لاح لها أرض (حنين) يقال انه جبل صغير قريب بدر فالظاهر ان الناظم اعتمد في هذا على ما هو مشهور في السنة العامة اذ لم يذكر في القاموس غير حنين المذكور في الآية الذي هو عين بين مكة والطائف وظاهر قول الشارح ان نسخة قبل أوضح لان حنينا بعيد راى لما ذكره الناظم مستندا لكن لايكفي هذا مع كون القاموس الجامع المستوعب لم يذكره الا كما مر (وحنت) اى تلك الناقة وما هي فيه (الصفراء) قرية معروفة منحرفة عن طريق أهل مصر لايمرون عليها الا عند ذهابهم للزيارة (ونضت) اى خلعت (برزوة) اى خبتها المشهور واسناد ذلك اليه والى ما بعده مجازى (فرابغ فالجحفة) محل بعد رابغ كان بلدة مشهورة لليهود فدعا صلى الله عليه وسلم ربه أن ينقل حمى المدينة اليها فكان لايمر بها أحد حتى الطائر الا حم وكان ميقات الحجاج المتوجهين من تلك الطريق كما صح به الخبر (عنها) اى عن تلك الناقة لما أنها استبشرت بقطعها لتلك الاماكن (ما) اى ثوب التعب الذي (حاكه) اى نسجه (الانضاء) اى الهزال شبه الهزال بحائك الثوب والثوب بأثر الهزال من حيث ان الهزال يوجب للبدن من التعب ما يعمه ويسترلونه كما يستر الثوب البدن ثم خيل له باثبات ما هو من لوازم المشبه به وهو الحياكة ورشح له بذكر الخلع فهو استعارة بالكناية يتبعها استعارة تخييلية وترشيحية (وأرتها) اى أبصرت تلك الناقة (الخلاص) من التعب (بئر) فاعل (علي) وهو آخر النبت الذي بعد رابغ الى مكة (فعقاب السويق) بعدها بقليل (فالخلصاء) اى المحل المشهور الآن بخليص فيه عين واسعة وبركة كبيرة (فهي) اى تلك الناقة (من ماء بئر عسفان) المشهورة (أو) من ماء عيون (بطن مر ظمآنة) اى عطشانة (خمصاء) اى جوعانة لان العادة ان الحجيج اذا وصلوا نحو عسفان اشتد شوقهم فاشتغلوا عن سقي دوابهم واطعامها الى أن يدخلوا مكة (قرب الزاهر) المشهور قبيل ذي طوى (المساجد) المعروفة بمساجد عائشة وبالتنعيم (منها) اى الناقة اى ان وصولها المساجد جعل الزاهر قريبا منها لان المسافة بينهما نحو ميلين (بخطاها) اى بسبب شدة قربها لما أحست بالوصول (فالبطء) الحاصل (منها وحاء) بالمهملة قبلها واو مفتوحة اى سرعة وكان مراده أنها لما أحست بالوصول انقلب بطؤها سرعة يعني أن بطأها زال وخلفته سرعة شديدة (هذه) المذكورات (عدة) غالب (المنازل) بين مصر ومكة التي عليها المعول لان بها تعلم طريق الوصول الى تلك المعاهد ويتضح سلوك الوافد ويشط بيانها القاصد (لاما) اى منازل القمر الثمانية والعشرون التي (عد

(قوله اى خبتها المشهور) الخبت المتسع من بطون الارض وخبت الجيش وخبت الجيش ويجوز ان يضاف صحراء بين الحرمين اهـ قاموس (قوله والثوب بأثر الهزال) الظاهر تشبيه ما غشى الناقة من أثر الهزال الذي هو التعب واسترخاء الاعضاء بالثوب على طريق الاستعارة المصرحة بجامع الشمول لان شمول الثوب للبدن حسي فالمناسبة كونه مشبها به على حد ما ذكروه في قوله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف فتدبر (قوله فالخلصاء) بسكون اللام (قوله الزاهر) مفعول مقدم والمساجد فاعل مؤخر (قوله غالب المنازل) الذي ذكره منها ثمانية وعشرون على عدد منازل القمر

فيه) ذكر مقدارا لفظا ما (السماك) الاعزل الذى هو من منازل القمر ولهم سماك آخر يسمى السماك الرامح لكنه ليس من المنازل (والعوّاء) منزلة من منازل القمر وهى خمسة انجم فلا يعتنى بهذه كالاعتداد بتلك (فكأ فيها) اى على تلك الناقة (ارحل من مكة) الى عرفة لان الحج عرفة كما صح به الخبر ولانها باب الملك الذى يقف بها السائلون ويلوذ به المحتاجون ثم الى مزدلفة للمبيت بها لانها نسك واجب أو مندوب او ركن كالوقوف أقوال اصحها عندنا الاول ولان فيها مقام الجمع الاكبر ومن ثم سميت جمعا وفى حديث فى سنده ضعف أنه صلى الله عليه وسلم دعا ربه فى عرفة أن يكفر عن امته الحج حتى التبعات فلم يستجب له فدعا بذلك فى مزدلفة فاستجاب له ثم الى منى للرمى والمبيت بها ثم الى بقية المشاعر التى حول مكة وبها (شمسا) اى حال كون تلك الناقة كالشمس فى ارتفاعها رفعة ما هى قاصدته وقوة سيرها لما عندها من عظيم الشوق فتشبيهها بالشمس استعارة بالكناية واثبات الشمس لها تخييل وذكر الرحيل والبيداء تجريد بملايم ما للمشبه الذى هو الناقة (سماؤها) اى تلك الناقة المشبهة بالشمس كما تقرر (البيداء) اى المفازة الواسعة تشبيه بليغ شبه الناقة بالشمس لما مر وشبه البيداء التى هى محل سيرها بالسماء التى هى محل سير الشمس بجامع السعة ولما ذكر مكة استطرد لذكر ما شرفها الله به على سائر البلاد فقال (موضع البيت) اى الكعبة بالجر بدل من مكة بدل بعض من كل وبالرفع خبر هى محذوف وعليه فمعنى كونها موضعه انه فى بعضها وفيه اقتباس من قوله تعالى ان أول بيت الآية (مهبط الوحى) نعت او بدل بعد بدل او معطوف بحذف العاطف على ما فيه من الضعف والشذوذ وكذا يقال فيما بعده اى محل نزوله على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث عشرة سنة والوحى لغة الاشارة وكل كلام خفى وشرعا ما جاء به النبى صلى الله عليه وسلم المبعوث عن ربه على لسان الملك او بالالهام او فى النوم او الالقاء فى الروع (مأوى) من أوى فلان الى منزله (الرسل) الكرام بل وسائر الانبياء ومر تعريف النبى والرسول اول الكتاب لانهما من بنى الا ج البيت كما فى حديث واستثناء صالح وهود لاشتغالهما بأمر قومهما لم يصح (حيث) ظرف مكان فهو كالذى بعده بدل مما قبله (الانوار) الالهية متنزلة تترى وتنوين هنا لان الاصح منع اضافة حيث الى المفرد اى تنزلها دائما على قلوب الطائفين والعاكفين والركع السجود (حيث البهاء) اى الحسن المعنوى المكنى به عن حصول ملايم النفس من الحكم والمعارف الفائضة على

(قوله على تلك الناقة) قال ابن قاسم على بمعنى على (قوله ارحل) جعل الشارح شمسا حالا يقتضى بناءه للمفعول ويصح بناؤه للفاعل ان لم تثبت الرواية بالاول وفاعله ضمير المتكلم وشمسا مفعوله ويفهم كونه راحلا مثلها بكونه عليها (قوله ومن ثم سميت جمعا) وقال فى النهاية سميت جمعا للاجتماع آدم وحواء بها اه قال الشامى فى سيرته جمع بفتح أوله واسكان ثانيه اسم لمزدلفة سمى بذلك للجمع بين صلاتى المغرب والعشاء فيها قاله البكرى (قوله فلم يستجب له) اى لم يعجل باستجابته أو لم يخبر بها (قوله وقوة سيرها) فى القسطلانى على البخارى انه جاء فى حديث انه صلى الله عليه وسلم سأل جبريل هل زالت الشمس قال لا نعم فقال ما معنى لا نعم قال يا رسول الله قطعت الشمس من فلكها بين قولى لا نعم مسيرة خمسمائة عام اى بين قولى لا وبين قولى نعم (قوله استعارة بالكناية) الظاهر أنه تشبيه بليغ للجمع بين الطرفين فان ادعى انفصال الشمس عن ضمير الناقة فلا يجمع نظر فى قوله بالكناية لان المذكور هو المشبه به والاستعارة بالكناية أن يذكر المشبه وقوله واثبات الشمس الخ ظاهر الفساد لان التخييلية أن يثبت لازم المشبه به لانفس المشبه به تأمل (قوله اى تلك الناقة) أو تلك الشمس المشبه بها الناقة تأمل (قوله بدل بعض من كل) غير ظاهر لان الموضع نفس مكة لا بعضها فكان الظاهر بدل كل من كل وكذا يقال فى مهبط الوحى ويجاب بانه أراد بموضع البيت الجزء من أرض الحرم اهل المسجد الذى فيه البيت بقرينة قوله فمعنى كونها الخ وبالمهبط الجزء من مكة الذى وقع فيه الايحاء وعليه فيصح كونه بدل بعض ويحتاج لتقدير ضمير عائد لمكة فيهما حينئذ اى منها الشرط فى بدل البعض (قوله مهبط الوحى) اى غالبا والا فقد هبط عليه الوحى فى غيرها أيضا

اهل هذه الحضرة الالهية والمعاهد الربانية حقق الله لنا ذلك فيها بمنه وكرمه آمين ورعاية التطهير بذكر الوحى والرسل والانوار والبهاء وكذا الطواف وما بعده فيما يأتى (حيث فرض الطواف) فى حج او عمرة وأما خارجهما فهو حيث لم ينذر سنة مؤكدة وورد فيه فضائل جمة تحمل من أحاط بها على مزيد الاكثار منه بل قال بعض أئمتنا انه للغرباء افضل من الصلاة لانه عبادة خاصة بهذا المحل لا توجد فى غيره واختلفوا فى أيها افضل اركان الحج هو أو الوقوف بعرفة فقال جمع هو لانه ملحق بالصلاة فيشترط فيه شروطها بخلاف الوقوف فانه امر عادى لا يشترط فيه شروط ولذا لم يقبل الصرف وقال آخرون بل الوقوف لحديث الصحيح الحج عرفة اى معظمه ذلك لان من ادركها ادركه بخلاف الطواف ولانه المتكفل بمغفرة الذنوب وقضاء المآرب كما فى الاحاديث الصحيحة ولانه يشترط وقوعه حال الاحرام المشعر بغاية الذل والافتقار بخلاف بقية الاركان وهذا أصح كما حررناه فى كتبنا الفقهية (و) حيث (السعى) اى فرضه فى احدهما ايضا بناء على أنه ركن لا واجب كما هو مذهب الامام الشافعى رضى الله تعالى عنه (و) حيث (الحلق) او التقصير فى احدهما ايضا اى فرضه بناء على الاصح عندنا أنه ركن (و) حيث (رمى الجمار) اى ايجابه لا على جهة الركنية (و) حيث (الاهداء) اى سوق الهدى الى مكة ثم ذبحه بها وتفرقته على ثلاثة من مساكينها القاطنين والغرباء والاولون اولى الا أن يكون الغرباء احوج والمراد بمكة كل الحرم وهذا محله ان تقرر ذلك لان المعروف من مذهبنا الذى هو مذهب الناظم أن اصل الاهداء سنة ولو لغير الحاج ومن ثم كان صلى الله عليه وسلم يرسله اليها من المدينة وهو مقيم بها الا واجب وهذه السنة كانت فى زمن السلف من مشاهير السنن ثم تناساها الناس وأعرضوا عنها بالكلية ويصح أن يراد بالاهداء كل دم وجب فى النسك او فواته أو بسببه كالحلق تعديا ام لا كالتمتع وموضع تفاصيل ذلك كله كتب الفقه والمناسك وذكره الفرض فى الطواف فقط موهم أنه فرض دائما فلا يتنفل به وان ما بعده ليس بفرض مع أن منه ما هو ركن ولا يتصور نفله ولا وجوبه فى النسك وهو السعى والحلق وما هو واجب لا ركن وهو الرمى وما هو واجب تارة وهو ما حصل لترفه أو جناية ومندوب اخرى وهو ما فعل تطوعا اى من غير سبب وكأن الناظم وكل امر هذا التفصيل الشهرة أو انه ليس بصدد بيان ذلك (حبذا حبذا) تأكيد لفظى وهو سائغ هنا ومر أول الكتاب الكلام على حبذا بما فى مراجعته (معاهد) جمع معهد وهو فى الاصل المنزل الذى يعود اليه مفارقوه دائما وهذه المواضع كذلك لان من فارقها فهو عائد اليها بالفعل تارة و بالعزم اخرى (منها) اى مكة واشتملت على بقيتها كالكعبة ومسجدها ودار خديجة و الصفا والمروة ومحل ولادته صلى الله عليه وسلم وغير ذلك من المواضع المأثورة بها او بالحرم كمنى ومزدلفة بل وخارجه كعرفة (لم يغيرآياتهن) اى علاماتهن الدالة على شرفهن من تعظيم لاماكن وازدحامهم على التبرك بزيارتهن

(قوله من أوى فلان) قال فى المختار أوى الى منزله بأوى كرمى يرمى أويا على فعول اى نزل به وآواه غيره ايواء أنزله به (قوله وهذا أصح) رأى فى شرح م ر على المنهاج نقلا عن ابن عبد السلام فى فصل فيما يختم به الطواف خلافه وعبارته والطواف افضل اركان الحج حتى الوقوف وهو المعتمد وان نظر فيه الزركشى بأن أفضلها الوقوف لخبر الحج عرفة ولهذا لا يفوت الحج الا بفواته ولم يرد غفران فى شئ كما ورد فى الوقوف فالصواب القطع بأنه أفضل الاركان فقد صرح الاصحاب بان الطواف قربة فى نفسه وجعله الشارع بمنزلة الصلاة التى هى أعظم عبادات البدن بعد الايمان بخلاف الوقوف وقد يقال ان الطواف افضل من حيث ذاته لانه شبيه بالصلاة وقربة مستقلة والوقوف افضل من حيث كونه ركن الحج لفواته به وتوقف صحته عليه واختصاصه به ويحمل كلام ابن عبد السلام على الاول والزركشى على الثانى انتهت عبارته (قوله وهذا محله الخ) انما يظهر لو ذكر وجوبه قبل قوله مثلا وحيث الاهداء اى فرضه كما قدر فى الذى قبله تأمل

(قوله بفتح الباء) ويجوز كسرها وعليه فالمد ضرورة (قوله اى طول المدة) كان الظاهر فى الحل أن يقول اى بسبب طول الخ
لان البلاء يتسبب غالبا عن طول المدة لا أنه نفسه فتأمل (قوله اظهر حرمتها) وأما نبينا صلى الله عليه وسلم

والقيام بحقوقهن (البلاء) بفتح الباء اى طول المدة الذى من شأنه أن يغير الاشياء التى عليه وذلك لان الله تعالى صانها من التغير لحرمتها لديه وفضلها عنده وليستمر لهذه الامة التمتع بها الى آخر الدهر (حرم) محرم بحرمة الله تعالى من يوم خلق الله السموات والارض كما فى الحديث الصحيح وحديث ان ابراهيم حرم مكة المراد به أنه أظهر حرمتها التى كانت خفيت على الناس فلا تعارض بين الحديثين وهذا بدل من موضع البيت بدل كل من بعض على حد جنات عدن فى مريم بناء على اثبات ذلك البدل كما هو رأى قوم قالوا به ولم ينظروا لانكار الجمهور له ولا لمن منع الاستدلال بالآية نظرا الى أن أل فى الجنة للجنس فيصدق بالجمع ايضا فلا بعض يتحقق يبدل منه الكل أو العهد الخارجى لانه لا خارج حتى يكون معهودا او الذهنى لان مدخول اللام حينئذ بمنزلة النكرة وهى موضوعة للفرد وكأن وجه عدم نظر مثبت ذلك البدل لما ذكر من وجوه المنع أنه نظر الى أن جنات عدن علم على الجنان الثمانية الموجودة الآن والجنة حيث أطلقت انما يتبادر منها واحدة من تلك الثمانية فصح ادعاء أنه بدل كل من بعض بهذا الاعتبار واما تجويز أنه بدل كل من كل فقد نظر الى أن جنات عدن علم كما تقرر وموضوعه شخصى فيكون ابدال علم من نكرة وذلك أقرب الى كونه بدل كل من كل فقد يجاب عنه بان هذا المدلول الشخصى أكثر فى الخارج من مدلول النكرة الذى هو الفرد المنتشر وذلك اقرب الى كونه بدل كل من بعض منه الى كونه بدل كل من كل وبهذا الذى قررته مما يكفى مثله فى اثبات ذكر الرأى المخالف لرأى الجمهور يندفع ما أطال به السيد من التشنيع على من أثبته كيف وقائله لا يبعد توجيه كلامه بنحو ما ذكرته وكل ما قرب مأخذه بل أو احتمل لا تشنيع به على قائله ويجوز فيه العطف نظير ما مر وانه خبر مبتدا محذوف وحدوده معروفة فى كتب الائمة وعند أهل تلك الاماكن من اكثر نواحيه (آمن) اى يؤمن فيه من شن الغارات واستباحة الحرمات بل كان الانسان يرى قاتل أبيه فيه فلا يتعرض له ولما دخله الطوفان لم تصل فيه دابة على دابة وكان رجل من قوم ابرهة فيه فلم يصبه من رمى الابابيل شئ حتى خرج منه هذا فى الجاهلية وأما بعد بعثته صلى الله عليه وسلم فالمراد آمن صيده وشجره ونباته وكذا لقطته وترابه من أن يتعرض أحد اليها بقتل أو قلع أو قطع أو تملك أو نقل الا ما استثنى وهذا مقتبس من قوله تعالى حرما آمنا وفيه كبيت حرام الآتى نوع تلميح (وبيت حرام) اى ذو حرمة باهرة وعزة قاهرة وهذا اقتباس من قوله تعالى جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس (ومقام) بفتح الميم هو مقتبس من قوله تعالى فيه آيات بينات مقام ابراهيم وهو الحجر الذى نزل لابراهيم الخليل صلى الله على نبينا وعليه وعلى سائر الانبياء والمرسلين من الجنة كما صح به الحديث ليقوم عليه عند بناء الكعبة اذا طال

فقد انشأ تحريم المدينة قال بعضهم ويشكل هذا المقام بأن الاحكام كالحرمة اما أن تكون عبارة عن مجرد الخطاب اى الكلام النفسى اومع قيد التعلق التنجيزى فان كان الاول لزم أن يكون كل من حرمة مكة وحرمة المدينة يوم خلق السموات والارض بل قبل ذلك لان الخطاب المذكور قائم قديم وان كان الثانى لزم أن لا تتحقق منهما الا عند وجود المكلفين بشروط التكليف اذ التعلق التنجيزى لا يتحقق الاحينئذ فتأمل (قوله بدل كل من بعض) واختار السيوطى فى الاتقان وفى الهمع ثبوت هذا القسم خلافا للجمهور فان اريد بموضع البيت جميع الحرم كان بدل كل من كل (قوله على حد جنات عدن) وعلى حد قول الشاعر

رحم الله اعظما دفنوها
بسجستان طلحة الطلحات

حيث ابدل من اعظما طلحة وهى بعضه (قوله فصح ادعاء أنه بدل الخ) هكذا بخطه رحمه الله تعالى وهى عبارة مقلوبة وصوابه كل من بعض لانه المدعى (قوله لا تشنيع به) انظر هذا مع ما يعرض لك فى كلامه من التشنيع على الجوهرى فيما هو ظاهر الصحة فضلا عن الاحتمال (قوله من شن الغارات) يقال شن الغارة عليهم وأشنها اى فرقها عليهم من كل وجه

البناء فكان يعلو به الى أن يضع الحجر فى محله ثم يقصر به الى أن يتناول الحجر من اسمعيل صلى الله عليه وسلم (وفيه أثر قدميه) الكريمتين وهو الذى نادى عليه لما فرغ من بناء الكعبة أيها الناس ان الله تعالى بنى لكم بيتا فحجوا اليه فسمعته النطف فى الاصلاب والاجنة فى الارحام فأجابوه بلبيك وفى رواية أنه نادى بذلك على الحجون ولا تنافى لاحتمال أنه نادى مرتين قال الائمة وبقاؤه من غير أن يتعرض له أحد فى الجاهلية ومع كثرة السيول التى كانت تدخل الحرم وتزحزح ما هو أكبر منه بأضعاف مضاعفة من آيات الله تعالى الباهرة واختلفوا فى موضعه الموجود فيه اليوم هل هو الذى كان به فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم أولا وانما كان عند باب الكعبة فرده عمر رضى الله تعالى عنه الى موضعه اليوم اجتهادا منه قولان أصحهما الاول ومن الغرائب ما قيل المراد الحجر الذى وضع الخليل عليه رجليه لما جاء بعد موت هاجر ليزور اسمعيل فرآه غائبا فسأل عن حاله زوجته فشكت فقال مرى زوجك أن يغير عتبة بابه فجاء فأخبرته فطلقها ثم جاء وقد تزوج أخرى فوجده غائبا فسألها عن حالهم فأثنت ثم أمرها بالنزول لتطعمه فأبى فوضعت له حجرا ليغتسل عليه فوضع قدميه عليه وأمالت له رأسه فغسلت أحد شقيه ثم حولته فغسلت الاخرى فيه ثم قال لها مرى زوجك فليلزم عتبة بابه (فيه) اى البيت أو الحرم ولا يصح عوده للمقام تأمل ومن دخله كان آمنا (المقام) بضم الميم وجوز بعضهم فتحها اى الاقامة (ثلاء) بفتح الفوقية اى بجوار محل تنزل الرحمات وافاضة المثوبات وكأنه أخذ هذا من أن أهل مكة يسمون جيران الله اى بيته وحرمه والعجب من الشارح حيث لم يبين معنى هذه اللفظة مع خفائها واشتراكها بين معان كما فى القاموس لا يناسب منها هنا الا هذا وبين حرم وحرام جناس الاشتقاق كما هو أو شبهه بين مقام والمقام وما يأتى من قضينا والقضاء وربما وورى وتنشر وتنشر وشمت وشمت وقبلها وقبله ورحضها والرحضاء وخططنا وبحط وقرأنا والاقراء وسعينا ويسعى وذهلنا وأذهل (قضينا) اى أدينا اذ القضاء يطلق على الاداء لغة كما فى قضيت الدين (بها) اى بمكة وما نسب اليها كعرفة ومزدلفة ومنى (مناسك) جمع منسك من النسك وهو العبادة اى أركان الحج والعمرة وواجباتهما وسننهما (لا يحمد الا فى فعلهن القضاء) اى لا يحمد الاداء حمدا مخصوصا فى فعل عبادة الا فى فعلهن كيف وقد تميزت بيد الحج المتكفل بالجنة من غير عمل آخر وبخروج فاعله من الذنوب كيوم ولدته أمه وبكونه أشعث أغبر وبمنعه من مألوفاته الحسية والمعنوية وبفراقه لاهله ووطنه وبتكفير تبعاته على ما فيه من الخلاف المذكور وبكونه لا يضع قدما أو يرفعها الا كتب الله له من الثواب ما لا يحيط به الا المتفضل به وبقولى مخصوصا يندفع ما يورد على الناظم أن غير الحج الافضل منه والمساوى له والمفضول عنه يحمد فاعله أيضا * (تنبيه) * ما قررت به قوله قضينا والقضاء

(قوله وفيه أثر قدميه) اى الخليل الكريمتين تقدم عن الحافظ السيوطى أنه لم يثبت تأثير قدمى نبينا فى الحجر وهو لا ينافى ثبوت ذلك للخليل فحرر (قوله أنه نادى مرتين) لم يعلم من كلام الشارح الا كون احدى المرتين على الحجون ولم يعلم منه أن الاخرى فى اى محل وانما يظهر لو قال الشارح عليه بعد قوله وهو الذى نادى ويكون عنده ثبوت رواية نداء ابراهيم المذكور على الحجر تأمل ثم رأيت فى نسخة ذكر عليه كما ذكرته الحمد وفى البيضاوى أنه صعد أبا قبيس وقال يا أيها الناس الخ وقال القرطبى فى المفهم انه نادى بذلك فى عرفة وعليه فيقال فى دفع التنافى يحتمل أنه نادى مرات (قوله فشكت) اى ولم تعرف قدر الخليل (قوله فأخبرته) فقال لها انت العتبة وشبهها بها بجامع حفظ الباب وصونه وكون كل محلا للوطء العتبة بالقدم والزوجة بالجماع (قوله ثم امرته) اى قالت له يا صبيح الوجه انزل لتطعم فأبى (قوله وبتكفير تبعاته) على ما فيه من الخلاف والمعتمد تكفيرها ان مات فى حجه أو بعده وقبل تمكنه من أدائها (قوله وبقولى مخصوصا يندفع الخ) وعبارة ابن عبد الحق اى لا يحمد الاداء الا فى فعلهن لا فى تركهن فالحصر اضافى اه انظره فان المعنى عليه ان الاداء لا يحمد فى تركهن فما معنى كون الاداء فى الترك وانما يظهر لو كان التعبير لا يحمد الا فعلهن اى لا تركهن تأمل

يندفع ما للشارح هنا ومن جملته قوله لا يفسر القضاء آخر البيت بالفعل ويتعين أنه الفراغ أو ضد الأداء فتفسير القضاء بالفعل ليس معناه لغة ولا شرعا وعلى الثاني لا يتصور في الحج ومن قوله أو ضد الأداء على أن استعمال القضاء بمعنى الأداء أشهر من الثاني لغة وشرعا وقد حقق بعض المتأخرين أن القضاء لا يتصور في الحج لأنه ما فعل خارج وقته والحج وقته العمر وتضيقه بخوف عضب أو موت لا يقتضي أنه لو بان الامر على خلاف ظنه يكون قضاء فيما بعد ذلك الوقت الا على الوجه الضعيف في نظيره في صلاة تضيق عليه فعلها في الوقت ثم بان خلاف ما ظنه أنها تسمى قضاء وان فعلت في الوقت وليس كذلك بل المعتمد خلافا للكثيرين أنها أداء كما اتفق عليه الاصوليون أن القضاء ما يفعل خارج الوقت المقدر له شرعا ●(تنبيه)● ثان لا يتوهم أن ما وقع في النظم من تقديم المستثنى المختلف فيه لان محل ما قاله الجمهور من منع تقديمه انما هو اذا كان أول الكلام نحو الا زيدا قام القوم وجوزه الكوفيون فان تقدم على المستثنى منه وعامله فقط ففيه مذاهب والذي عليه الاخفش وصححه ابو حيان جوازه ان كان العامل متصرفا فقط نحو

● ألا كل شيء ما خلا الله باطل ● فالاستثناء من ضمير باطل العامل في ذلك الضمير وما هنا لا تقدم فيه على مستثنى منه لانه مقدر كما قدرته ولا على عامله وانما هو على حد

● اذا لم يكن الا النبيون شافع ● وحكى سيبويه مالي الا ابوك احد قال فيجعلون احدا بدلا وابوك مبدل منه قال ابن عصفور ولا يقاس على هذه اللغة وقد قاسه الكوفيون والبغداديون وابن مالك وعليه فلا اعتراض على المتن (ورمينا بها) اى الناقة (الفجاج) جمع فج وهو الطريق اى ألقيناها في التسير بنا (لى طيبة) هي المدينة على مشرفها أفضل الصلاة وأزكى السلام سميت بذلك لان الله تعالى طيبها لرسوله صلى الله عليه وسلم فجعلها دار هجرته ومحل نصرته وموضع تربته ولها اسماء كثيرة جدا (والسير بالمطايا) جمع مطية وهي الدابة تمطو اى تجد في سيرها (رماء) مصدر راميته اى يشبه سير السهم اذا رمى به (أ) بسبب أن سيرها يشبه سير السهم أشبهت القوس وحينئذ (أصبنا عن قوسها غرض القرب) اى المدينة المشبهة بالغرض في كونه المقصود بالرمي أو السير فتشبيه الناقة بالسهم استعارة بالكناية واثبات الرمي استعارة تخييلية وذكر القوس والغرض ترشيح ويصح كونها أشبهت بالقوس فهي استعارة بالكناية ايضا واثبات القوس لها تخييل وذكر السهم

(قوله يندفع ما للشارح هنا) عبارته نقضينا اى فعلنا فان القضاء يطلق على الفعل وعلى الفراغ من الشيء ويصح هنا اى فرغنا تلك المناسك وهي جمع منسك والنسك العبادة والمراد الافعال المتقدمة وما يعتبر معها من وقوف عرفة ومزدلفة ومبيت منى والقضاء آخر البيت بمعنى الفراغ ولا يصح أن يكون بمعنى الفعل ويصح فيه أن يراد به القضاء الشرعي الذي هو ضد الاداء فان الاداء الشرعي ما فعل خارج وقته والعصر على الاول والثاني لا يشكل وقد يقال في جوابه دفعا للاشكال على المعنى الاول أنه لا يبعد فراغ العبادة مع بقاء وقتها الا في الحج فان تأخر الطواف والسعي الى بعد أيام التشريق وان صح مفضول بالنسبة الى فعله قبل وان كان الوقت باقيا بخلاف الصلاة مثلا فانه ما دام وقتها لاستمرار فيها افضل من فراغها ويكفي في دفع الاشكال أن يصح العصر ولو في صورة اه وما بينه الشارح ابن حجر كلام الناظم هو الظاهر واعتراضه على الجوهري في تفسير القضاء بضد الاداء في محله ثم اعتراضه تفسيره بمعنى الفراغ يمكن دفعه باستعماله القضاء لغة بمعنى الفراغ ومنه قضى الامر (قوله الفجاج) بكسر الفاء وضمها (قوله طيبها لرسوله) اى وطيبها بنوافح أسراره (قوله رماء) هو بكسر الراء ويقال في مصدره مراماة أيضا كقاتل قتالا ومقاتلة والمراد هنا أصل الفعل اى الرمي (قوله اى يشبه الخ) أشار الى استعارة بالكناية بتشبيه سير الناقة بسير السهم بجامع قطع المسافة باصابة الغرض واثبات الرمي له استعارة تخييلية (قوله أشبهت القوس) اى لتقويسها او تعويجها ضعفا لتعاب نفسها في السير لفوز والاصابة بمقصدها الاسنى وسيأتي في الشرح تشبيهها بالسهم اى بجامع قطع المسافة لاصابة الغرض فالتشبيه جهتان فمن جهة تقوسها لشدة سيرها تشبه بالقوس ولقطعها المسافة لذلك تشبه بالسهم (قوله فهي استعارة الخ) فيه نظر لان الضمير هو المعبر به عن الناقة فالطرفان مذكوران فلا استعارة وانما اضافة القوس الى ضمير الناقة من اضافة المشبه به للمشبه وانظر قوله واثبات

والاصابة والغرض ترشيح (ونعم النجيبة) اى النخيرة الناقة (الكوماء) هى المخصوص
بالمدح وهو خبر لمبتدا محذوف أو عكسه فقول الشارح انه صفة النجيبة ليس فى محله وهى
عظيمة الكوماء العظيمة السنام (فرأينا) اى أبصرنا المدينة وما حولها التى شرفها الله
تعالى بأن جعلها (أرض الحبيب) اى حبيب رب العالمين المتميز به صلى الله عليه وسلم بمقام
المحبة الذى هو أجل وأعلى من مقام الخلة لان المحبة الكاملة تستدعى الخلة وزيادة اى
أرض المدينة وما حواليها (يغض) اى يغمض (الطرف) مفعول (منها) اى من أجل
الجلالة التى حفتها (الضياء) المشرق عليها حسا ومعنى (واللألاء) اى البرق اللامع على
صفحاتها المشار به الى مواهب الحق المفاضة على الزائرين وفى الضياء واللألاء مراعاة
النظير (فكأن) بالتشديد وقد تخفف وكأن لم يدعها الى ضرب من التشبيه المؤكد لان
الاكثر أنه مركب من كاف التشبيه وأن المؤكدة والاصل فى نحو كأن زيدا أسد ان
زيدا كأسد فقدم حرف التشبيه اهتماما به فقتحت ان لدخول الجار عليها قال بعضهم وانما
تستعمل حيث يقوى الشبه حتى يكاد الرائى يشك فى أن المشبه هو المشبه به أو غيره ولذلك
قالت بلقيس كأنه هو قيل وترد للظن والشك فيما اذا كان خبرها غير جامد (البيداء)
من تلك الارض وهى اسم لمحل قريب من ذى الحليفة المشهور اليوم بأبيار على (من)
للتعليل أو ابتداء الغاية وكل منهما خفى فالاحسن أنها زائدة على مذهب الاخفش
وجماعة (حيثما) ما زائدة قابلت العين) الناظرة اليها (روضة غناء) اى كثيرة العشب
والنبات والازهار والثمار (وكأن البقاع) اى الاماكن التى حول المدينة المنورة
لكثرة ما يغشاها من الانوار والاضواء المنزلة على ضريحه المكرم صلى الله عليه وسلم
زرت عليها) اى البقاع (طرفيها) عائد لقوله (ملاءة) بضم أوله وهى ثوب عريض
أو ثوبان ملفوقتان كذا قيل وعبارة شرحى لشمائل الترمذى الملاءة بالضم والمد وهى كما فى
القاموس كل ثوب لم يضم بعضه الى بعض بخيط بل كله نسج واحد وفى النهاية هى الازار
وفى المصباح هى الملحفة ولا تنافى لصدقها على التعريف الاول بكل من هذين انتهت وبها
يعلم أن الثوبين الملفوقين ملاءتان لا ملاءة واحدة (حمراء) شبه تلك الانوار والاضواء
التى غشيت تلك البقاع وعمتها من سائر جوانبها بخيمة حمراء شدت على ما فيها ازرارها فى
عراها من سائر جوانبها (وكأن الارجاء) اى نواحى المدينة الغراء (تنشر) اى تذيع
(نشر) اى ريح (المسك فيها) اى تلك الارجاء (الجنوب) وهى الريح التى تقابل الشمال
(والجربياء) بكسر الجيم ككيمياء وهى كما فى القاموس الشمال أو بردها أو الريح بين
الجنوب والصبا وهى التى تثير السحاب وهى المرادة هنا (فاذا شمت) بكسر الشين المعجمة
اى نظرت الى مصائب البرق أين تمطر فى تلك البقاع (أو شمت) فى القاموس شمته
بالكسر أشمه بالفتح وشممته أشمه بالضم (رباها) جمع ربوة بتثليث الراء وهى
ما ارتفع من الارض (لاح) اى ظهر وهو راجع لشمت (منها) اى تلك البقاع (برق)

= القوس الخ كذت بجعله مشبها به ويجعل اثباته تخييلا اذ التخييل اثبات لازم المشبه به لاثبات المشبه به للمشبه وقد سلف له نحو ذلك فى شرح قوله شمسا تجل من لا يسهو (قوله اوعكسه) أو مبتدا خبره الجملة قبله (قوله اذا كان خبرها غير جامد) انظر هل هذا القيد أغلبى أو دائمى فان كان الثانى أشكل لان الخبر فى كل من الآية والنظم جامد حرر (قوله على التعريف الاول) هو قوله ثوب عريض أو ثوبان الخ والثانى ما نقله عن القاموس (قوله وبها) اى عبارة شرحه الشمائل تعلم أن الخ اى على ما نقل عن القاموس من قوله كل ثوب لم يضم الخ (قوله بالفتح) اى فتح عين المضارع فى الاصل لانه من باب علم فاصله أشممه نقلت فتحة العين الى الشين ثم ادغمت الميم فى مثلها (قوله بالضم) اى من باب نصر

راجع للاول (وفاح) راجع لشممت ففيه لف ونشر مرتب (كبا) بوزن كساء عودا لبخور أو ضرب منه اى ريحه من كبي بالتشديد ثوبه اى بخره وبين لاح وفاح جناس مضارع (اى نور) اى نور باهر (واى نور) بفتح اوله اى زهر نضير وبينهما الجناس المحرف ومنه حديث اللهم كما حسنت خلقي فحسن خلقي (شهدنا) هما اى رأيناهما بابصارنا وبصائرنا (يوم) ظرف لشهدنا (أبدت لنا القباب) التى هناك (قباء) محل مشهور بينه وبين المدينة نحو ثلاثة أميال (فرمتها دمعي) اى كثروانهمل من أجل ماشاهدته حسرة على مامضى لي من فراقه أو فرحا بوصولي اليه أو خوفا من التقصير بعدم رعاية الادب فى تلك الحضرة الجليلة (وفر) اى ذهب (اصطبارى) لاسيما بعد أن وصلت الى هذه الربا وأنخت رحلي بقبا وبين فرو فر الجناس المصحف (فدمعي سيل) عظيم (وصبرى جفاء) بضم الجيم اى زبد فكما ان السيل يذهب بذلك الزبد فى أسرع وقت فكذلك دمعي تذهب بصبرى فلا يبقى عندى منه شئ وهذا من جناس التذييل كقوله الآتى وكم أذهل صبا الخ وفيه لف ونشر مرتب (قد) بسبب ماذكر أن ماشوهد يوجب كثرة الدمع وفناء الصبر (ترى) اى أيها المخاطب (الركب طائرين) اى جادين فى السير حاثين لدوابهم ليستخرجوا منها أقصى مايمكنها من الاسراع (من) أجل (الشوق الى طيبة) فكيف بمشرفها عليه أفضل الصلاة والسلام (لهم ضوضاء) اى أصوات عالية بالصلاة والسلام عليه صلى الله عليه وسلم وعبارة القاموس الضوضا مقصورة الجلبة وأصوات الناس لغة فى المهموزة انتهت وبها يعلم ردّ ما قاله الشارح (وكأن) عطف على ترى (الزوار مامست البأساء) اى شدة السفر ومشقته (منهم خلقا ولا الضراء) تأكيد لما قبله وكيف يمسهم شئ من ذلك و (كل نفس منهم بشكر و (منها ابتهال) اى تضرع الى الله تعالى فى أن يقيل عثارها ويقبل آثارها (وسول) اى توسل الى الله تعالى بأحب خلقه اليه (ودعاء) اى اطناب (ورغبة) فيما عند الله تعالى من جزيل الثواب (وابتغاء) اى طلب لما عند الله تعالى (وزفير) اى تواتر النفس وصعوده لشدة مايعترى القلب من خشية المؤاخذة لما فرط منه وتفسير الشارح له تارة باغتراق النفس للشدة وتارة بحبسه فيه قصور عن ذكر تصاعده الذى لابد منه فى حده (تعلن) أيها المخاطب (منه) اى من أجل كثرة ذلك الزفير وشدته بحيث يسمع له صوت فى الصدور ومن ثم جاء أن صدره صلى الله عليه وسلم لشدة ماعنده من الخوف كان

(قوله راجع للاول) الظاهر أنه يغنى عنه قوله راجع لشممت (قوله اى نور) مفعول لشهد ومعطوف عليه (قوله قباء) فيه المسجد الذى أسس على التقوى (قوله أو فرحا بوصولي اليه او خوفا) لامانع من جعل أو مانعة خلو فى وقت دمع حسرة وفى وقت دمع فرح وفى وقت دمع خوف بحسب اختلاف التجليات على قلبه رضى الله تعالى عنه (قوله وفر اصطبارى) اى على بعدى عن دخول طيبة والتملى بمشاهدة قبره الشريف (قوله الجناس المصحف) اى واللاحق الاول لاختلاف النقط مع كون صورة الحرفين واحدة والثانى باعتبار بعد مخرج أحد الحرفين من مخرج الآخر (قوله فدمعي سيل) اى كالسيل (قوله جفاء) اى مثل الجفاء (قوله اى زبد) قال فى البيضاوى الزبد وضر الغليان ثم قال فى بيان قوله تعالى فأما الزبد فيذهب جفاء جفاء اى يرمى به السيل وانتصابه على الحال وقرئ جفالا والمعنى واحد اهـ فتفسير الجفاء بالزبد فيه تساهل تأمل وعبارة تفسير الجلالين فأما الزبد من السيل وما أوقد عليه من الجواهر فيذهب جفاء اى باطلا مرميا به اهـ ثم رأيت فى القاموس التصريح بتفسير الجفاء بالزبد وعليه فلا تساهل فى تفسير الشارح وعبارته وجفا الوادى والقدر رميا بالجفاء اى الزبد ثم قال والجفاء كغراب الباطل اهـ المراد منه (قوله ردّ ما قاله الشارح) وعبارته الضوضاء أصوات الناس وجلبتهم وكأنه أبدل من الهاء آخره الهمزة اذ أصلها ضوضاة انتهت اذا كانت هذه عبارته التى وقعت للشارح هنا فما وجه ردها فانه اقتصر على اللغة الفصيحة التى فى النظم فلا ينافى وجود لغة أخرى تأمل (قوله باغتراق النفس) قال فى القاموس اغترق النفس استوعبه فى الزفير اهـ اذا علمت ذلك ظهر لك ردّ ما ذكره المحقق من نسبة الشارح للقصور لان تفسيره باغتراق النفس المبين فى القاموس باستيعاب الزفير يفيد الصعود اذ لا استيعاب للزفير اى لمعناه الا به تأمل نعم تفسيره بحبس النفس فيه قصور اذ ليس من مدلوله الصعود بخلاف تفسيره باغتراقه يسمع

يسمع له أزيز كأزيز المرجل (صدورا) مفعوله الاول طيورا (صادحات) اى مصوتات (يصادحن زقاء) بالزاى والقاف اى صوت عال والحاصل أن ذلك الزفير من شدته ظهر له فى صدورهم صوت أشبه صوت الطيور الصادحات اللاتى يصادحن التصويت بشد وعلو صوت (وبكا يغريه بالعين) اى يحمله على ملازمته لها (مد) اى مسيل من الدموع نشأ عن حرقة القلب لفراق المحبوب أو خشية قطيعته أو عن فرحة بلقيا الحبيب والمثول فى حضرته (ونحيب) وهو رفع الصوت بالبكاء (يعثه) اى يحضه ويزيلقه (استعلاء) ى علو الصوت بشدة وتتابعه بالبكاء (وجسوم كأنما رحضتها) اى غسلتها وانما سمى المغتسل مرحاضا (من عظيم المهابة) اى الجلالة التى استولت على قلوبهم لما أناخوا رحالهم بتلك الحضرة الجليلة (الرحضاء) اى العرق الكثير من اثر الحمى اى جسوم قام بها من عظيم المهابة ما أزعجها ازعاجا تولد منه كثرة عرقها حتى كأنه غسلها (ووجوه) تتلون بالالوان المختلفة لشدة ما عندهم من القلق والخوف والحياء منه صلى الله عليه وسلم عند القدوم عليه بوصف التقصير وعدم كمال الاتباع له حق (كأنما ألبستها من) أجل (حياء) بالمد ومر تفسيره وأنه غريزى باعتبار أصله ومكتسب باعتبار كماله (ألوانها الحرباء) دويبة مشهورة ذات ألوان متعددة تستقبل الشمس برأسها (ودموع) من شدة البكاء والحزن على عدم القيام بواجب تلك الحضرة ومشرفها عليه أفضل الصلاة والسلام (كأنما أرسلتها من جفون سحابة وطفاء) اى مسترخية الجوانب لكثرة مائها شبه ما عندهم من الحزن الباعث لهم على غزارة الدمع وكثرة تتابعه بسحابة مملوءة ماء ثم يورد بذكر الجفون ورشح بذكر الوطف وخيل باثبات السحابة المشبه ففيه اربع استعارات وفى قوله كل نفس الى هنا من مراعاة النظير والانسجام البديع الذى هو سهولة الالفاظ وعذوبتها بحيث شابهت الماء العذب الذى من شأنه الانسجام والسيلان والرقة والحلاوة ما لا يخفى على ذى ذوق عظيم بلاغته ومر له كثير من هذا النوع (ف) بعد ان وصلنا الى ذلك القبر المكرم على ما بينا مما مر شرحه بقوله كل نفس الى هنا (حططنا الرحال) بفناء كرمه صلى الله عليه وسلم فتستمطر سحائب القبول والانعام ونستقيل عثرات التقصير والآثام ولو انهم اذ ظلموا أنفسهم جاؤك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما (حيث) أى فى مكان (يحط الوزر) أى الاثم والثقل (عنا) فيه بشفاعة مشرفه عليه أفضل الصلاة والسلام (وترفع) بلطفه واسعافه وامداده عنا (الحوباء) أى الحاجة بفناء النفوس وطلوع البدور وشروق الشموس حتى نصل الى العيان ونستغنى عن الاستدلال والبرهان وبين الحط والرفع طباق (وقرأنا السلام أكرم) أى على أكرم (خلق الله) وأفضلهم كما مرت الاشارة اليه مستوفاة أول هذا الشرح واقتدى الناظم فى هذا بالسلف فانه قد جاء اقراء السلام عليه صلى الله عليه وسلم عند قبره عن ابن عمر وغيره من السلف بل قال المجد اللغوى السلام عليه صلى الله عليه

(قوله كأزيز المرجل) اى القدر من النحاس (قوله اى علو الصوت) فيه أن النحيب رفع الصوت فيصير معنى الكلام ورفع صوت يحثه رفع صوت وقد يقال ذكره الشدة والتتابع فى معنى الاستعلاء يقتضى كونه أخص من النحيب فيصير المعنى ورفع صوت يحثه شدة رفع صوت وتتابعه وقد يقال الظاهر حينئذ أن الذى يحث هو النحيب اذ رفع الصوت هو الذى تترتب الشدة والتتابع لرفعه لا العكس تدبر (قوله ففيه أربع استعارات) تأمل وجهه فان استعارة السحابة للحزن استعارة مصرحة وفى الوطف استعارة لان الترشيح يجوز جريانها فيه وأما جعل قوله ويورد بذكر الجفون استعارة فلم يظهر له وجه صحة وقوله وخيل الخ الذى جعله استعارة رابعة فيه نظر لان السحابة هو المستعار فكيف يجعل اثباته استعارة على أن الاستعارة مصرحة فكيف وجود الاستعارة التخييلية تجرد (قوله الرحال) جمع رحل مركب البعير ويجمع أيضا على أرحل ويطلق على المسكن وما يستصحب من الاثاث ذكر ذلك فى القاموس والمراد بحط الرحال انتهاء السفر والاقامة

و سلم عند قبره افضل من الصلاة عليه عنده اى للاخبار الكثيرة الواردة فيه كخبر ما من
احد يسلم على عند قبرى الا رد الله على روحى حتى أرد عليه السلام ويعارضه الحديث
الصحيح ان الله تعالى يصلى هو وملائكته على المصلى على فى الصلاة الواحدة عشرا
وفى رواية مائة وصلاة الله أفضل من رده صلى الله عليه وسلم وان كان رد دعاء لا يرد على انه
صلى الله عليه وسلم لم يرد الصلاة عليه كالسلام فالاولى ان توجه الافضلية للسلام بانه شعار
اللقاء والتحية فيختص أفضليته بحالة اللقاء عند كل زيارة اما اذا سلم سلام اللقاء
فالصلاة بعده أولى من استمرار السلام وان كان باقيا فى مقام الزيارة ويدل لذلك صنيع
العلماء فانهم لما ذكروا ان الزائر يبدأ بالسلام ذكروا انه يختم بالصلاة عليه صلى الله
عليه وسلم (من حيث) أى من مكان وقوفنا بتلك الحضرة الذى (يسمع الاقراء) للسلام
منه وفيه رد العجز على الصدر وما اقتضاه كلامه من ان زائره صلى الله عليه وسلم اذا صلى
وسلم عليه عند قبره يسمعه سماعا حقيقيا ويرد عليه من غير واسطة وان من صلى أو سلم
عليه من بعيد لا يسمعه الا بواسطة يدل عليه أحاديث كثيرة وذكرتها فى كتابى الدر المنضود
فى الصلاة والسلام على صاحب المقام المحمود وذكرت منها جملة فى الجوهر المنظم فى
زيارة القبر المكرم منها ما جاء عنه صلى الله عليه وسلم بسند جيد وان قيل انه غريب من
صلى على عند قبرى سمعته ومن صلى على من بعيد أعلمته وصح وان نوزع فيه ما من
أحد يسلم على الا رد الله على روحى حتى أرد عليه السلام وصح من غير نزاع فيه بعقبه
من أفضل أيامكم يوم الجمعة فيه خلق آدم وفيه قبض وفيه النفخة وفيه الصعقة فأكثروا
على من الصلاة فيه فان صلاتكم معروضة على قالوا يا رسول الله وكيف تعرض صلاتنا
عليك وقد أرمت أى بوزن ضربت أى بليت فقال ان الله عز وجل حرم على الارض ان
تأكل اجساد الانبياء وفى رواية بزيادة فنبى الله حى يرزق وبقيت احاديث أخر متعارضة
جمعت بينها فى الكتاب السابق بانه صلى الله عليه وسلم يبلغ الصلاة والسلام اذا صدرا من
بعيد ويسمعهما اذا كانا عند قبره الشريف ومع سماعه لهما يبلغهما ايضا زيادة فى اكرام
الزائر والاعتناء بشأنه والاستعداد لمبلغيهما لواء الجمعة وغيرها واما رده فهو عام لمن
عند قبره ولغيره لانه صح ان من سلم على قبر أخيه المؤمن سمعه ورد عليه فلو اختص رده
صلى الله عليه وسلم بزائره لم تكن له خصوصية بذلك وكفى الزائر تمييزا أنه صلى الله عليه وسلم
يسمع صوته من غير واسطة ويكفى المصلى والمسلم من بعيد وقريب رده صلى الله عليه وسلم
ومعنى رد روحه صلى الله عليه وسلم السابق رد نطقه لانه صلى الله عليه وسلم حى على
الدوام فروحه لم تفارقه أبدا وصح الانبياء احياء فى قبورهم يصلون والاحاديث فى ذلك
كثيرة جمعها الامام البيهقى فى جزء واستدل بها على دوام حياة الانبياء عليهم الصلاة
والسلام

(قوله الا رد الله على روحى) أى نطق والا فروحه لم تفارقه ابدا وسيأتى ذلك فى الشارح قريبا (قوله حتى ارد عليه السلام) بعضهم فرق بين تعدية رد بعلى وتعديته بالى بان الاول فى الاهانة والثانى فى الاكرام قال فى الصحاح
رد عليه الشئ اذا لم يقبله وكذلك
اذا خطأه وتقول رده الى منزله
ورد اليه جوابا اى رجع قال
الراغب ومن الاول قوله تعالى
يردوكم على اعقابكم ومن الثانى
قوله تعالى ثم تردون الى عالم الغيب
والشهادة انتهى ولعل هذا فى غير
رد السلام اذ هو متعد بعلى مع
انه اكرام تأمل (قوله وقد
ارمت) اصله ارممت اى صرت
رميما فحذفوا احدى الميمين وهى
لغة لبعض العرب كما قالوا ظلت
افعل اى ظللت وقيل بضم
الهمزة وكسر الراء وقيل بفتح
الراء والميم المشددة وسكون التاء
اى ارمت العظام انتهى من
مسالك الحنفاء للقسطلانى
(قوله احياء فى قبورهم) فى فتاوى
الرملى ان الانبياء والشهداء
والعلماء لا يبلون والانبياء
والشهداء يأكلون فى قبورهم
ويشربون ويصلون ويصومون
ويحجون ووقع الخلاف هل
ينكحون نساءهم ام لا فقيل نعم
وقيل لا ويثابون على صلاتهم
وصومهم وحجهم انتهى وجزم
أبو المواهب الشاذلى فى كتابه
عنوان أهل السر المصون ان
الشهداء ينكحون لكن لم يقل
نساءهم انتهى وعبارة الفتاوى
فيها التفصيل وعليه فمن مات منهم قبل موت أزواجه أو مات ولم يتزوج لا ينكح وهذا أمر يحتاج
للتوقيف كذا قال بعضهم

والسلام حياة مخصوصة اعلى واتم من حياة الشهداء المنصوص عليها فى القرآن (وذهلنا) اى غبنا عن احساسنا اوعما عدا ماهن بصدده (عند اللقاء) لما استولى علينا من جهات ذلك الجلال وسمات ذلك الجمال (و) لابدع فى هذا الذهول اذ (كم أذهل صبا) اى شديد الصبابة التى هى رقة الشوق عليه وغلبة استيلائه (من الحبيب) اى المحبوب وهو متعلق بقوله (لقاء) لان من شأنه ان يدهش الصب ويخرس المحب ويغنيهما عما عدا المحبوب والاستلذاذ بشهوده وانسه (ووجمنا) بفتح الجيم اى سكتنا عن الكلام عند اللقاء وبعده مادمنا فى تلك الحضرة العلية فلم يبق فينا متسع له (من) اجل (المهابة) اى الجلالة والمخافة (حتى) اجتمع علينا امران لا يوجد اجتماعهما الا فى نحو هذا المقام وهما (لا كلام منا) بما نريده (ولا اعياء) منا وبه الى ماانطلبه وذلك حال من قهره الجلال واستولت عليه خوارق الاحوال كما قال القائل

وكم رمت بث الشوق عند لقائه • فلما التقينا ما نطقت ولا حرفا

(ورجعنا) الى بلادنا (والقلوب التفاتات) كثيرة جدا برعاية المقام (اليه) اى نبينا صلى الله عليه وسلم بمعنى انها مستحضر للمثول بين يديه صلى الله عليه وسلم والاستمداد منه مع ادامة الصلاة والسلام عليه صلى الله عليه وسلم (والجسوم) جمع جسم وجسم الشئ بوزنه الثانى من الارض (انثناء) اى انعطاف الى البقاء فى حضرته صلى الله عليه وسلم ابدا ان تيسر والا فالى تكرر زيارته صلى الله عليه وسلم (وسمحنا) اى جدنا (بما) اى بنفيس لا يجود احد بمثله هو التمتع بتلك الحضرة العلية الذى (شح) دوامه وعدم مفارقته ولكن ضرورتنا الى العود لدارنا لاجل القيام بن فيها خفف الملام علينا اذ الضرورات تبيح المحظورات وأيضا فانا اوانكا بخلاء بهذا الفراق فلنا اسوة بالبخلاء فى ذلك (وقد) وقع يقينا انه (يسمح عند الضرورة) التى لا يستطاع معها القوة (البخلاء) بالاموال وغيرها وبين السماح والبخل الطباق ولما تم بقصد زيارته صلى الله عليه وسلم المتكفلة بكل خير شرع يناديه صلى الله عليه وسلم بكنيته المختصة به والمناسبة لطلبه من انه يخصه من تلك القسمة التى ولاها الحق له ويقسم عليه باقسام كثيرة كلها تتضمن ماهو بصدده من مدحه صلى الله عليه وسلم والثناء عليه استعطافا له لينظر اليه بما يفوز به فى الدنيا والآخرة ويأمن به من كل محنة باطنة او ظاهرة ومن ثم خص جواب اقسامه بقوله الا تى لا امان الامان الخ فقال (ياأبا القاسم) هذه كنيته صلى الله عليه وسلم التى اختص بها فلا يجوز لاحد التكنى بها مطلقا على الاصح عند ناسواء فى زمنه صلى الله عليه وسلم وبعده لمن اسمه محمد وغيره لقوله صلى الله عليه وسلم فى الحديث الصحيح تسموا باسمى ولا تكنوا بكنيتى والعبرة كما تقرر فى الاصول بعموم اللفظ لا بخصوص السبب كما هنا فان سبب النهى أن اليهود كانوا ينادونه بذلك فيلتفت صلى الله عليه وسلم اليهم فيقولون له لانعنيك فنهى الناس عن التكنى بذلك ومن ثم اخذ بعض ائمتنا ان المنع

(قوله وذهلنا) ذهلت عن الشئ أذهل ذهلا نسيت وغفلت عنه وأذهلنى عنه كذا وذهلت بالكسر ذهولا لغة فيه (قوله برعاية المقام) بمعنى ان جمع المؤنث السالم كجمع المذكر كذلك من جموع القلة استعمل هنا مرادا به الكثرة بقرينة المقام (قوله هذه كنيته) ويكنى أيضا بأبى ابراهيم وأبى الارامل وأبى المؤمنين

خاص بزمن حياته صلى الله عليه وسلم وبعضهم أنه خاص بمن اسمه محمد وتكنية علي كرم
الله وجهه ولده محمد بن الحنفية رضي الله عنهما بذلك باذن منه صلى الله عليه وسلم ان صح
خصوصية وتكنية غيره بذلك اجتهاد منه ووجه مناسبة اختصاص تلك الكنية به
صلى الله عليه وسلم الاعلام بانه صلى الله عليه وسلم هو الخليفة الاعظم عن الله تعالى في
جميع شؤنه لاسيما مقام قسمة الارزاق والعلوم والمعارف والطاعات ومن ثم قال صلى
الله عليه وسلم في الحديث الصحيح أيضا انما أنا قاسم والله يعطي ولاجل هذا عدوا من
خصائصه صلى الله عليه وسلم انه أعطي مفاتيح الخزائن قال بعض العلماء وهي خزائن
اجناس العالم ليخرج لهم بقدر ما يطلبون فكل ما ظهر في هذا العالم فانما يعطيه محمد صلى
الله عليه وسلم الذي بيده المفاتيح وكما اختص تعالى بمفاتيح الغيب الكلي فلا يعلمها الا هو
كذلك اختص صلى الله عليه وسلم باعطائه مفاتيح الخزائن الالهية فلا يخرج منها شئ
الا على يديه صلى الله عليه وسلم وقيل انما كني بذلك لانه كان له ولد من خديجة رضي الله
تعالى عنها يسمى القاسم (الذي ضمن) من تضمن كذا اشتمل عليه (اقسامي عليه) بكسر
الهمزة بالاقسام الكثيرة الآتية في نيل مطلوبي منه صلى الله عليه وسلم (مدح) فرقوا
بينه وبين الحمد بامور أحدها ان الحمد هو الثناء على الجميل الاختياري والمدح على ما
اختيار له فيه كالحسن ثانيها وثالثها ان الحمد انما يكون عن علم وبصفة كمال والمدح
يكون عن ظن وبصفة مستحسنة وان كان فيها نقص ما رابعها ان في الحمد من التعظيم
والفخامة ما ليس في المدح والحمد اختص بالعقلاء والعظماء وأكثر اطلاقا على الله تعالى
وقول الكشاف انهما اخوان أي متشابهان لا مترادفان قاله الطيبي وقال السيد
بل مترادفان واستدل له بكلام الفائق وانتصر بعض المحققين للاول بما ليس هذا
محل بسطه وأكثر العلماء على ان الحمد يختص بالاختياري والمدح أعم (هو ثناء) هو على
القول الاخير مرادف المدح لانه لا يكون الا في الخير الاختياري وغيره والمدح على ذلك
القول كذلك وبه لما تقرر ان عليه أكثر العلماء يندفع قول الشارح هذا من مراعاة
النظير وعلى ما قبل الاخير يكون فيه مراعاة النظير في الجملة وعليه يحمل كلام الشارح
اما المدح والحمد ففيهما تقابل أو مراعاة النظير أو ترادف (بالعلوم) أي أقسم عليك بها
لتشفعن لي بجعلوني من كل مكروه وبان يعطيني الله الامان منه وكذا يقال في الاقسام
الآتية فالمراد بها هنا الشفاعة والاستعطاف ليجاب سؤاله ومن ثم قال بعض أصحابنا
في اقسم أو اقسمت عليك لتفعلن كذا انه لا يكون يمينا الا ان نواه وجعلها أول الاقسام
لان مرتبة العلم لا اعلى منها بل ولا مساوي لها ومن ثم لم يؤمر صلى الله عليه وسلم بالسؤال
الزيادة مما هو عليه الا العلم وقل رب زدني علما وهو صفة يتجلى بها المذكور لمن قامت به
تجليا تاما من احتمال النقيض (التي) تنزلت (عليك من الله) حال كونها (بلا كاتب)
من الكتب وهو الجمع وانما الحاصل (لها) اليك (املاء) أي اقراء من جبريل وهذا الذي

(قوله ان الحمد) أي لغة وقوله والمدح على ما لا اختيار كان الظاهر ان يقول على ما هو أعم من الاختياري وغيره ويجاب بان ما ذكره الشارح هنا مما يقتضي تباينهما مذهب لبعض العلماء وما ذكرناه من الظاهر مذهب اكثر العلماء كما يفيده قوله الآتي قريبا واكثر العلماء الخ (قوله هو على القول الاخير الخ) تامل هذه العبارة وحررها فان الثناء الذي هو الذكر باللسان جنس في تعريف الحمد والمدح اللغويين وأحد ما صدق الجنس في تعريفهما العرفيين كما لا يخفى على من عرف تعاريفها لغة وعرفا وهو أشهر من أن يذكر فان أراد بالثناء الحمد بدليل ذكر المدح استقام ما ذكره ويؤيده قوله على القول الاخير لان الاقوال السابقة متعلقة بالحمد والمدح لا بالثناء والمدح تأمل

قرونه فى اعراب هذا البيت أولى مما سلكه الشارح فتأمله وبين القاسم والاقسام جناس مطلق والكتابة والاملاء طباق (و) أقسم عليك ثبعا أوثنيه أيضا من (مسير الصبا) وهى الريح التى مهبها مطلع الشمس عند استواء الليل والنهار وهى مراد الحسن فى قوله فاذا جعلت ظهرك الى باب الكعبة فالصبا تقابلك وهى مستقبل باب الكعبة وقول اسرائيل بن يونس الصبا ما جاء من قبل وجه الكعبة ويطلق على ما يهب من يمين هذا المطلع الى قريب سهيل ويساره الى قريب القطب الشمالى وأخرج أبو الشيخ عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ان ما بين مطلع الشمس والجدى يسمى صبا ويسمى شمالا وبتسميته صبا صرح عثمان الاعرج من السلف حيث قال حد الصبا من مطلع الشمس الى كرسى بنات نعش وفى القاموس الشمال الريح التى تهب من قبل الحجر أى بكسر الحاء ثم قال والصحيح انه ما يهب بين مطلع الشمس وبنات نعش أو من مطلع الشمس الى مسقط النسر الطائر وفيه والصبا ريح مهبها من مطلع الثريا الى بنات نعش والدبور ريح تقابل الصبا والجنوب ريح تخالف الشمال مهبه من مطلع سهيل الى مطلع الثريا ولهذه الريح أثر بين فى نصرته صلى الله عليه وسلم فى وقعة الخندق المسماة بالاحزاب كما مر (بنصرك) أى بسببه وهو الرعب الذى قطع قلوب أعدائه وأخمد شوكتهم وبدد جموعهم (شهرا) مقتبس من قوله صلى الله عليه وسلم نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور مع قوله أعطيت خمسا لم يعطهن أحد من الانبياء قبلى نصرت بالرعب مسيرة شهر الحديث ومنها يعلم ان الصبا كانت تسير بسبب نصرته صلى الله عليه وسلم وهو الرعب اى الخوف منه المزعج لاعدائه مسافة شهر من سائر نواحى المدينة فلم يرفع أحد منهم رأسه الا اختطفته لوامع سيوف نصره صلى الله عليه وسلم وقواصف أسنة قهره عليه الصلاة والسلام والتحديد بالشهر اشارة الى ان ما يستولى عليه لا تزيد مسافته فى حياته صلى الله عليه وسلم على شهر فلا ينافى ذلك تملك أمته يزيد على ذلك بكثير واحتراز عن غيره من الانبياء عليهم الصلاة والسلام فان رعبهم وان وجد لا يصل لهذه المسافة وفى رواية ونصرت على العدو بالرعب ولو كان بينى وبينهم مسيرة شهر قال بعضهم والظاهر اختصاصه به مطلقا وانما جعل الغاية شهرا لانه لم يكن بين بلده صلى الله عليه وسلم وبين احد من اعدائه اكثر من شهر وهذه الخصوصية حاصلة له على الاطلاق حتى لو كان وحده بغير عسكر وهل هى حاصلة لامته من بعده فيه احتمالات اظهرها كما تقضى به المشاهدة انهم رزقوا من ذلك حظا وافرا (فكانت الصبا الرياح تربناه) هى الريح اللينة المسخرة لسليمان صلى الله عليه وسلم غدوها شهر ورواحها شهر لكن معجزة نبينا صلى الله عليه وسلم اظهر واعظم لان تلك سخرت اذا ان سيدنا سليمان عليه الصلاة والسلام وهذه سخرت لصفة من صفات نبينا صلى الله عليه وسلم وهى هيبته عليه الصلاة والسلام وايضا فتلك انما كانت تسير بعد امر سليمان لها وهذه تسير بامر ربها من غير توسط امر من نبينا صلى

قوله أولى مما سلكه الشارح عبارته فى اعراب البيت بالعلوم الباء للقسم والعلوم مجرورها وهو المقسم به وكذا ما عطف عليه باعادة العامل ودونه الى صفة العلوم وصلتها جملة عليك املاء فاملاء مبتدأ وعليك خبره والمجرورات متعلقات بالمبتدأ ثم قال فى المعنى اقسم اولا بالعلوم التى اوحاها الله اليه وانزلها عليه من غير واسطة كتابة ولا كاتب لانه صلى الله عليه وسلم كان لا يكتب وأوتى علم الاولين والآخرين زيادة فى المعجزة وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك اذا لارتاب المبطلون (قوله وهو) أى سبب النصر فليس المراد بقوله بسبب بيان معنى الباء بل هى صلة مسير فهو مررت بزيد وانما مراده بيان مضاف محذوف تأمل

الله عليه وسلم فهو من تشبيه الاعلى بالادنى نظير كما صليت على ابراهيم في صلاة التشهد على
احد الاجوبة فيه وفي ذكر الرخاء بعد الصبا مراعاة النظير *(تنبيه)* اصول الرياح
اربعة الصبا وهي التي تهب من جهة باب الكعبة وهي حارة يابسة والدبور من ورائها
باردة رطبة والجنوب من جهة يمينها حارة رطبة والشمال من جهة شمالها باردة يابسة
واشرت بقولي اصول الى ان لهم فروعا كالنكباء وفسرها بعض السلف بانها بين الصبا
والجنوب واطال في القاموس الكلام فيها وحاصله والنكباء ريح انحرفت ووقعت بين
ريحين او بين الصبا والشمال او نكب الرياح اربع الازيب نكباء الصبا والجنوب
والصابية وتسمى النكيباء ايضا نكباء الصبا والشمال والجربياء نكباء الشمال والدبور
وهي نيحة الازيب والهيف نكباء الجنوب والدبور وهي نيحة النكيباء وتفسير كل بما
ذكر فيه هو الاصل فلا ينافي ما مر آنفا من اطلاق بعضها على خلاف ما فسرته به هنا
وفي القاموس الجنوب ريح تخالف الشمال مهبه من مطلع سهيل الى مطلع الثريا
(تنبيه ثان) روى مسلم ان الشمال ريح الجنة التي تهب عليهم وينافيه الحديث
الذي اخرجه ابن جرير وابن مردويه وابن ابي الدنيا وابو الشيخ ريح الجنوب من الجنة
وهي من اللواقح وفيها منافع الناس والشمال من النار تخرج فتمر بالجنة فتصيبها نفحة
منها فبردها من ذلك ويجاب بان ما ذكر في الحديث الاخير هو حال الشمال في الدنيا
لخروجها اولا من النار ثم تكيفت بريح الجنة وبردها وحكمة ذلك جمعها للقوة النارية
والقوة البردية لان من شان الاولى كثرة الحركة وشدة الانضاج والثانية ملاءمة النفس
وازالة اكدارها فهذا حالها في الدنيا وما في الحديث الاول هو حالها في الآخرة فاهل
الجنة لا يرون سواها كما يصرح به قوله وهي ريح الجنة الخ وبهذا يعلم ان الشمال افضل
الرياح لان حديث الجنوب من ريح الجنة وحديث ريح الجنوب من الجنة غاية امرهما
انهما يدلان على ان ريح الجنوب من بعض رياح الجنة وما دل عليه حديث الشمال من
ذكر حالها وما اختصت به في الدنيا والآخرة اعلى مما دل عليه حديث الجنوب فتامله
فان قلت جاء عن ابن عباس رضي الله عنهما ان الجنوب سيد الارواح واسمها عند الله
الازيب قلت هو معارض بما جاء عن قيس بن سعد بن عبادة سيد الخزرج رضي الله تعالى
عنهما الشمال ملح الارض ولولا الشمال لانتنت الارض فهذه فائدة جليلة دنيوية
نشأت عن خروجها اولا من النار خلت عنها الجنوب فلتكن الشمال افضل او يقال
كل منهما افضل من وجه فالجنوب لكونها تخرج اولا من الجنة والشمال لكونها
هي التي تهب على اهل الجنة فيها هذا كله بفرض تكافؤ سند الحديثين وليس الامر
كذلك اصلا اذ سند حديث مسلم لا يوازيه شيء وحينئذ لا يعارض حديثه شيء من
الاحاديث الاخر لانها ليست في رتبته بل ولا قريب منها لانها من حيز الضعيف وهو
لا يعارض الصحيح اصلا وفي اثر عثمان الاعرج انه ذكر الارياح الاربعة وحد كل فقط

(قوله أصول الرياح أربعة) في الغريبين للهروي وروي عن ابن عمر وان الرياح ثمانية أربع عذاب وهي العاصف والقاصف وهما بالبحر والصرصر والعقيم وهما بالبر وأربع رحمة وهي الناشرات والذاريات والمرسلات والمبشرات (قوله والهيف) وهي ريح حارة تأتي من قبل اليمن (قوله سيد الارواح) الارواح لغة في الارياح ومنه قول ام يزيد * وبيت تخفق الارواح فيه * (قوله هو معارض) في المعارضة نظر فتامله

الا الشمال فزادانها تمر بجنة عدن فتأخذ من طيب عرفها وفيه ان الاربع مسا كنها تحت
اجنحة الكروبين حملة العرش وانها تهيج فتقع بعجلة الشمس فتعين الملائكة على برها
ثم تهيج من عجلة الشمس فتقع فى البحر ثم تهيج من البحر فتقع برؤس الجبال ثم تهيج من
رؤس الجبال فتقع فى البر ثم ذكر ان حد الشمال من كرسى بنات نعش الى مغرب الشمس
وحد الدبور منه الى مطلع سهيل والجنوب منه الى مطلع الشمس والصبا منه الى كرسى
بنات نعش فان قلت علم مما تقرر ان كلا من الجنوب والشمال له مزية بخلاف الصبا مع
انها التى خصته صلى الله عليه وسلم وكان القياس ان تكون نصرته صلى الله عليه وسلم
باحدى تينك ليكون الافضل ولو من وجه بل كان القياس اختصاص الشمال لما
تقرر انها الافضل مطلقا قلت ان اخذنا بما عرف مما مر ان الشمال تطلق على ما يعم الصبا
فالامر واضح وان قلنا بتغايرهما كما هو الاصل فحكمة ذلك والله اعلم ان وقت مهب
الصبا هو المعين على قتال العدو بخلاف وقت مهب الشمال وقد يكون فى المفضول مزية
بل مزايا لا توجد فى الفاضل فتأمل ذلك كله فانه مهم اى مهم مع انى لم ار احدا اشار لشئ
من ذلك قال بعض المفسرين والريح مسكنها تحت الارض الثانية كما ورد فى الحديث
الصحيح وفيه لما اراد الله سبحانه ان يهلك عادا امر خازن الريح ان يرسل عليهم ريحا
ليهلكهم فقال يا رب ارسل عليهم بقدر منخر الثور فقال له الجبار سبحانه كنت تكفى
الارض ومن عليها لكن ارسل عليهم بقدر الخاتم قال فى الحديث والارض الثالثة فيها
حجارة جهنم والرابعة فيها كبريت جهنم والخامسة فيها حيات جهنم والسادسة فيها
عقارب جهنم والسابعة فيها سقر وفيها ابليس مصفد بالحديد قال فيه فاذا اراد الله ان
يطلقه لمن شاء من عباده اطلقه رواه الحاكم وقال الحافظ المنذرى انه صحيح ولم يخرجه
الشيخان ولا ينافى هذا قول الشارح السابق وفيه ان الاربع مسكنها تحت اجنحة
الكروبين حملة العرش لجواز ان تكون اجنحة الكروبين تحت الارض الثانية لما
ورد ان اقدامهم تحت الارض السابعة انتهى (و) اقسم عليك ايضا بمعجزاتك العظمى
مع (على) كرم الله وجهه فى غزوة خيبر (لما) سرت اليها ودفعت الراية وكانت سوداء لعلى
رضى الله تعالى عنه ففتح بعض حصونها وارسلت ابا بكر لحصن آخر فقاتل ورجع بلا فتح
ثم ارسلت عمر رضى الله تعالى عنه فقاتل ورجع بلا فتح وقد جهد فقال صلى الله عليه وسلم
وفى نسخة فقلت لاعطين الراية غدا رجلا يحب الله ورسوله يفتح الله على يديه فتشوف
كل احد لذلك فسألت عن على رضى الله عنه فقيل به رمد فدعوت عليا فجاءوا انسان
يقوده من شدة الرمد فحينئذ (تفلت بعينيه وكلتاهما معا) حال مؤكدة (رمداء) ثم
قلت له خذ هذه الراية وانهض بها حتى يفتح الله بها على يديك فبرأ تا لما خالطهما ريقك
الذى هو الشفاء الاكبر (فغدا) اى ذهب بتلك الراية يضرب بعينيه المثل فى حدة
الابصار كما يضرب ببصر العقاب الذى هو سيد الطيور كما فى الكامل ومن ثم قال (ناظرا

بعينى عقاب) ومن امثال العرب ابصر من عقاب ولما غدا وهو كاذ كره ولى هو ولاحتى
ركز رايته فى رضم من حجارة تحت الحصن وقال له يهودى من باب الحصن من أنت قال
على بن أبى طالب فقال اليهودى علوتم وحق ما انزل على موسى بن عمران فما رجع حتى فتح
الله على يديه وعند قتاله ضربه يهودى فطرح ترسه من يده فاخذ بابا تترس به واستمر يقاتل
حتى فتح الله عليه ومن كبر ذلك الباب ان ثمانية ارادوا ان يقلبوه فلم يستطيعوا وحمل
ايضا باب الحصن على ظهره حتى صعد المسلمون عليه ففتحوها بجروه بعد ذلك فلم يحمله
الا اربعون رجلا هذا كله (فى غزاة) معهود تمن اعظم الغزوات واجل الفتوحات
وهى غزوة خيبر كانت مدينة كبيرة ذات حصون ومزارع على ثمانية برد من المدينة الى
جهة الشام وكانت سنة سبع (لها العقاب لواء) اراد باللواء الراية وهى العلم الضخم لان
الذى كان يومئذ راية لا لواء ولم يعرف له صلى الله عليه وسلم الرايات الا بخيبر وقبلها
كانت الالوية فقط ثم قال عياض فى مشارقه اللواء الراية وعليه فلا تجوز فى النظم
وتلك الراية كانت تسمى العقاب لانها سوداء ولون العقاب اسود وكانت من برد عائشة
رضى الله تعالى عنها كذا ذكر ذلك كله اهل السير وغيرهم كالحافظ القسطلانى وغيره وبين
عقاب والعقاب الجناس التام واما قول شارحه ان التى تسمى العقاب بيضاء وانها التى
اعطاها على رضى الله تعالى عنه فهو غلط لما رأيته من كلام اهل السير على انه ناقض
ذلك حيث قال بر قوله لها العقاب لواء يحتمل ان العقاب كانت تحوم على لحوم القتلى كانها
رايات مرتفعات وهذا احتمال لا يقوله الا من لم يطلع على ما سبق ان رايته صلى الله عليه
وسلم يومئذ سوداء تسمى العقاب ثم يحتمل ان هذه هى التى اعطاها على ويحتمل انه صلى
الله عليه وسلم اعطاه غيرها كما اعطى اثنين رايتين غير راية على كرم الله وجهه ونقل
بعض اهل السير عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ان عليا رضى الله تعالى عنه هو
الذى كان معه لواء النبى صلى الله عليه وسلم فى كل زحف وعن سعيد بن المسيب ان راية
النبى صلى الله عليه وسلم يوم احد مرط اسود وراية الانصار يقال لها العقاب وفى هذا
تطويل باعتبار ان الرايات لم تعرف الا يوم خيبر وأما تسمية راية الانصار يوم احد بالعقاب فهو
جرى على ما عليه اهل اللغة أن كل راية تسمى العقاب كما ان راية النبى صلى الله عليه وسلم
تسمى بذلك وعليه فقول الناظم لها العقاب لواء لا يختص بخيبر خلافا لما يوهمه صنيعه
(و) اقسم عليك ايضا (بريحانتين) وهما سيدنا الحسن وسيدنا الحسين كرم الله وجههما
ورضى الله عن أمهما وأبيهما وفى تسميتهما بذلك اقتباس من قوله صلى الله عليه وسلم
الذى رواه البخارى هما ريحانتاى من الدنيا وفى رواية ان ابنى هذين ريحانتاى من
الدنيا (طيبهما) حسا ومعنى وفضلهما على غيرهما اتماهو حاصل (منك) لانهما بضعتان
منك مع ما احتفهما به من المزايا والخصوصيات وكان طيب رسول الله صلى الله عليه
وسلم معروفا مشهورا بين الصحابة يضرب به المثل وان لم يتطيب بل كانت ام انس

(قوله فى رضم) والرضم والرضام
صخور عظام يرضم بعضها فوق
بعض فى الابنية الواحدة رضمة
انتهى صحاح (قوله بريحانتين)
الريحانة فى اللغة كناية عن الولد
لان القلب يرتاح به والريحان
الولد الصالح والريحان الحسن
الحديث والريحان المشموم
والريحان الرزق يقال خرجنا
نطلب الريحان أى الرزق
والريحان الصبر يقال سرنا
بريحان من الليل انتهى ابن دحية

تاخذ من عرقه صلى الله عليه وسلم للتطيب به لباهر ريحه (الذى) نعت لطيبهما (أودعتهما) بالبناء للمفعول لفاطمة (الزهراء) مبتدا خبره ماقبله وهما الموصول والصلة كذا ذكره الشارح ولايصح لخلو جملة الصلة عن عائد الموصول وجوز البناء للفاعل وان المفعول الثانى محذوف اى الذى الزهراء اودعتهما اياه وفيه قلاقة وحذف من غير دليل فالصواب ان الذى نعت لريحانتين لتأويلهما بالمذكورا ونحوه ونظيرماذكرته فى الذى قوله صلى الله عليه وسلم الذى رواه ابوداود هذا امتى يعنى الحسن والحسين ونظيره ايضا قوله تعالى وخضتم كالذى خاضوا قال ابوحيان يجوز استعمال الذى بمعنى الذين لكن يجب كون ضمير الصلة ضمير الجمع اعتبارا بمعناه ثم قال والذى نختاره أى فى قوله تعالى كمثل الذى استوقد نارا انه أفرد لفظا وان كان تحته افراد فيكون التقدير كمثل الجمع الذى استوقد وقيل فى الآية الذى بمعنى الجنس فلا يختص بالواحد وقيل حذفت نونه تخفيفا وقيل موصوفه لفظا مفرد وكل من ذلك يأتى فيما نحن فيه فاستفده واشار بقوله اودعتهما الى ماهو من خصائصه صلى الله عليه وسلم ان اولاد بناته صلى الله عليه وسلم ينسبون اليه فى الكفاءة وغيرها ووجه تلك الاشارة انه جعل فاطمة مستودعة فهو الذى اودعها تلك الذرية فخرج منها منسوبة اليه وصفت بالزهراء لانها لم تحض كما فى حديث رواه الغسانى وروى الخطابى ابنتى فاطمة حوراء آدمية لم تحض ولم تطمث وانما سماها فاطمة لان الله تعالى فطمها وذريتها ومحبيها عن النار وقد ذكر الناظم عليا وفاطمة وابنيهما وياتى ذكر شئ من فضائلهم بلا اسانيد وقد استوعبتها بذكر أسانيدها وبيان أحكامها ومايتعلق بها فى كتابى الصواعق المحرقة لاخوان الضلال والرفض والابتداع والزندقة الذى لم يؤلف فى هذا الباب اجمع منه اخرج الطبرانى والخطيب ان الله جعل ذرية كل نبى فى صلبه وجعل ذريتى فى صلب على بن ابى طالب وفى حديث رجاله ثقات الا واحدا مختلف فيه انه صلى الله عليه وسلم خطب وهو محاصر الطائف فما قال اوصيكم بعترتى خيرا وان موعدكم الحوض والذى نفسى بيده لتقيمن الصلاة ولتؤتن الزكاة ولابعثن عليكم رجلا منى أو كنفسى يضرب اعناقكم ثم اخذ بيد على وقال هو هذا توفى كرم الله وجهه شهيدا على ثلاث وستين سنة ضربه ابن ملجم فى جبهته ليلة الجمعة سابع عشر رمضان سنة أربعين وهو خارج الى صلاة الصبح بعد ان استيقظ سحرا وقال للحسن انه رأى النبى صلى الله عليه وسلم الليلة فشكا اليه مالقى فقال له ادع عليهم فدعا أن يبدل خيرا منهم وانهم يبدلون شرا منه واكثر فى تلك الصلاة من الخروج والنظر الى السماء وهو يقول والله ما كذبت ولا كذبت وانها الليلة التى وعدت ومات ليلة الاحد واختلف فى موضع قبره لانه اخفى خوفا من ان ينبشه الخوارج وفى رواية انهم حملوه ليدفنوه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فنفد الجمل الذى يحمله فلم يدر أين ذهب فلذلك قال اهل العراق انه

(قوله وهما الموصول والصلة) اى المبتدا والخبر (قوله فالصواب الخ) فيه انه لريحانتين نكرة وهى لاتنعت بالمعرفة فالظاهر جعله خبر محذوف اومفعوله اى هما اواعنى الذى تأمل وقال الطبلاوى ان الاولى ان يكون الذى بصيغة المثنى صفة مطابقة لريحانتين باعتبار وقوعهما على الحسنين المذكورين على لغة حذف نون المثنى كقوله

ابنى كليب ان عمى اللذا
قتلا الملوك وفككا الاغلالا

ولم يحفظ عن الناظم ضبطه بصيغة المفرد حتى يحتاج الى مافى كلام الشارح من التكلف فاستفده وقد يرد هذا بان رسم المتن لايساعده لكونه بلام واحدة وصيغة المثنى انما ترسم بلامين وقد علمت مافى قوله صفة تأمل (قوله ولم تطمث) طمثت المرأة حاضت من باب نصر وضرب (قوله توفى الى قول الناظم كنت تأويهما) المناسب ذكره عند اقسام الناظم بعلى رضى الله تعالى عنه لتعلق ذلك به لابالريحانتين اللذين فيهما الكلام تأمل (قوله ابن ملجم) بكسر الجيم وضمها (قوله قال اهل العراق الخ) وفى طبقات الشعرانى فى ترجمة سيدى على وفى وكان يقول اى سيدى على وفى ان على بن ابى طالب رضى الله تعالى عنه رفع كما رفع عيسى وسينزل كما ينزل عيسى انتهى

٣٤ ـ وبذلك قال سيدى على الخواص سمعته يقول ان نوحا عليه الصلاة والسلام ابقى من السفينة لوحا على اسم على بن أبى طالب رضى الله عنه يقع عليه الى السماء فلم يزل محفوظا بعناية القدرة حتى رفع عليه والله اعلم بذلك

فى السحاب (كنت) على الدوام (تأويهما) اى تضمهما (اليك) لمزيد محبتك لهما وشفقتك عليهما ومن ثم صح انه صلى الله عليه وسلم قال نظرت الى هذين الصبيين يمشيان ويعثران فلم اصبر حتى قطعت حديثى ورفعتهما وأخرج الترمذى والطبرانى هذان ابناى وابنا ابنتى اللهم انى احبهما فاحبهما وأحب من يحبهما والترمذى احب اهل بيتى الىّ الحسن والحسين واحمد وابن ماجه والحاكم من أحب الحسن والحسين فقد احبنى ومن أبغضهما فقد أبغضنى وجاء من طرق صح بعضها ابناى الحسن والحسين سيدا شباب اهل الجنة وابوهما خير منهما وفى قوله وابوهما خير منهما حجة لما عليه اهل السنة ان الائمة الاربعة افضل من اهل البيت ثم ما فيهم من البضعة الكريمة لايعادله عمل وبه يوجه قول بعض المتأخرين بتفضيل الحسنين على غيرهما اى من حيث تلك البضعة وان كان غيرهما ممن ذكر افضل منهما علما وعملا ومعرفة فتأمله ٭(تنبيه)٭ قوله صلى الله عليه وسلم سيدا شباب اهل الجنة مشكل لانهما ماتا غير شابين ولان الجنة ليس فيها شباب لان الوارد ان جميع الناس من اهل الجنة يكونون على خلقة ابناء ثلاث وثلاثين سنة بعد دخولها وهم كلهم مستوون فى هذا السن الذى هو سن الكهولة واعدل الاسنان واشرفها فلهذا اختير كونهم عليها وحينئذ فليس فى الجنة شباب ولا كهول ولا شيوخ فاى شباب هما سيداهم ويجاب بان المراد بالشباب الذين ماتوا شبابا فهما سيدا هؤلاء من غير استثناء بخلاف الكهول والشيوخ فانهما قد يسودانهم وهم الاكثر وقد لا كابيهما والائمة الثلاثة لمزيد فضلهم والحاصل انهما سيدا شباب الناس على الاطلاق وغير الشباب فيهم تفصيل فلذا ذكر الشباب فقط ويحتمل ان المراد شبابها فرضا وخصوا الان النفس انما تتشوف غالبا لمن هو على سنها الذى فنه لتفضيله على غيرها من اهل ذلك العصر ثم رأيت بعضهم قرر الاشكال بنحو ماذكرته لكن ماذكرته اظهر فى الاشكال ورأيت عنه أجوبة لثلاثة من الائمة فيها بعض مخالفة سهلة لما ذكرته وزيادة على ماذكرته وساشير لذلك منها اجوبة ثلاثة لابن الحاجب منها واستظهره انه سماهم باعتبار ما كانوا عليه عند مفارقة الدنيا ولذلك يصح ان يقال للصغير يموت من صغار اهل الجنة والشيخ المحكوم بصلاحه من شيوخ اهل الجنة فهما سيدا شباب اهل الجنة بهذا الاعتبار وحسن الاخبار عنهما بذلك وان كانا لم ينتقلا عن الدنيا شابين لانهما كانا عند الاخبار كذلك انتهى وهذا يرجع عند التأمل الصادق الى قولى ويحتمل ان المراد شبابها فرضا الخ بل ان زاد صدق تأمله راى ان التعبير بما ذكرته اوضح وجوابه الثانى ان يراد انهما سيدا شباب اهل الجنة باعتبار ذلك الوقت الذى كانا فيه شابين قال ولا يرد على هذين الجوابين الزام انهما سيدا المرسلين لانهم اشباب فى الجنة لانهم غير داخلين فى شباب اهل الجنة على المعنيين جميعا انتهى وقوله لانهما شباب فى الجنة الذى بنى عليه ايضا بعض ماسبق عنه ممنوع وانما الذى دل عليه حديث كونهم

بعد دخولها

(قوله ويعثران) يقال عثر فى ثوبه يعثر بالضم عثارا بالكسر انتهى مختار (قوله على خلقة ابناء ثلاث الخ) اشار بذلك الى دفع ما عساه يقال مامعنى كونهم فى الجنة ابناء ثلاث وثلاثين اذ من مات وهو ابن سنة مثلا او ابن مائة مثلا مامعنى زيادة السنين او نقصها فى حقه فاشار بقوله خلقة يعنى من جهة القوة كما هو الغالب فى اهل ذلك السن الى تأويل ماوقع فى العبارة من ان اهل الجنة ابناء ماذكر فتدبر (قوله مستوون فى هذا السن) اى فى قوة هذا السن (قوله ولا كهول) الظاهر حذفه (قوله مفارقة الدنيا) اى مفارقة الشباب المتوفين

يدخلونها على سن ابناء ثلاث وثلاثين وهو سن الكهولة اذ الشباب الى الثلاثين
والكهولة الى الاربعين ثم منها شيخوخة وحينئذ صح ما اجبت به دون بعض ما اجيب به
وبجواب ثالث مبنى على ان اهل الجنة شباب وقد علمت ان الواقع خلافه فلا حاجة لذكره
على انه فى ذاته فيه غموض وعدم وفاء بالمقصود وان سلم ما بناه عليه كما يعلم بتأمله لمن وقف
عليه وأجاب غيره بأن معناه انهما أفضل من مات شابا فى سبيل الله من أهل الجنة ولم يرد
انهما من الشباب لانهما ماتا وقد كمل لهما كل ما يفعله الشباب من المروأة كما يقال
فلان فتى وان كان شيخا يشير الى مروأته وفتوته أو انهما سيدا أهل الجنة سوى الانبياء
والخلفاء الراشدين وذلك لان أهل الجنة كلهم فى سن واحد وهو الشباب وليس فيهم شيخ
ولا كهل انتهى وقوله وهو الشباب مردود وأجيب أيضا بانه يمكن أن يراد بهما الآن
سيدا شبابهم من أهل الجنة من شباب هذا الزمان انتهى وليس فيه كبير مدح فينافى
الغرض من ذكره صلى الله عليه وسلم ذلك مدحا لهما والحاصل ان الذى يتجه فى هذا
المقام وبه يحصل الجواب الواضح ان الذى كتبت له السعادة المعبر عنهم بكونهم أهل
الجنة شباب وكهول وشيوخ وان الحسنين تميزا فى حال شبابهما بل فى صغرهما بفضائل
على من هو فى سنهما حينئذ لا تحصى ولا يستثنى منهم احد بل فى حال شبابهما فضلا جميع
الشباب الموجودين حينئذ من غير استثناء بل الشباب مطلقا من غير استثناء ايضا اذ
لا نعلم وهما فى شبابهما ان شابا قبلهما ولا بعدهما ساواهما فضلا عن كونه فضلهما واذا
تقرر هذا فلاجل كونهما افضل الشباب من غير استثناء بخلاف الكهول والشيوخ
فانهم مالم يفضلاهما على الاطلاق فى حالة من الحالات خص الشباب بالذكر وأضافهما
الى الجنة باعتبار انه يقال لمن هو فى حال شبابه وقد كتب شهيدا هذا من شباب الجنة أى
من الموصوفين الآن بكونه من الشباب وكونه من أهل الجنة وحينئذ اتضحت حكمة
الشباب واتضحت اضافتهم الى الجنة واتضح انه لا يحتاج الى استثناء الخلفاء الاربعة
فضلا عن الانبياء واتضح ان فى هذا من التمدح لهما ورفعة قدرهما وبيان تميزهما
ما لا يخفى عظيم وقعه فتأمله لتستريح من تلك الاجوبة المطولة مع ما فيها مما سبق ومما فى
هذا الجواب الذى هو أصوبها وأوضحها (كما آوت) بالمد فيتعين للوزن وان جاز القصر فى
أصل الكلمة (من الخط) حال من الفاعل (نقطتيها الباء) أى ايواء كايواء الباء نقطتيها
حال كونها من جملة حروف الخط وكأنه أخذ هذا التشبيه من حديث البخارى عن الحسن
كان النبى صلى الله عليه وسلم يأخذنى فيقعدنى على فخذه ويقعد الحسين على فخذه
الاخرى ويضمنا ثم يقول رب انى أرحمهما فارحمهما وبما صح عن اسامة بن زيد رضى
الله تعالى عنهما قال طرقت على النبى صلى الله عليه وسلم ذات ليلة فخرج وهو مشتمل على
شئ فقلت ما هذا فكشف فاذا هو حسن وحسين على وركيه فقال اللهم هذان ابناى
وابنا ابنتى اللهم انى أحبهما فأحبهما وأحب من يحبهما وصح انه صلى الله عليه وسلم

(قوله وليس فيه كبير مدح) اى
منعه بل فيه من المدح ما لا يخفى
وذلك لانه اذا ثبت انهما سيدا
شباب ذلك الزمان ثبت انهما
سيدا شباب ما قبله وما بعده اما
الاول فلقوله تعالى كنتم خير امة
أخرجت للناس ولا شك انهما
خيار الخيار من الشباب مطلقا
واما الثانى فلقوله صلى الله عليه
وسلم خير القرون قرنى الحديث
واما النص على الشباب وان فضلا
غيرهم الا ما استثنى فلما سيأتى
فى كلام الشارح وهذا القدر
لا يختص بهذا الجواب كما نهم
واذا تأملت رأيت قول الشارح
والحاصل الخ شرحا لهذا الجواب
لكن فيه زيادة التعميم فى
التفصيل هذا وقد يرد على
ما قررنا شباب الزمن الذى قبل
زمنهما فى عصره صلى الله عليه
وسلم فالاظهر ما قاله الشارح

اقبل وقد حمل الحسن على رقبته فقال رجل نعم المركب ركبت يا غلام فقال صلى الله عليه وسلم ونعم الراكب هو ووجه التخصيص بالياء أنها خاتمة الحروف كما أنه صلى الله عليه وسلم خاتم الانبياء عليهم الصلاة والسلام ولا نظر الى ان الالف أفضل الحروف لانها مادة كل حرف فهى الآخر فى الحقيقة كما انها الاول كذلك وهكذا شأن نبينا صلى الله عليه وسلم فانه أولهم خلقا ورتبة وآخرهم وجودا وخلقا فعنصره الكريم مندرج ومنبث فى جميع الانبياء بالفعل تارة بالنسبة لمن فى عمود نسبه وبالقوة أخرى بالنسبة لمن ليس فى عموده (من) بيان لريحانتين وحينئذ فلا تجريد فيه خلافا لما زعمه الشارح (شهيدين) اما شهادة الحسن وكانت ولادته فى نصف شعبان بالمدينة سنة ثلاث من الهجرة فسببها ان يزيد بن معاوية أرسل الى زوجته جعدة الكندية ان تسمه ويتزوجها وبذل لها مائة ألف درهم ففعلت فمرض أربعين يوما ومات فبعثت الى يزيد بما وعدها به فأبى وفى سنة موته أقوال والاكثرون انها سنة خمسين وجهد به الحسين ان يخبره عن سمه فأبى وقال الله أشد نقمة وأجد كبدى تقطع وانى لعارف من أين ذهبت فحق عليك لا تكلمت فى ذلك بشئ ثم قال وأقسم عليك ان لا تريق فى أمرى محجمة دم ومن جملة كلامه لاخيه لما احتضر يا أخى ان أباك استشرف لهذا الامر فصرفه الله عنه الى الثلاثة قبله ثم ولى فنوزع حتى جرد السيف فما صفت له وانى والله ما أرى ان يجمع الله فينا النبوة والخلافة وربما استخفك سفهاء الكوفة فيخرجوك وقد كنت طلبت من عائشة ان أدفن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجابت فاذا مت فاطلبه منها وما أظن القوم الا سيمنعونك فان فعلوا فلا تراجعهم فلما مات سأل الحسين عائشة رضى الله تعالى عنها فقالت نعم حبا وكرامة فمنعهم مروان لانه كان والى المدينة فلبس الحسين ومن معه السلاح حتى رده أبو هريرة ثم دفن بالبقيع الى جانب أمه رضى الله تعالى عنهما وكان مروان يكثر من أذيته فلما مات بكى فى جنازته فقال له الحسين أتبكيه وقد كنت تجرعه بالامس ما تجرعه فقال انى كنت أفعل ذلك الى أحلم من هذا وأشار بيده الى الجبل وكان مروان هذا أشد الناس بغضا لاهل البيت وكان هذا هو سر الحديث الذى صححه الحاكم ان عبد الرحمن بن عوف رضى الله تعالى عنه قال كان لا يولد لاحد مولود الا أتى به النبى صلى الله عليه وسلم فيدعو له فادخل عليه مروان بن الحكم فقال هذا هو الوزغ ابن الوزغ الملعون بن الملعون وروى أيضا حديثا من جملته قول عائشة رضى الله تعالى عنها لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم ابا مروان ومروان فى صلبه ثم فى الحديث الصحيح انه صلى الله عليه وسلم سأل ربه ان من شتمه ولعنه او دعا عليه ان يكون ذلك رحمة له وزكاة وكفارة وطهارة ومن فضائل الحسن ما صح انه صلى الله عليه وسلم كان

(قوله انها خاتمة الحروف) وانها الابتداء الخ فلا يكون تقطيعه قصدنا التى كان يضع الحسن على وركيه فهما قصة تعظم جمعه فتتم المشابهة فى الجملة تقديرا (قوله الكندية) ٢٦٨ ان كانت نسبة الى كندة قرية بسمرقند فالكاف مضمومة وان كانت نسبة الى ناحية باليمن توصف نساؤها بالحسن فالكاف مفتوحة كما يؤخذ من القاموس (قوله سنة خمسين) وحينئذ فعمره قريب من سبع واربعين سنة (قوله ذهبت) اى اصيبت بداهية (قوله محجمة) المحجم والمحجمة قارورة الحجام (قوله فمنعهم الخ) عبارة الشارح البرلسى ولما قرب موته قالوا ان يدفنوه فى الحجرة النبوية فاشتد بنو أمية ولبسوا السلاح وقالوا لا يدفن عثمان فى حش كوكب والحسن فى الحجرة فحمل السلاح بنو هاشم على بنى أمية فبلغ الحسن فقال الحسين ولبنى عمه لا احب التشويش على الناس فأمر ان يدفن عند امه الزهراء فدفن فى البقيع وقبره معروف انتهى قال ابن الجوزى والحش البستان وكوكب رجل من الانصار وقوله فبلغ الحسن يقتضى ان مخاصمة الفريقين حال حياة الحسن وهو مخالف لما فى الشرح تأمل فان كان مراد البرلسى بالحسن الحسن البصرى فلا منافاة لكن يبعد هذا قوله فى صدر عبارته ولما قرب موته فانه ظاهر فى انه كان حيا (قوله رحمة له) قال النووى فى شرح مسلم انما يكون دعاؤه صلى الله عليه وسلم على من دعا عليه رحمة وكفارة وزكاة اذا لم يكن اهلا للدعاء عليه والسب واللعن وكان مسلما والا فقد دعا صلى الله عليه وسلم على الكفار والمنافقين ولم يكن ذلك لهم رحمة فان قيل كيف يدعو على من ليس بأهل للدعاء عليه او يسبه او يلعنه او نحو ذلك يجمله

يحمله على عاتقه ويقول اللهم انى احبه فاحبه وصح من احبنى فليحبه وليبلغ الشاهد
الغائب اللهم انى احبه فاحبه وأحب من يحبه ثلاث مرات وفى رواية جعل يفتح فمه ثم
يدخل فمه فى فمه ويقول ذلك وفى اخرى من أحبنى واحب هذين وأباهما وامهما كان معى
فى درجتى يوم القيامة وصح انه حج خمسا وعشرين حجة ماشيا وان الجنائب لتقاد بين
يديه وخرج عن ماله مرتين وقاسم الله ماله ثلاث مرات وكريه باهر وسكان فيه ايجرولم
تسمع منه كلمة فحش قط الا قوله مرة عن مخاصمة ليس له عندنا الا مارغم انفه وجاء من
طرق كثيرة بعضها صحيح انه صلى الله عليه وسلم قال وهو على المنبر ان ابنى هذا اى الحسن
سيد وسيصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين وقد حقق الله ذلك فان اباه كرم الله
وجهه لما توفى تولى الخلافة بمبايعة اهل الكوفة فكان آخر الخلفاء الراشدين بنص
جده صلى الله عليه وسلم بقوله فى الحديث الصحيح الخلافة بعدى ثلاثون سنة فمدة خلافته
هى الستة الاشهر الباقية منها وعند مضيها سار الى معاوية فى اربعين الفا فالتزاى
الجمعان علم الحسن انه لن تغلب احدى الطائفتين حتى يذهب اكثر الاخرى فرضى
بالنزول لمعاوية عن الخلافة شفقة على الامة بشروط قبلها معاوية فنزل له وحينئذ صار
هو الامام الحق وقبل ذلك كان متغلبا لكن لاجتهاده لم يكن آثما بل مأجورا واما شهادة
الحسين وكانت ولادته لخمس خلون من شعبان سنة اربع ومن مناقبه رضى الله تعالى عنه
حديث حسين منى وانا من حسين أحب الله من احب حسينا حسين سبط من الاسباط
وفى رواية الحسن والحسين سبطان من الاسباط وجاء من طرق يصحح الحافظ بعضها ان
جبريل وفى رواية ملك القطر ولعلهما اتفقتا جاءا الى النبى صلى الله عليه وسلم فاخبره
ان الحسين مقتول واراه من تربة الارض التى يقتل فيها فاعطاه لام سلمة واخبرها ان يوم
قتله يتحول دما فكان كذلك وشم صلى الله عليه وسلم ذلك التراب فقال ريح كربلاء وفى
رواية فاشار جبريل بيده الى الطف ارض بالعراق بناحية الكوفة ولا اختلاف لان
ذلك الموضع يسمى كربلاء وبالطف كذلك قال بعضهم وقال غيره كربلا قريب
من موضع يقال له الطف بقرب الكوفة وروى الطبرانى اما حسن فله هيبتى وسوددى
واما حسين فله جراءتى وجودى وروى البغوى وغيره سمى هرون ابنيه شبرا وشبيرا
وانى سميت ابنى الحسن والحسين وبه ان العرب لم تسم بهما فى الجاهلية فسببها ان
يزيد لما استخلف سنة ستين ارسل لعامله بالمدينة ان يأخذ له البيعة على الحسين ففر لمكة
خوفا على نفسه فارسل اليه اهل الكوفة ان يأتيهم ليبايعوه ويمحى ما هم فيه من الجور
فنهاه ابن عباس وبين له غدرهم وقتلهم لابيه وخذلانهم لاخيه وامره ان لا يذهب بأهله
ان ذهب فابى فبكى ابن عباس رضى الله تعالى عنهما وقال واحسيناه وقال له ابن عمر
نحو ذلك فابى فقبل ما بين عينيه وقال استودعتك الله من قتيل وكذلك نهاه ابن الزبير
رضى الله عنهم بل لم يبق بمكة الا من حزن لمسيره ولما بلغ اخاه محمد بن الحنفية بكى حتى

= فالجواب من وجهين احدهما أن المراد ليس باهل عند الله فى باطن الامر لكن فى الظاهر مستوجب فيظهر له صلى الله عليه وسلم استحقاقه لذلك بامارة شرعية ويكون فى باطن الامر ليس اهلا لذلك وهو صلى الله عليه وسلم مأمور بالحكم بالظاهر والله يتولى السرائر والثانى أن ما وقع من سبه ودعائه ونحو ذلك ليس بمقصود بل هو مما جرت به عادة العرب (قوله الا مارغم أنفه) قال فى القاموس رغم انفى لله تعالى ذل عن كره (قوله وخذلانهم) الظاهر مع ما علمت من أنه هو الذى ترك القتال ولم يسبق فذكر الشارح واتفقه مع معاوية أن قومه خذلوه

ملاء طستا بين يديه وقدم امامه مسلم بن عقيل فبايعه من اهل الكوفة اثنا
عشر ألفا فأرسل اليه يزيد ابن زياد فقتله وسار الحسين غير عالم بذلك فلقي الفرزدق
فسأله فقال القلوب الناس معك وسيوفهم مع بني أمية والقضاء ينزل من السماء ولما قرب
من القادسية تلقاه من أخبره الخبر وامره بالرجوع فهم بالرجوع فقال اخو مسلم المقتول
لا حتى نأخذ بثارنا او نقتل ثم سار فلقيه أوائل خيل ابن زياد فعدل الى كربلاء فجهز اليه
ابن زياد عشرين الفا مقاتل فلما وصلوا اليه التمسوا منه نزوله على حكم ابن زياد و بيعته
ليزيد فأبي فقاتلوه وكان أكثرهم مقاتليه المكاتبين اليه والمبايعين له فلما جاءهم فروا عنه الى
عدوه مغاضبين بذلك العدد الكثير ومعه من اهله نيف وثمانون فثبت في ذلك الموقف ثباتا
باهرا ولولا أنهم حالوا بينه وبين الماء ماقدروا عليه ولما استمر القتل في اهله حتى بلغ
خمسين صاح اماذاب يذب عن حريم رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج يزيد بن الحرث
رياحيا شجاعة وجده فقاتل بين يديه حتى قتل ثم فني اصحابه و بقي بمفرده فحمل عليهم وقتل منهم
كثيرا من شجعانهم فكثروا عليه حتى حالوا بينه وبين حريمه فصاح رضي الله تعالى عنه
كفوا سفهاءكم عن النساء والاطفال فكفوا فلم يزل يقاتلهم الى أن أثخنوه بالجراح لانه
طعن احدى وثلاثين طعنة وضرب اربعا وثلاثين ضربة ومع ذلك غلب عليه العطش
الى أن سقط الى الارض فحزوا رأسه يوم الجمعة عاشر المحرم عام احدى وستين و وضعه
قاتله بين يدي عبيد الله بن زياد متبجحا بكونه قتل خير الناس فأمر بضرب عنقه وقال اذا
علمت أنه كذلك فلم قتلته وقتل معه من اخوته وبنيه وبني اخيه الحسن ومن أولاد جعفر
وعقيل تسعة عشر رجلا قال الحسن البصري ما كان على وجه الارض لهم يومئذ شبيه
وجعل ابن زياد الرأس في طست وجعل يضرب ثناياه بقضيب وينكث أنفه ويتعجب من
حسن ثغره فبكى أنس رضي الله تعالى عنه وقال كان اشبههم برسول الله صلى الله عليه
وسلم وقال له زيد بن ارقم ارفع قضيبك فوالله لطالما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقبل ما بين الشفتين و بكى فأغلظ عليه ابن زياد وهدده بالقتل فقال لاحدثنك بما هو
اغيظ عليك من هذا رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم أقعد حسنا على فخذه اليمنى
وحسينا على فخذه اليسرى ثم وضع صلى الله عليه وسلم يده الكريمة على يافوخهما ثم قال
اللهم اني أستودعك اياهما وصالحي المؤمنين فكيف كانت وديعة النبي صلى الله عليه
وسلم عندك يا ابن زياد اه ولما دخل قصر الامارة بالكوفة امر بالرأس فوضع على ترس
عن يمينه والناس سماطان ثم ازاله وجهزه مع رؤس اصحابه وسبايا آل الحسين الى يزيد
فلما وصلوا اليه قيل ترحم عليه والمشهور أنه جعل ينكث الرأس بالخيزران ويجمع بأنه
اظهر الاول واخفى الثاني قيل والعجب كل العجب من ضرب يزيد ثنايا الحسين بالقضيب
وحمل آل النبي صلى الله عليه وسلم على اقتاب الجمال موثقين في الحبال والنساء مكشوفات
الوجوه والرؤس انتهى ولا عجب فان يزيد بلغ من قبائح الفسق والانحلال عن التقوى

(قوله من القادسية) بينها وبين
الكوفة مرحلتان (قوله عام
احدى وستين) فعمره قريب من
سبع وخمسين سنة فهو اكبر من
الحسن بقريب من عشر سنين
كما علمت من سن عمره كل و وفاته
السابق علمهما في الشرح (قوله
سماطان) اي جانبان اه مصحح

مبلغا لا يستكثر عليه صدور تلك القبائح منه بل قال احمد بن حنبل بكفره وناهيك به ورعا وعلما يقتضيان بانه لم يقل ذلك الا لقضايا وقعت منه صريحة في ذلك ثبتت عنده وان لم تثبت عند غيره كالغزالى فانه اطال في رد كثير مما نسب اليه كقتل الحسين فقال لم يثبت من طريق صحيح أنه قتله ولا امر بقتله ثم بالغ في تحريم سبه ولعنه وكابن العربى المالكى فانه نقل عنه ما يقشعر منه الجلد أنه قال لم يقتل يزيد الحسين الا بسيف جده اى بحسب اعتقاده الباطل أنه الخليفة والحسين باغ عليه والبيعة سبقت ليزيد ويكفى فيها بعض اهل الحل والعقد وبيعته كذلك لان كثيرين اقدموا عليها مختارين لها هذا مع عدم النظر الى استخلاف ابيه له اما مع النظر لذلك فلا يشترط موافقة احد من اهل الحل والعقد على ذلك ويرد بان هذا انما هو بعد استقرار الاحكام وانعقاد الاجماع على تحريم الخروج على الامام الجائر اما قبل ذلك فكان الامر منوطا بالاجتهاد واجتهاد الحسين رضى الله تعالى عنه اقتضى جوازا او وجوب الخروج على يزيد لجوره وقبائحه التى تصم عنها الآذان فهو اعنى الحسين رضى الله تعالى عنه محق بالنسبة لما عنده لا سيما ان رأى ما رأى الامام احمد من كفره وبه يرد ايضا ما قيل نظير ذلك من معاوية مع الحسن قبل نزوله له عن الخلافة ومع على كرم الله وجهه فانه كان متغلبا باغيا عليهما لكنه غير آثم لاجتهاده فالحسين كذلك انتهى فتأمل ذلك فان كلام الائمة فيه كالمتنافى ولا يزول الاشكال فيه الا بما قررته فاستفده ومما يحل توجيه تلك الكلمة ما ذكرته في مختصرى تاريخ الخلفاء للحافظ السيوطى أن رجلا سمى يزيد امير المؤمنين فأمر عمر بن عبد العزيز خامس او سادس الخلفاء الراشدين ولا يرد الحسن رضى الله تعالى عنه على الذين عبروا بالاول فانه وان كان منهم بنص الحديث الصحيح على أن الخلافة بعده صلى الله عليه وسلم ثلاثون سنة ومدة خلافته ستة اشهر تكملة هذه الثلاثين لانها لم تطل ولم يدن له ما دان للاربعة من جميع بلاد الاسلام فكأنه اندرج في خلافة ابيه فهما كرجل واحد فهو من الاربعة وحينئذ تعين أن خامسهم عمر رضى الله تعالى عنه بضربه عشرين سوطا فهذا صريح في أنه كان متغلبا بالشوكة لا اماما لان الذين هم اهل الحل والعقد حقيقة اكره اكثرهم على بيعته كما صرحت به في المختصر المذكور تبعا للاصل واقلهم من اجلاء الصحابة هربوا الى مكة ويأتى قريبا بعض ذلك مع زيادة عليه ولما وصلوا لدمشق اقيموا على درج الجامع حيث تقام الاسارى والسبى وقيل ان يزيد ارسل برأس الحسين وثقله ومن بقى من اهله الى المدينة فكفن رأسه ودفن عند قبر امه بقبة الحسن وقيل اعيد الى جثته بكربلاء بعد اربعين يوما من قتله ثم سلط الله على ابن زياد وقومه من قتلهم شر قتلة ولما نزل الذين ارسلهم ابن زياد بالرأس اول منزل جعلوا يشربون بالرأس فخرجت عليهم يد من الحائط معها قلم من حديد فكتبت سطرا بدم

اترجو أمة قتلت حسينا * شفاعة جده يوم الحساب

(قوله عمر بن عبد العزيز) ٢ هو خامس او سادس الخلفاء الراشدين ولا يرد الحسن رضى الله تعالى عنه على الذين عبروا بالاول فانه وان كان منهم بنص الحديث الصحيح على أن الخلافة بعده صلى الله عليه وسلم ثلاثون سنة ومدة خلافته ستة اشهر تكملة هذه الثلاثين لانها لم تطل ولم يدن له ما دان للاربعة من جميع بلاد الاسلام فكأنه اندرج في خلافة ابيه فهما كرجل واحد فهو من الاربعة وحينئذ تعين أن خامسهم عمر (قوله وقيل اعيد الى جثته) وهذا هو المشهور ثم نقل الى مصر في دولة الفاطمية وجعل له مدفن عظيم بالقريب من الجامع الازهر يسمى المشهد الحسينى واستمر فيه الى يومنا هذا خلافا لمن ادعى عوده الى الجثة وقد وقع للاستاذ الشيخ كريم الدين الخلوتى واقعة مناسبة تدل على وجوده فيه وفيها الامر من الحضرة الالهية بزيارة ذلك المشهد الحسينى فواظب على زيارته يوم الثلاثاء من كل اسبوع وصار يوما مشهورا يجتمع فيه خلق كثير من المقربين والمنشدين والزوار ويعرفون بركته اه من ابن عبد الحق

٢ قول المحشى هو خامس او سادس الخ هذه العبارة بعينها موجودة في الشراح التى بايدينا ولعل المحشى رحمه الله كتب على نسخة ليست هذه العبارة فيها او هى هامشة أدخلت في الشراح اه

قدموا وتركوا الرأس ثم عادوا وأخذوه او اخذه غيرهم وقدم به على يزيد ومما ظهر
يوم قتله من الآيات ان السماء امطرت دما وان اوانيهم ملئت دما وان السماء اشتد
سوادها الانكساف الشمس حينئذ حتى رؤيت النجوم واشتد الظلام حتى ظن الناس
أن القيامة قد قامت وأن الكواكب قد ضرب بعضها بعضا وانه لم يرفع حجر الا رؤى
تحته دم عبيط وان الورس انقلب رمادا وان الدنيا اظلمت ثلاثة ايام ثم ظهرت فيها الحمرة
وقيل احمرت ستة اشهر ثم لا زالت الحمرة ترى بعد ذلك وعن ابن سيرين اخبرنا أن الحمرة التى
مع الشفق لم تكن حتى قتل الحسين وقال ابن الجوزى وحكمة ذلك أن غضبنا يؤثر حمرة
الوجه والحق تنزه عن الجسمية فاظهر تأثير غضبه على من قتل الحسين بحمرة الافق
اظهارا لعظيم الجناية وكما اظهر الله تعالى عظيم الجناية على الحسين بذلك الامر الباهر
ظهوره على ولد ولد الحسين زيد صاحب المذهب المشهور رضى الله تعالى عنه فان بنى امية
استخفوا به وقتلوه وحرقوه فانتقم الحق تعالى عن فعل به حتى سلط عليه من فعل به مثل
ما فعل بزيد وأقبح بكثير كما هو مبسوط فى قصته مع هشام المشهورة وفيها من الكرامات
الباهرة لاهل البيت ما اوجب ذكرها ليطلع من يحبهم فيزداد محبة لهم او المبغض
فيتوب ويرجع الى الله تعالى واعلم أنى ذكرت فى كتابى اسنى المطالب فى صلة الاقارب
ما لفظه تنبيه آخر يؤيد ما ذكرته فى التنبيه الذى قبل هذا ما وقع لهشام بن عبد
الملك حيث قطع رسم زيد بن على فقتله قومه الذين ارسلهم اليه وحرقوه بالنار فسلط الله
عليه من اخرجه من قبره وحرقه بالنار بعد اموفاة وشرح ذلك أن زيد بن على زين
العابدين بن الحسين بن على رضى الله عنهم كان يدخل على هشام بن عبد الملك بن مروان
من فجار بنى امية وظلمتهم فكان يقع بينهما محاورات فيغضبه زيد حتى يخجل بين يدى
جندموفى عرمملكته ومن ذلك أنه قال تتزيد الوصل الخلافة وما انت وذلك وانت ابن
امة فقال له زيد ان الامة لو قصرت بولدها عن بلوغ الغاية لما بعث الله تعالى نبيا هو ابن
امة وهو له ابا العرب وابا خير النبيين وهو اسمعيل بن ابراهيم صلى الله عليهم وسلم فكانت
امه مع ام اسحق كالى مع امك وما تقصرك برجل ابوه رسول الله صلى الله عليه وسلم
وجده على بن ابى طالب فلما خرج قال هشام لجلسائه ألستم زعمتم أن اهل هذا البيت
قد انقرضوا الا لعمرو الله ما انقرض قوم هذا خلفهم ودخل عليه مرة اخرى فرأى
عنده يهوديا يسب قيل كان يسب النبى صلى الله عليه وسلم وقيل كان يسب آله فانتهره
زيد وقال يا كافر أما والله لئن تمكنت منك لاختطفن روحك فقال هشام مه يا زيد لا تؤذ
جليسنا فخرج قائلا من استشعر حب البقاء استدثر الذل الى الفناء وهاج حينئذ على
الخروج على هشام فاطاعه من اهل الكوفة خمسة عشر الف مقاتل وبايعوه وبايعه
جماعة من الائمة قيل منهم ابو حنيفة رضى الله تعالى عنه وامده بمال عظيم فخرج اوائل
المحرم سنة اثنين وعشرين ومائة وخرج معه من القراء والفقهاء واهل البصائر جماعة

(قوله دم عبيط) قال فى الصحاح فى باب الطاء المهملة فى فصل العين المهملة والعبيط من الدم الخالص الطرى (قوله وان الورس) اى الذى كان فى عسكرهم وقد كان فى قافلة من اليمن تريد العراق فوافتهم حين قتله كذا فى الصواعق والورس نبت كالسمسم ليس الا باليمن يزرع فيبقى عشرين سنة اه قاموس (قوله ان الحمرة التى مع الشفق) فهى غير الشفق لانه كان موجودا قبل قتل الحسين فقد بين رسول الله بغيبه اول وقت العشاء

آلاف فهذى لم تر الناس مثلهم ثم خذله الذين بايعوه وتأخروا عنه فقال أين الناس فقيل له احتبسوا فى المسجد فقال لا يسعهم عند الله تعالى خذلانهم لنا فعاد اليهم وامرهم بالخروج فأبوا فقال يا اهل الكوفة اخرجوا من الذل الى العز والى خيرى الدنيا والآخرة فأبوا فاقبلت جنود هشام فحمل عليهم زيد رضى الله تعالى عنه فقتل منهم مقتلة عظيمة فلم ينجع ذلك فيهم شيأ ودخلوا الكوفة فتفرقت اصحابه عنه فلم يتأثر بذلك وحاربهم يوم الاربعاء والخميس فحمل عليهم وقتل من فرسانهم كثيرين فاصيب آخر يوم الجمعة بنشابة فى جبينه فجئ له بطبيب فنزعها فمات من وقته ودفن فى قناة واجرى عليه الماء حتى لا يعرفوا قبره ثم دلوا عليه فصلب على جذع نخلة عريانا فنسجت العنكبوت على عورته لوقته فلم يرها احد فكان ذلك من كراماته الباهرة ثم أنزلوه وحرقوه بالنار حتى صار رمادا فذروه فى الهواء فلما كان زمن السفاح اول خلفاء بنى العباس وهو عبد الله بن محمد بن على بن عبد الله بن عباس رضى الله تعالى عنهم امر بامرأة هشام المذكور فشدخ رأسها بالعمد وامر بقطع ثدييها وقتلها قصاصا فى أم ولد أو زوجة كانت لزيد رضى الله تعالى عنه قتلوها ثم امر بهشام فنبش من قبره فوجد بحاله لانه كان طلى بالصبر لئلا يتغير فأخرجوه وجلدوه حتى تناثر لحمه ثم حرقوه بالنار وفعلوا به كما فعل بزيد رضى الله تعالى عنه جزاء وفاقا فتأمل نصر الله تعالى لحق على يد الاعداء فان غالب بنى العباس كانوا يكرهون ذرية الحسين لانهم كانوا ينازعونهم فى الملك ويخرجون عليهم كثيرا ومع ذلك اظهر الله الانتقام من هشام لزيد على يد من يكره بنى زيد وبنى عمه اه (ليس ينسى) كل مسلم كامل الايمان (الطف) اى يذكر ما وقع فيه ومر أنه ارض بالعراق وانه يسمى كربلاء او قريب منها وقبره به معروف يزار ويتبرك به (مصابيهما) اى مجموعهما على حد يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان أنهما انما يخرجان من الملح فقط اى مصاب الحسين لان قتله به واما قتل الحسن فانه كان بالمدينة ولم يكن قتله بالسم ظاهرا واغا علمه نزر من الناس (ولا كربلاء) بل كل منهما يذكر بتلك المصاب حتى انى أتصور فى كل ارض أنها هى فظاهره أنه مغاير للطف ومر أنه قول وكأن الناظم لمح بهذا الى ما رواه ابن سعد عن الشعبى أن عليا كرم الله وجهه لما مر بكربلاء عند مسيره الى صفين وقف وسأل عنها فقيل كربلاء فبكى حتى بل الارض من دموعه ثم قال دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يبكى القصة الآتية قريبا فى شرح قوله فابكهم (ما رعى فيهما ذمامك) بالمعجمة اى حرمتك ايها النبى الكريم مع أنه يجب على كل احد رعايتها والوفاء بها ولا يحصل ذلك الا بالقيام بجميع ما لها من العهود والحقوق والحرمة والجلالة ومن بغض شانيها واعتقاد أنه على غاية من الحماقة والضلالة والجزاءة والتهور (مرؤس) اى تابع كعملة الكندية فى الحسن وابن زياد واتباعه فى الحسين رضى الله تعالى عنهما (و) الحال أنه (قد شان هذلك الرؤساء) اى المتبوعون من الظلمة الطغاة المتمردين كيزيد فيهما لتسببه فى

قتلهما لكنهما فازا بمنزلة الشهادة العظمى وبالجزاء في الدنيا والأخرى وقول بعضهم
لا ملام على قتلة الحسين لأنهم إنما قتلوه بسيف جده الآمر بسله على البغاة وقتالهم
لا يعول عليه لأن يزيد لم تنعقد بيعته عند الحسين وغيره ممن لم يبايعوه والمبايعون له
مكرهون على البيعة كما هو معروف وغاية أمر يزيد أنه جائر فاسق متغلب وحرمة
الخروج على الإمام الجائر التي جرى عليها الإجماع محلها بعد استقرار الأمور وانقضاء
تلك الأعصار وأما تلك الأعصار فكان أهلها مجتهدين فلم يدخلوا تحت حيطة رأي غيرهم
ولذا خرج على يزيد أيضا ابن الزبير ولم يبال ببيعته ولا اعتد بها كجماعة آخرين
امتنعوا منها وهربوا ومر آنفا ما له تعلق بذلك مع زيادة وروى ابن السكن أنه صلى الله
عليه وسلم قال وقد أشار إلى الحسين إن ابني هذا يقتل بأرض العراق فمن أدركه منكم
فلينصره وبه يرد قول البعض المذكور ومما يرده أيضا ما ترتب على قتل الحسين
مما مر بعضه وبين يبدي وبان والمرؤس والرؤساء جناس الطباق (أبدلوا) أي هؤلاء
المذكورون (الود) بتثليث الواو أي المودة التي فرضها الله تعالى عليها في الآية
الآتية ببغضهم وقتالهم وإلحاق الإيذاء لهم بكل طريق أمكن حتى إن القرمطي سباهم
فأبيعت الشريفة في عسكره بدرهم والشريف بدرهمين لكثرة من سباه منهم
(و) أبدلوا أيضا (الحفيظة) أي الحمية (في) نصر (القربى) ومحبتهم أي قرابة النبي صلى الله
عليه وسلم وهم أهل البيت النبوي يعني تركوا هذين وأخذوا ضدهما فقطعوا مودتهم
وتقاعدوا عن نصرتهم ولم يمتثلوا قول الله تعالى في حقهم الدال على غاية رفعتهم قل
لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى الآية وقد اختلف المفسرون في القربى من هم
والذي صح عن الحسن بن علي كرم الله وجههما بسند حسن أنهم أهل البيت فإنه خطب
الناس خطبة بليغة فيها أنا الحسن بن محمد صلى الله عليه وسلم ثم قال أنا ابن البشير أنا ابن
النذير ثم قال وأنا من أهل البيت الذين افترض الله عز وجل مودتهم وموالاتهم زاد في
رواية على كل مسلم فقال فيما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم قل لا أسألكم عليه أجرا
إلا المودة في القربى وفي رواية ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسنا قال اقتراف الحسنات
مودتنا أهل البيت وجاء عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما بسند فيه شيعي غال لكنه
صدوق أنها لما نزلت قالوا يا رسول الله من قرابتك الذين وجبت علينا محبتهم قال علي
وفاطمة وابناهما وروى غير واحد نحو ذلك عن علي رضي الله تعالى عنه وأخرج الطبراني
عن زين العابدين أنه لما جيء به أسيرا عقب قتل أبيه الحسين رضي الله تعالى عنهما وأقيم
على درج مسجد دمشق قال بعض جفاة أهل الشام الحمد لله الذي قتلكم واستأصلكم
وقطع قرن الفتنة فقال له أما قرأت قوله تعالى قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة في
القربى قال وأنتم هم قال نعم ولا ينافي ذلك ما هو المشهور عن ابن عباس وأتباعه من حملها
على غير ذلك كما في البخاري وغيره عنه أن المراد أن لا تؤذوني يا معشر قريش بقرابتي فيكم

(قوله تحت حيطة) قال في الصحاح الحيطة بالكسر الحياطة وهما من الواوي (قوله حتى إن القرمطي سباهم) تقدم أبو طاهر القرمطي سليمان بن أبي ربيعة القرمطي بكسر القاف مكة يوم التروية سنة عشر وثلثمائة ونهب دورها وأموال الحج وقتلهم في المسجد وفي البيت وقلع الحجر الأسود من محله وأرسله إلى الجنابة والقطيف وقتل أمير مكة وقلع باب الكعبة وفرق كسوتها على أصحابه وطرح ما نقص من القتلى في بئر زمزم ودفن البقية في المسجد بلا غسل ولا صلاة ثم من الله تعالى برد الحجر الأسود إلى مكة سنة تسع وثلاثين وثلثمائة اه من اقتباس السر المصون لابن الموقع كمال الدين (قوله فأبيعت) أي عرضت للبيع قال في المختار وأباع الشيء عرضه للبيع (قوله أي الحمية) أي المنع عما يضر

وفى رواية عنه انهما أو ان يبايعوه أنزل الله عليه ذلك فقال صلى الله عليه وسلم يا قوم
اذا أبيتم ان تبايعونى فاحفظوا قرابتى ولا تؤذوهم ويؤيده ان السورة مكية ورواية
نزولها بالمدينة ضعيفة وان أمكن نزولها مرتين كما قيل به فى الفاتحة ووجه عدم المنافاة
ان من ذكره صلى الله عليه وسلم وخص بقريش اقتصر على المقصود بالذات ومن ذكر أهل
البيت وعمم فى كل مسلم ذكر ما هو المقصود بالتبع فكل من المرادين صحيح من غير منافاة
ولا تعارض بينهما ومن ثم كان ابن جبير وهو أجل تلامذة ابن عباس يفسر تارة بهذا
وتارة بهذا وفى رواية عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما الا ان تودوا الله ولا منافاة
أيضا لان من جملة مودة الله تعالى مودة رسوله وأهل بيته وادعاء نسخ الآية قول مردود
لا يلتفت اليه ولا يجوز اعتقاده كما قاله البغوى وغيره وقد صح خلافا لما وهم فيه ابن
الجوزى حديث أحبوا الله لما يغذوكم به من نعمه وأحبونى لحب الله عز وجل وأحبوا
أهل البيت لحبى وصح أيضا ما بال أقوام يتحدثون فاذا رأوا الرجل من أهل بيتى قطعوا
حديثهم والله لا يدخل قلب رجل الايمان حتى يحبهم لله تعالى ولقرابتهم منى وفى خبر احمد
انه صلى الله عليه وسلم قال لمن اشتكى عليا والله لقد آذيتنى ثم قال من آذى عليا فقد
آذانى وروى أحمد والترمذى حديث من أحبنى وأحب حسنا وحسينا وأباهما وأمهما
كان معى فى الجنة زاد أبو داود ومات متبعا السنة وبه يعلم بطلان قول الرافضة تنفع
محبتهم مع مخالفة السنة (رابدت) اى أظهرت (ضبابها) عائد لفاعل أبدت وأراد
بالضباب اليرابيع لان النافقاء لا تكون الا لها (النافقاء) هى احدى حجرة اليربوع
يكتمها ويظهر غيرها حتى لا يصاد وهو موضع من جحره يعمل الحاجز بينه وبين الفضاء
قريبا جدا حتى اذا دخل عليه من الجحرة الاخرى المسماة بالقاصعاء ضرب النافقاء برأسه
فانشق وخرج هاربا منه ولهذا يقال نفق اليربوع تنفيقا ومنه اشتقاق المنافق فى الدين
كما فى الصحاح وفى النظم تشبيه المكر بالحسنين حتى فعلوا معهما ما فعلوا باليربوع
فى مكره المذكور فهو استعارة تصريحية وفى ذكر النافقاء استعارة ترشيحية أو تشبيه
ما عند أولئك من النفاق بالنافقاء بالجامع الآتى فهى حينئذ استعارة مصرحة وفى ذكر
النافقاء مصرحة ترشحت بذكر الضباب أو تشبيه النافقاء بما عند أولئك من النفاق الذى
حملهم على ان فعلوا بآل البيت ما فعلوا فتشبيه النافقاء بنفاق أولئك استعارة بالكناية
والجامع ان النافقاء يظهر اليربوع منها فيهرب من صائده وكذلك نفاق أولئك أظهرهم
حتى هربوا من الدين وفعلوا ما فعلوا واثبات اليربوع استعارة تخييلية ويصح ان
يكون استعارة بالكناية أيضا لتشبيه الضباب بأولئك فى المكر واضافتهم الى ضمير النافقاء
تخييلية (وقست) اى غلظت واشتدت (منهم) اى المكرة الفجرة المذكورين وهو حال
من قوله (قلوب) فوصل اليهما والى ذريتهما منهم غاية الايذاء والاستهانة بحقهم الواجب
رعايته عليهم ولم تلن لهم تلك القلوب قط لان الله تعالى أراد لها الشقاوة والعذاب الاليم

(قوله أو تشبيه النافقاء الخ) فيه
ان الكلام فى بيان صفاتهم
الذميمة لا فى بيان صفات جحرة
اليربوع وكذا يقال فيما بعده
من تشبيه الضباب بأولئك
الفجرة

(على من) اى أولئك الائمة الذين هم هدو والهدى ومن ثم قال الحسن البصرى رحمه الله
تعالى فى الذين قتلوا مع الحسين من أهله ليس لهم شبيه على وجه الارض (بكت الارض
فقدهم والسماء) وهذا اقتباس من مفهوم قوله تعالى فما بكت عليهم السماء والارض
اذ مفهومه ان المؤمن تبكى عليه السماء والارض بمعنى انهما يتأسفان على ما فاتهما من
أعماله وثوابها اما الارض فمحل سجود المؤمن وعباداته واما السماء فمحل صعود الملائكة
بتلك الاعمال اليها واذا كان هذا فى مطلق المؤمنين كما علم من الآية فما بالك بآل البيت
النبوى والسر العلوى ويصح ان يكون المراد بكائهما بكاء أهلهما وهو واضح لكن
الاول أبلغ ولا مانع من حمله على الحقيقة لانه ممكن وورد به الشرع فلا يخرج عن ظاهره
الا بدليل (فابكهم) أيها السامع المخاطب (ما استطعت) اى مدة دوام استطاعتك تأسيا
بنبيك صلى الله عليه وسلم ثم بجبريل ثم بعلى كرم الله وجهه روى ابن سعد عن الشعبى قال
مر على كرم الله وجهه بكربلاء عند مسيره الى صفين فوقف وسأل عن اسم هذه الارض
فقيل له كربلاء فبكى حتى بل الارض من دموعه ثم قال دخلت على رسول الله صلى الله
عليه وسلم وهو يبكى فقلت ما يبكيك قال كان عندى جبريل آنفا وأخبرنى ان ولدى
الحسين يقتل بشاطئ الفرات بموضع يقال له كربلاء ثم قبض جبريل قبضة من تراب تلك
الارض أشمنى اياها فلم أملك عينى ان فاضتا وأخرج الترمذى ان أم سلمة رأت النبى صلى
الله عليه وسلم باكيا وبرأسه ولحيته التراب فسألته فقال قتل الحسين آنفا وكذلك رآه
ابن عباس رضى الله تعالى عنهما نصف النهار أشعث أغبر بيده قارورة فيها دم يلتقطه
فسأله فقال دم الحسين وأصحابه لم أزل أتتبعه منذ اليوم فنظروا فوجدوه قد قتل فى ذلك
اليوم فان قلت الامر بالبكاء ينافيه الحديث الصحيح فاذا وجبت فلا تبكين باكية ومن
ثم قال أئمتنا يكره البكاء بعد الموت قلت ليس المراد بالبكاء المأمور به هنا حقيقته بل لازمه
من التأسف والحزن على ما حصل للدين وأهله من استباحة حرم رسول الله صلى الله عليه
وسلم ودم بنيه وأهله ومن غاية الاستهانة بحقهم والفرح بمصابهم ومن زوال أنوار النبوة
وعلومها وتقاها وزهدها وكمالاتها بفقدهم وذلك كله مصاب لا يساويه مصاب فحق لكل
أحد ان يحزن على ذلك ويتأسف عليه وان يأمر به غيره ويدعو اليه فان قلت كيف نهى
النبى صلى الله عليه وسلم عن البكاء وبكى كما فى الحديث المذكور قلت المنهى عنه انما هو
البكاء بعد الموت لوقوع اليأس به فوجود البكاء حينئذ ربما دل على نوع تبرم بالقضاء
والواقع هنا البكاء منه صلى الله عليه وسلم قبله وهو محض رحمة حينئذ وبهذا يتبين عدم
الاحتياج للجواب بل عدم صحته بان المنهى عنه البكاء الاختيارى والذى وقع منه
صلى الله عليه وسلم لعله اضطرارى أو بيان للجواز أو أطلق منه البكاء على مجرد دمع العين
وهو لا كراهة فيه ومن ثم لما قال صلى الله عليه وسلم على ابن لاحدى بناته قيل له ما هذا
اى وقد نهيت عن البكاء فقال انها رحمة وانما يرحم الله من عباده الرحماء فبين ان مجرد

(قوله فما بكت عليهم السماء الخ) قال الكواشى فى تفسيرها فما بكت عليهم السماء والارض لكفرهم لانه روى ان المؤمن اذا مات بكت عليه السماء والارض أربعين صباحا وهذا ممكن قدرة قال صلى الله عليه وسلم ما من عبد الا له فى السماء بابان باب يخرج منه رزقه وباب يدخل منه عمله فاذا مات فقداه وبكيا عليه وعن على ان المؤمن اذا مات بكى عليه مصلاه من الارض ومصعد عمله من السماء (قوله ثم بجبريل) يقتضى انه وقع منه بكاء وان اقتصر الشارح على رواية بكاء نبينا وعلى (قوله فلم أملك عينى ان فاضتا) ظاهره انه لم يوجد منه سوى دمع الدمع الذى هو البكاء الممدود وانما وجد منه مجرد البكى المقصور الذى هو نزول الدمع (قوله رأت النبى) اى فى النوم

دمع العين لا تعلو بفيه ولا كراهة فتأمله ثم عمم ما أمر به من البكاء بما يصلح ان يكون تحليلا
له لا عليه فقال (ان) بزائه (قليلا) اى قليل (فى) مقابلة (عظيم من المصاب) لاسيما
مصاب الامة بالحسين وأهل بيته ما رضى الله تعالى عنهم أجمعين وبين قليل وعظيم طباق
وفيه اشتقاق ورد العجز على الصدر (البكاء) وان كثر وهو الصوت الذى يكون مع
الدمع واما المقصور فهو الدمع فقط وغير القليل قتل قاتليهم ودوام نصرتهم باشاعة ذكرهم
وادامة الثناء عليهم والرد على أعدائهم وغير ذلك (كل يوم وكل أرض لكربى) اى لاجل
ما حصل لى من الكرب وهو الغم الذى يأخذ النفس بحيث يخشى فوتها (منهم) اى
بسبب ما حصل لهذين الامامين وأهل بيتهما من القتل والاسر والسبى والايذاء
(كربلا) راجع لكل أرض (وعاشوراء) راجع لكل يوم ففيه لف ونشر مشوش اى زاد
بى ذلك الكرب حتى ان كل أرض حللت بها تصورت انها الارض التى قتل فيها الحسين
وكل يوم أصبح على تصورت انه يوم عاشوراء الذى قتل فيه فكربى عم جميع ما أنا فيه من
الازمنة والامكنة فلا يفارقنى بالانتقال من أرض لاخرى ولا من زمن لآخر وبين
كربى وكربلا جناس شبه الاشتقاق كهو أو جناس الاشتقاق فى نأوى وآوت
وفوضت وتفوّ يضى وطيبة وطاب وسدتم وسودتهم ووزر والزور وابوالقاسم واقسامى
وابكهم والبكاء يا (آل بيت النبى) وهم مؤمنو بنى هاشم والمطلب وهم المذكورون
فى قوله تعالى انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا وأكثر
المفسرين انها نزلت فى على وفاطمة والحسنين رضى الله تعالى عنهم وقيل نزلت فى نسائه
صلى الله عليه وسلم ونسب لابن عباس وكان مولاه عكرمة ينادى به فى الاسواق ورد
بتذكير ضمير عنكم وما بعده وقال جمع نزلت فيهما ووجهه جمع بانهن سبب النزول فيدخلن
قطعا ويدل له ما صح عن أم سلمة قلت يا رسول الله أنا من أهل البيت قال بلى ان شاء الله
والدخول آل البيت خبر مسلم انه أدخل أولئك الاربعة تحت كساء وقرأ الآية وصح انه
صلى الله عليه وسلم جعل هؤلاء تحت كساء وقال اللهم هؤلاء أهل بيتى وخاصتى اذهب عنهم
الرجس وطهرهم تطهيرا وفى حديث حسن انه صلى الله عليه وسلم اشتمل على العباس
وبنيه بملاءة ثم قال يا رب هذا عمى وصنو ابى وهؤلاء أهل بيتى فاسترهم من النار كسترى
اياهم بملاءتى هذه فقالت اسكفة الباب وحوائط البيت آمين ثلاثا فعلم ان المراد باهل
البيت فى الآية أهل بيت سكنه صلى الله عليه وسلم وهن امهات المؤمنين وأهل بيت
نسبه وهم مؤمنو بنى هاشم وبنى المطلب وصح هذا عن زيد بن ارقم والمشهور ان هؤلاء
هم آله المذكورون فى قوله اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وقيل المراد بآل البيت هنا
كل مؤمن واشتهر وخبر آلى كل مؤمن تقى ضعيف بالمرة وآل البيت الذين حرمت عليهم
الصدقة هم المرادون فى جميع ما جاء فى فضل أهل البيت أو الآل أو ذوى القربى وأولئك
الاربعة هم المرادون فى آية المباهلة كما يصرح به ما صح عنه صلى الله عليه وسلم فيها (ان

(قوله اشتمل على العباس وبنيه) وبين خبر مسلم السابق لتعدد الاشتمال فتارة اشتمل على فاطمة وعلى وابنيهما وتارة على العباس وبنيه (قوله وأولئك الاربعة) اى على وفاطمة والحسنان المتقدم انهم الذين نزلت فيهم آية انما يريد الله عند أكثر المفسرين ولو ذكر هذا عقب ما ذكره هناك لكان واضحا

فؤادى) اى قلبى (ليس) فعل جامد معناه نفى مضمون الجملة فى الحال ونفى غيرها بالقرينة وقيل هى لنفى الحال وغيره وقواه ابن الحاجب بقوله تعالى ألا يوم يأتيهم ليس مصروفا عنهم قال ابن مالك وترد لنفى العام المستغرق المراد به الجنس كلا التبرئة وهو مما يغفل عنه وخرج عليه ليس لهم طعام الا من ضريع اهـ ويصح ارادة هذا المعنى الاخير فى النظم (يسليه عنكم التأساء) بفوقية أوله اى ما حصل لهم من الشدائد والمحن وفى القاموس تأساه اذاه واستخف به بل محبتكم مقيمة فيه على الدوام لا تزال لها محنة ولا تنقضها شدة وفى الحديث والذى نفسى بيده لا يؤمن عبد حتى يحبنى ولا يحبنى حتى يحب ذوى انا حرب لمن حاربهم وسلم لمن سالمهم وعدو لمن عاداهم الا من اذى قرابتى فقد اذانى ومن اذانى فقد اذى الله تعالى وفى الحديث أيضا انا تارك فيكم ما ان تمسكتم به لن تضلوا كتاب الله تعالى وعترتى فتأمل كونه صلى الله عليه وسلم قرنهم بالقرآن فى ان التمسك بهما يمنع الضلال ويوجب الكمال وأشار الى ان ما عنده ملازم له لا يفارقه بسلو ولا تسل ولا غيرهما من الوفاء بحقهما والحزن والتحسر لمصابهما انما هو مع تفويضه الامور الى بارئها كما قال (غير) اى الا (انى) فهو استثناء منقطع (فوضت أمرى) فى ذلك كله (الى الله) تعالى الفاعل لما يشاء والمقدر لما يريد لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون (وتفويضى الامور) الى من هو مقدرها ومدبرها (براء) اى مبرئ له فوض حيث لم يكن له اعتماد على شئ من حوله وقوته وذلك متعين على كل مسلم فضلا عن كامل ومن ثم قال صلى الله عليه وسلم لا حول ولا قوة الا بالله براءة من الشرك وكنز من كنوز الجنة وفى فوضت وتفويضى جناس الاشتقاق وجملة وتفويضى الخ تذييل (رب) للتقليل (يوم بكربلاء مسىء) باعتبار ما وقع فيه من قتل الحسين ومن معه بها (خففت بعض وزره) اى ثقل ذلك الخطب الجسيم والمصاب العظيم من النفوس التى عندها غيرة لآل البيت النبوى (الزوراء) فيها مع وزره شبه الاشتقاق وهى ناحية ببغداد اى ما وقع فيها من خلفاء بنى العباس الذين هم من جملة آل البيت من اخذهم ببعض ثار ابن عمهم الحسين وغيره من آل البيت بالخروج على بنى أمية لانهم عاثوا وجاروا ولم يراقبوا الله ولا رسوله طرفة عين فى آل البيت الطاهرين المطهرين الكاملين المكملين الجامعين بين العلوم الشرعية والمعارف الربانية والاسرار الالهية والكرامات الباهرة والمعالى الفاخرة ثم نزع الخلافة منهم بعد ان نصرهم الله عليهم فقتلوهم شر قتلة كما قال (والاعادى) الذين هم أولئك الفسقة الفجرة (كأن كل طريح) اى مطروح (منهم) الى الارض ببوارق السيوف ولوامع الاسنة الموجبة لتوالى الحتوف (الزق) المنتفخ الملقى على الارض الذى (حل عنه الوكاء) وهو ما يشد به رأس الزق ولا زالوا يتبعونهم حتى قطعوا دابرهم عن آخرهم فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين وهذه القصة مبسوطة فى التواريخ كتاريخ الخلفاء للسيوطى ثم فى اختصارى له فعليك بطلبها من محلها ان

(قوله قال ابن مالك الخ) دليل لما قبله الذى قواه ابن الحاجب (قوله كلا التبرئة) اى التى للتبرئة (قوله يسليه) اى يصرفه عنكم يقال سلا عنه سلوا وسلوا وسلوانا وسليا كدعاه ورضيه ويقال اسلاه عنه (قوله عاثوا) اى افسدوا قال فى القاموس العيث الافساد وعاث يعيث (قوله والاعادى الخ) قال بعضهم تذاكر نا مع جماعة قتل الحسين رضى الله عنه فقال رجل من القوم ما احد أعان على قتل الحسين الا أصابه بلاء قبل موته فقال شيخ كبير انا ممن أعان عليه وما أصابنى أمر أكرهه الى ما حتى هذه فقام الى السراج ليصلحه فاخذته النار فخرج مبادرا الى الفرات وألقى نفسه فاشتعل وصار رمادا وذكر بعضهم ان رجلين ممن أعان على قتله طالذكر أحدهما حتى صار يلقيه على عاتقه وبالهامن فتيحة فى الشاقين فتيحة الاخرى وتابع ما يشرب الراوية من الماء فلا يروى ا

ثنت يا (آل) فهو منادى وأصله أهل ابدلت الهاء همزة ساكنة وقبلها همزة متحركة فابدلت الساكنة ألفا على القاعدة ولا يضاف الا الى الاشراف كما هنا وانما قيل آل فرعون لانه كان متصورا بصورة الاشراف (بيت النبى) ومرآة تقايانهم (طيبة) أصولا وفروعا ونفوسا وانفعالا وأقوالا وصفات وظاهرا لتعلم أن المراد بالطيب في بيتين طيبهما منك غير المراد به هنا وهو محتمل ويحتمل انه في الموضعين الطيب ظاهرا او باطنا وان الطيب ثم لهما وهنا الباقين وهو الوجه لان ذالك خصوصهما وهذا في عموم أهل البيت كما دلت عليه الآية السابقة انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا انهى منبع فضائلهم لاشتمالها على غرر من مآثرهم والاعتناء بشأنهم حيث ابتدئت بانما المفيدة لحصر ارادته تعالى اذهاب الرجس عنهم وهو الاثم أو الشك فيما يجب الايمان به وتطهيرهم من سائر الاخلاق والاحوال المذمومة وفي أحاديث تحريمهم على النار وهو فائدة ذلك التطهير وغايته اذ منه الهام الانابة الى الله تعالى وادامة الاعمال الصالحة ومن ثم لما ذهبت عنهم الخلافة الظاهرة لكونها صارت ملكا عوضوا والم تتم لحسن عوضوا عنها الخلافة الباطنة حتى ذهب قوم الى ان قطب الاولياء في كل زمن لا يكون الا منهم وحكمة ختم الآية بتطهيرا المبالغة في وصولهم لاعلاه وفي رفع التجوز عنه ثم تنوينه تنوين التعظيم والتنكير المشير الى انه تطهير بديع ليس من جنس ما يتعارف ويؤلف ثم اكد ذلك صلى الله عليه وسلم بقوله وقد جعل على على وفاطمة والحسنين كساء وقرأ الآية اللهم هؤلاء أهل بيتي أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا وفي رواية اللهم ان هؤلاء آل محمد فاجعل صلواتك وبركاتك على آل محمد انك حميد مجيد وفي أخرى اللهم أهلي اذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا ثلاثا وصح حديث ان مثل أهل بيتي مثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها هلك وحديث خيركم خيركم لاهلي من بعدي وحديث سألت ربي ان لا اتزوج الى أحد من أمتي ولا يتزوج الى أحد من امتي الا كان معي في الجنة فاعطاني ذلك وحديث واحبوني لحب الله واحبوا أهل بيتي لحبي وحديث انا حرب لمن حاربهم وسلم لمن سالمهم قاله لعلي وفاطمة وابنيهما وحديث ان لكل بني اب عصبة ينتمون اليها الا ولد فاطمة فانا وليهم وعصبتهم وهم عترتي خلقوا من طينتي ويل للمكذبين بفضلهم من أحبهم أحبه الله ومن أبغضهم أبغضه الله وحديث والذي نفسي بيده لا يبغضنا أهل البيت أحد الا كبه الله في النار (فطاب المدح لي فيكم) وان لم أستوف واجب حقكم ومعالي شرفكم لان الله تعالى ورسوله اثنيا عليكم بما تنقطع الاعناق دون الوصول الى غايته والاحاطة بشيء من نهايته (وطاب) لي فيكم (الرثاء) وهو تعداد محاسن موتاكم وفي طيبة وطاب الاشتقاق والمدح والرثاء الطباق (انا حسان مدحكم) اى انا المشبه في الاعتناء بمدحكم على أقصى ما يمكن من وجوه البلاغة وقوانين الفصاحة بحسان بن ثابت شاعر رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى

(قوله عشوشا) ذكر في القاموس جملة معان العشوش والمناسب منها هنا قوله وملك فيه تعسف وظلم (قوله لا يكون الا منهم) وممن قال يكون من غيرهم أبو العباس المرسى كما نقله تلميذه التاج بن عطاء الله اه منه (قوله ان مثل أهل بيتي الخ) وما الطف قول بعضهم يمدح أهل البيت

يا بحار الندى أأخشى وأنتم
مغن النجاة يوم المعاد
لست أخشى يا آل أحمد ذنبا
مع حبي لكم وحسن اعتقادي

(قوله لان الله ورسوله اثنيا الخ) ولقد ورشيخنا العلامة الشبراوى من قصيدة يمدح بها آل البيت قال لي قائل وأيتك تهوى
آل طه وداعما تجتبيهم
ان هذا عليك لستغرق العمر
مديحا فيهم وفيمن يليهم
قلت هذا أقول والكون طرا
يشهد العالمين ناديهم
أنا لا استطيع أمدح قوما
كان جبريل خادما لابيهم

كان ينصب له منبرا فى مسجده ينافح عليه كفار قريش ويرد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ويدعو له بقوله اللهم أيده بروح القدس ومن بلاغته انه لما أراد ان يهجو قريشا أخبره النبي صلى الله عليه وسلم بأنه ما من بطن من بطون قريش الا وله اليها قرابة فقال لاسلنك منهم كما تسل الشعرة من العجين ورآه عمر رضى الله عنه مما ينشد شعرا فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فنظر اليه شزرا فقال كنت أنشده فيه بين يدى من هو خير منك وهو يقول اللهم أيده بروح القدس ثم استشهد بعض الصحابة على ذلك فشهد وا له به (فاذا انحت) اى رفعت صوتى بالبكاء (عليكم فانى الخنساء) بنت عمرو بن الشريد من سراة قبائل منهم قيس عيلان قيل قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم مع قومها بنى سليم الموالين له صلى الله عليه وسلم ولذا حضر معه منهم يوم فتح مكة وحرب حنين الف رجل ونظرت عائشة رضى الله تعالى عنها عليها ثوب الحزن فاخبرتها أنه صلى الله عليه وسلم نهى عنه فاعتذرت أنها لم تعلم بالنهى ثم ذكرت سببه وهو ان زوجها افتقر فسألت أخاها فقاسمها ماله فافتقر فسألته فقاسمها ماله ثم الثالثة كذلك ثم الرابعة كذلك فعنفته زوجته فاجابها أنها كتمت عارها ولو هلك مزقت خمارها ولبست من شعر صدارها قالت فلما هلك اتخذت هذا الثوب قيل لجرير من اشعر الناس قال انا ولولا هذه قيل له بم فضلتك قال بقولها

يقنى الزمان وما تفنى عجائبه ✽ ابق لنا ذنبا واستؤصل الراس

ابق لنا كل مجهول وفجعنا ✽ بالحالمين فهم هام وارماس

ان الجديدين فى طول اختلافهما ✽ لا يفسدان ولكن يفسد الناس

واجمع علماء الشعر انه لم تكن امرأة قبلها ولا بعدها اشعر منها اى فانى متبعة لها فى نوحها على أخيها صخر ورثائها له بالمعانى البديعة والمبانى البليغة ومجامع الثناء وجوامع الرثاء ومنه قولها

الا يا صخر ان ابكيت عينا ✽ لقد أضحكتنى دهرا طويلا

(قوله ينافح عليه) قال فى الصحاح نافحت عن فلان خاصمت عنه ونافحوهم مثل كافحوهم (قوله ويدعو له) اى بلسانه (قوله بروح القدس) والروح بالضم ما به حياة الانفس ويؤنث والقرآن والوحى وجبريل وعيسى عليهما السلام والنفخ وأمر النبوة وحكم الله وامره وملك وجهه كوجه الانسان وجسده كالملائكة اه قاموس ولا يخفى المناسب من هذه المعانى هنا ثم رأيت فى البيضاوى فى تفسير قوله تعالى وايدناه بروح القدس فى سورة البقرة ما نصه بالروح المقدسة كقولك حاتم الجود ورجل صدق ثم ذكر فى معنى روح القدس اسم الله الاعظم ومناسبة هذا المعنى هنا ظاهرة (قوله الا وله اليها قرابة) قال النقاش ليس فى العرب قبيلة الا ولدت النبي صلى الله عليه وسلم من قبل امهاته الا بنى تغلب لنصرانيته (قوله فنظر اليه شزرا) هو نظر الغضبان بمؤخر العين (قوله كنت انشده) قال فى القاموس انشد الشعر قرأه (قوله بنت عمرو) قال فى القاموس وخنساء بنت خذام وبنت عمرو بن الشريد صحابيتان وبنت عمرو اخت صخر شاعرة اه هذا يقتضى انها غير صحابية فتكون حال قدومها عليه صلى الله عليه وسلم مع قومها قبل اسلامها ولم تجتمع عليه مسلمة وتقدم نظير ذلك عند قوله فى حلاها وحليها الخنساء وهذه العبارة تفيد ان بنت عمرو ابن الشريد غير اخت صخر فكيف قول الشارح ابن الشريد (قوله من شعر صدارها) الصدار بكسر الصاد قميص صغير يلى الجسد اه صحاح وفى المثل كل ذات صدار خالة أى من حق الرجل ان يغار على كل امرأة كما يغار على حرمه (قوله فهم هام) الهام جمع الى هامة وهى الرأس من كل شىء وطائر من طير والليل وهو الصدى ورئيس القوم والرمس كتمان الخبر والدفن والقبر كالمرمس والراموس والجمع ارماس ورموس (قوله واجمع علماء الشعر الخ) قيل ان النابغة الذبيانى كان اذا قدم الموسم عرض عليه الناس اشعارهم فجاءت الخنساء فعرضت عليه فيمن عرض فقال لها ما رأيت ذات حر اشعر منك فقالت لا والله ولا ذا خصيين ايضا وبه حسان بن ثابت وانشده فقال انت اشعر من انشدنى فى هذا اليوم ولولا امرأة من خثعم فقال أ الى تقول هذا انا والله اشعر منك ومن ابيك قال حين تقول ماذا قال حين اقول لنا الجفنات الغر يلمعن فى الضحى ✽ واسيافنا يقطرن من نجدة دما ✽

الى ان قالت

اذا قبح البكاء على قتيل * رأيت بكاءك الحسن الجميلا

ومنه أيضا

يؤرقني التذكر حين أمسي * ويردعني عن الاحزان نكسي
على صخر وأي فتى كصخر * ليوم كريهة وطعان حلس

ثم قالت أيضا

وما يبكون مثل أخي ولكن * اعزي النفس عنه بالتأسي

ومنه

اعيني جودا ولا تجمدا * الا تبكيان لصخر الندى
الا تبكيان الجري الجميلا * الا تبكيان الفتى السيدا
طويل النجاد رفيع العماد * وساد عشيرته امردا

ومنه

وان صخرا لتأتم الهداة به * كأنه علم في رأسه نار

وسأل الخليفة المهدي الفضل عن أشعر بيت قالته العرب فذكر هذا فأعطاه ثلاثين ألف درهم بعد ان شكا ان عليه دينا عشرة آلاف درهم ورآها عمر رضي الله عنه تطوف بالكعبة لاطمة خدها معلقة نعل صخر في خمارها فوعظها فقالت رزئت فارسا لم يرزأ أحد مثله فقال ان في الناس من هو أعظم رزية منك وان الاسلام قد غطى ما كان قبله واذا لا يحل لك اللطام وجهك ولا كشف رأسك فكفت وحضرت حرب القادسية مع بنيها أربعة رجال فحرضتهم على الثبات أبلغ تحريض ثم قالت فاذا رأيتم الحرب قد شمرت عن ساقها وجللت نارها على أوراقها فتيمموا وطيسها وجالدوا رئيسها تظفروا بالنعيم والكرامة في دار الخلد والمقامة فتقدموا حتى قتلوا كلهم فقالت الحمد لله الذي شرفني بقتلهم وارجو ان يجمعني بهم في مستقر الرحمة وكان عمر رضي الله عنه يعطيها ارزاقهم لكل مائتان حتى قبض رضي الله عنه وعنهم (سدتم الناس) ايها الحسنان وذريتهما فالمراد بالناس بالنسبة اليهم الكل لكن بالنسبة لما فيهم من البضعة الكريمة التي لا يعادلها شيء وما بقية آل البيت فالمراد بالناس بالنسبة اليهم من عدا الصحابة هذا كله بالنظر الى النسب واما بالنظر الى السيادة (بالتقى) فهو خاص بالمتقين منهم وخصهم بذلك لانه جاء عن كثير منهم من التقوى والزهد والعبادة والعلم والمعرفة ما لم يجئ عن غيرهم وبهذا يجاب عما اورد على الناظم ان السيادة من حيث التقى لا تختص بهم والكلام انما هو فيما اختصوا به ووجه الجواب تميزهم عن أكثر الناس بتقى لم يصل اليه غيرهم والمعنى كما سدتم الناس بالنسب سدتموهم بزيادة التقى الذي لا يوجد في غيركم ومر أن جماعة قالوا ان القطب لا يكون الا منهم ومع ذلك كله ففي النظم ايهام الآن يقال

أحسن وقلت يلمعن بالضحى وكل شيء فهو يلمع بالضحى ولو قلت بالدجى كان أحسن ولكن أخاف ان لا تحسن أن تقول مثل قولي

فانك كالليل الذي هو مدركي * وان خلت ان المنتأى عنك واسع

وهذا العمري من أحسن كلام وابلغه وافصحه وان بيت حسان ايضا لمن جيد الكلام (قوله نكسي) النكس بالكسر السهم الذي ينكس أعلاه فيجعل فوقه اسفله وايضا الرجل الضعيف وفي القاموس والنكس والنكاس بضمهما عود المرض بعد الشفاء (قوله حلس) الحلس بكسر الحاء المهملة الشجاع وبالجيم المكسورة القدم الغليظ الاحق (قوله النجاد) بكسر النون اي حمائل السيف والمراد وصفه بطول القامة (قوله رفيع العماد) قال في الصحاح الابنية المرتفعة يذكر ويؤنث الواحدة عمادة وفلان طويل العماد اذا كان منزله معلما لزائره اه وفي شرح مسلم للنووي ومعنى رفيع العماد وصفه بالشرف وسنا الذكر وقيل رفيع العماد معناه منه الذي يسكنه عال ابراه الضيفان وأصحاب الحوائج فيقصدونه وهكذا بيوت الاجواد (قوله علم) اي جبل مرتفع (قوله

سيادتهم الناس بالنسب أشهر من ان تذكر ودليل الاول أعنى السيادة من حيث النسب
الذى هو أشرف الانساب آية المباهلة قال بعض محقق المفسرين فيها الادليل أقوى من
هذا على فضل فاطمة وعلى وابنيهما رضى الله تعالى عنهم اى لانها لما نزلت دعاهم
صلى الله عليه وسلم فاحتضن الحسن وأخذ بيد الحسين ومشت فاطمة خلفه وعلى
خلفها فعلم انهم المراد من الآية وان اولاد فاطمة وذريتهم يسمون أبناءه وينسبون
اليه نسبة حقيقية نافعة فى الدنيا والآخرة ويدل لذلك ماصح انه صلى الله عليه
وسلم خطب فقال مابال أقوام يقولون ان رحم رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينفع قومه
يوم القيامة بلى والله ان رحمى موصولة فى الدنيا والآخرة الحديث وأخرج الطبرانى
حديث ان الله عز وجل جعل ذرية كل نبى فى صلبه وان الله تعالى جعل ذريتى فى صلب
على بن أبى طالب وروى غيره نحوه من طرق وفى بعضها زيادة اذا كان يوم القيامة
دعى الناس باسماء أمهاتهم سترا من الله عليهم الا هذا وذريته فانهم يدعون باسمائهم لصحة
ولادتهم وذكر ابن الجوزى ذلك فى العلل المتناهية مردود بان كثرة طرقه ترقيه الى درجة
الحسن بل الصحة ويؤيده ماصح من عمر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
كل سبب ونسب ينقطع يوم القيامة ماعدا سببى ونسبى وفى رواية زيادة الصهر
والحسب وكل بنى أنثى عصبتهم لابيهم ماعدا ولد فاطمة فانى أنا ابوهم وعصبتهم وجاء فى
حديث آخر بسند رجاله من اكابر أهل البيت أن عمر قال ذلك لما تزوجه على بنته من
فاطمة أم كلثوم وانكار جماعة من متأخرى اهل البيت أن عليا لم يزوجها لعمر ليس فى
محله واقرار الصحابة لعمر على هذا الاستدلال صريح فى ردّ ماعارضه من اقاويل شاذة
فى هذه المسئلة لا سيما لبعض بنى أمية فى ذلك ودليل الثانى اعنى النظر الى أن السيادة
بالتقوى ماصح انه لما نزل قوله تعالى وأنذر عشيرتك الاقربين دعا صلى الله عليه وسلم
جميع بطون قريش فعم وخص وقال للكل لا أغنى عنكم من الله شيأ غير ان لكم رحما
سأبلها ببلالها اى سأصلها بصلتها ومعنى ذلك أنه لا يملك لاحد نفعا ولا ضرا لكن الله
يملكه نفع أقاربه بل وامته بشفاعته الخاصة والعامة واخرج الطبرانى حديث ان اهل
بيتى هؤلاء يرون أنهم اولى الناس بى وليس كذلك ان اوليائى منكم المتقون من كانوا
حيث كانوا وصحح الحاكم حديث وعدنى ربى فى اهل بيتى من اقر منهم بالتوحيد ولى
بالبلاغ أن لا يعذبهم واخرج احمد حديث والذى بعثنى بالحق نبيا لو اخذت بحلقة الجنة
مابدأت الابكم وجاء فى احاديث ضعيفة أن فاطمة احصنت فرجها فحرمها الله وذريتها
على النار وفى رواية أن عليا قال يارسول الله لم سميت فاطمة قال لان الله فطمها وذريتها
عن النار ثم اخرج الطبرانى بسند رجاله ثقات ان الله غير معذبك ولا احد من ولدك وورد
ياعباس ان الله غير معذبك ولا احد من ولدك ولا ينبغى لاحد من اهل البيت أن يغتر بذلك
لانه استفيد من قوله صلى الله عليه وسلم فى الحديث السابق ان اهل بيتى هؤلاء يرون أنهم

قوله فى الصحيفة السابقة فى ثلاث مواضع سقط الثالث

(قوله كل سبب) اى نكاح ونسب اى قرابة معناه ان امته ينتفعون بالنسبة اليه يوم القيامة بخلاف غيره (قوله سأبلها ببلالها) اى اصلها وبلالها بكسر الموحدة وفتحها هو الماء اى سأصلها بالماء شبهت قطيعة الرحم بالحرارة ووصلها باطفاء الحرارة ببرده ومنه الحديث بلوا ارحامكم ولو بالسلام

اولى الناس بى وليس كذلك ان اوليائى منكم المتقون الخ وحديث البخارى ومسلم ان
آل بنى فلان ليسوا لى باولياء انما وليى الله وصالح المؤمنين لان نفع رحمه وقرابته وشفاعته
للمذنبين من اهل بيته وان لم ينتف لكن ينتفى عنهم بسبب عصيانهم ولاية الله ورسوله
لكفرانهم نعمة قرب النسب اليه صلى الله عليه وسلم بارتكابهم مايسوء صلى الله عليه
وسلم عند عرض عملهم عليه ومن ثم يعرض صلى الله عليه وسلم عن بعض من يقول منهم فى
القيامة يامحمد يريد أن يشفع له فيقول صلى الله عليه وسلم لا املك لك من الله شيأ كما فى
الحديث وتأمل قول الحسن بن الحسن السبط رضى الله تعالى عنهما لبعض الغلاة فيهم
ويحكم احبونا لله فان اطعنا الله فأحبونا وان عصينا الله فابغضونا ويحكم لو كان الله
نافعا بقرابة من رسول الله صلى الله عليه وسلم بغير عمل بطاعته لنفع بذلك من هو اقرب
الينا منا اى كأبى طالب والله انى اخاف أن يضاعف للعاصى منا العذاب ضعفين وان
يؤتى المحسن منا اجره مرتين وكأنه اخذ ذلك من قوله تعالى يانساء النبى من يأت منكن
بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين وقال موسى بن على بن الحسين بن على عن
ابيه عن جده انما شيعتنا من اطاع الله وعمل اعمالنا وبه يعلم أن الفرقة المسماة بالشيعة
ليسوا من شيعة آل البيت وانما هم من شيعة ابليس لعنه الله كما فى الحديث الذى رواه
الدارقطنى وقال ان له عندى طرقا كثيرة يا ابا الحسن انت وشيعتك فى الجنة وان قوما
يزعمون أنهم يحبونك يصغرون الاسلام ثم يلفظونه يمرقون منه كما يمرق السهم من الرمية
لهم نبز يقال لهم الرافضة فان ادركتهم فقاتلهم فانهم مشركون وفى رواية قالوا يارسول
الله ما العلامة فيهم قال لايشهدون جمعة ولاجماعة ويطعنون فى السلف (وسواكم)
الذين يدعون سيادة ويتقمون عليكم كسفهاء بنى امية او المراد وسواكم اى غيركم الذين
لم يعملوا بعملكم لاسيادة لهم فى الدين اصلا بل ولافى الدنيا عند الكمل وانما (سودته)
عند الجهلاء منهم او افرد الضمير نظرا للفظ سوى (البيضاء) اى الفضة البيضاء (والصفراء)
اى الذهب اى طمع الناس فى ماله فتخصيص هذين لشدة الاحتياج والتطلع اليهما اكثر
من غيرهما وفى سدتم وسودته الاشتقاق والبيضاء والصفراء التدبيج (و) أقسم عليك
(باصحابك) جمع صاحب وهو من اجتمع ولو طفلا وأعمى بالنبى صلى الله عليه وسلم فى حياته
مؤمنا ومات مؤمنا وحذف الشارح كشيخه الجلال المحلى رحمهما الله تعالى لهذا الاخير
فيه نظر وايهام وان وقع فى صنيع احمد بن حنبل رضى الله تعالى عنه فى مسنده مايؤيد
ذلك كما بينته فى محل آخر (الذين هم بعدك فينا الهداة) اى الدالون للامة على الله تعالى
بما يجب له ويجوز ويستحيل عليه وعلى رسوله كذلك وعلى شريعته وعلى تهذيب
النفوس وكمال الاخلاق والجهاد فى الله تعالى وغير ذلك مما يليق بكل ماذكر وهذا مقتبس
من قوله صلى الله عليه وسلم اصحابى كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم واستخلص من هذا
المقام اخص افراده بذلك فقال اقتدوا باللذين من بعدى ابى بكر وعمر (والاوصياء) اى

(قوله ضعفين) اى ضعفى عذاب
غيرهن اى مثليه اى لان الذنب
منهن اقبح فان زيادة قبحه تتبع
زيادة فضل المذنب والنعمة عليه
ولذلك جعل حد الحر ضعفى حد
العبد وعوتب الانبياء بمالم يعاتب
به غيرهم انتهى بيضاوى (قوله
نبز) النبز بالتحريك اللقب انتهى
صحاح (قوله جمع صاحب) فيه
ان فاعلا لايجمع قياسا على افعال
فاجهال وانصار واشهاد واطهار
فى جمع جاهل وناصر وشاهد
وطاهر جموع محفوظة لايقاس
عليها فكان الظاهر ان يقول
اسم جمع وقد يقال هو من جملة
ماشذ كالجموع السابقة فيكون
قوله جمع صاحب اى شذوذا
فتامل (قوله اصحابى الخ) نقل ابو
حيان فى النهر فى تفسير قوله تعالى
تبيانا لكل شئ الآية فى سورة
النحل ان هذا خبر مكذوب باطل
لم يصح قط لكن عبارة الشارح
فى الصواعق نصها روى الدارمى
وابن عدى وغيرهما انه صلى الله
عليه وسلم قال أصحابى كالنجوم
الخ وبه تعلم ردما أطال به أبو
حيان

الذين وصيتهم بالقيام بامور الدين والمجاهدة عليها فافتتحوا الامصار والبلاد وساسوا الامة ونشروا فيها علوم الكتاب والسنة حتى خضعت لمعاليهم الرؤس وبادوا اهل الزيغ عن آخرهم فلم يبق منهم رئيس ولا مرؤس وانما جعلت الاوصياء على من ذكر ردا على من زعم أنه صلى الله عليه وسلم وصى بالخلافة لابي بكر وعلى ووجه الرد أن الذى دلت عليه صرائح السنة ووقع عليه اجماع من يعتد به أنه صلى الله عليه وسلم لم يوص فى أمر الخلافة بشئ صريح والا لهلكت الامة لو خالفوا ذلك النص فاقتضت المصلحة العامة وشفقته صلى الله عليه وسلم على امته أن لا ينص عليها صريحا وانما اشار صلى الله عليه وسلم أنها لابى بكر باشارات تقرب من الصريح كما بينتها فى الكتاب السابق ذكره ولعل تلك المصلحة التى ذكرناها فى عدم التصريح هى التى ظهرت له صلى الله عليه وسلم ولما طلب فى مرض موته دواة وقرطاسا ليكتب فيه ما لا يضلون معه فكثر عنده اللغط فمن مريد للكتابة ليقع التصريح وينقطع العذر ومن مريد عدمها كعمر خشية من مخالفة النص المؤدية الى هلاك المخالف فلذا ترك صلى الله عليه وسلم الكتابة والدليل على أنه انما ترك لمصلحة انه مكث بعد ذلك المجلس اياما ولم يذكر ذلك ولا طلبه ولو كان فيما طلبه مصلحة عائدة على احد لم يترك ذكره وان وقع اعظم مما وقع فكونه صلى الله عليه وسلم اوضح دليل على ما تقرر (أحسنوا بعدك) اى بعد وفاتك (الخلافة) عنك (فى الدين) بالقيام بجميع ما يجب او يحسن مراعاته من الامور الظاهرة والباطنة حيث أجمعوا على استخلاف ابى بكر ثم على استخلاف عمر ثم على استخلاف اصحاب الشورى لعثمان ثم على مبايعة على ثم مبايعة ابنه الحسن ثم بعد نزول الحسن لمعاوية ثم على ولاية معاوية رضى الله تعالى عنهم وحيث نصبوا كلهم نفوسهم لمجاهدة الاعداء ونشر العلوم الى أن تحملها عنهم التابعون ثم من بعدهم جزاهم الله تعالى عن الاسلام والمسلمين خيرا (وكل) منهم (لما تولاه) فى حياته صلى الله عليه وسلم وبعد وفاته من الخلافة او الامارة او القضاء او تجهيز الجيوش وحفظ الثغور والحصون وغير ذلك من امور الدنيا والدين على أن جميع امورهم انما كانت للدين لا غير (ازاء) بكسر الهمزة وفتح الزاى ككتاب اى قيم بما تولاه اهل له فى اى بقعة او زمن كان كيف وهم جميعهم عدول كما نطق به القرآن ومن وقعت له منهم هفوة فقد كفرت عنه بحد او توبة ثم (أغنياء نزاهة) اى من جهة النزاهة والتعفف عن جمع المال وان كان من جهة يقطع بحلها الان محط نظرهم انما هو التجرد المطلق عن سائر القواطع عن الله تعالى وقد قال صلى الله عليه وسلم ليس الغنى بكثرة العرض اى المال وانما الغنى غنى النفس اى بالله علموا سواء أكان بيدهم مال ام لا ومن كان منهم بيده مال كابن عوف وعثمان والزبير فانما كان خازنا لله تعالى يصرفه فى مصارفه الشرعية فهو مقتنيه لذلك لا للفخر ولا للمباهاة ولا لحب جمع ذلك الحطام الفانى ولذلك جاء أن عبد الرحمن بن عوف أعتق ثلاثين الف رقيق وتصدق هو وعثمان فى غزوة

تبوك

تبوك بما يبهر العقل وكان الزبير القصعة تؤدى اليه الخراج وما مات الا وعليه قدر كثير جدا من الديون وكون المخلف عن ابن عوف ربع ثمنه ثمانون الف دينار لا ينافى ما تقرر أنه انما كان خازنا لله تعالى لان الخازن لله ليس معناه أنه يخرج جميع ما بيده دفعة واحدة بل يبقيه ويخرج منه ما هو المطلوب منه فى كل حال او زمن وأما اخراجه صلى الله عليه وسلم لجميع ما كان يدخل فى يده دفعة فهو اما الاحتياجه لذلك لضرورات اصحابه او لان حاله فى الامور الخارقة للعادة لا يقدر غيره على التأسى به فيها فلا يكلف بذلك وتخلف ابن عوف عن الفقراء فى دخول الجنة الوارد اما لكونه يقف ليشفع او ليسئل سؤال تكريم عما أنعم به عليه أو جبرا لخاطر الفقراء بذلك وكل ذلك غير قادح فى فضله رضى الله تعالى عنه هم (فقراء) اى غالبهم بل كلهم لان ذوى الغنى منهم كانوا خزانا لله تعالى كما مر فلا يعدون من الاغنياء الا باعتبار الصورة كما مر واما باعتبار الحقيقة فهم على غاية من الافتقار الى الله تعالى ببواطنهم وظواهرهم لا يشهدون لنفوسهم مالا ولا غنى وانما يعدون أنفسهم خزنة لا غير وبما تقرر فى معنى غناهم وفقرهم يعلم أن الغنى الشاكر أفضل من الفقير الصابر وهى مسئلة كثر الاختلاف فيها والحق منهما ما قررته لما علمت أن الغنى هو الذى ختم به أمره صلى الله عليه وسلم وهو صلى الله عليه وسلم كان دائم الترقى فى الكمالات فلولا أن الغنى مع الشكر افضل من الفقر مع الصبر لما ختم له به صلى الله عليه وسلم قبل موته قيل ومحل الخلاف فى الفقر مع الصبر كما تقرر وأما الفقر مع الرضا فهو أفضل قطعا اه وفيه نظر واضح لانه صلى الله عليه وسلم كان فى ابتداء امره مع فقره على غاية من الرضا لم يصل اليها غيره ومع ذلك لم يختم له الا بالغنى مع الشكر كما تقرر وبفرض صحة هذا القول فغالب فقراء الصحابة يفضلون أغنياءهم لانهم راضون بفقرهم قطعا وبين الاغنياء والفقراء التضاد وكذا بين أئمة وامراء وبين الرخص والاغلاء الآتيات هم (علماء أئمة) لانهم ورثوا من علومه صلى الله عليه وسلم ما تميزوا به على جميع من جاء بعدهم وفى الحديث اصحابى كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم وهذا بالنسبة لاكثرهم والا فقد جاء ان نحو الحسن البصرى رحمه الله تعالى كان يفتى الصحابة فى زمنه وقد قال صلى

(قوله تؤدى اليه الخراج) أى فى كل يوم فيتصدق فى مجلسه به ولا يقوم بدرهم (قوله وتخلف ابن عوف) فى حديث ضعيف أول من يدخل الجنة من أغنياء أمتى عبد الرحمن بن عوف والذى نفس محمد بيده لن يدخلها الا حبوا وفى الترمذى عن أبى هريرة ان النبى صلى الله عليه وسلم قال يدخل الجنة الفقراء قبل الاغنياء بخمسمائة عام قال أبو حنيفة رضى الله عنه عنى به النبى صلى الله عليه وسلم الاغنياء من غير هذه الامة ليكون على موافقة العقل فانا نعلم قطعا ان عثمان وعبد الرحمن بن عوف كانا من الاغنياء ولا يدخل الفقراء قبلهم الجنة انتهى من شرح المنهاج للدميرى وهذا معارض لما ذكره الشارح من الحكم بتخلفه عنهم لغرر وقوله فى الخبر الا حبوا لجبر خاطر الفقراء لا لتقصير من ابن عوف فى حقوق الله تعالى يقتضى نزول رتبته رضى الله عنه (قوله وهذا بالنسبة الخ) غير مسلم بل بالنسبة لكلهم وغاية ما يقال فى نحو الحسن البصرى رضى الله عنه ان السائل له من الصحابة قبل ان يعرف قوة اجتهاده وملكته بنفسه فاذا افتاه نظر فيه وبذل وسعه فى النظر فى الدليل فيوافق افتاء الحسن اجتهاده فليس المراد أن الحسن ونحوه من التابعين اوسع نظرا من الصحابة واما حديث رب مبلغ الخ فمحمول على ان السامع من الصحابة كالحسن مثلا ربما كان احفظ للنص الذى بلغه عن النبى ممن بلغه بان حصل للصحابى سهو عنه ودام حفظ التابعى له واستحضاره او يكون التابعى قد سمع نصا من صحابى لم يطلع عليه صحابى آخر فتدبر (قوله والا فقد جاء الخ) لا يخفى ان ما ذكره لا يدل بمجرده على عدم وصف الجميع بالعالمية وتأمل هذا مع ما سيأتى فى شرح قول الناظم كلهم فى أحكامه ذو اجتهاد الخ وعبارة الجوهرى ووصفهم بان احكامهم ليست صادرة عن هوى النفس بل هى ناشئة على الاجتهاد التام المستوفى لشروط الاجتهاد المحصل للاجر أصابوا فيه أو اخطؤا عملا بقوله صلى الله عليه وسلم من اجتهد وأصاب فله أجران أو اخطأ فله أجر وكلهم فى ذلك متكافؤن متساوون من حيث الاجتهاد وعدم صدور شئ من الاحكام عن شهوة أو غرض (قوله يفتى الصحابة فى زمنه) اى فينظرون فى فتواه فيوافق اجتهادهم والا فالمجتهد لا يقلد غيره

الله عليه وسلم في الحديث المتفق عليه في خطبة الوداع رب مبلغ اي بفتح اللام أوعى من سامع هم (أمراء) أي كثيرون منهم تولوا الامارة في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم في زمن الخلفاء الراشدين فقاموا بحقوقها وبروا وعدلوا ومن ثم لما رمى بعض المتهورين سعد بن أبي وقاص رضي الله تعالى عنه لما كان أميرا على الكوفة بعدم العدل فيهم دعا عليه بدعوات استجيبت فيه عاجلا حتى صار عبرة للناس ومنها ان الله تعالى يطيل عمره ويعرضه للفتن فكان وهذب حاجبيه قد سقط على عينيه من الكبر يتعرض للجواري في الاسواق ويقول شيخ سوء أصابته دعوة العبد الصالح سعد رضي الله تعالى عنه ويدل على انهم أغنياء مزاحمة لاغيرانهم (زهدوا في الدنيا) بضم الدال وحكى ابن قتيبة كسرها فعلى من الدنو أي القرب لسبقها للاخرى وقيل الدنو هامن الزوال وهي ماعلى وجه الارض وقيل كل المخلوقات من الجواهر والاعراض وتطلق على كل من ذلك مجازا كما هنا فان المراد بها هنا الاموال وتوابعها من نحو الجاه والكبر والفخر والخيلاء ولفظها مقصور بلا تنوين حيث لا لام فيها وحكى ابن قتيبة تنوينها واستشكل ابن مالك استعمالها منكرة كما في الحديث وأجاب بانها انخلعت عن الوصفية وأجريت مجرى مالم يكن وصفا قط كرجعى ثم الصحابة رضي الله عنهم في الزهد فيها وهو أخذ ما يحتاج اليه من الحلال وترك مالا يحتاج اليه منه على قسمين فا كثرهم ترك السعي في تحصيلها بالكلية واشتغل بالعلوم والمعارف ونشرها وبالعبادات حتى لم يبق من أوقاتهم شيأ الا وهو مشغول بشئ من ذلك وكثير منهم حصلوها لكن كانوا فيها خزانا لله تعالى كما مر وهذا لا ينافي زهدهم فيها لانهم لم يمسكوها لانفسهم بل لاخراجها على مستحقيها بحسب نظرهم واجتهادهم واذا تقرر ان زهدهم بقسميهم فيها حقيقي (فما عرف الميل اليها منهم) بنوع التفات ولا اقبال لحقارتها في أعينهم (ولا الرغبة) أي الزيادة في تحصيلها وهذا علم من نفي الميل بالاولى فذكره مجرد ايضاح وفيه من البديع ذكر التتميم والتذييل ولا ينافي هذا ثناؤه صلى الله عليه وسلم على المال بقوله نعم المال الصالح في يد الرجل الصالح ودعاؤه صلى الله عليه وسلم به لاناس من الصحابة كابن عوف وأنس وغيرهما فكثرت أموالهم جدا لان المال له جهتان جهة خير بصرفه في الطاعات والاعانة على قيام أمور الديانات وبالنظر اليها يثنى عليه وجهة شر بصرفه في ضد ذلك وبالنظر اليها يذم ويقبح ولهذا قال صلى الله عليه وسلم في الحديث الوارد بسند حسن خلافا لمن وهم فيه اللهم من أحبني فاقل ماله وأمت ولده الحديث وقد بسطت الكلام على ذلك مع استيعاب ما ورد في مدح الدنيا وذمها والجمع بين تلك الاحاديث في كتاب سعادة الدارين في صلح الاخوين بما لا يستغنى عن مراجعته (أرخصوا في الوغى) أي بسبب الحرب الواقع منهم لاعدائهم في الوقائع المشهورة ومن مجاز اطلاق الوغى على الحرب مجازا لاحقيقة (نفوس ملوك) كثيرين فكم من نفيس هم (حاربوها) بقوة عزم وشدة حزم وصدق نية واخلاص طوية فنصرهم الله

(قوله عبرة) بالكسر اسم من الاعتبار وبالفتح تحلب الدمع اه مختار (قوله على كل الخ) اي على كل نوع من ذلك كاطلاقها على الجواهر فقط (قوله فاقل ماله الخ) اى اذا كان فيهما فتنة له بحيث يشتغل بذلك عن حبي وما يترتب عليه من الشغل بالله بدليل دعائه لاناس من اكابر الصحابة بكثرة المال كما سبق

عليهم بقتل بعضهم تارة وازالة ملك آخرين اخرى (اسلابها) بفتح الهمزة جمع سلب بفتح
اللام وهو ثياب القتيل وفرسه وما عليهما من آلات السلاح والنقد وجنيبة تقاد بين
يديه وليس المراد خصوص جمع القلة لانه جمع مضاف للمعارف الذى هو جمع الكثرة
واضافة الجمع تفيد عمومه اما فى الافراد وهو التحقيق او فى المجموع وعليه كثيرون
(اغلاء) بكسر الهمزة اسم مصدر لغلا السعر بمعنى اسم الفاعل اى غالية الاثمان وفى
بعض النسخ ضبطه بفتح الهمزة وكأنه جمع غال كدا وادواء وبه يندفع قول الشارح
لا وجه له انتهى بل وجهه اظهر من الاول لان حمل المصدر واسمه على الجمع محتاج لتأويل
كما اشرت اليه بخلاف حمل الجمع على الجمع واما قوله على المعنى الاول ان المعنى انه كما كان
القتل ارخاص النفوس فالاسلاب اى اخذها اغلاء للاسلاب وقال قبله على المعنى الاول
ايضا وكأنه اى الناظم يقول انهم كما ارخصوا النفوس بمحاربيهم بالقتل فقد اغلوا اسلابهم
بواسطة كثرة ما سلبوه واجتمع عندهم من الاسلاب فقابل بين ارخاص الانفس واغلاء
الاموال التى هى الاسلاب المأخوذة ممن قتلوا لكثرة ما قتلوه وسلبوه انتهى ففى كل من
المعنيين بعد وخفاء والوجه ان المعنى عليه انهم كما ارخصوا تلك النفوس عوضهم الله
تلك الاسلاب الغالية الاثمان على حد رجل عدل اى عادل ورجال عدل اى عادلون فكما
ان المصدر هنا اول باسم الفاعل فكذا فيما نحن فيه وقول الاغلاء بالغالية وهذا هو
المعنى على فتح الهمزة فيساوى المكسور المفتوح (كلهم فى احكامه) جمع حكم والحكم
الشرعى خطاب الله تعالى المتعلق بفعل المكلف بالاقتضاء او التخيير وحكم الحاكم يظهر
ذلك ويطلق ايضا عند الاصوليين على النسب التامة المثبتة تارة والمنفية اخرى كما فى
قولهم الفقه العلم بالاحكام الشرعية وهذا هو المراد هنا خلافا لما يوهمه كلام الشارح
(ذو اجتهاد) صحيح لتوفر شروط الاجتهاد كلها فى جميعهم بزيادة ولذلك لم يعرف عن احد
منهم انه قلد غيره فى مسئلة من المسائل وكان الناس يستفتون كل من رأوه منهم فيفتيه
باجتهاده ولا يعترض احد منهم على احد الا ان كان هناك نص صريح خولف فيذكر لهم
فمنهم من يرجع اليه ومنهم من يؤوله او يعارضه بمثله وهذا رد على قوم سلبهم الله الدين
والعقل وسلط عليهم الحمق والجهل فاعتقدوا انهم ذو واجتهاد لهوى النفس او حظ
او بغض حاشاهم الله من ذلك بل لم يعترهم لصحبة نبيه صلى الله عليه وسلم الا وهم على اكمل
الاوصاف واجلها (و) ذو (صواب) يعنى وذو ثواب ولو عبر به لكان اولى لان ابقاءه على
حقيقته انما يأتى على القول الضعيف ان كل مجتهد مصيب وان حكم الله تعالى تابع لظن
المجتهد اما على الاصح ان المصيب واحد وان له اجرين كما صح به الخبر او عشرة اجور كما
فى رواية والمخطئ أجر واحد كما صح به الحديث ايضا فلا يقال كلهم ذو صواب بل
صوابه ذو ثواب كما تقرر فتأمله فعلى الاول كل من على ومعاوية رضى الله تعالى عنهما
مصيب وعلى الثانى على رضى الله تعالى عنه مصيب له اجران او عشرة اجور ومعاوية

(قوله او عشرة اجور) قال فى شرح الورقات فان قلت
العشرة يصح أن تجعل أجرا
واحدا أو اثنين فما فائدة جعلها
عشرة قلت يجوز أن تكون أنواعا
من الثواب مختلفة يبلغ عددها
هذا المقدار فنبه بذكرها على
ذلك

فى نحو وجه على على مخطئ له اجر واحد والاجتهاد بذل الوسع فى تحصيل المقصود ثم ان
وافق ما عند الله فصواب والا فخطأ فان قلت يمكن تأويل التطهير بان مراده وصواب عند
نفسه باعتبار انه يجب عليه العمل بما ظنه وان لم يكن صوابا فى نفس الامر قلت هو
تأويل بعيد على ان هذا لو كان مراده لم يسغ له فيه هذا الاطلاق الموهم (وكلهم اكفاء)
اى متكافئون فى اصل الصحبة والفضيلة والعلم والاجتهاد وابراز الاحكام لله تعالى لا لحظ
ولا لهوى وانما يتفاوتون فى الزيادة فى ذلك وحينئذ فلا ينافى ذلك قول ابن عمر ابو بكر
أعلمنا ولا سؤال عمر لعلى رضى الله عنهما فيجيبه فيقول لا اقدس الله امة لست فيهم يا ابا
الحسن ولا تقديم عمر لابن عباس على اكابر مشيخة المهاجرين والانصار لانه كان يجد عنده
من العلم ببركة دعاء النبى صلى الله عليه وسلم له بان الله يفقهه فى الدين ويعلمه التأويل ما ليس
عندهم ولا سؤال معاوية لعلى بالارسال اليه فى المشكلات فيجيبه ولقد قال له احد بنيه
لم تجيب عدونا فقال اما يكفينا انه احتاج الينا وسألنا واجمعوا على ان افضل الناس بعد
الانبياء عليهم الصلاة والسلام ابو بكر ثم عمر ثم على والاصح عثمان ثم على ثم بقية العشرة
المبشرون بالجنة ثم اهل بدر ثم اهل بيعة الرضوان وقيل أهل أحد (رضى الله عنهم ورضوا
عنه) اقتباس من قوله تعالى والسابقون الاولون الى ان قال رضى الله عنهم ورضوا عنه
ورضا الله تعالى عن العبد تأمينه من سخطه واحلاله تعالى دار كرامته ورضا العبد عنه
ان لا يختلج فى صدره ادنى حزازة من وقوع قضاء من اقضيته الحق به بل يجد لذلك فى قلبه برد
اليقين وثلج الصدر وشهود المحبة العظمى وزيادة الطمأنينة وبين رضى ورضوا اشتقاق
كيخطو وخطاء الآتيين (ف) بسبب ما ذكر من اوصافهم وختمها بما فى الآية فى حقهم
(انى) استفهام انكارى تعجبى أى كيف (يخطو اليهم) أى يصل اليهم اذ الخطوة ما بين
القدمين (خطاء) وهو بالمد الموزون لغة فى الخطا بالقصر نقيض الصواب يعنى لا يخطئ
أحد منهم خطأ يأثم به لما مر انهم كلهم مجتهدون وان المجتهد اذا أخطأ له أجر وهذ
كالذى قبله مأخوذ من عدة احاديث ذكرتها فى الصواعق المحرقة مع ذكر مخرجيها وهنا
اذكر منها جملة عرية عن ذلك اتكالا على اسانيدها ثم منها ان الله تعالى اختارنى واختار
لى اصحابا فجعل لى منهم وزراء وانصارا واصهارا فمن سبهم فعليه لعنة الله والملائكة
والناس أجمعين لا يقبل الله منهم صرفا ولا عدلا اى لا فرضا ولا نفلا وفى رواية فمن
حفظنى فيهم حفظه الله فى الدنيا والآخرة ومن لم يحفظنى فيهم تخلى الله عنه ومن تخلى الله
عنه يوشك ان يأخذه واذا أراد الله برجل من أمتى خيرا ألقى حب أصحابى فى قلبه أصحابى
كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم الله الله فى أصحابى لا تتخذوهم غرضا بعدى فمن أحبهم
فبحبى أحبهم ومن أبغضهم فببغضى أبغضهم ومن اذاهم فقد اذانى ومن اذانى فقد اذى
الله ومن اذى الله يوشك ان يأخذه ما شأنكم وشأن أصحابى ذروا لى أصحابى فوالذى
نفسى بيده لو ان أحدكم انفق مثل أحد ذهبا ما أدرك مثل عمل احدهم يوما واحدا

(قوله مشيخة الخ) اى شيوخ فهو أحد جموع شيخ لانه يجمع على شيوخ وأشياخ وشيخة وشيخان ومشيخة ومشايخ ومشيوخاء وهذه الجموع السبعة كلها شاذة الا شيوخا لان فعلا وصفا معتل العين جمعا قياسا فراجع الخلاصة وشراحها يظهر لك ذلك وشيخة بكسر اوله وفتح ثانيه وشيخان بكسر اوله وسكون ثانيه ومشيخة بفتح اوله وسكون ثانيه (قوله لم تجيب عدونا) اى من يفعل معك فعل الاعداء والا فمعاوية رضى الله عنه حاشاه أن يكون عدوا حقيقة (قوله رضى الله عنهم الخ) قال السنوسى فى شرح عقيدته الوسطى ورضا الله تعالى اما صفة فعل بمعنى الانعام أو صفة ذات بمعنى ارادة الانعام ويتعين هنا الاول لان الدعاء انما يكون بمستقبل لم يوجد فى الحال وارادة الله تعالى أزلية يستحيل تجددها حتى يتعلق بها الدعاء اه قال الغنيمى وهل لك أن تقول ولو على بعد يجوز الثانى بنظر المتعلق الارادة الحادث وذلك لا يستحيل تجدده اه (قوله وبين رضى ورضوا اشتقاق) اى جناس اشتقاق (قوله اذ الخطوة) اى بضم الخاء واما بفتحها فنقل القدم (قوله خطاء) بالمد كما هنا لغة قليلة واللغة الكثيرة قصره وقد قرئ بهما قوله تعالى الا خطأ اه من المختار

وفى رواية للشيخين وغيرهما لا تسبوا أصحابى فو الذى نفسى بيده لو ان أحدكم أنفق مثل أحد ذهبا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه ومن لم يحفظنى فى أصحابى لم يرد على الحوض ولم يرنى خير الناس قرنى الذى أنا فيه ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم والباقى أراذل اى غالبهم وفى رواية متفق عليها خير القرون قرنى ثم الذين يلونهم الحديث وهو اول داخل فى قوله تعالى كنتم خير امة اخرجت للناس ولا مقام اعظم من مقام قوم ارتضاهم الله عز وجل لصحبة نبيه صلى الله عليه وسلم ونصرته (جاء) الى النبى صلى الله عليه وسلم (قوم) من الصحابة رضى الله تعالى عنهم (من بعد قوم) وهكذا السابقون الاولون ثم الذين من بعدهم وهكذا الى وفاته صلى الله عليه وسلم وكان الناظم اشار بهذا الى ما فى اول صحيح البخارى عن هرقل انه سأل ابا سفيان رضى الله تعالى عنه عن اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم أيزيدون ام ينقصون فقال بل يزيدون وانه هل يرتد احد منهم سخطة لدينه فقال لا فتبين له ان من شأن الرسل ان اصحابهم كذلك فعلم ان مجىء الصحابة قوما من بعد قوم من علامات نبوته صلى الله عليه وسلم واندفع ما قد يقال أى فائدة فى هذه الجملة من كلام الناظم وهل هى الا مجرد اخبار بواقع لا يترتب عليه فائدة اذ لا فرق بين مجيئهم اليه دفعة أو دفعات وكلهم متلبسون (بحق) فلا مطعن فيهم لطاعن وما نقمه الرافضة ونحوهم عليهم فلم يصح منه شىء أصلا وانما هو من مقالات الجاهلين ووضع المفترين (وعلى المنهج) اى الطريق الواضح (الحنيف) اى المستقيم الذى لا انحراف فيه ولا اعوجاج (جاؤا) كلهم وتابعوهم باحسان وهكذا لا تزال طائفة من امتى ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم حتى يأتيهم امر الله وهم على ذلك (ما لموسى) كليم الله تعالى (ولا لعيسى) روح الله صلى الله عليه وسلم (حواريون) جمع حوارى وهو الناصر وجعل ذلك علما بالغلبة على أصحاب عيسى عليه الصلاة والسلام لانهم كانوا يحورون الثياب اى يقصرونها او من الحوارى وهو الدقيق الابيض لبياض ألوانهم (فى فضلهم) بشهادة نص آية كنتم خير أمة اخرجت للناس وحديث خير القرون قرنى وفى رواية خير الناس قرنى وحديث المناجاة ان موسى رأى لهذه الامة فى اللوح المحفوظ أوصافا بهرته فقال يا رب اجعلنى منهم (ولا نقباء) فى فضلهم ايضا وهو لف ونشر مشوش اذ الحواريون لعيسى والنقباء لموسى ولما اقسم بالصحابة كلهم اجمالا اخص العشرة المقطوع لهم بالجنة مرتبا للاربعة الاول منهم على ترتيبهم فى الافضلية والاحقية بالخلافة فقال واقسم عليك (بابى بكر) الصديق رضى الله تعالى عنه فهو عطف على بالعلوم بحذف حرفه ويصح انه وما بعده أبدال تفصيلية من باصحابك (الذى) تميز عن سائر الصحابة رضى الله تعالى عنهم بما كان كالصريح فى انه الخليفة الحق بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وانه أفضلهم بل أفضل ما عدا الانبياء والمرسلين كما صح به حديث ما طلعت الشمس ولا غربت على احد بعد النبيين

(قوله لا تسبوا اصحابى) سبق فى الشرح عند ذكرى ابن عوف رضى الله عنه ما نصه وصح انه يعنى ابن عوف كان بينه وبين خالد شىء فبلغ ذلك النبى صلى الله عليه وسلم فقال لا تسبوا الخ وقد كتب عليه هنالك ان الخطاب للصحابة السابقين تنزلهم لسبهم منزلة غيرهم حيث علل بما ذكره ويؤيده ما ذكره بعد هذا الحديث هنالك من قوله يا خالد ذروا لى اصحابى متى سبك الى آخر ما ذكره من الرواية (قوله ولا نصيفه) بمعنى النصف كالعشير بمعنى العشر (قوله خير الناس قرنى) القرن هو القدر المتوسط من اعمار أهل كل زمان وهذا أعدل الاقوال فى معنى القرن والمراد بقرن النبى صلى الله عليه وسلم اصحابه اه من المواهب ثم قال وأما قوله الذين يلونهم فهم أهل القرن الذين بعدهم وهم التابعون ثم الذين يلونهم وهم أتباع التابعين (قوله سخطة لدينه) بضم السين وفتحها وأخرج بهذا من ارتد مكرها أو لا يسخط لدين الاسلام بل لرغبة فى غيره لحظ نفسانى كما وقع لعبيد بن جحش (قوله جمع حوارى) عبارة البيضاوى حوارى الرجل خالصته من الحور وهو البياض الخالص ومنه الحواريات للحضريات لخلوص الوانهن سمى به أصحاب عيسى لخلوص نيتهم وصفاء سريرتهم وقيل كانوا ملوكا يلبسون البياض استنصرهم عيسى من اليهود وقيل قصارون يحورون الثياب اى يبيضونها (قوله أو من الحوارى) بضم الحاء وتشديد الواو وفتح الراء

والمرسلين افضل من أبي بكر وهو ما صح من طرق كثيرة بحيث اشتهر بل تواتر وصار معلوما بالضرورة كما قاله الاشعري فلذا لم يسع أحدا من المبتدعة انكاره (صح الناس به في حياتك الاقتداء) فاعل صح والظروف متعلقة به فمن تلك الطرق ما أخرجه الشيخان اشتد مرض النبي صلى الله عليه وسلم فقال مروا أبا بكر فليصل بالناس فقالت عائشة رضي الله تعالى عنها يا رسول الله انه رجل رقيق القلب اذا قام مقامك لم يستطع ان يصلي بالناس فقال صلى الله عليه وسلم مري أبا بكر فليصل بالناس فعادت لقولها فقال مري أبا بكر فليصل بالناس فانكن صواحب يوسف فأتاه الرسول فصلى بالناس في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي رواية انها لما راجعته فلم يرجع لها قالت لحفصة قولي له يأمر عمر فقالت له فاشتد غضبه وقال مروا أبا بكر وفي أخرى ان الحامل لعائشة على ذلك خوفها يتشاءم الناس به لقيامه مقام رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرضه الذي مات فيه وفي أخرى انه أمرهم بالصلاة وكان أبو بكر غائبا فتقدم عمر فكبر وكان صيتا فقال صلى الله عليه وسلم بعد ان أخرج رأسه مغضبا الا لا يأبى الله والمسلمون الا أبا بكر ثلاثا وفي أخرى انه خرج بفجر الاثنين يوم موته فكشف سجف حجرته فرآهم في صلاة الصبح وأبو بكر يصلي بهم فتبسم يضحك فنكص أبو بكر على عقبيه ظنا انه يريد الخروج اليهم وهم المسلمون ان يفتتنوا في صلاتهم فرحا به صلى الله عليه وسلم فأشار اليهم بيده ان أتموا صلاتكم ثم دخل الحجرة وأرخى الستر فتوفي صلى الله عليه وسلم ضحى وفي البيت التلج بهذه القصة قال العلماء فيه أوضح دليل على انه أفضل الصحابة مطلقا وأحقهم بالخلافة وأولاهم بالامامة ومن ثم أجمعوا على ذلك لان تقديمه بحضرة المهاجرين والانصار مع قوله يؤم القوم اقرأهم لكتاب الله تعالى اى اعلمهم بالقرآن صريح في انه أعلمهم بالقرآن مطلقا وقد استدل الصحابة أنفسهم بهذا على انه أحق بالخلافة منهم حتى علي قال لقد أمره النبي صلى الله عليه وسلم ان يصلي بالناس واني لشاهد وما أنا بغائب وما بي مرض فرضينا لدنيانا من رضيه النبي صلى الله عليه وسلم لديننا وما أحسن قول من قال صلى بالناس ثمانية أيام والوحي ينزل فسكت الله وسكت رسوله صلى الله عليه وسلم وسكت المؤمنون ومن الظواهر أو الصرائح على خلافته أيضا ما اخرجه مسلم انه صلى الله عليه وسلم قال لعائشة في مرض موته ادعي لي أبا بكر وأخاك حتى اكتب كتابا فاني أخاف ان يتمنى متمن أو يقول قائل انا اولى ويأبى الله والمؤمنون الا أبا بكر وفي رواية اكتب لابي بكر كتابا لا يختلف عليه أحد ثم قال دعيه معاذ الله ان يختلف المؤمنون في أبي بكر وصح ان قوما سألوا انسانا ان يسأل لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الى من يدفعون الزكاة بعده فسأله فقال الى أبي بكر وأخرج الشيخان ان امرأة اتته فأمرها ان ترجع اليه فقالت أرأيت ان جئتك ولم أجدك كأنها تقول بعد الموت فقال صلى الله عليه وسلم ان لم تجديني فأتي أبا بكر ومنها ما اخرجه الشيخان من عدة طرق رأى انه على بئر لا طي فنزع منها ما شاء الله ثم أخذ الدلو من يده أبو بكر فنزع

(قوله يأبى الله) اى لا يريد الله والمسلمون الخلافة بعد النبي الا أبا بكر (قوله سجف) قال في القاموس السجف ويكسر وككتاب الستر والجمع سجوف واسجاف

منها

منها دلوا او دلوين ثم اخذها عمر من ابى بكر فاستحالت فى يده غربا اى دلوا كبيرة فاستقى منها
حتى ضرب الناس بعطن اى حتى رووا قال العلماء هذا اشارة الى خلافة ابى بكر رضى
الله تعالى عنه وقصر مدته وطول مدة عمر رضى الله تعالى عنه وكثرة الفتوح وظهور
الاسلام فى زمنه وبقيت ادلة اخرى سمعية آيات وأحاديث كثيرة تدل على حقية خلافته
وانه اعلمهم وافضلهم بينتها اتم بيان فى كتاب الصواعق السابق ذكره (والمهدى) اى
المسكن للفتنة والاضطراب فى امر الخلافة (يوم السقيفة) التى لبنى ساعدة من الانصار
حين اجتمعوا بعد وفاته صلى الله عليه وسلم فيها الى سعد بن عبادة سيد الخزرج ليولوه
(لما) اى حين (ارجف الناس) اى اضطربوا فى أمر الخلافة وبين المهدى اى المسكن
وارجف والقرباء والاباعد وتقرب وتبعد الطباق (انه) تعليل للمهدى ولا ينافيه
كسر ان لانها مع كونها للاستئناف قد تفيد التعليل ايضا كما صرحوا به فى ان الحمد
والنعمة لك فى التلبية (الدواء) اى المسكن للاضطراب لا غيره وكان مراده انه
المشهور قديما وحديثا بانه يسكن الفتن ويجلى كربها وفى الصحيحين عن عمر رضى الله
تعالى عنه انهم لما دفنوا النبى صلى الله عليه وسلم تخلف على والزبير ومن معهما فى بيت
فاطمة وتخلفت الانصار بأجمعهم فى سقيفة بنى ساعدة واجتمع المهاجرون الى ابى بكر
فقال له عمر انطلق بنا الى الانصار فذهبوا اليهم فلما جلسوا قام خطيبهم فخطب واثنى على
الله تعالى ثم مدح الانصار واطنب بحيث لم يترك آية او خبرا فيهم الا ذكره ثم ذكر ان
قوما يريدون ان يستبدوا بالامر عليهم ثم سكت فاراد عمر أن يخطب بما زوره اى جمعه فى
قلبه فأشار اليه ابو بكر بالسكوت ثم خطب واثنى على الانصار ثم بين ان الخلافة لا تكون
الا فى قريش واحتج بالحديث الصحيح الائمة من قريش ثم قال قد رضيت لكم اما عمر واما أبا
عبيدة فأخذ بيدهما وقال بايعوا من شئتم منهما فقام الحباب بن المنذر وتحمس وترفع ثم
قال منا امير ومنكم امير فكثر اللغط وخيفت الفتنة فبادر عمر وقال لابى بكر ابسط يدك
فبسطها فبايعه فتبعه المهاجرون ثم الانصار فقال قائلهم قتلتم سعد بن عبادة اى لانه كان
به بعض مرض فقال عمر قتله الله اى لان الاجتماع عنده ربما كان سببا للفتنة فساغ لعمر
فى اجتهاده وانه بالنسبة اليه كالشيخ بالنسبة الى تلميذه بحيث يرى ان يقول فى حقه ذلك
وصح ان عمر احتج على الانصار بامامة ابى بكر فرجعوا كلهم الى قوله وقالوا نعوذ بالله ان
نتقدم ابا بكر ولما بايعوه صعد الغد وجلس على المنبر فقام عمر فتكلم قبله فحمد الله ثم اثنى
على ابى بكر ثم قال قوموا فبايعوه فبايعه الناس بيعته العامة فخطب ابو بكر ثم قال وليت
عليكم ولست بخيركم فان احسنت فاعينونى وان اسأت فقومونى اطيعونى ما اطعت الله
ورسوله فاذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لى عليكم ثم نظر فلم ير الزبير فدعا به فجاء فتكلم
عليه فقال لا تثريب يا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فبايعه ثم نظر فلم ير عليا فدعا به
فجاء فتكلم عليه فقال لا تثريب يا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فبايعه واستدل

(قوله فاستحالت) اى تحولت
من الصغر الى الكبر ومعنى
ضرب الناس بعطن اى حتى
أرووا ابلهم ثم آووها الى عطنها
وهو الموضع الذى تساق اليه بعد
السقى لتستريح اﻫ شرح مسلم
للنووى (قوله الحباب) بمهملة
مضمومة فموحدة (قوله وتحمس)
اى تشدد وتصلب اﻫ صحاح
(قوله قتلتم سعدا) وتوجه الشام
فمات بحوران فى خلافة عمر

كل منهم ما حستند على احقيته بالخلافة بانه صاحب الغار وبتقديمه للامامة وحكى ابن
مسعود وغيره ان الصحابة اجمعوا على خلافة ابى بكر لم يتخلف عنها احد منهم ثم تبعهم من
بعدهم من اهل السنة والجماعة الى الآن ثم هلم وكذا اكثر الفرق واقسم عليك بابى بكر
الفاعل لذلك الفعال كونه كرم الله وجهه (انقذ) بالقاف والذال المعجمة (الدين) وهو ما جاء
به النبى صلى الله عليه وسلم اى نجا بازالة كل شبهة عنه واهلها بازالة اسباب الفساد بينهم
(بعدما) مصدرية (كان) اى وجد (الدين) متعلق هو وما بعده بما بعدها وهو اشفاء (على
كل كربة) اى غم يأخذ النفس ويصح كونها ناقصة والدين خبرها (اشفاء) اى اشراف
وقرب يخشى منه ان لا يجتمع للاسلام بعده شمل ابدا ومن ثم قال ابو هريرة رضى الله تعالى
عنه والله لولا أبو بكر ما عبد الله بعد محمد صلى الله عليه وسلم ابدا وايضا فكلهم يوم وفاته
صلى الله عليه وسلم طاشت عقولهم حتى تكلموا بكلمات غير منتظمة الا ابا بكر فانه كان
غائبا فلما حضر دخل وكشف عن الوجه الكريم فقبله وقال لقد طبت حيا وميتا لا يجمع
الله عليك بين موتتين ثم خرج فتلا عليهم وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل الى
الشاكرين فلما سمعوها ردت اليهم عقولهم فتلوها وقالوا حتى عمر فانه انكر موت النبى
صلى الله عليه وسلم وقال ذهب الى ربه فاسكته ابو بكر فسكت فاقبل على الناس فصغوا
اليه وتركوا عمر فقال أيها الناس من كان يعبد محمدا فان محمدا قد مات ومن كان
يعبد الله فان الله حى لا يموت ثم تلا الآية فقالوا كانا لم نسمعها الا حينئذ فكان هو
المثبت لهم حينئذ والا لم يجتمع لهم شمل وايضا اختلفوا فى محل دفنه اختلافا شديدا كاد
ان يفضى الى الفتنة فروى لهم الحديث ان كل نبى يدفن فى المحل الذى توفى فيه فرجعوا
اليه وزال ما كان بينهم وايضا اختلفوا فى ارثه اختلافا شديدا حتى روى لهم الحديث
المشهور نحن معاشر الانبياء لا نورث ما تركنا صدقة فرجعوا اليه وبهذا علم انه رضى الله
تعالى عنه كان أحفظهم للسنة وانما لم تكثر الرواية عنه لقصر مدة خلافته واشتغاله
بقتال المرتدين ومانعى الزكاة ومسيلمة الكذاب وحال كونه (انفق المال) الكثير الذى
كان يملكه اى صرفه فى مصارف الخير حتى نفد جميعه (فى) اى بسبب او من اجل (رضاك)
يا رسول الله كما جاء به القرآن قال تعالى وسيجنبها الاتقى الذى يؤتى ماله يتزكى الى آخر
السورة قال ابن الجوزى اجمعوا انها نزلت فى ابى بكر ففيها التصريح بانه الاتقى وبانه
الاتقى وهو الاكرم بدليل ان أكرمكم عند الله أتقاكم والاكرم هو الافضل كما صرح به
الحديث الصحيح ما صحب النبيين والمرسلين اجمعين ولا صاحب يس اى المذكور فى سورة
يس اى حبيب النجار افضل من ابى بكر وصح حديث انه ليس من الناس احد امن على
فى نفسه وماله من ابى بكر ولو كنت متخذا خليلا غير ربى لاتخذت ابا بكر خليلا ولكن
خلة الاسلام افضل سدوا عنى كل خوخة فى هذا المسجد الا خوخة ابى بكر اى لانه سيصير
خليفة يحتاج الى ملازمة المسجد واخرج الترمذى حديث ما لاحد عندنا يد الا وقد

(قوله متعلق هو وما بعده بما بعدها) صوابه بفاعلها لانه جعلها فى حل تامة حيث قال اى وجد واما احتمال نقصها فقد ذكره بقوله ويصح كونها ناقصة (قوله نحن معاشر الانبياء الخ) رواية نحن معاشر الانبياء الخ رواية النسائى فى السنن منفردا عن سائر الكتب الستة انا وكذا رواية الحميدى والهيثم وآخرين فقد رواه الشارح بالمعنى (قوله الاخوخة أبى بكر) ورواية الاخوخة على وهم من الراوى كما قاله السيوطى

كافأناه بها ما خلا أبا بكر فان له عندنا يدا يكافئه الله بها يوم القيامة وما نفعني مال احد قط ما نفعني مال أبي بكر والطبراني ما أحد عندي أعظم يدا من ابي بكر واساني بنفسه وماله وانكحني ابنته والترمذي رحم الله أبا بكر زوجني ابنته وحملني الى دار الهجرة وأعتق بلالا من ماله وما نفعني مال في الاسلام ما نفعني مال أبي بكر ولا ينافيه حديث البخاري انه صلى الله عليه وسلم لم يأخذ منه الراحلة الى دار الهجرة الا بالثمن لاحتمال انه ابرأه منه وصح انه كان بينه وبين عمر شيء فسأله ان يغفر له فأبى فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فندم عمر فأتى منزل أبي بكر فلم يجده فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فجعل وجهه يتمعر حتى أشفق ابو بكر فجثا على ركبتيه فقال يا رسول الله أنا كنت أظلم منه مرتين فقال صلى الله عليه وسلم ان الله بعثني اليكم فقلتم كذبت وقال أبو بكر صدقت وواساني بنفسه وماله فهل أنتم تاركو لي صاحبي فما أوذي ابو بكر بعدها وفي رواية في قصة نظير هذه الا تدعون لي صاحبي ما شأنكم وشأنه فوالله ما منكم رجل الا على باب بيته ظلمة الا باب ابي بكر فان على بابه النور ولقد قلتم كذبت وقال ابو بكر صدقت وامسكتم الاموال وجاد لي بماله وواساني واتبعني واخرج احمد وآخرون عن الجماعة من الصحابة انه صلى الله عليه وسلم قال ما نفعني مال قط ما نفعني مال ابي بكر فبكى ابو بكر رضي الله تعالى عنه وقال هل أنا ومالي الا لك يا رسول الله وفي رواية عن ابن المسيب رضي الله عنه مرسلا وكان صلى الله عليه وسلم يقضي في مال ابي بكر كما يقضي في مال نفسه وأخرج ابن عساكر انه اسلم وله أربعون ألف دينار وفي رواية أربعون ألف درهم فانفقها على رسول الله صلى الله عليه وسلم والبغوي وابن عساكر انه كان عند النبي صلى الله عليه وسلم وعليه عباءة قد خللها في صدره بخلال فنزل عليه جبريل فقال يا محمد مالي أرى أبا بكر عليه عباءة قد خللها في صدره بخلال فقال صلى الله عليه وسلم يا جبريل أنفق ماله علي قبل الفتح قال جبريل فان الله تعالى يقرأ عليك السلام ويقول لك قل له اراض انت عني في فقرك هذا أم ساخط فقال ابو بكر رضي الله تعالى عنه أأسخط على ربي أنا عن ربي راض ثلاثا وسنده غريب ضعيف جدا وفي رواية ان جبريل هبط متخللا بطنفسة واخبران الله أمر ملائكته ان يتخللوا بها كابي بكر قال الحافظ ابن كثير وهذا منكر جدا ولولا انه كالذي قبله يتداوله كثير من الناس لكان الاعراض عنهما أولى وصح عن عمر رضي الله تعالى عنه أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان نتصدق فوافق ذلك مالا عندي فقلت اليوم أسبق ابا بكر مع اني ما سبقته يوما قط فجئت بنصف مالي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ابقيت لاهلك يا عمر قلت النصف ثم جاء ابو بكر بكل ما عنده فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ابقيت لاهلك يا ابا بكر فقال ابقيت لهم الله ورسوله فقلت لا اسبقه الى شيء أبدا (و) الحال انه (لا من) منه عليك بما انفقه وان كثر وانما المنة لك عليه وعلى غيره كما اعترف بذلك هو وغيره والمن ذكر النعمة على جهة الافتخار ومن ثم حرم فقرعه باغلظ

(قوله يتمعر) اى يتغير (قوله بطنفسة) الطنفسة مثلثة الطاء والفاء واحدة الطنافس للبسط والثياب وللحصير من سعف عرضه ذراع والطنفس بالكسر الردىء السمج القبيح اهـ قاموس

على فقير متصدقا المن على المتصدق عليه بان يعدد عليه ما اعطاه أو يذكره لمن لا يحب اطلاعه عليه قال تعالى لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى (واعلى) الله تعالى عطاء (جما) اى كثيرا في وجوه الخير العامة والمصالح الشاملة منها اعطاؤه ثمن محل مسجد النبي صلى الله عليه وسلم كما في حديث الهجرة انه صلى الله عليه وسلم لما وصل قباء واقام به بضعة عشر يوما ركب ناقته ونهى ان يأخذ أحد بزمامها وقال دعوها فانها مأمورة فاستقرت الى ان بركت عند محل مسجده صلى الله عليه وسلم ثم سارت وهو عليها حتى بركت على باب دار أبي أيوب الانصارى من بني النجار اخوال جد النبي صلى الله عليه وسلم عبد المطلب وكانت دارهم أوسط دور الانصار وأفضلها ثم قامت وبركت في مبركها الاول والقت باطن عنقها بالارض ثم صوتت من غير ان تفتح فاها فنزل صلى الله عليه وسلم عنها وقال هذا المنزل ان شاء الله تعالى ثم ساوم بني النجار في تلك البقعة فاشتراها منهم بعشرة دنانير وزنها من مال أبي بكر رضى الله تعالى عنه وكان قد خرج بماله كله وكان ممن السبب في المسجد الاعظم ما اقتضى وصول ثوابه الى حد لا يقدر قدره الا الله تعالى واشترى أيضا جماعة اسلموا كان يعذبهم أهل مكة العذاب الاليم منهم بلال وغيره وأعتقهم (ولا كداه) اى ولم يقطع اعطاءه بل استمر عليه حتى توفاه الله تعالى (وابى) اى واقسم عليك بابي (حفص الذى أظهر الله به الدين) كما جاء في سبب تسميته بالفاروق أخرج أبو نعيم في الدلائل وابن عساكر عن ابن عباس انه سئل عن سبب تسميته بالفاروق فذكر ان حمزة أسلم قبله بثلاثة أيام واتفق خروج الى المسجد فسب أبو جهل النبي صلى الله عليه وسلم فاخبر حمزة فاخذ قوسه وجاء فضرب بها احد اخدعى ابى جهل فقطعه فسالت الدماء فاصلحت بينهما قريش مخافة الشر والنبي صلى الله عليه وسلم مختف بدار الارقم فانطلق حمزة فاسلم وبعده بثلاثة أيام انكر عمر على من أسلم فقيل له ان اختك وختنك اى سعيد بن زيد أحد العشرة المبشرين بالجنة قد أسلما فجاء فضرب رأس أخته فادماه فقالت له كان ذلك على رغم انفك فاستحيا حين رأى الدماء وجلس وسألها ان تريه الكتاب فقالت لا يمسه الا المطهرون فاغتسل فاخرجوا الصحيفة فيها بسم الله الرحمن الرحيم طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى الا تذكرة لمن يخشى الآيات فعظمت في صدره فقال الخباب وكان النبي صلى الله عليه وسلم أرسله لتعليم أخته وزوجها الى لارجو ان يكون الله خصك بدعوة نبيه فانى سمعته أمس يقول اللهم أعز الاسلام بعمرو بن هشام اى أبي جهل أو بعمر بن الخطاب فقال دلني عليه فتوشح سيفه وذهب الى النبي صلى الله عليه وسلم فضرب الباب فاستجمع القوم فقال لهم حمزة ما لكم قالوا عمر قال افتحوا الباب فان أقبل قبلناه وان ادبر قتلناه فسمع ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فخرج فتشهد عمر فكبر أهل الدار تكبيرة سمعها أهل المسجد فقلت يا رسول الله السنا على الحق قال بلى قلت ففيم الاختفاء فخرجنا صفين انا في احدهما وحمزة في الآخر حتى دخلنا المسجد فنظرت قريش الى والى

(قوله وصل قباء) بالمد والقصر
(قوله احد اخدعى ابي جهل) الاخدع عرق في موضع المحجمة وهى شعبة من الوريد وهما اخدعان وربما وقعت الشرطة على أحدهما فينزف صاحبه وفلان شديد الاخدع اى شديد موضع الاخدع (قوله فاخرجوا اليه صحيفة) لعل ذلك قبل علمهم بان شرط صحة الطهر الاسلام (قوله فاستجمع القوم) في المختار تجمع القوم اجتمعوا من هنا وهنا والمراد هنا اجتمع بعضهم ببعض من الخوف من عمر رضى الله تعالى عنهم

حمزة فاصابتهم كآبة شديدة فسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم الفاروق يومئذ وفرق الله به بين الحق والباطل وفي رواية انه لما أظهر اسلامه صار وا يضربونه ويضربهم حتى أجاره خاله قال فما زلت أضرب واضرب حتى أعز الله الاسلام وصح أنه لما أسلم نزل جبريل فقال يا محمد قد استبشر أهل السماء باسلام عمر وأن المشركين قالوا قد انتصف القوم اليوم منا وأنزل يا أيها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين وان ابن مسعود قال ما زلنا اعزة منذ اسلم عمر وقال أيضا كان اسلامه فتحا وهجرته نصرا وامامته رحمة ولقد رأيتنا وما نستطيع ان نصل الى البيت حتى أسلم عمر رضي الله تعالى عنه فقاتلهم حتى تركونا وخلوا سبيلنا وان حذيفة قال لما أسلم عمر كان الاسلام كالرجل المقبل لا يزداد الا قوة فلما قتل كان الاسلام كالرجل المدبر لا يزداد الا ضعفا (ة) بسبب قوته في الله تعالى وشدة شكيمته كما علم مما تقرر (ارعوى) اى رجع واقلع وانكف (الرقباء) اى الاعداء عما كانوا عليه من الافساد في الدين وعدم النصح وايذاء النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه بالامور العظيمة التي كانوا يفعلونها معهم (و) هو أيضا الامام العدل القوي في الله تعالى (الذي) ينطق الحق على لسانه وقلبه فلذلك (تقرب الاباعد) عنه في النسب (ف) اى بسبب أو لاجل (رضا الله اليه) متعلق بتقرب فيكونون بذلك اولى عنده من اقاربه الذين ليسوا كذلك كما قال آنفا وفي هذا البيت من أنواع البديع العكس نحو لاهن حل لهم ولاهم يحلون لهن الآية والاكتفاء وهو حذف شيء دل عليه ما قبله كما قرته ورد العجز على الصدر والارصاد وهو ان يتقدم على الروي ما يشعر به نحو وما ظلمناهم الآية (وتبعد عنه (القرباء) اى اقرباؤه اذا لم يوافقوه على طاعة الله تعالى فعلم انه لا يحابي قريبا ولا صديقا وانه لا رياء عنده ولا سمعة ولا حمية ولا عصبية وان محض نظره انما هو الله لا غير وطاعة ربه هي المقربة منه وضدها هو المبعد عنه (عمر بن الخطاب من) موصولة (قوله الفصل) اى الفاصل بين الحق والباطل (ومن حكمه السوى) اى الذي لا اعوجاج فيه (السواء) تأكيد اى المعتدل وهذا أولى من جعل الشارح السوى صفة حكم والسواء خبره لاقتضائه تغايرهما وليس كذلك (فر) اى هرب (منه الشيطان) اى ابليس وكل عات متمرد جني أو انسي (اذ) اى لاجل انه (كان فاروقا) ظاهره ان سبب تلقيبه بالفاروق كون الشيطان فر منه وليس مراد الناظم انه سبب ان الله فرق به بين الحق والباطل كما نصت به الاحاديث (ة) بسبب ما منحه الله من النور الذي يفرق به بين الحق والباطل ويفر الشيطان منه (النار) التي هي أصل الشيطان (من سناه) بالقصر اى ضوئه (انبراء) اى انمحاء والاصل في ذلك الاحاديث الصحيحة منها حديث يا ابن الخطاب والذي نفسي بيده ما لقيك الشيطان سالكا فجا قط الا سلك فجا غير فجك وحديث ان الله تعالى جعل الحق على لسان عمر وقلبه وانه ما نزل بالناس أمر قط فقالوا وقال عمر الا نزل القرآن على نحو ما قال وحديث لو كان بعدي نبي لكان عمر بن الخطاب وحديث ان الله وضع الحق على

(قوله وشدة شكيمته) الشكيمة بالفتح الانفة والانتصار من الظلم وقال في الصحاح فلان شديد الشكيمة اذا كان شديد النفس ابيا لا ينقاد (قوله العكس) وهو ان يقدم في الكلام جزء ثم يؤخر ويقع على وجوه منها بين احد طرفي جملة نحو عادات السادات سادات العادات ومنها ان يقع بين متعلقي فعلين في جملتين نحو يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومنها ان يقع بين لفظين في طرفي جملتين نحو لاهن حل الآية وقول الحسن بن سهل وقد قيل له لا خير في السرف لا سرف في الخير اه من بعض شراح بديعية الصفي الحلي (قوله لاهن حل لهم ولاهم يحلون لهن) قال في الاتقان وقد سئل عن الحكمة في عكس هذا اللفظ فأجاب ابن المنير بان فائدته الاشارة الى ان الكفار مخاطبون بفروع الشريعة (قوله دل عليه ما قبله) وهو قوله وارعوى الرقباء فان اخباره بانكفاف الاعداء وزجرهم من غير تقييد باجانب ولا أقارب يقتضي ان غير أعداء الله هم الذين يقربون منه سواء كانوا أجانب أو أقارب

(قوله والانس) المراد بشياطين الانس المرتكبون خلاف المطلوب شرعا فقد ورد ان الحبشة كانت تلعب بالحراب في المسجد
فزجرهم عمر فتفرقوا فقال صلى الله عليه وسلم انى لانظر الخ ومن ذلك حديث المرأة التى قالت يارسول الله انى نذرت ان ردك الله سالما
من غزوة كذا ان أضرب بين يديك بالدف والتغني فجاء أبو بكر وغيره فلم تلق الدف فحين دخل عمر القت

لسان عمر يقول به وحديث ان الشيطان ليفر منك ياعمر وفى رواية انى لانظر الى شياطين
الجن والانس قد فروا من عمر وفى أخرى أتانى جبريل فقال اقرأ عمر السلام وقل له ان
رضاه حكم وغضبه عز وفى أخرى الحق بعدى مع عمر حيث كان وفى أخرى ان الشيطان
لم يلق عمر منذ أسلم الا خر لوجهه وفى أخرى الصدق بعدى مع عمر حيث كان وفى أخرى عمر
معى وانا مع عمر والحق بعدى مع عمر حيث كان وصح حديث ماطلعت الشمس على خير
من عمر وروى أحمد وغيره انه صلى الله عليه وسلم قال لها أوخى أشركنا فى صالح دعائك
ولا تنسنا والشيخان انه صلى الله عليه وسلم قال بينا انا نائم شربت لبنا حتى كانى أنظر الى
الرى يجرى فى اظفارى فناولته عمر قالوا فما أولته يارسول الله قال العلم ورأيته وعليه
قميص يجره قال فما أولت يارسول الله قال الدين وصح انه من الملهمين الذين ينطق الحق
على ألسنتهم (وابن) اى واقسم عليك بذى النورين ابى عمرو عثمان بن (عفان ذى) اى
صاحب (الايادى) اى النعم وهذا فى اليد بمعنى الجارحة جمع أيد جمع يد فاتى الناظم به فى
البيت بمعنى النعمة أيضا (التى طال) اى عظم وامتد (الى المصطفى) على الخلق كلهم اى
المختار فهو من الاصطفاء وقيل المصطفى المنتقى من كل شين وكدر فهو من التصفية (بها)
متعلق بقوله (الاسداء) اى الاعطاء (حفر البئر) اى بئر رومة وذلك انها كانت ليهودى
فى الاشهر فقدم صلى الله عليه وسلم المدينة وليس بها ماء يستعذب غيرها فقال صلى الله
عليه وسلم من حفر بئر رومة أو من اشتراها فله الجنة فاشتراها عثمان بعشرين ألف درهم
وحفرها وهى موجودة الى الآن فتنوا بها مستمرة الى قيام الساعة وفى رواية ان عثمان
رضى الله تعالى عنه لما سمع قوله صلى الله عليه وسلم فيها انها نعم البئر اشترى نصفها بمائة
بكرة وتصدق بها واقتسماها يوما لهذا ويوما لهذا فجعل الناس يتنعمون ويستقون منها فى
يوم عثمان ليومين فلما رأى صاحبها انه قد امتنع منه ما كان يصيبه من ثمن الماء الذى يبيعه
للناس منها باع عثمان النصف الثانى بشئ يسير فتصدق عثمان بها كلها اه (تنبيه) * تعبير
الناظم بالحفر تبع فيه بعض الرواة وكأنه لم يبال بقول من قال ذكر الحفر وهم من بعض
الرواة والمعروف انه اشتراها ويجاب بانه لا مانع من انه اشتراها ثم زاد فى تعميقها
مبالغة فى تكثير مائها لشدة احتياج الناس اليها ثم رأيت بعض المتأخرين صرح بنحو
ذلك وفى رواية ان القربة منها كانت تباع بمد وانه صلى الله عليه وسلم طلب من صاحبها ان
يبيعها له فاعتل بان له عيالا وليس له غيرها فبلغ عثمان فاشتراها بخمسة وثلاثين ألف درهم

الدف تحت استها فقال صلى الله
عليه وسلم ان الشيطان ليفر من
عمر اه وحمل ما فى الحديث
الاول من فعل الشيطان اما
لكونه فى المسجد او لكون اللعب
كان بالمراماة اى برمى الحراب بجهة
كل من الرماة والا فالمسابقة
بالحراب مطلوبة وفى الحديث
الثانى لكونه غير مطلوب وان
كان جائزا لان كلا من الضرب
بالدف وسماع صوت المرأة غير
محرم والا لما أقر عليه رسول الله
صلى الله عليه وسلم فتأمل (قوله
يا أوخى) بالتصغير ولذا يكتب بواو
بعد الهمزة فرقا بينه وبين أخى
المكبر (قوله وعليه قميص) قال
أهل التعبير القميص فى النوم
معناه الدين وجره يدل على ابقاء
آثاره الجميلة وسنته الحسنة فى المسلمين
بعد وفاته ليقتدوا به (قوله جمع
يد) وأصل اليد الجارحة وتطلق
مجازا على النعمة والاحسان وهو
المراد هنا اه شرح المالكى لكن
قوله بها يقتضى ظاهره أن المراد
بها الجارحة والا فالنعمة لا يقال اسداؤها
وقد يقال فيه استخدام حيث
ذكرها أولا بمعنى النعم وثانيا بمعنى
الجوارح تأمل قال بعض محشى المطول وفيه ايراد جمع الجمع مبالغة فى كثرة النعمة (قوله بئر رومة) بضم الراء وسكون (جهز
الواو وفتح الميم اسم صاحب البئر الذى كان يسقى منها (قوله اشترى نصفها الخ) يمكن الجمع بينه وما سبق بان المائة والشئ
اليسير قدر عشرين ألف درهم (قوله فاشتراها بخمسة الخ) تقدم انه اشتراها بعشرين ألف درهم فانظر المعول عليه من الروايتين
أو ما يفيد الجمع بينهما ويمكن ان يجمع بان الثمن عشرون ألفا والمصروف فى حفرها خمسة عشر فتجوزوا أطلق الاشتراء على الجميع

(جهز الجيش) اى جيش العسرة فى غزوة تبوك أخرج الترمذى انه صلى الله عليه وسلم حث على جيش العسرة فقال عثمان رضى الله تعالى عنه يارسول الله على مائة بعير باحلاسها واقتابها فى سبيل الله تعالى ثم حض على الجيش فقال عثمان رضى الله عنه يارسول الله على مائتا بعير باحلاسها واقتابها فى سبيل الله تعالى ثم حض صلى الله عليه وسلم على جيش العسرة فقال عثمان رضى الله تعالى عنه يارسول الله على ثلثمائة بعير باحلاسها واقتابها فى سبيل الله تعالى فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول ما على عثمان ما فعل بعد هذه وفى رواية حمل عثمان جيش العسرة على ألف بعير وسبعين فرسا وصنع اتمباه الى النبى صلى الله عليه وسلم بالف دينار حين جهز جيش العسرة فنثرها فى حجره وجعل يقلبها بيده وهو يقول ما ضر عثمان ما فعله بعد اليوم وفى رواية انه بعث بعشرة آلاف دينار فصبت بين يديه صلى الله عليه وسلم فجعل يقلبها ويقول غفر الله لك يا عثمان ما اسررت وما أعلنت وما هو كائن الى يوم القيامة ما يبالى ما عمل بعدها وصح انه لما حوصر اشرف عليهم فقال انشدكم بالله تعالى ولا انشد الا أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم ألستم تعلمون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من جهز جيش العسرة فله الجنة فجهزته ألستم تعلمون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من حفر بئر رومة فله الجنة فصدقوه فيما قال وصح عن ابى هريرة اشترى عثمان الجنة من النبى صلى الله عليه وسلم مرتين حيث حفر بئر رومة وحيث جهز جيش العسرة وصح انه استشهد أقواما من الصحابة على أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من يشترى هذا المربد ويزيده فى مسجد ناوله الجنة وأجره فى الدنيا ما بقى درجاته فاشتريته بعشرين ألفا وزدته فى المسجد فشهدوا له فقال الخوارج عليه صدقوا ولكنك غيرت ثم ذكر تجهيز جيش العسرة وحفر البئر فصدقوه فقال الخوارج عليه صدقوا ولكنك غيرت فقال رضى الله تعالى عنه ويلكم كيف يكون من هذا مغيرا ثم ذكر انهم سيقولون ذلك فى غيره فكان كذلك فى على حين خرجوا عليه واستشهد الصحابة على خصوصيات فشهدوا له فقالوا صدقوا ولكنك غيرت وفى رواية أن محمد بن أبى بكر لما دخل على عثمان وكان مع الخارجين عليه استشهد أن النبى صلى الله عليه وسلم زوجه ابنتيه وقال لو كان عندنا ثالثة زوجناه وانه بايع عنه فى بيعة الرضوان وانه قال من يشترى هذا النخل فيقيم قبلة المسجد وله مثله فى الجنة فاشتراه عثمان رضى الله تعالى عنه وان المسلمين اشتد جوعهم فبسط لهم على أنطاع الحوارى بالسمن والعسل فكان اول خبيص الحلاوى فى الاسلام وانهم ظمؤا ظمأ ففجر لهم بئر رومة فأعظم عليها النفقة ثم تصدق بها على المسلمين الضعيف فيهم والقوى سواء وان الميرة انقطعت عن المدينة فجاع الناس فاشترى خمسة عشر راحلة طعاما فأخذ ثلاثا وأعطى النبى صلى الله عليه وسلم

(قوله العسرة) بالشين المهملة وأما العشيرة بالمعجمة مصغرا فغزوة أخرى غير غزوة تبوك كذا فى المواهب قال فى القاموس وجيش العسرة بالضم جيش تبوك لانهم ندبوا اليها فى حمارة القيظ فعسر عليهم اه وقال فيه أيضا تبوك أرض بين الشام والمدينة وقال الكواشى فى تفسير قوله تعالى والذين اتبعوه فى ساعة العسرة ولم يرد ساعة بعينها والمراد الذين اتبعوه فى غزوة تبوك ويسمى جيش العسرة لقلة الظهر كان العشرة يتعقبون على البعير الواحد والزاد والماء وشدة الحر حتى كادت اعناقهم تتقطع عطشا ومنهم من نحر بعيره واعتصر ماء فرثه فشربه وجعل فرثه على صدره (قوله باحلاسها) الحلس بالكسر كساء رقيق تحت الرحل ويقال حلس مثل شبه وشبه والاقتاب جمع قتب وهو الاكاف الصغير على قدر سنام البعير اه قاموس (قوله على أشبعير الخ) لا مانع من انه بعدما التزم بثلثمائة واثنى عليه رسول الله بذلك زاد حتى بلغ ما ذكر من الابل والخيل والدنانير تارة بالف وتارة بعشرة آلاف فيحصل الجمع بين الروايات (قوله اشترى عثمان الجنة من النبى مرتين) واذا نظرت الى شرائه المربد وشرائه النخل الآتيين وقد وعد فيهما النبى صلى الله عليه وسلم من اشتراهما بالجنة صح ان تقول قد اشترى عثمان الجنة من النبى اربع مرات (قوله المربد) كقود الموضع الذى يحبس فيه الابل وغيرها واهل المدينة يسمون الموضع الذى يجفف فيه التمر مربدا وهو المسطح والجرين فى لغة اهل نجد اه صحاح

اثنى عشرة فدعا لها بالبركة فيما أعطى وفيما أمسك وانه أتى النبى صلى الله عليه وسلم بالف أصفر فصبها فى حجره فقال ماضر عثمان مافعل بعد اليوم وانه كان مع النبى صلى الله عليه وسلم وأبى بكر وعمر وعلى وطلحة والزبير على حراء فتحرك بهم فضربه النبى صلى الله عليه وسلم بقدمه وقال اثبت حراء فانما عليك نبى أو صديق أو شهيد وكل ذلك وعمد يقول نعم

• (تنبيه) قال ابن مالك من أحسن شواهد قول الكوفيين وآخرين ان أو ترد بمعنى الواو هذا الحديث الاخير (أهدى الهدى) الى مكة وأرسله اليها عام الحديبية حين توجه صلى الله عليه وسلم اليها ومعه الف وار بعمائة فى ذى القعدة سنة ست يريد العمرة فمنعه قريش من دخول الحرم (لما) اى حين (انصد) عن الدخول اليها (الاعداء) اى المشركون وكان وجه تخصيصه بذلك أن هديه وصل الى مكة بخلاف هدى غيره لكن انما ذلك لعزة قومه دون غيره فى ان الخصوصية حينئذ تأمل بل قضية ادبه الآتى من تركه الطواف ترك ارسال الهدى حيث لم يرسله صلى الله عليه وسلم ويجاب باحتمال أنه أخر هديه لغيبته حتى حضر بعد ذبحهم لهديهم فحينئذ هو لم يرسله الا وقد أيسوا من ارسال هديهم فلا مخالفة فيه للادب وتصيرى الماعنه بحين هو ماذهب اليه جماعة وقال ابن مالك انها بمعنى اذ لانها مختصة بالماضى وبالاضافة الى الجملة وهى تقتضى جملتين وحذف الثانية عند وجود الاولى ولذا يقال فيها حرف وجود لوجود وجوابها اما ماض او جملة اسمية مقرونة بالفاء او باذا الفجائية ويجادلنا فى فلما ذهب عن ابراهيم الروع وجاءته الآية مؤول بجادلنا خلافا لابن عصفور وقد ترد للاستثناء نحو ان كل نفس لما عليها حافظ فى قراءة من شدد الميم وفى هذا كالسوى والسواء ويعدو الاباعد ويقرب والقرباء وأدب والادنا جناس الاشتقاق أو شبهه (وأبى) رضى الله تعالى عنه لما ارسله النبى صلى الله عليه وسلم الى اهل مكة ومعه الكتاب الذى وقع فيه ماوقع بين النبى صلى الله عليه وسلم وسهيل بن عمرو المرسل اليه من اهل مكة ليقع الصلح بينهم على ان يرجع فى هذه السنة ولا يدخلها لئلا يقول الناس انه دخلها كرها على اهلها ثم يعود اليها معتمرا السنة القابلة ويدخلها والاسلحة فى غلفها ليكون ذلك علامة على الصلح وعلى وضع الحرب بينهم عشر سنين ثم نقضوا الصلح فكان ذلك سببا لفتح مكة فى السنة الثانية ولما أرسله أمسك سهيل بن عمرو عثمان بعده وفى رواية أنه صلى الله عليه وسلم قال لعمر اذهب فاستأذن لنا لتخلوا بيننا وبين الكعبة فقال يارسول الله ليس هناك أحد من بنى عدى يمنعنى ولكن ارسل عثمان فان بنى عمه يمنعونه فأرسله ليكلم اشراف قريش فى ان يرجعوا عن صده عن دخول مكة وان يمكنوه من دخولها لاداء ما اراد بقصده من الاعتمار وتعظيم البيت بالبدن والهدى دون القتال فكلمهم فلم يمتثلوا وعلى كل من القولين احتبسوه عندهم وقالوا له ان شئت أن تطوف بالبيت فطف فأبى اى امتنع حينئذ (أن يطوف بالبيت اذ) تعليلية (لم يدن) اى يقرب (منه) اى البيت (الى النبى) متعلق بيدن (فناء) وهو ما امتد من جوانبه ولما

(قوله مؤول بجادلنا) اوان الجواب محذوف اى أقبل يجادلنا كما فى المغنى اى فالواجب احد أمرين اما تأويل المضارع بالماضى واما تقدير ماض قبل المضارع وهو أولى الوجهين

احتبس بلغ النبي صلى الله عليه وسلم أن عثمان قتل فدعا الناس الى بيعة الرضوان تحت
الشجرة على الموت وقيل على أن لا يفروا ذكره الحافظ مغلطاى ولما بايعه الناس على
ذلك بمكة وضع يمينه على شماله وقال هذه عن عثمان وفي البخاري فقال النبي صلى الله عليه
وسلم بيده اليمنى هذه بيعة عثمان فضرب بها على يده اليسرى الحديث وفي رواية الترمذي
أن عثمان في حاجة الله وحاجة رسوله فضرب باحدى يديه على الاخرى فكانت يد رسول
الله صلى الله عليه وسلم لعثمان خيرا من أيديهم لانفسهم ولما سمع المشركون بهذه البيعة
خافوا وأرسلوا عثمان وجماعة من المسلمين وفي هذه البيعة نزل قوله تعالى ان الذين يبايعونك
انما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم وقوله تعالى لقد رضي الله عن المؤمنين اذ يبايعونك
تحت الشجرة (ف) بسبب ما وقع من عثمان من امتثاله امر النبي صلى الله عليه وسلم وذهابه
الى العدو ولم يبال باحتمال كونهم يقتلونه لشدة ما كانوا عليه من عداوتهم المسلمين لاسيما
لاكابرهم كعثمان ومن تأدبه مع النبي صلى الله عليه وسلم الادب البالغ بتركه الطواف
مع اذنهم له فيه (جزته عنها) اى تلك الفعلة التي فعلها من الذهاب اليهم والامتناع
من الطواف (ببيعة) اى في بيعة (رضوان) وسميت بذلك لما في الآية الثانية من رضى
الله عنهم بسببها (يلمس نبيه) صلى الله عليه وسلم اى عثمان (بيضاء) اى بالغة في الكرم
الذى عم الانام منها الى مبلغ ضوء الشمس وعموم معاملتهم ولا تجازى تلك اليد البيضاء
بذلك والذى وقع منه من الامتناع من الطواف لاجل غيبة النبي صلى الله عليه وسلم وعدم
تمكينهم له من الدخول (أدب) عظيم جدا (عنده) رضي الله تعالى عنه ومن عجيب هذا
الادب أنه حصل فيه أمر عظيم وفضل مستغرب جسيم وذلك أنه مع كونه ترك الفعل
العبادة (تضاعفت الاعمال) التي هي ذلك الفعل وهو الطواف اى ثوابها (ب) سبب
(الترك) لذلك العمل لاجله صلى الله عليه وسلم فكان الترك هنا أفضل من الفعل لو وقع
منه لانه ليس فيه هذا الادب الذى بلغ به عثمان من السبق ما لم يبلغه غيره فلذا حق أن
يقال فيه وفي أمثاله على سبيل المدح (حبذا الادباء) فهو تتميم بديع وعثمان رضي الله
تعالى عنه من أجل الادباء لانه كان عنده من الحياء الذى هو منشأ الادب ما لم يكن عند
غيره وهو من أجلهم كيف وقد صح أنه صلى الله عليه وسلم قال في حقه وقد استحى منه صلى
الله عليه وسلم لما دخل عليه في بئر أريس فجمع ثيابه ألا أستحي من رجل تستحي منه الملائكة
وروى من غير طريق أشد أمتي حياء عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه عثمان أحيى أمتي
وأكرمها عثمان حيي ستير تستحي منه الملائكة اذ الملائكة تستحي من عثمان
كما تستحي من الله ورسوله انما يشبه عثمان بأبينا ابراهيم عثمان ولي في الدنيا ولي في
الآخرة لو أن لي أربعين ابنة زوجتك واحدة بعد واحدة حتى لا يبقى منهن واحدة
وما زوجتكها الا بالوحي من الله تعالى وصح أنه صلى الله عليه وسلم ذكر فتنة يعرفها فمر
عثمان فقال هذا يومئذ على الهدى وانه صلى الله عليه وسلم قال له ان الله مقمصك قميصا

(قوله بلغ النبي الخ) عبارة
المالكي اشاع أن عثمان قتل
(قوله وقال هذه عن عثمان) اى
لانه لم يصدق بموته والا لما احتاج
المبايعة عنه (قوله وجمع القرآن)
اى في المصحف على ترتيبه
المعروف اليوم والا فمن جمعه
الصديق

اى موليك الخلافة فان أرادك المنافقون على خلعه فلا تخلعه حتى تلقانى فلذلك قال لهم يوم الدار رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد الى عهدا وأنا صابر عليه وفى البخارى أن بعض أعداء الله جاء الى ابن عمر ورماه بأنه فر يوم أحد وانه تغيب عن بدر وعن بيعة الرضوان فرد عليه ابن عمر بان الله غفر له وعفا عنه ما وقع منه يوم أحد وان تغيبه عن بدر انما كان باذن رسول الله صلى الله عليه وسلم لمرض بنته رقية وقال له ان لك أجر من شهد بدرا وسهمه وان غيبته عن بيعة الرضوان انما هو لكونه كان أعز أهل مكة فأرسله فى حاجته فكانت بيعة الرضوان فضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم احدى يديه على الاخرى فقال هذه لعثمان قال العلماء ولا يعرف أحد تزوج بنتى نبى غيره ولذا سمى ذا النورين وقال وهو محصور يراد قتله انه اختبأ عند ربه عشرا وانه رابع اربعة فى الاسلام وانكحه صلى الله عليه وسلم ابنتيه وما تغنى ولا تمنى ولا وضع يمينه على فرجه منذ بايع بها رسول الله صلى الله عليه وسلم وما مرت به جمعة منذ أسلم الا واعتق فيها رقبة اى فجملة ما اعتقه الفان واربعمائة رقبة تقريبا ولا زنى ولا سرق جاهلية ولا اسلاما وجمع القرآن على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم (وعلى) اى وأقسم عليك بعلى وسبق منه الاقسام به ايضا واعلم يكتفى به لان ذلك وقع تبعا للمعجزة المقصودة بالذات وهى برء عينيه بتفله صلى الله عليه وسلم فيهما وليبين ما هو مذهب اهل السنة واكثر الفرق من أن الخلافة والافضلية بينهم على هذا الترتيب فأحق الصحابة بالخلافة وافضلهم ابو بكر ثم عمر وهذا اجماع من الصحابة ومن بعدهم كما حكاه جماعة من الائمة منهم الامام الشافعى رضى الله عنه قطعى لانزاع فيه ويعقبه ثم عثمان ثم على وهذا ما عليه الاكثرون فهو ظنى لا قطعى وخالف فيه سفيان الثورى ومالك وغيرهما فقالوا بأفضلية على وان كان عثمان احق منه بالخلافة لاجماع اهل الشورى ثم الصحابة على خلافته مع الاشارة اليها من النبى صلى الله عليه وسلم كما سبقت الاشارة الى ذلك ومما يصرح بافضلية عثمان على على ما صح عن ابن عمر كنا نخير بين الناس فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم فنخير ابا بكر ثم عمر ثم عثمان وعن ابى هريرة رضى الله عنه كنا معاشر اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم ونحن متوافرون نقول أفضل هذه الامة بعد نبينا أبو بكر الصديق ثم عمر ثم عثمان ثم نسكت وهل تجب محبتهم برعاية أفضليتهم فيه تفصيل وهو انها ان كانت من حيث الدين والعلم ومحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم وجب ترتيبهم كترتيبهم المذكور وان كانت لنحو قرابة أو احسان لم تجب رعايتها كذلك (صنو النبى) صلى الله عليه وسلم اى مثله لاجتماعهما فى أصل واحد وهو عبد المطلب فهما كنخلتين اصلهما واحد وفى حديث الترمذى فانما عم الرجل صنو ابيه وهو من هذا القبيل (ومن) اى الذى (دين) اى اعتقاد (فؤادى) اى قلبى (وداده) اى حبه (والولاء) له اى مناصرته والذب عنه والرد على من نازع فى خلافته ولم يبال بوقوع الاجماع عليها وعلى من خرجوا عليه ونازعوه الامر ورموه بما هو برى منه وقتلت

(قوله وعلى) قال ابن الجوزى لا يعرف خليفة هاشمى الابوين الا اثنان على ابن ابى طالب بن هاشم وامه فاطمة بنت أسد بن هاشم ومحمد الامين بن الرشيد وامه أم جعفر بنت جعفر بن المنصور (قوله متوافرون) اى كثير

علا بما صح عنه صلى الله عليه وسلم وهو اللهم وال من والاه وعاد من عاداه ان عليا مني وانا
منه وهو ولي كل مؤمن بعدي ولما كبد القلب عنه لكثرة أعدائه من بني أمية والخوارج
الذين بالغوا في سبه وتنقيصه مدة الف شهر حتى على المنابر خصه الناظم بذلك ولهذا
اشتغل جهابذة الحفاظ ببث فضائله رضي الله عنه نصحا للامة ونصرة للحق ومن ثم قال
احمد ما جاء لاحد من الفضائل ما جاء لعلي وقال اسمعيل القاضي والنسائي وابو علي
النيسابوري لم يرد في حق احد من الصحابة بالاسانيد الصحاح الحسان اكثر ما ورد في حق
علي ومن ذلك ما صح أن الله تعالى يحبه وان رسوله صلى الله عليه وسلم يحبه بل روى
الترمذي انه كان احب الناس الى رسول الله صلى الله عليه وسلم والظاهر أن المراد بالناس
بنو هاشم حتى لا ينافي ما مر ان ابا بكر كان احب الناس الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
وان آية المباهلة لما نزلت دعا صلى الله عليه وسلم عليا وفاطمة وابنيهما وقال اللهم هؤلاء
اهلي وانه قال أنا سيد ولد آدم وعلي سيد العرب لكن اعترض تصحيح الحاكم لهذا وانه
قال من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه رواه ثلاثون
صحابيا وان الله تعالى امره أن يحب اربعة واخبره بأنه يحبهم منهم علي وانه لا يحبه
الا مؤمن ولا يبغضه الا منافق وان من سبه فقد سب النبي صلى الله عليه وسلم وانه يقاتل
على القرآن كما قاتل صلى الله عليه وسلم على تنزيله وانه يهلك فيه اثنان محب مفرط
ومبغض مبهت وان قاتله اللعين ابن ملجم أشقى الآخرين كما ان عاقر الناقة اشقى الاولين
(ووزير ابن عمه) النبي صلى الله عليه وسلم اى ناصره وحامل كل ثقل نابه صلى الله عليه
وسلم ونائب عنه (في المعالي) الدينية والدنيوية جمع المعلاة هو الرفعة والشرف واصل
هذا الحديث الصحيح انه لما خلفه على المدينة في غزوة تبوك قال يا رسول الله تخلفني
مع النساء والصبيان فقال أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هرون من موسى الا انه
لا نبي بعدي ومر الكلام عليه في شرح قوله أو دعتها الزهراء وقال صلى الله عليه
وسلم فيما أخرجه أحمد والترمذي والنسائي وابن ماجه علي مني وأنا منه ولا يؤدي عني
الا علي والترمذي أنت اخي في الدنيا والآخرة والخطيب علي مني بمنزلة رأسي من بدني
وابن عدي علي يعسوب المؤمنين والمال يعسوب المنافقين والبزار علي قاضي ديني
والنسائي والحاكم ان كل نبي أعطي سبعة نجباء وأعطيت أنا اربعة عشر علي والحسن
والحسين وجعفر وحمزة وأبو بكر وعمر الحديث واحمد أنت اخي وابو ولدي تقاتل على
سنتي الحديث قال ابن عباس نزلت في علي ثلثمائة آية وليست الوزارة خاصة به رضي
الله تعالى عنه فقد أخرج الترمذي حديث ما من نبي الا وله وزيران من أهل السماء
ووزيران من أهل الارض فاما وزيراي من أهل السماء فجبريل وميكائيل واما وزيراي
من اهل الارض فابو بكر وعمر وصح حديث هذان السمع والبصر وفي رواية هما مني
بمنزلة السمع والبصر من الرأس واخرج الطبراني وابو نعيم ان الله أمدني باربعة وزراء

(قوله من كنت مولاه الخ) اى
من أحبني وتولاني فليتوله اه
هروي (قوله ومبغض مبهت)
قال الجوهري بهته بهتا وبهتا
وبهتانا فهو بهات اى قال عليه
ما لم يفعله فهو مبهوت (قوله ومبغض
الكلام عليه) وسيأتي قريبا
ايضا في شرح قوله
لم يرد به كشف الغطاء يقينا
زيادة بسطه في الشرح وما
كتبناه عليه

اثنين من أهل السماء جبريل وميكائيل واثنين من اهل الارض ابو بكر وعمر وابن عساكر
ان لكل نبي وزيرين ووزيراى صاحباى ابو بكر وعمر قيل قد يشكل ذكره الوزارة
فيهما دونه مع انها لم ترد فيه لفظا وصحت فيهما وقد يجاب بانها وردت فيه بمعناها على وجه
ابلغ من لفظها وهو قوله انت مني بمنزلة هرون من موسى فان هذه الوزارة المستفادة من
هذا التي هي كوزارة هرون اخص من مطلق الوزارة الواردة فيهما ومن ثم اخذ منها
الشيعة انها تفيد النص على انه الخليفة بعده وهو كذلك لولا ما يأتي قريبا من المبطل
لذلك الاستنباط ومما يؤيد هذه الوزارة الخاصة كونه صلى الله عليه وسلم آخاه دون
غيره وأرسله مؤذنا في الناس ببراءة في الموسم مع أن الخليفة على الحج ابو بكر لان
العرب لا يقبلون من يبلغ عن الكبير الا ان كان من اهله وبطانته وانه استخلفه بمكة عند
الهجرة حتى أدى ودائعه وقضى ما عليه وأتاه ما اهله فهذه كلها مؤذنة بوزارة خاصة لم توجد
في غيره فلذا ذكرها فيه فقط على انه وصفه بما هو أعظم منها وأجل (ومن الاهل تعد
الوزراء) تذييل مناسب لما قبله وفيه رد العجز على الصدر ومن تلك السعادة ما أمده
صلى الله عليه وسلم به من المؤاخاة فقد اخرج الترمذي آخى صلى الله عليه وسلم بين اصحابه
فجاء علي تدمع عيناه فقال يا رسول الله آخيت بين اصحابك ولم تؤاخ بيني وبين احد فقال
صلى الله عليه وسلم انت اخي في الدنيا والآخرة ومنها العلوم التي أشار اليها بقوله صلى الله
عليه وسلم أنا مدينة العلم وعلي بابها وفي رواية فمن اراد العلم فليأت الباب وفي اخرى عند
الترمذي أنا دار الحكمة وعلي بابها وفي اخرى عند ابن عدي علي باب علمي واختلفوا في
حكم هذا الحديث فجماعة منهم النووي رحمه الله تعالى على انه موضوع والحاكم صححه
وصرح بعض الحفاظ المطلعين انه حديث حسن وصح انه صلى الله عليه وسلم ارسله الى
اليمن ليقضي بينهم فقال لا ادري ما القضاء فضرب صدره بيده ثم قال اللهم اهد قلبه وثبت
لسانه قال علي فوالذي فلق الحب ما شككت في قضاء بين اثنين وقيل له ما لك أكثر
الصحابة حديثا فقال اني كنت اذا سألته أنبأني واذا سكت ابتدأني وكان عمر يتعوذ من
معضلة ليس لها ابو الحسن يعني عليا ولم يكن احد من الصحابة يقول سلوني الا علي رضي
الله تعالى عنه وذكر عند عائشة رضي الله تعالى عنها فقالت انه أعلم من بقي بالسنة وقال
مسروق انتهى علم الصحابة الى عمر وعلي وابن مسعود وقال والله ما نزلت آية الا وقد علمت
فيم نزلت وأين نزلت وعلى من نزلت ان ربي وهب لي قلبا عقولا ولسانا ناطقا وقال سلوني
عن كتاب الله تعالى فانه ليس من آية الا وقد عرفت بليل نزلت أم بنهار أم في سهل ام في
جبل ولاجل هذه العلوم الكثيرة التي أفيضت عليه من تلك الحضرة النبوية (لو زده
كشف الغطاء يقينا) كما اخبر بذلك عن نفسه بقوله لو كشف الغطاء ما ازددت يقينا
لانه حصل عنده من البراهين القطعية على حقيقة التوحيد ومتعلقاته والايمان وصدق
الرسل فيما بلغوا به ما لا يزيد اليقين فيه عند برؤيته ذلك عيانا واحترز بنفي زيادة اليقين نفسه

(قوله يقينا) في الفتوحات الالهية في نفع أرواح الذوات الانسانية لشيخ الاسلام زكريا الانصاري ما يوضح المقام ونص عبارته اليقين ظهور نور الحقيقة في قلب المؤمن عند كشف الاستار البشرية بشهادة الوجدان والذوق لا بدلالة العقل والنقل وذلك يحصل بالجزم ومطابقة الواقع ويطلق اليقين مجازا على نتيجة ذلك وهي اطمئنان القلب ووثوقه بموعود الله تعالى ليستريح العبد من تعب الشقاء في تحصيل المرافق الدنيوية فيكون حقيقة فيما هو من قبيل الاحوال والمقامات مجازا في ثمراتها وقيل مشترك بينهما وعلم اليقين ما حصل عن نظر واستدلال وعين اليقين ما حصل عن مشاهدة وعيان وحق اليقين ما حصل عن عيان ومباشرة فالاول منها كمن علم بالدليل وجود الجنة والثاني كمن حضرها وشاهدها والثالث كمن شاهدها ودخلها (قوله من البراهين) هذا بيان لعلم اليقين المتصف به هذا الامام كرم الله وجهه كاتصافه باليقين نفسه قبل نظره في الدليل فانه قد ظهر نور الحقيقة في قلبه عند ازالة اشبال البشرية عنه في حال صغره وقت مبادرته الاسلام قبل بلوغه فتأمل

عن زيادة ثمراته فان عاقلا لا يشك أن عين اليقين اقوى من علم اليقين وان حق اليقين
اقوى من عين اليقين ودليله اولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبى فأثبت لنفسه حقيقة
الايمان ويقينه وطلب زيادة الطمأنينة برؤية العيان فلا منافاة فيما قاله على كرم الله
وجهه خلافا لمن وهم فيه (بل) للانتقال (هو) اى على فى فضله وعلمه وزهده وتقدمه على
من عدا الخلفاء الثلاثة قبله وحقية خلافته وقيامه فيها بما أمر به من قبله وزيادة
(الشمس) اى مثلها فى الظهور والاضاءة التى لا يلتفت فيها الى تقول متقول ولا عناد
معاند كيف وهو مع ذلك (ما عليه غطاء) اى ساتر بل هو ظاهر لكل احد وقد أخرج
الطبرانى عن ابن عباس قال كانت لعلى رضى الله عنه ثمانى عشرة منقبة ما كانت لاحد
من هذه الامة وأبو يعلى عن عمر قال أعطى على ثلاث خصال لان تكون لى خصلة منها
أحب الىّ من أن أعطى حمر النعم تزويجه ابنته وسكناه المسجد واعطاؤه الراية يوم خيبر
وصح عن ابن عمر نحو ذلك وأخرج الطبرانى والخطيب حديث ان الله جعل ذرية كل
نبى فى صلبه وجعل ذريتى فى صلب ابن أبى طالب وما أحسن قول حكيم لما دخل
الكوفة والله يا أمير المؤمنين لقد زينت الخلافة وما زينتك ورفعتها وما رفعتك وهى
أحوج اليك منك اليها وقول أحمد وقد سأله ولده عن على ومعاوية اعلم أن عليا كان
كثير الاعداء ففتش له أعداؤه شيأ فلم يجدوا فجاؤا الى رجل قد حاربه وقاتله فأطروه كيدا
منهم له وصح خلافا لمن نازع فيه أن النبى صلى الله عليه وسلم نام فى حجره وهو يوحى اليه
فغربت الشمس ولم يصل العصر فلما سرى عنه صلى الله عليه وسلم وعلم أنه لم يصل دعا الله
تعالى أن يرد الشمس فعادت حتى ظهر ضوءها على الحيطان فصلى ثم غابت وفى هذا
كرامة باهرة ولعل الناظم أشار اليها بتشبيهه بالشمس * (تنبيه) * مما يدل على أن الله
سبحانه وتعالى اختص عليا من العلوم بما تقصر عنه العبارات قوله صلى الله عليه وسلم
أقضاكم علىّ وهو حديث صحيح لا نزاع فيه وقوله أنا دار الحكمة وفى رواية أنا مدينة العلم
وعلى بابها وقد كثر اختلاف الحفاظ وتناقضهم فيه بما يطول بسطه وملخصه أن لهم فيه
اربعة آراء صحيح وهو ما ذهب اليه الحاكم ويوافقه قول الحافظ العلائى وقد ذكر له طرقا
وبين عدالة رجالها ولم يأت احد ممن تكلم فى هذا الحديث بجواب عن هذه الروايات
الصحيحة عن يحيى بن معين وبين ان ما طعن فيه فى بعض رواته كشريك القاضى بان
مسلما احتج به وكفاه بذلك فخراله واعتمادا عليه وقد قال النووى فى حديث رواه فى
البسملة ردا على من طعن فيه يكفينا أن نحتج بمن احتج به مسلم ولقد قال بعض معاصريه
ما رأيت احدا قط اورع منه فى علمه حسن وهو التحقيق ويوافقه قول شيخ الاسلام
الحافظ ابن حجر رجاله رجال الصحيح الا عبد السلام الهروى فانه ضعيف عندهم انتهى
وسبقه الى آخر كلامه الحافظ العلائى فقال عن الهروى هذا تكلموا فيه كثيرا انتهى
ويعارض ذلك تصويب ابى زرعة على حديثه ونقل الحاكم عن يحيى بن معين انه وثقه

(قوله ولعل الناظم الخ) انظر ماوجه كون ذلك التشبيه مشيرا لما ذكر

فثبت انه حسن مقارب الصحيح لما علمت من قول ابن حجران رواته كلهم رواة الصحيح الا الهروى وان الهروى وثقه جماعة وضعفه آخرون ضعيف اى بناء على رأى من ضعف الهروى موضوع وعليه كثيرون ائمة حفاظ كالقزوينى وابن الجوزى وجزم ببطلان جميع طرقه والذهبى فى ميزانه وغيره وهؤلاء وان كانوا أئمة أجلاء لكنهم تساهلوا تساهلا كثيرا كما علم مما قررته وكيف ساغ الحكم بالوضع مع ما تقرران رجاله كلهم رجال الصحيح الا واحدا فمختلف فيه ويجب تأويل كلام القائلين بالوضع بان ذلك لبعض طرقه لا كلها وما احسن قول بعض الحفاظ فى ابى معاوية احد رواته المتكلم فيهم بما لا يسمع هو ثقة مأمون من كبار المشايخ وحفاظهم وقد تفرد به عن الاعمش فكان شاذا واى استحالة فى انه صلى الله عليه وسلم يقول مثل هذا فى حق على وقول بعض المتقين تمسك الشيعة بهذا الحديث على أن اخذ العلم والحكمة مختص بعلى لا يتجاوزه الى غيره الا بواسطته لان الدار انما يدخل اليها من بابها ولا حجة لهم فيه اذ ليس دار الجنة باوسع من دار الحكمة ولها ثمانية ابواب اه وفى حديث عند الواحدى لكنه ضعيف وعلى بابها وابو بكر محرابها الحديث واحتج بعض من لا تحقيق عنده على الشيعة بأن على اسم فاعل من العلو اى عال بابها فلا ينال لكل احد وهو بالسفساف اشبه لا سيما وفى رواية رواها ابن عبد البر فى استيعابه أنا مدينة العلم وعلى بابها فمن اراد العلم فليأته من بابه اذ مع تضييق النظر فى هذه الرواية لا يبقى تردد فى بطلان ذلك الرأى فاستفد هذا وعلم مما قدمته أنه الحقيق بالخلافة بعد الائمة الثلاثة بالاجماع ولا اكتراث ولا التفات الى من زعم أنه لا اجماع على خلافته رضى الله تعالى عنه وهو اول من اسلم قال بعض الحفاظ اجماعا اى من الصبيان واعتد باسلامه حينئذ لان الاحكام اذ ذاك كانت منوطة بالتمييز ولم يعبد وثنا قط ومن ثم اختص بكرم الله وجهه وألحق به الصديق فى ذلك وآخاه النبى صلى الله عليه وسلم وزوجه فاطمة بالوحى وهو أحد العلماء الربانيين والشجعان المشهورين والزهاد والخطباء المعروفين وحفظ القرآن وعرضه على النبى صلى الله عليه وسلم واختلى بعد موته صلى الله عليه وسلم فكتب كتابا فيه العلوم الجمة حتى قال ابن سيرين لو ظفرت بذلك الكتاب لظفرت بالعلم كله ولما هاجر صلى الله عليه وسلم امره أن يقيم بعده بمكة حتى يؤدى عنه ودائعه ثم يلحقه باهله ففعل وارسله صلى الله عليه وسلم فى السنة التاسعة وكان الامير فيها على الحج ابا بكر رضى الله تعالى عنه فاذن فى الناس بالموسم عنه بسورة براءة لان العرب لا يعتدون بما يجىء على لسان الكبير الا اذا كان الرسول فيه من اهله ومن ثم جاء فى حديث رجاله ثقات الا واحدا فمختلف فيه أنه صلى الله عليه وسلم خطب يوما وهو حاضر عقب فتح مكة فكان مما قاله اوصيكم بعترتى خيرا وان موعدكم الحوض والذى نفسى بيده لتقيمن الصلاة ولتؤتن الزكاة اولا بعثن اليكم رجلا منى كنفسى يضرب أعناقكم ثم اخذ بيد على وقال هو هذا وشهد معه صلى الله عليه

(قوله ومن ثم اختص) عبارة الشارح فى الفتاوى وجه اختصاص على بذلك عوضا عن الترضى انه لم يسجد لصنم قط فناسب أن يدعى له بما هو مطابق لحاله من تكرمة الوجه والمراد به حقيقته او الكناية عن الذات اى حفظه أن يتوجه لغير الله فى عبادته و يشاركه فى ذلك ابو بكر فانه لم يسجد لصنم أيضا كما حكى عنه فناسب أن يدعى له بذلك وانما كان استعمال ذلك فى حق على أكثر لان عدم سجوده لصنم أمر مجمع عليه لانه أسلم وهو صبى مميز فان قلت كثير من الصحابة لم يوجد منهم سجود لصنم كالعبادلة ابن عباس وابن عمر وابن الزبير وغيرهم ومع ذلك لا تقول الناس فيهم ذلك بل الترضى كغيرهم قلت هؤلاء نظر اليهم اقاربهم وابعد اضمحلال الشرك وخمود نار الضلالة والفتنة فلم يشابهوا ذينك الامامين فى تركهما اكبر فتن الشرك من السجود للصنم مع دعائه اهل الناس لذلك ومبالغتهم فى ايذاء من ترك ذلك وكان فى الترك حينئذ مخالفة الآباء والاقارب وتحمل المشاق التى لا تطاق من الدلالة على الصدق ما ليس فيه بعد ظهور الاسلام وزهوق الضلال فناسب حالهما أن يميزا عن بقية الصحابة بهذه الخصوصية العظمى رضى الله عنهما وكرم وجههما

وسلم المشاهد كلها وكان له فيها اليد البيضاء الا تبوك فانه استخلفه فيها على المدينة وقال له لما قال له حينئذ أتخلفني مع النساء والصبيان أما ترضى أن تكون منى بمنزلة هرون من موسى الا أنه لا نبى بعدى وبكونه انما قال له حينئذ يبطل تمسك الشيعة به على أنه الخليفة المقدم على الكل على ان هرون مات فى حياة موسى صلى الله عليه وسلم فلا دليل فيه للخلافة بعد الموت اصلا وتوفى على كرم تعالى الله وجهه شهيدا على ثلاث وستين سنة ضربه اللعين عبد الرحمن بن ملجم بسيف مسموم فى جبهته فأوصله دماغه ليلة الجمعة سابع عشر رمضان سنة اربعين وهو خارج الى صلاة الصبح بعد ان استيقظ سحرا وقال الحسن انه رأى النبى صلى الله عليه وسلم تلك الليلة فشكا اليه مالقى وقال له ادع لى فدعا له ان يبدله خيرا منهم وانهم يبدلون شرا منه وا كثر تلك الليلة من الخروج والنظر الى السماء وهو يقول والله ما كذبت ولا كذبت وانها الليلة التى وعدت وكان عنده أوز فلما خرج للصلاة صحن عليه فطردن عنه فقال دعوهن فانهن نوائح وقيل لم يعش الا ليلة الاحد وله اسوة بالخليفتين قبله عمر وعثمان رضى الله تعالى عنهم فان كلا منهما قتل شهيدا مظلوما أما عمر فقتله أبو لؤلؤة مجوسى عبد المغيرة بن شعبة لكونه شكا اليه ثقل خراجه فلم يشكه لعله بقدرته عليه وزيادة لكثرة صنائعه فكمن له الى أن ضربه بخنجر معه وهو فى ثانى ركعة من صلاة الصبح وهو يصلى بالمسلمين ومن علم سعادته دفنه مع النبى صلى الله عليه وسلم فانه ارسل ولده بعد ان طعن يستأذن عائشة رضى الله تعالى عنها فى ذلك فقالت كنت أعددت هذا المكان لنفسى فلا آن أوثره به فاستدفن معهما وأما عثمان فاجتمع على قتله أو باش أربعة آلاف يجمعون من مصر وغيرها فحاصروه الى ان قتلوه فى أواسط أيام التشريق والمصحف بين يديه سنة خمس وثلاثين وهو ابن ثمان وثمانين سنة وقيل أكثر وقيل أقل توهما منهم انه أراد قتل محمد بن أبى بكر رضى الله تعالى عنهم وهو برى من ذلك وانما افتعله عليه بعض أهله وكانت الصحابة رضى الله تعالى عنهم يمكنهم الدفع عنه لكنه منعهم من ان يقاتلوا محاصريه لما قال له زيد بن ثابت ان الانصار بالباب يقولون ان شئت كنا انصار الله مرتين فقال رضى الله عنه لا حاجة لى فى ذلك كفوا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد الى عهدا وأنا صابر اليه ومن ثم كان عنده فى الدار مع البيك الكثيرون فارادوا ان يمنعوا عنه فقال من أغمد سيفه فهو حر لانه علم باخبار النبى صلى الله عليه وسلم انه مقتول مظلوم وانه على الهدى وانه لا خلاص له من القتل وامره ان لا يعزل نفسه كما صح فى الحديث وهو يا عثمان انك ستولى الخلافة من بعدى وسيريدك المنافقون على خلعها فلا تخلعها وصم فى ذلك اليوم تفطر عندى كما مر فى الاحاديث وصح ان عثمان رضى الله تعالى عنه أشرف من كوة فقال لعلى يا أبا الحسن ما هذا الذى ركب منى فقال اصبر يا أبا عبد الله فوالله ما غبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين كنا على أحد فتحرك الجبل ونحن عليه فقال له اثبت احد فانه ليس عليك الا نبى أو صديق أو شهيد وايم الله لتقتلن ولاقتلن معك أى

(قوله أن تكون منى بمنزلة الخ) الباء زائدة أى انت نازل منى منزلة الخ وأفاد قوله الا أنه الخ أن الاتصال بينهما ليس فى النبوة بل ما دونها وهو الخلافة ولما كان هرون المشبه به انما كان خليفة فى حياة موسى دل ذلك على تخصيص خلافة على للنبى صلى الله عليه وسلم بحياته (قوله على ان هرون مات فى حياة موسى) اى قبل موته باربعين سنة خلفه حين ذهب لميقات ربه للمناجاة (قوله اوباش) هم الضعفاء الداخلون فى القوم وليسوا منهم حكى الاصمعى عن أبى عمرو بن العلاء انه لما قتل عثمان رحمه الله سمع الناس هاتفا يقول

لقد خذلوك وانصرفوا
فما آبوا ولا رجعوا
ولم يوفوا بنذرهم
فيا تبا الذى صنعوا

(قوله سنة خمس وثلاثين) * (فائدة) * لم يذكر فيما سبق ولا هنا تاريخ وفاة أبى بكر وعمر رضى الله تعالى عنهما وقد أرخ بعضهم وفاته صلى الله عليه وسلم والخلفاء الاربعة بالجمل فى قوله سنة (يا) النبى والصديق (يج) عمر (كج) عثمان (هل) على (لم)

(قوله حسنا لغيره) اعلم ان المقبول من الاحاديث التى رواتها آحاد أى غير متواترة اربعة صحيح لذاته وهو ما استوفى شروطا خمسة عدالة الراوى وتمام ضبطه وكون سنده متصلا وسلامته من الشذوذ وسلامته من العلة القادحة وحسن وهو ما اجتمعت فيه هذه الشروط الخمسة لكن ان خف الضبط أى نقص فهو الحسن لذاته وان كثرت طرق الحسن لذاته صار صحيحا لغيره وان كان فى رجال السند من فحش غلطه أو كثرت غفلته أو ساء حفظه لكن تابع حديثه معتبر من أهل الحديث صار ذلك الحديث حسنا لغيره والمراد بالمتابعة ان يشارك الراوى راو آخر فى رواية الحديث وهى المتابعة التامة وان شارك شيخه فن فوقه فالناقصة وكل منهما يفيد التقوية (قوله يجنب فى المسجد) قال فى المختار يقال أجنب وجنب من باب ظرف (قوله يمكث فيه جنبا) المعتمد فى الفروع الفقهية ان جواز المكث مع الجنابة خاص برسول الله فالامام على كغيره فى حرمة المكث مع الجنابة لضعف هذا الحديث عندهم فلا يثبت حكما وعليه فان كان مستندهم فى الحكم بالاختصاص بالنبى غير هذا الحديث فظاهر وان لم يكن لهم مستند غيره فلا يظهر العمل به فى طرف دون الآخر كما ذكره ابن علان فى خرد (قوله ومما يدل على نكارة هذا الحديث الخ) فى شرح الخصائص الصغرى لابن علان المكى ما نصه وعجيب ما فى شرح المنهاج لابن حجر من قوله ومن خصائصه صلى الله عليه وسلم المكث فى المسجد جنبا وعلى ليس مثله فى ذلك وحديثه ضعيف وان قال الترمذى انه حسن غريب كما فى المجموع وقد تطرق فيه لما ذكرنا الاعتبار ان الحديث الذى ضعفه هو الذى أثبت به الحكم للنبى صلى الله عليه وسلم فكيف يعمل به فى طرف دون الآخر

بعدك وليقتلن طلحة والزبير. (تنبيه). ورد فى مناقب على حديث كثر كلام الحفاظ فيه فاردت ان ألخص المعتمد فيه وتقله عن انس رضى الله عنه كان عند النبى صلى الله عليه وسلم طير فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم ائتنى باحب خلقك اليك يأكل معى هذا الطير فجاء على فأكل رواه الترمذى والمعتمد عند محقق الحفاظ انه ليس بموضوع بل له طرق كثيرة قال الحاكم فى المستدرك رواه عن انس رضى الله عنه اكثر من ثلاثين نفسا انتهى و[illegible] فيتقوى كل من تلك الطرق بغيره ويصير بسببه حسنا لغيره والمحققون ايضا على ان الحسن لغيره يحتج به كالحسن لذاته ومن جملة طرقه طريق رواتها كلهم ثقات الا واحدا قال بعض الحفاظ لم ار من وثقه ولا من جرحه وطريق اخرى رواتها كلهم ثقات ايضا الا واحدا قال النسائى فيه ليس بالقوى وهو معارض بان غير واحد وثقه وذكر الحاكم انه صح عن على وابى سعيد وسفينة لكن تساهله فى التصحيح معلوم فالحق ما سبق ان كثرة طرقه صيرته حسنا يحتج به ولكثرتها جدا اخرج الحافظ ابو بكر بن مردويه فيها اجزاء واما قول بعضهم انه موضوع وقول ابن طاهر طرقه كلها باطلة معلولة فهو الباطل وابن طاهر معروف بالغلو الفاحش وابن الجوزى مع تساهله فى الحكم بالوضع كما هو معلوم ذكر فى كتابه العلل المتناهية له طرقا كثيرة واهية ولذلك لم يذكره فى موضوعاته فالحق ما تقرر اولا انه حسن يحتج به على انه لا يلزم عليه محذور لانه مؤول قطعا والا لاقتضى انه احب الى ربه من نبيه صلى الله عليه وسلم فهو عام مخصوص وقد صح من الاحاديث جملة مستكثرة تخرج الثلاثة عنه ايضا فاستفد ذلك كله فانه مهم. (تنبيه). آخر مما كثر الاختلاف فيه أهو موضوع ام لا حديث يا على لا يحل لاحد يجنب فى المسجد غيرى وغيرك ومعنى يجنب فيه هنا يمكث فيه جنبا ويتعين انه مراد من عبر بيستطرقه جنبا لان الاستطراق فيه جائز لكل فلا خصوصية فيه لاحد ثم هذا الحديث كثر الاختلاف فى سنده أيضا فقال بعض الحفاظ انه موضوع وبعضهم كالحافظ العلائى ضعيف لا ينتهى الى الوضع وقال الترمذى انه حسن لكن اشتد انكار الحفاظ عليه فى تحسينه له بان فيه ثلاثة ضعفاء وكل منهم شيعى وثلاثة متهمين بالكذب ومما يدل على نكارة هذا الحديث انه صلى الله عليه وسلم لم يختص عن الامة بشئ من الرخص فيما يقتضى تعظيم حرماته والقيام باجلالها أصلا وانما ترخصه فى الامور الدنيوية كاباحة ما وراء الاربع فى النكاح ونحو ذلك فلم يكن صلى الله عليه وسلم يترخص عنهم باباحة الجلوس فى المسجد جنبا أبدا انتهى ومال الحافظ ابن حجر الى تحسين الترمذى بان له شاهدا عند البزار ورواته ثقات

قال والسبب في ذلك ان بيت علي كان كبيته صلى الله عليه وسلم في كونه مجاورا المسجد
وبابه منه وقد صح من طرق انه صلى الله عليه وسلم لما امر بسد الابواب الشارعة في المسجد
الا باب علي شق ذلك على بعض الصحابة فاجابهم بعذر تضمنه في ذلك (و) اقسم عليك (باقي)
(اصحابك) العشرة المبشرين بالجنة في الاحاديث الصحيحة منها ان عمر لما جعل الامر
شورى بين الستة انكر عليه جماعتهم ليسوا ارضا فقال ما عسى ان تقولوا في علي سمعت
النبي صلى الله عليه وسلم يقول له بيدك في يدي تدخل معي يوم القيامة حيث ادخل وذكر
في عثمان حديث انه يوم يموت تصلي عليه ملائكة السماء وان ذلك له خاصة وفي طلحة ان
رحل النبي صلى الله عليه وسلم سقط في ليلة فقال من يسوي لي رحلي وهو معي في الجنة فبدر
طلحة فسواه فقال يا طلحة هذا جبريل يقرئك السلام ويقول انا معك في اهوال يوم القيامة
حتى انجيك منها وذكر في الزبير انه جاء يذب عن وجه النبي صلى الله عليه وسلم وهو نائم
حتى استيقظ فقال له يا أبا عبد الله لم تزل قال لم أزل قال بابي أنت وأمي قال هذا جبريل
يقرئك السلام ويقول أنا معك يوم القيامة حتى اذب عن وجهك شرر جهنم وذكر في
سعد بن أبي وقاص انه صلى الله عليه وسلم قال فيه يوم بدر وقد أوتر قوسه اربع عشرة
مرة يدفعها اليه فداك أبي وأمي وذكر في عبد الرحمن بن عوف ان الحسنين اشتد
بكاؤهما جوعا فقال صلى الله عليه وسلم من يصلنا بشيء فطلع عبد الرحمن بن عوف بصحفة
فيها حيس ورغيفان بينهما اهالة فقال صلى الله عليه وسلم له كفاك الله أمر دنياك وأما
أمر آخرتك فأنا لها ضامن ومنها ان حراء المارتج وعليه الخلفاء الاربعة وطلحة والزبير
وابن عوف وسعد وسعيد قال له النبي صلى الله عليه وسلم اسكن حراء فما عليك الا نبي
أو صديق أو شهيد ومنها رواية سعيد بن عمرو بن نفيل أبو بكر في الجنة وعمر في الجنة
وعثمان في الجنة وعلي في الجنة وطلحة في الجنة والزبير في الجنة وعبد الرحمن بن عوف في
الجنة وسعد بن ابي وقاص في الجنة وتاسع المؤمنين في الجنة فنشدوه بالله عنه ثم فقال أما
اذا انشدتموني فانا تاسع المؤمنين ورسول الله صلى الله عليه وسلم العاشر ثم قال لموقف
احدهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يغبر فيه وجهه افضل من عمر احدكم ولو عمر عمر
نوح (المظهر) اى المبين (الترتيب) بينهم من النبي صلى الله عليه وسلم وهو مفعول (فينا)
اى لنا (تفضيلهم) على حسب مراتبهم التي بها شرفهم صلى الله عليه وسلم وهو فاعله
وعكس ذلك الشارح والاول اظهر (و) المظهر ذلك بينهم لنا ايضا (الولاء) اى الموالاة
والمناصرة الواجبة علينا لهم بحسب مراتبهم ومن ثم سئل بعض محقق المتأخرين عن
محبة الخلفاء الاربعة هل يجب ان تكون على حسب فضلهم فقال محبتهم من حيث
الدين والقرب الى الله تعالى ورسوله يجب ان تكون بحسب فضلهم ومن حيث قرابة
أو احسان لا يجب ان تكون كذلك وما ألحق الخلفاء الاربعة بأتى في بقية الصحابة
رضوان الله عليهم (طلحة) بن عُبيد الله القرشي التيمي أحد العشرة المشهود لهم بالجنة

(قوله باقي أصحابك العشرة)
حمل باقي الاصحاب العام على
هذا الخاص بقرينة الاقتصار
على ايدالهم منه ويمكن ان يقال
المراد الاقسام بجميع الاصحاب
الباقين وخص باقي العشرة بالذكر
اهتماما بهم لمزيد فضلهم فتأمل
(قوله اهالة) كل شيء من الادهان
مما يؤتدم به انتهى من الغريبين
للهروي (قوله من رواية سعيد)
لم يذكر في هذه الرواية ابن الجراح
(قوله والمناصرة الواجبة علينا
الخ) وفي ابن عبد الحق أي الذي
أظهر الترتيب بينهم وبين من
بعدهم من الصحابة تفضيله صلى
الله عليه وسلم لهم بذكر فضائلهم
وولاؤهم اى مناصرتهم له صلى
الله عليه وسلم المناصرة الكاملة
ويجوز ان يقرأ بكسر الواو أي
ومتابعتهم له صلى الله عليه وسلم
المتابعة الكاملة كما يعلم من
سيرهم وهذا أولى لسلامته من
الايطاء اللازم على الاول انتهى
بحروفه اذا تأملت ذلك وجدت
عبارته مصرحة بان المراد بقول
الناظم ترتيبهم الترتيب بين الستة
غيرهم من الصحابة وان المراد
بالولاء نصرهم النبي صلى الله عليه
وسلم بخلاف عبارة الشارح فانه
يقتضي الترتيب بين افراد الستة
ونصرنا لهم وما سلكه ابن عبد
الحق أوضح وقوله لسلامته من
الايطاء أي لذكره الولاء بهذا
المعنى قبل ذلك ببيتين

وأحد الثمانية السابقين الى الاسلام وأحد الستة أصحاب الشورى في أمر الخلافة بعد
عمر الذين توفي صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راض وأحد الخمسة الذين أسلموا على يد أبي بكر
لكونه السبب في اسلامهم وسماه النبي صلى الله عليه وسلم طلحة (الخير) وطلحة الفياض
وطلحة الجود فكان غاية فيه بحيث انه باع أرضا له بسبعمائة ألف دينار فباتت عنده فلم ينم
مخافة من حسابها فاصبح ففرقها وفي رواية ففرقها في ليلته على فقراء المدينة وجاءه
رحم له يسأله برحمه فاعطاه ثلثمائة الف وكان مغله بالعراق في كل سنة اربعمائة الف
وكان يكفي ضعفاء قومه وقوم ابي بكر بني تيم ويقضي ديونهم ويرسل الى عائشة رضي
الله تعالى عنها في كل سنة عشرة آلاف درهم وتصدق في يوم بمائة الف درهم ثم لم يجد ثوبا
يذهب فيه الى المسجد يصلي فيه وهو وان لم يشهد بدرا فقد جعله صلى الله عليه وسلم كمن
شهدها اسهم واسهما قيل لانه كان بالشام لتجارة والصحيح انه صلى الله عليه وسلم ارسله
هو وسعيد بن زيد رضي الله عنهما يتجسسان على خبر عير قريش ومر بالبدر فرجعا الى
المدينة فوافياه منصرفه من بدر وصح انه صلى الله عليه وسلم أقبل عليه وعلى الزبير وقال
يا طلحة ويا زبير ان لكل نبي حواري وأنتما حواريا اي ناصراي وان الخلفاء الاربعة
وطلحة والزبير وابن عوف وسعدا وسعيدا كانوا أمام رسول الله صلى الله عليه وسلم في
القتال وخلفه في الصلاة في الصف الاول وليس احد من المهاجرين والانصار يقوم
مقامهم واحد منهم غاب او شهد (المرتضيه) اي الذي كان ارتضاه النبي صلى الله عليه وسلم
وما جرى عليه الناظم من اضافة اسم الفاعل الى معموله الضمير العائد على أل المقترنة به هو
الاصح نحو الضارب الرجل والساقيه ومنع المبرد هذه الصورة واوجب النصب أي لئلا
يلزم عليه اجتماع أداتي تعريف ويرده ان اضافة الصفة الى معمولها لا تفيد تعريفا
بل تخفيفا فالواقع ثم جاز اقتران هذا المضاف دون غيره بأل ان كان مثنى أو جمعا على حده
كالضاربا زيدا والضاربو زيدا أو أضيف لمعرف بأل نحو الضارب الرجل أو المضاف
اليه كالقاصد باب الكريم أو الى ضمير هي مرجعه كما هنا ومن قال التقدير الذي
ارتضى هو النبي صلى الله عليه وسلم فقد وهم لامتناع الاضافة حينئذ لانها ليست الى ضمير
مرجعه أل المتصلة به (رفيقا واحدا) هو ما في أكثر النسخ وفي نسخة احدو هو الفاعل أي
الذي ارتضاه أحد رفيقا ففيه اسناد مجازي وفي أخرى أحدا وهو على نزع الخافض أي
في احد (يوم) ظرف لاسم الفاعل وقول الشارح انه بدل من احد اي بناء على النسخة
الثانية بعيد (فرت الرفقاء) عن النبي صلى الله عليه وسلم وهو يوم احد وفيه كسعد
وسعيد والامانة والامناء وأنا وواقي وتمسكت واستمسكت والطوت وانطوى واغتنا
والغوث والغث الآتيات جناس الاشتقاق او شبهه وفي ذكر واحد في اكثر النسخ
نظر بل المنقول في السير وغيرها ان الذين ثبتوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم لما
انكشف عنه الناس اربعة عشر سبعة من المهاجرين وسبعة من الانصار وفي البخاري لم

يبق معه صلى الله عليه وسلم الا اثنا عشر رجلا لكن ظاهر كلام بعض اهل السير ان طلحة
وقع له بعد ذلك انفراده معه صلى الله عليه وسلم ثم تتابعت بعده الناس فانه قال وكانت
لطلحة اليد البيضاء يوم احد وقى النبي صلى الله عليه وسلم ومنعها ضرب بالسيف فشج
وجهه يده فشلت واستمرت شلاء وكان الصديق اذا حدث عن يوم أحد بكى وقال ذلك
كله لطلحة وقد قال له صلى الله عليه وسلم يومئذ اوجب طلحة اى وجبت له الجنة وذلك
انه صلى الله عليه وسلم كان قد ظاهر بين درعين فاراد ان ينهض وهما عليه ليصعد صخرة
هنالك فما استطاع فبرك له طلحة رضى الله تعالى عنه فصعد على ظهره فاستوى عليها فقال
صلى الله عليه وسلم اوجب طلحة وثبت مع النبي صلى الله عليه وسلم يومئذ وبايعه على
الموت ووقاه بنفسه وعن عائشة انها قالت قال ابو بكر كنت اول من جاء يوم احد
فقال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولابى عبيدة بن الجراح عليكما صاحبكما يريد طلحة
وقد نزف فاصلحنا من شأن رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم اتينا طلحة فاذا به بضع
وسبعون او اقل او اكثر ما بين طعنة وضربة ورمية واذا قد انقطعت اصبعه فاصلحنا من
شأنه ثم رأيت سعد بن ابى وقاص على صخرة واحدا وهو يقول لقد رأيتني يوم
أحد وما فى الارض قربى مخلوق غير جبريل عن يمينى وطلحة عن يسارى ولما رجع
صلى الله عليه وسلم من أحد صعد المنبر فحمد الله واثنى عليه ثم قرأ من المؤمنين رجال
صدقوا ما عاهدوا الله عليه الآية فقيل يا رسول الله من هؤلاء قال هذا منهم واشار الى
طلحة وصح عند الحاكم لكن نوزع فيه من اراد ان ينظر الى شهيد يمشى على وجه
الارض فلينظر الى طلحة بن عبيد الله وصح ايضا طلحة والزبير جاراى فى الجنة وكان رجل
يقع فيه وفى الزبير بحضرة سعد بن ابى وقاص فنهاه فابى فصلى ثم دعا عليه انه ان كان
سبهما لا يريه الله فيه آية ويجعله للناس عبرة فخرج فاذا جمل هائج يشق الناس فاخذه
وهرسه بيديه ورجليه حتى قتله قال سعيد بن المسيب انا رأيت الناس يتبعون سعدا
يقولون هنيأ لك يا ابا اسحق أجيبت دعوتك وكان قد خرج هو والزبير على على رضى
الله تعالى عنهم فاجتمع بهما يوم الجمل فروى الزبير ما يأتى ووعظ طلحة فتأخر ووقف
فى بعض الصفوف فجاءه سهم فى ركبته فقتله فى جمادى الآخرة سنة ست وثلاثين عن
أربع وستين سنة على الاشهر ودفن بالبصرة وجاء على فجعل يمسح التراب عن وجهه
ويقول رحمة الله عليك يا ابا محمد يعز على أن اراك مجندلا (وحواريك) اى ناصرك
(الزبير) بن العوام القرشى وأمه صفية عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو أحد
الثمانية السابقين والستة أصحاب الشورى والعشرة المبشرين بالجنة والشجعان
المشهورين لم يلحقه مكمزة وعلى أحد فى الشجاعة والفروسية ولذا لما كان يوم بدر
بعمامة صفراء نزلت الملائكة بعمائم صفر وهو أول من سل سيفا فى سبيل الله لانه سمع
أن محمدا أخذ فخرج يشق الناس بسيفه فلقيه النبى صلى الله عليه وسلم باعلى مكة فقال له

(قوله فجاءه سهم) ويقال ان سهما
غربا أتاه فوقع فى حلقته فقال
بسم الله وكان امر الله قدرا
مقدورا ويقال ان مروان بن
الحكم قتله وهو الاصح انتهى
ابن الجوزى فى تنقيح فهوم الآثار
قال فى الصحاح واصابه سهم
غرب يضاف ولا يضاف يسكن
ويحرك اذا كان لا يدرى من رماه

ما بالك قال اخبرت انك اخذت فصلى عليه ودعا له ولسيفه وشهد المشاهد كلها مع
رسول الله صلى الله عليه وسلم وفتح اليرموك وكانت له فيها اليد البيضاء والهمة العلياء
اخترق صفوف الروم مرتين من اولهم الى آخرهم وفتح مصر مع عمرو بن العاص وصح انه
لما اشتد الخوف يوم الاحزاب قال صلى الله عليه وسلم من يأتيه بخبر عصيان بنى قريظة فقال
انا فاعاد فقال انا فاعاد فقال انا فقال صلى الله عليه وسلم ان لكل نبى حواريا وحوارى
الزبير وجمع له صلى الله عليه وسلم بين أبويه فقال ارم فداك أبى وأمى وصح عن عثمان انه
قيل له وهو محصور لو استخلفت قال لعلهم قالوا الزبير قيل نعم قال اما والله انه لخيرهم فيما
علمت وانه كان لاحبهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى رواية صحيحة اما والله
انكم لتعلمون انه خيركم ثلاثا وكان له ألف عبد يؤدون اليه الخراج فى كل يوم فيتصدق
به فى مجلسه ولا يقوم بدرهم منه وكان مع الخارجين على على يوم الجمل فلما دنت الصفوف
خرج على وهو على بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم فنادى ادعوا الى الزبير فدعى له
فاقبل حتى اختلفت أعناق دوابهما فقال له ناشدتك الله أتذكر يوم مر بك رسول الله
صلى الله عليه وسلم ونحن فى مكان كذا وكذا وقال يا زبير تحب عليا فقلت ألا أحب ابن
خالى وابن عمى وعلى دينى فقال يا زبير اما والله لتقاتلنه وانت ظالم له فقال بلى
والله لقد نسيته منذ سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ذكرته الآن والله لا أقاتلك
ثم ادبر راجعا فقال له ولده عبد الله مالك فذكر له القصة فقال له فهل جئت للقتال بل لتصلح
بين الناس قال وفى رواية انه قال له جبنا جبنا فقال قد علم الناس انى لست بجبان
ولكن ذكرنى حديثا فحلفت ان لا أقاتله وفى رواية انه صعد جوعه انه قال لاصحاب
على أفيكم عمار بن ياسر قالوا نعم فاغمد سيفه وقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول لعمار بن ياسر ستقتلك الفئة الباغية ولا مانع انه قال ذلك ثم ذكر له على الحديث
زيادة فى اعلامه ثم سار فلما وصل وادى السباع نام فجاء رجل فقتله فى جمادى الاولى سنة
ست وثلاثين وعمره سبع وستون سنة على الاشهر وقبل ان يجتمع بعلى قال لابنه عبد الله
ما أرانى الا سأقتل اليوم مظلوما وان أكد عليه فى أن يبيع أمواله ويقضى دينه من أرضين
له منها الغابة وبضع عشرة دارا وكان قدر دينه ألفى ألف ومائتا ألف وما ولى امارة قط
ولا جباية ولا خراجا ولا شيئا وما خلف درهما ولا دينارا فباع ابنه ماله ثم قال من كان له
عليه دين فليأتنا نقض ما عليه وقضيت دينه من ثمن تلك الارض والدور وكان ولده
عبد الله ينادى فى الموسم مدة أربع سنين الا من له دين على الزبير فليأتنا فلم يأت أحد
اخرج ثلث ماله لانه أوصى به ثم قسم الباقى بين ورثته وكان له أربع نسوة فاصاب كلا منهن
ألف ألف ومائتا ألف فجميع ماله خمسون ألف ألف ومائتا ألف هذا ملخص ما فى صحيح
البخارى لكن اعترض بان الصحيح ان الذى تركه فاوفى الدين والوصية وما ورث عنه
تسعة وخمسون ألف ألف وثمانمائة ألف وكان له صدقات كثيرة ومكارم جليلة وماله

قوله ودعا له) عطف تفسير (قوله
وفتح اليرموك) موضع من الشام
قوله لكل نبى حوارى) كذا فى
النسخ ولعله محمول على لغة ربيعة
فان الذى فى باب فضل الطليعة من
كتاب الجهاد من صحيح البخارى
ان لكل نبى حواريا قال
القسطلانى بفتح الحاء المهملة
والواو وبعد الالف راء مكسورة
فتحتية مشددة اى ناصرا من
اصحابه انتهى ونقل الزركشى
عن الزجاج ان حواريا منصرف
لانه منسوب الى حوارى وليس
كبخاتى وكراسى لان واحد بختى
وكرسى وقوله وحوارى الزبير
قال القسطلانى باضافته الى ياء
المتكلم بحذف الياء وقد ضبطه
جماعة بفتح الياء وآخرون
بالكسر وهو القياس لكنهم حين
استثقلوا ثلاث ياآت حذفوا ياء
المتكلم وابدلوا من الكسرة فتحة
انتهى كذا بخط الشيخ العجمى
(قوله وادى السباع) اسم واد
بقرب البصرة (قوله فجاء رجل
فقتله) عبارة جامع الاصول لابن
الاثير قتله عمير بن جرموز بسفوان
من ارض البصرة ودفن بوادى
السباع ثم حول الى البصرة
وقبره مشهور بها ثم قال وعمير
مصغر ٢ وجرموز بضم الجيم
وسكون الراء وضم الميم وبالزاى
وسفوان بفتح السين المهملة
والفاء والنون (قوله منها
الغابة) اسم موضع بالحجاز

٢ قول المحشى وعمير مصغر الذى فى القاموس عمر وعمير مصغر

كله حلال صرف كذا قيل ولا حاجة اليه لان اغنياء الصحابة كلهم كذلك لان أموالهم اما من سلب أو سهم من الغنيمة أو الفىء أو تجارة مبرورة وأوصى اليه سبعون من الصحابة بأموالهم وأولادهم فحفظها وكان ينفق على أولادهم من ماله ومن مدح حسان فيه

فكم كربة ذب الزبير بسيفه • عن المصطفى والله يعطى فيجزل
فما مثله فيهم ولا كان قبله • وليس يكون الدهر ما دام يذبل
ثناؤك خير من فعال معاشر • وفعلك يا ابن الهاشمية أفضل

(أبي القرم) بفتح القاف وسكون الراء أى السيد الكريم عبد الله أبي خبيب بن بنت أبي بكر (الذى انجبت) أى أتت (به) فى غاية النجابة والشجاعة والرأى الحازم والتصرف الصائب (أسماء) بنت أبي بكر الصديق ذات النطاقين بعد عشرين شهرا من الهجرة بالمدينة وكان أول مولود بعد الهجرة واشتد فرح المهاجرين به لان اليهود توعدوهم انهم عملوا لهم ما ابطل نسلهم فلا يأتيهم ولد فلما ولد بان كذبهم ولما احتجم صلى الله عليه وسلم اعطاه دمه وقال غيبه فى موضع لا يراك فيه أحد فلما جاء اليه قال ما فعلت به قال شربته قال اذ الا تلج النار بطنك وويل لك من الناس وويل الناس منك فكان كذلك لانه سمى بالخلافة بعد ما مات يزيد سنة اربع وستين فاطاعه اهل اليمن والحجاز والعراق وخراسان ثم هدم الكعبة لتهدمها وسماعه من خالته عائشة ما روته عن النبى صلى الله عليه وسلم لولا ان قريشا حديثو عهد بكفر لهدمت الكعبة وجعلتها على قواعد ابراهيم وفتحت بابها الغربى وجعلت بابها الشرقى لاصقا بالارض كما كانت فى زمن ابراهيم صلى الله عليه وسلم فاعادها ابن الزبير كذلك بعد أن شاور الصحابة فمنهم من امره بذلك ومنهم من نهاه عنه فلم يرجع اليه لسماعه الحديث المذكور فكان ابرز ذلك البناء ما قبالة الى انهدمها ذو السوبقتين فان البناء الموجود الآن كله بناؤه الا الحائط الميزاب فان الحجاج لما حصره اول الحجة سنة اثنتين وسبعين وحج بالناس ولم يزل يحاصره الى ان قتله سابع جمادى الاولى سنة ثلاث وسبعين هدم ما كان ادخله ابن الزبير من الحجر وهو ستة اذرع كما ادخله ابراهيم واخرج الستة ثم اخرج الجدار كما هو اليوم وسد الباب الغربى واعلى الباب الشرقى لتمنعه كما كانت فى زمنه صلى الله عليه وسلم لان قريشا لما بنتها حينئذ قصر بهم المال الحلال عن أن يجعلوها كما كانت فى زمن ابراهيم فجعلوها كذلك وكان عبد الله بن الزبير صواما قواما اصل الحسنة عشر وماوا كثر قوته اما الطلس لالحيته من دهاة العرب المشهورين وشجعانهم الموصوفين واحد العبادلة الاربعة المتقاربين سنا وعلما وذكاء وفهما والثلاثة عبد الله بن عباس وعبد الله بن عمر وعبد الله بن عمرو بن العاص وليس منهم عبد الله بن مسعود لانه اكبر منهم سنا فليس فى طبقتهم (والصفين) تثنية صفى وهو المصطفى المستخلص من الحظوظ والشهوات (توأم الفضل) من أتأمت المرأة ولدت

(قوله ما كان يذبل) بالذال المعجمة اسم جبل (قوله ذات النطاقين) النطاق ككتاب شقة تلبسها المرأة وتشد وسطها فترسل الاعلى على الاسفل الى الارض والاسفل ينجر على الارض ليس لها حجزة ولا نيفق ولا ساقان انتهى قاموس ثم قال وذات النطاقين اسماء بنت ابى بكر لانها شقت نطاقها ليلة خروج النبى صلى الله عليه وسلم الى الغار فجعلت واحدة لسفرة رسول الله صلى الله عليه وسلم والاخرى عصاما لقربته (قوله وويل لك) أى كرب يثبت لك بمحاصرة الحجاج لك الى أن يقتلك كما سيأتى وقوله وويل للناس منك أى كرب يثبت لهم بعضهم تلف من أجل طاعة أهل اليمن وغيرهم بعداوة الحجاج لهم بسبب ذلك فتعرض لهم فليس المراد بالويل منه رضى الله عنه اضراره لاحد من الناس لعدلها حاشاه الله

اثنين اى ان الفضل اتحهما الكثر مما قام بهما منه ولو قال ولو أما الفضل كان اوضح ومعناه
حينئذ انهما لما اشتركا فى الفضائل الجليلة صارا كأنهما مولودات فى حمل واحد (سعد)
أبى اسحق بن ابى وقاص بن مالك القرشى الزهرى وهو احد الستة اصحاب الشورى
والثمانية السابقين الى الاسلام بل هو ثالث الاسلام واقام كذلك سبعة ايام واحد
العشرة المشهود لهم بالجنة والشجعان المشهورين وهو اول من رمى بسهم فى سبيل الله
وأول من اراق دما فى سبيل الله وكان يقال له فارس الاسلام شهد المشاهد كلها مع
رسول الله صلى الله عليه وسلم ورمى يوم احد الف سهم وولاه عمر العراق فكان الامير فى
فتح مدائن كسرى وغيرها ومن كراماته الظاهرة انه قطع بجيوشه البحر على ظهور
الخيل لم يبلغ الماء منها الى حزمها والناس فى غاية الطمأنينة كأنهم سائرون بالبر وكان
الذى يسايره سلمان الفارسى رضى الله عنه وكذلك ولاه عثمان ولايات جليلة وكان
صلى الله عليه وسلم يناوله النبل يوم احد ويقول ارم فداك ابى وامى واقبل والنبى صلى
الله عليه وسلم جالس مع اصحابه فقال هذا سعد خالى فليرنى امرؤ خاله وقال له اجلس يا خالى
فان الخال والد ودعا له وقال اللهم سدد رميته وأجب دعوته وفى رواية صحيحة اللهم
استجب لسعد اذا دعاك فلم تسقط له دعوة بعد ذلك فكان مجاب الدعوة واشرف على
الموت فاخبره النبى صلى الله عليه وسلم أنه يعيش فقال لعل الله ان يرفعك فينتفع بك
اقوام ويضر بك اقوام آخرون واعتزل الفتنة بعد قتل عثمان فلم يدخل فيها ولم
يحضر شيأ من تلك الحروب توفى بقصره بالعقيق على عشرة اميال من المدينة فحمل اليها
وصلى عليه مروان بن الحكم وهو يومئذ وال بالمدينة وصلت عليه امهات المؤمنين فى
حجرهن ودفن بالبقيع سنة خمس وخمسين عن تسع وسبعين سنة وكان اوصى ان يكفن فى
جبة صوف لقى المشركين فيها يوم بدر وقال انما كنت اخبؤها لذلك وهو آخر المهاجرين
موتا وفى مسلم ان آية ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة نزلت فى ستة منهم سعد وابن
مسعود (وسعيد) بن زيد بن عمرو بن نفيل القرشى العدوى احد العشرة المشهود لهم
بالجنة شهد المشاهد كلها وعده البخارى فيمن شهد بدرا ومر فى ترجمة طلحة انه لم يشهدها
وهذا ما عليه الاكثرون وقد يجمع بانه لم يشهدها حسا وشهدها حكما ابرا وسهما وهو
ابن عم عمر وزوج أخته والسبب فى اسلامه كامر وانما لم يدخله فى أهل الشورى
كونه عبد الله لئلا يظن به انه حابى أقاربه وأخرج الشيخان ان امرأة ادعت عليه عند
مروان انه أخذ لها قطعة أرض فقال ما كنت لأفعل بعد ان سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول من أخذ شبرا من أرض ظلما طوقه من سبع أرضين فقال مروان
لا اسألك بينة بعد هذا ثم قال سعيد اللهم ان كانت كاذبة فاعم بصرها واقتلها فى ارضها
فذهب بصرها وبينما هى تمشى فى ارضها وقعت فى حفرة فماتت زاد مسلم انها قالت
اصابتنى دعوة سعيد وفى رواية انه كان جارها بالعقيق وأنه اعطاها الذى ادعت به ثم

دعا

(قوله ولو قال ولو أما الفضل) أى
بالقطع عن تبعيته لما قبله بجعله
خبر مبتدأ محذوف تأمل (قوله
مدائن كسرى) قال السيوطى
فى المزهر النسب الى مدينة النبى
صلى الله عليه وسلم مدنى والى
مدينة المنصور مدينى والى مدينة
كسرى مدائنى (قوله فكان مجاب
الدعوة) من ذلك انه دعا على
الكاذب عليه من أهل الكوفة
بقوله انه كان لا يعدل فى القضية
ولا يقسم بالسوية ولا يسير
بالسرية فقال سعد اللهم ان كاذبا
فاعم بصره واطل عمره وعرضه
للفتن قال عبد الملك بن عمير فانا
رأيته بعد يتعرض للاماء فى
السكك فاذا سئل كيف انت
يقول كبير مفتون اصابتنى دعوة
سعد وفى رواية فما مات حتى عمى
وافتقر حتى سأل الناس ومن ذلك
دعاؤه على الذى سمعه يسب عليا
وطلحة والزبير فنهاه فلم ينته وقال
يتهددنى كأنما يتهددنى نبى فقال
سعد اللهم ان كنت تعلم انه سب
اقواما قد سبق لهم منك سابقة
واسخطك سبه اياهم فاره اليوم
آية تكون آية العالمين فخرجت
ناقة نادة فخبطته حتى مات ومن
ذلك دعاؤه على امرأة كانت تطلع
عليه فنهاها فلم تنته فقال شاه
وجهك فعاد وجهها فى قفاها اه
من كتاب الهميان فى نكت
العميان للصفدى

دعا عليها بالعمى توفي رضي الله عنه سنة خمسين من بضع وسبعين سنة ودفن بالمدينة وابوه
زيد توفي في الجاهلية لكن جاءت احاديث تدل على انه من اهل الجنة منها لكنه مرسل
غفر الله لزيد بن عمرو ورحمه. ومنها وهو صحيح سئل صلى الله عليه وسلم عنه فقال يأتي يوم
القيامة امة واحدة بيني وبين عيسى (ان عدت الاصفياء) فهذان ممن اكابرهم كيف وفي
احدهما ما يشعر بان فيهما مرتبة عظمى من مراتب السعادة (و) عبد الرحمن (بن
عوف) بن الحرث بن زهرة القرشي الزهري أحد الثمانية السابقين للاسلام والستة
أهل الشورى والعشرة المبشرين بالجنة والخمسة الذين أسلموا على يد أبي بكر وصح انه
كان بينه وبين خالد شيء فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال لا تسبوا أصحابي فوالذي
نفسي بيده لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهبا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه أي نصفه وفي رواية
الواقدي وابن عساكر بان خالدا والى أصحابي حتى نزلت الآية المزملو كان أحد
ذهبا تنفقه قيراطا قيراطا في سبيل الله لم يدرك غدوة وروحة من غدوات أو روحات
أحدهم وشهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم المشاهد كلها وكان ممن ثبت يوم أحد وبعثه
صلى الله عليه وسلم الى دومة الجندل الى بني كلب وعممه بيده الكريمة وسدلها بين كتفيه
وقال ان فتح الله عليك فتزوج ابنة ملكهم أو قال شريفهم ففتح الله عليه وتزوج ابنة
شريفهم الاصبغ فولدت له أبا سلمة وصح انه صلى الله عليه وسلم انتهى في غزوة تبوك فصلى
وراءه ركعة من صلاة الصبح وذلك انه سبقهم لتوجهه لحاجته فصلى وراءه (؟) صلى الله عليه
وسلم ذهب لحاجته فادركهم الوقت فاقاموا الصلاة فتقدمهم عبد الرحمن بن عوف رضي
الله عنه فلما أتم صلى الله عليه وسلم ما فاته خلفه قال ما قبض نبي حتى يصلي خلف رجل
صالح من أمته وائتم صلى الله عليه وسلم بأبي بكر أيضا لكنه أخرج نفسه عن الامامة
تأخره وقال لما قال له النبي صلى الله عليه وسلم ما منعك ان تثبت وقد أشرت اليك ما كان
ينبغي لابن أبي قحافة ان يتقدم بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فان قلت لم يفعل
عبد الرحمن بن عوف ذلك قلت الظاهر انه لم يعلم باقتدائه صلى الله عليه وسلم به واقتدى
صلى الله عليه وسلم بجبريل عند باب الكعبة مما يليه من ناحية الحجر بكسر الحاء فصلى به
الخمس مرتين في يومين صبيحة الاسراء والذي يليه وكان كثير الانفاق في سبيل الله اعتق
في يوم واحد احدا وثلاثين عبدا حتى جاء ان جملة ما اعتقه ثلاثون ألفا وفي حديث انه
أمين في السماء أمين في الارض وكان كثير المال محظوظا في التجارة قال لام سلمة خفت ان
تهلكني كثرة المال فقالت له يا بني انفق قال فاني أنفق قال الزهري تصدق على عهد
رسول الله صلى الله عليه وسلم بشطر ماله أربعة آلاف دينار ثم اربعين ألف دينار ثم حمل على
خمسمائة فرس ثم خمسمائة راحلة وفي رواية ألف وخمسمائة راحلة وأوصى لامهات
المؤمنين بحديقة فبيعت باربعمائة ألف وأوصى بخمسين ألف دينار في سبيل الله ولكل
واحد ممن بقي ممن شهد بدرا بأربعمائة دينار وكانوا مائة وكان من جملتهم عثمان فأخذ مائة

(قوله لا تسبوا أصحابي الخ) الخطاب للصحابة السابقين نزلهم منزلة غيرهم الذين لا يليق بهم سبهم حيث علل بما ذكره اه ومن تدبر هذا الحديث لم يجد في مناقب الصحابة شيئا بلغ منه (قوله ما بلغ مد الخ) اي لا يساوي تصدقه بذلك تصدق الواحد منهم بمد من شعير أو نصفه (قوله مد أحدهم) المد نصف صاع وروى بفتح الميم يعني الغاية اه مختصر النهاية السيوطي لعله ربع صاع بدل نصف

وهو أمين المؤمنين وبالغ في سبيل الله وكان أهل المدينة عيالا عليه ثلث يقرضهم وثلث يقضي ديونهم وثلث يصلهم وقدمت له عير من الشام بسبعمائة راحلة فسمعت عائشة أصواتها فروت حديث يدخل ابن عوف الجنة حبوا فبلغه فأتاها فحدثته فقال اشهدك انها بأحمالها واقتابها وأحلاسها في سبيل الله عز وجل وباع أرضا من عثمان بأربعين ألف دينار فقسمها في أقاربه بني زهرة وفقراء المسلمين وأمهات المؤمنين وروى أنه صلى الله عليه وسلم قال له لن تدخل الجنة الا زحفا فأقرض الله عز وجل يطلق لك قدميك قال ما الذي أقرضه قال تبدأ من كل ما التخصيصك فأتاه جبريل فقال مره فليضف الضيف وليطعم المسكين وليعط السائل وليبدأ بمن يعول فاذا فعل ذلك كان كفارة لما هو فيه والذي صح من ذلك أتاني جبريل فقال مر ابن عوف فليضف الضيف وليطعم المسكين وليعط السائل وليبدأ بمن يعول فاذا فعل ذلك كان تزكية لما هو فيه وفي حديث ابن عدي وغيره أنكروا على عبد الرحمن بن عوف فانه من خيار المسلمين وروى أبو نعيم وغيره أن رجلا لين الصوت قرأ عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يبق أحد الا فاضت عيناه غير عبد الرحمن بن عوف فقال صلى الله عليه وسلم ان لم تكن فاضت عيناه فقد فاض قلبه وفي حديث ضعيف أول من يدخل الجنة من أغنياء أمتي عبد الرحمن بن عوف والذي نفس محمد بيده لن يدخلها الا حبوا وفي آخر رواه أحمد والطبراني رأيت عبد الرحمن بن عوف يدخل الجنة حبوا وفي رواية لأحمد فلن أراه يدخل الجنة حبوا لكن ذكره ابن الجوزي في الموضوعات وفي رواية لابن سعد وابن عساكر كأني بعبد الرحمن بن عوف على الصراط يميل مرة ويستقيم أخرى حتى يفلت ولم يكد لكن يعارض ذلك ما رواه جماعة أنه صلى الله عليه وسلم قال له كفاك الله أمر دنياك وأما أمر آخرتك فأنا ضامن لها وسببه أن الحسنين اشتد بكاؤهما من الجوع فقال صلى الله عليه وسلم من يصلنا بشيء فأتاه بصحفة فيها حيس ورغيفان بينهما اهالة توفي رضي الله تعالى عنه عن اثنين أو خمس وسبعين سنة سنة اثنين وثلاثين في خلافة عثمان وصلى عليه على وقيل الزبير لأنه كان هجر عثمان لما امر أقاربه وقال الناس لابن عوف هذا فعلك فدخل عليه ولامه وقال انما وليتك لتسير بسيرة الشيخين فقال كان عمر يقطع أقاربه في الله وأنا أصلهم في الله فنذر أن لا يكلمه أبدا وترك من الذهب ما قطع بالفؤوس وأربع نسوة لكل ربع ثمنه ثمانين ألف دينار ولما اشتهر من كثرة انفاقه وصدقاته ماله كثرة فيما تفوق الحصر قال (من بذل مما لديه) (حوزت نفسه الدنيا) أي صرفت أموالها وأمتعتها رخيصة عنده (في) سبيل (بذل) لها في وجوه البر والقربات بذلا دائما مستمرا كثيرا يبهر العقل ويرفع الى الدرجات العلى كما مر في الأحاديث وذلك البذل الكثير (بعد اثراء) أي كثرة المال الذي فتح الله عليه وأكثره من التجارة لأنه كان محظوظا فيها بحيث لو أمسك التراب صار ذهبا (والمكنى بأبي عبيدة) وهو عامر بن الجراح القرشي الفهري أمين هذه الامة كما صح به الأحاديث وفي رواية وأميني وفي أخرى وأميننا أيتها الامة وأحد

(قوله كان كفارة لما هو فيه) وهذا من باب حسنات الابرار سيآت المقربين اذ هو رضي الله عنه كان في أجل طاعة بماله كامل من سائر أحواله فلم يقع منه بسببه معصية حتى يحتاج لتكفيرها بماله كما لا يخفى (قوله من أغنياء أمتي) وفي الترمذي عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال يدخل الفقراء الجنة قبل الاغنياء بخمسمائة عام قال أبو حنيفة عن النبي صلى الله عليه وسلم الاغنياء من غير هذه الامة لكون على موافقة الفعل فأما الصلحاء ان عثمان وعبد الرحمن بن عوف كانا من الاغنياء ولا يدخل الفقراء قبلهم الجنة اه من شرح المنهاج للدميري (قوله فيها حيس) هو تمر يخلط بسمن وأقط اه مختار

العشرة المبشرين بالجنة والرجلين اللذين عينهما الصديق يوم السقيفة للخلافة والثاني عمر واحد الخمسة الذين أسلموا في يوم واحد على يد الصديق وبقيتهم عثمان بن مظعون وعبيدة بن الحرث وعبد الرحمن بن عوف وابو سلمة عبد الاسد زوج ام سلمة شهد مع النبي صلى الله عليه وسلم المشاهد كلها وثبت يوم احد مع النبي صلى الله عليه وسلم ونزع يومئذ باسنانه حلقتين دخلتا في وجنة رسول الله صلى الله عليه وسلم من حلق المغفر فوقعت ثنيتاه لانه تحامل عليهما حتى خرجتا من ايلام صلى الله عليه وسلم فكان من أحسن الناس هتما والهتم انقلاع مقدم الاسنان وولاه أبو بكر لما ارسل جيشا الى الشام ثم جعل خالدا اميرا عليه وعلى غيره لعلمه بالحروب ولما ولى عمر رضي الله عنه اعاده لكن امره ان يستشير خالدا وهو اول من سمى امير الامراء بالشام وروى انه صلى الله عليه وسلم امره على سرية فيها أبو بكر وعمر وتعرض له ابوه يوم بدر فاعرض عنه فلازمه فلما كثر عليه قتله فأنزل الله فيه لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر الآية ولما قال له الصديق يوم السقيفة مد يدك لابايعك قال ما كنت لاتأمر على رجل قدمه رسول الله صلى الله عليه وسلم فصلى بنا حتى قبض وقال عمر لئن ادركني اجلي وهو موجود استخلفته لاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان لكل امة امينا وامين هذه الامة ابو عبيدة عامر بن الجراح ولما قدم عمر الشام تلقاه الناس فقال اين اخي ابو عبيدة فقالوا الساعة يأتيك فأتاه على ناقة مخطومة بخطام من ليف فنزل عمر من راحلته واعتنقه وقال للناس انصرفوا عنا ثم دخل معه الى بيته فلم يجد فيه سوى سيفه وترسه وقوسه ورحله فبكى عمر وقال لاصحابه تمنوا فقال رجل مل ء هذه الدار ذهبا انفقه في سبيل الله وقال آخر جوهرا انفقه كذلك فقال عمر وانا اتمنى لو ان هذه الدار ملؤها رجال امثال ابي عبيدة وله فتوحات كثيرة ووقعات مع المشركين هائلة وصح عن الحسن مرسلا ما من احد من اصحابي الا وشئت لاخذت عليه في بعض خلقه غير ابي عبيدة بن الجراح توفي سنة ثماني عشرة شهيدا بالطاعون في طاعون عمواس قرية بين الرملة وبيت المقدس اول ما وقع بها ثم انتشر بالشام وقبره معروف ثم قال الامام النووي رحمه الله تعالى زرته فرأيت عنده عجبا ورأيت عليه من الجلالة ما هو لائق به (اذ) ظرف لاقسم المقدر أو تعليل له (يعزى) اي ينسب (اليه) اي ابي عبيدة (الامانة الامناء) واجلهم نبينا صلى الله عليه وسلم فانه قال كما صح عنه لكل امة امين وامين هذه الامة ابو عبيدة بن الجراح وفد وابي عبيدة وفي اخرى وامينا أيتها الامة واعلم ان هذا كقوله صلى الله عليه وسلم في ابي ذر انه اصدق من اظلت الخضراء واقلت الغبراء لا يقتضي تفضيلا على الخلفاء الراشدين لان اولئك كملت فيهم الصفات كلها واعتدلت فلم يترجح بعضها على بعض واما هذان فكملت فيهما صفة الامانة والصدق فتميزا فيهما عن من لم يكملا فيه واوصافا زائدة فيهما على اولئك لم يقتض ذلك تفضيلا أيضا لان المفضول قد يتميز بمزية بل مزايا لا توجد في الفاضل لانه تنقف

(قوله لا تجد قوما) اي لا ينبغي ان تجدهم وادين اعداء الله والمراد لا ينبغي ان يوادوهم ولو كانوا آباءهم الخ اي ولو كان العادون أقرب الناس اليهم وقوما المفعول الاول لتجد والمفعول الثاني يوادون الخ (قوله في طاعون عمواس) عبارة جامع الاصول مات في طاعون عمواس بالاردن ودفن ببيسان ثم قال وعمواس بفتح العين المهملة والميم وقد تسكن وبالسين المهملة اسم موضع وبيسان بفتح الموحدة وسكون الياء المثناة وبالسين المهملة والنون مدينة بالاردن معروفة والاردن بضم الهمزة وسكون الراء وضم الدال المهملة وتشديد النون نهر معروف ومنه بحيرة طبرية تمتاز بالنور

تلك المزايا المعز ابا أحرى أجل منها وأعظم فتحصل مناط الافضلية فيه وان خلا عما تميز به المفضول (و) أقسم عليك (بعميك) اخوي ابيك لابيه وهما حمزة والعباس رضي الله عنهما وكل منهما اسن من النبي صلى الله عليه وسلم بنحو السنتين (نيري) تثنية نير وهو الكوكب المضيء (فلك) هو ما يسير فيه الكواكب (المجد) اي الكرم والحسب شبه المجد بالسماء واثبت لها ما هو من لوازمها وهو الفلك اذ كل سماء فيها فلك فهي استعارة بالكناية واستعارة تخييلية ورشح لها بذكر النيرين وشبههما بالشمس والقمر واثبت لهما ما هو من لوازمهما وهو الاضاءة فهي أيضا استعارة بالكناية واستعارة تخييلية وفيها أيضا استعارة تجريدية بذكر المجد الملائم للعمين (وكل) منهما (أتاه) اي حصل له (منك نماء) بوزن كتاب وهو ما يخرج من الشجر والثمار كما في القاموس وقال الشارح وهو ما يستفاد من النمو والظهورات من غير تعب كحمل النخل وثمار الاشجار ولعله تفسير مراد اما حمزة فيكنى ابا عمارة ويلقب باسد الله واسد رسوله كان عظيما شجاعا أخا النبي صلى الله عليه وسلم من الرضاعة أسلم قديما وسبب اسلامه ان اللعين ابا جهل شتم رسول الله صلى الله عليه وسلم فانصرف ولم يجبه وانصرف أبو جهل الى نادي قريش عند الكعبة واقبل حمزة من قنصه متوشحا قوسه فاخبر وهو اعز فتى في قريش واشد شكيمة فغضب وعمد فشجه في رأسه شجة منكرة وقال أتشتمه وانا على دينه فقامت اليه رجال من بني مخزوم فمنعهم أبو جهل خشية الفتنة وهو أول من عقد له النبي صلى الله عليه وسلم لواء حين بعثه صلى الله عليه وسلم الى سيف البحر بكسر السين اي جهته استشهد باحد في

(قوله حمزة والعباس) لم يسلم من اعمام النبي سواهما وادرك ابو طالب وابو لهب الاسلام ولم يسلما اهـ جامع الاصول لابن الاثير
(قوله فهي استعارة الخ) تأمله فان الظاهر ان كلا فيه تشبيه بليغ لا استعارة لوجود الجمع بين الطرفين فان الفلك هو السماء التي شبه بها المجد والشمس والقمر هما النيران اللذان شبه بهما العمين وتأمل أيضا قوله واثبت الخ اذ الفلك هو المشبه به وهو مذكور فاين المكنية وكيف يكون اثبات المشبه به تخييلا اذ التخييل اثبات لازمه وتقدم في كلامه مثل ما ذكره هنا والاعتراض عليه مرارا (قوله وسبب اسلامه الخ) في تفسير الثعالبي عند قوله تعالى أومن كان ميتا فأحييناه الآية وقيل ان هذه الآية نزلت في رجلين باعيانهما ثم اختلفوا فيهما فقال ابن عباس أومن كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس يريد حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها يريد أبا جهل بن هشام وذلك ان أبا جهل رمى رسول الله صلى الله عليه وسلم بفرث وحمزة لم يؤمن بعد فاخبر حمزة بما فعل أبو جهل وهو راجع من قنصه وبيده قوس فاقبل غضبان حتى علا أبا جهل بالقوس وهو يتضرع اليه ويستكن ويقول يا أبا يعلى اما ترى ما جاء به سفه عقولنا وسب آلهتنا وخالف آباءنا فقال حمزة ومن اسفه منكم تعبدون الحجارة من دون الله تعالى أشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له واشهد ان محمدا عبده ورسوله فانزل الله تعالى هذه الآية وقيل نزلت في عمر بن الخطاب وأبي جهل بن هشام وقيل في عمار بن ياسر وابي جهل بن هشام اهـ (قوله استشهد باحد) وهو ابن تسع وخمسين سنة وكبر عليه رسول الله سبعين تكبيرة ودفن هو وعبد الله بن جحش في قبر واحد ولما اجرى معاوية رضي الله عنه العين بالمدينة أصابت المسحاة قدم حمزة فانبعثت دما اهـ من تنقيح فهوم أهل الاثر لابن الجوزي نصف

وانظر قوله وكبر عليه سبعين تكبيرة فان هذا خلاف ما في الفروع من ان شهيد المعركة لا يصلى عليه ومن كون المطلوب أربع تكبيرات فان زاد كان خلاف السنة من الاقتصار على الاربع ولا تبطل الصلاة بالزيادة وأجيب بان الصلاة على حمزة وزيادة التكبير الى سبعين من خصوصياته رضي الله عنه كما ذكر في المواهب أو ان الزيادة على الاربع لبيان الجواز وهو في حقه صلى الله عليه وسلم مطلوب وان كان في حق غيره غير مطلوب وانظر قوله وهو ابن تسع وخمسين الخ مع قول الشارح السابق وكل منهما اسن من النبي بنحو السنتين وعمر النبي هو ثلاث وستين سنة نظرنا لو وجدنا المراد بكونهما اسن منه بنحو السنتين انهما ولدا قبله بسنتين لا انهما زاد سنهما عن سنه بسنتين فلا ينافي كون عمر حمزة ما ذكر وعمر العباس ثمانيا وثمانين سنة كما سبق تأمل

نصف شوال ثالث سني الهجرة بعد ان قتل احدا وثلاثين كافرا قتله وحشي عبد لعتبة السلمي قال وحشي رأيته يهد الابطال هدا فاختبأت له فلما تمكنت منه رميته بحربتي فاصابته و وليت هاربا فتبعني ثم سقط وبعد ذلك أسلم وحشي هذا فقبله النبي صلى الله عليه وسلم وقال له غيب وجهك عني اي خشية ان يسيء منه اذا تذكر قتله لحمزة وخرج يوم اليمامة فشارك رجلا في قتل مسيلمة الكذاب فكان يقول هذه بتلك ومع ذلك فقد أصابه ما اصابه لما صح عن ابن المسيب انه قال كنت أعجب لقاتل حمزة كيف ينجو حتى مات غريقا في الخمر وقال ابن هشام بلغني انه لم يزل يحد في الخمر حتى خلع من الديوان فكان عمر يقول لقد علمت ان الله لم يكن ليدع قاتل حمزة ولما رأى النبي صلى الله عليه وسلم حمزة قتيلا بكى ولما رأى ما مثل به شهق وقال لن أصاب بمثلك أبدا وما وقفت موقفا أغيظ لي من هذا وروى ابن شاذان عن ابن مسعود قال ما رأينا رسول الله صلى الله عليه وسلم باكيا أشد من بكائه على حمزة ووضعه في القبلة ثم وقف على جنازته وبكى حتى كاد يغشى عليه يقول يا حمزة يا عم رسول الله يا اسد الله واسد رسوله يا حمزة يا فاعل الخيرات يا حمزة يا كاشف الكربات يا حمزة يا ذاب عن وجه رسول الله وليس في هذا نوح ولا تعديد شمائل بل اخبار بفضائله وشمائله رضي الله عنه وصح حديث انه سيد الشهداء يوم القيامة وانه لولا جزع النساء تركته حتى يحشر من بطون الطير والسباع وحديث رحمة الله عليك قد كنت وصولا للرحم فعولا للخيرات وصح الحاكم حديث والذي نفسي بيده انه لمكتوب عند الله تبارك وتعالى في السماء السابعة حمزة بن عبد المطلب اسد الله واسد رسوله لكن تعقب وورد من طرق ان الملائكة غسلته وصححه الحاكم لكن تعقب واما العباس وكنيته أبو الفضل فكان جليلا جوادا ذا رأي وكمال وعقل وافر معظما بين الصحابة وعند النبي صلى الله عليه وسلم رئيسا في قريش قبل الاسلام وبعده وكانت تنسب اليه عمارة المسجد الحرام والسقاية وكان مع النبي صلى الله عليه وسلم يوم العقبة فعقد له البيعة على الانصار وكان صلى الله عليه وسلم يثق به في أمره كله اسر يوم بدر لقوله صلى الله عليه وسلم من لقيه فلا يقتله فانه خرج مستكرها وسهر صلى الله عليه وسلم تلك الليلة لكونهم شدوا وثاقه فلم ينم لسماع انينه فقيل له ما يسهرك يا رسول الله قال أنين العباس فقام رجل فارخى من وثاقه وفك البقية ونادى نفسه وعقيلا ابني أخيه فادعى ان قال ما معي شيء فقال له صلى الله عليه وسلم واين المال الذي قلت لام الفضل اي زوجته حين خرجت اذا انا مت فافعلي به كذا وكذا فقال من اعلمك بهذا ولم يطلع عليه غيري وغيرها فاسلم سرا وكتم ايمانه الى قبيل فتح مكة فخرج الى النبي صلى الله عليه وسلم ولقيه بالابواء وبه ختمت الهجرة وكان رد النبي صلى الله عليه وسلم بمكة يكاتبه باخبار اهلها وكان المسلمون بمكة يتقوون به وكان يحب القدوم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فكتب له ان مقامك بمكة خير لك ولما قالت الانصار نترك لابن اختنا العباس الفداء أبى رسول الله صلى الله

(قوله مات غريقا في الخمر) مع قوله يصدق في الخمر ينافي الحكم بعدالته الواجبة كباقي الصحابة (قوله باكيا أشد من بكائه) تقدم ان البكاء بعد الموت منهي عنه وقد يجاب بان المراد بكائه نزول الدموع اللازم له غالبا او البكاء على حقيقته وقع لبيان عدم حرمته وان النهي نهي كراهة فيكون حينئذ مطلوبا في حقه مثابا عليه للتشريع وفي حقنا مكروها واعترضنا اللازم الخ لان الصوت قد يوجد بدون دمع (قوله لولا جزع النساء الخ) القضية شرطية لا تقتضي جواز الوقوع فلا يقال التجهيز واجب كفاية فكيف يجوز الترك من غير تكفين ودفن

عليه وسلم وشهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حنينا وثبت معه حين انهزم الناس وكان
عمر يستسقى به الغيث اذا قحط الناس فيقول اللهم انا كنا نستسقى بنبيك فتسقينا وانا ثم
نستسقى بعم نبيك فاسقنا فيسقون وتوفى بالمدينة ثاني عشر رجب أو رمضان سنة اثنين
وثلاثين وله نحو من ثمان وثمانين سنة وقبره مشهور بالبقيع وصح حديث العباس مني
وانا منه لا تسبوا أمواتنا فتؤذوا به الاحياء وحديث انه سأل النبي صلى الله عليه وسلم ان
يستعمله على الصدقة فقال ما كنت لاستعملك على غسالة ذنوب الناس وحديث من
آذى العباس فقد آذاني فانما عم الرجل صنو ابيه وحديث اوصاني الله بذى القربى
وامرني ان ابدأ بالعباس بن عبد المطلب واخرج الدارقطني في الافراد ليكونن من ولد
العباس ملوك يلون امر أمتي يعز الله بهم الدين وابن عساكر اللهم اغفر لذنبه وتقبل
منه احسن ما عمل وتجاوز عنه سيئ ما عمل واصلح له ذريته لا تؤذوا العباس فتؤذوني ومن
سب العباس فقد سبني وفي حديث ضعيف وقال ابن الجوزي موضوع العباس وصيي
ووارثي واخرج الرافعي الا ابشرك يا عم ان من ذريتك الاصفياء ومن عترتك الخلفاء
ومنك المهدي في آخر الزمان به ينشر الله الهدى وبه تطفأ نيران الضلالة ان الله فتح بنا
هذا الامر وبذريتك يختم وأبو نعيم في الحلية الا أبشرك يا أبا الفضل ان الله عز وجل افتتح
بي هذا الامر وبذريتك يختم وكون المهدي من ولده محمول على ان فيه شعبة منه لما صح
انه من ولد فاطمة وصح انه من ولد الحسن وجاء انه من ولد الحسين ولا تعارض لان فيه
شعبة من ولد الحسن أيضا فهو حسني وفيه شعبة من ولد الحسين أيضا فهو حسيني وشعبة
من العباس والترمذي وقال حسن غريب اللهم اغفر للعباس ولولده مغفرة ظاهرة وباطنة
لا تغادر ذنبا اللهم اخلفه في ولده والخطيب وابن عساكر اللهم اغفر للعباس ولولد العباس
ولمن احبهم وابن عساكر اللهم اغفر للعباس ما أسر وما أعلن وما أبدى وما اخفى وما كان
وما يكون منه ومن ذريته الى يوم القيامة والخطيب يا عباس انت عمي وصنو ابي وخير
من أخلف بعدي من أهلي اذا كانت سنة خمس وثلاثين ومائة فهي لك ولولدك منهم
السفاح ومنهم المنصور ومنهم المهدي (و) القسم عليك (بام السبطين) الحسن والحسين
فاطمة وهي أصغر بناته صلى الله عليه وسلم (زوج) جرده من التاء لانه أفصح (علي)
زوجها اياه النبي صلى الله عليه وسلم ثاني سني الهجرة بوحي من الله تعالى كما ورد وبنى بها بعد
تزوجها بسبعة أشهر ونصف في ذي الحجة على رأس اثنين وعشرين شهرا وكان سنها
حينئذ خمس عشرة سنة وخمسة أشهر ونصفا وقيل نحو عشرين سنة وسن علي احدى
وعشرين سنة وأشهر قال ابن عبد البر وهي وام كلثوم أفضل بناته وكانت فاطمة أحب
أهله اليه وكان يقبلها في فمها ويمصها لسانه واذا أراد سفرا يكون آخر عهده بها واذا
قدم أول ما يدخل عليها وتوفيت بعده صلى الله عليه وسلم في رمضان سنة احدى عشرة
فبينهما نحو ستة أشهر وسنها تسع وعشرون سنة اي على القول الثاني وقد أسر اليها النبي

(قوله اذا قحط) بفتح القاف والحاء وحكى الفراء الكسر وقحط على صيغة المجهول (قوله نستسقى بعم نبيك) وفائدة ذلك وحكمة توسله به دون النبي صلى الله عليه وسلم مع انه أعظم وسيلة بيان شرف الاشارة الى رفعة قرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقربهم من الله (قوله ان من ذريتك الخ) وقيل لما أسلم العباس البسه النبي صلى الله عليه وسلم حلته السوداء فاوحى الله اليه لاجعلن في ذريته تاج الولاية الى يوم القيامة ببركة حلة رسول الله صلى الله عليه وسلم اه من شرح المالكي (قوله وكان سنها حينئذ خمس عشرة سنة) وتوفيت وعمرها أربع وعشرون وتسعة اه واما على انها دخل بها وسنها نحو عشرين فتكون وقد توفيت وسنها تسع وعشرون كما سبق

صلى الله عليه وسلم انها أول أهل بيته لحوقا به فسرت بذلك ودفنها علي ليلا بوصيتها
واختلف في محل دفنها والاشهر انها في قبة ولدها الحسن قريب محرابها وكان القطب أبو
العباس المرسي يجزم به قيل فلعله كوشف به وروى أحمد في المناقب والدولابي انها
اغتسلت ولبست ثيابا جددا واضطجعت وقالت اني مقبوضة الآن فلا يغسلني أحد ولا
يكشفني فماتت فاشتمل علي وصيتها لكن يعارضه انها أمرت فاطمة بنت عميس بان تغسلها
وهذه مقدمة لان الاصل عدم الخصوصية (وذريتها) يعني أولادها الحسن والحسين ومحسنا
وهذا مات صغيرا وام كلثوم وزينب وأولادهم الى قيام الساعة ولم يكن له صلى الله عليه
وسلم عقب الا منها فانتشر نسله من جهة السبطين فقط وام كلثوم ولدت لعمر ذكرا وأنثى
وماتا صغيرين ثم بعد عمر تزوجت بعون بن جعفر ثم بعده بأخيه محمد ثم بأخيه عبد الله
ولم تعقب منهم شيأ ثم تزوج الاخير باختها زينب فولدت له عدة منهم علي وام كلثوم وانتشر
نسلهما فلهم شرف أعلى من شرف اولاد عبد الله من غير زينب وادون من شرف أولاد
الحسنين لنزولهما عنهما ولو دونهما والعباسيين والطالبيين شرف أيضا ومن ثم لقب بالشرف
كل عباسي ببغداد وعلوي بمصر ولجعفر الصادق ولد اسمه اسحق تزوج السيدة نفيسة
بنت الحسن ابن زيد بن الحسن بن علي كرم الله وجهه ولدت له ولدان لم يعقبا (ومن حوته
العباء) وهم النبي صلى الله عليه وسلم وفاطمة وعلي وابناهما ومر لبعض هؤلاء فضائل
كعلي وابنيه رضي الله عنهم ومن فضائل فاطمة ما صح عن أبيها القائل تعالى في حقه
صلى الله عليه وسلم وما ينطق عن الهوى انما فاطمة بضعة مني يؤذيني ما آذاها ويغضبني
ما أغضبها أحب أهلي الي فاطمة اذا كان يوم القيامة نادى مناد من وراء الحجب يا أهل
الجمع غضوا أبصاركم عن فاطمة بنت محمد صلى الله عليه وسلم حتى تمر ان فاطمة أحصنت
فرجها فحرمها الله وذريتها على النار فاطمة بضعة مني يقبضني ما يقبضها ويبسطني
ما يبسطها وان الانساب تنقطع يوم القيامة الا نسبي وحسبي وصهري فاطمة سيدة نساء
أهل الجنة الا مريم بنت عمران اما ترضين ان تكوني سيدة نساء أهل الجنة قالت فاطمة
رضيت نزل ملك من السماء فاستأذن الله ان يسلم علي فبشرني ان فاطمة سيدة نساء أهل
الجنة يا فاطمة الا ترضين ان تكوني سيدة نساء العالمين وسيدة نساء المؤمنين وسيدة نساء
هذه الامة وخبر اتاني جبريل بسفرجلة من الجنة فأكلتها ليلة اسري بي فعلقت خديجة
بفاطمة فكنت اذا اشتقت الى رائحة الجنة شممت رقبة فاطمة قال الائمة وهذا على
تصحيح لفظه كذب موضوع جلي الوضع لان فاطمة ولدت قبل النبوة فضلا عن
الاسراء وصح انه صلى الله عليه وسلم جعل على علي وفاطمة وابنيهما كساء وقال اللهم
هؤلاء أهل بيتي وخاصتي أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا فقالت أم سلمة وأنا معهم
فقال انك على خير وفي رواية ألقى عليهم كساء ووضع يده عليهم وقال اللهم ان هؤلاء آل
محمد فاجعل صلواتك وبركاتك على آل محمد انك حميد مجيد وفي أخرى ان الآية انما نزلت

(قوله ومحسنا) بضم الميم وفتح
الحاء المهملة وتشديد السين
المكسورة كذا ضبطه الشامي
(قوله ومن ثم لقب بالشرف الخ)
قال السيوطي في الخصائص
الصغرى ويطلق على آل النبي صلى
الله عليه وسلم الاشراف والواحد
شريف وهم أولاد علي وعقيل
وجعفر والعباس كذا مصطلح
السلف وانما حدث تخصيص
الشريف بولد الحسن والحسين
في مصر خاصة من عهد الخلفاء
الفاطميين (قوله وفاطمة وعلي
وابناهما) تقدم الاقسام بهم
تفصيلا ثم بعد الاقسام بهم اجمالا
بلفظ يشملهم وغيرهم (قوله بضعة
مني) قال النووي في شرح مسلم
بفتح الباء لا يجوز غيره وهي قطعة
اللحم اهـ والذي في المواهب
البضعة بفتح الموحدة وحكى ضمها
وكسرها أيضا وبسكون المعجمة
قطعة لحم واستدل به السهيلي
على ان من سبها يكفر

الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا نزلت ببيت أم سلمة فأرسل صلى
الله عليه وسلم اليهم وجللهم بكساء ثم قال نحو ما مر وفى أخرى انهم جاؤا واجتمعوا فنزلت
فان صحتا فهى نزلت مرتين وفى أخرى ان ام سلمة قالت له ألست من أهلك قال بلى وانه
ادخلها الكساء بعد ما قضى دعاءه لهم وفى اخرى صحيحة انها قالت يا رسول الله أنا من
أهل البيت قال بلى ان شاء الله وفى أخرى ان واثلة قال لما جمعت صلى الله عليه وسلم عليا
عليهم وهم تحت الكساء قلت وانا يا رسول الله فقال اللهم وعلى واثلة وفى اخرى
صحيحة قال واثلة وانا من اهلك قال وانت من اهلى قال واثلة وانها لمن ارجى ما ارجو قال
البيهقى وكانه جعله فى حكم الاهل تشبيها بمن يستحق هذا الاسم لا تحقيقا واشار المحب
الطبرى الى ان الفعل بالكساء لم يذكر تكرر منه صلى الله عليه وسلم فى بيت ام سلمة
وبيت فاطمة وغيرهما وبه يجمع بين اختلاف الروايات فى هيئة اجتماعهم وما جللهم
به وما دعا لهم به وما اجاب به واثلة وام سلمة وفى اخرى سندها حسن انه اشتمل على العباس
وبنيه بملاءة ثم قال يا رب هذا عمى وصنو ابى وهؤلاء اهل بيتى فاسترهم من النار كسترى
اياهم بملاءتى هذه فامنت اسكفة الباب وحوائط البيت فقالت آمين ثلاثا (و) اقسم
عليك (يا زوجاتك اللواتى تشرفن بان صانهن) عن النار والنقائص ما صح عنه صلى الله
عليه وسلم ان الله تعالى لم يزوجه الا من ستكون معه فى الجنة (منك) حال من قوله (بناء)
اى دخول وظاهر كلامه ان من تزوجها ولم يدخل بها لا يحصل لها ذلك الشرف وينبغى
تخريجه على حرمتها على غيره فان قلنا تحرم وهو الاصح حصل لها الشرف أو تحل لم يحصل
لها وهن احدى عشرة متفق عليهن ست قرشيات وأربع عربيات وامرأة اسرائيلية أولهن
خديجة تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد زوجين ولدت لكل منهما ولها يوم
تزوجها أربعون سنة وأشهر وله خمس وعشرون سنة عند الاكثرين وكانت قد عرضت
نفسها عليه كما مر وهى أول من آمن به من النساء وفى الصحيحين ان جبريل قال يا محمد
هذه خديجة قد أتتك باناء فيه طعام أو ادام أو شراب فاذا هى قد أتتك فاقرأ عليها السلام
من ربها ومنى وبشرها ببيت فى الجنة من قصب اى لؤلؤ مجوف لا صخب فيه ولا نصب
وأولاده صلى الله عليه وسلم كلهم منها الا ابراهيم واختلف فى عدتهم وجملة ما اتفق عليه
منهم ستة القاسم ولد قبل النبوة وبه كان يكنى ومات بعد نحو سنتين على خلاف فيه
واربع بنات زينب وهى أكبرهن وماتت سنة ثمان من الهجرة عند زوجها ابن خالها
ابى العاص بن الربيع وولدت منه عليا كان رديفه صلى الله عليه وسلم يوم الفتح ومات قبل
الاحتلام وامامة التى حملها فى صلاته تزوجها على بعد فاطمة رضى الله تعالى عنهم ثم رقية
توفيت وهو صلى الله عليه وسلم ببدر ولما عزى بها قال الحمد لله دفن البنات من المكرمات
خرجه الدولابى ثم أم كلثوم توفيت سنة تسع من الهجرة تزوجها عثمان بعد ابنى ابى
لهب ثم فاطمة الزهراء البتول قال ابن عبد البر ولدت سنة احدى وأربعين من مولده

(قوله فان قلنا تحرم) هو المعتمد فى الفروع (قوله لا صخب فيه) الصخب بفتح الصاد والخاء الصوت المختلط المرتفع والنصب المشقة والتعب يقال فيه نصب بضم النون واسكان الصاد وفتحهما لغتان حكاهما القاضى وغيره كالحزن والحزن والفتح أشهر وأفصح وبه جاء القرآن اه شرح مسلم (قوله ولا نصب) قال فى المصباح نصب الرجل بالكسر نصبا تعب (قوله القاسم) هو أول أولاده صلى الله عليه وسلم ثم زينب ثم رقية ثم فاطمة ثم أم كلثوم ثم عبد الله ثم ابراهيم اه ذكره القالى من شيخه الشيخ سالم السنهورى (قوله وامامة) عطف على عليا فهى بنت زينب (قوله ثم أم كلثوم) ولا يعرف لها اسم وانما تعرف بكنيتها اه (قوله بعد ابنى أبى لهب) هما عتيبة مصغرا وعتبة مكبرا

صلى الله عليه وسلم والذى رواه ابن اسحق انها ولدت قبل النبوة وقال ابن الجوزى قبلها
بخمس سنين وسميت فاطمة والزهراء البتول لان الله قطعها عن النساء حسبا
وفضلا أو لانقطاعها الى الله تعالى واختلف فى انه صلى الله عليه وسلم هل ولد له غير أولئك
الستة فقيل الطيب والطاهر وعبد الله وقيل الاولان لقبان للثالث وماتوا صغارا وهو
الاصح وقيل عبد مناف وقيل المطهر واما ابراهيم فمن سريته مارية القبطية ولد فى الحجة
سنة ثمان وسماه ابراهيم باسم أبيه قيل السابع أو فيه روايتان وجمع بانها وقت قبله
مجتمعة واظهرت فيه وكان صلى الله عليه وسلم يذهب اليه وهو فى العوالى عند ظئره الحداد
فيأخذه ويقبله ثم يرجع ثم توفى وله سبعون يوما وقيل سنة وعشرة أشهر وقيل غير ذلك
وفى رواية انه لم يصل عليه اى بنفسه بل أمرهم فصلوا عليه وفى حديث لو بقى لكان نبيا
لكنه لم يبق لان نبيكم آخر الانبياء لكن بالغ النووى فى تزييفه وبطلانه ورديانه وارد
من طرق ولا اشكال فيه لان القضية الشرطية لا تستلزم الوقوع بل ولا الامكان وتوفيت
خديجة قبل الهجرة بنحو ثلاث سنين ودفنت بالحجون عن خمس وستين سنة ثم تزوج
سودة بنت زمعة بعد موت ابن عمها رضى الله تعالى عنهما أخى سهيل بن عمرو بمكة لما رجعا
من الحبشة بعد عقده على عائشة ودخل بها قبل عائشة على ما جمع به بين الخلاف
فى ذلك وأراد طلاقها لما أسنت فوهبت نوبتها لعائشة رضى الله عنها فأمسكها وتوفيت
بالمدينة فى شوال سنة اربع وخمسين ثم عائشة بمكة فى شوال سنة عشر من النبوة ودخل بها
بالمدينة فى شوال على رأس ثمانية عشر شهرا وهى بنت تسع سنين ولم يتزوج بكرا غيرها
واسمها صلى الله عليه وسلم اكثر من بقية نسائه مع انه فقدها فى بعض اسفاره قال لو اعز وساه
فرجه احد وكانت فقيهة عالمة حافظة فصيحة ماتت رضى الله عنها بالمدينة سنة سبع
وخمسين وكناها رسول الله صلى الله عليه وسلم ام عبد الله بابن اختها عبد الله بن الزبير لا بسقط
اسقطته منه صلى الله عليه وسلم لان ذلك لم يثبت وهى وخديجة أفضل امهات المؤمنين ثم
الاصح أن خديجة افضل لما صح أن عائشة لما قالت له قد رزقك الله خيرا منها قال لا والله
ما رزقنى خيرا منها آمنت بى حين كذبنى الناس وأعطتنى مالها حين حرمنى الناس ولانه
صلى الله عليه وسلم أقرأ عائشة السلام من جبريل وخديجة السلام من الله تعالى والاصح
ايضا أن فاطمة افضل من خديجة لما فيها من البضعة الكريمة التى لا يعادلها شئ والخبر
المقتضى تفضيل خديجة اجيب عنه بانه من حيث الامومة لا السيادة وممن جرى على
ذلك الامام المجتهد التقى السبكى فقال الذى نختاره وندين الله به أن فاطمة افضل ثم
خديجة ثم عائشة واختار ايضا أن مريم افضل من خديجة للاختلاف فى نبوتها ثم حفصة
بنت عمر رضى الله تعالى عنهما تزوجها سنة ثلاث من الهجرة بعد ما رجعت من هجرة
الحبشة وموت زوجها بعد غزوة بدر وطلقها صلى الله عليه وسلم فأوحى الله اليه أن
راجعها فانها صوامة قوامة وانها زوجتك فى الجنة توفيت سنة خمس واربعين ثم ام حبيبة

(قوله وهو فى العوالى) جمع العالية وهى مواضع وقرى بقرب مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم من جهة المشرق من ميلين الى ثمانية أميال اه شرح البخارى للعينى (قوله وتوفيت خديجة) ولم يمت فى حياته من زوجاته الاحدى عشرة الا هى وزينب بنت خزيمة (قوله ثم الاصح أن خديجة افضل) قال السبكى فى مقاصد المقاصد فضلى النساء مريم ففاطمة فخديجة أو عائشة فآسية ثم قال وقد نظمتهن وزدت ان مريم وأخت موسى من زوجات نبينا صلى الله عليه وسلم فى الجنة فقلت
لى النسا بنت عمران ففاطمة
فأمها أو فمن قدرا الله
فزوج فرعون مع أخت الكليم ومن
لاحمد زوجات باخراه

هند بعد موت ابي سفيان سنة اربع وكانت من اكمل النساء ماتت سنة تسع وخمسين ودفنت بالبقيع ثم ام حبيبة رملة بنت ابي سفيان بن حرب بعد ان مات زوجها عبيد الله بن جحش بالحبشة مرتدا متنصرا وزوجها النجاشي لعمرو بن امية الضمري وكيله صلى الله عليه وسلم واصدقها عنه اربعمائة دينار وبعث بها الى النبي صلى الله عليه وسلم فدخل بها سنة سبع ماتت بالمدينة سنة اربع واربعين وتزوج زينب بنت جحش بعد زيد زوجه الله اياها فدخل عليها بغير عقد كما دلت عليه الآية وكانت تفتخر بذلك على امهات المؤمنين سنة خمس وقيل ثلاث وهي اول من مات منهن بعده وصح عن عائشة لم تكن امرأة خيرا منها في الدين وأتقى لله واصدق حديثا واوصل للرحم واعظم صدقة واشد ابتذالا لنفسها في العمل الذي تتصدق به وتتقرب به الى الله تعالى اى وهو البيع رواه مسلم ماتت بالمدينة سنة عشرين وتزوج زينب بنت خزيمة الهلالية وكانت تسمى في الجاهلية ام المساكين لاطعامها اياهم سنة ثلاث ثم ماتت بعد ثلاثة اشهر وتزوج ميمونة بنت الحرث الهلالية سنة سبع بعد خيبر بسرف وبنى بها فيه وكان حلالا ورواية محرما معناها انه في الحرم على أن من خصائصه صلى الله عليه وسلم أن له أن ينكح وهو محرم وماتت فيه سنة احدى وخمسين وقبرها به مشهور يزار ويتبرك به وتزوج جويرية بنت الحرث الخزاعية وكانت وقعت في سهم ثابت بن قيس بن شماس الانصاري فكاتبها فجاءت تسأل النبي صلى الله عليه وسلم وعرفته بنفسها فقال لها هل لك الى ما هو خير لك من ذلك أؤدي عنك كتابتك وأتزوجك قالت نعم فسمع الناس بذلك فاعتقوا ما بايديهم من اقوامها وقالوا اصهار رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت عائشة فما رأينا امرأة كانت اعظم على قومها بركة منها اعتق في سببها مائة اهل بيت من بني المصطلق خرجه ابو داود وعن ابن شهاب أنه اختارها من السبي فحجبها وقسم لها وكانت بنت عشرين سنة توفيت سنة خمسين وتزوج صفية بنت حيي بن اخطب من نسل هرون صلى الله على نبينا وعليه وعلى سائر الانبياء والمرسلين وسلم وهي من سبي خيبر أذن صلى الله عليه وسلم لدحية الكلبي في اخذ جارية من السبي فأخذها فقيل للنبي صلى الله عليه وسلم اعطيته سيدة بني قريظة والنضير وهي لا تصلح الا لك فخشي عليه الفتنة فاعطاه غيرها ثم اعتقها وتزوجها وبنى بها وهو راجع الى المدينة وفي رواية أنه صلى الله عليه وسلم قال لها هل لك في قالت يا رسول الله اني كنت أتمنى ذلك في الشرك وكان بعينها خضرة فسألها عنها فقالت انها كانت نائمة ورأس زوجها في حجرها فرأت قمرا وقع في حجرها فأخبرته فلطمها وقال تتمنين ملك يثرب ماتت رضي الله عنها في رمضان سنة خمسين ودفنت بالبقيع فهؤلاء نساؤه المجمع عليهن واختلفوا في ثنتي عشرة امرأة فبعضهن الاصح فيه أنه طلق قبل الدخول وبعضهن الاصح فيه أنه لم يتزوجهن ومحل

كتب

(قوله أشد ابتذالا) من البذلة وهي المهنة (قوله بسرف) بفتح السين وكسر الراء وبالفاء وهو مكان بقرب مكة بينها وبينه ستة أميال وقيل سبعة وقيل اثنا عشر اهـ شرح مسلم النووي (قوله معناها أنه في الحرم الخ) اى او في الشهر الحرام كقول الشاعر

قتلوا ابن عفان الخليفة محرما ... ودعا فلم أر مثله مخذولا

اى لان قتله كان في أيام التشريق اهـ شوبري ويجاب بان الصحيح عند الاصوليين ترجيح القول على الفعل اذا تعارضا لان القول يتعدى الغير والفعل مقصور على الفاعل (قوله ابن شماس) بفتح الشين المعجمة وتشديد الميم وبالسين المهملة (قوله من بني المصطلق) حي من خزاعة (قوله من نسل هرون) يدل له ما رواه أبو نعيم في الحلية باسناده عن أنس رضي الله عنه قال بلغ صفية أن حفصة بنت عمر رضي الله عنهما قالت لها يا بنت اليهودي فبكت فدخل عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي تبكي فقال ما شأنك فقالت قالت لي حفصة يا بنت اليهودي فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم إنك لبنت نبي يعني هرون وان عمك لنبي يعني موسى وانك لتحت نبي فبم تفتخر عليك حفصة ثم قال اتقي الله يا حفصة لقد قلت كلمة لو مزجت بالبحر لمزجته (قوله فهؤلاء نساؤه الخ) وليست المتعوذة منهن فهي في الثنتي عشرة قال القسطلاني في شرحه على البخاري ان التي استعاذت من رسول الله صلى الله عليه وسلم أميمة بنت النعمان بن شراحيل على الصحيح وقيل عمرة بنت الجون

بسط ذلك كتب السير (الامان) اى اقسم عليك بهؤلاء المذكورين وما ختم به أن تقيلنى من حضرتك بواسطة شفاعتك فى الى من لا يخيب شفاعتك او ان تؤمننى الامان (الامان) تأكيد اى من عقاب ما اقترفته من الذنوب وعظيم ما جنيته من العيوب (ان) بالفتح تعليلا وبالكسر استئنافا وفيه ايماء الى العلة (فؤادى من) اجل (ذنوب اتيتهن هواء) اى خال عن فهم ما يتعين فى دينى ودنياى لفرط الحياء والخجل من الله تعالى والدهشة من خوف عقابه وسخطه وفى نسخة هباء اى لا وجود له فيرجع لمعنى الاول وربما يعطفك على حتى يزداد اعتناؤك بى وامدادك لى انى (قد تمسكت) اى وثقت واعتصمت (من ودادك) اى بمحبتى لك وكون المحبة تستلزم الاتباع انما هو أغلبى كما يدل عليه حديث يا رسول الله المرء يحب القوم ولا يعمل بعملهم فقال صلى الله عليه وسلم المرء مع من احب او ان المستلزم لذلك هو كمالها وان ذلك من الناظم من كمال هضم النفس بتقدير ما لم يقع واقعا كما هو شأن الخوف المراعى مطلقا او فى بعض الاحوال (بالحبل) اى السبب الاقوى وهو العهد الوارد عنك فى الاحاديث الصحيحة ان المرء مع من احب وان لم يعمل بعملهم (الذى استمسكت به الشفعاء) من الاولياء والانبياء والعلماء والصلحاء فلم يحصل لهم مرتبة الشفاعة الا بواسطة محبتهم لك واذا اورثتهم محبتك مرتبة قبول شفاعتهم فى الاغيار أورثتنى وقوع شفاعتك فى بجامع أنى احبك كما يحبونك وان اختلف مقدار الحب فى الطرفين واعلم أن العلماء والعارفين اختلفت عباراتهم فى المحبة وكثرت ولكن ليس اختلافا فى حقيقتها بل فى احوالها وثمراتها اذ حقيقتها من المعلومات التى لا تحد كما اطبق عليه المحققون وانما يعرفها من قامت به وجدانا لا يمكن التعبير عنه ومن ثم قال صاحب مدارج السالكين كغيره وهى لا تحد بحد أوضح منها فالحدود لا تزيدها الا خفاء وانما تكلم الناس فى اسبابها وموجباتها وعلاماتها وشواهدها وثمراتها واحكامها

(قوله الامان الخ) جواب الاقسام السابقة مفعول له أو مفعول مطلق فالعامل على الاول أمنا وعلى الثانى آمنا وفى كلام الشارح ما يشير الى الامرين تأمل (قوله وكون المحبة الخ) جواب عما يقال كيف ادعيت محبته مع اعترافك أولا باقتراف الذنوب والمحب لا يخالف أمر محبوبه ولا نهيه فتأمل (قوله وهى لا تحد بحد الخ) قال العارف بالله تعالى أبو الحسن الشاذلى فى رسالة القصد المحبة من الله اخذه لقلب عبده من كل شئ سواه فترى النفس مائلة لطاعته والعقل متحصنا بمعرفته والروح مأخوذة فى حضرته والسر مغمورا فى مشاهدته والعبد يستزيد فيزاد ويفاتح بما هو أعذب من لذيذ مناجاته فيكسى حلل التقريب على بساط القربة ويمس ابكار الحقائق وثيبات العلوم وقال رضى الله عنه المحبة تفسر فى القلب من المحبوب اذا ثبت قطعك عن كل محبوب وقال رضى الله عنه حقيقة المحبة رؤية المحبوب على العيان وكمالها افتقادك له فى كل وقت وأوان وقال رضى الله عنه اوصاف المحبين أن يكون دائم الفكر كثير الذل قليل العبارة دائم الصمت لا يعقل ولا يرجو لا يسمع اذا نودى ولا يبصر اذا نظر وقال رضى الله عنه المحب على الحقيقة من لا سلطان على قلبه لغير محبوبه ولا مشيئة له مع مشيئته وقال رضى الله عنه حرام عليك أن تتصل بالمحبوب وبقى لك فى العالمين محبوب وقال رضى الله عنه اذا امتثل بما تحب ورددك الى ما يحب فذلك من علامة محبته لك وعن الشبلى انه قال مرة لتلميذه الحصرى فى بداية أمره يا حصرى ان خطر ببالك من الجمعة الى الجمعة الثانية غير الله فلا تحضرنى فانه لا يجىء منك شئ ومن كلام الحلاج اذا تخلص العبد الى مقام المعرفة أوحى اليه بخواطره وحرس سره عن ان يسنح فيه غير خاطر الحق ثم قال ومن علامات العارف ان يكون فارغا من أمور الدنيا والآخرة مشتغلا بالله وسئل عن صفة المريد فقال هو الرامى بأول قصده الى الله فلا يعرج حتى يصل وسئل عن التصوف وهو مصلوب فقال أهونه ما ترى وكان يقول من لاحظ الاعمال حجب عن المعمول له ومن لاحظ المعمول له حجب عن الاعمال وكان يقول لا يجوز لمن يرى غير الله ان يدعى انه عارف بالله عز وجل وكان يقول من اسكرته أنوار التوحيد حجبته عن عبارة التجريد ومن طلب الحق بنور الايمان كمن طلب الشمس بنور الكواكب وكان يقول لما انفصل الخلق عنه ولا اتصلوا به وكان يقول من شرط التوكل ان لا يأكل شيئا وهو يعلم ان فى البلد من هو أحوج منه

فخدودهم ورسومهم دارت على هذه الشريطة وتنوعت بها العبارات وكثرت الاشارات
بحسب الادراك والمقام والحال وقد وضعوا الهاء مرفين متناسبين لها غاية المناسبة الحاء
التى هى من اقصى الحلق والباء الشفهية التى هى غايته فللحاء الابتداء وللباء الانتهاء
وهذا شأن المحبة وتعلقها بالمحبوب فان ابتداءها منه وانتهاءها اليه واعطوا الحب
الضم الذى هو أشد الحركات وأقواها مطابقة لشدة حركة مسماها وقوتها واعطوا الحب
وهو المحبوب الكسر لخفتها المطابقة لخفة المحبوب وذكره على القلب واللسان
وهذه مناسبة عجيبة بين الالفاظ والمعانى تطلعك على ان لغة العرب لا تلحقها واعلم
ايضا انه صح فى الحديث لا يؤمن احدكم حتى اكون احب اليه من ولده ووالده
والناس أجمعين قالوا المراد هنا حبه صلى الله عليه وسلم اى الميل اليه اختيار
الا طبعا وكل من كان ذا نفس مطمئنة كان حبه راجحا او أمارة كان مرجوحا وفى
كلام عياض ان هذا شرط لصحة الايمان وبقاء حمل المحبة على معنى التعظيم والاجلال
وليس مرادا هنا اذ اعتقاد الاعظمية لا يستلزم المحبة اذ قد يجد الانسان اعظام شئ مع
خلوه عن محبته وانما المراد الميل كما تقرر فمن لم يجد ذلك الميل لم يكمل ايمانه وفى صحيح
البخارى أن عمر قال يا رسول الله أنت أحب الى من كل شئ الا من نفسى التى بين جنبى
فقال صلى الله عليه وسلم لن يؤمن أحدكم حتى أكون أحب اليه من نفسه فقال عمر والذى
أنزل الكتاب عليك لانت أحب الى من نفسى التى بين جنبى فقال صلى الله عليه وسلم
الآن يا عمر قد تم ايمانك فهذه المحبة ليست باعتقاد الاعظمية فقط فانه حاصل لعمر قطعا
وانما وقع ذلك لان حب الانسان نفسه طبيعى وغيره اختيارى بواسطة الاسباب وهذا هو الذى
أراده من عمر اذ لا سبيل الى قلب الطبع وتغيير ما جبلت عليه الانفس فجواب عمر أولا
بحسب الطبع ثم تأمل فعرف بالدليل أنه صلى الله عليه وسلم أحب اليه من نفسه نظرا
لكونه هو الذى أنقذه من هلاك الدنيا والآخرة فأخبر بما اقتضاه الاختيار فأجابه
بالآن اى عرفت فنطقت بما يجب ومن علامات محبته صلى الله عليه وسلم ايثار مأموره
ومنهيه على جميع أغراضه قال القرطبى وكل من آمن به ايمانا صحيحا لا يخلو عن وجدان
شئ من تلك المحبة الراجحة ولكنهم يتفاوتون فيها تفاوتا ظاهرا وكثيرا من العامة يؤثر
رؤيته صلى الله عليه وسلم على اهله وماله وولده وكذا زيارته بل زيارة آثاره لما وقر فى
قلوبهم من محبته صلى الله عليه وسلم غير أن ذلك سريع الزوال لتوالى الغفلات
والشهوات عليهم (وابى الله) اى لم يرده كما جرت به عادة كرمه وفضله وجوده ودل عليه
ما تفضل به عليك كقوله عز قائلا ولسوف يعطيك ربك فترضى والمعلوم المستقر من
اخلاقك الجميلة والذى دلت عليه آثارك الجليلة أن من لجأ اليك لا تخيبه من شفاعتك
ولا يعجز عن مغبة بل تمن فيه مسارعة الى رضاك ومن ثم أخبرتنا عنه سبحانه وتعالى أنه يقول
لك فى ذلك الجمع الاكبر على رؤس الاشهاد قل يسمع لك وسل تعط واشفع تشفع (أن يسق

(قوله أحب اليه) أفعل تفضيل
بمعنى المفعول على غير قياس وان
كثر اذ القياس كونه بمعنى الفاعل
لا يقال افعل ومعموله لكونهما
كالمتضايفين لا يجوز الفصل
بينهما بالاجنبى فكيف فصل بينهما
باليه لان الجار والمجرور والظرف
يتوسع فيهما فتأمل

السوء بصال) اى فى حال من الاحوال الدنيوية والاخروية (و) الحال ان (الى السك
الجباء) اى استنادنا لمزيد محبتى التوكل منى بجنابك ومن هو كذلك حقيق بان لا ينالهمن
ربه عذاب ولا مقت ولا حرمان ولا قطيعة ولا جل ذلك (قد رجوناك) معشر محبيك
وخدامك أيها النبى الكريم أى أملنا فيك (للامور) الخطيرة العظيمة من الذنوب
والمخالفات والغفلات والشهوات (التى أبردها) اى أيسرها (فى فؤاد نار مضناه) اى نار
تتقدمن شدة خوف المؤاخذة بما كسبته قلوبنا وألسنتنا وجوارحنا وبين أبردها
ورمضاء والفقر والغنى المطلقة (وأتينا اليك) بقلوبنا اى وجهناها الى الاستمداد منك من
كل مكروه أو الى قبرك المكرم حال كوننا (انضاء) جمع نضو بكسر النون اى مهازيل
(فقر) من الاعمال الصالحة فلكثرة ما حملنا من الذنوب ضعفنا عن حملها وهزلنا بسبب
ثقله (حملتنا الى) حضرتك التى فيها (الغنى) الاكبر (انضاء) اى دكائب مهازيل
اجهدها طول السير وشدة الاسراع بها الى الوصول الى حضرتك العلية اغتناما
للوقوف بساحات كرمها والتملى بشهود احسانها ونعمها (وانطوت) اى استترت (فى
الصدور) اى القلوب (حاجات نفس) أملت حصولها من جنابك الكريم برفعها اليك
اذا وصلت الى حضرتك وطلبت بحصول تطولك منها الامداد من نوالك والتوسل
والتشفع بك الى مولاك لانه لا وسيلة اليه أقرب منك اليه ولا أحد بعدك يعول الكمل
فضلا عن غيرهم عليه فحينئذ كانت تلك الحاجات (ما لها عن ندى) اى عطاء (يديك
الكريمتين (انطواء) اى استتار واستغناء بل لا يقضيها غير جاهك الواسع ولا يمن بها غير
عطائك الهامع فلا انفصال لنا عن واسع جودك ولا انصراف لنا عن ساحة عومك
بل لا نزال مقيمين بجوارك مستمطرين لندى آلائك طامعين فى حصول كل ما أملناه
بشفاعتك التى هى مطمع المقربين ووسيلة المقصرين (فأغثنا) بها التقضى جميع
حاجاتنا وفور جاهك وعظيم منزلتك عند ربك (يا من هو الغوث) المكروبين والملجأ
المنقطعين المنقذ لهم من الشدائد (والغيث) المريع المضطرين المشبع البائسين
الجزل لهم من الفوائد فأزل شكوانا وارفع لأوانا (اذا أجهد الورى
اللأواء) اى اذا ضيق على الخلق الجدب حتى أشرفوا على التلف (والجواد) الاعظم
(الذى) لم يخلق الله من يصل الى أوفى مراتب جوده فضلا عن أن يساويه فيه (به)
أى بسببه (تفرج الغمة عنا) معشر أمته (وتكشف الحوباء) بفتح أوله وضمه أى الاثم
أى عقابه والشدة والحاجة والحالة القبيحة وفى نسخة به تفرج الكربة عنا وتكشف
الغماء وهى بمعنى الاولى لتساوى الغمة والكربة اذ هما الكرب الذى يشتد على النفس
الى ان يكاد يقتلها والغماء والحوباء فى معانيها المذكورة من ضم الهلال اذا ستره غيم
أو نحوه والظاهر استعمل (يا) نداء يتضمن غاية الاستعطاف والحنو والترحم وهو معطوف
على النداء الاول بحذف حرف العطف أو مستأنف لكنه بعيد (رحيما) من الرحمة وهى

(قوله او الى قبرك المكرم) يؤيد
هذا قوله حملتنا الخ ولا مانع من
ضم الاول اليه (قوله فاغثنا بها الخ)
اى شفاعتك

رقة القلب وغايتها التفضل والانعام أو ارادتهما ومر في ياسماء أول أبيات هذه القصيدة
ماينبغي استحضاره هنا (بالمؤمنين) مقتبس من قوله تعالى بالمؤمنين رؤف رحيم وكان
بالمؤمنين رحيما ومر في شرح قوله رحمة كله مايتعلق بسعة رحمته لاسيما بالمؤمنين وباهر
رأفته لاسيما على الضعفاء والمساكين والايمان التصديق الاجمالي في الاجمالي والتفصيلي
في التفصيلي بجميع ما علم من دين محمد صلى الله عليه وسلم بالضرورة عندنا اذ لا يكفر
منكر غير الضروري وهو ما يستوي في معرفته الخاص والعام أو بالاجماع وان لم يكن
ضروريا لان انكار المجمع عليه غير الضروري كفر عند غيرنا بل وجماعة منا ولا يكفي
التصديق وحصل لا يتم من الاقرار بالشهادتين باللسان فان تركه مع القدرة عليه
كان كافرا مخلدا في النار كما نقله النووي عن أهل السنة لكن أشار الغزالي رحمه الله
تعالى الى ما اختاره جمع محققون غيره انه من أهل الجنة وتركه النطق به معصية فقط لان
قلبه مملوء بالتصديق فكيف يخلد في النار والكلام فيمن لم يمتنع منه جحودا أو انكارا
والا كان كافرا اجماعا والاعمال من الايمان عندنا كاكثر المحدثين أي من كماله فالميت
مؤمنا فاسقا تحت المشيئة قال الله تعالى ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك
لمن يشاء وقالت الخوارج انه كافر والمعتزلة انه لا كافر ولا مؤمن وهو عندهما مخلد في
النار لانتفاء الايمان المكمل بدخول الجنة • (تنبيه) • مهم يتعين الاحاطة به لعظيم
جدواه وعزة فحواه اعلم ان رحيما صيغة مبالغة بل ذكر غير واحد انه أبلغ من الرحمن
وانه يستعمل في الله تعالى وفي غيره لكن في استعمال صيغة المبالغة فيه تعالى اشكال
ومن ثم قال بعض الاعمة صفات الله التي على سبيل المبالغة كلها مجاز لاستحالة حقيقة
المبالغة فيها لانها اثبات للشيء أكثر مما هو وصفاته تعالى متناهية الكمال وأيضا فهي
انما تكون في صفة تقبل الزيادة والنقص وصفاته تعالى منزهة عن ذلك واستحسن
ذلك التقي السبكي وغيره فاستشكل والله على كل شيء قدير بانه لما فيه من المبالغة يستلزم
الزيادة على معنى قادر وهي محال وأجاب الزركشي عن الاول بان صيغة المبالغة اما
بحسب زيادة الفعل أو تعدد المفعولات وتعددها لا يوجب للفعل زيادة لان الفعل الواحد
قد يقع على متعدد وعلى هذا تحمل صفاته تعالى بلا اشكال ولهذا قال بعضهم في حكيم
معنى المبالغة فيه تكرر حكمه بالنسبة الى الشرائع وفي الكشاف والمبالغة في التواب
أي وهو كوهاب وتواب للدلالة على كثرة من يتوب عليه من عباده أو في قبول التوبة
حتى تنزل صاحبها بمنزلة من لم يذنب قط لسعة كرمه وعبر الزركشي عن الثاني بما يؤول
الى ما قاله الزمخشري وهو ان المبالغة لما تعذر حملها على كل فرد وجب صرفها الى
مجموع الافراد التي دل السياق عليها فهي بالنسبة الى كثرة المتعلق لا الوصف واعلم ايضا
ان نفي المبالغة في الفعل لا يستلزم نفي اصل الفعل ويشكل عليه وما ربك بظلام للعبيد
وما كان ربك نسيا واجيب عن الاول بان ظلاما وان كان للكثرة لكنه جيء به في

(قوله المؤمنين) خصهم بالذكر
مع اندرجتهم شاملة للكافرين
كافة لخلاصهم من هول الموقف
بشفاعته لانهم المقصودون بالذات
(قوله وهي محال) اي الزيادة على
معنى قادر محال لان الايجاد شيء
واحد لايمكن فيه التفاضل
باعتبار كل فرد وأجيب بان
المبالغة لما تعذر حملها على كل فرد
وجب صرفها الى مجموع الافراد
التي دل السياق عليها فهي بالنسبة
الى كثرة المتعلق لا الوصف انتهى
إتقان

مقابلة العبيد الذى هو جمع كثرة ورشحه قوله تعالى علام الغيوب عالم الغيب قابل التوب
قابل فى الاول المبالغة فى الجمع وفى الثانى صيغة اسم الفاعل الدالة على اصل الفعل
بالواحد وبانه نفى الظلم الكثير لينتفى القليل ضرورة لان الظالم يقصد بظلمه الانتفاع فما
باخذه فاذا ترك الكثير مع زيادة نفعه فالقليل اولى وبانه بمعنى ذى ظلم ونسب للمحققين
وبانه بمعنى فاعل فلا كثرة فيه وبان اقل القليل لو وقع منه تعالى لكان كثيرا كما يقال زلة
العالم كبيرة وبانه اراد ليس بظلام ليس بظالم تأكيد النفى فعبر عن ذلك بليس بظلام وبانه
ورد ردا على من قال ظلام فلا مفهوم له وبان صيغة المبالغة وغيرها فى صفاته تعالى سواء
فى الاثبات فجرى النفى على ذلك وبانه تعريض بان ثم ظلاما للعبيد من ولاة الجور وهذه
كلها تصلح جوابا عن الثانية وزيد عاشر وهى مناسبة فواصل الآى (اذا) ظرف لرحيب
(ما) زائدة (ذهلت) اى غفلت عن ابنائها (الرجاء) مقتبس من قوله تعالى يوم ترونها
تذهل كل مرضعة عما ارضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم
بسكارى ولكن عذاب الله شديد وتبشير رحمته بالمؤمنين بهذا ليس لانتفائها فى غيره بل
لانها فى هذا اليوم اظهر واعم لان الله تعالى يظهر له صلى الله عليه وسلم من العظمة
والسودد والتقدم على جميع الانبياء والمرسلين وتخصيصه بالشفاعة العظمى فى فصل
القضاء ما يعلم جميع اهل ذلك الموقف انه لا اقرب منه اليه وان كل نسب ينقطع فى
ذلك اليوم الا نسبه وحسبه وفى الرحيم والرجاء رد العجز على الصدر وفى الثناء ونماء
وما صدات وصعداء والتقى واتقاء ووعرة وعراء ونقى والاتقاء وذرعا وذرعاء
والعرج والعرجاء ورضا ورضاء والحلى والحلية جناس الاشتقاق او شبهه وبين اعمال
ومال جناس ناقص وبطان وبطاء لاحق وحرو والحرف محرف (يا شفيعا) من الشفاعة
وهى السعى فى اصلاح حال المشفوع فيه عند المشفوع اليه (فى المذنبين) فى غفران
ذنوبهم وكشف كروبهم (اذا) ظرف لشفيعا وفيه ما فى التى قبله (ما) زائدة (اشفق) اى
ذل اذ الشفق يطلق على المشقة وشأن من حصلت له المشقة الذلة والدهش وحمله على هذا
هو الصواب واما تفسير الشارح له بالخوف فهو وان كان موضوعا ايضا له لكنه لا يناسب
هنا لانه لا يلائم قوله (من) اجل (خوف) عقاب (ذنبه) عائد للبراء المتقدم رتبة وافرده
نظرا للفظ لا للمعنى او لكون المراد منه الجنس على حد قوله صلى الله عليه وسلم خير نساء
ركبن الابل نساء قريش احناه على طفل الحديث (البراء) من البكاء جمع برى بوزن
قتيل وذكرهم لان خوفهم من الصغائر فقط يدل على شدة ذلك اليوم ومناقشة الحساب
فيه وان الخوف ينبغى من الذنوب بهم اكثر الناس لانهم لا يخلون عن صغيرة بل صغائر بل
لا يخرج عن ذلك الا المعصومون ويلحق بهم المحفوظون ومع ذلك يعمهم الخوف ايضا
وان لم يكن لهم ذنب كيف والانبياء عليهم الصلاة والسلام شعارهم فى ذلك اليوم اللهم
سلم سلم (جد) يا من تحلى بكمال الرحمة ونهاية الشفاعة بجاهك الواسع فانه لا اوجه منك عند

(قوله فلا مفهوم له) اى لان
تكرير اللفظ اذا وردجوابا
لكلام خاص لا مفهوم له انتهى
اتقانى (قوله جوابا عن الثانية)
اى الآية الثانية وهى وما كان
ربك نسيا (قوله تذهل كل
مرضعة) الذهول ترك الشئ
بدهشة ونسيان (قوله الا زائدة)
هكذا ثبت فى نسخ الشرح وهى
زائدة لفظا ايضا اذ لا يستقيم
الوزن معها فالصواب حذفها كما
هو اللائق كما عرفه انتهى طبلاوى
(قوله وافرده نظرا للفظ) فيه
ان اللفظ جمع كما هنا فتامله

ربك (العاص) استأمرته الخطايا وأحاطت به المحن والبلايا والاصل لى اولنا فهو تجريد والتفات وآثر فيه التنكير لما يأتى ولم يعين ما يجود به عليه لقصد العموم المسؤل بان يجود عليه فى ذلك اليوم بايصال شفاعته اله الى كل مرغوب وصرفه عن كل مرهوب (وما) نافية (سواى) اى غيرى (هو العاصى ولكن تنكيرى) الواقع فى قولى لعاص (استحياء) منك اى اذ كرتك نفسى بلفظ يدل عليها بخصوصها مواجهالك بالتصريح بارتكابها مانهيتها عنه وحمل الاستحيا على التنكير مبالغة كرجل عدل فان قلت ذاك مصدر ان بخلاف هذا قلت المراد التشبيه من حيث ان حمل الخبر فى كل يحتاج لتأويل لان الحمل شرطه المساواة وهى غير موجودة هنا للتباين مدلوليهما هذا تقرير عبارته وفيه مؤاخذتان احداهما التى عليه الجمهور ان ضمير الفصل انما يفيد قصر المسند على المسند اليه وكذا تعريف الخبر على ما ذكره صاحب المفتاح وشهد له الاستعمال نحو ان الله هو الرزاق أى لا رازق سواه وفى الفائق وكلام الكشاف يميل اليه أيضا ان تعريف الخبر قد يكون لقصر المسند اليه وقد يكون لقصر المسند بحسب المقام فعلى الاول اى هو العاصى دال على حصر العصيان فى سواى كزيد هو القائم والمستفاد من النفى الداخل على الجملة نفى ذلك الحصر بناء على ما هو المشهور ان النفى يتوجه للقيد فاذ توجه للمقيد أيضا توجه الاعتراض الآتى من باب أولى وحينئذ فمفهومه يشمل شيئين انه عاص وحده وانه عاص هو وغيره لانك اذا قلت ليس سوى زيد هو القائم احتمل مفهومه ان زيدا هو القائم وحده وانه هو وغيره قائمان واذا أفهم النظم ذلك لم يصح قوله ولكن الخ لانه أثبت على احتمال العصيان لغيره معه وهو خلاف قصده من انه العاصى وحده أى ادعاء وهضما للنفس لا حقيقة لان الواقع بخلاف ذلك ثانيتهما ان التنكير هنا لا نسلم انه يفيد الاستحياء ولئن أفاده فان شأن السائل عدم الحياء لان المطلوب من المحتاج ان يرفع حاجته مبينا النفس حتى يعرف حاله فيتعطف عليه فابهامه لنفسه حينئذ غير لائق والثانى تجيب عن الاولى بان من الواضح ان سوى كغير لا تتعرف بالاضافة الا اذا وقعت بين ضدين بل قال جماعة لا تتعرف بها مطلقا وان أل فى العاصى للعهد الذهنى فهى للجنس على حد * ولقد أمر على اللئيم يسبنى * فيراعى فيها التعريف تارة والتنكير أخرى وحينئذ زال الحصر الموهم مفهومه ما مر وصار المعنى وما سواى عاصيا بل أنا العاصى وحدى وعن الثانية بان السائلين على أقسام منهم من يغلب عليه الحياء والخجل من ارتكابه ما كان سببا لسؤاله فيستر نفسه حياء وخجلا من المواجهة بالتصريح بارتكاب القبائح سترا واحتشاما من اعترافه بالنقائص والفضائح خشية من انه قد يظهر عليه ما يعين سبب سؤاله فيكون مقتضيا لحرمانه والناظم رحمه الله تعالى لمزيد اجلاله النبى صلى الله عليه وسلم راعى ذلك فنكر نفسه وذكر الوصف المقتضى لسؤاله على جهة الابهام لا التفصيل حياء من ان يبين نفسه أو معيبها فيكون ذلك

(قوله مبالغة) اى حيث جعل تنكره عين الحياء مع ان الحياء وصف قائم بالشخص كقيام العدل بالرجل لانه عينه (قوله يحتاج لتأويل) فكما أوله رجل عدل بذى عدل او بعادل ليصح الحمل يؤول هنا بتقدير مضاف اى سبب تنكيرى استحياء لصحة الحمل (قوله وفيه مؤاخذتان) اى فى النظم (قوله من يغلب عليه الحياء) اى ومنهم من يظهر نفسه عند رفع حاجته ليعرف حاله فيحصل العطف عليه والناظم لاحظ مقام الحياء تارة كما هنا فنكر ولاحظ التعطف تارة فعرف حيث قال فيما يأتى كل يوم ذنوبه الخ

سببا لرده ٭(تنبيه)٭ لا تزال تطلب ان ما ذكره الناظم هنا من ان سبب التنكير قد
يكون للاستصغار هل صرح به أحد غيره حتى وجدتهم صرحوا بما يقرب منه وهو قولهم
لكل من التعريف والتنكير مقام لا يليق بالآخر فمن أسباب التنكير ارادة الوحدة
نحو وجاء رجل من أقصى المدينة يسعى أى وحداً وارادة النوع نحو هذا ذكر أى نوع
من الذكر وعلى أبصارهم غشاوة أى نوع غريب من الغشاوة لا يتعارفه الناس بحيث
غطى ما لا يغطيه شئ من الغشاوات ويحتملهما والله خلق كل دابة من ماء أى كل نوع
منها من كل نوع منه او كل فرد من افرادها من افراد النطف أو ارادة التعظيم بمعنى انه
اعظم من ان يعين أو يعرف نحو فأذنوا بحرب ولهم عذاب اليم ان لهم جنات وسلام عليه
أو ارادة التكثير نحو ان لنا لاجرا اى وافرا عظيما جليلا أو ارادة التقليل نحو
ورضوان من الله اكبر اى ورضوان قليل منه اكبر من الجنات بأسرها وارادة التحقير
بمعنى انحطاط شأنه الى حد لا يمكن ان يعرف نحو من اى شئ خلقه اى من شئ حقير مهين
ثم بينه بقوله من نطفة خلقه وهذا المعنى يقرب من الاستصغار الذى ذكره الناظم
٭ وهنا قاعدة يتم نفعها وهى ان الاسم اذا ذكر مرتين فان كانا معرفتين فالثانى عين
الاول غالبا دلالة على المعهود الذى هو الاصل فى اللام والاضافة نحو اهدنا الصراط
المستقيم صراط الذين او نكرتين فالثانى غير الاول غالبا وقد اجتمعا فى آية فان مع العسر
يسرا ان مع العسر يسرا قال صلى الله عليه وسلم لن يغلب عسر يسرين فهو تصريح
بما ذكر فى القسمين او الاول نكرة فقط فحكمه كالقسم الاول نحو رسولا فعصى فرعون
الرسول او عكسه حكمت القرائن وتقضت هذه القاعدة بآيات كثيرة نحو هل جزاء
الاحسان اى العمل الا الاحسان اى الثواب وهو الذى فى السماء اله وفى الارض اله
ويؤت كل ذى فضل فضله ويرد ما مر من انها اغلبية على ان بعض المحققين بين ان جميع
ما اورد عليها من الآيات من جملة افرادها وانه لم يشذ عنها شئ لكن فى بعضه تكلف
(وتداركه) اى أدركه (بالعناية) مشتقة بان عمه بسوابغ كرمه وتفرغ عليه فضال حلمه
حتى لا يأتى قط بهفوة (ما دام فيها بالتمام) بمعجمة فسر متعلق بتداركها اى تداركه والازم
خلوه عن معنى يليق بالسياق بحق حرمتك التى أتم القسم عليك بها ما دام له (منك ذماء)
بالمعجمة أى تعلق واصله بقية الروح فى المذبوح أى ما دام فيه أدنى تعلق واتصال بك
لانك اكرم الكرماء فى الخلق وعادة الكريم ان من تعلق به نجا من كل ما يخافه من أليم
العذاب وبعد الحجاب ولا وقد (أخزته) أى ذلك العاصى (الاعمال) السيئة التى
ارتكبها (والمال) الفانى الذى أمسكه عن صرفه فى وجوه الخير أو جمعه من وجوه الشر
حتى اشتغل به قلبه وطاش فى جمعه ولم يسأل من اى وادٍ جمعه ولا بأى وصف
اكتسبه (عما قدمه)٭ (الصالحون) جمع صالح وهو القائم بحقوق الله وحقوق العباد
وهو يشمل حتى الملائكة ومن ثم اخبر صلى الله عليه وسلم أن المصلى اذا قال فى تشهده

(قوله اى بكل نوع الخ) عبارة الملوى اى كل نوع من انواع الدواب من نوع من انواع المياه وهو نوع النطفة الذى يختص بذلك من الدواب (قوله من افراد النطف) وهى نطفة ابيه المتصلة (قوله بالتمام) اى الحرمة انتهى صحاح (قوله ذماء) بفتح المعجمة ممدود بقية الروح وهو فى الاصل مصدر ذمى المذبوح يذمى اذا تحرك انتهى قاله ابن مالك

السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين اصابت كل عبد صالح فى السماء والارض وبين
أخرته وقدم جناس التطابق كالحسنات والسيآت والملح والفرات والاستقامة
والاعوجاج والنوم واليقظة ووراء وامام والصيف والشتاء والحر والبرد وبوى
ولبلق والرجاء والخوف والاقوياء والضعفاء الآتيات (والاغنياء) من الاعمال
الصالحات والاتفاق فى وجوه الخيرات وهذا لف ونشر مرتب لان الاول للاعمال
والثانى للمال ثم اعترف بذنوبه لان الاعتراف مظنة العفو قال تعالى وآخرون اعترفوا
بذنوبهم الآية معتمدا عليها الحديث الصحيح الندم توبة فقال (كل يوم) وليلة (ذنوبه
صاعدات) مع ملائكة الليل والنهار الذين يرفعون اعمال العباد فيهما الى الله تعالى اظهارا
لعظيم فضل الطائع وقبيح فعل العاصى (ولها) اى من أجلها (أنفاسه صعداء) اى
متواترة تعلو وتمتد من شدة ما يلقى من كرب الندم وفرط الاسف عليها وسبب الوقوع فى
ورطتها انه (الف البطنة) بالكسر اى مل بطنه من الطعام والشراب كذا قال الشارح
والذى فى القاموس انها الاشر والبطر وقال فى البطر انه النشاط والاشر قلة احتمال
النعمة والدهش والحيرة او الطغيان بالنعمة وكراهة الشئ من غير أن يستحق الكراهية
اه وكل ذلك صحيح هنا وقال فى البطن بوزن كتف انه الاشر المتول ومن همه بطنه
والرغيب لا ينتهى عن الاكل (المبطئة السير) الى الله تعالى اى المعوقة عن الاجتهاد فى
رضاها باستفراغ الوسع فى الاعمال الصالحة التى هى سبب هداية السبيل وتنزيه النفس
عن النقائص وعن كل وصف دنى وخلق رذيل ولو لم يكن من شؤم البطنة الا ما اشار
اليه صلى الله عليه وسلم بقوله المؤمن يأكل فى معى واحد والكافر يأكل فى سبعة امعاء
من أنها تفسد العقل باذهاب فطنته والبدن بازالة نشاطه وقوته (بدار) وهى الدنيا (بها)
اى فيها (البطان) جمع بطين ككرام جمع كريم (بطاء) جمع بطئ على وزن الجمع قبله فهم
متأخرون عن الفائزين متخلفون عن السابقين (ف) بسبب عصيانه (بكى ذنبه بقسوة
قلب) اى مع شدته وغلظته المؤديين الى أن البكا صورى لا حقيقى ومن ثم (نهت) تلك
القسوة (الدمع) عن أن يبرز منه شئ من عين ذلك الباكى (ف) بسبب هذا النهى انقلب
(البكاء) عن حقيقته وهو حزن يعترى القلب فيحصل له من الهيبة والقلق المزعج
والخوف المقلق ما يجرى الدموع ويهيج الرجوع وصار ذلك البكاء كأنه (مكاء)
بالتخفيف اى كالصفير بجامع أن كلا صوت يجرى على اللسان ولم يتأثر به القلب وبين
البكاء والمكاء الجناس المضارع (وغدا) اى صار ذلك العاصى بعد ما وقع منه من
المعاصى والبكاء الذى لا يفيد لمزيد قسوة قلبه (يعتب) من عتب عليه وجد عليه
(القضاء) من قضاه عليه وقدره أن يقول لم أو كيف قدر على هذا (و) الحال انه (لا عذر
لعاص) يحتج به على الله تعالى حتى يسقط اثمه وتندفع مؤاخذته (فيما يسوءه اليه
(القضاء) والقدر من المعاصى لان الله تعالى أجرى عادته الالهية فى هذا العالم على

(قوله فى سبعة امعاء) قال الشارح فى شرح الشمائل والمراد المبالغة فى شرهه ونهمته لا حقيقة العدد او حقيقة لقول اهل التشريح ان للآدمى سبعة امعاء فالمؤمن يكتفى بملء واحد منها والكافر لا يكتفى الا بملء جميعها والمراد الجنس والاغلب اكثر المؤمنين يأكلون اكثر من غيرهم وقيل المراد المؤمن الكامل وهو لكثرة فكره واشفاقه من المناقشة فى الحساب حتى من المباح يقلل اكله دائما اه قال الهروى وفيه وجه احسن من ذلك وهو انه مثل ضربه للمؤمن زهده فى الدنيا والكافر حرصه عليها (قوله يعتب من عتب) قال فى المختار عتب عليه وجد وبابه ضرب ونصر وقال فى فصل الواو من باب الدال ووجد عليه فى الغضب موجدة بكسر الجيم ووجدانا ايضا بكسر ووجد فى الحزن وجدا بالفتح

اسباب ومسببات تناط بتلك الاسباب وتنسب وقوعها اليها نظرا للصورة الوجودية وان كان الكل فى الحقيقة انما هو بقضائه وقدره كما يدل على ذلك كله قوله تعالى وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم فأسند تعالى اليه صلى الله عليه وسلم الرمى واليهم القتل باعتبار الصورة الوجودية ونفاهما عنهم باعتبار الحقيقة الايجادية اشارة الى أنه يجب علينا رعاية المقامين بان نسند الافعال الى فاعليها صورة ليمدحوا أو يذموا باعتبار جريان تلك الصورة عليهم والى الله تعالى حقيقة من حيث عجز العبد عن ذلك وانفراد الحق تبارك وتعالى به وأن نعتقد بطلان مذهب القدرية الذين ينفون قدرة الحق ويثبتون قدرة العبد تخيلا منهم أنهم فروا بذلك عن نسبة القبيح الى الله تعالى وغفلة عن انه يلزمهم ما هو أقبح من ذلك وهو أن يجرى فى ملكه تعالى ما لا يشاؤه على أن نسبة أفعال العباد الى الله تعالى لا تستلزم نسبة القبيح اليه لان الشئ انما هو قبيح بالنسبة لفعلنا لا لفعله تعالى لانه يتصرف فى ملكه بما يشاء لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون وأن نعتقد بطلان مذهب الجبرية أيضا لانه يلزم عليه أن لا ثواب ولا عقاب ولا مدح ولا ذم لان المجبر هو المكره على الشئ من كل وجه لم يصدر منه فعل ينسب اليه حتى يدار عليه حكم وقد علم من الشريعة الغراء أن الله تعالى أسند الافعال لعباده ومدحهم عليها تارة وذمهم أخرى فتنتج ما قلناه من التوسط بين المذهبين بأن نظرنا الى الافعال من حيث الصورة وأنطنا بها احكاما ومن حيث الحقيقة وأنطنا بها احكاما لان هذا هو العدل السوى والطريق الواضح الجلى ونظير هذا مذهب الرافضة والناصبية وأهل السنة فالرافضة سبوا الشيخين وعثمان وأكثر الصحابة ووالوا عليا وشيعته والناصبية سبوا عليا وشيعته ووالوا أولئك الاكثرين وأهل السنة عدلوا فوالوا الكل ورضوا عنهم فكانوا فى الجنة وكان كل من ذينك هنا وفيما مر فى النار فان قلت قوله ولا عذر الخ ينافيه احتجاج آدم بالقضاء والقدر فى قصته المشهورة مع موسى عليهما الصلاة والسلام حيث قال له موسى عليهما الصلاة والسلام أنت أبونا آدم الذى أخرجتنا من الجنة بخطيئتك اى بالنسبة لمقامك والا فهى ليست بخطيئة حقيقة لانه نسى كما فى الآية أيضا ولعموم عصمة الانبياء عليهم الصلاة والسلام فقال له ألم تجد فى التوراة قد قدر على ذلك قبل أن أخلق باربعين سنة فقال نعم فقال أتلومنى على ذنب قدره الله على قبل أن اخلق باربعين سنة قال نبينا صلى الله عليه وسلم كما فى الحديث الصحيح فحج آدم موسى وكذا احتج عمر على أبى عبيدة بالقدر لما ذهب الى الشام فرأى فيها طاعونا فاراد الرجوع فقال له ابو عبيدة أفرارا من قدر الله تعالى يا امير المؤمنين فقال له عمر لو غيرك قالها يا ابا عبيدة لاوجعته ضربا نعم نفر من قدر الله الى قدر الله قلت لا ينافيه اما الاول فلان الاحتجاج بالقدر ان كان قبل الوقوع فى الذنب ليكون وسيلة للوقوع فيه لم يجز وان كان بعد الوقوع فيه وقبل أن يستوفى منه ما وجب عليه به ليمنع بذلك ما أخذته

(قوله واليهم القتل) تأمله فانه لم يسنده لهم وانما اسنده اليه سبحانه فلم يوجد الا نفيه عنهم (قوله احتجاج آدم) احتج آدم وموسى عليهما الصلاة والسلام قال ابو الحسن القابسى معناه التقت ارواحهما فى السماء فوقع الحجاج بينهما قال القاضى عياض ويحتمل أنه على ظاهره وانهما اجتمعا باشخاصهما (قوله نسى) اى سها لان النسيان مستحيل على الانبياء لانه نقص (قوله قدر على ذلك) المراد بالتقدير هنا الكتابة فى اللوح المحفوظ أو فى صحف الملائكة اى كتبه الله على قبل خلقى باربعين سنة ولا يجوز أن يكون المراد حقيقة القدر فان علم الله وما قدره على عباده واراده من خلقه أزلى ولم يزل سبحانه مريدا لما أراده من خلقه من طاعة ومعصية وخير وشر اه من شرح مسلم للنووى (قوله لو غيرك قالها) اى كلمة أبى عبيدة (قوله لاوجعته) اى لاعتراضه على فى مسئلة اجتهادية وافقنى عليها أهل الحل والعقد اه شرح مسلم

به لم يجز ايضا وان كان لا يمنع ذلك بل يمنع تعييره به ساغ له ذلك كما صرح به قوله صلى الله
عليه وسلم لحج آدم موسى وأما الثانى فالواقع من عمر ليس من الاحتجاج بالقدر فى ذلك
وانما هو بيان لاسرار ما جاءت به الشريعة المطهرة لان الشارع نهى عن دخول بلد
الطاعون مع انه ان قدر موته بذلك الطاعون لم ينفعه عدم الدخول والا لم يضره ذلك
الدخول فبين عمر رضى الله تعالى عنه أن المسببات منوطة باسبابها من غير نظر فى عواقبها
وان الله تعالى كما قدر على اناس الموت بالطاعون قدر على آخرين عدم الموت به فالامتناع
من الدخول فرار من القدر الى قدر آخر والدخول تجاسر على ما لعله يكون فتنة للداخل
فانه لو وقع به ربما نسب موته الى فعله فحرم عليه خشية الفتنة فان قلت والممتنع من
الدخول اذا سلم ربما نسب السلامة الى فعله ايضا قلت هذا اخف لان الاول القاء باليد
الى التهلكة وهى منهى عنه فى الكتاب والسنة والثانى بمنزلة التداوى والفرار من
الهلاك وهذا محمود فى الكتاب والسنة فان قلت لم جاز الفرار قبل الدخول لا بعده مع
استوائهما فى المعنى المعلل به فيما مر قلت لا مساواة بينهما لانا لو جوزنا الفرار لاهل البلد
لخرجوا وتركوا المرضى من غير حافظ ولا متعهد وذلك يؤدى الى هلاكهم غالبا فاقتضت
المصلحة العامة منع الناس من الخروج واما من لم يدخل فلا يترتب على عوده مفسدة فجاز
ثم رأيت الغزالى ذكر ما قررته فى الجواب عن كلام عمر رضى الله تعالى عنه ونقله عنه
النووى وغيره واقروه حيث قال فان قيل ما فائدة الدعاء مع القضاء مع ان الدعاء لا يرده
فاعلم أن من جملة القضاء رد البلاء بالدعاء فالدعاء سبب لرد البلاء ووجود الرحمة كما
ان الترس سبب لدفع السلاح والماء سبب لخروج النبات من الارض فكما ان الترس
يدفع السهم فيتدافعان فكذلك الدعاء والبلاء وليس من شرط الاعتراف بالقضاء أن لا
يحمل السلاح وقد قال تعالى وليأخذوا حذرهم وأسلحتهم فقدر الله الامر وقدر سببه
اه فتأمل هذا المحل فانه مهم نفيس وفيه شبه كثيرة ازالها بحمد الله تعالى هذا التقرير
الواضح لمن ألهمه رشده وأسعده بمجده وخلصه من ورطات النفى وغوائل البدع
والمحن حقق لنا ربنا ذلك بمنه وكرمه واذا تقرر أن لا عذر فيما سبق به القضاء المعلق
السابق سواء كانت المعصية صغيرة او كبيرة فكيف يعذر من (اوثقته) اى حبسته فى
الدنيا عن الخلوص من التبعات وفى الآخرة عن مقامه المكرم (من الذنوب) حال
متقدمة على صاحبها وهو (ديون) اى ديون تراكمت عليه ناشئة من كثرة ذنوبه وتفريطه
فى حقوق الله تعالى وحقوق عباده (شددت فى اقتضائها) اى فى طلبها منه (الغرماء) لان
حقوق الآدميين مبنية على المشاحة والمضايقة (ماله حيلة) اى طريق فى الخلاص من
تلك الديون (سوى حيلة الموثق) اى الاسير الذى صار لا يقدر على هرب ولا تخلص وحيلة
من هو كذلك تنحصر فى شيئين لا ثالث لهما الا انهما (اما توسل) الى الله تعالى فى خلاصه بما
سبق له من عمل خالص او بشفاعة الشافعين (او دعاء) اليه فى أن يرضى عنه غرماءه

(قوله وغوائل) اى دواهى

ويسبل عليه ذيل عفوه وحلمه ورضاه (راجيا) حال من عاص وضمائره المذكورة اى مؤملا املا قريبا (ان تعود اعماله السوء) عليه (بغفران الله) له مغفرة عامة لا تبقى عليه وصمة ذنب ولا تذره قسوة قلب (و) الحال ان تلك الاعمال (هى) فى جنب الغفران (هباء) اى مثله فى انها لا وجود لها اذ هو غبار يرى فى شعاع الشمس اذا دخلت عليه عند طلوعها من كوة (او) ان (ترى سيآتهم حسنات) منة عليه بما قدمناه فى ملك الامن تاب وآمن وعمل عملا صالحا فاولئك يبدل الله سيآتهم حسنات (ف) بسبب استحالة السيآت حسنات (يقال) عند رؤية ذلك (استحالت الصهباء) اى الخمر من الخمرية والنجاسة الى الخلية والطهارة فتشبيه السيآت بالخمر والحسنات بالخل استعارة مصرحة واثبات الاستحالة التى هى من لوازم المشبه به تخييلية (كل امرئ تعنى) اى تعتنى وتهتم أنت يارسول الله (به) وتلتفت اليه (تقلب الاعيان) جمع عين وهو الجسم وهو معنى تفسيرها بانه المبصر مستقلا بنفسه (فيه) بان تحول من صفتها التى لا تريدها الى الصفة التى تريدها (وتعجب البصراء) جمع بصير حسا ومعنى اى ذوو البصائر والبصر من ذلك القلب الخارق للعادة المشاهد بالابصار الذى لا يعارض بجحود ولا انكار وشاهده ما وقع لك فى ذلك الفعل اذ (رب) هى هنا للتكثير قاله الشارح (عين) من عيون الماء اى عيون كثيرة (تفلت) اى بصقت (فى ماء الملح) الذى لا ينساغ لاحد (فاضحى) ماؤها الملح (و) الحال انه (هو الفرات) اى العذب السائغ للشاربين او هو كالنهر المسمى بالفرات الذى هو احد الانهار الاربعة النازلة من الجنة كما صح به الحديث (الرواء) بالفتح اى الذى يحصل بقليله الرى الكامل لشاربيه قال الشارح فهو هو الفرات الرواء الجملة خبر أضحى انتهى وهو جار فى ذلك على مذهب الاخفش وتبعه ابن مالك تشبيها بالجملة الحالية لكن الجمهور انكروا ذلك وتأولوا الجملة على الحال والفصل على القلم ولعل نسخته بلا واو وقبل هو * (تنبيه) * لم ار لخصوص التفل فى ماء عين ملح فانقلبت عذبا فضلا عن كثرته التى قالها الشارح سلفا ويحتمل أن الناظم اخذ ذلك مما رواه ابو نعيم انه صلى الله عليه وسلم بصق فى بئر أريس ولم يكن بالمدينة بئر اعذب منها فوجود الاعذبية فى هذه ببركة بصاقه صلى الله عليه وسلم فيه امنزل منزلة ما ملح صار عذبا وفى حديث سنده حسن انه صلى الله عليه وسلم قدم المدينة وليس بها ماء يستعذب غير بئر رومة وهذا يقتضى أن ما عدا بئر رومة من بقية آبار المدينة كانت مياهها فيها ملوحة منعت الاستعذاب منها ومن جملتها هذه بئر اريس وقد صارت ببركة تفله صلى الله عليه وسلم فيها اعذب بئر بالمدينة فصار ماؤها الذى تقرر ان به ملوحة اعذب بئر بالمدينة فتحصل من هذا صحة ما قاله الناظم رحمه الله تعالى فتأمله ثم رأيت البغوى فى الصحابة عن بشر الاسلمى ان المهاجرين لما قدموا المدينة استنكروا الماء الحديث السابق فى بئر رومة فتعبيره باستنكارهم مياهها يدل على ان فيها ملوحة وما تقرر فى بئر اريس يدل على زوال ملوحتها بالكلية

(قوله تخييلية) فيه أن التخييلية انما تكون للمكنية لا للمصرحة (قوله كل أمرئ تعنى) قال فى المختار وعنى بحاجته يعنى بها على ما لم يسم فاعله عناية فهو بها معنى على مفعول ثم قال وفى الحديث من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه اى ما لا يهمه (قوله جمع عين وهو الجسم الخ) هذا بيان لمعناها الاصلى والا فالمراد بها هنا الصفات بقرينة قوله بان تحول صفتها الخ أو هناك مضاف محذوف اى صفات الاعيان (قوله اى الذى يحصل بقليله الرى الكامل لشاربيه) الذى فى القاموس أن الرواء بالفتح كسماء الماء الكثير المروى فمن أين أخذ الشارح التقييد بالقلة وقد يقال مراد الشارح الذى يحصل بقليله كما يحصل بكثيره فليس مراده اخراج غيره من مدلول الرواء فتأمل (قوله دار أنس) لعله بئر دار أنس (قوله ما قاله الناظم) لكن الكثرة التى صرح الشارح أنها معنى رب لم يظهر وجهها

قول المحشى قوله دار أنس الذى فى نسخ الشارح التى بايدينا بئر أريس فلعل ما كتب عليه المحشى وقع له فى نسخة

وانها صارت اعذب حتى من يترد ومنه ثم رأيت الشريشى شارح مقامات الحريرى ذكر
أن النبى صلى الله عليه وسلم تفل فى بئر اريس فعاد ماؤها عذبا بعد ان كان اجاجا وماذكره غير
صحيح فقد قال الحافظ الكبير الزين العراقى انه لم ير اصلا لحديث تفله صلى الله عليه وسلم
فى بئر اريس قال غيره ومن الغرائب قول العز بن جماعة صح انه صلى الله عليه وسلم تفل فيها
فخففنا ما قاله الشريشى لا اصل له ولا عند ابن جماعة لان فيه زيادة كونها انها كان اجاجا
فصار عذبا وهذا لم يقل فيه ابن جماعة ولا غيره ما له ورد فضلا عن كونه صح ولعل الناظم
رحمه الله رأى ذلك فى كلام مثل الشريشى ممن لا يعتد به فى الحديث فاعتقده ثم رأيت
الحافظ السيوطى ذكر ذلك بلا سند فقال وريقه صلى الله عليه وسلم يعذب الماء الملح انتهى
ويحتمل ان مراده كما يؤخذ من تعبيره بعذب لا باعذب ان ريقه صلى الله عليه وسلم فيه
قوة ذلك فلا يكون فيه دليل لما فى النظم اصلا واذ قد فرطنى ما سبقت الاشارة اليه فلا
يسعنى الا مزيد الندم والتوجع منه والتأوه عليه بان اقول على الدوام والاستمرار (آه)
كلمة توجع اى توجعى عظيم وتندمى زائد دائم (من) اجل (ما جنيت) على نفسى من
الذنوب وقبائح العيوب (ان) هى بمعنى اذ على حد وخافون ان كنتم مؤمنين وما قررته
ان ذلك التوجع يفيد الندم الوارد فيه عنه صلى الله عليه وسلم الندم توبة اى معظمها
المتكفل بباقيها كالحج عرفة (كان يغنى آه من عظيم ذنب) من اضافة الصفة
للموصوف (وهاه) اى مع صاحبها وهو التوجع المفيد للندم المفيد للتوبة كما مر ويصح
ان تكون اذ على حالها من الشك لانا وان سلمنا ان كلمة آه تفيد الندم لكن قبولها ظنى
لا قطعى على الاصح والثانى تتضمنه بانه يكفى فى كونها بمعنى اذ ان قبولها ظنى لان ظن
الوقوع ينافى وضع ان من التردد فيه ولما عرض بوقوع التوبة صرح برجائها المبين ان
الاهتمام بها منع من الاكتفاء بالتعريض فقال (ارتجى) أى أؤمل لحسن ظنى بربى
عملا بقوله صلى الله عليه وسلم فى الحديث الصحيح لا يموتن أحدكم الا وهو يحسن ظنه بربه
وبقوله تعالى انا عند ظن عبدى بى فلا يظن عبدى بى الا خيرا (التوبه) وهى الندم على
الذنب من حيث هو ذنب بخلاف الندم عليه لغرض آخر كاطلاع الناس عليه وصرف
دراهم فيه فان ذلك لا يعتد به والاقلاع عن المعصية بترك ملابسته فعلها من حيث الندم
عليها الا لغرض آخر أيضا وعزمه على أن لا يعود اليها ما عاش كذلك أيضا الا لنحو قطع ذكره
والخروج عن كل مظلمة عصى بها بقضاء ما عصى بترك أدائه فورا وبأداء ما عصى بأخذه
ظلما الى مالكه أو وكيله أو وارثه هذا ان قدر والا عزم عزما جازما انه متى قدر على
الخروج منه خرج منه لفوره والتوبة ولو من الصغائر واجبة اجماعا وتصح على الاصح
من ذنب دون ذنب وتصح على الاصح أيضا وان سبقها توبة من ذلك الذنب ثم عود اليه
وان تكرر ذلك (النصوح) أى التى لا يعود من حصلت له الى الذنب أبدا لوقوعها
خالصة عن كل شائبة من شوائب الحظوظ بان تكون لله وحده لا لغرض آخر ولو آخرويا

(قوله كان اجاجا) اى ملحا مرا كما فى المختار (قوله فى بئر اريس) بفتح الهمزة مصروف كما فى شرح مسلم (قوله ولعل الناظم الخ) اى داع لحمل الناظم على ذلك النظم بيتين دون حمله على ما بعد الندم أقيس على الوجه السابق (قوله آه) ويقال ايضا اوّاه واوه وكل اسم فعل بمعنى اتوجع (قوله وهو التوجع) على تقدير مضاف اى اسم اتوجع لان الها وهاه اسمان مع صاحبهما آه ومعنى آه اتوجع (قوله من التردد فيه) فيه أن مطلق التردد يشمل الظن فلا ينافى الا لوقلنا وضع ان للشك بمعناه المعروف فتدبر وهذا هو المشهور فى وضع ان بقرينة قوله على حالها من الشك وحينئذ فقوله من التردد المراد به خصوص الشك تأمل

كان تاب لاجل دخول الجنة فان ذلك لا يؤثر فى صحة أصل التوبة وانما يؤثر فى كمالها لانها مشوبة بغرض النفس بخلاف الخالصة لوجه الله تعالى قال الله تعالى وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين لكن أنى يفيدنى هذا الترجى (و) الحال انى متلبس بما قد ينافيها اذ (فى القلب نفاق) من حيث العمل باعتبار انه قد يبطن خلاف ما يظهر لا من حيث الاعتقاد لان ذلك لا يصدر الا ممن آمن بلسانه فقط (وفى اللسان) والاركان (رياء) أى نظر الى الخلق باعتبار ان ما يصدر منهما قد يكون فيه شوب نظر الى طلب رفق أو ثناء من مخلوق ومع ذلك لا اترك التوبة رجاء قبولها ولاجل ذلك قالت رابعة رحمها الله تعالى استغفارنا وان كان يحوج الى استغفار لا يوجب ترك الاستغفار (ومتى) للاستفهام التعجبى (يستقيم قلبى) بان لا يبقى فيه نظر الى ما يحجب عن الله تعالى من أهل أو مال أو جاه أو غير ذلك بل الى الله تعالى وحده (و) الحال انى قد وصلت الى حالة تدل على غلظ القلب وشدته وعدم قبوله الخروج عما جبل عليه من الغفلة واللهو وتلك الحالة هى انه حصل (الجسم اعوجاج من) اجل (كبرى) اى كبر سنى وهو عظمى من كبر بكسر الباء اى اسن (وانحناء) تقاسى وهو من عطف الرديف والاخص لان الاعوجاج يعم الاعضاء كلها والانحناء يختص بالقامة اذ هو تقوس الظهر وتبعد حينئذ الاستقامة بخلاف ايام الشباب فان العود رطب والقلب لين فادنى وعظ يؤثر فيه واقل زاجر يردعه عما هو متلبس به فيبادر الى التوبة سريعا وانما أخرت التوبة الى هذا الزمن لانى (كنت فى نومة الشباب) التى تكثر فيها الغفلات وتتوالى على اهلها الهفوات فاستحكمت غفلتى حتى صرت كالنائم المستغرق الذى لا يفيق من نومه الا بمحرك قوى (فما استيقظت) من تلك الغفلة فى حال من الاحوال (الا و) الحال ان (لمتى) أى لحيتى (شمطاء) اى اختلط سوادها ببياضها وما تقرر فى زمن الشباب اولا انه محل قرب التوبة والانزجار بادنى وعظ وهنا انه محل الغفلات والهفوات لا تنافى بينهما لانه وان كان محل الهفوة والزلة لكن صاحبه يتنبه سريعا الى زلاته ويرجع عنها حالا كما ان العود الرطب يستقيم اعوجاجه بادنى عمل بخلاف زمن الشيخوخة فانه زمن الامساك عن كل هفوة وزلة لكن صاحبه المرتكب للمعاصى الى ان شاب يعسر عليه الرجوع والتوبة فورا لان عوده قسا وصلب فلا يتقوم اعوجاجه الا بعد الياس ويشهد لذلك الحديث ان قيل لك ان جبلا تحول عن مكانه فصدق وان قيل لك ان انسانا تحول عن طبعه فلا تصدق (و) حينئذ

(قوله واستغفارنا الخ) قال الغزالى فى الاحياء الاتقل ان رابعة تذم حركة اللسان بالاستغفار من حيث انه ذكر الله تعالى بل تذم غفلة القلب فهو محتاج الى الاستغفار من غفلة قلبه لا من حركة لسانه فان سكت عن الاستغفار باللسان ايضا احتاج الى استغفارين لا الى استغفار واحد قال وهذا معنى قول القائل الصادق حسنات الابرار سيآت المقربين وقوله القائل الصادق ربما يوهم انه حديث وليس كذلك بل هو من كلام شيخ الطائفة الجنيد كما فى فتاوى شيخ الاسلام الحديثية وفى طبقات الاولياء للمناوى فى ترجمة الجنيد (قوله من كبرى) عبارة المصباح الكبر فى السن وقد كبر الرجل يكبر كبرا وزان تعب اى اسن ومكبرا ايضا بكسر الباء يقال علاه المكبر والاسم الكبرة بالفتح يقال علت فلانا كبرة وكبر بالضم يكبر أى عظم فهو كبير وكبار فاذا أفرط قيل كبار بالتشديد والكبر بالكسر العظمة وكذا الكبرياء وكبر الشئ أيضا معظمه قال تعالى والذى تولى كبره وفى القاموس كبر كبرا كعنب وكبرا بالضم وكبارة بالفتح نقيض صغر فهو كبير وكبار كرمان ويخفف ثم قال وكبر كفرح كبرا كعنب ومكبرا كمنزل طعن فى السن ثم قال وكبر ككرم عظم وجسم انتهى المراد منه (قوله كنت فى نومة الشباب) شبه غفلته فى حال شبابه بالنومة بجامع عدم الانتفاع والاحتياج الى موقظ بل بجاب الانتفاع على طريق الاستعارة المصرحة (قوله والحال ان لمتى) قال فى المصباح اللمة بالكسر الشعر اذا لم يجاوز شحمة الاذن والجمع لمم ولمام فاذا جاوز شحمة الاذن فهو جمة بالضم هذا يقتضى ان المنتشر الرأس الموصوف بها كر لا انها اسم اللحية كما صنع الشارح (قوله ويشهد لذلك الحديث الخ) ليس فيه ما يفيد الفرق بين زمن الشباب وزمن الشيخوخة فتدبر

بلغت هذا السن الذى تعسر فيه التوبة كما تقرر (تماديت) اى طالبت ان (اقتفى) أى اتبع (أثر القوم) الصالحين السابقين الى المراتب العلية والفائزين بنيل المآرب السنية (فطالت) على (مسافة) بينى وبينهم لبعد الدرجات التى فازوا بها (واقتفاء) لاعمالهم واخلاقهم لانهم استغرقوا فيها أوقاتهم وانقطعوا الى الله تعالى عن كل غفلة وتبعة (ذ) بسبب طول المسافة التى بينى وبينهم (وراء) خبر مقدم (السا رين) أى السائرين ليلا من السرى وهو السير ليلا وعدل اليه عن ورائهم الذى هو القياس لتفيد انهم أحيوا ليلهم بالعبادات وامتازوا فيه بلذيذ المناجاة (وهو) أى ذلك الوراء (امامى) جملة معترضة للتصريح بما علم من قوله اقتفى الخ انه مع طول المسافة بينه وبينهم وتعذر اتباعه لهم صار بينه و بينهم موانع ايضا (جبل) مبتدا مؤخر اى طرق (وعرة) اى يعسر سلوكها الان اولئك القوم كلفوا تقويمهم من الاعمال والخلق بكرائم الاخلاق والاحوال ما اوجب لغيرهم عدم اللحوق بهم لعدم قدرتهم على القيام بما قاموا به اولئك (وارض عراء) بفتح اوله اى فضاء واسعة (حد) اولئك القوم (المدلجون) اى السائرون من اول الليل او اكثره والقياس حدوا ايضا فعدل الى الاظهار ليبين انهم على فرقتين منهم من يحيى بعض الليل ومنهم من يحيى كله او اكثره وهذا القسم الثانى افضل واكمل لانهم أو اما تجديده حدهم عالم يرمن قبلهم (غب) اى عاقبة (سراهم) من الفوز برضا الله تعالى وقربه والاطلاع على حقائق معرفته والفتح بشهوده وهذا مقتبس من قولهم عند الصباح يحمد القوم السرى (وكنى من تخلف) عنهم فى سيرهم وهذا راجع لقوله فوراء السائرين وقوله حمد راجع لقوله السائرين ففيه لف ونشر مرتب (الابطاء) اى التأخر فى السير المفوت لادراك منازلهم وفى ذكر هذا ايماء الى غاية التحسر والتألم بذكر مثالهم التى حمد واعقباها وفاتته لعجزه عن ادراكها المطلوع عليه مما لا يوصله الى ذلك الغرض لبعده عن تلك الطائف وتقاعده عن بلوغ المعارف كيف وما هم عليه من الجد فى السير الى الله تعالى (رحلة) عظيمة عن مواطن الشهوات ومواطن الشبهات وقبائح الارادات وقواطع البطالات ورحلتهم هذه مبنية على ان التقسيم فيها لانى (لم يزل يفندنى) اى يكذب على او يضعف رأيى (الصيف اذا ما) زائدة (نويتها والشتاء) كذلك اى اذا جاء الشتاء اوى الى الصيف لان الشتاء يكثر فيه البرد والثلوج والامطار فيعسر السير فيها واذا جاء الصيف اقول اصبر بها الى الشتاء لان الاعمال تتيسر فيه اكثر ومن ثم قال النبى صلى الله عليه وسلم الشتاء ربيع المؤمن طال ليله فقامه وقصر نهاره فصامه وفى سنده من ضعفه جماعة ووثقه آخرون والارجح توثيقه فى هذا السند بخصوصه ومن ثم صححه ابن خزيمة ويشهد له احاديث منها مرحبا بالشتاء فيه تنزل الرحمة اما ليله فيطول للقائم واما نهاره فيقصر للصائم وحديث لم ينزل قط عذاب من السماء على قوم الا عند

(قوله وهو السير ليلا) عبارة القاموس السُّرى كالهُدى سير عامة الليل انتهى وذلك أخص مما ذكر. الشارح (قوله أحيوا ليلهم) أى عامة ليلهم كما آفادته عبارة القاموس فيحمل عليه قوله أولا وهو السير ليلا بأن يراد عامة ليل وعليه تتساوى عبارته عبارة القاموس (قوله والقياس حدوا) أى القوم (قوله منهم من يحيى بعض الليل) أى قليلا منه لان احياء أكثره وصف الفرقة الاولى من الفرقتين السارين والمدلجين هذا والذى يفيده كلام الشارح الراجع للقاموس كما سبق ان القوم اما سارون أو مدلجون وان السارين هم الذين أحيوا معظم الليل وان المدلجين هم الذين أحيوا كل الليل أو أكثره وينبغى ان يراد هنا احياء كله ليحصل التغاير بين الفرقتين فيراد بالفرقة الاولى التى أحيت معظم الليل وبالثانية التى أحيت كله وأما الفرقة التى أحيت بعض الليل أى اقل من معظمه فلم تستفد من كلام الناظم اذ ليس من مدلول السارين ولا من مدلول المدلجين كما عرفت فهذه الفرقة الثالثة هى الفرقة المتمادية فى السير المتخلفة عن اللحوق التى جعل الناظم نفسه منها تواضعا رضى الله عنه

(قوله اى يكذب على) كان الظاهر يكذبنى قال فى القاموس وفنده تفنيدا كذبه وعجزه وخطأ رأيه كافنده

انسلاخ الشتاء وهما اوجب ابطائى عن تلك الرحلة انه (يتقى حر وجهى) وهو ما يبدو من الوجه (الحر والبرد) باتقائه عنهما خوفا من مشقتهما وهما كنايتان عن مشقة العبادة فى الشتاء والصيف كما ان ما فى البيت الذى قبله كذلك (و) الحال انه (قد عز) اى صعب على (من لقى) اى جهنم متعلق بقوله (الاتقاء) لانى متلبس بما يؤول بى اليها الا ان يتغمدنى الله برحمته ولاجل هذا (ضقت ذرعا) بالمعجمة (من) اجل (ما) موصولة او مصدرية (جنيت) اى ضعفت طاقتى عن ان تحمل وزره ولم اجد من يخلصنى من ثقله واصل الذرع الخلق (فيومى قمطرير) اى شديد وهذا كذكر عز والرحلة والصيف والشتاء وضقت ذرعا فيه اقتباس من الآيات المذكور فيها ذلك وتلميح الى ما فيها من القصص (وليلى درعاء) بالمهملة اى مظلمة كناية عن شدة ما يلقى فيها واصل الدرعاء التى يطلع قمرها عند الفجر ومراده ان ذلك الضيق ملازم له نهارا وليلا لا ينفك عنه فى واحد منهما * (تنبيه) * وقع للشارح انه قال الليلة الدرعاء بالمهملة ليست من الليالى البيض بل هى احدى الليالى الثلاث التى تلى الليالى البيض وليس بصحيح وعبارة القاموس وليلة درعاء يطلع قمرها عند الصبح وليالى درع بالضم وكصرد الثلاث التى تلى البيض لاسوداد اوائلها وابيضاض سائرها انتهت ففيه التصريح بان الدرعاء ليست من احدى تلك الثلاث وان تلك الثلاث لها وهى جمع معنى غير المفرد وتوهم الشارح ان الجمع اذا كان معناه ذلك لزم انه معنى المفرد وهو ايهام ان كانت درعاء مفرد تلك الجمع وعبارة القاموس صريحة فى خلاف ذلك لانه فسرها بمعنى غير معنى الجمع فتأمله (و) لكن خفف عنى ذلك انى (تذكرت رحمة الله) اى سعتها التى دل عليها قوله تعالى ورحمتى وسعت كل شئ وانها سبقت غضبه كما دل عليه الحديث الصحيح ان الله كتب كتابا فهو عنده فوق العرش ان رحمتى سبقت غضبى اى ان مظاهر الرحمة غلبت مظاهر الغضب وهذه العندية عندية الشرف والمكانة لا المكان لتعاليه تعالى عنه علوا كبيرا (ف) بسبب ذلك (البشر) اى الفرح والسرور (لوجهى) متعلق بخبر البشر وهو تلقاء وهذا اولى من جعل الشارح لخبرا وتلقاء خبرا ايضا (انى) اى فى اى مكان (اتجه) اى اتوجه (تلقاء) اى مقابلا اى فالبشر مقابل لوجهى فى اى مكان توجهت اليه لانى مستشعر لسعة الرحمة ومعول عليها مع نظرى الى قول الصادق المصدوق الذى لا ينطق عن الهوى عن ربه انا عند ظن عبدى بى فلا يظن بى الا خيرا (ف) بسبب تذكرى لما جنيت المقتضى لمزيد الخوف ولسعة الرحمة المقتضية لسعة الرجاء (الخ) اى آلام (الرجاء والخوف فى القلب) فهما على حد سواء كما هو الراجح عند أئمتنا ان الانسان ما دام صحيحا فليكن رجاؤه وخوفه مستويين وقيل يغلب الرجاء لئلا يغلب عليه داء اليأس من رحمة الله وقيل يغلب الخوف لئلا يغلب عليه داء الامن من مكر الله وردهما انهما اذا استويا أمنت غلبة أحدهما فلا محذور يخشى حينئذ بخلاف غلبة أحدهما فانه يخشى منه المحذور الذى فى

(قوله ان الله كتب كتابا) يحتمل انه اللوح المحفوظ ويحتمل انه غيره وقوله فهو عنده فوق العرش اى فى محل عظيم (قوله اى ان مظاهر الخ) اشار بذلك الى جواب ما قيل ان الرحمة والغضب يرجعان الى صفتين من صفاته تعالى وهما الاحسان والانتقام او ارادتهما وصفات الله المتعلقة بذاته لا ترتيب فيها ولا سبق لبعضها على بعض وحاصل الجواب ان المراد بسبق الرحمة غلبة مظاهرها من المخلوقات وكثرتها على مظاهر الغضب تأمل (قوله تلقاء) المصادر انما تجيء على التفعال بفتح التاء كالتذكار والتكرار ولم يجئ بالكسر الا حرفان وهما التبيان والتلقاء

مقابلها أما المريض فيغلب الرجاء لقوله صلى الله عليه وسلم لا يموتن أحدكم الا وهو يحسن
الظن بالله تعالى اي يظن انه يغفر له ويرحمه (والخوف والرجا) اذا توارد على القلب
(احتفاء) اي استقصاء ومنازعة لتضاد مقتضاهما اذ مقتضى الخوف اعتراء شدة وحصر
النفس لا يطاق لان من لازمه الكف عن كل محرم بل وشبهة بل وعن ما فضل عن حاجته
من الحلال كما هو شأن الزاهدين اذ لم يحملهم على ذلك الا عظيم خوفهم ولو من هول
السؤال ومقتضى الرجا بسط النفس وانشراحها لان من لازمه استحضار سعة الرحمة
وان الذنوب وان كثرت وعظمت يغفرها الله تعالى ويتجاوز عنها بكرمه واذا تضاد
مقتضاهما لزم ان كلا يستقصي في مقتضاه ضد ما يستقصيه الآخر لكن قد تقرر ان
الاولى الصحيح ان يستوي عنده المقتضيان لئلا يغلب أحدهما فيخشى منه المحذور السابق
آنفا ومن ثم قال ناهيا عن غلبة الخوف المقتضي لليأس (صاح) اي يا صاحبي وفيه نوع
تجريد اذ الاصل يا نفسي (لا تأس) من رحمة الله (ان ضعفت عن) الدأب في (الطاعة)
لضعف همتك وغلبة بطالتك وايثارك الراحة وغفلتك عن أهوال القيامة (واستأثرت)
اي انفردت (بها الاقوياء) بالهمة والنشاط وقهر النفس وتجريعها المكروهات حتى
تدربت عليها فصارت عندها من الذ مألوفاتها وأعظم مشتهياتها (ان) فيه شائبة تعليل
النهي عن اليأس ان ضعفت عن الطاعة (لله رحمة) عظيمة ادخرها لبعض عباده ثم
القوي والضعيف والشريف والوضيع (وأحق الناس منه) متعلق بقوله (بالرحمة
الضعفاء) أي الذين لا يعولون على أعمالهم ولا يغترون بأحوالهم مع قيامهم بالاعمال الا بمنه
واخلاصهم لله في عبادتهم فهم أقوى نية في العبادة وابعد من الرياء فربما حصلت لهم
بسبب ذلك نفحة سبقوا بها الاقويا وفي الحديث القدسي انا عند المنكسرة قلوبهم من
أجلي اي لان مطلوبهم رضاي ومعتقدهم انه لا عمل لهم ومما يؤيد ذلك قوله صلى الله عليه
وسلم في منامه الذي رآه لابي بكر وعمر فيما يتعلق بخلافتهما وقرب مدة خلافة أبي بكر وطول
مدة خلافة عمر اثبت لابي بكر مع انه أفضل الناس بعد الانبياء عليهم الصلاة والسلام نحو
ذلك الضعف فقال بعد ان بين انه على بئر وانه نزع منها دلوا وان أبا بكر أخذها منه فنزع
بها دلوا أو دلوين وفي نزعه ضعف والله يغفر له ضعفه فهو ليس ضعف يقين ولا عمل وانما هو

(قوله فيغلب الرجاء) فائدة كان الشبلي يقول انما تصفر الشمس عند الغروب لانها عزلت عن مكان التمام فاصفرت لخوف
المقام وهكذا المؤمن اذا قرب خروجه من الدنيا اصفر لونه لانه يخاف المقام واذا طلعت الشمس طلعت مضيئة منيرة وكذلك
المؤمن اذا خرج من قبره خرج ووجهه مشرق مضيء (قوله احتفاء) بالحاء المهملة (قوله من رحمة الله) مع قوله فيما يأتي النهي
عن اليأس غير مناسب تفسير المتن به ٣٢٨ لان تأس من الاسا وهو الحزن وما ذكره الشارح بيان لليأس والاياس يقال
يئس وايس بمعنى قنط فكان
الظاهر ان يقول في البيان اي
لا تحزن حزنا يؤدي لليأس اي
القنوط من رحمة الله للنهي عن
اليأس الخ تأمل (قوله واستأثرت
بها) اي بكثرتها (قوله ادخرها
الخ) أخرج الطبراني عن معاوية
ابن حيدة عن النبي صلى الله عليه
وسلم انه قال ان الله عز وجل خلق
مائة رحمة رحمة بين خلقه
يتراحمون بها وادخر لاوليائه
تسعة وتسعين اه من البدور
السافرة للسيوطي وظاهر ان مراد
الشارح بالرحمة المدخرة العامة
لمن ذكر هي الرحمة التي ذكرها
في الحديث بين خلقه (قوله اي
الذين الخ) نظر مع سياق الكلام
ومقتضى المقام اه طبلاوي
اي لان المقام والسياق يقتضيان
تفسير الضعفاء بالقليلين الاعمال
ويجاب بان ذلك أشار اليه بقوله
مع قيامهم الخ ويزيد بان محل
كونهم أحق بالرحمة من الله مع
قلة أعمالهم ان اتصفوا بما ذكر
(قوله والله يغفر له) المشهور في
الصحيح ان هذا الكلام مقول في الصديق رضي الله عنه وفي رواية انه مقول في عمر رضي الله عنه وعلى كلا الروايتين ضعف
فليس في ذلك تنقيص لمن قيل فيه ذلك ولا اشارة لذنب وانما هي كلمة كان المسلمون يدعمون بها كلامهم ونعمت الدعامة وفي
الحديث الصحيح كان المسلمون يقولون افعل كذا والله يغفر لك وهذا كعادة العرب في قولهم تربت يمينك وقال بعضهم هنا
إخبار منه عليه الصلاة والسلام بان الله قد غفر له وجازاه على القيام بامر الامة على أتم الوجوه وقال القاضي ابن العربي
لما رأى عليه الصلاة والسلام مدة الصديق قصيرة قال والله يغفر له اي يرضى عنه ويعطيه ثواب أطول مدة وأكثر عمل

ضعف انكسار وافتقار وفى الحديث ان الله لا ينظر الى الصور انما ينظر الى الاعمال والقلوب اى لا الى الاعمال فقط بل لما يصحبها في القلوب من اخلاص وافتقار أو ضدهما ثم استدل على ان الضعيف قد يحصل له مالا يحصل للقوى بمثال ظاهر في الوجود فقال (فـ) بسبب الاحقية المذكورة للضعفاء (ابق في) الضعفاء المشبهين بنحو (العرج) جمع اعرج وهو من برجله ما يمنعه من استقامة المشى (عنه منقلب الذود) اى رجوعه الى ربه وهو جماعة الغنم كذا وقع للشارح وهو سبق قلم سرى اليه من تعبير النهاية بقوله والقفلة مؤنثة لا واحد لها من لفظها كالغنم اه فتوهم ان قوله كالغنم راجع الى قوله والذود من الابل ما بين الخمس الى التسع وقيل ما بين الثلاث والعشر والقفلة مؤنثة لا واحد لها من لفظها كالغنم فهذا صريح في ان التشبيه انما هو في انه لا واحد له من لفظه لا غير وعبارة القاموس وثلاثة ابعرة الى العشرة أو خمس عشر أو عشرين أو ثلاثين أو ما بين الثنتين والتسع مؤنث ولا يكون الا من الاناث وهو واحد وجمع أو جمع لا واحد له او واحد جمع أذواد وقولهم الذود الى الذود ابل يدل على انها في موضع اثنين لان الاثنين الى الاثنين جمع انتهت (فى العود تسبق العرجاء) اليه فتقوز منه بما مولها فتأخرها أوجب لها السبق فكذلك تأخرك عن كثير من الطاعات ربما أوجب لك سبق المكثر منها لانه قد يحصل لك من الذل والافتقار والاخلاص ما يضعف تأخرك بخلاف المكثر قد يصحبه من العجب والافتخار ما يوجب تأخره ومن ثم قال العارف المحقق التاج بن عطاء الله رحمه الله رب معصية أورثت ذلا وانكسارا خير من طاعة اورثت عزا واستكبارا واعلم انه لم يجعل ذات المعصية خيرا من ذات الطاعة بل لا يتوهم ذلك من كلامه وانما الذى أفاده ان المعصية قد يصحبها وصف خير من الوصف الذى صحب الطاعة فيكون ذلك مقتضيا لعدم المؤاخذة بوصمة تلك وهذا مقتضيا لسقوط هذه وعدم الاعتداد بها فكذلك كلام الناظم هنا وفيما قبل يتنزل على هذا فتنبه واذا تأخرت عن الطاعة لضعفك عنها فالازم الذلة والانكسار و (لا تقل) حال كونك (حاسد الغيرك) الذى أكثر منها اى متميزا وال نعمة التوفيق عنه (هذا) القوى بسبب قوته (اثمرت نخله) اى كثرت أعماله فتشبيهها بالنخل استعارة مصرحة وذكر الاثمار ترشيح وآثر التشبيه بالنخل لان النخلة أفضل الشجر لانها خلقت من فضل طينة آدم ومن ثم قال صلى الله عليه وسلم اكرموا عماتكم النخل ولاجل هذا اشابهت الآدمى في كثير من صفاتها الحسية والمعنوية كما لا يخفى (ونخلى) اى أعمالى (عقاء) بالفتح اى كالتراب لا ثمرة لها ولا يعتد بها بسبب ضعفى لانك حينئذ تعترض على الحكيم في فعله وتخصيصه لكل منكما بما أراده وقدره ومن ثم كان الحسد كفرا لنعمة المنعم ويأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب وخرج بحاسدا المنصرف الى الحسد المذموم الحسد المحمود المسمى بالغبطة وهو ان تتمنى ان يكون لك من النعم والخيرات مثل ما لغيرك مع بقائها له فهذا مطلوب كما أشار اليه صلى الله عليه وسلم بقوله

كالهباء فقد ورد كما في الاحياء حبذا نوم الاكياس وفطرهم يغبنون سهر الحمق وصيامهم ومثقال ذرة من صاحب تقوى ويقين أفضل من ملء الارض من أعمال المغترين اه وقد بين في حديث الكيس والاحمق حيث قال صلى الله عليه وسلم الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والاحمق من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله وقوله يغبنون اى يغلبون (قوله رب معصية الخ) وقال العارف بالله الشاذلى رضى الله عنه كل شهوة تدعوك الى الرغبة في مثلها فهى عدة الشيطان وسلامه وكل شهوة تدعوك الى طاعة الله والرغبة في سبيل الخير فهى محمودة وكل حسنة لا تثمر نورا أو علما في الوقت فلا تعدلها أجرا وكل سيئة اثمرت خوفا وهربا الى الله ورجوعا اليه فلا تعدلها وزرا اه ومن مقام العارفين ما حكى عن الامام أبي محمد النيسابورى انه دخل المسجد مرة يعتكف في رمضان فرأى المتعبدين يجتهدون والقرا يقرؤن فقطع الاعتكاف وخرج فقيل له في ذلك فقال لما رأيت تعظيمهم بعباداتهم واعتمادهم عليها دون الله لم يسعنى الا الخروج خوفا من نزول البلاء عليهم (قوله كالتراب) فالعفاء التراب قال صفوان بن محرز اذا دخلت بيتى فأكلت رغيفا وشربت عليه ماء فعلى الدنيا العفاء اه من المختار

لاحد الا في اتقين الحديث واحذران تتكل على رجائك فقط من غير عمل فانه لا ينفع رجاء
الامع عمل ومن ثم قالوا كل رجاء لم يصحبه عمل فهو غرور وبل مع رجائك اجتهد (وأت
بالمستطاع من عمل البر) امتثالا لقوله تعالى فاتقوا الله ما استطعتم الناسخ على ما قيل لقوله
تعالى اتقوا الله حق تقاته فانه صلى الله عليه وسلم لما فسر هذا بان يعبد الله فلا يعصى
ويذكر فلا ينسى ويشكر فلا يكفر قالوا اينا يطيق ذلك فنزلت تلك مبينة لهم ان المطلوب
انما هو ما يقدرون عليه دون ما عداه ويصح ان تكون تلك مبينة للمراد من هذه فلا نسخ
وهو أولى فقد ينتج القليل ما لا ينتجه الكثير واسطة مزيد اخلاص وانكسار (ف) كما
انه (قد يسقط الثمار) الكثيرة أو النفيسة (الاتاء) اى النخل الصغار اذا اخلصت ارضه
وزادر به وخصبه ولا يسقط ذلك الكبار فكذلك أنت قد تفوز بسبب ضعفك بالمعنى
السابق بما لم يحرزه القوى الناظر الى قوته وتمسه فى كلامه هنا وفيما مر تمثيل وتذييل
وهو من ارق فنون البلاغة والطف طرق البراعة وتفسيرا الاتاء بالنخل الصغار وقع فى
كلام الشارح ولم يبين ضبطه اهو بفتح الهمزة أو كسرها ولا انه بالمثناة أو المثلثة ولم أر
فى القاموس هذا الذى ذكره الشارح وانما الذى فيه الاتاء بالفوقية ككتاب تفسيره
بما يخرج من الشجر والثمار وفى الاثاء كاثاء بالمثلثة تفسيره بالحجارة والماشية وهذا يمكن
تنزيل كلام الناظم عليه اى ان النخلة اذا طالت وصعب عليك رقيها فقد يمكنك ان تسقط
بعض ثمرها بضربة حجر واعلم ان أفضل الاعمال واسرعها انتاجا واعظمها وسيلة هو
مزيد محبة نبينا صلى الله عليه وسلم فانها سبب لكل خير دنيوى واخروى (و) حينئذ فعليك
ان تكون ممن امتلأ قلبه (بحب النبى) صلى الله عليه وسلم امتثالا لقوله تعالى قل ان كنتم
تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله وقوله صلى الله عليه وسلم لا يؤمن أحدكم حتى أكون
أحب اليه من ماله وأهله وولده والناس أجمعين ومر الكلام على ذلك قريبا بما ينبغى
مراجعته واذا اتصفت بهذه المحبة (فابتغ) أى اطلب (رضا الله فى حبه الرضا) من الله
تعالى المنعم عالبس فى الحساب (والحباء) اى العطاء منه تعالى بجميع المنح الدنيوية
والاخروية كالتوفيق للاعمال الصالحة والفوز بالمقامات العلية فكن على رجاء من ذلك
اذا طلبته بحبه صلى الله عليه وسلم فانها اتم الوسيلة فاتبعونى يحببكم الله ثم عاد الى
الضراعة واظهار المسكنة والضعف وابداء التحسر والتحزن والاستغاثة بمن لا يخيب
المستغيثين به فقال مؤملا انه ببركة توسله به يتخلص من فرطات ذنوبه (يا نبى الهدى) اى
الدلالة على الله بالنسبة للكل ومنه وانك لتهدى الى صراط مستقيم والايصال اليه بالنسبة
للمؤمنين ومنه انك لا تهدى من أحببت ولكن الله يهدى من يشاء (استغاثة) بالرفع خبر
مبتدا محذوف اى مسؤلى وهى نداء من يخلص من شدة أو يعين فيها والنصب مفعول
مطلق اى استغيث بك استغاثة اى انادينك نداء (ملهوف) اى مضطر متحسر محتاج الى
من ينقذه مما يهلكه (اضرت بحاله الحوباء) اى مسكنة ذنوبه وضعف همته وذلك لانه

(يدعى الحب) لله ورسوله (وهو) اى والحال انه يصدر منه ما يكذب دعواه من مخالفتهما لانه لايزال (يأمر) نفسه أو غيره (بالسوء) اى الاثم فعلا وتركا والمخالفة تنبئ عن عدم المحبة كما هو واضح لمن تأمل قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ولهذا أشار الى تنبيه ان يصدق فى دعواه محبتهما فقال (ومن) استفهامية اى من الذى يتكفل (لى) فيه التفات (ان تصدق) منى (الرغبة) اى العزيمة المصممة فى الرجوع الى الله تعالى بالتوبة والعمل الصالح وادعاء الحب مع ظهور ما يكذبه تقص أى تقص ومما يكذبه أيضا دوام الغفلة عن محبوبه حتى انه لايرى باله ولا فى النوم ومن هذا قال (اى حب يصح منه) التفات (و) الحال ان (طرف) التفات (الكرى) اى النوم (واصل) لا ينقطع النوم عنه فى وقته وليس هذا شأن المحب (وطيفك) اى خيالك (راء) اى محتجب عنى كما احتجب الراء عن واصل بن عطاء الرجل المشهور ولانه هجر ما فيه الراء فلم يتكلم قط بكلمة فيها راء بل يعبر بمرادفها أو مقاربها خشية من ان يعير بلثغته بالراء فصار هجر الشئ المستمر يمثل عندهم بهجر واصل للراء ففى النظم التورية لان واصلا بالتنكير الكرى اسم فاعل والراء اسم علم وتلميح لانه أشار الى قصة واصل المشار اليها وفيه الاستفهام الانكارى اى كيف تصدق محبتى وانا مواصل الكسل والنوم سلمنا ان مواصلة النوم لاتؤثر فى المحبة لانها أمر وجدانى فكيف تجتمع عدم خطور خيال المحبوب بالضمير يقظة ولا فى حالة النوم وهذا ينافى المحبة كما هو محسوس لاستلزامها ان طيف المحبوب لايغيب عن مخيلة المحب نوما ولا يقظة ثم قد يتخلف هذا الاستلزام لمانع ولذا تردد مع ما قدمه فى ان فقد خطور الطيف هل هو لذلك أو لغيره فقال (ليت شعرى) اى ليتنى علمت (أذاك) اى اعدم خطور طيفه بقلبى (من) أجل (عظم ذنب) وقع منى وهو الظاهر (أم حظوظ المتمين) اى المحبين (حظاء) جمع حظوة بالكسر والضم وهى المكانة والقياس فى الجمع الضم والكسر كعروة وعرى وبين حظوظ وحظاء الجناس المطلق اى انصباؤهم من المحبوب متفاوتة فبعضهم يحظى بالقرب من غير كثير عمل وبعضهم لا يحظى به مع كثرة العمل (ان يكن عظم زلتى) التى ارتكبتها (حجب رؤياك) اى رؤيا طيفك عنى فى النوم التى فقدتها (فقد عز) اى قل (دواء) اى قل بل عدم الدواء الذى يكون لمرض قلبى فلا يوجد لشفائه وجه لانه لا يوجد الامن جنابه صلى الله عليه وسلم فان فرض انه آخذنا بعظيم ذنبه لم يكن لاحد غيره ان يتقدمه ثم هذا التردد فى وجوه المحبة الذى سبق اتى به اعلاما بالخوف وان الانسان على مدرجة ان يؤاخذ بذنبه وان كان عبا لايزال محبته بل هى باقية وربما وفى محبوبه واسع وان كانت ذنوبه كثيرة حينئذ (كيف يصدا) اى يسود (ب) سبب (الذنب) الذى ارتكبه ذلك المحب (قلب محب) لك (و) الحال (له) اى لقلبه متعلق بجلاء (ذكراك) مضاف للمفعول اى ذكره لك بالصلاة والسلام عليك وسؤال الوسيلة وغيرهما مما يعود عليه وعليك بزيادة القرب فان الخلق كلهم مفتقرون اليك ويصح للفاعل اى ذكرك له

(قوله وأنا مواصل الكسل) هو عدم انبعاث النفس للخير وقلة الرغبة فيه مع امكانه (قوله عظم ذنب) قال فى المختار عظم الشئ بوزن تفضل أكثره ومعظمه (قوله عظم زلتى) اى ان يكن غاية عظم زلتى حجب الخ (قوله جلاء قلبى) اى جلاؤه (قوله كيف يصدأ بالذنب الخ) اعلم ان السالك مع ربه بحسب تجلياته سبحانه عليه فلا يدوم على حالة فتارة يرى الذنوب فيقتصر على ما سلف منه من ارتكابها وتارة يرى النعمة فيشكر ولا يرى لنفسه قدرا

(الجميل) العائد على الذاكر بما لم يكن فى حسابه (جلاء) ولما غلب على ظنه ما أشار اليه التردد فيه بان فى قوله ان يكن الخ من ان سبب حجب الرؤيا عنه عظيم ذنبه صرخ كما يصرخ من وجد آخذ ماله أو قاتل أبيه بعد يأسه منه فقال (هذه على) التى قد أضلت جسمى وادهشت لبى لا غيرها (و) الحال انك (أنت طبيبى) العالم بها الماهر فى ازالتها فانه ليس يخفى عليك فى القلب داء وانت لا أحد من الخلق أكرم ولا أحلم منك فعجل لى بدواء يحقق المحصل للشفاء من وصمة جميع ما هنالك فان شفاعتك لا ترد والمتوسل بك لا يخيب (و) انما رفعت اليك قصتى وشكوت اليك قلة حيلتى مما جنيت على نفسى لان (من الفوز) اى النجاة والظفر لمثلى بجميع المطلوبات التى لا فوز اعظم منه (ان ابثك) من بث وابث نشر واظهر (شكوى) هى الاخبار عن النفس أو الغير بسوء فعله لكن هذه انما (هى شكوى) من نفسى (اليك) لا الى غيرك اى انشر واظهر بين يديك فى ضمن مدحى اياك ما كاد ان يهلكنى من عظيم ذنوبى وقبيح عيوبى رجاء ان تمنحنى بنظرة تزيل عنى كل وصمة وتوجب لى منك كل رحمة لان رجائى فيك واسع ومحبتى لك متزايدة (وهى) اى تلك الشكوى الواقعة فى ضمن ذلك المدح البديع (اقتضاء) اى طلب من كرمك الواسع وفضلك الهامع ان اتخلص من تلك الورطات واتحصن بوائق سائر الورطات وان يحصل لى الشفاء من جميع الادواء فان بابك متكفل بكل مطلوب ومحقق لكل مسؤل ومرغوب لا سيما لخادم حضرتك العالى فى محبتك كيف وقد (ضمنتها) بالبناء المفعول اى تلك الشكوى لتقبل وتعود على بركة قبولها بما هو المقصود منها بالذات (مدائح) لجنابك بديعة جمع مدحة اى كلام متضمن للثناء الجميل الذى هو المدح المباين للحمد أو المرادف له أو الاعم منه أو الاخص منه أقوال مرت (مستطاب) بالرفع صفة مدائح الذى هو نائب الفاعل (فيك منها) اى من تلك الشكوى متعلقان بما قبلهما أو بعدهما ومن تبعيضية (المديح) لك (والاصغاء) من سامعها اليها لان أوصافك الكريمة زينتها فصارت بها فى غاية الكمال التى يشنف الاسماع ويجلو عيون أرباب القلوب والبقاع ومن استطابتك لذلك المديح ان الله تعالى يسر على فى هذه القصيدة البديعة ببركة التجائى اليك اذ (قل ما) مصدرية (حاولت) تلك الشكوى (مديحك) اى لا ابرز معنى فيه لم أسبق اليه أو أسلوبه من أنواعه اللائقة بك والمطلوب فيها ان تجرى على اعلى سنن البلاغة وقانون البراعة (الا ساعدتنا ميم والوجاء) اى مسمى هذه الاسماء وهو مدح أيضا اى ما توقف على معنى أو نوع من تلك الانواع فوجهت همتى الى الاحسن منها الا وجدت الالفاظ الدالة على مدحك تبادر فى الى تأديته بغاية الالطاف وتساعدنى عليه بنهاية الاسعاف فتأتى غريبة منه بما هو أبدع وأبلغ وكون ما مصدرية هو ما ذكره الشارح وعليه قال المحق قلت تحاولتها مديحك فى غير حال كونها مساعدة بهذه الحروف الثلاثة فانه الاتقل حينئذ بل تكثر اه ويلزم عليه وقوع الاستثناء المفرغ فى غير نفى

أو شبهه وهو النهى أو الاستفهام وهو ممنوع عندنا كثر النحويين جوزوه في الموجب كقام الا زيد وردوا عليه بأنه يلزمه الكذب اذ تقديره ثبوت القيام لجميع الناس الا زيد وهو غير جائز بخلاف النفي عنهم الا فردا فانه جائز فان قلت جوز المبرد التفريغ في موجب يلزمه نفي كلو ولولا ولولا القوم الا زيد لاكرمتك وما هنا كذلك لان قل يلزمه نفي ما عدا القليل فهو نفي في الجملة قلت ما ذكره يرد بان التفريغ يدخل في الجملة الثابتة التي هي الاولى وأما الجواب التي هو منفي فخارج عما دخلت عليه الا على ان كون قل يفيد نفيا يشبه النفي الذي في التفريغ ممنوع واذا تقرر ذلك تعين تأويل النظم بان يقال فاعل قل محذوف دل عليه المذكور وان ما اناله والاستثناء مفرغ من أعم الاحوال والتقدير قل ان يستصعب على ما اردته من مدحك لا الى ما حاولته في حال من الاحوال الا ما عدا في مدحك على أكمل ما ينبغي ولاجل هذه المساعدة المشتملة على ما أردته من أعلى أنواع البلاغة (حتى) اى ثبت واستقر (لي فيك) اى في مدحك ما لم يكن في حسابي وهو (ان اساجل قوما) وهم الشعراء الذين مدحوك اى أفاخرهم فأقول ما صنعته خير مما صنعتموه وأين انتم منه حتى يذعنوا الى في ذلك ويسير واقد (ملئت منهم الدلاء) وحينئذ أنزو منك بابلغ مما فازوا به وعبر بالدلاء لان المساجل هو الدلو العظيمة المملوءة ماء كر ويل ما الدلو ومن هذا قولهم الحرب بينهم سجال كتابا اى تنحل منها على هؤلاء وأخرى على هؤلاء ذكره في القاموس وعليه فالمساجلة تطلق على تنازع المستقين على بئر دلاء مختلفة فلير يد كل منهم ان يظفر على دلوه قبل الآخرين شبههم المادحين في تنازعهم فيما يبرزونه وادعاء كل ان ما أبرزه خير مما برزه غيره فهي استعارة بالكناية واثبات المساجلة استعارة تخييلية وذكر الدلو ترشيح ثم أشار الى علة أخرى لتعززهم وتسليمهم لهذا فقال (ان لي غيرة) بالفتح على مدحك اى حمية توجب لي أن لا أحب ان غيري يسبقني اليه (و) الحال انه (قد زاحمني في معالي) ألفاظ (مديحك الشعراء) وأرادوا ان يسبقوني فيه (و) الحال انه استحكم (لقلبي فيك) اى في محبتك (الغلو) اى مجاوزة الحد الذي بلغ اليه أمثالي (وأنى) يكون (السباق في مدحك الغلواء) اى الاسراع والتقدم عليهم بما لا يصلون اليه لولا اسعافك وامدادك وتطولك لي بما يميزني عليهم فأنى استفهامية بمعنى كيف تجوا أنى يحيى هذه الله بعد موتها أو بمعنى من أين نحو أنى لك هذا وترد أيضا بمعنى متى أو حيث ويحتمل الكل نحو فأتوا حرثكم أنى شئتم لكن الذي اختاره أبو حيان وغيره انها في الآية شرطية حذف جوابها لدلالة ما قبلها عليه لا استفهامية والا لا كتفت بما بعدها كما هو شأنها ان تكتفي بما بعدها اى يكون كلاما يحسن السكوت عليه اسما كان أو فعلا وبضم كسران اى وأنى فالياء اسمها لكن الاول ابلغ وأظهر كما لا يخفى (و) بسبب صدق محبتي وشدة غيرتي ومزاحمة اقراني لي مع ارادتهم التقدم على (انبساطا) اى فرصة لي على هذا المدح البديع بان تعدها بما يفوق به جميع مزاحميها

ومسابقيها فانك أكرم من جازى محبيه وأجود من جاد على مادحيه وأنا من أصدقهم محبة وأبلغهم مدحة كيف وقلبي (يلذ لمدحك) اذ تعمه على ان يذل وسعه مع صدق التوجه اليك وبلغ في اختراع مالم يسبق اليه ولا حام أحد قبله عليه (علما) اى لاجل علمه (بانه) اى مدحك (اللألاء) اى الفرح التام كذا في القاموس وغيره فان كان الفرج بالجيم فواضح أو بالحاء المهملة ففيه بعد ويصح انه من تلألأ البرق بمعنى لمع اى عالما بان مدحك يضئ قلوب المادحين لاسيما أبلغهم حتى يأتي في مدحك بالمعاني البديعة والاساليب العجيبة كما وقع لى في هذا النظم لتميزه على غيره بامور منها انه (حاك) اى نسج ذلك الناظم رقيه (من صنعة القريض) اى الشعر (برودا) جمع برد وهو نوع من أنواع الثياب العالية فيه زينة (لكم حاك وشيها) اى نقشها بالالوان المختلفة (صنعاء) مدينة باليمن مشهورة بجودة النسج والوشي شبه المعاني البديعة في ادهاشها القلوب عند سماعها بالابراد الموشية المدهشة للابصار عند رؤيتها وأثبت لها ما هو من لوازم المشبه به وهو الوشي والحوك كما أثبت للمشبه به ما هو ملائم له وهو القريض ففيه استعارة تصريحية مرشحة بذكر الوشي والحوك ومجردة بذكر القريض ومنها انه قد (أعجز الدر نظمه) اى ان نظم هذه القصيدة المشتملة من البلاغة على غاية لم يشتمل عليها غيرها فاق الدر النفيس المنظوم التي يدهش الفكر ويخطف البصر لضوئه وصفائه (فاستوت فيه) اى في العجز عنه (اليدان) اى القريحتان (الصناع) بفتح الصاد المهملة وبالنون والعين المهملة اى الحاذقة الماهرة (والخرقاء) اى الغبية (ف) بسبب ما تميز به هذا النظم عن غيره (ارضه) اى اقبله يا خير من أمه المادحون ورجاه العارفون وأكرم خلق الله وأجودهم وتجاوز عما فيه وان كان فيه من الفصاحة ما لا يدركه غيرك يا (أفصح امرئ نطق الضاد) اى بها اى يا أفصح العرب العرباء وهذا اقتباس من قوله صلى الله عليه وسلم أنا أفصح من نطق بالضاد الحديث وخصها لان غير العرب لا يحسن اخراجها من مخرجها والعرب وان أحسنوه لكنهم متفاوتون فيه وكلهم لم يصل منهم أحد الى الحد الذى كان صلى الله عليه وسلم يصل اليه في تأديتها وكان وجه هذا الاقتباس اظهار الناظم ان ما أتى به وان بالغ في بلاغته لا يتأهل الى مدحه صلى الله عليه وسلم لان فصاحته معجزة لغيره فاى بلاغة تؤدى ما يليق به فكانه يقول يا أفصح الفصحاء اقبل ما جئت به وان لم يشم أدنى رائحة من دوام فصاحتك بل ولا وفى بما يليق بكمالك ويؤيد هذا قوله الآتي أبذكر الآيات الخ (ف) بسبب اختصاص الضاد به تداً وتيسر النطق بها على غير العرب وتعذر نهايته على غيره صلى الله عليه وسلم وقرب الظاء من مخرجها ولم تظفر بما ظفرت به الضاد (قامت) فاعله الظاء وأشار بقامت الى انها تسمى بالظاء القائمة حال كونها (تغار منها) اى الضاد (الظاء) لكون الضاد تميزت عليها بتلك المرتبة العلية اى ارادت الظاء فضلا عن غيرها ان يحصل لها مرتبة تضاهي تلك المرتبة فلم تحصل لها ففارت حينئذ ثم

(قوله أنا أفصح من نطق بالضاد) نقل الحافظ السيوطي في كتابه اللآلى المنتثرة في الاحاديث المشتهرة عن الحافظ ابن كثير ان هذا الحديث المذكور لا أصل له فاحفظه ولا تغتر بسكوت الشارح عليه

طلبي من كرمك يا أكرم الخلق الرضا بهذه القصيدة ليس لكونها وفت بحقوقك
الواجب استقصاؤها في مدحك بل الطمع في سعة حلمك وجودك (أبذكرى الآيات) في
هذا النظم اى الخصائص والمعجزات التي علمناها الدالة على سمو التي لم يصل اليه مخلوق
(أوفيك مدحا) لا اذ لا يمكن ان يوفيك ذلك الامن أحاط بمقامك وأنى ذلك لغيرك مثلي
(اين مني) الوفاء بذلك وأنا من جملة العاجزين المقصرين (واين منها الوفاء) بذلك وهي
محصورة وكمالاته صلى الله عليه وسلم غير محصورة (أم) متصلة (امارى) اى أجادل (بهن)
اى بذكرى تلك الآيات (قوم نبي) اى المادحين لنبينا صلى الله عليه وسلم اى لم أذكر
تلك الآيات بقصد ان أوفي بها حقه صلى الله عليه وسلم ولا بقصد ان أجادل بها أمتك
ومن ظن بي واحدا منهما فهو غبي لا يفهم ولا يعقل شيأ و(ساء ما ظنه بي الاغبياء) لانهم
لقلة فطنتهم يتجاسرون على الناس بما هم بريئون منه (ولك) استئناف أو عطف على
محذوف اى لك الآيات التي لا تحصى ولك (الامة) الوسط كما قال تعالى وكذلك جعلناكم
أمة وسطا اى خيارا عدولا لتكونوا شهداء على الناس (التي غبطتها) من الغبطة وهي
كما مر وقال الاتسان ان له من الخير مثل غيره من غير طلبه عنه والحسد وتمنيه مع سلبه عنه
(بك لما) اى حين (أتيتها) اى أرسلت اليها (الانبياء) فانهم وان كانوا من أمتك بنص
واذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة الآية ومر الكلام عليها
لكنهم ودوا ان يكونوا من اتباعك الذين بعثت فيهم ليفوزوا بغاية الفخر كما فاز بذلك
أمتك الذين بعثت فيهم فاطاعوك فان قلت كان القياس غبطتك بها الانبياء لانها
أفضل من أممهم بنص جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس اى ودوا ان يكون
لهم مثلهم كما صرح به موسى صلى الله عليه وسلم فيما يأتي قلت هذا وان كان هو القياس
لكنه ارتكب فيه القلب الذي هو من أحد أنواع البديع خشية ان يتوهم من ذلك
مدحه لنفسه لان مدح العلم مدح لكل من افراده فتأمله ثم رأيت ما يدل للقياس
المذكور وهو ما رواه أبو نعيم أيضا ان الله تعالى لما ذكر لموسى عليه الصلاة والسلام
صفات هذه الامة قال يارب فاجعلني نبي تلك الامة قال نبيها منها قال فاجعلني من أمة
ذلك النبي قال استقدمت واستأخرت ولكن سأجمع بينك وبينه في دار الجلال ولعل
تطرك اليها (لم تضق بعدك الضلال) بما تركتها عليه من الشريعة الواضحة البيضاء
التي لا يزيغ عنها الا هالك (و) الحال ان (فينا) اعلام الهدى وهم (وارثو نور هديك)
اى ما كنت عليه وأصحابك وهؤلاء هم (العلماء) الذين هم أهل السنة والجماعة وهم
اتباع أبي الحسن الاشعري وأبي منصور الماتريدي رضي الله تعالى عنهما وذلك كما
أخبرتنا به بقولك في الاحاديث الصحيحة لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق
لا يضرهم من خالفهم حتى يأتيهم أمر الله وهم على ذلك اى وهؤلاء هم أهل العلوم
الشرعية والالهية من أهل السنة لان الناس مع وجودهم آمنون من كل محنة وضلالة

(قوله لغيرك) لعله لغيري (قوله أجادل) اى أخاصم خصاما شديدا وما ذكره قبل من قوله حق لي فيك ان أجادل الخ ليس من قبيل الجدال كما لا يخفى بل من باب التحدث بنعمة الله عليه حيث أجرى على خاطره ولسانه ما لم يصل اليه غيره من المادحين له صلى الله عليه وسلم

دينة ويقول أيضا العلماء ورثة الانبياء ان الانبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما وانما ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر صححه جماعة وفي رواية بزيادة تحبهم أهل السماء وتستغفر لهم الحيتان في البحر وفي أخرى وانما العالم من عمل بعلمه وفي أخرى أقرب الناس من درجة النبوة أهل العلم والجهاد وفي أخرى كاد حملة القرآن ان يكونوا انبياء الا انهم لا يوحى اليهم وفي أخرى من حفظ القرآن فقد أدرجت النبوة بين جنبيه الا انه لا يوحى اليه ورواية علماء أمتي كأنبياء بني اسرائيل لا اصل لها ولكن معناها صحيح لما تقرر ان العلماء ورثة الانبياء وقوله تعالى وورث سليمان داود اي في العلم والحكمة والنبوة والرسالة دون ماله فهو بدل من ذلك ولما رتق الخبر الصحيح انا نحن معاشر الانبياء لا نورث ما تركناه فهو صدقة وأشار الناظم بما ذكره الى ان الله تعالى خص هذه الامة في التوراة بخصائص لم يؤتها لغيرهم تكرمة لنبيهم وزيادة في شرفه صلى الله عليه وسلم منها كما في حديث أبي نعيم ان موسى عليه السلام لما رأى مدح هذه الامة في التوراة قال يارب أجد في الالواح أمة هم الآخرون السابقون فاجعلهم أمتي قال تلك أمة محمد ثم ذكر ذلك مع أوصاف أخر وكرر جوابه كذلك قال يارب فاجعلني من أمة محمد فقال ياموسى اني اصطفيتك على الناس برسالاتي الآية فقال رضيت يارب وفي رواية انه سأل ربه هل في الامم أكرم عليك من أمتي فبين ان فضل أمة محمد صلى الله عليه وسلم على سائر أمم الانبياء عليهم الصلاة والسلام كفضله تعالى على سائر خلقه ومنها ان أحدا لا يدخل الجنة قبلهم ومنها الوضوء على الكيفية المخصوصة والتيمم واباحة الغنائم وان كل الارض تصح صلاتهم فيها ويجوز جعلها مسجدا الا محل مسجد الضرار ومجموع الصلوات الخمس والتأمين خلف الفاتحة كما صح به الخبر والركوع لخبر به رواه البزار والطبراني ومن ثم قال جمع مفسرون ان صلاة من قبلنا لا ركوع فيها وفسروا اركعوا بصلوا واركعي مع الراكعين بصلي مع المصلين وان صفوفهم في الصلاة كصفوف الملائكة رواه مسلم والجمعة رواه البخاري وساعة الاجابة في يومها ورمضان عند الجمهور والتشبيه في الآية لمطلق الصوم وخبر انه كتب على من قبلنا في سنده مجهول ونظر الله اليهم أوله وتزيين الجنة فيه وخلوف أفواههم أطيب من ريح المسك واستغفار الملائكة لهم حتى يفطروا وعموم المغفرة لهم آخر ليلة فيه رواه البيهقي بسند لا بأس به بلفظ أعطيت أمتي في شهر رمضان خمسا لم يعطهن نبي قبلي الحديث واستغفار الحيتان لهم حتى يفطروا رواه البزار والسحور وتأخيره وتعجيل الفطر رواه الشيخان واباحة الطعام والجماع الى الفجر والاسترجاع عند المصيبة قاله سعيد بن جبير ورفع اثقال التكليفات التي كانت على من قبلهم كتحتم القصاص حتى في الخطا وقطع الاعضاء الخاطئة وموضع النجاسة وقتل النفس في التوبة والمؤاخذة بالخطا والنسيان وما استكرهوا عليه كما صح به الخبر وان الله لم يجعل عليهم في دينهم من حرج وان الاسلام وصف خاص بهم عند جماعة لكن الذي

(قوله انا نحن) تقدم ان الرواية المعاشر بدون نحن وان رواية نحن بدون انا فرواه بالمعنى وظاهر كلامه هنا وجود رواية فيها ذكر الضمير بن فحرر (قوله سائر الانبياء) اي أمم الانبياء

قول المحشي قوله سائر الانبياء لعل هذا في نسخة وقعت له والا فالنسخ التي بايدينا سائر أمم الانبياء

(قوله اقطابا) جمع قطب وهو أخص هؤلاء الطوائف ولم يرد فيه شئ في السنة واغا ورد فيه بعض آثار (قوله وأوتادا) هم أربعة يحفظ الله بهم العالم الكل وكل من الاربعة بمقر ركن من أركان البيت وهم أخص من الابدال (قوله وابدالا كما في أحاديث في الابدال) منها قوله صلى الله عليه وسلم الابدال في هذه الامة ثلاثون رجلا قلوبهم على قلب ابراهيم خليل الرحمن كلما مات رجل أبدل الله مكانه رجلا و وردانهم بالشام و وردانهم أربعون رجلا وأربعون امرأة وجمع بان حديث الثلاثين لمن كان على قلب ابراهيم كما ذكر فيه والعشرة الزائدة مع النساء الاربعين قلوبهم على قلب غيره من الانبياء وانما سموا ابدالا لان الابدال الله مكان من مات منهم غيره روى الحكيم الترمذي ان الارض شكت الى ربها انقطاع النبوة فقال تعالى سوف أجعل على ظهرك أربعين صديقا كلما مات منهم رجل أبدلت مكانه رجلا وقيل انما سموا ابدالا لتبدل سيئاتهم حسنات وهذا المعنى يشمل غير الابدال بالمعنى الخاص المقتضى حصرهم في العدد السابق ولذا قال العارف المرسى جلت في الملكوت فرأيت أبامدين معلقا بساق العرش فقلت ما مقامك قال رأس الابدال قلت فالشاذلى قال ذاك بحر لا يحاط به . وقال المرسى كنت جالسا بين يدى استاذى الشاذلى فدخل جماعة فقال هؤلاء الابدال فنظرت ببصيرتى ٣٤٧ فلم أرهم ابدالا فتحيرت فقال الشيخ من بدلت سيئاته حسنات فهو بدل فعلمت انه أول مراتب البدلية ومن علامات البدل انه لا يولد له واذا رحل عن موضع جعل موضعه حقيقة روحانية فاذا جاء موضعه أحد يقصده تلك الحقيقة الروحانية فكلمته وكلمها وهو غائب عنهم قال في الفتوحات قوله في الخبر على قلب ابراهيم وقوله في خبر آخر على قلب آدم معناه انه يتقلب في المعارف الالهية بتقلب ذلك النبى اذ واردات العلوم الالهية انما ترد على القلوب فكل علم يرد على قلب ذلك الكبير من رسول أو ملك يرد على قلب الولى الذى هو على قلبه وربما يقول بعضهم فلان على قدم فلان ومعناه ما ذكر وذكروا ان نبينا صلى الله عليه وسلم لم يكن أحد على قلبه من الاولياء لانه لم يخلق الله قلبا مثل قلبه فقلوب الانبياء والمرسلين والملائكة بالنسبة الى قلبه كسائر الكواكب بالنسبة الى الشمس . قال العارف النووى رضى الله عنه مشاهدا لحق القلوب فلم ير قلبا أشوق اليه من قلب محمد صلى الله عليه وسلم فاكرمه بالمعراج تعجيلا للرؤية والمكالمة اه وقد سبق ان البدلاء بالشام وذلك مروى عن على بن أبى طالب وروى عنه ان النجباء بمصر والعصائب بالعراق والنقباء بخراسان والخضر عليه الصلاة والسلام سيد القوم وعن الخضر ان النجباء سبعون وان النقباء عشرة وان العرفاء سبعة وان الاوتاد أربعون وتقدم نقلا عن بعضهم انهم أربعة وما ذكرناه من ان نبينا لم يكن أحد من الاولياء على قلبه ولا على قدمه السابق منقول عن روض الرياحين لليافعى لكن رأيت في مناقب سيدى عبد القادر الجيلانى رضى الله عنه لبعض المحققين ان قلب هذا القطب وقدمه على قلب وقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث نقل عنه انه قال أنا على قدم جدى رسول الله ما رفع قدما الا وضعت قدمى في الموضع الذى رفع قدمه منه الا أن يكون قدما من أقدام النبوة فانه لا سبيل الى ان يناله غيرنبى اه ويمكن الجمع بان ما قاله القطب الجيلانى فى حق

اعتقده ابن الصلاح وغيره خلافه وان شريعتهم أكمل من سائر الشرائع كما ان نبيهم صلى الله عليه وسلم أكمل الانبياء عليهم الصلاة والسلام وقد كان لموسى وشريعته من الجلال الصرف ضد ما كان لعيسى وشريعته من كل وجه وشريعتنا اعتدل فيها الامران فسلمت من شدة تلك ولين هذه واعتدلت في جميع جزئياتها ومن ثم وهب الله لهم من علمه وحلمه وجعلهم خير أمة أخرجت للناس واعطاهم مرتبة الشهادة على من سبقهم فى القيامة فاتاهم مقام الانبياء عليهم الصلاة والسلام فى الشهادة عليهم وكمل لهم من المحاسن ما فرقه فى الامم كما كمل لنبيهم عليه الصلاة والسلام ما فرقه فى الانبياء ولكتابهم ما فرقه فى الكتب وانهم لا يجتمعون على ضلالة كما فى الحديث المشهور واسانيده كثيرة وشواهده متعددة من المرفوع وغيره وان اجماعهم حجة واختلافهم رحمة وفى حديث ضعيف منقطع اختلاف أصحابى لكم رحمة وفى رواية اقتضى كلام الخطابى ان لها أصلا عنده وبه رد زعم كثيرين من الائمة انه لا اصل لها اختلاف امتى رحمة للناس وان الطاعون شهادة لهم وعذاب على غيرهم نقله برجال ثقات وانهم حفظوا آثار رسولهم على قوانين علم الحديث بما لم يوجد نظيره فى امة وان منهم اقطابا واوتادا

ونقباء ونجباء وابدالا كما به فى احاديث فى الابدال ونحوهم وانهم يخرجون من قبورهم بلاذنوب لاستغفار المؤمنين لهم رواه الطبرانى وغيره وانهم اول من تنشق عنهم الارض رواه ابو نعيم ويعرفون يوم القيامة بالغرة والتحجيل من آثار الوضوء رواه البخارى اى ينادون بهذا الوصف ويكونون بهذه الصورة ويكونون مع نبيهم على كوم مشرف فى الموقف يغبطهم فيه جميع الامم رواه جماعة ويعرفون ايضا بسيما السجود فى وجوههم قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما وهو بياض شديد وقال شهر بن حوشب نور كالقمر ليلة البدر قال تعالى سيماهم فى وجوههم من أثر السجود الآية وقيل هذا فى الدنيا وعليه قال ابن عباس السمت الحسن او سمت الاسلام وخشوعه وقيل الصفرة فى الوجه من أثر السهر ويؤتون كتبهم بايمانهم رواه احمد وغيره ويسعى نورهم بين ايديهم كما صح به الخبر ويصل لهم ما سعى لهم من صوم وحج وصدقة ودعاء وقراءة بل وكل عبادة عند كثيرين وآية وأن ليس للانسان الا ما سعى منسوخة او فى حق الكافر ويدخل منهم الجنة سبعون الفا بغير حساب رواه الشيخان زاد الطبرانى والبيهقى مع كل واحد منهم سبعون الفا (ف) بسبب ان فى هذه الامة وارثى هديك المخصوصة بهذه الخصائص التى لم توجد لغيرهم من الامم (انقضت آى الانبياء) اى معجزاتهم لانتساخ شرائعهم بموتهم وان من كان من بعد موسى الى عيسى انما هو مرسل بكتاب موسى (وآياتك) اى معجزاتك (فى الناس) قبل وجودك ومعه وبعد وفاتك (ما لهن انقضاء) فيه العكس نحو ولاهن حل لهم ولاهم يحلون لهن ورد العجز على الصدر اما الاولان فقد مر منها جملة منها ما فى كتب الله تعالى من ذكره ونعته ونحو وجه بارض العرب وما يجرى بين يدى ايام مولده ومبعثه من الامور العجيبة الموهنة للكفر واهله والموطئة لشأن العرب كقصة الفيل وعقاب اهله وخمود نار فارس وسقوط شرافات ايوان كسرى وغيض ماء بحيرة ساوة وخمود نارهم وما سمع من الهواتف الصارخة به صلى الله عليه وسلم وباوصافه وانتكاس الاصنام المعبودة لولادته صلى الله عليه وسلم وتظليل الغمامة فى سفره الى غير ذلك مما ورد فى الاخبار الى بعثته صلى الله عليه وسلم مما هو تأسيس لنبوته وارهاص لرسالته عليه الصلاة والسلام واما الاخير فكثير جدا اذ فى كل حين يقع لخواص امته من خوارق العادات بسببه مما يدل على تعظيم قدره الكريم ما لا يحصى كما قال (والكرامات) الواقعة (منهم) اى الناس (معجزات) اذ كل منهما امر خارق للعادة وانما يفترقان بالتحدى وعدمه لكنها فى الحقيقة معجزات لك (حازها من نوالك) اى عطائك وكرمك (الاولياء) وكان القياس حازوها لكنه اظهر ليبين ان مراده بهم العائد على الناس خواصهم وهم الاولياء جمع ولى فعيل بمعنى فاعل لانه والى الله ورسوله صلى الله عليه وسلم فلم يخرج عن امرهما ونهيهما الى ما يغضبهما او مفعول لان الله تعالى والاه بخوارق نعمه ورسوله والاه بمزيد امداده وكرمه وضابط الولى انه المداوم على فعل الطاعات واجتناب المعاصى المعرض

في غير ما تميز به رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الخلق من العلوم والاسرار فانه لم يصل احد بجميع ما وصل اليه لا نبى مرسل ولا ملك مقرب وكلام اليافعى على ذلك (قوله اى معجزاتك) المراد به مطلق الخوارق أعم من أن تكون معجزة حقيقية أو ارهاصا وتأسيسا أو كرامة لقوله قبل وجودك وبعد وفاتك فان الموجود حينئذ من الخوارق لا يسمى معجزة حقيقة لعدم القرن بالتحدى وسيشير لذلك بقوله مما هو تأسيس (قوله فيه العكس) وهو ان يتكلم فى الكلام بجزء ثم يؤخر وهو فى البيت انقضت وانقضاء ان كان أحدهما مثبتا والآخر منفيا وان اختلفا صورة فان الاول فعل والثانى مصدر فلا يجب ان يكون نظير الآية وهذا يقال له العكس اللفظى ولهم عكس معنوى وهو ان يأتى شاعر بمعنى ويأتى آخر بعكسه كقوله

قد يدرك المتأنى بعض حاجته

وقد يكون مع المستعجل الزلل

فعكس ذلك المعنى آخر فقال

وربما فات بعض القوم أمرهم

مع التأنى وكان الحزم لو عجلوا

عن الانهماك فى الذات كذا قالوه ويتجه ان هذا ضابط الولى الكامل وان أصل الولاية يحصل لمن وجدت فيه صفات العدالة الباطنة بالشروط المذكورة عند الفقهاء * ومن معجزاته صلى الله عليه وسلم المتكررة الدائمة ايضا ما يقع للمتوسلين به من خوارق العادات بسببه مما لا يحصى ايضا هذا كله مع قطع النظر الى القرآن الكريم اما بالنظر اليه وانه معجزته الكبرى ففيه من المعجزات المتكررة بتكرر الازمنة ما لا يحصى أيضا واعلم انه صلى الله عليه وسلم كما فضله الله فى البدء بان جعله أول الانبياء خلقا واجابة يوم ألست بربكم جعله أول من تنشق عنه الارض وأول شافع وأول مشفع وأول ناظر الى ربه وأول نبى يقضى بين أمته وأولهم اجازة بامته على الصراط ودخولا الجنة وهم أول الامم دخولا اليها وزاده من لطائف التحف وتفائس الطرف ما لا يعد كثرة ولا يحصى كبعثه راكبا وتخصيصه بالمقام المحمود وهو الشفاعة العظمى فى فصل القضاء وبلواء الحمد الذى تحته آدم فمن دونه وبالسجود أمام العرش ويفتح عليه حينئذ بما لا يفتح عليه ولا على أحد قبله ولا يفتح أيضا على أحد بعده والنداء يا محمد ارفع رأسك وقل يسمع لك وسل تعط واشفع تشفع وقيامه صلى الله عليه وسلم عن يمين العرش الذى لم يقمه مخلوق يغبطه فيه الاولون والآخرون وشهادته للانبياء عليهم الصلاة والسلام على أممهم (تنبيه) علم مما تقرر ان الكرامة ظهور أمر خارق للعادة غير مقارن لدعوى النبوة على يد من عرفت حياته واشتهرت ولايته باتباع نبيه فيما جاء به والا فهى استدراج أو سحر أو اذلال كما وقع لمسيلمة الكذاب لعنه الله تعالى انه جاءه أعور يدعو له فدعا له فعميت الصحيحة أيضا وتسمى اهانة وقد يظهر الخارق على يد عامى تخليصا له من فتنة ويسمى معونة وأنكر جماعة جمهور الكرامة كأكثر المعتزلة وان وافقهم بعضنا لكن يتعين تأويل كلامه لان جلالته تأبى ان ترضى بهذا الزيف الذى اتضح بجواز الكرامة ووقوعها وعليه فقيل يمتنع كونها بقصد واختيار لاداتهما الى السقوط عن مرتبة الولاية وقيل يمتنع كونها من جنس معجزة نبى والا لالتبست بالمعجزة وردهما الفخر الرازى رحمه الله تعالى بان المرضى تجويزها على خوارق العادات فى معرض الكرامات والمميز لها عن المعجزة انما هو ادعاء النبوة وكأنه لم يرض قول جماعة منهم القشيرى لا تنتهى الى احياء ميت ولا الى وجود ولد من غير أب ومن ثم رد بعضهم عموم قولهم ما جاز ان يكون معجزة لنبى جاز ان يكون كرامة لولى وليس من شرط المعجزة غير القرآن اذ لا يمكن نظيرها بل ان يعجز المعارضون عن نظيرها ومن أدلة الجواز ان الوقوع ممكن كالمعجزة وقدرة الله تعالى شاملة لها ولا بدع ان الملك يصدق رسوله بخرق بعض العادات ثم يفعل مثل ذلك لبعض اتباعه اكراما له ومن أدلة الوقوع النص القاطع بما وقع لمريم كلما دخل عليها زكريا المحراب الآية وفى ولادة عيسى عليه الصلاة والسلام ولاصحاب الكهف ولوزير سليمان عليه الصلاة والسلام فى عرش بلقيس وتقاتر ذلك وزعم انها ارهاص باطل على ان المعتزلة لا يقولون به سلمنا هو لا يمنع

(قوله وبالسجود الخ) اى لانه اتفق على وضوء غسل الموت كما قاله الجلال البلقينى أو بقال لبست تلك الدار دار تكليف فلا يتوقف السجود على وضوء وفى مسند الامام أحمد انه زمن هذا السجدة قدر جمعة من جمع الدنيا

تسمية ذلك كرامة على يد من ظهرت عليه والتواتر المعنوى وان كانت التفاصيل آحادا
فى كرامات الصحابة لاسيما ما وقع لعمر وعلى رضى الله تعالى عنهما وتابعيهم ومن بعدهم
الى زمننا بل ظهورها يكاد يلحق بظهور معجزات الانبياء عليهم الصلاة والسلام ولا عجب
من انكار المبتدعة ذلك فانهم حرموا من مشاهدة شئ منها من أنفسهم ومشايخهم وكثرة
ظهورها لا يخرجها عن كونها خارقة خلافا لمن زعمه لانه يلزمه ذلك فى المعجزة على ان
الكثرة فيها بالاتفاق قلتها بالنسبة للعادة المستمرة وظهور الخارق على يد غير الانبياء عليهم
الصلاة والسلام لا يخل بقدرهم بل يزيد فى جلالة أقدارهم والرغبة فى اتباعهم حيث نالت
أممهم واتباعهم مثل هذه الدرجة ببركة الاقتداء بشريعتهم والاستقامة على طريقتهم
وعلم ان الخارق لا يسمى كرامة الا ان ظهر على يد من مر ويعلم ان الكرامة لا تشتبه
بالسحر أصلا لانا ننظر لحال من ظهر الخارق على يديه فان توفرت فيه شروط الولاية فذلك
الخارق كرامة فى حقه والا فهو سحر أو غيره مما مر وزعم ان الساحر لا يمكن ان يقلب عينا
كآدمى حمارا ولا يقلب طبيعة بخلاف الولى ليس فى محله بل الخلاف فيهما واحد قال جمع
يستحيل عليهما ذلك وجمع يجوز فى حقهما ذلك وهو الاصح واما قوله تعالى فلا يظهر على
غيبه أحدا الا من ارتضى من رسول الآية فالاستثناء فيه منقطع بدليل فانه يسلك الخ
بل بعينه أن غيبه مفرد مضاف فهو للعموم واستغراق النفى فى هذا الكل فرد فرد من
المخلوقين الممدلول العلم كلية لا كلى ولا كل خلافا لمن وهم فيه فحمل الآية عليه باق على
حقيقته اذ الغيوب كلها لم يطلع الله عليها أحدا من خلقه وانما غاية من أطلعه منهم أنه
أطلعه على جزئيات مخصوصة وبتقدير انه متصل وان المراد انه لا يظهر على بعض غيبه الا
الرسول فلا حجة لهم فيه لان القطع الضرورى بوقوع الكرامات للانبياء عليهم الصلاة
والسلام والاولياء يعين ان المراد من الآية غيب مخصوص اى لا يظهر على ذلك الغيب
المخصوص الا من ارتضى من رسله واما البقية من الرسل والانبياء والاولياء فلا يظهرهم
على ذلك المخصوص بل على غيره واعلم ان من الكفر الصراح ما حكى عن بعض الكرامية
ان الولى غير النبى قد يبلغ درجة النبوة وعن بعض المتصوفة الجهلة ان الولاية تفوق
رتبة النبوة وان الولى قد يبلغ حالة يسقط عنه فيها التكليف قال الغزالى رحمه الله تعالى
وقتل الواحد من هؤلاء خير من قتل مائة كافر لان ضرر أولئك فى الدين أشد وليس من
أولئك العارفان العالمان المحققان الوليان الكبيران الحموى ابن العربى والسراج بن
الفارض واتباعهما بحق خلافا لمن زل فيهم قلمه وطغى قلمه الا ان يكون أراد بما قاله
النهى عن اعتقاد ظواهر عباراتهم المتبادرة عند من لا يحيط باصطلاحهم (ان) تأكيد
لقوله ما لهن انتصابا (من معجزاتك) الباهرة (العجز) من سائر الناس (عن وصفك) مفرد
مضاف فهو للعموم اى عن الاحاطة بكل فرد فرد من أوصافك التى اختصصت بها (اذ
لا يحله) اى الوصف المذكور (الاحصاء) اى العد (كيف يستوعب الكلام) الصادر

(قوله الكرامية) بفتح الكاف
وتخفيف الراء نسبة الى محمد بن
كرام على زنة قطام (قوله وعن
بعض المتصوفة) اى الناسبين
أنفسهم للتصوف وليسوا من
أهله فانه لم يقع لاحد من أهله
انهم فضلوا اخلافا بين مطلق
النبوة والرسالة وان فضلوا بين
ولاية الرسول ورسالته فقال
المحقق ابن العربى فى فتوحاته ان
ولايته أكمل من رسالته لشرف
المتعلق فان ولايته متعلقة بالله
وحده ورسالته متعلقة بالخلق
(قوله وليس من أولئك الخ) أشار
بذلك الرد على ابن تيمية حيث
جعلهما منهم حاشاهما وبئس
من نسبهما الى ادنى ضلالة رضى
الله عنهما ونفعنا بهما

من واصفيك (مصابالك) أى مافيك من الاخلاق الكريمة والفضائل والاوصاف البالغة أقصى ما يمكن البشر الرقى اليه وهى لاحد لها باعتبار أنك لاتزال تترقى فى مراتب القرب فى الحياة وبعد الممات وفى الموقف وفى الجنة الى مالانهاية له ولا انقضاء (وهل تنزح البحار) المشبهة أوصافك بها فى ان بتلك قيام الوجود الحسى وبهذه قيام الوجود المعنوى لما انه صلى الله عليه وسلم روح الكون والخليفة الاكبر عن الله تعالى فى امداده (الركاء) المشبهة بها الالفاظ فى ان كلا يتوصل به الى حيازة بعض المطلوب دون انهائه وهذا تذييل مبين لما اشتمل عليه من الاستعارتين المصرحتين المرشح لهما بذكر النزح اذ أوصافه صلى الله عليه وسلم لو عبر عنها من أول الزمان الخ لا تحد ولا تحصى ويعلم بذلك بيانا وايضاحا أنه (ليس من غاية لوصفك) اى أوصافك توجد حتى انى (ابغيها) اى أطلبها (والقول) اى منى (غاية) لما تقرر أن ذلك الترقى لانهاية له اذ لامطمع فى الاطلاع عليه وبفرضه لا تحده العبارة بخلاف القول منه فانه محدود متناه وبهذا أعنى قولى منى أولا ومنه ثانيا مع ما تقرر يندفع ما أشار اليه الشارح من اشكال فى ذلك (وانتهاء) تأكيد والفرق بين الغاية والنهاية اعتبارى ويعلم بذلك بيانا وايضاحا أيضا أن نقول (انما فضائلك) اى فضائلك (الزمان) اى يشبهه من حيث الاجمال فيهما وأما بالنسبة الى التفصيل فجزئيات كل بجزئيات الآخر (وآياتك) اى معجزاتك وخصائصك (فيما نعده) ونحسبه (الآناء) جمع انى كمعى وامعاء كذا ذكره الشارح والذى فى القاموس والأنى ويكسر والانو بالكسر الوقت والساعة من الليل أو ساعة ما منه والانى كالى وعلى كل النهار اه والمراد هنا مطلق الساعات واللحظات فكما ان هذه لا تحد فكذلك تلك هذا • ولا تظن أنى بما طالق فى هذه القصيدة تعدد اأوصافه صلى الله عليه وسلم أخالف ماقدمته أنها لا تعد لانى (لم أطل فى تعداد مدحك) فيها (نطقى و) الحال ان (مرادى بذلك استقصاء) اى حصر لاوصافك وانما مرادى بذلك برد الغليل وشفاء العليل كما أفاده قوله المشتمل على اداة الاستثناء الذى هو منقطع هنا (غير أنى) لم أرد الحصر لكنى (ظمآن وجد) اى بى من شدة شوقى لسماع تلك الاوصاف غاية الظما والعطش للارتواء من سماعها (وما) اى ليس يحصل (لى بقليل من) الماء الذى أشربه حال (الورود) منه (ارتواء) عما بى من العطش فاطالتى فى التعداد لطلب مزيد الارتواء من سماع تلك الاوصاف لالطلب حصر لتعذره وفى كلامه استعارة مصرحة لانه شبه شغفه بتلك الآيات وذكر أفضل الصفات بظما شديد لا يرويه الا الماء الكثير ورشح لذلك بذكر الورود والارتواء (ف) بسبب حصول الارتواء لى من تلك الاطالة أختمها بما هو المتعين من الدعاء لك بالصلاة والسلام امتثالا لقوله تعالى صلوا عليه وسلموا تسليما فاقول (سلام) عظيم شريف اى سلامة من كل آفة ونقص كائنة (عليك تترى) اى يتكرر ويتبع بعضه بعضا دائما وفى القاموس ترى تترى كرمى تراخى وأترى عمل أعمالا متواترة بين كل

(قوله فانه محدود الخ) اى لانه مركب من الحروف المتناهية والمركب من المتناهى متناه والمتناهى لايحصر غير المتناهى (قوله ما أشار اليه الشارح) عبارة الشارح رحمه الله تعالى ثم ذكر شيأ من معجزاته الشريفة صلى الله عليه وسلم وهو عجز الواصفين عن استيعاب ما فيه من الفضائل والفواضل اذ هى لسعة الامداد لايحصرها الضبط بالاعداد ثم استدل على ذلك بانها لاتتناهى لانها فضل من الله ومواهب وفضله ومواهبه لاغاية لها ولا انتهاء والقول متناه لانه مركب من الحروف المتناهية فهو متناه والمتناهى لايحصر غير المتناهى وفى هذا الدليل كلام ليس هذا موضع ذكره اه فتأمله مع ما ذكره الشارح (قوله مصرحة) اى وتبعية بل بانها فى المشتق وهو ظمآن تبعيبر بانها فى المصدر وهو الظما (قوله اى سلامة الخ) هذا بيان لاصل معنى السلام والمراد هنا زيادة التعظيم لان سلامته عما ذكر حاصلة له فلا معنى لطلبها ولاسيما بعد انتقاله صلى الله عليه وسلم فى دار البقاء تأمل

عملين فترة اه وقد يشكل على استعمال الناظم تترى هنا مرادا به ماذكر الا أن يجاب
بانه أراد أصل المعنى وهو مطلق التتابع من غير اعتبار تراخ ولا فترة بقرينة المقام وقد
يخرج البليغ عن المعنى اللغوى الى ما هو أخص أو أعم منه الضرورة مع الاستغناء بفهم
ذلك الخصوص أو العموم منه من قرينة المقام والسياق فتأمله (من الله وتبقى به) أى
بسببه على مر الازمنة الى فنائها وما بعد ذلك مما لا منتهى له نحو (الى البا أواه) أى الفنى
لان تسليم الله عليك مع التكرار والدوام زيادة فى شرفك وفخرك (و) انما ذكرت
سلام الله عليك ابتداء مبادرة الى أشرفيته وسلامك ثانيا لانك فى الحقيقة لا يكافئك من
سلام الخلق غير سلامك على نفسك فينئذ (سلام عليك منك فما) اى ليس (غيرك) من
المخلوقين (منه) متعلق بالسلام (لك) متعلق بكفاء ولك بمعنى عليك (السلام كفاء) اى
مكافئ لحضرتك من المكافأة وهى المساواة اذ كيف يساويك سلام من هو دونك ولم
يحط بفضائلك ومع ذلك لا يطلب من غيرك عدم السلام عليك بل يطلب من كل أحد
السلام عليك وان لم يكافئك سلامه فمن ثم قال (وسلام) عليك (من كل ما خلق الله) من
كل ناطق وجامد وفى نسخة من خلق فالاولى غلبت غير العاقل لكثرته والثانية غلبت
العاقل لشرفه على حد ولله يسجد من فى السموات ومن فى الارض وانما جئت بهذا
العموم (لتحيا بذكرك الأملاء) جمع ملا وهو الجماعة وبالغ الناظم حيث طلب السلام
عليه صلى الله عليه وسلم من ربه ثم من نفسه ثم من سائر المخلوقات ليجتمع له صلى الله عليه
وسلم سائر وجوه السلامة فيه وفى شريعته وأمته وجميع آثاره ولاجل هذا العموم
الذى يوجد فى السلام دون الصلاة خصه بالذكر وقد ذكروا كما ذكره فى كتاب الجوهر
المنظم فى زيارة القبر المكرم الذى لم يصنف فى هذا الباب مثله فى ايثار الزائر للسلام
وتكريره دون الصلاة ما يؤخذ منه ما ذكرته فتأمله (وصلاة) وهى من الله الرحمة المقرونة
بالتعظيم اى من الله تعالى ومنك ومن كل مخلوق نظير ما مر فى السلام (كالمسك) فى
الطيب والنفع البالغ (تحمله) اى ذلك المسك الذى هو عين صلاة (منى شمال) وهى التى
تهب من جهة القطب الى المغرب (اليك) حتى يتعطر الوجود بعبيره وتحيا الارواح
بنشره ومسيره (أو قبولها) وهى الصبا وتهب من سهيل الى القطب والجنوب وتسمى
الازيب وهى التى تهب من سهيل الى المغرب والدبور وهى التى تهب من المغرب سميت
بذلك لانها تهب من ظهر الكعبة والحاصل ان الريح ان هبت من تجاه الكعبة فالصبا
وهى حارة يابسة أو من ورائها فالدبور وهى باردة رطبة أو من يمينها فالجنوب وهى حارة
رطبة أو من شمالها فالشمال وهى باردة يابسة وهى ريح الجنة التى تهب عليهم رواه مسلم
ولهذه الخصوصية للشمال بدأ بها الناظم (تنبيه) ما تفسير النكباء بما ذكر وقع فى كلام
بعضهم وعبارة القاموس والنكباء ريح انحرفت ووقعت بين ريحين ومر بسط عبارته فى
ذلك فى شرح قول الناظم فكأن الصبا لديك أسير وعبارة كفاية المتحفظ الرياح أربع

(قوله وسلام عليك منك) اى
أطلب من الله ان يجرى على
لسانك سلاما عليك لا تقابلك
(قوله ولاجل هذا العموم الخ)
فيه ان الصلاة تكون عمن ذكر
أيضا ثم يظهر توجيه التخصيص
بانه قد يطلب تقديمه على الصلاة
عند القدوم على قبره الشريف
للزيارة فانه حينئذ أفضل من
الصلاة كما سبق (قوله خصه
بالذكر) كان الاولى قدمه على
الصلاة والا فهو لم يخصه بذلك
بل قرنه مع الصلاة (قوله وهو عين
صلاة) تامله فان المشبه غير
المشبه به ثم قالوا فى الاستعارة
ان المشبه عين المشبه ادعاء

الصبا والدبور والشمال والجنوب فالصبا هى الريح الشرقية ويقال لها القبول وهى تهب من مشرق الاستواء وهو مطلع الشمس فى زمن الاعتدال والدبور تقابلها وهى الغربية لأنها تهب من مغرب الشمس والشمال وهى الريح الشآمية وتسمى الجربياء وهى تهب من ناحية القطب والجنوب وهى الريح اليمانية وتسمى التيامى والازيب وهى تهب من ناحية سهيل وكل ريح انحرفت عن مهاب هذه الرياح الاربع ووقعت بين ريحين منها فهى نكباء وجمعها نكب اه المقصود منه وبه يعلم ما فى تفسير النكباء بالصبا وهو وان صح تجوزا لكن لا حاجة اليه مع ايهامه انه وضع حقيق لها (وسلام على ضريحك) اى قبرك المكرم وهو أفضل حتى من الكعبة بل ومن العرش ولكون المراد من الضريح هنا البقعة التى ضمت أعضاءه الشريفة لم يكن فى افراده السلام هنا كراهة لانه عين السلام عليه الذى ضم اليه الصلاة فيما مر (تخضل) بمعجمتين اى تبتل (به منه) اى القبر المكرم (تربة وعساء) اى اللينة اذ الترمل شبه السلام بالماء الكثير الطيب البارد البالغ فى النفع فهو استعارة مصرحة وخيل له بذكر تخضل (وشاء) فى هذه القصيدة (قدمته) ه (بين يدى نجواى) اى سؤالى منك بلوغ المأمول الواقع فى هذه القصيدة بقولى جد لعاص الخ وفى غيرها (اذ) اى لاجل أنى (لم يكن لدى) اى عندى (ثراء) بالمثلثة اى مال أتصدق به امتثالا لقوله تعالى اذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدى نجواكم صدقة اذ الامر فيها كان للوجوب ثم نسخ بما بعدها وهو أأشفقتم الآية وبان انه لم يعمل بها قبل النسخ من تقديم الصدقة بين يدى النجوى غير على كرم الله وجهه ورضى عنه ولا يلزم من نسخ الوجوب نسخ الندب ولذا يسن لمن يريد زيارته صلى الله عليه وسلم ان يقدم بين يدى زيارته صلى الله عليه وسلم صدقة والناظم رحمه الله تعالى ظاهر كلامه أنه كان يعتقد بقاء الندب فاعتذر انه لا مال له يتصدق به بين يدى سؤاله وانه جعل حسن توسله وثناءه بدل المال الذى يتصدق به ●(تنبيه)● تفسيرى لدى بعندى لانها مثلها فى أكثر أحكامها من كونها ظرف مكان تستعمل فى الحضور والقرب الحسى والمعنوى نحو عند مليك مقتدر عند ربهم ان الله كتب كتابا فهو عنده فوق عرشه ان رحمتى سبقت غضبى ولا تستعمل الا ظرفا او شبهه ذلك فلا ينافى ذلك انها قد تفارقها فى كثرة جر عند بمن خاصة وامتناع جر لدى مطلقا وفى أن عند تكون ظرفا للاعيان والمعانى وتستعمل فى الحاضر والغائب بخلاف لدى فيهما وتفارق عند ولدى لدن فى أن ذينك يصلحان فى ابتداء غاية وغيرها ويكونان فضلة نحو وعندنا كتاب حفيظ ولدينا كتاب ينطق بالحق ولدينا مزيد ونحوه ويعربان بخلافها فى لغة الاكثرين وجرها أكثر من نصبها وقد لا تضاف وقد تضاف الجملة بخلافهما قال الراغب لدن أخص من عند وأبلغ لانها تدل على ابتداء الفعل (ما) مصدرية ظرفية (اقام الصلاة) اللغوية أو الشرعية (من عبد الله) وأبد بهذا مع انقطاعه استغناء عنه بما بعده على انا لا نسلم انقطاعه لان أهل الجنة يدعون ويتعبدون

(قوله مصرحة) لعله مكنية لذكر المشبه وحذف المشبه به ولذا قال وخيل اذ التخييلية انما هى المكنية تأمل (قوله مع انقطاعه الخ) اى ان خصصناه بغير أهل الجنة والا فلا انقطاع كما سبق له قريبا وهذا آخر ما من به الملك الوهاب واليه سبحانه وتعالى المرجع والمآب نسأله من فضله ان يجعلها هداية نافعة لكل قلب منيب كاشفة ظلمات الاوهام عن كل مصيب مصيب والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم المرسلين حقيقة الصلوات وروح الكلمات محمد جامع الاجمال الذاتى القرآنى حاوى التفصيل الصفاتى الفرقانى وعلى آله وأصحابه وازواجه واحبابه ● قال جامعها حفظه الله وكان الفراغ من تعليقها يوم الاربعاء غرة شهر شعبان سنة سبعين ومائة والفين من هجرة اشرف المرسلين عليه افضل الصلاة والسلام وأسأل الله من فضله حسن الختام ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم

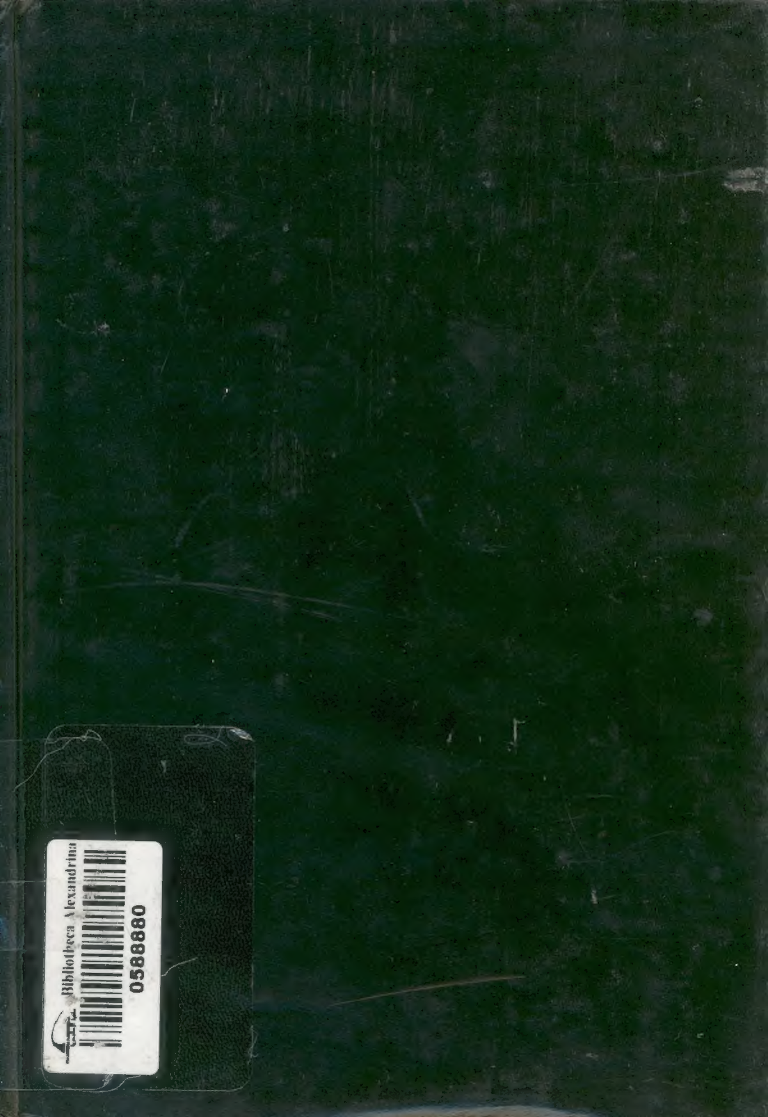
كما علم من أحاديث اقرأ وارق وغيرها لكن للتلذذ لا للتكليف ولا يضر في ذلك التأبيد انقطاعه مدة يسيرة لخبر الصحيح لا تقوم الساعة وعلى وجه الارض من يقول الله الله ولا ينافيه الخبر الصحيح أيضا لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم الى أن تقوم الساعة لان المراد قرب قيامها لما جاء أن الله يرسل ريحا لينة فلا تمر على مؤمن ولا مؤمنة الا ماتت ثم تتمحض الكفرة فلا يبقى على وجه الارض مؤمن ثم تقوم الساعة (و) ما (قامت) اى بقيت على أبلغ نظام واتقن احكام (بربها) اى بايجاده وامداده (الاشياء) اى الموجودات في الدنيا والآخرة وأبدها بالاول مع انقطاعه بفناء هذه الدار للمحو والتبرك بذكر المتعبدين آخر كلامه وبالثاني الذي لا ينقطع لدوام نعيم الجنة وعذاب النار ليجمع بين شرف الاول ودوام الثاني مع الاشارة بالختم بذكر الرب سبحانه وتعالى الى استفتاح أبواب تربيته واستفتاح موانح لطفه وهدايته جعلنا الله تعالى ممن حقق لمحقائق قربه وامداده واسعافه واسعاده وآمننا من كل فتنة ومحنة وسبغ علينا رضاه متفضلا بكل ما تمناه انه هو الجواد الكريم الرؤف الرحيم سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم وبارك افضل صلاة وافضل سلام وافضل بركة على افضل الخلق سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم عدد معلوماتك وعلينا معهم كلما ذكرك وذكره الذاكرون وغفل عن ذكرك وذكره الغافلون قال مؤلفه رحمه الله تعالى وافق الفراغ منه قرب نصف ليلة الجمعة ثاني جمادى الاولى سنة ست وستين وتسعمائة من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى التحية



بعد حمد الله على آلائه والصلاة والسلام على خاتم انبيائه يقول المتوسل الى الله بجاه الفاروقي ابراهيم عبد الغفار الدسوقي خادم التصحيح بدار الطباعه اعانه الله على مشاق هذه الصناعه تم بعون باري النسم طبع شرح الامام ابن حجر على القصيدة البهية المسماة بالهمزيه في مدح خير البريه موشى الحواشي والطرر بدرر عبارات حاشية العلامة الحفني الغرر على ذمة المكرم الامثل المحترم المبجل الراجي من مولاه التوفيق الى ما ينبغي حضرة سيدي علي افندي اللمعي بالمطبعة العامره الزاهية

الزاهره المتوفرة دواعى مجدها المشرقة كواكب سعدها فى ظل من تعطرت بثنائه
الانديه واخضرت بيمن طلعته الاوديه سيد ولاة الانام بهجة الليالى والايام رب
الامآثر الشهيره والمناقب الغزيره صاحب الهمم القيصريه والمفاخر الكسرويه
من اجتمعت القلوب على وده وأجمعت الملوك على أنه البدر فى أوج سعده الراقى بهممه
الى كل مقام معتلى جناب اسمعيل بن ابراهيم بن محمد على لازالت الايام مضيئة
بطلعة وجوده وأهالى واديه متمتعة بكرمه وجوده ولا برح متقلدا بجود افضاله
الكرام وأشباله العظام الفخام وكان طبعه مشمولا بادارة من خاطبته المعالى بابالك
اعنى سعادة حسين بك حسنى ونظارة وكيله القائم مقامه فى سلوك سبيله من

عليه محاسن اخلاقه تثنى حضرة محمد افندى حسنى وملاحظة ذى
القدر المجيد حضرة ابى الامين افندى احمد وقد وافق
تمام تمثيله وكمال تشكيله اواسط ثانى الربيعين
من سنة الف ومائتين واثنتين وتسعين من
هجرة خاتم المرسلين صلى الله وسلم
عليه وكل منتسب اليه
مالاح بدر تمام
وفاح مسك
ختام
م


Bibliotheca Alexandrina
0588880